أحمد الكاتب:

التشيع السياسي

و"التشيع الديني"

دار الشورى

ahmad@alkatib.co.uk
www.alkatib.co.uk

الطبعة الأولى
2009

" لا تقبلوا علينا حديثا إلا ما وافق القرآن والسنة، أو تجـدون معه شـاهدا من أحاديثنا المتقدمة...فـاتقوا الله ولا تقبلـوا علينا ما خالف قول ربنا تعالى وسنه نبينا محمد (ص) فإنا إذا حـدثنا قلنـا: قـال الله (عزَّ وجل) وقـال رسـول الله (ص).. فوالله ما نحن إلا عبيد الذي خلقنا واصطفانا، ما نقدر على ضر ولا نفـع، وإن رحمنا فبرحمتـه، وإن عـذبنا فبـذنوبنا، والله مالنا على الله من حجة ولا معنا من الله براءة، وإنا لميتون ومقبورون ومنشورون ومبعوثون وموقوفون ومسؤولون".

"والله لو ابتلـوا بنا وأمرنـاهم بـذلك لكـان الـواجب أن لا يقبلـوه، فكيف وهم يروني خائفا وجلا أستعدي الله عليهم وأتـبرأ إلى الله منهم أشهدكم أني امرؤ ولدني رسـول الله (ص) وما معي بـراءة من الله، إن أطعته رحمـني وإن عصـيته عـذبني عـذابا شـديدا أو أشد عذابه".

الإمام جعفر الصادق

المقدمة

الفصل الأول: التشيع السياسي
العلاقة بين الإسلام والسياسة
الشورى نظرية أهل البيت السياسية
الشيعة والشورى
الفصل الثاني: التشيع "الديني" أو نظرية "الإمامة الإلهية لأهل البيت"

فلسفة نظرية الإمامة الإلهية:

أ - العصمة

ب - ضرورة وجود العالم الرباني المفسر للقرآن

ج - الفاضل والمفضول

د - رفض الشورى

هـ - طرق إثبات الإمامة لكل إمام:

1 - النص
2 - الوصية

3 - المعاجز

4 - علم الإمام بالغيب

5 - امتلاك سلاح رسول الله (ص)

6 - العلم والفضل

7 – الإشارة الضمنية

8 - قانون التوارث العمودي

9 – الأكبر.. فالأكبر

الفصل الثالث: بيئة "التشيع الديني"
الغلاة والتآمر على التشيع:
السبئية، الكيسانية، الكربية، البربرية، المغيرية، المنصورية، الخطابية، المفوضة و المفضلية، المخمسة، العليائية، البشرية، الفراتية، النصيرية والنميرية، العذاقرة

موقف أهل البيت من الغلاة

الفصل الرابع: تطور التشيع من حزب سياسي إلى مذهب ديني

المبحث الأول: الإمام الباقر والصراع على زعامة الشيعة،

الظروف السياسية المحيطة بالباقر

استراتيجية الباقر في الصعود نحو القمة:

أ – شعار "أهل البيت" في مقابل "العترة"

ب - دعوى النص على الإمام علي

ج - حصر الإمامة في الفاطميين، وإثبات إمامة زين العابدين: "معجزة تكلم الحجر الأسود"، "معجزة حصاة أم أسلم"، "علم الغيب"

د - إقصاء بني الحسن ، ولاية الدم، سلاح رسول الله

هـ - إقصاء اخوته العشرة

و - إقصاء أخيه الإمام زيد

المبحث الثـــاني: إضـــفاء الصـــبغة الدينية الإلهية على نظرية الإمامة

1- شمولية الشريعة الإسلامية

2 - انحصار العلم في أهل البيت

3- علم الأئمة بالغيب

4- تحـدث الملائكة مع "الأئمة المحـدَّثين" ، "صـعوبة حـديث آل محمد"

المبحث الثالث: وجوب الولاء للأئمة

الفصل الخامس: الإمام الصادق في خضم التيارات السياسية والفقهية

الصادق والإمامة الإلهية

هل كان الصادق "حجة من الله"؟

هل كان الصادق يدعي "علم الغيب"؟

هل كان الصادق "محدَّثاً" ؟

هل كان الصادق "مفوضاً في التشريع"؟
هل كان حديث الأئمة "صعبا"؟
هل الولاء لأهل البيت "ركن من أركان الإسلام" ؟
هل كان الصادق "يمارس التقية"؟ ، التقية في الجرح والتعديل ، التقية في الفتيا

الفصل السادس: الفقه الإمامي
المبحث الأول: أصول الفقه الإمامي
1 – رفض القياس والرأي والاجتهاد

2 – لا سنة إلا عن طريق أهل البيت

3- "الأئمة" مصدر من مصادر التشريع

4 – التفويض في التشريع

5 - منهج مخالفة العامة

6 - الإفتاء خلافا للشريعة، تقيةً

المبحث الثاني: ملامح الفقه الإمامي

1 - الصلاة

2 - الصوم
3 - العلاقات الاجتماعية (قوانين الأحوال الشخصية) ، نكاح المتعة، بطلان الطلاق بالثلاث

4 - الإرث
5 - القضاء
6- الجهاد
7 - الأنفال

8 - الخمس

9 - الزكاة

الفصل السابع :المقاطعة والانطواء الطائفي

1- المقاطعة النفسية والفكرية: التكفير واللعن

1 - التحرر من أسطورة "المهدي المنتظر"

2 - نقد النظرية "الاثني عشرية"

أ - مناقشة الأحاديث السنية
ب - مناقشة الروايات الشيعية

تقييم سند روايات "الإثني عشرية" الشيعية

نقد وتقـييم كتـاب : (كفاية الأثر في النصـوص على الأئمة الاثـني عشر)

3 – نقد فلسفة العصمة

4- حل عقدة "الولاية"

5 - إعادة تعريف مصطلح "الإيمان"
6 - إعادة النظر في الموقف من الصحابة والشيخين
7 - التحرر من القوقعة الطائفية التاريخية
8 - فك المقاطعة الاجتماعية
9 - الموقف الإيجابي من المذاهب الفقهية الأخرى

10 - طي صفحة "المرجعية الدينية"

11 - التحرر من نظرية "

ولاية الفقيه"

12 - إعادة النظر في حكم "الخمس"

13 - إعادة النظر في الطقوس الشيعية

14 - التخلي عن العناوين الطائفية

التشيع السياسي
و"التشيع الديني"

بسم الله الرحمن الرحيم
مقدمة

يقوم مشروع النهضة الإسلامية على عـدة أركـان هي الوحـدة والعدالة والحرية والمشاركة السياسية، ويصـارع المسـلمون منذ عقود على طريق التقدم نحو تلك الأهداف السـامية، وقد نجحـوا مؤخرا في إنجاز بعض ما طمحوا إليـه، ولكنهم لا يزالـون يعـانون كثيرا من الإخفاق في بنـاء أنظمة سياسـية عادلة ديموقراطية أو إقامة وحـدة إسـلامية متينة واسـعة، وربما يعـود جـزء من سـبب إخفـاقهم في تحقيق مشـروعهم الحضـاري إلى تـراثهم الفكـري السياسي المشحون بعوامل الاستبداد والصراع الداخلي والأحقاد والبغضاء والتصورات السلبية عن بعضـهم البعض، وأخص بالـذكر الشيعة والسنة الذين يحمل كل منهم نظريات سياسية استبدادية لا علاقة لها بالإسـلام، وينظر كل منهم إلى الآخر نظـرة مشـوهة تقـوم على أسـاس التقـاط بعض الأفكـار والنصـوص والمواقف والأحداث الجزئية وتعميمها على الجميع، واستخدام ذلك أداة في القمع والظلم والإقصاء والصراع.

وتشكل نظرية "الإمامة الإلهية لأهل البيت" التي قال بها فريق من الشيعة في التاريخ، مادة خصـبة أو وقـودا لا ينضب في أتـون التفرقة بين المســـلمين، فمن جهة يعتقد "الإماميـــــة" أن تلك النظرية من صــلب الإســلام والتشــيع، وضــرورة من ضــرورات الــدين، ويصـعب عليهم بالتـالي التخلي عنهـا. ومن جهة أخــرى يســتنكر المســلمون "الســنةُ" تلك النظرية وتوابعها كـالموقف السلبي من الصحابة والشيخين أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) وهذا ما يؤدي إلى استمرار التشنج والخلاف بين الطـرفين، وربما انقسامهم إلى "فسطاطين" متعاديين، كما يحلو للبعض أن يصور الموضــــوع، ويأمل ويعمل من أجل إدامة شــــعلة الخلاف بين المسلمين.

وأملا بتوحيد المسلمين وتحريرهم من الظلم والاستبداد، وحل الخلاف التـاريخي بين الســنة والشــيعة، نــرى ضــرورة طــرح مجموعة أسـئلة: هل تشـكل نظرية "الإمامـة" صـلب الإسـلام والتشيع حقا؟ وهل كـان يـؤمن بها جميع الشـيعة قـديما وحـديثا؟ وهل يمكن أن يتفق المســلمون جميعا على فكر سياسي بــديل وجديــد؟ وهل يجب أن يحافظ الســنة والشــيعة على هويــاتهم الطائفية إلى يــوم القيامــة؟ وهل تقــوم خلافــاتهم الفكرية على

أساس الدين؟ أم على أساس المصالح والنظريات السياسية؟ وأساسا هل ولد الشيعة في التاريخ ليكونوا طائفة في مقابل السنة؟ أو طائفة منغلقة تستهدف السنة؟ أم كانوا حزبا سياسيا طليعيا يعمل من أجل تحرير الأمة الإسلامية وتحقيق العدالة والخير لها؟

إن الإجابة على الأسئلة الآنفة تتوقف على قراءة تاريخ التشيع عبر مراحله المختلفة وإلقاء نظرة شاملة عليه. فقد ظهر التشيع على يدي الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في مواجهة خصومه في الفتنة الكبرى. ويومها لم يكن التشيع يحمل أي تمايز ديني في العقيدة أو الصلاة والصوم وسائر العبادات، بقدر ما كان يحمل رؤية خاصة في تفسير الدين بالعدل والمساواة واحترام كلمة الأمة، ورفض الاستيلاء على أمورها بالقوة والإكراه. وبهذا المعنى فقد كان "التشيع العلوي" هو طابع الأمة الإسلامية كلها، في مقابل شرذمة متمردة صغيرة كانت تحاول اتخاذ مال الله دولا وعباد الله خولا، وهو ما عبر عنه الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) في ثورته على يزيد بن معاوية سنة 61 هـ عندما دعا أهل العراق لنصرته من أجل الإصلاح في أمة جده كلها، ولم يخرج من أجل تحقيق مآرب شيعية خاصة.

لقد حدث أول شقاق بين المسلمين، ليس بن الشيعة والسنة، وإنما بين الجماهير المسلمة والحكام الذين استولوا على السلطة بالقوة، وتفجر الشقاق بين الطرفين في عدة ثورات شعبية هنا وهناك في القرن الأول الهجري. وكان الانشقاق أقرب إلى التقسيم السياسي الحديث الذي يقسم الأحزاب إلى يمين ويسار، كما تنبه إلى ذلك الكاتب المصري أحمد عباس صالح في كتابه :"اليمين واليسار في الإسلام" والذي وضع الشيعة في خانة "اليسار" في مقابل خصومهم من الأثرياء والمستبدين: أهل "اليمين".

ثم حدث خلاف آخر في وقت متأخر بين صفوف الشيعة أنفسهم بين من يتمسك بـ "التشيع السياسي" المعروف في عهد الإمام علي والحسين، القائم على مبدأ العدل والشورى والثورة أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبين من أخذ يؤمن بـ "التشيع الديني" الذي يحصر الخلافة في "الأئمة من أبناء علي والحسين، ويعتقد بعصمتهم وبارتباطهم بالسماء، حسب نظرية "الإمامة الإلهية" التي رفعها أصحابها إلى مستوى العقيدة الدينية، وغلفوها بالنصوص والتأويلات والقصص التاريخية. ثم انقسم "الإمامية" إلى فرق عديدة، كان على رأسها الفريقان الرئيسيان: "الإسماعيلية" و"الموسوية" المنسوبان إلى ابني الإمام جعفر

الصادق: إسماعيل وموسى، حيث واصلت الفرقة الإسماعيلية طريقها في الحياة ونجحت في إقامة دولة استمرت عدة قرون (من أواخر القرن الثالث الهجري إلى أواسط القرن السادس) هي الدولة الفاطميـــــة، ثم دخل أئمتها بعد انهيارها في مرحلة الستر والكتمان، وانشقت إلى عدة فرق. بينما وصلت "الموسوية" إلى طريق مسدود في منتصف القرن الثالث الهجري بوفاة الإمام الحسن العسكري دون خلف ظاهر تستمر الإمامة فيه وفي ذريته، رغم اعتقاد بعض الشيعة بوجود ولد مخفي له هو "الإمام الثاني عشر محمد المهدي المنتظر". وذلك لعدم ظهوره على مسرح الحياة ليقود الشيعة والمسلمين ويؤسس الدولة الإسلامية المفترضة، واضطرار الشيعة الذين يؤمنون بوجوده للبحث عن أئمة عاديين يقودونهم ولا يتصفون بالعصمة ولا بالنص ولا ينتمون بالضرورة إلى السلالة العلوية الحسينية.

وكان يفترض بنظرية "الإمامة الإلهية" – على الأقل لدى الفرقة الموسوية - أن تُطوى مع التاريخ، لولا أنها تحولت من نظرية سياسية مؤقتة إلى "عقيدة دينية" ملحقة بالإسلام. وأصبح الإيمان بالأئمة "الاثني عشر" لدى "الإمامية" جزءا متمما للإيمان بالله والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

وكنت أنا شخصيا قد ولدت ونشأت على الإيمان بتلك العقيدة، وأصبحت من الدعاة إليها، ولكني قمت بعد حين بمراجعة تلك العقيدة بالصدفة في عام 1990 وذلك أثناء بحثي عن نظرية "ولاية الفقيه" وأصولها التاريخية، فعثرت على نصوص قديمة من مشايخ الطائفة الاثني عشرية، تصرح بعدم وجود أدلة علمية تاريخية قاطعة على ولادة "الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري" وأن الاعتقاد بولادته ووجوده يقوم على افتراضات كلامية "عقلية". فدفعني ذلك إلى دراسة نظرية "الإمامة الإلهية" من جديد لأكتشف أنها لم تكن نظرية أهل البيت السياسية، وإنما كانت من صنع المتكلمين والغلاة، الذين يلتفون حول الأئمة.

وكتبت بحثي ونشرته عام 1997م تحت عنوان "تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه" وركزت فيه على بحث موضوع "ولادة الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري" ولم أركز كثيرا على بحث ونقض نظرية "الإمامة الإلهية" نظراً لما كنت أحسبه من كفاية بحث مسألة ولادة "الإمام الثاني عشر" وإثبات عدم وجوده، وعدم الحاجة بعد ذلك

لتكلف البحث لإثبات بطلان نظرية تاريخية منقرضة ولا وجــود لها اليـوم. ولكـني رأيت بعد ذلك كثـيرا ممن رد على كتـابي يتشـبث بنظرية "الإمامة الإلهية لأهل الــبيت"، ويســتعين بها كــدليل من أجل إثبات فرضية "وجود" الإمام الثـاني عشر (المهـدي المنتظر الغــائب منذ أواسط القــرن الثــالث الهجــري) والمحافظة على "عقيدته" من الانهيـار. ولـذلك وجـدت من الضـروري التوسع في بحث موضوع "الإمامة الإلهية" بصورة مستقلة وموسعة، ودراسة علاقتها بأئمة أهل البيت (وخصوصا الباقر والصادق) ومدى التزام عامة الشيعة بها عبر التاريخ، وموقف الشيعة منها اليـوم، والآثـار الســلبية لتلك النظرية على تطــور الشــيعة السياسي وعلاقتهم بالآخرين.

وقمت في هذا الكتاب باسـتعراض الفكر السياسي الشـيعي المبكر في عهد الإمــام علي بن أبي طــالب، وفي القــرن الأول الهجـري، ثم تطـرقت إلى نشـوء "التشـيع الـديني" ممثلا بنظرية "الإمامة الإلهية لأهل البيت". واستعرضت أهم أدلتها، وتفاصـيلها، ثم قمت بمقارنتها بما سبق من نظريـات شـيعية لأتأكد من كونها نظرية قديمة وأصــيلة قادمة من زمن الرســول (ص) والإمــام علي؟ أم حادثة ومولودة في القـرن الثـاني الهجـري، واسـتعرض ردود الفعل عليها وتفاعل الشيعة معها، وموقف أهل البيت منهــا، ودور الغلاة في صـناعتها والـترويج لهـا. كما تحـدثت بعد ذلك عن "الاثني عشرية" وآثارها السلبية على الشـيعة عـبر ألف عـام، ثم انتقلت إلى الفكر الشــيعي الحــديث والمعاصر الــذي يحــاول الخــروج من عنق "الإمامــة" والإنجــازات الــتي حققها في هــذا الطريق، والمهام المتبقية له للتحرر من تلك النظرية، وبنــاء فكر سياسي جديد أكــــثر ديموقراطية وعدالة وقــــدرة على توحيد المسلمين.

وقمت في بحثي هذا بالاعتماد بدرجة رئيسية على أهم مصـدر شـيعي إمـامي اثـني عشـري، وهو كتـاب "الكـافي" الـذي جمعه محمد بن يعقوب الكليني في بداية القرن الرابع الهجـري، والـذي يضم أهم الأحاديث المروية عن الإمـامين البـاقر والصـادق، وبقية الأئمة الاثني عشـر، وكـذلك كتـاب "بصـائر الـدرجات" لمحمد بن الحسن الصــفار، وبعض المصــادر الشــيعية الأخــرى التاريخية والرجالية والكلاميـة. ورغم معرفـتي بعـدم صـحة معظم أحـاديث "الكــافي" – كما يقــول الشــيعة الإمامية المتــأخرون وخاصة الأصــوليون – إلا أني فضــلت الاستشــهاد بكل ما جــاء فيه من أحاديث، بغض النظر عن صحتها من ناحية السند، من أجل تكوين

صورة تاريخية تقريبية عن نظرية "الإمامة الإلهية" كما وردت في أصح المصادر الإمامية القديمة، والتي كانت معتبرة وصحيحة بنظر الكليني والشيعة "الإمامية" في ذلك الوقت، رغم مراجعة الشيعة فيما بعد لتلك الأحاديث والتبرؤ من الكثير منها، والحكم على رواتها بالضعف والغلو. وربما اعتبرت نفسي أقسى من علماء الرجال الشيعة في الحكم على تلك الروايات، إذ أني لم أعترف بصحة أية رواية في "الكافي"، حتى تلك الروايات التي يعدها الإمامية المتأخرون "صحيحة" والتي يبلغ عددها حوالي ألفي رواية من ستة عشر ألف رواية تضمنها "الكافي". وذلك بسبب الشك بتصحيح الكليني لرواياته أو توثيق رجاله الذين يبدو لي أنهم أقرب إلى الغلاة منهم إلى أئمة أهل البيت، والتشكيك بجميع الروايات التي ينقلها "الإمامية" لتأييد مذهبهم وتشييد نظريتهم. وهو شك منهجي طبيعي وضروري، وقد مارسه الشيخ أبو جعفر الطوسي (شيخ الطائفة الإمامية الاثني عشرية في القرن الخامس الهجري) في نقد المذاهب الشيعية الأخرى في كتاب "الغيبة". إضافة لما قمت به من تقييم للروايات المنسوبة للأئمة من أهل البيت، على أساس العرض على القرآن الكريم، اتباعاً لمنهج الأئمة أنفسهم، الذين كانوا يدعون إلى عرض أحاديثهم على القرآن، ويطالبون بردها إن تضمنت أفكاراً مغالية أو منحرفة.[1] وتوصلت إلى نتيجة تثبت براءة "الأئمة" من نظرية "الإمامة الإلهية" وكونها من تأليف الغلاة والمتكلمين الذين كانوا يلتفون حولهم، وعدم قيامها على أسس شرعية متينة، مما أدى إلى انهيارها بسرعة أمام التحديات ووصولها إلى طريق مسدود وانقراضها.

---

[1] - فقد روى الكشي عن هشام بن الحكم أنه سمع الصادق يقول:" كان المغيرة بن سعيد يتعمد الكذب على أبي، ويأخذ كتب أصحابه، وكان أصحابه المستترون بأصحاب أبي يأخذون الكتب من أصحاب أبي فيدفعونها إلى المغيرة فكان يدس فيها الكفر والزندقة ويسندها إلى أبي ثم يدفعها إلى أصحابه فيأمرهم أن يثبتوها في الشيعة، فكلما كان في كتب أصحاب أبي من الغلو فذاك مما دسه المغيرة بن سعيد في كتبهم". وقال الكشي :إن يونس بن عبد الرحمن قال:"وافيت العراق فوجدت بها قطعة من أصحاب أبي جعفر... فسمعت منهم وأخذت كتبهم فعرضتها من بعد على أبي الحسن الرضا، وقال لي:إن أبا الخطاب كذب على أبي عبد الله لعن الله أبا الخطاب، وكذلك أصحاب أبي الخطاب يدسون هذه الأحاديث إلى يومنا هذا في كتب أصحاب أبي عبد الله، فلا تقبلوا علينا خلاف القرآن، فانا إن تحدثنا حدثنا بموافقة القرآن وموافقة السنة". الكشي، الرجال ص 196 - 195

ولم أكن في الحقيقة معنيا كثيرا بإثبات بطلان نظرية "الإمامة الإلهيـــــة" لأنها – في رأيي –نظرية ميتة لا وجـــــود لها على أرض الواقـع، ولا يلـتزم بها عمليا معظم الشـيعة المعاصـرين، ما عـدا بعض الأشخاص في دوائر ضيقة وبصورة هلامية، ودون أن يعرفوا معناها جيدا، وإنما بالاسم والشعار فقط، ولم يهمـني بحثها كثـيراً لولا الحرص على معالجة آثارها الجانبية السلبية التي تحــول دون تقدم الشيعة على طريق بنـاء أنظمة ديموقراطية عادلـة، وتعزيز علاقتهم بإخوانهم المسلمين.

وأعتقد أن التعـرف على "التشـيع السياسـي" والتخلص من "التشـــيع الـــديني"، ضـــروري جـــدا لتحقيق الأهـــداف الشـــيعية والإسلامية العامة، والخروج من القوقعة الطائفية، والانخراط في مسيرة إسـلامية واحـدة مع الجمـاهير "السـنية" الـتي تناضل من أجل الحرية والعدالة والتحرير.

وكان الدكتور علي شريعتي قد حاول عشية الثورة الإسلامية في إيـران، أن يقـرأ الـتراث الشـيعي قـراءة حية حديثة ويوظفه في خدمة المشروع الثوري الإسلامي، فسلط الضــوء على نمــوذجين من التشـــيع أطلق على أحـــدهما "التشـــيع العلـــوي" وعلى الآخر "التشيع الصفوي" وانتقد كثيرا من السلبيات التي كان يعاني منها المجتمع الإيراني والمجتمعات الشيعية الأخرى، داعيا إلى الاقتداء بنموذج "التشيع العلوي" المفعم بـروح الوحـدة والعدالة والثـورة والشـــهادة. ولكن الـــدكتور شـــريعتي لم يركز كثـــيرا على دراسة منشأ الانحـــراف في الحركة الشـــيعية التاريخيـــة، وإنما حـــاول الالتفـاف على بعض الخرافـات والأسـاطير المتسـربة في الفكر التراث الشيعي، فلم يبحث أصل موضوع "الاثـني عشـرية" وإنما حـــاول الالتفـــاف عليه بالـــدعوة إلى الشـــورى في مرحلة "غيبة الإمام الثاني عشر" الكـبرى. وكـذلك لم يبحث الـدكتور شـريعتي أصل فرضية وجـود "الإمـام الثـاني عشـر" المسـئولة عن تخـدير الشـيعة ومنعهم من المشـاركة السياسـية، وانتظـار التغيـير من السـماء، وإنما قـام بالالتفـاف عليها بتقـديم تفسـير جديد لمعـنى "الانتظـار" هو "الانتظـار الإيجـابي" الـذي يعـني العمل والثـورة تمهيـدا لخـروج "الإمــام المهــدي"، بــدلا من المفهــوم الســابق "الانتظار السـلبي" الـذي كـان يلـتزم به الشـيعة، ويحـرم الثـورة وإقامة الدولة في "عصر الغيبة".

ومع تقديرنا للجهد الكبير الذي قام به الدكتور علي شريعتي، والدور الذي لعبه في تفجـير الثـورة الإسـلامية في إيـران، فنحن نعتقد أن أزمة الشيعة لم تبدأ من العصر الصـفوي، وإنما ابتـدأت من تحول فريق من الشيعة من التشيع "السياسـي" إلى التشـيع

"الـديني" في القـرن الثـاني الهجـري. ولـذا نعتقد أن الحل يكمن في تفكيك "التشــيع الــديني" والعــودة إلى جــوهر "التشــيع السياسي". وأن في هذه العودة خيرا للشيعة وللعالم الإســلامي. وذلك لأن العالم الإسلامي لم يكن منقســما إلى طوائف في ظل التشـيع السياسـي، في أيـام خلافة الإمـام علي بن أبي طـالب، الذي كـان يجمع عليه الغالبية من المسـلمين، وهو يمكن أن يتحد اليوم مرة أخرى على ذلك النوع من التشيع "السياســي" وإن لم يكن شخص الإمام علي أو أحد من أهل بيته موجــودا في الــوقت الـراهن. إذ أن المهم هو الجـوهر وليس الإطـار، وجـوهر التشـيع يتمثل في روح العدل والحرية والشورى والوحدة، وهي مبـادئ لا تخص الشيعة فقط بل يجمع عليها عامة المسلمين.

إن مبادئ "التشيع السياسي" هي بالضبط مبادئ الإسلام، ولكنها تجلت لـــدى الشــيعة الأوائل كحركة معارضة في مقابل سياسة بعض الحكام الظلمة والمستبدين الذين مارسوا الظلم واغتصـاب السلطة وأكل أموال النـاس بالباطـل، باسم الإسـلام. وعلى هـذا الأســاس فــإن الشــيعة يلتقــون مع إخــوانهم المســلمين بكل طوائفهم ممن يرفضـون الظلم والاسـتبداد والاسـتغلال. في حين أنهم يتـبرءون ممن يمـارس الظلم والقهر والاعتـداء على حقـوق الآخــرين، حــتى لو ادعى التشــيع، أو تظــاهر بشــعارات الشــيعة التاريخية.

وتشـتد الحاجة للعـودة إلى جـوهر التشـيع ، في الـوقت الـذي يشهد العالم الإسلامي نهضتين عظيمتين تحسبان على "الشـيعة" و"السنة" تواجهان خيار التعاون والاتحاد، أو التصـادم والاحـتراب، وهو ما يدفع باتجـاه الوقـوع فيه أكـثر من طـرف محلي وإقليمي ودولي بهـدف حماية الأنظمة المسـتبدة والمصـالح الاسـتعمارية الخبيثة. حيث يحاول الكثير من أعـداء الأمة في الـداخل والخـارج عرقلة النهضة الإســلامية بإشــعال الحـــرب الطائفية وتطعيمها بالأفكــار المنحرفة والمطــامع الاسـتبدادية، أو تصــوير كل حركة منها على أنها مشــاريع هيمنة طائفيــة، مما يبعث على الخــوف والنظر إلى الآخر نظرة شك وارتياب.

وبـدلا من أن يتوحد المسـلمون سـنة وشـيعة وينخرطـوا في مشـروع نهضـوي واحـد، راح بعض أصـحاب العقليـات الطائفية المتحجـرة يـروج الأفكـار والنظريـات الشـيعية القديمة والميتـة، ويشوش على "التشيع السياسي" الثوري العلـوي. في حين ذهب البعض من خصــوم الشــيعة ليفتش في مقــابر التــاريخ والكتب الصفراء عن نقـاط الخلاف والعيـوب الـتي كـان يتصف بها الغلاة من الشيعة وبعض المذاهب المتطرفة والمنقرضـة، لكي يضـرب

بها التيـار الثـوري الجديـد. وهو ما يهـدد بتـدمير مشـروع النهضة الإسـلامية بصـورة عامـة، وإدخـال المنطقة في أتـون صـراعات طائفية ضيقة لا تنتهي.

من هنا تأتي ضرورة المحافظة على البوصلة نحو الأمام، وذلك بالفرز الدقيق بين الفكر الطائفي الاستبدادي المغالي الضيق من جهـــة، وبين الفكر الشـــيعي العلـــوي الحي المعتـــدل الأممي، المتحـــالف مع الفكر الســـني الشـــعبي الـــديموقراطي من جهة أخرى.

إن من المهم جـدا أن ينظر كل فكر (شـيعي أو سـني) إلى جمـــاهير الأمة الإســـلامية بغض النظر عن هويتها الطائفيـــة، أي كجماهير باحثة عن الحق والحرية والعدالة والديموقراطية، وعدم محاولة الســـيطرة عليها أو إقصـــائها. ولا بد للســـنة أن ينظـــروا للشيعة بعيـدا عن الأحـداث التاريخية وأقـوال الغلاة المتطـرفين، وكـذلك على الشـيعة أن ينظـروا إلى السـنة كأمة حاضـنة لهم، وليس كطائفة مضادة لهم، وينظروا لأنفسهم كطليعة مناضلة من أجل العدل والحرية والتحرير والتقدم للأمة كلهـا، كما كـان يقـول الإمام الحسين :"إنما خـرجت لطلب الإصـلاح في أمة جـدي" ولا يعـاملوا الجمـاهير السـنية المسـلمة بحسـاب الأنظمة الجـائرة المستبدة والحركات العنصرية والطائفية المعادية لهم، والـتي قد تسبب لهم أو سببت لهم بعض الأذى عبر التاريخ.

إن على السـنة والشـيعة اتبـاع اسـتراتيجية أصـيلة تضع نصب أعينها خدمة الأمة دون تميـــيز، والتخلص من رواسب الأفكـــار الميتة والبائـــدة، الديكتاتورية والمنحرفـــة، والتمسك بجـــوهر الإسـلام، تمهيـدا لحـذف مصـطلحي "السـنة" و"الشـيعة" من قاموسهم الفكري والسياسي.

أحمد الكاتب
10 رمضان المبارك 1429
10 أيلول 2008

الفصل الأول: التشيع السياسي

لا يوجد خلاف بين المؤرخين على ظهور مصطلح "التشيع" للإمام علي في حياته، سواء في يوم السقيفة حيث اعتصم فريق من المهاجرين والأنصار في بيته ورفضوا البيعة لأبي بكر حتى يبايع، أو بعد مقتل عثمان، أو في أثناء حرب الجمل، أو بعد عودته من معركة صفين. ولكن الخلاف هو حول طبيعة التشيع في الزمن الأول هل كان سياسيا؟ أم روحيا دينيا؟ وأيهما الأقدم؟ فبينما يقول الشيعة الإمامية إن التشيع الأول كان "دينيا" بسبب وصية الرسول الأعظم (ص) للإمام علي بن أبي طالب بالإمامة من بعده، يقول المؤرخون الآخرون إنه كان في البداية تشيعا "سياسيا" ثم تطور بعد ذلك بعشرات السنين، إلى تشيع "ديني" (أو عقدي أو روحي).

العلاقة بين الإسلام والسياسة

وللتعرف على حقيقة الأمر يجدر بنا ملاحظة المؤشرات التاريخية والنصوص الواردة الينا من تلك الحقبة، والتعرف أولاً على موقف الإسلام من السياسة عموما، وفيما إذا كان النظام السياسي جزءاً من الدين؟ أم لا؟ وطبيعة التجربة النبوية نفسها وفيما إذا كانت دينا محضا؟ أم دينا ومُلكا؟ وموقف الرسول الأعظم محمد (ص) من الأنظمة السياسية المسلمة التي كانت قائمة في زمنه.

ولا شك أن الرسول الأعظم محمد (ص) مارس السياسة بشكل معين، ولكنه لم يؤسس دولة بالمعنى الحديث للكلمة، ولم يصبح ملكا، ولم يطرح نفسه بديلا عن الممالك العربية وغير العربية القائمة في ذلك الزمان. وبالرغم من أنه كان يمتلك شرعية سماوية إلا أنه لم يفرض سلطانه على المسلمين في المدينة إلا بعد أخذ البيعة منهم في العقبة.[2] ولم يتدخل في تفاصيل الأنظمة السياسية للقبائل العربية التي كانت تدخل في الإسلام، بقدر ما كان يهتم بأمر التوحيد والصلاة والزكاة. وكان يخاطب الملوك

---

[2] - سيرة ابن هشام، الجزء الثاني، ص 61

المعاصرين له ويدعوهم إلى الإيمان برسالته ويعِـدهم بالمحافظة على ملكهم تحت أيـديهم. وقد تـرك الأمـراء والملـوك والأقيـال والسلاطين الذين أسلموا في حياته على ما هم عليـه، ولم يطلب منهم التخلي عن أنظمتهم السياسـية لصـالح نظـام جديد يفرضه عليهم.[3] وقد خلت رسـائل الرسـول إلى كسـرى وقيصر وعظيم القبط من أية دعوة للتنـازل عن الملك إليـه، وإنما تضـمنت فقط دعوتهم إلى الـدخول في الـدين الجديـد.[4] وهـذا ما يـدل على أن الرســول محمد (ص) لم يكن بصــدد تغيــير الأنظمة السياســية القائمة، وبنــاء دولة جديــدة، بقــدر ما كــان يهتم بنشر الــدعوة الإسلامية، ولذلك لم يضع دسـتوراً للحكم من بعـده، ولم يتحـدث عن أسلوب تداول السلطة وطريقة انتخاب الحاكم أو صــلاحياته، ولا عن تفاصيل العلاقة بين الحاكم والمحكوم غير الالتزام بالعدل والطاعة في المعـروف، كما لم يؤسس مجلسا للشـورى يضـمن انتقال السلطة بعده بشكل آلي إلى من يريـد. وإنما أعطى الأمة كلها الحق بإقامة نظامها السياسي المــــدني، وأوكل إليها مهمة مراقبة ذلك النظام ومحاسبته وتغييره.

---

[3] - فقد بعث إلى أمير الغساسنة في دمشق الحارث بن شمر الغساني، كتابا يقـول فيـه: " السـلام على من اتبع الهـدى وآمن به ، أدعـوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك". (تـاريخ ابن خلـدون ج2 ص 36) وقال للرسولين اللـذين بعثهما بـاذان بن ساسـان عامل كسـرى على اليمن:" قـولا لـه: إن ديـني وسـلطاني يبلغ ما بلغ كسـرى، وان أسـلمت أعطيتك ما تحت يـدك وملكتك على قومك من الأبنـاء". (المصـدر، ج2 ص 38) وكتب إلى المنـــذر بن ســـاوي العبـــدي عامل كســـرى على البحرين:"...سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعـوك إلى الإسـلام فأسـلم تسـلم يجعل الله لك ما تحت يـديك. واعلم أن ديـني سـيظهر إلى منتهى الخف والحافر". (مكاتيب الرسـول، ص 145) كما كتب إلى هـوذة بن علي ملك اليمامــة: "... أســلم تســلم ، واجعل لك ما تحت يــديك". (المصــدر، ص 156) وكتب إلى جيفر وعبد ابــني الجلنــدي في عمــان يدعوهما بدعاء الإسلام ، ويقول لهما: "اسلما تسلما، فإني رسول الله إلى النـاس كافـة، لأنـذر من كـان حيا ويحق القـول على الكـافرين. وإنكما ان أقررتما بالإسلام وليتكما، وان أبيتما ان تقـرا بالإسـلام فـان ملككما زائـل، وخيلي تحل بساحتكما، وتظهر نبـوتي على ملككمـا". (المصـدر، ص 162) وعندما عاهد النبي أهل مقنا، اتفق معهم على"...ان ليس عليكم أمــير إلا من أنفسكم". (المصدر، ص 120 و 122)

[4] - جاء في رسـالته الى كسـرى : " بسم اللّه الـرّحمن الـرّحيم. من محمّد رسـول اللّه إلى كسـرى عظيم فـارس. سـلام على من اتبع الهـدى وآمن باللّه ورسوله، وأشهد أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شريك له وأن ّمحمّداً عبده ورسوله، أدعوك بدعاية اللّه، فإنّي أنا رسول اللّه كافة لأنذر من كـان حيـاً، ويحق القول على الكافرين. أسلم تسلم. فإن أبيت فعليك إثم المجوس".

ومن هنا لم يترك النبي محمد (ص) بعده حكومة دينية مشابهة للحكومات اليهودية القديمة التي كـان يقودها الكهنة والأحبـار، أو مشابهة للحكومات المسيحية الـتي كـان يقودها القياصـرة بـدعم من بابوات الكنيسة في العصور الوسطى. حيث لم يقر الرسـول نظـام ازدواج السـلطتين الزمنية والدينيـة. ولم يؤسس سـلطة دينية كالكنيسة عند المسـيحيين، ولم يَكِل إليها مهمة منح الشرعية للملوك ولا مهمة محاسبتهم أو مـراقبتهم. وتـرك النـبي (ص) المسلمين في حالة الطبيعة أحراراً متساويين، دعـاهم إلى التزام العدل وحثهم على عمل الخير، وعلمهم ممارسة الشـورى والأمر بـالمعروف والنهي عن المنكـر. ولم يعين أحـدا خليفة من بعده.

وإذا كـانت نظـرة الإسـلام إلى السياسـة، أو بعبـارة أدق إلى الأنظمة السياسية، نظـرة مدنية وليست دينيـة، أي عـدم اعتبارها جـزءا من الـدين، فـان نظرته إلى الخلافة لن تكـون دينية أيضـا، وانما هي قضية عرفية مدنيـة، ومن هنا فـان التشـيع للإمـام علي سيكون سياسيا لا دينيا.

ومما يؤكد كون التشيع الأول ذا طبيعة سياسية وليس عقيدة دينية، هو تبني الإمام علي وأهل البيت وعموم الشيعة في القرن الهجري الأول لفكر الشورى، وعدم معرفتهم بالنصوص التي جاء بها "الإمـاميون" حـول نظرية الإمامـة، أو عـدم فهمهم لها بتلك الصورة. حيث فهم الشـيعة الأوائل التشـيع كـولاء سياسي مجـرد لأهل البيت حتى بداية القـرن الثـاني الهجـري على الأقـل، تـاريخ نشأة الفكر الإمامي. وحسبما يقول الدكتور عبد الله فياض:"فقد ظهرت بوادر التشيع السياسي أو الولاء لعلي دون الالتزام بقضية الاعتراف بإمامته الدينية، في سقيفة بني ساعدة، حين أسند حق علي بالخلافة عدد من المسلمين أمثال الزبير والعباس وغيرهما. وبلغ التشـيع السياسي أقصى مـداه حين بويع علي بالخلافة بعد مقتل عثمان".[5] ويؤكـد: أن "شـيعة علي" قبل مقتل الحسـين لم يكونوا الفرقة الدينية الـتي عـرفت فيما بعد بالشـيعة. ويستشـهد برأي المستشرق فلهاوزن الذي ذهب إلى عـدم تشـكيل الشـيعة في العراق في الأصل فرقة دينية، وأن اسم الشيعة كان "تعبـيرا عن الـرأي السياسي في هـذا الإقليم كلـه، فكـان جميع سـكان العـراق، خصوصا أهل الكوفـة، شـيعة علي، على تفـاوت فيما بينهم".[6]

---

5 - فيـاض، عبد اللـه، تـاريخ الإمامية وأسـلافهم من الشـيعة، ص 44، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1986

6 - المصدر السابق، ص 47 نقلا عن الخوارج والشيعة، ص 148

ولم تكن النصوص النبوية التي تشيد بفضل الإمام علي، والتي سوف يتخذها الإمامية فيما بعد دليلا على قِدم "التشيع الديني" تعني النص على الإمام بالخلافة أو الوصية إليه بالإمامة، ولذلك قال العباس بن عبد المطلب (الذي كان حريصا على أمر الخلافة) للإمام علي، في مرض النبي الذي توفي فيه:" ...إنك بعد ثلاث عبد العصا، وإني أرى رسول الله سيتوفى في وجعه هذا، وإني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت، فاذهب إلى رسول الله فسله فيمن يكون هذا الأمر فإن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا أمر به فأوصى بنا، فقال علي بن أبي طالب: والله لئن سألناها رسول الله فمنعناها لا يعطيناها الناس أبدا، والله لا أسألها رسول الله أبدا". [7] وبعد وفاة رسول الله (ص) حاول العباس اقتناص الفرصة فقال لابن أخيه علي بن أبي طالب:"امدد يدك أبايعك وآتيك بهذا الشيخ من قريش (يعني أبا سفيان) فيقال: عم رسول الله بايع ابن عمه، فلا يختلف عليك من قريش اثنان، والناس تبع لقريش". كما عرض أبو سفيان على الإمام علي أن يبايعه قائلا: "امدد يدك أبايعك، فلأملأنها خيلا ورجلا". ولكن الإمام رفض الاستجابة لهما.[8]

وهذا دليل على عدم شعور الإمام علي بالنص عليه من الله كخليفة مباشر للرسول الأعظم (ص) ، وإلا لكان استجاب لزعماء قريش واستعان بهم لقلب الطاولة على أبي بكر.

وأما موضوع الوصية من النبي (ص) للإمام علي، والتي يعتبرها الإمامية أيضا دليلا آخر على ارتباط الإمامة بالنبوة، فإنها لم تكن تعني الإمامة والخلافة، وإنما كانت وصية شخصية حسبما يقول الإمام جعفر الصادق:" انه لما حضرت رسول الله (ص) الوفاة ؛ دعا العباس بن عبد المطلب وأمير المؤمنين، فقال للعباس: يا عم محمد..تأخذ تراث محمد وتقضي دينه وتنجز عداته؟..فرد عليه فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي إني شيخ كبير كثير العيال قليل المال من يطيقك وأنت تباري الريح. قال فأطرق هنيهة ثم قال: يا عباس أتأخذ تراث محمد وتنجز عداته وتقضي دينه؟ .. فقال كردِّ كلامه.. قال: أما أني سأعطيها من يأخذ بحقها. ثم قال: يا علي يا أخا محمد أتنجز عدات محمد وتقضي دينه وتقبض تراثه؟.. فقال: نعم بأبي أنت وأمي ذاك عليَّ وليَ، قال: فنظرت إليه حتى نزع خاتمه من إصبعه فقال: تختم بهذا

---

[7] - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج4 ص 313 ، 194 وسيرة ابن هشام، ج 2 ص 371

[8] - الطبري، ج 2 ص 120 والقاضي الهمداني، عبد الجبار، المغني في التوحيد والإمامة، ج20 ص 238

في حياتي، قال: فنظرت إلى الخاتم حين وضعته في إصبعي فتمنيت من جميع ما ترك الخاتم. ثم صاح يا بلال علَيَّ بالمغفر والدرع والراية والقميص وذي الفقار والسحاب والبرد والأبرقة والقضيب... ثم دعا بزوجي نعال عربيين جميعا أحدهما مخصوف والآخر غير مخصوف، والقميصين: القميص الذي اسري به فيه والقميص الذي خرج فيه يوم أحد، والقلانس الثلاث: قلنسوة السفر وقلنسوة العيدين والجمع، وقلنسوة كان يلبسها ويقعد مع أصحابه. ثم قال: يا بلال علي بالبغلتين: الشهباء والدلدل، والناقتين: العضباء والقصوى، والفرسين: الجناح كانت توقف بباب المسجد لحوائج رسول الله (ص) يبعث الرجل في حاجته فيركبه فيركضه في حاجة رسول الله (ص)، وحيزوم وهو الذي كان يقول: أقدم حيزوم، والحمار عفير فقال: أقبضها في حياتي".[9] وهذه الوصية كما هو ملاحظ وصية عادية شخصية آنية، لا علاقة لها بالسياسة والإمامة الخلافة الدينية، وقد عرضها الرسول في البداية على العباس بن عبد المطلب فأشفق منها، وتحملها الإمام علي طواعية.

وحتى "حديث الغدير" الذي ورد أن النبي قال فيه:"من كنت مولاه فهذا علي مولاه". والذي يعتبره الإمامية أعظم دليل على ابتداء "التشيع الديني" في زمن الرسول، فانه لم يكن يعني النص والتعيين بالخلافة، ولم يفهم أحد ذلك المعنى منه، حتى الإمام علي نفسه، الذي بايع أبا بكر وعمر وعثمان، ولم يستلم الخلافة إلا بعد بيعة الناس له، عقب مقتل عثمان، بيعةً عامةً في المسجد. وحسبما يقول الإمام محمد الباقر فإن الإمام علي لم يدعُ إلى نفسه وأقر القوم على ما صنعوا وكتم أمره.[10]

وإذا كان الإمام علي قد أمسك يده عن بيعة أبي بكر لفترة من الوقت، فلأنه كان يشعر بأنه أولى منه بالخلافة، وقد عبر عن ذلك بقوله:"إنهم احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة".[11] ولكنه عاد فبايع أبا بكر، خصوصا بعد حدوث الردة، حيث مشى إليه عثمان بن عفان فقال له:" يا ابن عم انه لا يخرج أحد إلى قتال هؤلاء وأنت لم تبايع" فأرسل إلى أبي بكر أن يأتيه، فأتاه أبو بكر فقال له:" والله ما نفسنا عليك ما ساق الله إليك من فضل وخير،

---

[9] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما عند الأئمة من سلاح رسول الله، ح رقم 9 و ج 1 ص 236 والمفيد، الأمالي، ص220 ، المجلس رقم21، والإرشاد، ص 188

[10] - الكليني، روضة الكافي، ص 246

[11] - الإمام علي، نهج البلاغة ، ص 98

ولكنا كنا نظن أن لنا في هذا الأمر نصيبا استبد به علينا" وخاطب المسـلمين قـائلا: "إنه لم يحبسـني عن بيعة أبي بكر ألا أكـون عارفا بحقه، ولكنا نرى أن لنا في هذا الأمر نصيبا استبد به علينا" ثم بايع أبا بكر، فقال المسلمون:"أصبت وأحسنت".[12]

الشورى نظرية أهل البيت السياسية

ومما يؤكد على كـون التشـيع في العهد الأول سياسـيا وليس دينيـا، هو إيمـان أئمة أهل الـبيت بحق الأمة في السـلطة والشـورى، وبحق جميع المسـلمين في الترشـيح للخلافة والانتخاب، حيث يقول الإمـام علي بن أبي طـالب (ع): "الـواجب في حكم الله وحكم الإسلام على المسلمين بعدما يموت إمامهم أو يقتل .. أن لا يعملوا عملاً ولا يحـدثوا حـدثاً ولا يقـدموا يـداً ولا رجلاً ولا يبـدءوا بشـيء قبل أن يختـاروا لأنفسـهم إمامـاً عفيفـاً عالماً ورعاً عارفـاً بالقضـاء والسـنة".[13] ويقـول في خطبة لـه: " أيها الناس.. إن أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه وأعلمهم بأمر الله فيـه".[14] "وقد علمتم أنه لا ينبغي أن يكـون الـوالي على

---

[12] - المرتضـى، الشـافي، ج 3 ص 242 وهنـاك روايـات أخـرى يـذكرها الشـريف الرضي في "نهج البلاغـة" تـوحي بشـعور الإمـام علي بالأولوية بالخلافة، مثل قوله:" اللهم إني أستعديك على قـريش ومن أعـانهم فـانهم قد قطعوا رحمي وأكفؤوا إنائي، وأجمعوا على منـازعتي حقا كنت أولى به من غيري". (المصـدر خطبة رقم 217) وقوله لرجل من بـني أسد سـأله: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به؟ فقال:يا أخا بني أسد... أما الاستبداد بهـذا المقـام ونحن الأعلـون نسـبا والأشد برسـول الله (ص) نوطـا، فانها كـانت أثـرة شـحت عليها نفـوس قـوم وسـخت عنها نفـوس آخرين". (المصدر خطبة رقم 162) وخطبة الشقشقية التي قال فيها:"أما والله لقد تقمصها فلان وانه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى، ينحدر عني السيل ولا يـرقى إلي الطـير، فسـدلت دونها ثوبا وطـويت عنها كشحا، وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عميـاء.. فـرأيت أن الصـبر على هاتا أحجى، فصـبرت وفي العين قـذى وفي الحلق شـجا، أرى تـراثي نهبـا.." (خطبة رقم 3) وقولـه:"إن الأئمة من قـريش غرسوا في هذا البطن من هاشم ؛ لا تصلح على سواهم، ولا تصـلح الـولاة من غـيرهم". (خطبة رقم 144) وبغض النظر عن المناقشة في سـند نهج البلاغة، أو سند هـذه الخطب، فانها تشـير إلى شـعور الإمـام علي بأولويته بالخلافة وأحقيته بهـا، ولا تشـير إلى مسـألة النص على الإمـام علي من الرسول، أو تعيينه خليفة من بعده.

[13] - كتاب سليم بن قيس الهلالي، ص 182 والمجلسي: بحار الأنوار ج 8 ص 555 من الطبع القديم

[14] - الإمام علي، نهج البلاغة ، خطبة رقم 173

الفـروج والـدماء والمغـانم والأحكـام وإمامة المسـلمين البخيـل، فتكـون في أمـوالهم نهمتـه، ولا الجاهـل، فيضـلهم بجهلـه، ولا الجافي، فيقطعهم بجفائـه، ولا الحـائف للـدول، فيتخذ قومـاً دون قوم، ولا المرتشـي، فيـذهب بـالحقوق ويقف بها دون المقـاطع ، ولا المعطل للسنة، فيهلك الأمة".[15]

وعنـدما أقبل النـاس على الإمـام علي، بعد مقتل عثمـان، يعرضـون عليه البيعـة، قـال لهم: "لا تعجلـوا فـإن عمر كـان رجلا مباركـا، وقد أوصى بها شـورى، فـأمهلوا يجتمع النـاس ويتشـاورون".[16] وأمسك يـده قـائلا: "ليس ذلك إليكم وإنما هو لأهل الشورى وأهل بدر". وفي رواية أخرى قـال:" إنما الشـورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعـوا على رجل وسـموه إماما كـان ذلك لله رضى".[17] وقال:" دعوني والتمسـوا غـيري ... واعلمـوا أني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم أصـغِ إلى قـول القائل وعتب العـاتب، وإن تركتمـوني فأنا كأحـدكم، ولعلي أسـمعكم وأطـوعكم لمن وليتمـوه أمـركم، وأنا لكم وزيـراً خـير لكم مـني أميراً".[18]

ويقول الطبري إن الإمام علي مشى إلى طلحة والزبير فعرض عليهما البيعة، وقال: من شاء منكما بايعته. فقـالا: لا.. النـاس بك أرضى.[19]

وعندما أصر الثوار على اختيارهم له، قال الإمام علي: " فان أبيتم ..فـان بيعـتي لا تكـون سـراً، ولا تكـون إلا عن رضا المسـلمين..ولكن اخـرج إلى المسـجد فمن شـاء أن يبـايعني فليبـايعني. و إن كرهـني رجل واحد من النـاس لم ادخل في هـذا الأمر".[20]

وعندما أصبح الإمام علي خليفة، لم يعامل المسلمين كإمام معصوم مفروض عليهم من اللـه، كما يقـول الإماميـة، ولـذلك لم يصادر حق الأمة في نقده ومراقبته ومحاسـبته، بل كـان يحضـهم على ذلـك، ويـذكرهم بضـرورة قيـامهم بـدورهم، والنظر إليه باعتـدال، فقال: " ... لا تكلمـوني بما تُكلم به الجبـابرة، ولا تتحفظـوا مـني بما يُتحفظ به عند أهل البـادرة، ولا تخـالطوني بالمصانعة، ولا تظنوا بي اسـتثقالاً في حـقٍ قيل لي، ولا التمـاس

---

15 - الإمام علي، نهج البلاغة، خطبة رقم 131
16 - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج 3 ص 15
17 - الإمام علي، نهج البلاغة، من كتاب له ، رقم 6
18 - الإمام علي، نهج البلاغة، خطبة رقم 92
19 - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج 3 ص 13
20 - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج3 ص 450

إعظام لنفسي لما لا يصلح لي، فانه من استثقل الحق أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه كان العمل بهما أثقل عليه .. فلا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل، فإني لست في نفسي بفوق أن أخطئ ولا آمن ذلك من فعلي ، إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني . فإنما أنا وأنتم عبيد مملوكون لرب لا رب غيره يملك منا ما لا نملك من أنفسنا**...".**[21]

وذهب الإمام إلى مطالبة الأمة بممارسة حق المعارضة المشروعة في وجهه فيما لو تجاوز القوانين الإسلامية أو اعتدى على حق مواطن فقتله أو اعتقله دون ذنب، فقال في خطبة له تحدث فيها عن الخارجي "الخريت بن ناجية" ومحاولاته السابقة لدفع الإمام لقتل واعتقال عدد من زعماء المعارضة، وقول الإمام له ولعموم الناس أن من واجبهم الوقوف أمامه ومنعه إذا أراد هو أن يفعل ذلك، والقول له :"اتق الله!".[22]

ولأن الإمام علي كان يؤمن بحق الأمة في اختيار الإمام، ولا يؤمن بأن الإمامة امتداد للنبوة، فقد ترك الأمرَ من بعده شورى لعامة المسلمين ولم ينصّ على أحد من ولده. وعندما طلب منه المسلمون أن يستخلف ابنه الحسن، قال:" لا ، إنا دخلنا على رسول الله فقلنا: استخلف، فقال : لا .. أخاف ان تفرقوا عنه كما تفرقت بنو إسرائيل عن هارون، ولكن إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يختر لكم ".[23] وسألوا علياً ان يشير عليهم بأحد، فرفض، فقالوا له إن فقدناك فلا نفقد أن نبايع الحسن، فقال:" لا آمركم ولا أنهاكم، أنتم أبصر".[24] وفي رواية أخرى: إنه أوصى بنيه وأهله وخاصة شيعته قائلاً:" دعوا الناس وما رضوا لأنفسهم

---

[21] - الإمام علي، نهج البلاغة، خطبة رقم 216

[22] - الثقفي، كتاب الغارات، ص 372، موقع: http://www.yasoob.com/books/htm1/m013/11/no1119.html

[23] - وفي رواية أخرى : "لا ولكن أدعكم كما ترككم رسول الله (ص) - يعني بغير استخلاف - فإن يرد الله بكم خيرا يجمعكم على خيركم كما جمعكم على خيركم بعد رسول الله (ص)". ابن كثير، البداية والنهاية ج 8 ص 15

[24] - القاضي الهمداني، عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة ج1 ص 212 والشريف المرتضى، الشافي ج3 ص 295 وأكد ذلك الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب (مقتل الإمام أمير المؤمنين) والسيوطي ، جلال الدين ، تاريخ الخلفاء، ص 9

وألزموا أنفسكم السكوت".[25] وقد قام الإمام أمير المؤمنين فعلا بالوصية إلى الإمام الحسن وسائر أبنائه، ولكنه لم يتحدث في الوصية عن الإمامة أو الخلافة، حيث كانت وصيته شخصية وروحية وأخلاقية.[26]

وذكر المؤرخون: أنه لما توفي الإمام علي خرج عبد الله بن عباس إلى الناس فقال: إن أمير المؤمنين توفي، وقد ترك خلفا، فان أحببتم خرج إليكم، وان كرهتم فلا أحد على أحد. فبكى الناس وقالوا: بل يخرج إلينا.[27]

ومما يؤكد طبيعة التشيع "السياسية" في العهد الأول، هو إيمان الإمام الحسن بن علي بالشورى وموقفه من الخلافة، حيث لم يتشبث بها كما لو أنها كانت جزءا متمما للنبوة، بل على العكس من ذلك قام بالتنازل عن الخلافة إلى خصم أبيه اللدود معاوية بن أبي سفيان، واشترط عليه العودة بعد وفاته إلى نظام الشورى، حيث قال في شروط الصلح: "...على أنه ليس لمعاوية أن يعهد لأحد من بعده، وأن يكون الأمر شورى بين المسلمين".[28] ولو كانت الإمامة من الله وجزءا من الدين لم يكن يجوز للإمام الحسن التنازل عنها إلى معاوية تحت أي ظرف من الظروف، ولم يكن يجوز له بعد ذلك أن يبايع معاوية أو أن يدعو أصحابه وشيعته لبيعته، ولم يكن يجوز له أن يهمل الإمام الحسين وإنما كان يجب أن يشير إليه من بعده .. ولكن الإمام الحسن لم يفعل أي شيء من ذلك وسلك مسلكا يوحي بالتزامه بحق المسلمين في انتخاب خليفتهم عبر الشورى.

---

[25] - ذكر الشيخ حسن بن سليمان في (مختصر بصائر الدرجات) عن سليم بن قيس الهلالي ، قال : سمعت عليا يقول وهو بين ابنيه وبين عبد الله بن جعفر وخاصة شيعته ...

[26] - المفيد، الإرشاد، ص 187 و الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا، مقتل الإمام أمير المؤمنين، ص 41 – 42 ، تحقيق مصطفى القزويني، مركز الدراسات والبحوث العلمية، بيروت

[27] - المسعودي، مروج الذهب، ج 2 ، ص 44 وابن كثير ، البداية والنهاية، ج 8 ، ص 13، وابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج 4 ، ص 8 و ج 16 ، ص 22

[28] - المجلسي، بحار الأنوار، ج 44، ص 65 ، باب : كيفية المصالحة، من تاريخ الإمام الحسن المجتبى.

ومما يــبين طبيعة التشــيع "السياســية" في العهد الأول، هو موقف الإمام الحسين بن علي من مبدأ الشورى المنــاقض تماما لمبــدأ النص والوصــية. وكــذلك موقف شــيعة الكوفة الــذين لم يتحدثوا عن أي مفهوم بالحق "الإلهي" للحسـين بالإمامـة، عنـدما طلبـوا منه أن يُقـدم إليهم، فقد فعلـوا ذلك إيمانا منهم بأفضـلية الحسين على يزيد بن معاوية الذي فرضه أبـوه بـالقوة والإكـراه، حيث اجتمع زعماؤهم وكتبوا: "للحسين بن علي، من سـليمان بن صرد، والمسيب بن نجيبـة، ورفاعة بن شـداد البجلي، وحـبيب بن مظـاهر وشـيعته المؤمـنين والمسـلمين من أهل الكوفـة: سـلام عليك فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو.. أما بعـد: فالحمد لله الــذي قصم عــدوك الجبــار العنيد الــذي انــتزى على هــذه الأمة فابتزها أمرها وغصبها فيئها وتأمر عليها بغـير رضى منهـا، ثم قتل خيارها واســتبقى أشــرارها، وجعل مــال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها، فبعـدا له كما بعـدت ثمـود. انه ليس علينا إمـام، فاقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق. والنعمــان بن بشـير في قصر الإمـارة لسـنا نجتمع معه في جمعة ولا نخـرج معه إلى عيـد، ولو بلغنا أنك قد أقبلت الينا أخرجنــاه حــتى نلحقه بالشــام ان شــاء الله". فكتب إليهم:" من الحسين بن علي إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين.. أما بعد فإن هانيا وسعيدا قـدما علي بكتبكم، وكـان آخر من قـدم علي من رسـلكم وقد فهمت كل الـذي اقتصصـتم وذكــرتم ومقالة جلكم:"أنه ليس علينا إمــام فاقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق والهدى" وإني باعث إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل، فان كتب إلي أنه قد اجتمع رأي ملأكم وذوي الحجى والفضل منكم على مثل ما قـــدمت به رسلكم وقرأت في كتبكم؛ فإني أقدم إليكم وشيكا إن شاء اللــه. فلعمري ما الإمام إلا الحاكم بالكتـاب، والقـائم بالقسـط، الـداين بدين الحق، الحابس نفسه على ذات الله، والسلام". [29]

وفي هاتين الرسالتين نقرأ "التشيع السياسي" بوضوح، حيث تحدثت رسـالة شـيعة الكوفة عن الـنزو على الأمة وابـتزاز أمرها والتأمّر عليها بغير رضا منها من قبل معاوية، مما شكل دافعا لهم للثورة على ابنه يزيـد، وممارسة حقهم بانتخـاب الإمـام الحسـين ودعوته للبيعـة، كما تحـدثت رسـالة الحسـين عن عملية الـدعوة والانتخاب، ومواصفات الإمام الشرعية المطلوبـة، والـتي لم يكن من بينها أية إشارة إلى "الإمـام المعصـوم المعين من قبل اللـه"

[29] - المفيد، الإرشاد، ص 204

أو إلى أي حق شخصي بالخلافة لأنه "ابن الإمـــــــام علي أو أنه معين من قبل الله".

ومن هنا لم يفكر الإمـام الحسـين بنقل "الإمامـة" إلى أحد من ولده، ولم يوصِ إلى ابنه الوحيد الذي ظل على قيد الحيـاة (علي زين العابـــدين)، وإنما أوصى إلى أخته زينب أو ابنته فاطمـــــة، بوصـيته عادية جـدا تتعلق بـأموره الخاصة ورعاية الأطفـال، ولا تتحدث أبدا عن موضوع الإمامة والخلافة.[30]

و مما يؤكد عدم وجود "التشيع الديني" في ذلك الوقت، عدم إشارة الإمـام علي بن الحسـين إليـه، في خطبته الشـهيرة الـتي ألقاها بشجاعة أمام يزيد بن معاوية في المسجد الأمـوي، عنـدما أخذ أسـيراً إلى الشـام، وقد قـال في خطبته تلـك:"أيها النـاس أُعطينا سـتاً وفُضـلنا بسـبع: أعطينا العلم والحلم والسـماحة والفصاحة والشجاعة والمحبة في قلوب المؤمنين، وفُضلنا بسبع: بأن منا النبي والصديق والطيـار وأسد الله وأسد رسـوله وسـبطا هذه الأمة". ولم يشر الإمام زين العابدين في خطبته الجريئة تلك إلى موضـوع الوصـية أو الإمامة الإلهيـة، أو إلى وراثة الإمامة بالنص، ولم يقل للناس أنه الإمام الشرعي المفترض الطاعة بعد أبيه الحسين، وإنما اكتفى بالحديث عن فضل أهل البيت وفضائل الإمام علي وإنجازاته التاريخية.

كما أن سيرة الإمام علي بن الحسين تؤكد بعده عن مفهـوم "التشيع الديني" حيث بايع يزيدَ بن معاوية، بعد "واقعة الحرة".[31] ورفض قيـادة الشـيعة الـذين كـانوا يطـالبون بالثـأر لمقتل أبيه الحسين، ويعدون للثورة. واعتزل السياسة، ولم يدّعِ الإمامة، ولم

---

[30] - راجع : الصـدوق، علي بن بابويـه، الإمامة والتبصـرة من الحـيرة، ص 198، والصفار، بصائر الدرجات، ص 148 و 198

[31] - الكليني، الكافي، الروضة، ص 196

وكانت "واقعة الحرة" قد حدثت في المدينة المنورة سـنة 63 للهجـرة بعد قيام أهلها بالثورة على يزيد، بقيادة عبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصـاري، فأرسل يزيد إليهم مسـلم بن عقبة فاشـتبك مع أهلها في حادثة شـهيرة تسمى "واقعة الحرة" ودخل بعدها المدينة وأعمل في أهلها السـيف، ودعا النـــاسَ للبيعة على أنهم خَـــوَلٌ ليزيد بن معاوية ، يحكم في دمـــائهم و أموالهم و أهليهم ما شاء، فمن امتنع من ذلك قتله.

راجـع: ابن كثـير، البداية والنهايـة، ج 8 ص 243 والطـبري، تـاريخ الرسل والملوك، المجلد الثالث، ص 353 وص 359 والدينوري، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة ج1 ص 184 و ص 188 و السـيوطي ، جلال الــدين ، تــاريخ الخلفاء، ص 194 – 195

يتصدَّ لها. وكما يقول الشيخ الصدوق (شـيخ الإمامية في أواسط القرن الرابع الهجري): " فانه انقبض عن الناس فلم يلقَ أحدا ولا كان يلقاه إلا خواص أصـحابه، وكـان في نهاية العبـادة ولم يخـرج عنه من العلم إلا يسيرا".[32]

الشيعة والشورى

ومما يكمل صـورة "التشـيع السياسـي" في القـرن الهجـري الأول، هو عدم اتباع الشيعة في الكوفة بعد مقتل الحسـين، لأحد من أهل الـــبيت، وقيـــامهم بانتخـــاب زعيم لهم من بينهم على أساس مبدأ الشورى، وهو سليمان بن صرد الخزاعي. الـذي قـاد حركة "التوابين" الـتي انطلقت للثـأر من قتلة الحسـين سـنة 65 للهجرة. [33]

ومما يؤكد طبيعة التشـيع "السياسـية" في تلك الأيـام، قيـام المختـار بن عبيد الثقفي (الــذي ظهر في الكوفة ســنة 67 هـــ) بـإعلان الـولاء لأهل الـبيت بصـورة عامـة، دون تحديد في سـلالة معينة، أو شخص معين، أو الـتزام بنظرية خاصة "دينيـة" كنظرية "الإمامة الإلهية" التي لم يكن لها وجـود في ذلك الـزمن، ولـذلك عرض المختـار قيـادة الشـيعة في البداية على علي بن الحسـين وكتب إليه يريده على أن يبـايع له ويقـول بإمامته ويظهر دعوتـه، فـأبى أن يجيبه عن كتابـه، فلما يئس المختـار منه كتب إلى عمه محمد بن الحنفية يريده على مثل ذلـك، وأخذ يـدعو إلى إمامتـه.

---

32 - الصـدوق، إكمـال الـدين، ص 91 ويضـيف الصـدوق: بـأن علي بن الحسين كان يوصي الشيعة بالخضوع للحـاكم والطاعة له وعـدم التعـرض لسـخطه، ويتهم الثـائرين بالمسـئولية عن الظلم الـذي يلحق بهم من قبل السلطان. الصدوق، الأمالي، المجلس 59 ص 396

33 - وذلك عندما اجتمعـوا إلى خمسة من رؤوسـهم، وقـام المسـيب بن نجيبة خطيبا فقـــال:"أيها القـــوم ولُّوا عليكم رجلا منكم فإنه لا بد لكم من أمير تفزعون إليـه، وراية تحفـون بهـا" وقـام رفاعة بن شـداد فعقب على كلامه قـائلا:" قلتَ: ولُّوا أمـركم رجلا منكم تفزعـون إليه وتحفـون برايتـه، وذلك رأي قد رأينا مثل الـذي رأيت، فـإن تكن أنت ذلك الرجل تكن عنـدنا مرضيا وفينا منتصحا وفي جماعتنا محبا، وإن رأيت ورأى أصحابنا ذلك ولينا هذا الأمر شيخ الشيعة صاحب رسـول الله (ص) وذا السـابقة سـليمان بن صــرد، المحمــود في بأسه والموثــوق بحزمــه". ثم تكلم عبد الله بن وال، وعبد الله بن ســعد فحمـــدا ربهما وأثنيا عليـــه.. فقـــال المســـيب بن نجيبة:"أصـبتم ووفقتم وأنا أرى مثل الـذي رأيتم فولُّوا أمـركم سـليمان بن صرد". تاريخ الطبري، ج 7 ص 48

وقد اسـتلم ابن الحنفية قيـادة الشـيعة فعلاً ، ورعى قيـام دولة المختار التي دامت بضعة شهور.

ومما يؤكد الطبيعة "السياسـية" للتشـيع العـام في القـرن الأول الهجـري، عـدم معرفة جمـاهير الشـيعة لنظرية "الإمامة الإلهيـة" التي قام على ضوئها "التشيع الـديني" ما عـدا الفرقة "السـبئية" أتباع "عبد الله بن سبأ" الـذي كـان أول من شـهر القـول بفـرض إمامة علي وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه، كما يقول المتكلم الشيعي حسن بن موسى النوبختي.[34]

وقد اسـتمر التشـيع "السياسـي" الى القـرن الثـاني الهجـري، وتبنـاه معظم أهل الـبيت وعامة الشـيعة، ما عـدا بعض أعضـاء الحركة "الكيسانية" الذين تأثروا بـالفكر السـبئي ثم انتقلـوا إلى شـيعة الإمـامين محمد بن علي البـاقر وجعفر الصـادق، ونسـبوا فكـــرة "الإمامة الإلهيـــة" إليهما ســـراً، وعرفـــوا بـــ"الرافضـــة" واشـتهروا فيما بعد باسم "الإماميـة". وسـوف نتحـدث عنهم في الفصل القـادم بالتفصـيل. ولكن ما يهمنا القـول هنا هو أن عامة الشيعة في زمان الباقر والصادق ظلوا متمسكين بالفكر الشيعي الأول "السياســـي". وبـــرز الإمـــام زيد بن علي كـــزعيم يـــؤمن بالشورى كنظام للحكم في الإسـلام، حيث لم يكن يعـرف نظرية "الإمامة الإلهيـة" (القائمة على العصـمة والنص والوراثة في أهل الـبيت) بل كـان يعتقد بـأن الإمامة تسـتحق بالمبـادرة والكفـاءة، وكـان يقـول:" ليس الإمـام منا من جلس في بيته وأرخى سـتره وثبط عن الجهــــاد ، ولكن الإمـــــام منا من منع حوزته وجاهد في سـبيل الله حق جهـاده ودفع عن رعيته وذب عن حريمه".[35] وقد استغرب الإمام زيد من كلام أحد الشـيعة "الرافضـة" في الكوفة وهو (محمد بن علي بن النُعمـــــان ، الملقب بمؤمن الطـــــاق أو شيطان الطاق) الذي رفض الالتحـاق بثورته وتعلل بأنه (أي زيـد) ليس حجة من اللـه، فقـال له زيـد:" يا أبا جعفر كنت أجلس مع أبي على الخـوان فيلقمـني البضـعة السـمينة ويـبرد لي اللقمة

---

[34] - النوبختي، فرق الشيعة، ص 22

[35] - ولذلك فقد كان ينظر بإيجابية إلى تجربة الخلفاء الراشدين ويحترم أبا بكر وعمر. وعندما سأله بعض الشيعة عن موقفه من الشيخين قـال: "إني لا أقول فيهما إلا خيرا، وما سمعت أبي يقول فيهما إلا خيرا، وإنما خـرجت على بني أمية الذين قاتلوا جدي الحسين وأغاروا على المدينة يـوم الحـرة ثم رموا بيت الله بحجر المنجنيق والنار". البغدادي، الفرق، ص 25

الحـارة حـتى تـبرد شـفقة علي ولم يشـفق علي من حر النـار إذ أخبرك بالدين ولم يخبرني به؟". [36]

وتبعا لمفهوم "التشيع السياسي" القائم على فكـرة "الأولوية" قالت أحزاب شيعية عديدة في القرن الثـاني الهجـري:" إن عليـاً كـان أولى النـاس بعد رسـول الله لفضـله وسـابقته وعلمـه، وهو أفضل الناس كلهم بعده، وأشجعهم وأورعهم وأزهدهم". وأجـازوا مع ذلك إمامة أبى بكر وعمر وعـــدوهما أهلا لـــذلك المكـــان والمقام، وذكروا: "إن عليا سلّم لهما الأمر ورضي بـذلك وبايعهما طائعا غــير مكــره وتــرك حقه لهمــا، فنحن راضــون كما رضي المسلمون له، ولمن بايع ، لا يحل لنا غير ذلك، ولا يسع منا أحــدا إلا ذلك ، وإن ولاية أبى بكر صـارت رشـدا وهـدى لتسـليم علي ورضـــاه". وان منهم من ذهب الى "أن عليا أفضل النـــاس بعد رسول الله (ص)، ولكن كان جـائزا للنـاس أن يولـوا عليهم غـيره، إذا كـان الـوالي الـذي يولونه مجزئـا، أحب علي ذلك أم كرهــه، فولاية الـوالي الـذي ولـوا على أنفسـهم برضا منهم رشد وهـدى وطاعة للــه، وطاعته واجبة من الله عز وجــل".[37] وهو ما يــدل على عدم إيمانهم بنظرية "النص والتعيين" أو التشيع "الديني".

ويتحدث المؤرخون عن ثلاث فرق رئيسية من الزيدية الذين كانوا يشـكلون امتـدادا للتشـيع العلـوي "السياسـي"، كلها تتبـنى نظرية الشـورى بشـكل أو بـآخر، وعلى رأسـها الفرقة "البتريـة" و"الجارودية" و"السليمانية".

أما "البترية" فهم أصحاب كثـير النـوا، والحسن بن صـالح بن حي (تــوفي ســنة 168هــ) وســالم بن أبي حفصة (تــوفي ســنة 137هـ) والحكم بن عتيبة (توفي سنة 114 أو 115 هـ)، وسلمة بن كهيل (توفي سنة121هـ) وأبي المقـدام ثـابت الحـداد، الـذين كـــانوا يؤمنـــون بولاية علي ويجمعـــون بينها وبين ولاية أبي بكر وعمر، ولكنهم كانوا يفضلون عليا ويثبتون إمامة أبي بكر، ويــرون الخــروج مع كل ولد علي يــذهبون في ذلك إلى الأمر بـالمعروف والنهي عن المنكـر، ويثبتـون لمن خـرج من ولد علي الإمامة عند خروجه، ولا يقصـدون في الإمامة قصد رجل بعينـه، حـتى يخـرج، وعندهم كل ولد علي على السواء من أي بطن كان.[38]

---

36 - الكليني، الكافي، ج1 ص 174

37 - النوبختي، فرق الشيعة، ص 22، والأشعري القمي، المقالات والفرق، ص 18

38 - النوبختي، فرق الشيعة، ص 57

وأما "السليمانية" فهم أتباع (سليمان بن جرير الرقي) الذي قال: إن الإمامة شورى وانها تنعقد بعقد رجلين من خيار الأمة، وأجاز إمامة المفضول وأثبت إمامة أبي بكر وعمر، وزعم أن الأمة تركت الأصلح في البيعة لهما لأن عليا كان أولى بالإمامة منهما، إلا أن الخطأ في بيعتهما لم يوجب كفرا ولا فسقا.

وأما "الجارودية" فهم أتباع (أبي الجارود زياد بن أبي زياد الهمذاني الكوفي) الذين كانوا ينفون وجود نص صريح على الإمام علي بالإمامة، ويقولون: "انه كان بالوصف دون التسمية". وقالوا نتيجة لذلك : إن إمامة علي بن أبي طالب ثابتة في الوقت الذي دعا الناس واظهر أمره ، ثم كان الحسين بعده إماما عند خروجه ، ثم زيد بن علي ..ثم من دعا إلى طاعة الله من آل محمد فهو إمام ، وقد رفض الجارودية وعامة الزيدية حصر الإمامة في أولاد الحسين، واعتبروا من يقول ذلك خارجا عن الدين ، وقالوا انها (شورى) في أولادهما جميعا، وان الإمامة صارت بعد الحسين باختيار أهل البيت وإجماعهم على رجل منهم ورضاهم به . وقد انقسموا فيما بعد إلى تيارات عديدة، وربما قال بعضهم بالنص على الأئمة الثلاثة الأوائل (علي والحسن والحسين) تأثرا بالإمامية، ولكنهم كانوا يبنون نظريتهم في الإمامة بصورة عامة، على أساس الشورى والتصدي والخروج (الثورة) وليس على أساس النص ، وخاصة بعد الحسن والحسين.[39]

والى جانب هؤلاء كان فريق آخر من الزيدية يُدعى "الحسينية" وهؤلاء كانوا يقولون أيضا: من دعا إلى الله عز وجل من آل محمد فهو مفترض الطاعة، وكان علي إماما في وقت ما دعا الناس وأظهر أمره، ثم كان بعده الحسين إماما عند خروجه، ثم زيد بن علي، ثم يحيى بن زيد، ثم عيسى بن زيد، ثم محمد بن عبد الله بن الحسن، ثم من دعا إلى طاعة الله من آل محمد فهو إمام.[40]

وحكى أبو الحسن الأشعري في مقالته، عن قوم من الزيدية يقال لهم "اليعقوبية" أتباع رجل اسمه يعقوب، أنهم كانوا يتولون أبا بكر وعمر ولكنهم لا يتبرأون ممن تبرأ منهما.[41]

---

[39] - النوبختي، فرق الشيعة، ص 58

[40] - النوبختي، فرق الشيعة، ص 58

[41] - البغدادي، الفرق، ص 25

وفيما عدا "الجارودية" كان موقف الشيعة الزيدية بصورة عامة معتدلا ومعقولاً وأقرب الى التشيع العلوي "السياسي"، أي أنهم لم يكونوا يؤمنون بنظرية النص والوراثة وحصر العلم الديني في أهل البيت، فقد كانوا يقولون:" بأن العلم مبثوث مشترك فيهم وفي عوام الناس هم والعوام من الناس فيه سواء، فمن أخذ منهم علما لدين أو دنيا مما يحتاج إليه أو أخذه من غيرهم من العوام فموسع له ذلك، فان لم يوجد عندهم ولا عند غيرهم مما يحتاجون إليه من علم دينهم فجائز للناس الاجتهاد والاختيار والقول بآرائهم".[42]

وقد التف عامة الشيعة حول الإمام زيد بن علي، والتفوا من بعد زيد حول ابنه يحيى الذي قام بثورة أخرى ضد النظام الأموي سنة 125 .. وبعد فشل هاتين الثورتين بثلاثة أعوام تفجرت ثورة شيعية أخرى واسعة بقيادة أحد الطالبيين: "عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيار". وهي الثورة التي شاركت فيها جماهير الشيعة في مختلف مدن العراق وامتدت إلى الماهين وهمذان وقومس واصبهان والري وفارس ـ وكان شعار الثورة : "إلى الرضا من آل محمد" دون تحديد في شخص معين، وهي دعوة عموم الشيعة في ذلك الحين، وقد اتخذ عبدالله بن معاوية من اصبهان مركزا لدعوته وحركته ومناطق نفوذه، وبعث إلى الهاشميين علويين وعباسيين يدعوهم إليه ليساهموا معه في إدارة البلاد التي سيطر عليها فقدم عليه منهم عدد كبير، وذلك قبل أن تنهار دولته أمام جيش أبي مسلم الخراساني.

والتف عامة الشيعة العلوية بعد ذلك حول محمد بن عبد الله بن الحسن ذي النفس الزكية. ولأن التشيع حينئذ كان "سياسيا" فقد انضم قادة المعتزلة كعمرو بن عبيد وواصل بن عطاء إلى حركة الإمام ذي النفس الزكية، إمام الزيدية في وقته... وبناء على ذلك ذهب عمرو بن عبيد إلى جعفر الصادق وطلب منه الانضمام لبيعة النفس الزكية، وقال له:" قتل أهل الشام خليفتهم، وضرب الله بعضهم ببعض، وتشتت أمرهم، فنظرنا فوجدنا رجلا له دين وعقل ومروّة ومعدن للخلافة، وهو محمد بن عبد الله بن الحسن، فأردنا أن نجتمع معه فنبايعه، ثم نظهر أمرنا معه، وندعو الناس إليه، فمن بايعه كنا معه وكان منا، ومن اعتزلنا كففنا عنه، ومن نصب لنا جاهدناه، ونصبنا له على بغيه، ونرده إلى الحق وأهله، وقد أحببنا أن نعرض ذلك عليك، فإنه لا غنى بنا عن مثلك

---

[42] - النوبختي، فرق الشيعة، ص 56

لفضلك، ولكثرة شيعتك" فلما فرغ، قال أبو عبد اللـه: أخـبرني يا عمرو لو أن الأمة قلدتك أمرها وولتك بغير قتال ولا مؤونــة وقيل لـك: ولّها من شئت، من كنت توليهـا؟ قـال: كنت أجعلها شـورى بين المسلمين قـال: بين المسـلمين كلهم؟ قـال: نعم، قـال: بين فقهائهم وخيارهم؟ قال: نعم، قال: قـريش وغـيرهم؟ قـال: نعم، قال: والعرب والعجم؟ قال: نعم.[43]

لقد كـان الفكر الشـيعي العـام يقـوم على أسـاس الـولاء السياسي لأئمة أهل الـبيت، وكــان هــؤلاء يعتقــدون بحق الأمة الإسلامية في اختيار أئمتها، وبضرورة ممارسة الشورى، ويـدينون الاسـتيلاء على السـلطة بـالقوة. ولم يكونــوا يعرفــون "التشــيع الديني". ولعلنا نجد في الحديث الذي يرويه الشـيخ الصـدوق عن الإمــام الرضا عن أبيه الكــاظم عن أبيه جعفر الصــادق عن أبيه محمد الباقر عن علي بن الحسين عن الحســين بن علي عن أبيه عن جده رسول الله (ص) والذي يقول فيه:" من جـاءكم يريد أن يفــرق الجماعة ويغصب الأمة أمرها ويتــولى من غــير مشــورة فـاقتلوه ، فـان الله عز وجل قد أذن ذلـك". [44] لعلنا نجد في هـذا الحديث أفضل تعبير عن إيمـان أهل الـبيت بالشـورى والـتزامهم بها. ولئن كـانوا يـدعون النـاس إلى اتبـاعهم والانقيـاد إليهم فإنما كانوا يفعلون ذلك إيمانا بأفضليتهم وأولــويتهم بالخلافة في مقابل الحكــام الــذين كـانوا لا يتبعــون الكتــاب ولا يقيمــون القسط ولا يــدينون بــالحق. وهو ما يثبت الطبيعة "السياســية" لا "الدينيــة" للتشيع.

وسوف نبحث في الفصول القادمة نشوء القــول بنظرية "الإمامة الإلهيــة" أو ما يعــرف بالتشــيع "الــديني"، وكيفية تطــوره ومآله والظروف التي أحاطت به وأهم رجاله.

الفصل الثاني: "التشيع الديني" أو نظرية الإمامة الإلهية لأهل البيت

---

43 - الكليني، الكافي، الفروع، ج5 بـاب دخـول عمـرو بن عبيد والمعتزلة على أبي عبد الله، ح رقم 8247 – 1

44 - الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج 2 ، ص 62

وفي مقابل "التشـيع السياسـي" الـذي كـان يعـني الـولاء والحب والتبعية لأئمة أهل الـــبيت، يقـــول "الإماميـــة" أن نوعا آخر من التشيع هو "التشيع الـديني" كـان موجـودا منذ زمـان رسـول الله (ص) وأنه نشأ على يديه ، وأن أهل البيت هم "أولي الأمر" الذين قرن الله تعالى طاعتهم بطاعة الرسول، في قوله تعـالى:"يا أيها الـذين آمنـوا أطيعـوا الله وأطيعـوا الرسـول وأولي الأمر منكم". (النساء 59) وأن النبي الأكرم قد نص على الإمام علي في غـدير خم بالإمامة والولاية، وبالتـالي فـإن الإمامة جـزء من الـدين، وإن التشيع الأول كان دينيا وسياسيا.

وكما يقـول المتكلم الشـيعي الإمـامي الحسن بن موسى النوبخـتي (الـذي تـوفي في بداية القـرن الرابع الهجـري) فـإن الشيعة افترقت بعد وفاة النبي (ص) ثلاث فـرق، وان فرقة منهم قالت:" أن عليا إمام مفـترض الطاعة بعد رسـول الله صـلى الله عليه وآله، واجب على النـاس القبـول منه والأخذ ولا يجـوز غـيره الذي وضع عنـده النـبي (ص) من العلم ما يحتـاج إليه النـاس من الـدين والحلال والحـرام وجميع منـافع دينهم ودنيـاهم ومضـارهم وجميع العلــوم جليلها ودقيقها واســتودعه ذلك كله واســتحفظه إياه، ولـذا اسـتحق الإمامة ومقـام النـبي (ص) لعصـمته وطهـارة مولده وسـابقته وعلمه وسـخائه وزهـده وعدالته في رعيتـه، وأن النبي (ص) نص عليه وأشار إليه باسمه ونسبه وعينـه، وقلد الأمة إمامته ونصــبه لهم علما وعقد له عليهم إمــرة المؤمــنين وجعله أولى النـاس منهم بأنفسـهم في مـواطن كثـيرة مثل غـدير خم، وأعلمهم أن منزلته منزلة هـارون من موسى (ص) إلا أنه لا نــبي بعده، فهذا دليل إمامته، ولا معـنى إلا النبـوة والإمامـة، وقد جعله نظــير نفسه في أنه أولى بهم منهم بأنفســهم في حياته ولقوله (ص) لبـني وليعـة:"لتنتهنَّ أو لأبعثنَّ إليكم رجلا كنفسـي" فمقـام النــبي (ص) لا يصـلح من بعـده إلا لمن هو كنفســه، والإمامة من أجــلِّ الأمــور بعد النبــوة، وقــالوا أنه لا بد من ذلك من أن يقــوم مقامه بعــــده رجل من ولــــده من ولد فاطمة بنت محمد عليهم السلام معصوم من الذنوب طاهر من العيوب تقي مــأمون رضي مــبرأ من الآفــات والعاهــات في كل من الــدين والنسب والمولد يـؤمن منه العمد والخطأ والزلل منصـوص عليه من الإمـام الـذي قبله مشار إليه بعينه واسمه المـوالي له نـاج والمعـادي له كـافر هالك والمتخذ دونه وليجة ضــال مشــرك، وأن الإمامة جارية في عقبه ما اتصـلت أمـور الله وأمـره ونهيـه، فلم تـزل هـذه الفرقة ثابتة على إمامته على ما ذكرناه حتى قتل علي عليه الســلام في

شهر رمضان..".[45] وان الفرقتين الأخـريين قالتـا: "بـأن عليا كـان أولى الناس بعد رسول الله (ص) بالناس لفضله وسابقته وقرابته وعلمه، وهو أفضل الناس كلهم بعده...".[46]

وقال النوبخـتي إن "شـيعة علي" سـموا بهـذا الاسم في زمن النبي (ص) وبعده، وانهم كانوا معروفين بانقطـاعهم إليه والقـول بإمامته، وذكر منهم المقداد بن الأسود الكندي وسلمان الفارسي وأبو جنـدب بن جنـادة (أبو ذر) وعمـار بن ياسـر، وغـيرهم ممن وافت مودته مـــودة علي (ع) وهم أول من تشـــيع من هـــذه الأمة".[47]

واختلف "الإمامية" في عدد "الشيعة الذين كانوا يعرفـون حق علي" فرووا عن أبي جعفر الباقر أنه قال:"ارتد الناس بعد النبي (ص) إلا ثلاثة نفر: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسـلمان الفارسي، ثم أن الناس عرفوا ولحقوا بعد". وأنه ذكر في حـديث آخر أن عـدد أولئك الشـيعة سـبعة. وأنه جعلهم في رواية ثالثـة: أقل من خمسين رجلا، فقال في خطـاب لهشـام الكـابلي:" كـان علي ابن أبي طـالب عنـدكم بـالعراق يقاتل عـدوه ومعه أصـحابه وما كـان فيهم خمسـون رجلا يعرفونه حق معرفتـه، وحق معرفة إمامته".[48]

---

[45] - النوبخـتي، فـرق الشـيعة، ص 18 – 20 ويكـرر سـعد بن عبد الله الأشـــعري القمي نفس النص الســـابق مع تعـــديل طفيـــف، في كتابه المشابه:"المقالات والفرق" ص 16 – 17 فيقول:"وقالوا أنه لا بد مع ذلك من أن تكـون الإمامة دائمة جارية في عقبه الى يـوم القيامـة... فلم تـزل هذه الفرقة قائمة لازمة لإمامته وولايته على ما ذكرنا.. الى أن قتل".

[46] - المصدر.

[47] - المصدر.

ويقـول السـيد محمد بـاقر الصـدر في مقدمته لكتـاب "تـاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة" للدكتور عبد الله فياض:"نرى أن الشيعة ولـدوا منذ وفاة النبي مباشرة متمثلين في المسلمين الـذين خضعوا عمليا لأطروحة زعامة الإمـام وقيادته الـتي فـرض النـبي الابتـداء بتنفيـذها من حين وفاته مباشـرة. وقد تجسد الاتجـاه الشـيعي منذ اللحظة الأولى في إنكـار ما اتجهت إليه السـقيفة من تجسـيد لأطروحة زعامة الإمـام علي وإسـناد السلطة إلى غيره".

[48] - فياض، عبد الله، تاريخ الإمامية وأسلافهم الشيعة، ص 45، نقلا عن الاختصاص للمفيد، ص 10، والكشي، الرجال، ص 12 ولكن الرواية الآنفة لم تحـدد أسـماء الخمسـين رجلا، كما لم تقـدم دليلا على تبـنيهم لنظرية الإمامة، كما لم تفعل الروايتان الأخريان اللتان ذكرتا أسماء ثلاثة أو سـبعة من الصحابة. وربما اعتمدت هذه الروايات على شدة تعلق بعض الصـحابة بالإمام علي لتدعي تبنيهم لنظرية الإمامة الإلهية والنص عليه من الله.

وبغض النظر عن وجود التشيع "الديني" في زمن الرسـول (ص)، فلا شك بظهـور اسم "شـيعة علي" في الفتنة الكـبرى في مقابل شــيعة عثمـــان وطلحة والزبـــير ومعاويـــة، وتوسع اسم "الشـــيعة" لكي يشــمل جميع البيوتـــات العلوية والهاشـــمية وأنصـــارهم في بداية القـــرن الثـــاني الهجـــري، في حين بـــدأت الأسـماء الخاصة العديـدة تظهر إلى الوجـود، كـ "الكيسـانية" و "الهاشـمية" و"الراوندية" و"الجناحيـة" و"الكربيـة" والبربريـة" و"البيانية" و"المغيرية" و"الباقرية" و"الجعفرية" و"الزيدية". وأما اسم "الرافضة" فقد أطلق على جماعـات شـيعية متعـددة وليس على الشـيعة المـوالين للإمـام جعفر الصـادق فقـط، كما يعتقد البعض.[49] فقد أطلق على كل من يرفض إمامة الشيخين أبي بكر وعمـر، وكـان على رأس هـؤلاء "الراونديـة" شـيعة بـني العبـاس الذين كانوا يعتقدون بأن الإمامة بعد النـبي من حق عمه العبـاس بن عبد المطلب وبنيـــــه.[50] وربما كـــــان يطلق الاسم لغويا (لا اصـطلاحيا) من قبل بعض الشـيعة ضد بعضـهم، كما يقـال بـأن المغـيرة بن سـعيد اسـتعمله ضد شـيعة جعفر الصـادق الـذين رفضوه ولعنوه.[51] ولكن اسم "الرافضـة" اشـتهر على "الإماميـة" الذين رفضوا الانخـراط في حركة الإمـام زيد بن علي في الكوفة سنة 122هـ بنـاء على موقفه المعتـدل من الشـيخين ومـوقفهم المتطـــرف منهمـــا، فســـماهم "الرافضـــة". وقد أطلق اسم "الرافضـة" بتوسع من قبل بعض أهل السـنة ضد كل من يفضل عليا على غيره من الصحابة، أو ينتقد أحدا منهم.

---

[49] - فياض،تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة، ص 73

[50] - كان العباسيون يشكلون في ذلك الوقت المبكر أكثر الفـرق الشـيعية تطرفا و"رفضـا". حيث يـذكر المؤرخـون: "ان الراوندية ، وهم شـيعة ولد العبـاس ، كـانوا يقولـون: ان رسـول الله قبض ، وإن أحق النـاس بالامامة بعده العباس ابن عبد المطلب ، لأنه عمه و وارثه وعصـمته لقـول الله عز وجل (وأولـوا الارحـام بعضـهم اولى ببعض في كتـاب اللـه) وان النـاس اغتصبوه حقه ، وظلموه أمـره ، الى ان رده الله اليهم . وذلك بـالرغم من ان العباس لم يـدع الخلافـة. وتـبرأوا من ابي بكر وعمر وأجـازوا بيعة علي بن ابي طـالب باجـازة العبـاس لها ، وذلك لقوله : يا ابن اخي (هلم الي ابايعك فلا يختلف عليك اثنان)، ولقول داود بن علي على منبر الكوفة يـوم بويع لابي العبـاس : يا أهل الكوفة لم يقم فيكم امـام بعد رسـول الله إلا علي بن أبى طالب، وهذا القائم فيكم، يعـني ابا العبـاس السـفاح". تـاريخ الطبري، ج6 ، ص 43 و 83، وابن الأثير ، الكامل في التاريخ، ج5 ، ص 318 و المسعودي، مروج الذهب، ج3 ، ص 252

[51] - الأشعري القمي، المقالات والفرق، ص 76 والملل والنحـل، ج 1 ص 138

وفي حين عُرف شيعة الإمام جعفر الصادق بـ "الجعفرية" و"شيعة علي" و"الترابية" نسبة لـ"أبي تراب" أحد ألقاب الإمام علي[52] ؛ فإن قسما من "الرافضة" حاولوا أن يدسوا أنفسهم في صفوف شيعة الصادق ويدعوا أنهم "جعفرية" مما دفع الإمام الى التبرؤ من كثير ممن يدعي الانتماء اليه. وقد غضب ذات مرة عندما قال له أبو الصباح الكناني: إنا نُعَيَّر بالكوفة فيقال لنا "جعفرية" فقال: "إن أصحاب جعفر منكم لقليل، إنما أصحاب جعفر من اشتد ورعه وعمل لخالقه".[53]

وهناك رواية عن أبي بصير يحيى بن القاسم الأسدي (وهو ممن كان يؤمن بنظرية الإمامة الإلهية) يزعم فيها أنه اشتكى إلى الإمام الصادق فقال: "إنا قد نبزنا نبزاً انكسرت له ظهورنا، وماتت له أفئدتنا، واستحلت به الولاة دماءنا في حديث رواه فقهاؤهم. قال: فقال:"الرافضة"؟ قلت: نعم، قال: لا والله ما هم سموكم بل الله سماكم به..إن بني إسرائيل رفضوا فرعون ولحقوا بموسى، فأوحى الله إلى موسى أن أثبت لهم هذا الاسم في التوراة، فإني قد نحلتهم، ثم ذخر الله هذا الاسم حتى سماكم به إذ رفضتم فرعون وهامان وجنودهما واتبعتم محمدا وآل محمد".[54] ورغم ادعاء أبي بصير باستحسان الإمام الصادق لاستعمال لقب"الرافضة" وقبوله لهم ودفاعه عنهم، فإن ثمة مجالا للشك بوضع أبي بصير لهذه الرواية على لسان الصادق، تأييدا لمذهبه في الإمامة والرفض، كما كان يفعل كثير من الفرق المنحرفة الذين كانوا يدسون أنفسهم في صفوف "الجعفرية". ويؤيد ذلك الادعاء بإطلاق الله لاسم "الرافضة" على بني إسرائيل وإثبات ذلك في التوراة. وهذا من الخيال المحض الذي لا يوجد عليه دليل.

ورغم تمسك فريق من "الجعفرية" بنظرية "الإمامة الإلهية" في زمن الصادق، إلا أنهم لم يُعرفوا باسم "الإمامية". وربما كان لقب "الرافضة" أقرب إلى هذا الفريق من أي اسم آخر. ولا يمكن القول إن جميع الأسماء التي أطلقت على فرق الشيعة كانت تعني شيئا واحدا، كما ذهب الدكتور عبد الله فياض في كتابه عن "تاريخ الإمامية": "لأنها كانت تطلق على الشيعة

---

[52] - حسب رواية لسعيد بن يسار يقول فيها:" سمعت أبا عبد الله يقول: الحمد لله صارت فرقة مرجئة وصارت فرقة حرورية، وصارت فرقة قدرية، وسميتم الترابية وشيعة علي". الكليني، الكافي، الروضة، ص 80

[53] - الكشي، الجعفرية

[54] - المفيد، الاختصاص، ص 104

أسلاف الإمامية أو الجعفرية أو القطعية بعد وفاة الكاظم، وهم شيعة آل البيت الذين ساقوا الإمامة إلى جعفر الصادق".[55] وأحسب أن الدكتور فياض اعتمد على قراءة النوبختي والاشعري القمي في كتابيهما المتشابهين:"فرق الشيعة" و"المقالات والفرق" اللذين ألفاهما في نهاية القرن الثالث الهجري. وهما كاتبات إماميان صورا التاريخ الشيعي إمامياً منذ وفاة رسول الله (ص) أو قبل ذلك. كما أن فياض يخلط بين "الإمامية" و"الاثني عشرية" ويعتبرهما شيئا واحدا دون أن يلاحظ الفاصلة الزمنية بين نشوء الأولى في القرن الثاني الهجري وبين الثانية التي نشأت في القرن الرابع والتحقت بالإمامية فيما بعد. وقد اشتهر مصطلح "الإمامية" في القرن الثالث، وأطلق على جناح خاص منهم هم "الموسوية: أتباع موسى بن جعفر، والأئمة من ذريته" دون "الإسماعيلية: أتباع إسماعيل بن جعفر" بالرغم من كون الفريقين إمامية.

وأطلق مشايخ "الاثني عشرية" لقب "الإمامي" على كل من كتب في الدعوة لنظرية الإمامة الإلهية، كعلي بن إسماعيل التمار الذي عده الطوسي "أول من تكلم على مذهب الإمامية".[56] ومحمد بن خليل بن جعفر السكاك، الذي عده ابن داود الحلي في رجاله: "إماميا". وغيرهم وغيرهم، ولكن الدكتور فياض يسمي أوائل المتكلمين بأسلاف الإمامية، ويرجح أن مصطلح "الإمامية" لم يكن معروفا في القرن الثاني الهجري.[57] ويؤيد رأيه بأسماء الفرق الشيعية المتشعبة بعد وفاة الصادق والكاظم والرضا والجواد والهادي والتي لم يكن بينها فريق يعرف بـ"الإمامية". ويسجل أول إطلاق لهذا الاسم بعد وفاة العسكري، وبناء على قول النوبختي الذي يجعل "الإمامية" الفرقة الثانية عشرة، وقول الأشعري القمي الذي يجعل "الإمامية" الفرقة الأولى التي اعتقدت بوجود الإمام الثاني عشر وغيبته وسميت بـ"الإمامية".[58] ويشير فياض إلى محاولة النوبختي حصر اسم "الإمامية" بفريق معين من خلال عنوان كتابه "الرد على فرق الشيعة ما خلا الإمامية". ويخلص إلى أن مصطلح "الإمامية" لم

---

55 - فياض، تاريخ الإمامية، ص 77
56 - الطوسي، الفهرست، ص 113
57 - فياض، تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة، ص 78
58 - النوبختي، فرق الشيعة ، ص 90 والأشعري، المقالات والفرق، ص 102 - 106

يصبح علما لفرقة من فرق الشيعة إلا بعد حصول غيبة الإمام الثاني عشر.[59]

وإذا سلمنا بظهور اسم "الإمامية" في أواخر القرن الثالث الهجري، فانه لم يكن يطلق على فرقة واحدة محددة واضحة المعالم، وإنما كان يطلق على تيار يضم مجموعات فكرية مختلفة معتدلة ومتطرفة ومغالية، ومن بينها "المفوضة" و"المخمسة" وغيرهما، بدليل اتهام بعض الإمامية لبعض بالغلو والتفويض. كاتهام "النائب الخاص محمد بن عثمان العمري" لأحمد بن هلال العبرتائي بالغلو والتفويض، رغم أنه كان أحد أركان الدعوة للإمام الثاني عشر.

ورغم إطلاق النوبختي والأشعري القمي لاسم "الإمامية" على الفرقة التي قالت بغيبة المهدي، إلا أنهما لم يذكرا اسم "الاثني عشرية" لأن هذه الفرقة لم تكن مولودة بعد، في نهاية القرن الثالث أو بداية القرن الرابع، وانما ظهرت بعد ذلك في أواخر القرن الرابع أو الخامس الهجري، عندما تبلورت النظرية "الاثنا عشرية" وتألفت القائمة بأسماء الأئمة الاثني عشر.

وسوف نستخدم اسم "الإمامية" للدلالة على الشيعة القائلين بـ "التشيع الديني" منذ بداية القرن الثاني الهجري، وقبل أن يتشعبوا إلى فرق مختلفة، وإن لم يكونوا يُعرفون بذلك الاسم في ذلك الزمن، نظراً لتعبير الاسم عن هويتهم الفكرية في مقابل الشيعة العاديين الذين كانوا يوالون أئمة أهل البيت "سياسيا" فقط .

إذن فإن "الإمامية" هم الذين قالوا: "إن الإمامة مفروضة من الله، وهي في أهل البيت، وانها متوارثة في ذرية الحسين بصورة عمودية إلى يوم القيامة، وانها تثبت بالنص أو الوصية أو المعاجز

---

[59] - فياض، تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة، ص 85

الغيبية ".[60] وأن الإمامة أمر الهي، وأن تعــيين الإمــام الجديد يتم بتدخل من الله تعالى، ولا دخل لإرادة الإمام السابق بذلك.[61]

فلسفة نظرية الإمامة الإلهية:

أ- العصمة

---

60 - وكان على رأس القائلين بهذه النظرية في القرن الثاني الهجري :

1- المتكلم المعـروف أبو جعفر الأحـول محمد بن علي النعمـان الملقب بمؤمن الطاق الـذي ألف عـدة كتب في هـذا الموضـوع هي كتـاب الإمامة وكتاب المعرفة و كتاب الرد على المعتزلة في إمامة المفضول.

2- علي بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم التمار أبو الحسن الميثمي ، الذي قال عنه الطوسي في : الفهرسـت انه أول من تكلم على مـذهب الامامية وصنف كتابا في الإمامة وله الاستحقاق والكامل في نفس الموضوع

3- هشام بن الحكم الكندي ، الذي كتب عدة كتب هي الإمامة و الرد على هشام بن سالم الجواليقي و الرد على شيطان الطاق و كتـاب التـدبير في الإمامة و إمامة المفضـول و الوصـية والـرد على منكريها و كتـاب اختلاف الناس في الإمامة(و المجالس في الإمامة. وقد قـال عنه الشـيخ الطوسي في الفهرســت انه كــان ممن فتق الكلام في الإمامة ، وهــذب المــذهب بــالنظر ، وكــان حاذقا بصــناعة الكلام . و قـــال عنه العلامة الحلي في الخلاصة : انه أول شخص فتق الحديث في الإمامة والنص والوصية وهـذب المذهب بالنظر.

4 - محمد بن الخليل المعـروف بالسـكاك ،و له كتب منها كتـاب المعرفة وكتاب الإمامة و كتاب : الرد على من أبى وجوب الإمامة بالنص. بالإضـافة إلى أشخاص مثل هشام بن سالم الجواليقي، وقيس الماصر، وحمـران بن أعين، وأبي بصير ليث بن البختري المرادي الأسدي ، وآخرين.

61 - روى عمرو بن الأشعث: أنه سمع الإمام الصادق يقول: "لعلكم ترون أن هذا الأمر إلى رجل منا يضعه حيث يشـاء.. لا والله انه لعهد من رسـول الله مســمى رجل فرجل حـتى ينتهي الأمر إلى صـاحبه". وأنه قـال:" ما مـات عـالم حـتى يُعلمه الله عز وجل إلى من يوصـي". وقـال: "لا يمـوت الرجل منا حتى يعرف وليه". أو "لا يموت الإمام حـتى يعلم من يكـون من بعـده فيوصي إليـه". وقـال إسـماعيل بن عمـار انه سـأل أبا الحسن الأول الكاظم عن الإمامـة: هل هي فـرض من الله على الإمـام أن يوصي ويعهد قبل أن يخرج من الـدنيا؟ فقـال نعم، فقـال فريضة من اللـه؟.. قـال نعم. وقـال يحـيى بن مالـك انه سـأل علي بن موسى الرضا عن قـول الله عز وجل: "ان الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات إلى أهلها"؟ فقـال: الإمـام يـؤدي

وقد استند "الإمامية" في نظـريتهم بوجـوب "الإمامة الإلهيـة" على ضرورة اشتراط العصمة في الإمام (مطلق الإمام).[62] وبنـوا فلســفة العصــمة على مفهــوم الإطلاق في الطاعة لأولي الأمر وعدم جواز أو إمكانية النسبية فيهـا، وذلك مثل الـرد على الإمـام ورفض طاعته في المعاصي والمنكـرات لو أمر بهـا، والأخذ على يده عند ظهور فسـقه وانحرافـه.[63] وتجنبا للوقـوع في التنـاقض بين ضــرورة طاعة الله الــذي يــأمر بطاعة أولى الأمر في الآية الكريمة : "يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم " وضــرورة طاعة الحكـام بصـورة مطلقة حـتى في المعاصي والمحرمـــات. ومن هنا قـــال المتكلمـــون الإمـــاميون بضرورة أن يكون الإمام (مطلق الإمام) معصوما من الله حتى لا يـأمر بمعصـية ولا يقع المسـلمون في حـرج التنـاقض بين طاعته في ذلك وعصــيان اللــه، أو معصــيته وعصــيان الله الــذي يــأمر بطاعته. حيث قــال الشــيخ الطوسي المعــروف بشــيخ الطائفة الإمامية (385 – 460 هــ): "مما يـدل على أن الإمـام يجب ان يكون معصوما : ما قد ثبت من كونه مقتـدى بـه، ألا تـرى أنه إنما سـمي إماما لـذلك؟..لأن الإمـام هو المقتـدى بـه، ومن ذلك قيل إمـام الصـلاة لأنه يُقتـدى به ... وأيضا فقد أجمع المسـلمون على أن الإمام مقتدى به في جميع الشريعة، وان اختلفـوا في كيفيتـه، فـــإذا ثبت أنه مقتـــدى به في جميع الشـــريعة وجب أن يكـــون معصوما .. لأنه لو كان غير معصوم لم نأمن في بعض أفعاله مما يدعونا إليه من قتل النفوس وأخذ الأموال وما جـرى مجراهما أن يكون قبيحا ، ويجب علينا موافقته من حيث الاقتداء به ، ولا يجوز من الحكيم أن يوجب علينا الاقتداء بما هو قبيح، وإذا لم يجز ذلك عليه تعالى ، دلَّ على أن مَن أوجب علينا الاقتداء به مـأمون منه فعل القــبيح ، ولا يكــون كــذلك إلا المعصــوم". ورفض الطوسي مفهوم النسـبية في الطاعـة، وقـال:" فـان قيل : فلم أنكـرتم أن يكون الاقتداء بالإمام إنما يجب فيما نعلمه حســنا ، فأما ما نعلمه قبيحا أو نشك في حاله فلا يجب الاقتــداء فيــه؟.. قيل لــه: هــذا يسقط معنى الاقتداء جملة ويزيله عن وجهه ... وللــزم أيضا : أن

إلى الإمــام. ثم قــال: يا يحــيى، انه والله ليس منــه، إنما هو أمر من الله. الكليني، الكافي، كتاب الحجة، بـاب أن الإمـام يعـرف الإمـام الـذي يكـون بعده. ح رقم 5 و 6 و 7 والصفار، بصائر الدرجات، ج 10 باب 2 وباب 3

[62] - وهو مصطلح يعني: الرئيس أو الحاكم أو الخليفة أو السلطان.

[63] - وهو المفهوم الذي كان الحكام الأمويون يدأبون على ترويجه ومطالبة المسلمين بطاعتهم طاعة مطلقة في الخير والشر ، على أساسه .

يكون الإمام نفسه مقتديا برعيته من هـذا الوجه ، وفسـاد ما أدى إلى ما ذكرناه ظاهر".[64]

وقـال الشـيخ محمد بن محمد بن النعمـان، المعـروف بالمفيد (- 413 هـ):" إن الدليل على أن الإمام يجب أن يكون معصـوما هو أنه لو جـاز عليه فعل الخطيئـة، فـان وجب الإنكـار عليه سـقط محله من القلــوب فلا يتبع ، والغــرض من نصــبه اتباعه فينتقض الغرض، وإن لم يجب الإنكار عليه سقط وجوب النهي عن المنكر وهو باطل. وانه حافظ للشرع فلو لم يكن معصوما لم تـؤمن منه الزيـادة والنقصـان".[65] وقد ذهبت الامامية إلى أن الأئمة كالأنبيـاء في وجوب عصمتهم عن جميع القبائح والفواحش من الصغر إلى الموت عمدا وسهوا، لأنهم حفظة الشـرع والقوامـون بـه، حـالهم في ذلك كحال النبي ، ولأن الحاجة إلى الإمام إنما هي للانتصـاف من المظلـوم عن الظـالم ورفع الفسـاد وحسم مـادة الفتن، وأن الإمـام لطف يمنع القـاهر من التعـدي ويحمل النـاس على فعل الطاعـات واجتنـاب المحرمـات ويقيم الحـدود والفـرائض ويؤاخذ الفسـاق ويعـزر من يسـتحق التعزير ، فلو جـازت عليه المعصـية وصــــدرت عنه انتفت هــــذه الفوائد وافتقر إلى إمــــام آخر وتسلسل".[66]

ونقل المفيد عدة حوارات عن هشام بن الحكم (أحد مؤسسي نظرية الإمامة في القرن الثـاني الهجـري) حـول ضـرورة عصـمة الإمام، حيث قال إنه أجرى منـاظرة مع رجل شـامي في حضـرة الإمام الصـادق على حـرف جبل في طـرف الحـرم ، وأن الرجل الشــامي قــال لهشــام: يا غلام ســلني في إمامة هــذا يعــني أبا عبدالله فغضب هشـام حـتى ارتعد ثم قـال له : اخــبرني .. أَربك أنظر لخلقه أم هم لأنفســهم ؟ .. فقــال الشــامي: بل ربي أنظر لخلقه، قال : ففعل لهم في دينهم مـاذا؟ .. قـال : كلفهم و أقـام لهم حجة ودليلا على ما كلفهم ، أزاح في ذلك عللهم، فقــــال له هشام: فما هذا الدليل الذي نصبه لهم؟ قال الشامي : هو رسول الله ، قــال له هشــام: فبعد رســول الله من؟ .. قــال: الكتــاب والسـنة. قـال له هشـام :فهل ينفعنا اليـوم الكتـاب والسـنة فيما اختلفنا فيه حــتى يرفع عنا الاختلاف ويمكنا من الاتفــاق؟..قــال

---

64 - الطوسي، تلخيص الشافي، ج 1 ص 192

65 - المفيد النكت الاعتقادية، ص 48

66 - الحلي، نهج الحق وكشف الصق، ص 164، ومنهاج الكرامة في إثبات الإمامــة، ص 51 من الطبعة الحجريــة، ومحمد صــادق الصــدر، الشــيعة الإمامية، ص 126

الشامي: نعم ، قـال له هشـام :فلم اختلفنا نحن وأنت وجئتنا من الشـام تخالفنا وتـزعم أن الـرأي طريق الـدين ، وأنت تقر بـأن الرأي لا يجمع على القـول الواحد المختلفين ؟.فسـكت الشـامي كالمفكر فقال له أبو عبدالله: مالك لا تتكلم ؟.. قـال: إن قلت إنا ما اختلفنا كـابرت، وإن قلت إن الكتـاب والسـنة يرفعـان عنا الاختلاف أبطلت لأنهما يحتملان الوجوه، ولكن لي عليه مثل ذلك، فقال له أبو عبدالله : سله تجده مليئا، فقال الشامي لهشام: من انظر للخلق ربهم أم أنفسهم ؟.. فقال هشـام : ربهم انظر لهم ، فقال الشـامي : فهل أقـام لهم من يجمع كلمتهم ويرفع اختلافهم ويبين لهم حقهم من باطلهم ؟..قال: نعم، قال الشامي: من هو؟ .. قـال هشـام: أما في ابتـداء الشـريعة فرسـول اللـه، واما بعد النبي فغيره. قال الشامي: ومن هو غير النـبي القـائم مقامه في حجتـه؟..قـال هشـام : في وقتنا هـذا؟ أم قبلـه؟ .. قـال : بل في وقتنا هذا ، قال: هذا الجالس ، يعـني أبا عبداللـه، الـذي تشد إليه الرحـال، ويخبرنا بأخبـار السـماء وراثة عن أب عن جـد. قـال الشامي: وكيف لي بعلم ذلك؟.. قال هشام : سـله عما بـدا لك ، قـال الشـامي : قطعت عـذري ، فعليَّ السـؤال، فقـال له أبو عبدالله: أنا أكفيك المسألة يا شـامي: أخـبرك عن مسـيرك وعن سفرك .. خرجت يوم كـذا .. وكـان طريقك كـذا .. ومـررت على كذا.. ومرَّ بك كذا .. فأقبل الشامي كلما وصف له شيئا من أمـره يقول صدقت والله".[67]

وهناك رواية أخرى يذكرها الشـيخ محمد بن علي الصـدوق (305 ـ 381هـ) حول مناظرة طويلة جرت في وقت متأخر بين هشـام بن الحكم وضرار، و عبدالله بن يزيد الاباضي، في مجلس الـوزير العباسي يحيى بن خالد البرمكي " قال ضرار لهشام : كيف تعقد الإمامة؟ فقال هشام: كما عقد الله النبوة. قال ضـرار: فـإذن هو نبي؟ قال: لا ، لأن النبوة يعقـدها أهل السـماء ، والإمامة يعقـدها أهل الأرض ، فعقد النبـوة بالملائكة ، وعقد الإمامة بـالنبي، والعقدان جميعا بإذن الله. فقـال ضـرار: ما الـدليل على ذلك ؟.. فقال هشام : الاضطرار في هـذا .. إذ لا يخلو الكلام في هـذا من أحد ثلاثة وجـوه : إما أن يكـون الله رفع التكليف عن الخلق بعد الرسـول فلم يكلفهم ولم يـأمرهم ولم ينههم وصـاروا بمنزلة السباع والبهـائم الـتي لا تكليف عليها، أو أن النـاس قد اسـتحالوا بعد الرسول في مثل حد الرسـول في العلم، حـتى لا يحتـاج أحد إلى أحد فيكونوا كلهم قد استغنوا وأصـابوا الحق الـذي لا اختلاف

[67] - المفيد، الإرشاد، ص 278 - 279

فيه. يبقى الوجه الثالث ..وهو أنهم يحتـاجون إلى غـيرهم ، لأنه لا بد من علم يقيمه الرســـــول لهم لا يســـــهو ولا يغلط ولا يحيف معصـوم من الـذنوب مـبرأ من الخطايا يحتـاج إليه ولا يحتـاج إلى أحد . قال : فما الـدليل عليـه؟.. قـال هشـام: ثمـان دلالات، أربع في نعت نســبه وأربع في نعت نفسه ، فأما الأربع الــتي في نعت نسبه ، فانه يكون معروف الجنس معروف القبيلة معروف الـبيت ، وان يكون من صاحب الملة والدعوة إليه إشـارة. فلم يُـرَ جنس من هذا الخلق اشهر من جنس العرب الـذين منهم صـاحب الملة والدعوة... ولو جاز أن تكون الحجة من الله على هــذا الخلق في غــير هــذا الجنس لأتى على الطـالب المرتـاد دهر من عصــره لا يجــده ، ولجــاز أن يطلب في أجنــاس من هــذا الخلق من العجم وغــيرهم ، ولكــان من حيث أراد الله عز وجل أن يكــون صــلاح يكون فسـاد، ولا يجـوز هـذا في حكمة الله جل جلاله وعدلـه: أن يفرض على النـاس فريضة لا توجـد، فلما لم يجز ذلك لم يجز أن يكون إلا في هـذا الجنس لاتصـاله بصـاحب الملة والـدعوة ، فلم يجز أن يكـون من هـذا الجنس إلا في هـذه القبيلة لقـرب نسـبها من صـاحب الملة وهي قـريش ، ولما لم يجز أن يكـون من هـذا الجنس إلا في هـذه القبيلة لم يجز أن يكـون من هـذه القبيلة إلا في هذا البيت لقرب نسبه من صاحب الملة والـدعوة ، ولما كـثر أهل هذا البيت وتشـاجروا في الإمامة لعلوها وشـرفها ادعاها كل واحد منهم، فلم يجز إلا أن يكـــون من صـــاحب الملة والـــدعوة إشارة إليه بعينه واسمه ونسبه كيلا يطمع فيها غيره .. وأما الأربع التي في نعت نفسه: فأن يكـون أعلم النـاس كلهم بفـرائض الله وســننه وأحكامه حــتى لا يخفى عليه منها دقيق ولا جليــل، وأن يكون معصوما من الـذنوب كلهـا، وأن يكـون أشـجع النـاس، وأن يكـون أسـخى النـاس. فقـال عبدالله بن يزيد الاباضـي: من أين قلت : إنه اعلم الناس ؟ قال هشام: لأنه إن لم يكن عالما بجميع حــدود الله وأحكامه وشــرائعه وســننه لم يــؤمن عليه أن يقلب الحــــدود، فمن وجب عليه القطع حــــده، ومن وجب عليه الحد قطعه، فلا يقيم لله عز وجل حدا على ما أمر به فيكون من حيث أراد الله صلاحا يقع فسادا. قال: فمن أين قلت : انه معصوم من الــذنوب؟ قــال: لأنه إن لم يكن معصــوما من الــذنوب دخل في الخطأ فلا يــــؤمن أن يكتم على نفسه ويكتم على حميمه وقريبه ولا يحتج الله بمثل هــذا على خلقــه. قــال: فمن أين قلت : انه أشجع الناس ؟ قال : لأنه فئة للمسلمين الذين يرجعــون إليه في الحروب ، وقال الله عز وجل: "ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتـال أو متحـيزا إلى فئة فقد بـاء بغضب من الله" فـان لم يكن

شجاعا فيبوء بغضب الله ، ولا يجوز أن يكون من يبوء بغضب من الله عز وجل حجة على خلقــه. قــال: فمن أين قلت: انه اســخي النـاس؟ قـال : لأنه خـازن المسـلمين فـان لم يكن سـخيا تـاقت نفسه إلى أموالهم فأخذها فكان خائنا ولا يجوز أن يحتج الله على خلقه بخائن".[68]

وينقل الشيخ الصدوق أيضا كلمة أخـرى لهشـام بن الحكم عن فلسـفة العصـمة، عن محمد بن أبي عمـير قـال : ما سـمعت ولا استفدت من هشام بن الحكم في طول صحبتي إياه شـيئا أحسن من هـذا الكلام في صـفة عصـمة الإمـام ، فـإني سـألته يوما عن الإمام : أهو معصوم؟ .. قـال : نعم، قلت له: فما صـفة العصـمة فيه، وبأي شيء تعرف ؟ .. قال: إن جميع الذنوب لها أربعة أوجه لا خـامس لها : الحـرص، والحسـد، والغضـب، والشـهوة، فهـذه منفية عنه لا يجـوز أن يكـون حريصا على هـذه الـدنيا، وهي تحت خاتمه لأنه خــازن المســلمين فعلى مــاذا يحــرص؟ ولا يجــوز ان يكون حسودا ، لأن الإنســان إنما يحسد من هو فوقه وليس فوقه أحد فكيف يحسد من هو دونه ؟.. ولا يجوز أن يغضب لشــيء من أمور الدنيا إلا ان يكـون غضـبه لله عز وجـل، فـان الله قد فـرض عليه إقامة الحــدود ، وأن لا تأخـــذه في الله لومة لائم ، ولا رأفة في دينه حــــتى يقيم حــــدود الله عز وجل، ولا يجـــوز ان يتبع الشـهوات ويـؤثر الـدنيا على الآخـرة لأن الله عز وجل حبب إليه الآخرة كما حبب إليه الدنيا فهل رأيت أحدا ترك وجها حسنا لوجه قـبيح؟ وطعاما طيبا لطعـام مـر؟ وثوبا لينا لثـوب خشـن؟ ونعمة باقية لدنيا زائلة فانية ؟ ".[69]

ب - ضرورة وجود العالم الرباني المفسر للقرآن

وبالإضـافة إلى مسـألة الطاعة وضـرورة أن يكـون الإمـام أو صاحب الأمر معصوما، نظر بعض المتكلمين إلى فلسفة العصـمة من زاوية أخرى وهي ضرورة الحاجة إلى مفسر للقــرآن الكــريم تحت دعــوى عــدم اســتطاعة المســلمين التعامل مع القــرآن والاســتفادة منه مباشـــرة. وقد روى الكليـــني (- 329هـ) في - "الكافي" أقدم حديث عن هـذه الفلسـفة، عن منصـور بن حـازم أنه قـال: "قلت للنـاس : تعلمـون ان رسـول الله كـان هو الحجة من الله على خلقـه؟..قـالوا: بلى، قلت: فحين مضى رسـول الله من كان الحجة على خلقه؟.. فقالوا: القرآن، فنظرت في القرآن

[68] - الصدوق، إكمال الدين، ص 362 - 368
[69] - الصدوق ، الأمالي، ص 632 – 633 وعلل الشرائع، ص 204

فإذا هو يخاصم به المرجئ والقـدري والزنـديق الـذي لا يـؤمن به حتى يغلب الرجال بخصومته ، فعـرفت ان القـرآن لا يكـون حجة إلا بقِيِّم ، فما قال فيه من شيء كـان حقـا، فقلت لهم: من قيِّـم القـرآن؟ فقـالوا: ابن مسـعود قد كـان يعلم وعمر يعلم وحذيفة يعلم، قلت : كله؟..قالوا: لا ، فلم أجد أحدا يقـال انه يعـرف ذلك كله إلا عليا ، فاشهد أن عليا كان قيِّـم القرآن".[70]

وقـال الشـريف المرتضـى (355 هــ - 436هــ):"لا بد من أن يكون الإمام عالما بجميع الأحكـام حـتى لا يشذ عليه شـيء منهـا، وإلا لزم ذلك أن يكون قد كلف القيام بما لا سـبيل له إليه، ويحل ذلك محل تكليف مـالا يطـاق، أما الـذي يـدل على وجـوب كـون الإمام عالما بجميع الأحكام، فهو أنه قد ثبت: أن الإمـام إمـام في سـائر الــدين ومتــولٍ للحكم في جميعه جليله ودقيقه ظــاهره وغامضه، وليس يجوز أن لا يكون عالما بجميع الدين والأحكام".[71]

وقـــال الطوسي:" قد ثبت أنه ليس كل ما تمس الحاجة إليه من الشـــريعة عليه حجة قاطعة من تـــواتر أو إجمـــاع أو ما جـــرى مجراهما ، بل الأدلة في كثـير من ذلك كالمتكافئة ..وإذا ثبت ذلك وكنا مكلفين بعلم الشـريعة والعمل بها وجب أن يكـون لنا مفـزع نصل من جهته إلى ما اختلف أقوال الأمة فيه ، وهو الإمـام الـذي نقوله".[72] وأضاف:" انه قد ثبت ان الإمـام إمـام في سـائر الـدين ومتــولي الحكم في جميعـــه: جليله ودقيقه وظـــاهره وغامضه ، وليس يجوز أن لا يكون عالما بجميع الأحكـام ، وهـذه صـفته، لأن المتقرر عند العقلاء قبح استكفاء الأمر وتوليته من لا يعلمــه، وان كان لمن ولوه واستكفوه سبيل إلى علمه بما ولي ومضطلعا بـه، ولا معتبر بإمكان تعلمه وكونه مخلى بينه وبين طريق العلم ، لأن ذلك وان كان حاصلا فلا تخرج ولايته من ان تكـون قبيحة إذا كـان فاقدا للعلم بما فوض إليه".[73] واشـترط الطوسي العلم المسـبق عند الإمــام بكل شــيء ورفض اللجــوء إلى طريق الاجتهــاد في المستقبل وعند الحاجة، فقال:" فان قيل : لِـمَ لا يجوز أن يكــون الإمام غير عالم بجميع ما إليه الحكم فيه، غير انه متى احتاج إلى الحكم رجع إلى الاجتهــاد، أو إلى أخبــار الآحــاد، أو إلى اســتفتاء العلماء ، كما يرجع العامي إليهم ، أو فرضه التوقف فيما لا يعلمه إلى ان يتـبين بعد ذلك بأحد طـرق العلم ؟..وكل ذلك يجـوز ورود

70 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، ص 169
71 - المرتضى، الشافي، ص 14 - 15
72 - الطوسي، تلخيص الشافي، ج 1 ص 108
73 - المصدر، ج1 ص 236

التعبد بـه. قيل لـه: هـذا كلام من يظن أنا إنما قبَّحنا ولاية الإمـام وهو لا يعلم جميع الأحكـام، من حيث لم يكن له طريق إلى العلم ، وقد بيَّنا أن وجــود الطريق في هــذا الموضع كعدمــه، إذا كــان العلم بما اســند إلى المــولى مفقــودا، وانه لا بد من قبح هــذه الولاية مع فقد العلم ، ولا حاجة بنا إلى الكلام إلى ما عدّوه من وجـوه طـرق العلم الـتي يجـوز ان يرجع الإمـام إليها، لأنه لو ثبت في جميعها انه طريق إلى العلم وموصل إلى المعرفة بالحكم لم يخل بما اعتمدناه، فكيف وأكـثر ما أورده السـائل لا يوصل عنـدنا إلى العلم؟.. أما القيـاس وأخبـار الآحـاد والاجتهـاد فقد بينا فيما تقدم : انه لا يجوز التعبد به. واما رجوع العامي إلى العالم فعندنا انه لا يجـوز ان يقلد غـيره، بل يلزمه طلب العلم من الجهة الـتي تؤدي إلى العلم، ولو أجزنا ذلك لم يشـبه أمـره أمر الإمـام ، لأنه إنما جاز ذلك من حيث لم يكن حاكما فيه ، بل لزمه تقليد العــالم والعمل به . ونحن إنما قبحنا تقديم من ليس بعالم من حيث كـان حاكما في جميع الأشياء فلن نجوز ان يكـون غـير عـالم ببعضـها ، وكذلك لا نجوز ـ أيضا ـ أن نجعل للحكام ان ترجع إلى العلمـاء ثم تحكم به ، كما يجوِّزه مخالفونا ، للعلة التي قدمناها سواء".[74]

ج - الفاضل والمفضول

والى جانب العصمة والعلم الرباني رأى الفكر الإمامي ضرورة توفر شروط أخرى في الإمام الذي يجب على المسلمين اتباعـه، وهي وجــوب أن يكــون أفضل المســلمين، وعــدم جــواز إمامة المفضول، وأن يكون أشجع الناس وأسـخاهم. يقـول الطوسـي:" إن الإمـام لا بد أن يكـون أفضل من كل واحد من رعيتـه، بمعـنى انه يجب ان يكــون افضل منهم بمعــنى انه اكــثر ثوابا عند الله تعالى، وانه يجب ان يكـون افضل منهم في الظـاهر في جميع ما هو إمـام فيه".[75] ويقــول:" ان الإمـام يجب ان يكـون أشـجع من رعيته وما يتبع ذلك من صــفاته ــ يــدل على ذلك أنه قد ثبت أنه رئيس عليهم فيما يتعلق بجهـاد الأعـداء..وذلك متعلق بالشـجاعة، فيجب أن يكون أقواهم حالا في ذلـك، لأن من شـأن الـرئيس أن يكون افضل من رعيته فيما كان رئيسا فيه ، لما قــدمناه من قبح تقـديم المفضـول على الفاضل فيما كـان أفضل منـه. واما كونه ممن لا يد فـوق يــده ولا رئيس عليــه، فــالمرجع فيه إلى عــرف الشــرع، لأن اسم (الإمــام) فيه لا يطلق إلا على رئيس لا رئاسة

[74] - المصدر، ج1 ص 240

[75] - الطوسي، تلخيص الشافي، ج 1 ص 199 - 211

عليه .. وأما كونه أعقلهم فـالمرجع فيه إلى جـودة الـرأي وقـوة العلم بالسياسة والتدبير".[76]

ويقول الشـريف المرتضـى:"الـذي يـدل على أن الإمـام يجب أن يكون افضل من رعيته في الثواب والعلوم وسائر ضروب الفضل المتعلقة بالدين ، الداخلة تحت ما كان رئيسا فيـه، ما نعلمه وكل العقلاء من قبح جعل المفضـــول في شـــيء بعينه إماما ورئيسا للفاضل فيه .. وإذا ثبت أن الإمـــام لنا في جميع الـــدين وعلومه وأحكامه، وجب أن يكون أفضل منا في جميع ذلك ".[77]

د - رفض الشورى

وبعد تقرير ضرورة اتصاف الإمام، بالعصـمة والأفضـلية في العلم والشجاعة والسخاء ، قام الفكر الإمامي بإسقاط الشورى طريقا لاختيار الإمام "لعدم وجود طريق للتعرف عليه سـوى إرشـاد الله تعـالى إليـه"، و أحل محلها النص أو الوصـية أو المعـاجز الغيبية التي تميز الإمام المختار من قبل الله تعالى عن غيره من البشر. حيث قال المفيد:"إن الإمام يجب أن يكون عالما بجميع ما يحتـاج إليه الأمة في الأحكام وأن يكون أفضل من كافة رعيته في الدين عند اللـه. وإذا ثبتت هـذه الأصـول وجب إبانة الإمـام من رعيته بالنص على عينه والعلم المعجز الخارق للعادات، إذ لا طريق إلى المعرفة بمن تجتمع له هـذه الصـفات إلا بنص الصـادق عن الله تعـالى أو المعجـزة".[78] وقـال المرتضى:" إذا ثبت وجـوب كـون الإمام عالما بكل الأحكام استحال اختياره ووجب النص عليه، لأن من يقوم باختياره من الأمة لا يعلم جميع الأحكـام فكيف يصح ان يختار من هذه صفته؟" ويضيف:" وإذا ثبت ان الإمام لنا في جميع الدين وعلومه وأحكامه، وجب ان يكون افضل منا في جميع ذلك، وفي ثبـوت كونه افضل واكـثر ثوابا وجـوب النص عليـه، لأن ذلك مما لا طريق إلى معرفته بالاختيار".[79] وقال: "اعلم أن كلامنا في وجـوب النص، وانه لا بد منه ولا يقـوم غـيره في الإمامة مقامه ، تقدم، وذلك كافٍ في فساد الاختيـار، لأن كل شـيء أوجب النص بعينه فهو مبطل للاختيـــار، فلا معـــنى لتكلف كلام مســـتقل في إفساد الاختيار. واعلم أن الذي نعتمـده في إفسـاد اختيـار الإمـام هو بيـان صـفاته الـتي لا دليل للمختـارين عليها ولا يمكن أصـابتها

---

[76] - المصدر، ج 1 ص 264
[77] - المرتضى، الشافي، ج 2 ص 42
[78] - المفيد، الثقلان الكتاب والعترة / عدة رسائل، ص 179
[79] - المرتضى، الشافي، ج 2 ص 17 و ص 42

بـالنظر والاجتهـاد، ويختص علام الغيـوب تعـالى بها كالعصـمة والفضل في الثواب والعلم على جميع الأمة، لأنه لا شـبهة في ان هذه الصـفات لا تسـتدرك بالاختيـار ولا يوقف عليها إلا بـالنص ... وبينا أيضا أنه لا يمكن أن يقـال بصـحة الاختيـار مع اعتبـار هـذه الصفات .. وقلنا: إن ذلك تكليف قبيح من حيث كـان مكلفا لما لا دلالة عليه ولا أمارة تميز الواجب من غيره ".[80]

هـ - طرق إثبات الإمامة لكل إمام:

1 - **النص**

ويبتديء من النص على الإمام علي بن أبي طالب بالخلافة من رسول الله (ص).[81]

2 - الوصية

وفي حالة غياب النص الواضح على أحد الأئمة، يتم الاستدلال على "الإمام" بالوصية العادية من أبيه عليه، كما حدث مع الإمـام زين العابـدين علي بن الحسـين أو البـاقر أو الصـادق أو بقية الأئمة.[82]

3 - المعاجز :

وفي حالة غمـوض الوصـية أو عـدم وجودها يتم اللجـوء إلى "المعاجز" لإثبات الإمامة في أي إمام. كما حـدث مع الإمـام زين العابـدين وعمه محمد بن الحنفيـة، عند احتكامهما إلى الحجر الأسود، كما يقول الإمامية.[83]

4 **- علم الإمام بالغيب**

---

[80] - المرتضى، الشافي، ج 4 ص 6

[81] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما نص الله ورسوله على الأئمة واحدا بعد واحد، ح رقم 6

[82] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما نص الله ورسوله على الأئمة واحدا بعد واحد، ح رقم 6

[83] - الكليـني، الكـافي، كتـاب الحجـة، بـاب ما يضل به بين دعـوى المحق والمبطل في أمر الإمامة، ح رقم 5

وتتم أيضا معرفة "الإمـام" وتميـيزه عن بقية النـاس بواسـطة تحدثه عن الغيب، كإخباره بأمور لا يمكن أن يعرفها غيره بصـورة اعتيادية.[84]

5 - امتلاك سلاح رسول الله (ص)

وبما أن المعاجز لم تكن متيسـرة دائمـا، وكـذلك التحـدث عن علم الغيب، فقد بـنى الإمامية نظـريتهم في كيفية التعـرف على "الإمام" على أمر مـادي هو امتلاك "الإمـام" لسـلاح رسـول الله (ص). [85] وروى الإمامية عن الإمــــام جعفر الصـــــادق قوله:"مثل السلاح فينا كمثل التابوت في بـني إسـرائيل. كـانت بنو إسـرائيل في أي بيت وجد التابوت على أبوابهم أوتوا النبوة. ومن صار إليه السلاح منا أوتي الإمامة".[86]

6 - العلم والفضل

ويقـــول الإمامية أيضا إن "الإمـــام" يعـــرف بـــالعلم والفضل والسـكينة والوقـار والهيبـة، حسـبما ورد عن الإمـام الصـادق أنه قال:" أما والله عندنا ما لا نحتاج إلى الناس وان الناس ليحتاجون إلينا. ان عندنا الصحيفة : سـبعون ذراعا بخط علي وإملاء رسـول الله .. فيها من كل حلال وحــرام".[87] وأنه أجــاب من ســأله عن كيفية التعــرف على الإمــام من بعــده، قــائلا:" يعطى الســكينة والوقار والهيبة".[88]

7 – الإشارة الضمنية

وقد ارتـأى بعض "الإماميـة" التعـرف على "الإمـام" الجديد بواسطة الإشارات الضمنية العامة. كقول البـاقر: هـذا من الـذين قـال الله عز وجــل:" ونريد أن نمن على الــذين استضــعفوا في

[84] - الكشي 2 | 336

[85] - الصفار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات، ص، 176 و 178

[86] - الكليني، الكافي، كتاب الحجـة، بـاب ما عند الأئمة من سـلاح رسـول الله ومتاعه، ح رقم 1

[87] - الصفار، بصائر الدرجات، ص 142

[88] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، بـاب ما يجب على النـاس عند مضي الإمام، ح رقم 3 ومن الجدير بالـذكر ان نظرية "الاثـني عشـرية" لم تكن مخترعة ولا معروفة في زمـان الصـادق، ولم يكن أحد سـمع قط بأسـماء الأئمة الاثني عشر الذين نظم الشيعة قائمتهم في القرن الرابع الهجري.

الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الـــوارثين" في إشـــارة إلى ابنه الصـادق.[89] أو قولـه: "إن من سـعادة الرجل أن يكـون له الولـد، يعرف فيه شبه خلقه وخلقه وشمائله، وإني لأعرف من ابني هـذا شبه خلقي وخلقي وشمائلي".[90] أو قوله لما حضـرته الوفـاة:" يا جعفر أوصيك بأصحابي خيرا".[91]

8 - قانون التوارث العمودي

وإضافة إلى تلك الإشارات البعيـدة، استـدل بعض الإمامية على إثبـات الإمامة لبعض "الأئمــة" بقــانون "التــوارث العمــودي" .[92] حتى لو كـان الـوريث طفلا صـغيرا، كما حـدث بالنسـبة لعـدد من الأئمة كمحمد الجواد وعلي الهادي.[93]

9 – الأكبر.. فالأكبر

وفي ظل قانون التوارث العمودي، كان يوجد هنـاك قـانون آخر هو:" الأكبر فالأكبر".[94] وذلك عند وفاة "الإمام" وعـدم وجـود ولد له تســتمر فيه الإمامــة، كما حــدث مع الإمــام عبد الله الأفطح، الــذي تــوفي بعد أبيه جعفر الصــادق، ولم يكن له ولــد، فانتقل الإمامية إلى أخيه موسى بن جعفر.

متى ظهر "التشيع الديني"؟

والسـؤال الآن هـو: مـتى ظهر "التشـيع الـديني"؟ وهل كـان حقا موجــودا في زمن الرســول الأعظم؟ ومؤسسا على يديــه؟ وهل كان متبنىً من قبل أئمة أهل الـبيت؟ أم تطـور عـبر سلسـلة من الحركات الشيعية المغالية التي حـاولت إضـفاء طـابع ديـني على

---

[89] - الكليـني، الكـافي، كتـاب الحجـة، بـاب الإشـارة والنص على جعفر الصادق، ح رقم 1

[90] - الكليـني، الكـافي، كتـاب الحجـة، بـاب الإشـارة والنص على جعفر الصادق، ح رقم 3

[91] - الكليـني، الكـافي، كتـاب الحجـة، بـاب الإشـارة والنص على جعفر الصادق، ح رقم 2

[92] - الكشي في ترجمة زيد، وترجمة أبي جعفر الأحول محمد بن علي بن النعمان، و ترجمة أبو خالد القماط

[93] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ثبات الإمامة في الأعقاب، ح رقم 5

[94] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الأمور التي توجب حجة الإمام، ح رقم 6

تحركها السياسي، ثم استقر على "الإمامية" الذين قـاموا بقـراءة التـاريخ الاسـلامي والنصـوص القرآنية والنبوية قـراءة خاصة لم يعرفها أهل البيت؟
إن الإجابة على هذا السؤال تقتضي منا دراسة الحركـات المغالية ، والبيئة الفكرية التي مرَّ بها التشيع خلال القرون الثلاثة الأولى.

الفصل الثالث: بيئة "التشيع الديني"

الغلاة والتآمر على التشيع

فيما كــانت الحركة الشــيعية تتسع وتمتد في القــرن الأول الهجـري، تعرضت منذ منتصف ذلك القـرن لمـؤامرة كـبرى من بعض أتبـــاع الـــديانات القديمة المختلفة اليهودية والنصـــرانية والمجوسـية، الـذين دخلـوا ظاهريا في الإسـلام، أو من أبنـائهم الذين كانوا يُعرفون بالموالي، وهم الذين عقدوا الولاء مع القبائل العربية الـــتي فتحت بلادهم، وخصوصا في العـــراق. وقد حمل هؤلاء بعضا من عقائدهم وأفكارهم السـابقة وحـاولوا إدخالها في الإسلام لينسفوه من داخله، وفي الحقيقة كانت محـاولتهم بمثابة ردة كبـيرة ثانية مبطنة عن أهم أركـان الإسـلام كالتوحيد والنبـوة والمعاد، وخطوة نحو التحلل من قوانين الشريعة الإسلامية.

وكـان مـدخلهم إلى ذلك: الغلو في أئمة أهل الـبيت، ثم ادعـاء النبـوة لهم ثم ادعـاء الألوهية للأئمة والنبـوة لزعمـاء الغلاة. وأما أداتهم في ذلك فقد كـانت فكـرة التناسخ والحلـول، وهي نظرية قديمة كـــانت قبل الإســـلام، واســـتطاعت أن تحـــرف اليهودية والنصـــــــرانية وأن تخترقها وتحولها من التوحيد إلى تأليه بعض الأنبياء كعزير والسـيد المسـيح (عليهما السـلام). وهنـاك روايـات تقـول أن بعض المسـيحيين الـذين دخلـوا في الإسـلام في زمن الرسول الأعظم (ص) حـاولوا أن يغلـوا فيه ويعبـدوه ، حيث جـاء رجل إلى رسول الله (ص) فقال: ألا نسـجد لك. فقـال (ص):" لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله، ولكن اكرموا نـبيكم واعرفـوا الحق لأهله". وقـــال له رجل آخر (قيل أنه أبو رافع القـــرظي أو السيد النجـراني): يا محمد أتريد أن نعبـدك ونتخـذك ربـاً ، فقـال (ص) :" معاذ الله أن نعبد غير الله وأن نأمر بغـير عبـادة الله فما بـذلك بعثـني ولا بـذلك أمـرني".[95] وقد قـال الله تعـالى:"ما كـان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونــوا

---

[95] - المجلسي، بحار الأنوار، ج 25، ص 262

عبـــادا لي من دون الله ولكن كونـــوا ربـــانيين بما كنتم تعلمـــون الكتاب وبما كنتم تدرسون". 79 آل عمران

وفي هذا الصدد يشير **مونتغمري وات** إلى كون بعض قبائل جنوب الجزيرة العربية الذين دخلوا التشيع كـانوا على المسـيحية المونوفسـتية، الـتي تلقي رداء الالوهية على المسـيح. وأنهم في ممالك جنـــوب الجزيـــرة العربية كـــانوا يعتـــبرون المَلِك قائـــداً كاريزمياً (بشراً خارقـاً). ويقـول:" بعد أن أسـلم عـرب الجنـوب، قبل معظمهم فكرة القائد الذي يتمتع بصفات شبه إلهيـة. ويمكن أن نعزو انجـذاب هـؤلاء نحو الاسـلام الى أنهم رأوا تـوفر الصـفة المـذكورة بمحمـد. واعتقد هـؤلاء أن خلاص الفـرد يتحقق عنـدما يكون عضوا في مجتمع يقوده فرد يتمتع بصفات شبه إلهية".[96]

وإلى جـانب هــؤلاء اليمنــيين انضم إلى التشــيع في الكوفة المــوالي الــذين قـدموا من أصـول إيرانيـة. وقد ورث هـؤلاء من أسلافهم فكرة عبـادة الملـوك واتصـافهم بصـفات الإلـه، فأخـذوا ينظــرون إلى "الأئمــة" من أهل الــبيت كما كــانوا ينظــرون إلى ملوكهم السابقين.[97]

ولئن فشل المتآمرون في الترويج لأفكارهم المنحرفة في زمن الرسول الأعظم، فإنهم نجحوا جزئيا في ما بعد، وذلك على يــدي "عبد الله بن سبأ" الـذي يقـول عنه المتكلم الشـيعي الحسن بن موسى النوبختي (أواخر القـرن الثـالث الهجـري)، أنه كـان يهوديا فأســـلم ووالى عليا وأظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمـــان والصحابة وتبرأ منهم، وأنه كان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون بعد موسى بهذه المقالة فقال في إسلامه بعد وفاة النبي في علي بمثل ذلك.[98]

---

96 - نقلا عن تاريخ الإمامية لعبد الله فياض، ص 62

97 - فياض، تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة، ص 88

98 - النوبختي، فـرق الشـيعة، ص 22 ، راجع أيضا (المقـالات والفـرق) لسعد بن عبد الله الأشعري القمي، الذي يكتفي بالقول "إنه كـان أول من أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة وتــبرأ منهم" . ص 20 .

وإذ يكتفي النوبختي بنسبة القول بالوصية للإمـام علي، إلى عبد الله بن سبأ، ويقول إن الإمام علي حاول قتله ثم تراجع أمام معارضة الناس لقرار قتله بسبب "الدعوة لحب أهل البيت وولاية الإمـام علي والـبراءة من أعدائـه" فصـيَّره إلى المـدائن. يقـول العـالم الرجـالي الشـيعي (الكشـي، أبو عمـرو محمد بن عمر بن عبد العزيز ، تـوفي حـوالي 340 هــ):" إن عبد الله بن سـبأ كـان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نـون وصي موسى بـالغلو ! فقـال في إسـلامه بعد وفـاة رسـول الله (ص) في علي (ع) مثل ذلك". ويتحـدث الكشي (في روايـات عديـدة ينقلها عن الإمـامين الباقر والصادق): " أن عبد الله بن سبأ كان يدعي النبـوة ويـزعم أن أمير المؤمنين (ع) هو الله ! ! تعالى عن ذلك علوا كبيرا، وأن ذلك بلغ أمير المؤمـنين ، فـدعاه وسـأله فـأقر بـذلك، وقـال: نعم أنت هو وقد كـــان ألقي في روعي أنك أنت الله وأني نـــبي ! ! فقال له أمير المؤمنين: ويلك قد سخر منك الشيطان فارجع عن هذا ثكلتك أمك وتب، فـأبى فحبسه واسـتتابه ثلاثة أيـام فلم يتب فأحرقه بالنار".[99]

ويؤكد ذلك الطوسي الذي يقول: إن عبد الله بن سبأ رجع إلى الكفر وأظهر الغلو.[100] وكذلك العلامة الحلي الذي يقــول: إن عبد الله بن سبأ غال ملعون حرّقه أمير المؤمنين عليه السلام بالنــار، وكـان يـزعم أن عليـاً عليه السـلام إله وأنه نـبي، لعنـه اللـه.[101]

---

[99] - الخـوئي، معجم الرجـال، رقم 6889 عن الكشـي. ويـروي الكشي بإسناده عن هشام بن سالم، قـال: سـمعت أبا عبد الله يقـول وهو يحـدث أصحابه بحديث عبد الله بن سبأ، وما ادعى من الربوبية في أمير المؤمنين علي بن أبي طـالب (عليه السـلام)، فقـال: إنه لما ادعى ذلك فيه اسـتتابه أمير المؤمنين فأبى أن يتوب فأحرقه بالنار. ويروي كذلك بإسناده عن أبان بن عثمان، قال: سمعت أبا عبد الله يقول: لعن الله عبد الله بن سـبأ إنه ادعى الربوبية في أمـير المؤمـنين ، وكـان والله أمـير المؤمـنين عبـداً لله طائعا، الويل لمن كذب علينا وإن قوما يقولون فينا مالا نقوله في أنفســنا، نبرأ إلى الله منهم، نبرأ إلى الله منهم. وعن أبي حمزة الثمالي، قال: قـال علي بن الحســين : لعن الله من كـذب علينا إني ذكـرت عبد الله بن سـبأ فقامت كل شعرة في جسـدي، لقد ادعى أمـرا عظيما، ما له؟! لعنه اللـه، كان علي والله عبدا لله صالحا، أخا رسول الله، ما نال الكرامة من الله إلا بطاعته لله ولرســوله، وما نـــال رســـول الله (ص) الكرامة من الله إلا بطاعته الله.

[100] - الطوسي، الرجال، ص 51

[101] - الحلي، الخلاصة ، القسم الثـــــاني، ص 237 ويتفق معهما الشهرستاني الذي يقول في (الملل والنحـل): إن عبد الله بن سـبأ ، قـال لعلي (كرم الله وجهه) :" أنت أنت" يعني : أنت الإله . فنفاه إلى المدائن.

وســــعد بن عبد الله الأشـــــعري القمي الـــــذي يقــــول عن السبئية:"وقالوا بعد ذلك في علي أنه إله العالمين".[102]
وإذا أخذنا برواية الأشعري القمي والكشي والطوسي والحلي فـإن سـبب قـرار الإمـام علي بـإحراق عبد الله بن سـبأ لم يكن الغلو البســيط به كالـــدعوة إلى حب أهل الـــبيت والـــبراءة من أعـدائهم كما يقـول النوبخـتي، وإنما كـان بسـبب ادعـاء الألوهية للإمام والنبوة لابن سبأ.[103]

ويؤكد ذلك ما ينقله الكشي في ترجمة قنبر ، عن عبد الله بن شريك، عن أبيه، قال: بينا علي عند امرأة له من عـنزة - وهي أم عمر - إذ أتاه قنبر، فقال له: إن عشرة نفر بالبـاب يزعمـون أنك ربهم !! قال: أدخلهم قال: فدخلوا عليه، فقال لهم: ما تقولـون ؟ فقالوا: نقول: إنك ربنا ! وأنت الذي خلقتنا، وأنت الذي رزقتنا ! ! فقال لهم: ويلكم لا تفعلوا، إنما أنا مخلوق مثلكم، فـأبوا وأعـادوا عليه، ثم سـاق الحـديث إلى أن قـذفهم في النـار، ثم قـال علي (عليه السـلام). إني إذا أبصـرت شـيئا منكـرا .. أوقـدت نـاري ودعوت قنبرا ".[104]
وسواء كانت هذه القصة مرتبطة بعبد الله بن سبأ شخصيا، أم لا؟ ، وسواء أحرق الإمام ابن سبأ فعلا، أم لا ؟، فان مجمـوع تلك الروايـات يؤكد ظهـور شـخص أو أشـخاص (يسـميهم النوبخـتي بالفرقة السبئية) يغالون في الإمام علي في حياته.[105] وقد تطـور ذلك الغلو من القول بوصية النبي الأكـرم للإمـام علي كما أوصى النـــبي موسى (ع) ليوشع بن نـــون، إلى القــــول بألوهيته فيما بعد.[106]

وعلى رغم صغر الانحراف السبئي ومحدوديته بالنسبة للحركة الشـــيعية العامة في زمن الإمــــام علي ؛ إلا انه شــــكل مقدمة لتطـورات سـلبية لاحقـة، ولا سـيما في الحركة الكيسـانية وما بعدها.

الحركة "الكيسانية":

وكانت هذه الحركة قد نشـأت في عهد المختـار بن عبيد الثقفي، الـذي قـام بثـورة شـيعية في الكوفة سـنة 66 للهجـرة ، قبل أن يقضي عليه مصعب ابن الزبـير سـنة 67، وقد اسـتمرت الحركة إلى بدايات القرن الثاني الهجري. وجاءت تسميتها نسبة للمختـار

---

[102] - الأشعري القمي، المقالات والفرق، ص 21

الــذي يوصف بكيســان، أو نســبة إلى مــولى للإمــام علي اســمه "كيسان" وأصبح رئيس شـرطة المختـار. [107] وعلى أي حـال فقد أثــرت نظرية النص في فكر الحركة السياســي، ودفعتها لتبــني المنهج الــوراثي بــدل الشــورى في الإمامــة، فقــالت في البداية بالوصـــية لمحمد ابن الحنفية بالإمامة له من أبيه الإمـــام علي، وزعم المختــار بــأن محمد هو المهــدي، وقد عيّنه بوصــفه الأمين والوزير وأمــره بمحاربة الكفّــار وأن ينتقم ممن قتل أهل بيته في كربلاء . ثم قام ابن الحنفية (الذي تــوفي ســنة 81) بالوصــية الى

---

[103] - وقال أبو الحسن الاشعري (- 330 ﻫ(في ذكر السبئية من مقالات الإسلاميين: " وهؤلاء - السبئية - يقولون عند سماع الرعد: السلام عليك يا أمير المؤمنين ". وقـال أبو الحســين الملطي (- 377 ﻫ(: " والفرقة الثانية من الســبئية يقولــون: إن عليا لم يمت، وإنه في الســحاب، وإذا نشــأت سحابة بيضاء صافية منيرة مبرقة مرعدة قـاموا إليها يبتهلـون ويتضـرعون ويقولون: قد مر بنا في السحاب"! وقال البغـدادي (- 419 هـ) في الفـرق بين الفرق: " وزعم بعض السبئية أن عليا في السـحاب، وأن الرعد صـوته والبرق سوطه، ومن سـمع من هـؤلاء صـوت الرعد قـال: السـلام عليك يا أمير المؤمنين، وروى عن الشاعر أنه تبرأ منهم وقال: ومن قوم إذا ذكـروا عليا * يــردون الســلام على الســحاب " وقــال ابن حــزم (- 454 ﻫ(في الفصل: " وقالت السبئية أصحاب عبد الله بن سـبأ الحمـيري اليهـودي في علي... وإنه في السحاب ". وقال صـاحب البـدء والتـاريخ: " وأما السـبئية فـإنهم يقـال لهم الطيـارة، يزعمـون أنهم لا يموتـون وإنما مـوتهم طـيران نفوســهم في الغلس، وأن عليا لم يمت وأنه في الســحاب، وإذا ســمعوا صــوت الرعــد، قــالوا: غضب علي ". وقــال الاســفرائيني (- 471 ﻫ (عن السبئية: " وقال بعضهم هو في الغيم، والرعد صـوته والـبرق سـوطه، وإذا سمعوا صوت الرعد قالوا: السلام عليك يا أمير المؤمنين ". ثم ذكر الــبيت " ومن قوم إذا سمعوا... ". وقال أبو محمد عثمان العراقي (ت: نحو 500 ﻫ(: " وأما السحابية: فهم طائفة يزعمون أن عليا، رضي الله عنه، مع كل سـحاب، والرعد صـوت علي، وما من نكـاح إلا ويحضـره علي، وإنما تنعقد الانكحة بشهادته، وبعض هـذه الطائفة يزعمـون بـأن شـهادة الله ورسـوله كافية في الانكحة، ولا افتقار إلى شهادة الآدمـيين. ويزعمـون أيضا أن عليا لم يمت، وأنه سـيرجع عن قـريب وينتقم من أعدائه ". وقـال بعد هـذا في تعريف السبئية: " وأما السـبئية: هم طائفة ينسـبون إلى عبد الله بن سـبأ، وهم يزعمــون بــأن عليا حي لم يمت، وهو مع كل ســحاب يــدور، والرعد صوته، وسيرجع عن قريب فينتقم من أعدائه. وابن سبأ، هذا كان يدعي أن عليا إله العالمين ". وقال في جواب من تخيلهم بالسـبئية بعد هـذا: " روي أنه لما قتل علي، رضي الله عنـه، قـال ابن سـبأ: إن عليا حي وهو مع كل سـحاب، والرعد صـوته. فقيل لـه: فمن الـذي قتله الملعـون ابن ملجم ؟ قال: كان ذلك شيطانا في صـورة علي، فقيل لـه: لو كـان ابن ملجم قتل شيطانا لكان يستحق المدح، فلماذا تلعنونه وتذمونه ؟ فتحير ابن ســبأ ولم يبد جوابـــا، وبالله التوفيق ". وقـــال الشهرســـتاني (- 548 ﻫ(في تعريف

ابنه عبدالله أبي هاشم وأمـــــره بطلب الخلافة إن وجد إلى ذلك سبيلا ، وعندما مات عبد الله بن محمد ، أوصى إلى أخيه علي بن محمد، (أو ابنه الحسـن) وأوصى علي إلى ابنه الحسـن، والحسن أوصى إلى ابنه علي، وهـــــــذا أوصى إلى ابنه الحسن بن علي. والوصية عندهم في ولد محمد بن الحنفية لا تخـرج إلى غـيرهم ، وهم "الكيسانية الخلص".[108] وقد كان لفكرة النص والوصية هـذه أثر كبير في نشوء الفكر الإمامي الوراثي لدى الشيعة "الإمامية" في القرن الثاني الهجري.

السبئية من الغلاة: إنهم أصحاب عبد الله بن سبأ الذي... زعم أن عليا حي لم يمت ففيه الجزء الإلهي ولا يجـوز أن يسـتولي عليه المـوت، وهو الـذي يجئ في السحاب، والرعد صوته والـبرق تبسـمه، وأنه سـينزل إلى الأرض بعد ذلك فيملا الأرض عـدلا كما ملئت جـورا. وقـال السـمعاني (- 562 هـ (في ترجمة السبائي من أنسـابه: و [عبد الله بن] (أ) سـبأ هو الـذي قـال لعلي: أنت الإله حـــتى نفـــاه إلى المـــدائن، وزعم أصـــحابه أن عليا في السحاب وأن الرعد صوته والبرق سوطه. ومن هنا قال قائلهم: ومن قــوم إذا ذكروا عليا * يردون السلام على السحاب وقال ابن أبي الحديد (- 655 هـ(في شرح الخطبة (27) من نهج البلاغة بعد كلام عن السبئية: " وقـالوا: إن عليا لم يمت، وإنه في السـماء، والرعد صـوته، والـبرق سـوطه، وإذا سمعوا صـوت الرعد قـالوا: السـلام عليك يا أمـير المؤمـنين ". وقـال ابن خلدون (- 808 هـ(: بعضهم يقـول: هو حي لم يمت إلا أنه غـائب عن أعين الناس - إلى قوله -: وأنه في السحاب والرعد صوته والبرق سوطه.

104 - الخوئي، معجم رجال الحديث، رقم 5726 عن الكشـي، ورواها مع زيادة في آخر ترجمة أبي الخطاب محمد بن أبي زينب.

105 - وقد حـاول السـيد مرتضى العسـكري في كتابه "عبد الله بن سـبأ وأساطير أخرى" التشكيك بوجـوده، فـأثبت ضـعف الـراوي سـيف بن عمر التميمي المتـوفى بعد عـام 179 هــ، المصـدر الرئيسي للطـبري، والـذي يضـخم دور ابن سـبأ في الفتنة الكـبرى وينسب إليه كثـيرا من الأعمـال، ليقـــول العســـكري أن ابن ســـبأ أســـطورة مفتعلة ورجل مختلق، ولكن العسكري لم يتطرق إلى الروايات الشـيعية الكثـيرة الـتي تؤكد وجـود ابن سبأ ، وتنسب إليه القول بالغلو، وتلعنه على لسـان الأئمة من أهل الـبيت، كما رأينـا. وليس في أحـدها رواية عن سـيف بن عمـر. كما نفى الـدكتور علي الوردي والدكتور طه حسين، والدكتور كامل مصطفى الشـيبي وجـود عبد الله بن سبأ بناء على تضعيف رواية سيف بن عمر المشحونة بالخيـال الواسع.

106 - النوبختي، فرق الشيعة والأشعري، المقالات والفرق، ص 20 - 21

107 - البغدادي، عبد القـاهر بن طـاهر، الفـرق بين الفـرق، ص 27 ، دار الجيل ، بيروت 1987

108 - النوبختي، فرق الشيعة، ص31

والى جانب فكرة النص والوصية في الإمامة، يقال بأن المختار قد تكهن وادعى نزول الوحي عليه بتأثير من السبئية الذين قـالوا له: أنت حجة هذا الزمان، وحملوه على دعوى النبوة فادعاها عند خواصه، وزعم أن الوحي ينزل عليه.[109]

ويقول البغدادي بأن المختار أخـترع قـولاً آخر هو "البـداء" أي تغيير الله تعالى لإرادته، وذلك أن المختار وعد أنصاره بأن الظفر سيكون لهم في حـربهم مع مصعب بن الزبـير، وزعم أن الـوحي قد نزل عليه بذلك، فلما التقى الجيشان بالمدائن وانهزم أصحاب المختـار ورجع فلـولهم اليه وقـالوا لـه: ألم تعـدنا بالنصر على عدونا؟ فقال:" إن الله تعالى كـان قد وعـدني ذلك لكنه بـدا لـه" واسـتدل على ذلك بقـول الله عز وجل "يمحو الله ما يشـاء ويثبت".[110]

وحسبما يقول الشهرستاني فان الكيسانية كانوا يعتقـدون في "كيسان" اعتقادا فـوق حـده ودرجتـه، من إحاطته بـالعلوم كلهـا، ومعرفته الأسـرار من علم التأويل والبـاطن، وعلم الآفـاق، والأنفس.[111] ويبدو أن بعض أصـحاب المختـار كـان يغـالي بأئمة أهل الـبيت أيضا مما دفع الإمـام زين العابـدين الى لعن المختـار والتبرؤ من أصحابه.[112]

---

109 - البغدادي، الفرق بين الفـرق، ص 35 – 36 ولكن يحتمل أن يكـون هذا الاتهام مزورا من قبل المتضررين من سـادات الكوفة الـذين اسـتولى المختار على أموالهم وعبيدهم . خاصة وانهم يقولـون بـأن دعـوى المختـار للنبوة كانت خاصة وسرية.

110 - البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 36

111 - أبوالفتح الشهرستاني، الملل والنحل، الإصدار 2.02 ، الجزء الأول، مقـدمات ، المقدمة الرابعـة: في بيـان أول شـبهة وقعت في الملة الإسلامية، وكيفية انشعابها، ومن مصدرها، ومن مُظهِرُها.

112 - يقول محمد بن سعد في الطبقات الكبرى:" إن علي بن حسين قـام على باب الكعبة فلعن المختار فقال له رجل جعلني الله فـداك تلعنه وإنما ذبح فيكم فقال إنه كان كـذابا يكـذب على الله وعلى رسـوله . وكـان زين العابدين يقول لأنصاره: يا أيها الناس أحبونا حب الاسلام فما برح بنا حبكم حتى صار علينا عارا . أحبونا حب الاسلام فوالله ما زال بنا ما تقولون حتى بغضتمونا إلى الناس. وجاء نفر إلى علي بن الحسين فـأثنوا عليه فقـال ما أكذبكم وما أجرأكم على الله نحن من صالحي قومنا وبحسبنا أن نكون من صالحي قومنا". الجزء الخامس ص 214

http://www.yasoob.com/books/htm1/m021/24/no2408.html

ولعل أخطر فكـرة ابتـدعها الكيسـانية هو تفسـيرهم الـدين بالرجال، وقولهم بـأن "**الـدين طاعة رجل، ومن لا رجُـلَ له (أي لا إمـامَ لـه) فلا دين له** " حـتى حملهم ذلك على تأويل الأركان الشرعية من الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، وغير ذلك على رجـال. فحمل بعضـهم على تـرك القضـايا الشـرعية بعد الوصول إلى طاعة الرجل.[113]

وأسس الكيسانية لنظرية "الإمامة الإلهية" التي ادعوا أنها أكثر من سياسية وتنطوي على معان سامية، حيث قالوا : بـأن الإمـام لديه أسـرار العلـوم ويعـرف منـاهج تطـبيق الآفـاق على الأنفس وتقـدير التنزيل على التأويل وتصـوير الظـاهر على البـاطن، وقـالوا:" إن لكل ظـاهر باطنا ولكل شـخص روحا ولكل تنزيل تأويلا ولكل مثال في هذا العالم حقيقة في ذلك العالم، والمنتشر في الآفـاق من الحكم والأسـرار يجتمع في الشـخص الإنسـاني، وهو العلم الـذي اسـتأثر علي رضي الله عنه به ابنه محمد بن الحنفية وهو أفضى ذلك السر إلى ابنه أبي هاشم وكل من اجتمع فيه هذا العلم فهو الإمام حقا".[114]

ومن أبـرز ملامح الحركة الكيسـانية الأخـرى القـول بالمهدوية والغيبة. وكانت المهدوية حينئذ تعـني الرشد والصـلاح، وقد أطلق تلك الصـفة المختـار على ابن الحنفية على أمل الخـروج وتبـني قيادة الحركة الشيعية في الوقت الذي كـان يتصـارع عبد الله بن الزبير مع الأمـويين والمروانـيين. وعنـدما تـوفي ابن الحنفية دون أن يخرج أصيب أتباعه المنتظـرون له بخيبة أمل وصـدمة فقـالوا بغيبته في جبل رضوى، ورفض بعضهم الاعتراف بوفاته وقالوا إنه حي لم يمت وظلـوا ينتظرونه زمنا طـويلا. حـتى قـال الشـاعر الكيساني كثير عزة:

ألا إن الأئمة من قريش ولاة الحق أربعة سواء
علي والثلاثة من بنيه هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبطٌ سبط إيمان وبر وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى يقود الخيل يقدمها اللواء
تغيَّب لا يرى فيهم زمانا برضوى عنده عسل وماء

وقال شاعر كيساني آخر هو السيد إسماعيل الحميري:

ألا حيِّ المقيم بشعب رضوى واهدِ له بمنزله السلاما

---

[113] - أبو الفتح الشهرستاني، الملل والنحل، الإصدار 2.02 ، الجزء الأول، البـاب الأول: المسـلمون، الفصل السـادس: الشـيعة ، 1- الكَيْسـانِيَّة، والأشعري القمي، سعد بن عبد الله، المقالات والفرق، ص 27

[114] - الشهرستاني، الملل والنحل، ج 1 ص 150 – 152

وقل يا ابن الوصي فدتك نفسي أطلت بذلك الجبل المقاما
وما ذاق ابن خـــــولة طعم مـــــوت ولا وارثْ له أرض عظاما
لقد أمسى بجـــانب شـــعب رضـــوى تراجعه الملائكة الكـــلاما
وإن له لـــــــــرزقاً كل يـــــوم وأشـــــربة يعل بها الطعـــــاما
أضـر بمعشـر والـــوك مـــــنا وســـموك الخليفة والإمـــــاما
وعادوا فيك أهل الأرض طـراً مقامك عنهم سبعين عاما

وتجلى الانحراف بصورة كبيرة في صفوف الكيسانية، في بروز حركات مغالية ومتطرفة جدا خرجت عن دائرة الإسلام، بــدعواها الألوهية لأئمة أهل الـبيت والنبـوة لبعض قادتها ، كالفرقة الكربية أو الحربية (نســـبة إلى عبد الله بن عمر بن حــــرب أو كــــرب الكندي) التي قالت:" بأن علياً إله العالمين وأنه تـوارى عن خلقه سـخطاً منه عليهم وسـيظهر، وأن محمد بن الحنفية هو المهـدي لم يمت ولا يجـوز ذلك، ولكنه غــاب ولا يــدري أين هو، ســيرجع ويملك الأرض ولا إمام بعد غيبته إلى رجوعه".[115]

وقد انشق عن "الكربية" فصيل آخر بقيادة "حمزة بن عمارة البربري" (أو اليزيـدي)، الـذي ادعى أن محمد بن الحنفية هو الله (عزّ وجّل تعالى عن ذلك علواً كبيراً)، وأن حمـزة هو نـبي وإمـام وأنه يــنزل عليه ســبعة أســباب من الســماء فيفتح بهن الأرض ويملكها، فتبعه على ذلك ناس من أهل المدينة وأهل الكوفة.[116]

---

115 - الأشـعري القمي، المقـالات والفـرق، ص 21 و النوبخـتي، فـرق الشيعة، ص 18 – 20

116 - المصدران السابقان

وحاول حمزة البربري أن يدس نفسه في صفوف شيعة الإمام الباقر، فكـان يقـول لأصـحابه:" إن أبا جعفر يـأتيني في كل ليلة" فقال الباقر:" كذب عليه لعنة اللـه، ما يقـدر الشـيطان أن يتمثل في صورة نبي ولا وصي نـبي". ولكن الـبربري ظل مسـتمرا في دعواه حتى زمن الإمام الصادق، الـذي سـمع به أيضا فسـأل عنه زرارة، قائلا: أخبرني عن حمزة أيـزعم أن أبي يأتيه ؟ قـال: نعم. قـال:" كـذب والله ما يأتيه إلا المتكوِّن، إن إبليس سـلط شـيطانا يقـال له المتكوِّن يـأتي النـاس في أي صـورة شـاء، إن شـاء في صورة كبيرة وإن شاء في صورة صغيرة، ولا والله ما يستطيع أن يجئ في صورة أبي عليه السلام". [117]

وتفرعت عن حركة البربري حركتان أخريان بقيـادة رجلين من قبيلة "نهد" من أهل الكوفة يقال لأحـدهما : صـائد، وللآخر: بيـان بن سمعان، وقد قال هـذا :" بإلوهية علي ، وأن جـزءا إلهيا متحد بناســـوته ، ثم من بعـــده في ابنه محمد بن الحنفية ثم في أبي هاشم ولد محمد بن الحنفية ، ثم من بعده في بيـان هـذا". وزعم بأن أبا هاشم هو المهدي القائم الغائب وهو ولي الخلق وسـيرجع فيقـوم بـأمور النـاس ويملك الأرض ولا وصي بعـده . كما ادعى بيان أيضاً بأن أبا هاشم، قد عيّنه خليفة لـه. وكتب بيـان كتابا إلى الباقر يدعوه إلى نفسه والإقرار بنبوته ويقول لـه: "أسـلم تسـلم وترتقِ في سـلّم وتنجُ وتغنم، فانك لا تـدري أين يجعل الله النبـوة والرسالة وما على الرسول إلا البلاغ وقد أعذر من أنذر".[118]

واستمر بيان في دعوته الى أن قتله خالد القسـري عـام 119 هـ.

وكانت الحركة الشيعية العريضة، وخاصة بعد انضمام الموالي إليها، قد أصيبت بوباء الغلو. حيث انتشرت أفكـار الغلاة في عـدد من الفـرق الشـيعية في ذلك الـوقت "حـتى قـالوا أن الأئمة آلهة وأنهم أنبيـــاء وأنهم رسل وأنهم ملائكـــة، وهم الـــذين يتكلمـــون بالأظلة وفي التناسخ في الأرواح ، وهم أهل القـــول بالـــدَور في هذه الدار وإبطال القيامة والبعث والحساب، وزعموا أن لا دار إلا

---

117 - الخوئي، معجم الرجال، رقم 4057 – عن الكشي.

118 - النوبختي، فرق الشيعة، ص 34 والبغدادي، الفـرق بين الفـرق، ص 28 ويقول عبد القاهر البغـدادي: إن البيانية زعمت أن روح الإله دارت في الأنبيـاء والأئمة حـتى انتهت الى علي ثم دارت الى محمد بن الحنفيـة، ثم صـارت الى ابنه أبي هاشـم، ثم حلت بعـده في بيـان بن سـمعان. وادعـوا بذلك إلاهية بيان بن سمعان. البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 241

الدنيا وأن القيامة إنما هي خروج الروح من بدن ودخوله في بدن آخر غيره إن خيرا فخير وإن شرا فشرا، وأنهم مسرورون في هذه الأبدان أو معذبون فيها، والأبدان هي الجنات وهي النار وأنهم منقولون في الأجسام الحسنة الإنسية المنعمة في حياتهم ومعذبون في الأجسام الردية المشوهة من كلاب وقردة وخنازير وحيات وعقارب وخنافس وجعلان محولون من بدن إلى بدن معذبون فيها هكذا أبدا الأبد فهي جنتهم ونارهم لا قيامة ولا بعث ولا جنة ولا نار غير هذا على قدر أعمالهم وذنوبهم وإنكارهم لأئمتهم ومعصيتهم لهم فإنما تسقط الأبدان وتخرب إذ هي مساكنهم فتتلاشى الأبدان وتفنى وترجع الروح في قالب آخر منعم أو معذب، فهذا معنى الرجعة عندهم".[119]

ويعيد النوبختي أصل الغلو الذي تفشى في بعض الفرق التي انتحلت التشيع إلى "الخرمدينية" و"المزدكية" و"الزنديقية" و"الدهرية" ويقول:" إنها مرجعهم جميعا لعنهم الله، وإنهم كلهم متفقون على نفي الربوبية عن الجليل الخالق تبارك وتعالى وإثباتها في بدن مخلوق مئوف على أن البدن مسكن لله، وأن الله تعالى نور وروح ينتقل في هذه الأبدان، إلا أنهم مختلفون في رؤسائهم الذين يتولونهم يبرأ البعض من بعض ويلعن بعضهم بعضا".[120]

"المغيرية"

وقد تأثرت حركة شيعية أخرى بالفكر المغالي، وذلك بزعامة "المغيرة بن سعيد العجلي (مولى بجيلة) " الذي انشق عن الإمام محمد الباقر، وقال بأفضلية الإمام علي على الأنبياء، ومساواته بالنبي محمد (ص) وزعم في البداية أن الباقر أوصى إليه، فهو الإمام إلى أن يخرج المهدي (محمد بن عبد الله بن الحسن) ثم ترقى به الأمر إلى ان زعم أنه رسول نبي وأن جبرئيل يأتيه بالوحي من عند الله، فأخذه الوالي الأموي في الكوفة خالد بن عبد الله القسري سنة 119 فسأله عن ذلك فأقر به، ودعا خالدا إليه، فاستتابه خالد فأبى أن يرجع عن قوله

---

119 - النوبختي، فرق الشيعة، ص 36

120 - النوبختي، فرق الشيعة، ص 46 والمزدكية أتباع مزدك الذي ظهر في أيام قباد والد أنوشروان، واسم كتابه الذي ادعى نزوله عليه (ديستاو) وقولهم كقول المانوية في الأصلين النور والظلمة، والمزدكية هم الذين استباحوا المحرمات وزعموا أن الناس شركاء في الأموال والنساء.

فقتله وصلبه. ولكن أصحابه "المغيرية" رفضـوا الاعـتراف بمقتله فقالوا إنه حي لم يمت.[121]

وكانت مقولة "المغيريـة" تشـابه مقـولات الغلاة السـابقين (الكيسانية والحربية والكربية والجناحية والراوندية والبيانية) الـتي تقوم على أساس فكرة التناسخ والحلول .

"المنصورية"

والى جانب تلك الحركة "المغيرية" أو بعدها بقليل، برزت حركة أخـرى بقيـادة أبي منصـور العجلي، الـذي كـان هو الآخر يـدعي الانتماء في السابق إلى شيعة الإمام الباقر، وكـان بـدويا من أهل الكوفـة، أميا لا يقـرأ ولا يكتب، ولكنه ادعى بعد وفـاة البـاقر أنه فوض إليه أمـره، وجعله وصـيه من بعـده، ثم تـرقى به الأمر إلى أن قـال: كـان علي بن أبي طـالب نبيا ورسـولا وكـذا الحسن والحسـين وعلي بن الحسـين ومحمد بن علي . ثم ارتفع بالأئمة الى درجة الألوهية. ثم ادعى بعد ذلك النبوة والرسالة له ولسـتة من ولده آخـرهم القـائم، وزعم أن جبرئيل يأتيه بـالوحي من عند الله عز وجـل، وأن الله بعث محمـدا بالتنزيل وبعثه هو بالتأويـل، وأن الله اتخـــذه خليلا ، وادعى أن الله عز وجل عـــرج به إليه فأدناه منه وكلمه ومسح يده على رأسه، وقـال له بالسـريانية: يا بني، (أوقال له بالفارسية: أي بسر !) .
وقد طلبه خالد بن عبد الله القسـري فأعيـاه، حـتى ظفر به يوسف بن عمر الثقفي والي العـــراق في أيـــام هشـــام بن عبد الملك فقتله سنة 121.[122]
وقـام بعد ذلك رجل من أهل المـدائن يقـال له عبد الله بن الحـــارث، كـــان ابن زنـــديق، بلعب دور كبـــير في بث الأفكـــار المنحرفة (المغاليـة) في صـفوف الشـيعة في عشـرينات القـرن الثاني الهجري، حيث مال إلى حركة عبد الله بن معاوية الذي قاد ثورة ضد الأمويين سنة 129، فأدخلهم في الغلو والقول بالتناسخ والأظلة والـدور، فخـدعهم بـذلك حـتى ردهم عن جميع الفـرائض

---

[121] - النوبختي، فرق الشيعة، ص62- 63
[122] - ولكن حركته أيضا لم تمت نهائيا حيث قـــام ابنه (الحســين بن أبي منصور) فيما بعد في أيام المهدي العباسي ، بادعـاء النبـوة ، ونجح بكسب الكثير من الأتباع ، فقتله المهدي وصلبه، مع جماعة من أصحابه. النوبختي، فرق الشيعة، ص 38 والكشي ص 196

والشــرائع والســنن، وادعى أن هــذا مــذهب جــابر بن عبد الله الأنصاري وجابر بن يزيد الجعفي رغم براءتهما من ذلك.[123]

الغلو في الحركة العباسية

ونظراً لأن الحركة العباسية، في بدء نشوئها، كانت جزءا من الحركة الشــيعية العريضة ، ومتفرعة من الكيســانية خصوصــا، حيث كان محمد بن علي بن عبد الله بن العباس يستمد شــرعيته من وصــية أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية إليــه، وأنها كانت تعتمد على الموالي، فقد انتقلت ظـاهرة الغلو إلى الحركة العباســـية بمختلف فروعها كالروندية والرزامية والهريرية والأبو مسلمية، والـتي كـان يجمعها القـول :" إن الإمـام عـالم يعلم كل شــيء وهو بمنزلة النــبي في جميع أمــوره ، ومن لم يعرفه لم يعــرف الله وليس بمــؤمن بل هو كــافر مشــرك". بينما قــال "الرونديـة" أصـحاب "عبد الله الرونـدي":"إن الإمـام عـالم بكل شــيء وهو الله - عز وجل وتعــالى الله عن ذلك علــوا كبــيرا- ويحيي ويميت، وأن "أبا مسـلم" نـبي مرسل يعلم الغيب، أرسـله أبو جعفر المنصور، وشهدوا أن المنصور هو الله فانه يعلم سرهم ونجواهم، وأعلنوا القول بذلك ودعـوا إليـه، فبلغ قـولهم المنصـور فأخذ منهم جماعة فأقروا بذلك فاستتابهم وأمـرهم بـالرجوع عن قــولهم ذلك فقــالوا: المنصــور ربنا وهو يقتلنا شــهداء كما قتل أنبيـاءه ورسـله على يـدي من شـاء من خلقـه، وأمـات بعضـهم بالهدم والغرق وسلط على بعضهم السـباع وقبض أرواح بعضـهم فجأة.[124]

---

123 - النوبختي، فرق الشيعة، ص 34

124 - النوبختي، فرق الشيعة، ص 52- 53

وكـان "الرزاميـة" قد ظهـروا بخراسـان في أيـام أبي مسـلم الخراسـاني فادعوا حلول الإله فيه فحاربهم ، ولكنهم استمروا سرا حـتى ظهـروا مـرة أخرى تحت اسم "المقنعية، أو المبيضة" في أيام المهدي العباسي، بقيـادة هاشم بن حكيم المروزي الملقب بالمقنع الذي ادعى إحيـاء المـوتى وعلم الغيب، فحاصــره المهــدي وقضى عليــه. وأما الخرمية فهم أتبــاع بابك الخــرمي الــذي ظهر في الجبــال بناحية أذربيجــان ســنة 201 وكــثروا واستباحوا المحرمات وقتلوا الكثير من المسلمين، وجهز إليهم خلفـاء بـني العباس جيوشا كثيرة مع أفشـين الحـاجب ومحمد بن يوسف التغـري وأبي دلف العجلي وبقيت العساكر تغزوهم نحـوا من عشـرين سـنة إلى أن أخذ بابك وأخوه إسحاق بن ابـراهيم وصـلبا بسر من رأى، سـنة 223 في أيـام المعتصم. (النوبختي، فرق الشيعة، ص 47)

"الخطابية":

وفي موجة لاحقة من الغلو هبت على الشيعة في الثلاثينات من القرن الثاني الهجري ، قام أبو الخطاب محمد بن أبي زينب مقلاص الأسدي الكوفي، بالغلو بالإمام الصادق، واستلهام بعض أفكار الحركات الشيعية المغالية السابقة كالكيسانية والبيانية، كفكرة تفسير الدين بالرجال، التي أضلت بعض الشيعة ودفعتهم للاكتفاء بحب أهل البيت عن العمل بطاعة الله.[125]

وتطور أبو الخطاب في مقولاته الباطلة فادعى علم الإمام الصادق بالغيب ونزول الملائكة عليه وتحدثهم معه، وأنه "محدَّث" ثم تطور إلى القول بأن الأئمة أنبياء.[126]

وادعى أبو الخطاب أن أبا عبد الله جعفر بن محمد جعله قيِّمه ووصيه من بعده ، وعلمه اسم الله الأعظم. وكان يحاول أن يلصق نفسه بالإمام الصادق ويظهر للناس أنه قريب منه.[127] فكان يدعي: أن الإمام ضع يده على صدره وقال له :" عُه ولا

---

[125] - وقدكتب إليه الصادق:" بلغني أنك تزعم أن الزنا رجل، وأن الخمر رجل، وأن الصلاة رجل، والصيام رجل، والفواحش رجل، وليس هو كما تقول، إنا أصل الحق، وفروع الحق طاعة الله، وعدونا أصل الشر، وفروعهم الفواحش، وكيف يطاع من لا يعرف، وكيف يعرف من لا يطاع ؟ " الخوئي، معجم الرجال (10012) عن الكشي، ترجمة محمد بن أبي زينب الأسدي، ح رقم 4

[126] - وقد تحاور ذات مرة رجل من أصحابه في المدينة، وهو معلى بن خنيس مع عبد الله ابن أبي يعفور، فقال معلى:" الأوصياء أنبياء". بينما قال ابن أبي يعفور "الأوصياء علماء أبرار أتقياء" فدخلا على الصادق فلما استقر بهما المجلس بدأهما فقال : يا عبد الله أبرأ ممن قال: "إنا أنبياء" . رجال الكشى : 160

[127] - وقد كشفه معاوية بن عمار، الذي يقول : بلغني عن أبي الخطاب أشياء فدخلت على أبي عبدالله (الصادق)، فدخل أبو الخطاب وأنا عنده أو دخلت وهو عنده فلما أن بقيت أنا وهو في المجلس قلت لأبي عبدالله: إن أبا الخطاب روى عنك كذا وكذا ، قال : كذب ، قال : فأقبلت أروي ما روى شيئا مما سمعناه وأنكرناه إلا سألت عنه ، فجعل يقول : كذب. وزحف أبو الخطاب حتى ضرب بيده إلى لحية أبي عبدالله ، فضربت يده وقلت : خلِّ يدك عن لحيته ، فقال أبو الخطاب : يا أبا القاسم لا تقوم ؟ قال أبوعبدالله: له حاجة، حتى قال ثلاث مرات، كل ذلك يقول أبوعبدالله : له حاجة . فقال أبوعبدالله : إنما أراد أن يقول لك: يخبرني ويكتمك ، فأبلغ أصحابي كذا وكذا ، وأبلغهم كذا وكذا. رجال الكشى ، ترجمة محمد بن أبي زينب، ح رقم 9 .

تنسَ !" وأنـــه قـــال له :" عيبة علمنا وموضع ســـرنا أمين على أحيائنا وأمواتنا". [128]

ثم تطـــور أبو الخطـــاب بعد ذلك إلى ادعـــاء الألوهية للإمـــام الصـادق، وتفسـير هـذه الآية : "وهو الـذي في السـماء إله وفي الأرض إله " بـأن إله الأرض هو الإمـام. [129] وادعــاء النبــوة لأبي الخطـاب عن الصـادق. وانه رسـول من قبلـه. ثم ادعى أنه من الملائكة وأنه رسول الله إلى أهل الأرض والحجة عليهم.[130]

وقام "الخطابية" في الكوفة بالتلبية باسم الإمام الصادق .[131] وذهب بعضـهم إلى المدينة وهتفـوا أمـام الإمـام الصـادق : "لبيك جعفر بن محمد لبيك" فرجع الصـــادق إلى منزلـــه مغضبا خائفا ذعرا مما قالوا وسـجد في مسـجده وعفر وجهـه بـالتراب وتـذلل لله، وبريء إليه مما هتف به.

"المفوضة" أو "المفضلية"

وقام أحد أعضاء "الخطابية" السـابقين وهو "المفضل بن عمر الجعفي" (تــوفي ســنة 179هـــ)[132] بــالتنزل درجة عن الألوهية

---

[128] - الخوئي، معجم الرجال (10012) عن الكشـي، ترجمة محمد بن أبي زينب الأسدي، ح رقم 5

[129] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة محدثون مفهمون، ح رقم 2 وكان هذا القول في تأويل آية " وهو الذي في السماء إله وفي الأرض آله" أن إله السماء غير إله الأرض؛ قد ابتدعه من قبل بنان النهدي، فلعنه الصـادق ، وقـال :" والله ما هو إلا الله وحـده لا شـريك له ، إله في السماوات وإله في الأرضين كذب بنان عليه لعنة الله صـغر الله جل جلاله وصغر عظمته".

[130] - وقام أبو الخطاب بتفسير قوله تعالى " وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله" أي بـوحي منه إليه ، وادعى أن كل مـؤمن يـوحى إليه وبالتـالي فهو نـبي. وفسر قوله تعـالى في سـورة النحل "وأوحى ربك إلى النحل" فزعم أنه إذا جاز الوحي إلى النحل فالوحي إلينا أولى بـالجواز. وتـأوَّل آية "وإذ أوحيت إلى الحواريين" فقال بأن المراد بالحواريين في الآية الشريفة الفرقة الخطابية.

[131] - رجال الكشى : 192 و 193

[132] - قــــال عنه **النجاشي**:" مفضل بن عمر أبو عبد الله ، قيل أبو محمد الجعفي : كـوفي ، فاسد المـذهب ، مضـطرب الرواية ، لا يعبأ به . وقيل : إنه كان خطابيا ، وقد ذُكِـرَت له مصـنفات لا يعـول عليها ، وإنما ذكرنا [ه] للشرط الذي قدمناه . وقال عنه **ابن الغضائري** : " ضـعيف ، متهـافت ، مرتفع القول ، خطابي. وقد زيد عليه شيء كثـير ، وحَمَل الغلاة في حديثه

فقال بـالتفويض.[133] أي تفـويض الله للإمـام الصـادق، والأئمة من أهل الـبيت بـالخلق والـرزق والحيـاة والمـوت والحسـاب يـوم القيامـــــة، وأسس فرقة عـــــرفت باسم "المفوضـــــة" أو "المفضـلية".[134] وقد نسب هـؤلاء مقـولتهم المنحرفة إلى الإمـام الصادق، وروى أحـدهم وهو مالك الجهـني قـال: كنا بالمدينة حين أجليت الشـيعة وصـاروا فرقا فتنحينا عن المدينة ناحية ثم خلونا فجعلنا نـذكر فضـائلهم وما قـالت الشـيعة إلى أن خطر ببالنا الربوبية ، فما شـعرنا بشـيء إذا نحن بـأبي عبدالله واقف على حمـار فلم نـدرِ من أين جـاء . فقـال : يا مالك ويا خالد ! مـتى أحـدثتما الكلام في الربوبية ؟ فقلنـا: ما خطر ببالنا إلا السـاعة ، فقـال : اعلما أن لنا ربا يكلأنا بالليل والنهـار نعبـده ، يا مالك و يا خالد قولـوا فينا ما شـئتم ، واجعلونا مخلـوقين ، فكررها علينا مرارا وهو واقف على حماره .[135]

وروى شخص آخر اسمه إسماعيل بن عبد العزيز: أن الإمام أبا عبدالله أمـره ذات مـرة أن يضع له المـاء في المتوضأ ، فتعجب منه وهو يقـول فيه بالربوبية وقـال في نفسه: أنا أقـول فيه كـذا وكـذا ويـدخل المتوضأ يتوضأ ! فلم يلبث أن خـرج أبو عبد الله فقال :" يا إسماعيل لا ترفع البنـاء فـوق طاقته فينهـدم ، اجعلونا مخلوقين وقولوا فينا ما شئتم فلن تبلغوا".[136]

وروى شخص ثالث من هذه الجماعة واسمه كامل التمار قال : كنت عند أبي عبدالله ذات يوم فقال لي :" يا كامل اجعل لنا ربا نؤب إليه ؟ وقولوا فينا : ما شئتم".[137]

حَمْلا عظيما ، ولا يجـــــوز أن يكتب حديثه ، وروى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السـلام ". وقد نقل كلام ابن الغضـائري فيه ابن داود في رجاله والعلامة في الخلاصة آخذين بقوله .

[133] - فقد قال الكشي : ذكرت الطيارة الغالية في بعض كتبها عن المفضل أنه قـال : لقد قتل مع أبي إسـماعيل يعـني أبا الخطـاب سـبعون نبيا كلهم رأى وهلك نبيا فيه . وإن المفضل قـال : دخلنا على أبي عبدالله ونحن اثنا عشر رجلا قـال : فجعل أبوعبدالله يسـلم على رجل رجل منا ويسـمي كل رجل منا باسم نبي وقـال لبعضـنا : السـلام عليك يا نـوح ، وقـال لبعضـنا : السلام عليك يا إبراهيم ، وكان آخر من سـلم عليه قـال : السـلام عليك يا يونس ، ثم قال : لا تخاير بين الأنبياء .

[134] - رجال الكشى : 145

[135] - كشف الغمة : 237 : من كتاب الدلائل للحميري

[136] - بصائر الدرجات : 64 - و 65 .

[137] - آمالي الصـدوق : 130 وخلف المفضـلَ أبو جعفر محمد بن سـنان الزاهري الهمداني توفي سنة 220 هــ . الـذي قـال فيه ابن الغضـائري :

وقد أسس هـؤلاء الغلاة "المفوضـة" الـذين ادعـوا أن الإمـام الصادق سمح لهم بالتقول عليه ما يشاءون، لنوع خطير من الغلو بالأئمة يسبغ عليهم صفات الله وأعمالـه، ويـرفعهم فـوق البشـر. وقد اختلف "المفوضـــة" عمن ســواهم من الغلاة الــذين كــانوا يؤلهـون الأئمـة، بـاعترافهم بحـدوث الأئمة وخلقهم ونفي القـدم عنهم وإضـــافة الخلق والـــرزق مع ذلك إليهم ودعـــواهم أن الله تعالى تفرد بخلقهم خاصة ، وأنه فوض إليهم خلق العــالم بما فيه وجميع الأفعال.

وكان القول بـالتفويض منطلقا لـدى "المفوضـة" لإنكـار مقتل الأئمة أو وفـــاتهم، أو تعرضـــهم لأنـــواع العـــذاب، لأن الأئمة في نظرهم هم المتحكمون في العـالم فكيف تجـوز عليهم الأحـداث. ولذلك فقد كانوا يفسرون تلك الأحداث تفسـيرا باطنيـا، ويـدعون حصول التشابه بهم.

"العليائية"

وبناء على نظرية الحلول، قال رجل آخر كان يندس في شيعة الإمـام جعفر الصـادق، هو "بشـار الشـعيري": بـأن عليا هو رب، ظهر بالعلوية والهاشـمية وأظهر أنه عبـده ورسـوله بالمحمديـة. ووافق أصـحاب أبي الخطـاب في أربعة أشـخاص: علي وفاطمة والحسن والحسين، وأن معنى الأشــخاص الثلاثة فاطمة والحسن والحســين تلــبيس. وفي الحقيقة شــخص علي ، لأنه أول هــذه الأشخاص في الإمامة والكـبر ، وأنكر شـخص محمد (ص) وزعم: أن محمـدا عبدُ "ع" ، و "ع" = "ب" ، فـالعين رمز علي ، والبـاء رمز الـرب ، أي زعمـوا أن محمـدا عبد علي ، وعلي هو الـرب ، تعالى عن ذلك.[138]

ضعيف ، غال ، يضع الحديث ، لا يلتفت إليـه. وقد روى محمد بن سـنان ، عن أبي جعفر الثاني (محمد الجواد) أنه قال : "إن الله تبـارك و تعـالى لم يزل متفـردا بوحدانيته ثم خلق محمـدا وعليا وفاطمة فمكثـوا ألف دهر ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها وأجر ى طـاعتهم عليها وفـوض أمورها إليهم (وفي رواية أخـرى: وفـوض أمر الأشـياء إليهم في الحكم والتصـرف والإرشـــــاد والأمر والنهي في الخلق ، لانهم الـــــولاة فلهم الأمر والولاية والهداية ، فهم أبوابه ونوابه وحجابه) فهم يحلون ما يشـاؤن ويحرمـون ما يشاؤن ولن يشاؤا إلا أن يشاء الله تبارك وتعالى . ثم قـال : يا محمد هـذه الديانة التي من تقدمها مـرق ، ومن تخلف عنها محـق، ومن لزمها لحق ، خذها إليك يا محمد" . الصفار، بصائر الدرجات : 112

[138] - رجـال الكشى : 252 و 253 و الشهرسـتاني، الملل والنحل 1 : 293

وقـال فيهم الشهرسـتاني : أصـحاب العبـاء بن ذارع الدوسي وقـال قـوم ، هو الأسـدي . وكـان يفضّـل عليـاً على النـبي (ص) وزعم أنه الذي بعث محمداً ، يعني علياً وسماه إلهاً . وكان يقول بـــذم محمد (ص) وزعم أنه بعث ليـــدعو إلى علي فـــدعاه إلى نفسه. ويسـمون هـذه الفرقة **"الذميّة"** ومنهم من قـال بالإلهية جميعاً ويقدمون علياً في الأحكـام الإلهية ويسـمونهم "**العينية".** ومنهم من قــال بإلهيتهما جميعــاً ويفضــلون محمــداً في الإلهية ويسـمونهم "**الميمية"** ومنهم من قــال بالإلهية لجملة أشـخاص أصـحاب الكسـاء : محمد وعلي ، وفاطمة والحسن والحسـين ، وقالوا خمستهم شيء واحد والروح حاله فيهم بالسوية.[139]

"المخمسة"

وتفـرعت من "العليائيـة" فرقة أخـرى باسم "المخمّسة" وقد زعمــوا أن الله عــزّ وجّل هو محمد وأنه ظهر في خمسة أشـباح وخمس صور مختلفة ظهر في صـــــــورة محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، وزعموا أن أربعة من هــذه الخمسة تلتبس لا حقيقة لها والمعنى شخص محمد وصـورته لأنه أول شـخص ظهر وأول ناطق نطق ولم يزل بين خلقه موجوداً بذاته يتكـون في أي صورة شاء .

ولهذه الفرقة اعتقادات فاسدة كثـيرة أغلبها تـدور في التشـبيه والتناسخ ، ويــــدعون أن الله ظهر لهم أي للنــــاس بالنورانية فـــدعاهم إلى وحدانَية فلم يقبلـــوا ثم ظهر لهم من بـــاب التوبة والرســـالة فـــأنكروا عليه ذلك ، ثم ظهر لهم من بـــاب الإمامة فقبلوه. فظاهر الله عـزّ وجّل عنـدهم الإمامة وباطنه الله ، وهـذا سبيلهم في كل الأنبياء والملوك من آدم حتى ظهور محمد صـلى الله عليه وآله. ثم قـــــالوا كل من كـــــان من الأوائل مثل أبي الخطـاب ، وبيـان التبّـان ، وصـائد النهـدي والمغـيرة بن سـعيد ، وحمـزة بن عمّـار الـبربري وبزيع الحائك ، والسـري ، ومحمد بن بشير الشعيري ... هم أنبياء أبواب بتغيـير الجسم وتبـديل الاسم. وزعمت هــذه الفرقة أن الشــرائع وضــعت عن الإنســان وأنه ممتحن بها وأن جميع ما حــرم الله مبــاح ، وإن المحرمــات هي رجــال ونســاء من أهل الجحــود والكفر ، وإن جميع العبــادات والفرائض من صوم وحج وزكاة ... هي الأغلال وإنّما كـانت واجبة

---

139 الشهرسـتاني، الملل والنحل ، ص 156- والأشـعري القمي، المقـالات والفرق ، ص 56

على أهل الجحـود والإنكـار ، أما الزنا والسـرقة والخمر واللـواط والرّبا وغير ذلك من المحرّمات إنّما هي رجال ونساء فإذا حرمت على نفسك توليتهم واجتنابهم فقد اجتنبت ما حرم الله عليك.

وكان هـؤلاء "المخمسـة" يعتقـدون أن تلك الأشـباح الخمسة قد حلت في أبدان أشخاص وُكّل إليهم تدبير العـالم وإنهم مـأمورون من الله عزّ وجّل في أداء هذه المهمة والرّبّ ـ عندهم ـ هو الذي علي أرسل هـؤلاء الخمسة وهم : سـلمان الفارسي ، وعمـار بن ياسر، والمقداد بن الأسود الكنـدي ، وأبو ذر الغفـاري ، وعمر بن أمية الصـيمري ، وإنهم مـأمورون من عند الله ــ علي ــ بـإدارة مصالح العالم وسلمان رئيسهم.

"البشرية"

وكما اندس بعض الغلاة في شيعة الإمام الصادق، وفي شيعة أبيه البـاقر، والحركـات الشـيعية الأخـرى من قبل ، فقد انـدس آخـرون في شـيعة الإمـام موسى بن جعفر الكـاظم، وراحـوا يكذبون عليـه، ومن هـؤلاء محمد بن بشـير، الـذي كـان من أهل الكوفة من موالي بني أسد.[140] وكـان يقـول في موسى بالربوبية ويدعي في نفسه أنه نبي، كمن سبقه من الغلاة. كما كـان يقـول بالتناسخ، والأئمة عنـده واحد واحد، إنما هم منتقلـون من قـرن إلى قـــرن. وزعم أن كل من انتسب إلى محمد فهم بيـــوت وظروف، وأن محمـدا هو رب، حل في كل من انتسب إليـه، وأنه لم يلد ولم يولد، وأنه محتجب في هذه الحجب، وزعم أصـحابه : أن الفـرض عليهم من الله تعـالى إقامة الصـلاة والخمس وصـوم شهر رمضان ، وينكـرون الزكـاة والحج وسـائر الفـرايض. وقـالوا بإباحة المحـارم والفـروج والغلمـان، واعتلـوا في ذلك بقـول الله تعالى (أو يزوجهم ذكرانا وإناثا).[141]

ثم قال محمد بن بشير: إن موسى كان ظاهرا بين الخلق يرونه جميعا يتراءى لأهل النور بالنور ولأهل الكدورة بالكـدورة في مثل خلقهم بالإنسانية والبشرية اللحمانية ، ثم حجب الخلق جميعا عن إدراكه وهو قائم بينهم موجود كما كـان غـير أنهم محجوبـون عنه وعن إدراكه كالذي كانوا يدركونه.[142]

---

[140] - الكشي في ترجمة محمد بن بشير.

[141] - رجال الكشى : 297 - 299

[142] - رجال الكشى : 297 وقد لعنه الإمام الكاظم ثلاثا وأباح دمه، ودعا عليه بأن يذيقه الله حر الحديد. المصدر، ص : 297

وقد استغل محمد بن بشير مناسبة وفاة الإمام الكاظم بصورة غامضة في سجن الرشيد في بغداد، لينخرط في صفوف "الواقفية" الذين قالوا بغيبة الإمام وهروبه من السجن، وأنه لم يمت ولم يحبس وأنه غاب واستتر وهو القائم المهدي. فقال: إن موسى بن جعفر استخلفه في وقت غيبته على الأمة وجعله وصيه وأعطاه خاتمه و علمه جميع ما تحتاج إليه رعيته من أمر دينهم ودنياهم، وفوض إليه جميع أمره وأقامه مقام نفسه ، وأنه الإمام من بعد الكاظم. ثم أوصى محمد بن بشير إلى ابنه سميع بالإمامة من بعده، ومن أوصى إليه سميع فهو إمام مفترض طاعته على الأمة إلى وقت خروج موسى بن جعفر وظهوره فيما يلزم الناس من حقوقه في أموالهم وغير ذلك مما يتقربون به إلى الله تعالى ، فالفرض عليهم أداؤه إلى أوصياء محمد بن بشير إلى قيام القائم. وزعم أتباعه أن علي بن موسى وكل من ادعى الإمامة من ولده وولد موسى بن جعفر مبطلون كاذبون غير طيبي الولادة فنفوهم عن أنسابهم وكفروهم لدعواهم الإمامة، وكفروا القائلين بإمامتهم واستحلوا دماءهم وأموالهم.[143]

وفي زمن الكاظم أيضا عادت الحركة "المنصورية" بقيادة ابن زعيمها السابق (الحسين بن أبي منصور) بالظهور مرة أخرى، في أيام المهدي العباسي ، حيث قام بادعاء النبوة ، ونجح بكسب الكثير من الأتباع ، فقتله المهدي وصلبه، مع جماعة من أصحابه.[144]

"الفراتية" أو الغلاة في الإمام الرضا

وفي الوقت الذي كان "محمد بن بشير" يعادى الإمام علي بن موسى الرضا، كانت جماعة أخرى مغالية تشكل امتدادا للخطابية والعليائية، وتقوم بالاندساس في شيعة الرضا، بزعامة رجل يدعى "محمد بن موسى بن الحسن بن فرات البغدادي" الذي كان يدعي أنه باب الإمام الرضا وأنه نبي.[145]

"النصيرية"

---

[143] - رجال الكشى : 297 - 299

[144] - النوبختي، فرق الشيعة، ص 38

[145] - وقد قتله إبراهيم بن المهدى بن المنصور (الملقب بابن شكلة).

وقد ورَّث ابنُ فرات أفكارَه الشيطانية إلى عـدد من الأشـخاص في النصف الأول من القرن الثالث الهجري، كان منهم "السجادة الحسن بن علي بن أبي عثمـــــان" و"علي بن حســـــكة الجوّاز القمي" وتلامذته: "القاسم اليقطيـني الشـعراني " و" الحسن بن محمد، المعــــــروف بـــــــابن بابا القمي" و "محمد بن موسى الشريعي" و"محمد بن نصير النميري الفهري" و"فارس بن حـاتم القزويني". وقد كان هؤلاء في قم والكوفة وبغداد يـدعون الـولاء للأئمة من أهل البيت، ولا سـيما الإمـامين علي بن محمد الهـادي والحسن العسكري، ولكنهم كانوا يدعون "البابية" لهمـا، في حين كان بعضهم كالنميري وابن بابا يزعمان أن الهادي أرسلهما نبيين للناس.[146]

ويقول الكشي: كتب بعض أصـحابنا إلى أبي الحسن العسـكري:" جعلت فداك يا سـيدي إن علي بن حسـكة يـدعي أنه من أوليائك وأنك أنت الأول القـــديم ، وأنه بابك ونبيك أمرته أن يـــدعو إلى ذلك، ويزعم أن الصلاة والزكـاة والحج والصـوم كل ذلك معرفتك ومعرفة من كان في مثل حال ابن حسـكة فيما يـدعي من البابية والنبوة فهو مـؤمن كامل سـقط عنه الاسـتعباد بالصـوم والصـلاة والحج ، وذكر جميع شرائع الدين أن معـنى ذلك كله ما ثبت لك ، ومال إليه ناس كثـير فـإن رأيت أن تمن على مواليك بجـواب في ذلك تنجيهم من الهلكة".

وقال محمد بن نصير الفهري النمـيري، بألوهية الإمـام الهـادي علي بن محمد العســكري وربوبيتــه، وادعى أنه نــبي رســول من قبله، كما كـــان يقـــول بالتناسخ، وإباحة المحـــارم وتحليل نكـــاح الرجـــال بعضـــهم بعضا في أدبـــارهم، ويقـــول: إنه من الفاعل والمفعـول به أحد الشـهوات والطيبـات، وإن الله لم يحـرم شـيئا من ذلك.[147]

وقد استمر بعض الغلاة يدعي "التفويض" للأئمـة، حـتى بعد وفـاة الإمـــام العســـكري، كما يحكي أبو الحسن علي بن أحمد الـــدلال القمي الـذي يقـول :" اختلف جماعة من الشـيعة في أن الله عز

---

[146] - ولا يزال بعض علماء الرجال يأخذ بروايات هؤلاء الغلاة ويقول:" فما كان يروونه ويؤخذ بروايـاتهم إنما هو في زمن اسـتقامتهم وقبل منقلبهم ، فـــالعبرة في زمن الأداء لا في وقت التحمل ، فـــإذا كـــان الأداء زمن الاستقامة فيؤخذ بها ، وما كان في زمن الانحراف والخبط فـذاك مـردود ، سواء كان من هؤلاء أو من غيرهم ممن خالفنا في العقيدة والمبدأ" .

[147] - الكشي، ترجمة النميري

وجل فـوض إلى الأئمة أن يخلقـوا ويرزقـوا ؟ فقـال قـوم : هـذا محـال لا يجـوز على الله عز وجل ، لأن الأجسـام لا يقـدر على خلقها غـير الله عز وجل وقـال آخـرون : بل الله عز وجل أقـدر الأئمة على ذلك وفوض إليهم فخلقوا و رزقوا ، وتنازعوا في ذلك تنازعا شـديدا ، فقـال قائل : ما بـالكم لا ترجعـون إلى أبي جعفر محمد بن عثمان (السفير الثاني الخاص للإمـام المهـدي الغـائب) فتسـألونه عن ذلك ليوضح لكم الحق فيه فانه الطريق إلى صاحب الأمر ، فرضيت الجماعة بأبي جعفر وسلمت وأجابت إلى قوله، فكتبوا المسألة وأنفذوها إليه (في بغـداد) فخـرج إليهم من جهته توقيع (يفـترض أنه من الإمـام المهـدي) نسـخته :" إن الله تعالى هو الذي خلق الأجسـام وقسم الأرزاق لأنه ليس بجسم ولا حال في جسم، ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ، فأما الأئمة عليهم السلام فإنهم يسألون الله تعـالى فيخلق ويسـأله فـيرزق ، إيجابا لمسألتهم وإعظاما لحقهم".[148]

"العذاقرة"

كما استمر القـول بـالحلول، عند بعض أدعيـاء النيابة الخاصة عن الإمام المهدي، كمحمد بن علي الشـلمغاني، المعـروف بـابن أبي العذاقر، الذي كـان وكيلا عن الحسـين بن روح النوبخـتي (الوكيل الثالث عن المهدي) ثم ظهر في بغـداد في سـنة ثلاثمائة واثنـتين وعشـرين، وادعى حلـول روح الاله فيـه، وسـمى نفسه روح القدس، ووضع لأتباعه كتابا سماه بالحاسة السادسة، وصـرح فيه برفع الشريعة وأباح اللواط.[149]

الفصل الرابع: تطور التشيع من حزب سياسي إلى مذهب ديني

148 - المجلسي، بحار الأنوار جلد: 25 من صفحه 336 إلى صفحه 344

149 - وقد ظفر الخليفة الراضي بالله بـابن العـذاقر وبجماعة من أتباعه فقتله وصـلبه ثم أحرقه وطـرح رمـاده في دجلة البغـدادي، الفـرق بين الفرق، ص 249

المبحث الأول: الإمام الباقر والصراع على زعامة الشيعة

في تلك الظروف المشحونة بالغلو في أهل البيت، والتي كان الغلاة لا يتورعون فيها من نسبة النبوة والألوهية للأئمة (كما فعل عبد الله بن سبأ بالنسبة للإمام علي، والكيسانية الحربية بالنسبة للإمام محمد بن الحنفيــة، والجناحية بالنســبة لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفــر، والراوندية بالنســبة للعباســيين والخطابية بالنســبة للصــادق، وغــيرهم وغــيرهم).. في تلك الظــروف، ولد المــذهب الإمــامي الــذي كــان يقــول بــأن الأئمة من أهل الــبيت مفروضــون من الله ومعينــون من قبله لإمامة المســلمين، وأنهم يشكلون امتدادا للنبــوة، ولــديهم علم خــاص من الله لا يحتــاجون معه إلى التعلم والاجتهــاد. وقد نسب الإمــاميون نظـــريتهم في "الإمامة الإلهية" إلى الإمامين محمد بن علي الباقر (57 – 114 هـــ) وجعفر بن محمد الصــادق (تــوفي ســنة 148هـــ)، وروى الكليـــني في "الكـــافي" روايـــات كثـــيرة عنهما بما يفيد تبنيهما ودعوتهما لها.

ورغم شكنا بوضع تلك الروايات على لسان الباقر والصادق، إلا أننا سوف نقــوم باســتعراض نظرية "الإمامة الإلهيــة" كما جــاءت في أهم المصــــادر الإماميـــة. وســـنقوم قبل ذلك باســـتعراض الظروف السياسية التي كانت تحيط بالبــاقر والصــادق. ثم نقــوم بنقد الروايــات "الإماميـــة" المنســـوبة إليها ونـــبين موقفهما من نظرية "الإمامة".

الظروف السياسية المحيطة بالباقر

وجد أبو جعفر محمد بن علي البــاقر نفسه في بداية القــرن الثــاني الهجــري أمــام مجموعة من القيــادات الشــيعية المتنافسة كالهاشـــــميين: أتبـــــاع أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية (توفي سنة 98هـ) والعباسيين (الراوندية) الــذين ادعــوا الوصــية من أبي هاشم (إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عبـــــاس، ثم ابنه ابراهيم الإمــام أخي الســفاح والمنصــور) والجنــاحيين بقيــادة عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيـــار، الـــذي ادعى الوصـــية من أبي هاشم أيضـــا. والحســـنيين بقيـــادة عبد الله بن الحسن بن الحسن، بالإضافة إلى البيانية (اتبــاع بيــان بن ســمعان النهــدي التميمي) والحربية (أتبــاع عبد الله بن عمــرو بن حــرب الكندي) الذين كانوا يــدعون الزعامة لأنفســهم ويتنافســون حــول

قيادة الشيعة. ولـذلك وجد البـاقر نفسه أمـام مهمة كبـيرة تتمثل بالتصـدي لقيـادة الشـيعة، وممارسة حقه في الزعامة كواحد من الهاشميين.

استراتيجية الباقر في الصعود نحو القمة:

أ - شعار "أهل البيت" في مقابل "العترة"

وبما أن العباســيين والطــالبيين (آل جعفر وآل عقيــل) كــانوا يســتندون في بنـاء شـرعيتهم السياسـية إلى دعـوى كـونهم من العــترة النبويــة؛ اعتمــادا على تفســيرهم الخــاص لآية :"قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المـودة في القـربى". الشـورى 23 الـتي كــانت تشــمل (حسب ذلك التفســير) جميع العوائل الهاشــمية المتنافسة في ذلك الوقت.[150] وحديث الثقلين: "إني مخلف فيكم الثقلين: كتـاب الله وعـترتي".[151] الـذي كـان يشـمل كل من له

[150] - حيث كان العباسيون والطالبيون يجادلون بأنهم مع العلويين أبناء عم الرسول، وأنهم جميعا ينضوون تحت عنوان عـام هو "عـترة الرسـول" لأن "العترة" حسب اللغة: هم أقرباء الرجل الذين يشـتركون معه في "العـتر" أي الـذكر، وتطلق على الأبنـاء وأبنـاء العم. كما يقـول الفيروزآبـادي، في القاموس المحيط: العَتْر ، والعِتْر، جمـع: عتـور: الـذكر، الفـروج المنعضـة، والعِترة: نسل الرجل، ورهطه، وعشيرته الأدنون ممن مضى وغبر.
وذكر الطبري:" أن أبا العباس (عبد الله بن محمد بن علي السفاح) لما صعد المنبر حين بويع له بالخلافة .. قال: الحمد لله الـذي ... خصـنا بـرحم رسول الله (ص) وقرابته وأنشأنا من آبائه وأنبتنا من شـجرته واشـتقنا من نبعته .. ووضعنا من الإسلام وأهله بالموضع الرفيع وأنـزل بـذلك على أهل الإسلام كتابا يتلى عليهم فقـال عز من قائل فيما أنـزل من محكم القـرآن (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهـركم تطهـيرا) وقـال: (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القـربى) وقـال: (وأنـذر عشـيرتك الأقربين) وقال: (ما أفاء الله على رسوله من أهل القـرى فلله وللرسـول ولذي القربى واليتامى) وقال: (واعلمـوا أنما غنمتم من شئ فـأن لله خمه وللرسول ولذي القربى واليتامى) فأعلمهم جل ثناؤه فضـلنا وأوجب عليهم حقنا ومودتنا وأجزل من الفيء والغنيمة نصيبنا تكرمة لنا وفضلا علينا والله ذو الفضل العظيم". تاريخ الرسل والملوك، ج 6 ص 82

[151] - ورد حـديث "الثقلين" بعـدة صـيغ، منها : إني مخلّف فيكم الثقلين : كتاب الله عزّ وجل وعترتي، فقط، ومنها بصـيغة: أهل بيـتي، ومنها بصـيغة تجمع الاثنين: عترتي أهل بيتي. وقد ذكر مسلم في بـاب فضـائل علي بن أبي طـالب ، كتـاب فضـائل الصّـحابة : حـديثا عن زيد بن أرقم يضع "أهل البيت" مكان "العترة". قال :" قام رسول الله (ص) يوماً فينا خطيباً بمـاءٍ يدعى خمّاً ، بين مكة والمدينة ، فحمد الله وأثـنى عليه ، ووعظ وذكّر ، ثم قـال : أما بعد ، ألا أيّها النـاس ، فإنما أنا بشر يوشك أنْ يـأتي رسـول ربي

علاقة نسـبية بالرسـول، لأن "العـترة" حسب اللغـة: هم أقربـاء الرجل الذين يشـتركون معه في "العـتر" أي الـذكر، وتطلق على الأبنـاء وأبنـاء العم.[152] لهـذا كـان على البـاقر أن يضـيق دائـرة الشـرعية، ويفند دعـاوى العباسـيين والطـالبيين، ويؤسس دعوته للإمامة على أسـاس جديد مغـاير، ويقـدم حجـة أقـوى تسـمح له بإفحام خصومه تمهيدا للتفـرد بالزعامة، ودعـوة النـاس إليه دون غيره.

وبناء على ما يسـتنتج من بعض الروايـات، ولكي يخـرج البـاقر أبناء عمه من حلبة الصراع، قـام أولاً بطـرح شـعار "أهل الـبيت" في مقابل شـعار "العـترة" الـذي كـان يتشـبث به العباسـيون والطالبيون. وخطب في المدينة قـائلا:" قد بلغ رسـول الله (ص) الـذي أرسل به فـألزموا وصـيته وما تـرك فيكم من بعـده من الثقلين كتـاب الله وأهل بيته اللـذين لا يضل من تمسك بهما ولا يهتدي من تركهما".[153] وقام بتفسير كلمة "أهل الـبيت" الـواردة في القـرآن الكـريم في سـورة الأحـزاب: "إنما يريد الله ليـذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا" بـأن المقصـود منهـا: "الأئمة" من نسل الرسـول، الـذين أوصى بهم وأمر باتبـاعهم.[154] وقال :" نحن والحمد لله لا ندخل أحـدا في ضـلالة ولا نخرجه من هدى، إن الـدنيا لا تـذهب حـتى يبعث الله عز وجل رجلا منا (أهل البيت) يعمل بكتاب الله لا يرى فيكم منكـرا إلا أنكـره".[155] وروى عن رسـول الله (ص) أنه قـال:" أنا أول وافد على العزيز الجبـار

فـأجيب ، وأنا تـارك فيكم ثقلين : أوّلهما كتـاب الله فيه الهـدى والنـور ، فخذوا بكتـاب الله واستمسـكوا به . فحثّ على كتـاب الله ورغّب فيه . ثم قال : وأهل بيتي . أذكّركم الله في أهل بيتي ، أذكّركم الله في أهل بيتي ، أذكّركم الله في أهل بيتي . فقال له حصين : ومن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال: نساؤه من أهل بيته ، ولكنْ أهل بيته من حـرم الصّـدقة بعـده . قـال : ومن هم؟ قـال : هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس ". وورد الحـديث في سـنن الترمـذي جامعا للكلمـتين:"عـترتي أهل بيتي". 3|26

[152] - الفيروزآبادي، القاموس المحيط: العَتْر ، والعِتْر، جمع: عتـور: الـذكر، الفروج المنعضة، والعِترة: نسل الرجل، ورهطـه، وعشـيرته الأدنـون ممن مضى وغبر.

[153] - وقد ورد حديث "الثقلين" بعدة صيغ، منها : إني مخلّف فيكم الثقلين : كتاب الله عزّوجل وعترتي، فقط، ومنها بصيغة: أهل بيـتي، ومنها بصـيغة تجمع الاثنين: عترتي أهل بيتي.

[154] - الكليني، الكافي، الروضة، ح رقم 5494 - 6 _

[155] - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم، 597

يـــوم القيامة وكتابه وأهل بيـــتي ثم أمـــتي، ثم أســـألهم ما فعلتم بكتاب الله وبأهل بيتي".[156]

وفي محاولة أخرى منه للرد على العباسيين والطالبيين، قام الباقر بالاحتجاج بأن العلويين، أو الفـاطميين بالخصـوص، هم من صـلب رسـول الله (ص) وبالتـالي فهم أحق بالإمامة من غـيرهم. ولإثبات قرابته من رسول الله (ص) في مقابلهم، قال الباقر لأحد أصـحابه المقـربين (زيـاد بن المنـذر العبـدي) : يا أبا الجـارود ما يقولون (العباسـيون) لكم في الحسن والحسـين؟ قـال: ينكـرون علينا أنهما ابنا رسول الله (ص). قال: فأي شئ احتججتم عليهم؟ قال: احتججنا عليهم بقـول الله (عز وجـل) في عيسى ابن مـريم (ع):" ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهـارون وكذلك نجزي المحسنين ، و زكريا ويحيى وعيسى" فجعل عيسى ابن مريم من ذرية نوح (ع). قال أبو جعفر: فأي شئ قـالوا لكم؟ قال: قـالوا: قد يكـون ولد الابنة من الولد ولا يكـون من الصـلب. قال: فأي شئ احتججتم عليهم؟ قال أبو الجـارود: احتججنا عليهم بقول الله تعالى لرسوله (ص): " قل تعـالوا نـدع أبناءنا وأبنـاءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم". قال أبو جعفر الباقر: فـأي شئ قـالوا؟. قـال: قـالوا: قد يكـون في كلام العـرب أبنـاء رجل وآخر يقول: أبناؤنا. فقال أبو جعفـر: يا أبا الجـارود لأعطينَّكها من كتاب الله (جل وتعالى) أنهما من صلب رسول الله (ص) لا يردها إلا الكافر. قال: وأين ذلك جعلت فداك؟ قال: من حيث قـال الله تعالى: "حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم" الآيــة.. إلى أن

---

[156] - الكليني، الكـافي، كتـاب فضل القـرآن، حـديث رقم 4 ولكن السـنة رفضـوا تخصـيص كلمة "أهل الـبيت" بسـلالة معينـة، وفسـروها بمعـنى مرادف لكلمة "العترة" بحيث تشـمل كل البيوتـات الـتي ترتبط بالرسـول، وقد ذكر مســلم في بــاب فضــائل علي بن أبي طــالب ، كتــاب فضــائل الصّحابة : حديثا عن زيد بن أرقم يضع "أهل البيت" مكـان "العـترة". قـال :" قـام رسـول الله **(ص)** يومـاً فينا خطيبـاً بمـاءٍ يـدعى خمّـاً ، بين مكة والمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ووعظ وذكّر ، ثم قال : أما بعد ، ألا أيّها الناس ، فإنما أنا بشر يوشك أنْ يأتي رسول ربي فأجيب ، وأنا تـارك فيكم ثقلين : أوّلهما كتاب الله فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به . فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه . ثم قال : وأهل بيـتي . أذكّـركم الله في أهل بيـتي ، أذكّـركم الله في أهل بيـتي ، أذكّـركم الله في أهل بيـتي . فقال له حصين : ومن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قـال: نساؤه من أهل بيته ، ولكنْ أهل بيته من حرم الصّـدقة بعـده . قـال : ومن هم؟ قال : هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عبـاس ". وورد الحـديث في سنن الترمذي جامعا للكلمتين:"عترتي أهل بيتي". 3|26

انتهى إلى قوله تبـــارك تعـــالى: "وحلائل أبنـــائكم الـــذين من أصلابكم" فسلهم يا أبا الجـارود هل كـان يحل لرسـول الله (ص) نكاح حليلتيهما؟ (أي زوجتي الحسن والحسـين) فـإن قـالوا: نعم، كذبوا وفجروا وإن قالوا: لا فهما ابناه لصلبه".[157]

وارتكز البـاقر أيضـاً على آية أولي الأرحـام: " النــبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهـاتهم وأولـوا الأرحـام بعضـهم أولى ببعض في كتاب الله" .الأحزاب 6، ليحصر الإمامة في ذرية النبي. وقال:" إنها نزلت في الإمرة، فنحن أولى بـالأمر وبرسـول الله (ص) من المؤمنين والمهـاجرين والأنصـار".[158] وبما أن الآية - على هــذا التفسـير - كـانت تشـمل جميع أرحــام النــبي من العباسيين والطـالبيين، فقد فسـرها البـاقر تفسـيرا ثانيا بالذريـة، وقال لعبد الرحيم بن روح القصير الـذي سـأله: هل لولد جعفر أو العبـاس أو سـائر بطـون بـني عبد المطلب فيها نصـيب؟ قـال بصورة قاطعة:" لا، لا، لا".[159]

ب – دعوى النص على الإمام علي

وحسبما يروي الكليني فقد طرح الباقر من أجل إثبات حقه في الإمامة، إضافة إلى ذلك، حجة أخـرى هي: " الوصـية والنص على الإمام علي بن أبي طـالب بالخلافة من رسـول اللـه". حيث قـام بتقــديم رواية خاصة عن النــبي (ص) وتأويل آية إكمــال الــدين بالولاية، فقال:"... نزلت الولاية في يوم الجمعة بعرفة، أنزل الله عز وجــل: " اليــوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمــتي " وكان كمال الـدين بولاية علي ابن أبي طـالب (ع) ... فـنزلت " يا أيها الرســول بلغ ما انــزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين" فأخذ رسول الله (ص) بيد علي فقال: أيها الناس إنه لم يكن نبي من الأنبياء ممن كـان قبلي إلا وقد عمَّره اللـه، ثم دعـاه فأجابـه، فأوشك أن ادعى فــأجيب وأنا مســؤول وأنتم مســؤولون فما ذا أنتم قــائلون؟ فقــالوا: نشــهد أنك قد بلغت ونصــحت، وأديت ما عليك فجزاك الله أفضل جـزاء المرسـلين، فقـال: اللهم اشـهد - ثلاث مــرات - ثم قــال: يا معشر المســلمين هــذا **وليكم من**

---

157 - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 501

158 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما نص الله ورسوله على الأئمة واحدا بعد واحد، ح رقم 2

159 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما نص الله ورسوله على الأئمة واحدا بعد واحد، ح رقم 2

بعــدي فليبلغ الشــاهد منكم الغــائب...ثم إن رســول الله (ص) حضره الذي حضــر، فـدعا عليا فقـال: يا علي إني أريد أن أأتمنك على ما ائتمنـــني الله عليه من غيبه وعلمه ومن خلقه ومن دينه الذي ارتضاه لنفسه. فلم يشـرك والله فيها أحـدا من الخلق".[160]
كما روى حديثا عن الإمام علي أنه خطب في أصحاب رسول الله بعد وفاته قـائلا:"إن الله تبـارك اسـمه ... شدَّ بي أزر رسـوله .. واختصـني بوصـيته واصـطفاني بخلافته في أمته فقـال (ص) .. : أيها الناس إن عليا مني كهارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي... كان ذلك منه استخلافا لي كما استخلف موسى هـارون (ع) حيث يقول: "اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين". [161]

وربما كان الهدف من هاتين الروايـتين إثبـات الإمامة بـالنص للإمام علي من أجل إخـراج العباسـيين والطـالبيين من المنافسة حولها ومنعهم من ادعاء الحق بالإمامة باسم "العترة".

ج - حصر الإمامة في الفاطميين و إخراج سائر العلويين منها

وحسب بعض الروايات التي يذكرها الكليني، فإن الباقر حـاول أن يخـرج أبنـاء عمه العلـويين واحـداً واحـداً من المنافسة معه، بدعوى اختصاص العلم والإمامة بأشخاص معينين من أبنـاء علي. واعتبار ادعاء الإمامة "دون حق" افتراء على الله، حتى وإن كـان المدعي من ولد علي بن أبي طالب. فانتقل إلى الخطوة التالية، وهي حصر الإمامة في الفـــاطميين ثم في الحســـينيين، فقـــام بــإخراج عمه محمد بن الحنفية (وبالتـالي أبنـاءه زعمـاء الحركة الكيسـانية) من وراثة الإمامة، فقـال: "إن عليا لما حضـره الـذي حضره دعا ولده وكـانوا اثنا عشر ذكـرا فقـال لهم: يا بـني ... إن هــذين ابنا رســول الله (ص) الحسن والحســين، فاســمعوا لهما وأطيعـــوا، ووازروهما فـــإني قد ائتمنتهما على ما ائتمنـــني عليه رســـول الله (ص) مما ائتمنه الله عليه من خلقه ومن غيبه ومن دينه الـذي ارتضـاه لنفسـه. فـأوجب الله لهما من علي ما أوجب لعلي من رسول الله (ص) ... ثم إن الحسن حضره الذي حضره فسلم ذلك إلى الحسين، ثم إن حسينا حضره الذي حضـره فـدعا ابنته الكــبرى فاطمة - بنت الحســين - فـــدفع إليها كتابا ملفوفا ووصية ظاهرة وكان علي بن الحسـين مبطونا لا يـرون إلا أنه لما

[160] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما نص الله ورسوله على الأئمة واحدا بعد واحد، ح رقم 6
[161] - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، خطبة الوسيلة

به، فـدفعت فاطمة الكتـاب إلى علي بن الحسـين ثم صـار والله ذلك الكتاب إلينا".[162]

وفي رواية أخـرى يقـول أبو جعفر البـاقر: إن الإمـام أمـير المؤمنين دفع إلى ابنه الحسن، الكتاب والسلاح وقال له : يا بـني أمـــرني رســـول الله (ص) أن أوصي إليك وأن أدفع إليك كتـــبي وســـلاحي كما أوصى إلي ودفع إليَّ كتبه وســـلاحه، وأمـــرني أن آمرك إذا حضرك الموت أن تـدفعها إلى أخيك الحسـين، ثم اقبل على ابنه الحسين فقال: وأمرك رسول الله (ص) أن تـدفعها إلى ابنك هذا، ثم أخذ بيد علي بن الحسين. ثم قال له: وأمرك رسول الله (ص) أن تـدفعها إلى ابنك محمــد، واقــرأه من رســول الله (ص) ومني السلام.[163]

وقد ورد موضوع "السـلام" أيضا في رواية عن جـابر بن عبد الله الأنصـاري (تـوفي سـنة 78) أنه أخذ بيد البـاقر وقـال:" إن رسول الله (ص) أخبرني أني سأدرك رجلا من أهل بيته يقال لـه: محمد بن علي يكنى أبا جعفر، فإذا أدركته فـاقرأه مـني السـلام" فقال له أبـوه: "هنيئا لك يا بـني ما خصك الله به من رسـوله من بين أهل بيتك لا تطلع اخوتك على هذا فيكيدوا لك كيدا، كما كادوا اخوة يوسف ليوسف عليه السلام".[164]

---

[162] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما نص الله ورسوله على الأئمة واحدا بعد واحد، ح رقم 6

[163] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الإشـارة والنص على الحسن بن علي، ح رقم 1 و 5 وتكملة لهـــذه الرواية يقـــول أبو عبد الله جعفر بن محمد:" إن الحسن اســـتدعى عند موته أخـــاه محمد بن الحنفية وحـــذره قـائلا:"يا محمد بن علي إني أخـاف عليك الحسـد...أما علمت أن الحسـين بن علي بعد وفاة نفسي، ومفارقة روحي جسـمي، إمـام من بعـدي، وعند الله جل اسمه في الكتاب، وراثة من النـبي (ص) أضـافها الله عز وجل له في وراثة أبيه وأمه، فعلم الله أنكم خـيرة خلقـه، فاصـطفى منكم محمـدا (ص) واختار محمد عليـا، واختـارني علي بالإمامـة، واخـترت أنا الحسـين". الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الإشارة والنص على الحسين بن علي، ح رقم 2

[164] - الكليني، الكـافي، كتـاب الحجـة، بـاب الإشـارة والنص على علي بن الحسين، ح رقم 3 (ملاحظة توجد عدة روايات أنه رآه في الكتّاب أو في الـبيت (ينبغي أن يكـون حـوالي سـنة 68 للهجـرة)، ورواية أخـرى يرويها القاضي النعمان في المناقب، أن الباقر زار جـابر الـذي كـان أعمى فأبلغه سلام رسول الله، ورواية ينقلها الطبري في م3 ص 2496)

ولكن البـاقر كـان يواجه مشـكلة صـعبة تتمثل في وصل حبل الإمامة الـــذي انقطع بــــاعتزال أبيه علي زين العابــــدين عن السياسة، وتصدي عمه محمد ابن الحنفية لقيادة الشيعة، إضــافة إلى عـدم وجـود نص واضح وصـريح ومعـروف من الحسـين لابنه علي بالإمامة، فقد قتل الحسين في كـربلاء دون أن يوصي إليه – حسبما يقول الباقر والصادق -: "لأنه كـان مبطونا لا يـرون إلا أنه لما بـه".[165] والروايـات المنقولة تشـير إلى أن البـاقر حـلَّ هـذه المشـكلة بـالقول: "إن الحسـين أوصى إلى ابنته الكـبرى فاطمة وسلمها كتابا ملفوفا ووصـية ظـاهرة. وإن فاطمة دفعت الكتـاب إلى علي بن الحســين، ثم صــار والله ذلك الكتــاب إلينا".[166] أو القول "إن الحسين لما صار إلى العراق استودع أم سـلمة رضي الله عنها الكتب والوصــية، فلما رجع علي بن الحســين دفعتها إليه".[167]

وقـال البـاقر للكيسـانية:" إن رسـول الله (ص) أوصى إلى علي والحسن والحســــــــين فلما مضى علي أوصى إلى الحسن والحسين، ولو ذهب يزويها عنهما لقالا له: نحن وصيان مثلك ولم يكن ليفعل ذلــك، وأوصى الحسن إلى الحسـين ولو ذهب يزويها عنه لقــال: أنا وصي مثلك من رســول الله (ص) ومِن أبي. ولم يكن ليفعل ذلك، قال الله عز وجل: "وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض" هي فينا وفي أبنائنا".[168] وقد أثار البـاقر في حـوار مع ابن عمه أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفيـــة، في المســـجد النبـوي، موضـوع النسب الفـاطمي كـدليل على أحقيته بالإمامـة، فقال له:" قل ما بدا لك فأنا ابن فاطمة وأنت ابن الحنفية".[169]

"معجزة الحجر الأسود"

---

[165] - الكليني، الكافي، كتاب الحجـة، بـاب الإشـارة والنص على علي بن الحسين، ح رقم 1 و 2

[166] - الكليني، الكافي، كتاب الحجـة، بـاب الإشـارة والنص على علي بن الحسين، ح رقم 1 و 2

[167] - الكليني، الكافي، كتاب الحجـة، بـاب الإشـارة والنص على علي بن الحسين، ح رقم 3

[168] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما نص الله ورسـوله على الأئمة واحدا بعد واحد، ح رقم 7

[169] - يقـول المسـقطي في الموسـوعة الإسـلامية: إن أبا هاشم عبد الله شتم الباقر في المسـجد، فـرد عليه البـاقر قـائلا:" قل ما بـدا لك فأنا ابن فاطمة وأنت ابن الحنفية". (ط 2، م1، ص 124ـ 125 عن كتاب الفكر الشيعي المبكر ، تعاليم الإمام محمد الباقر، لالرزينة لالاني)

وحسبما يقول الكليني والصفار وابن بابويه فـإن البـاقر قـام أيضا بتدعيم موقفه ضد الكيسانية برواية هذه القصة "الإعجازية" فقــال: "لما قتل الحســين أرسل محمد بن الحنفية إلى علي بن الحسين.. فخلا به فقال له: يا ابن أخي قد علمت أن رســول الله (ص) دفع الوصـية والإمامة من بعـده إلى أمـير المؤمـنين ثم إلى الحســن، ثم إلى الحسـين، وقد قتل أبـوك رضي الله عنه وصلى على روحه ولم يوص، وأنا عمك وصنو أبيك وولادتي من علي في سني وقديمي أحق بها منك في حداثتك، فلا تنازعني في الوصـية والإمامة ولا تحاجني. فقـال له علي بن الحسـين : يا عم اتق الله ولا تدَّعِ ما ليس لك بحق إني أعظك أن تكـون من الجـاهلين، إن أبي يا عم صلوات الله عليه أوصى إلي قبل أن يتوجه إلى العراق وعهد إلي في ذلك قبل أن يستشهد بساعة، وهـذا سـلاح رسـول الله (ص) عندي، فلا تتعرض لهذا، فـإني أخـاف عليك نقص العمر وتشــتت الحــال، إن الله (عز وجل) جعل الوصــية والإمامة في عقب الحســين فــإذا أردت أن تعلم ذلك فــانطلق بنا إلى الحجر الأسود حتى نتحاكم إليه ونسأله عن ذلك. قال أبو جعفر (الباقر): وكان الكلام بينهما بمكة، فانطلقا حـتى أتيا الحجر الأسـود، فقـال علي بن الحســين لمحمد بن الحنفيــة: ابــدأ أنت فابتهل إلى الله (عز وجل) وسـله أن ينطق لك الحجر ثم سـل، فابتهل محمد في الــدعاء وســأل الله ثم دعا الحجر فلم يجبــه، فقــال علي بن الحسين: يا عم لو كنتَ وصيا وإماما لأجابك، قال له محمد: فـادع الله أنت يا ابن أخي وسـله، فـدعا الله علي بن الحسـين بما أراد ثم قال: أسألك بالذي جعل فيك ميثـاق الأنبيـاء وميثـاق الأوصـياء وميثــاق النــاس أجمعين لما أخبرتنا من الوصي والإمــام بعد الحسـين بن علي؟ قـال: فتحـرك الحجر حـتى كـاد أن يـزول عن موضعه، ثم أنطقه الله عز وجل بلسان عربي مبين، فقـال: اللهم إن الوصية والإمامة بعد الحسـين ابن علي إلى علي بن الحسـين بن علي بن أبي طـالب وابن فاطمة بنت رسـول الله (ص) قـال: فانصـــرف محمد بن علي وهو يتـــولى علي بن الحســـين عليه السلام".[170]

"معجزة حصاة أم أسلم"

---

[170] - الكليني، الكـافي، كتـاب الحجـة، بـاب ما يضل به بين دعـوى المحق والمبطل في أمر الإمامة، ح رقم 5 والصفار، بصـائر الـدرجات، ج 10 ص 502، وابن بابويه، الإمامة والتبصرة من الحيرة، ص 60

وروي عن الباقر أنه قال: إن امرأة تسمى "أم أسلم" جاءت يوما إلى النبي (ص) فقالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله إني قد قرأت الكتب وعلمت كل نبي ووصي، فموسى كان له وصي في حياته ووصي بعد موته، وكذلك عيسى، فمن وصيك يا رسول الله؟ فقال لها: يا أم أسلم وصيي في حياتي وبعد مماتي واحد، ثم قال لها: يا أم أسلم من فعل فِعْلي هذا فهو وصيي، ثم ضرب بيده إلى حصاة من الأرض ففركها بإصبعه فجعلها شبه الدقيق، ثم عجنها، ثم طبعها بخاتمه، ثم قال: من فعل فعلي هذا فهو وصيي في حياتي وبعد مماتي، فخرجت من عنده، فأتيت أمير المؤمنين فقلت: بأبي أنت وأمي أنت وصي رسول الله (ص)؟ قال: نعم يا أم أسلم ثم ضرب بيده إلى حصاة ففركها فجعلها كهيئة الدقيق، ثم عجنها وختمها بخاتمه، ثم قال: يا أم أسلم من فعل فعلي هذا فهو وصيي، فأتيت الحسن وهو غلام فقلت له: يا سيدي أنت وصي أبيك؟ فقال: نعم يا أم أسلم، وضرب بيده وأخذ حصاة ففعل بها كفعلهما، فخرجت من عنده فأتيت الحسين - وإني لمستصغرة لسنه - فقلت له: بأبي أنت وأمي، أنت وصي أخيك؟ فقال، نعم يا أم أسلم ائتيني بحصاة، ثم فعل كفعلهم. فعمرت أم أسلم حتى لحقت بعلي بن الحسين بعد قتل الحسين في منصرفه، فسألته أنت وصي أبيك؟ فقال: نعم، ثم فعل كفعلهم صلوات الله عليهم أجمعين". [171]

ادعاء "علم الغيب"

وحسبما جاء في "رجال الكشي" فقد روى الباقر عن أبي خالد الكابلي (خادم محمد بن الحنفية) أنه لم يكن يشك في إمامة ابن الحنفية ، حتى أتاه ذات يوم فقال له : جعلت فداك إن لي حرمة ومودة وانقطاعاً ، فأسألك بحرمة رسول الله وأمير المؤمنين إلا أخبرتني أنت الإمام الذي فرض الله طاعته على خلقه؟ قال : فقال :" يا أبا خالد حلفتني بالعظيم ، الإمام: علي بن الحسين عليه السلام وعليك وعلى كل مسلم". فأقبل أبو خالد لما سمع ما قاله محمد بن الحنفية، إلى علي بن الحسين، فاستأذن عليه ، فلما دخل عليه دنا منه قال : مرحباً بك يا "كنكر" ما كنت لنا بزائر ما بدا لك فينا ؟ فخرَّ أبو خالد ساجداً شاكراً لله تعالى مما سمع من علي بن الحسين عليه السلام فقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى عرفت. فقال له علي: وكيف عرفت إمامك يا أبا

---

171 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما يضل به بين دعوى المحق والمبطل في أمر الإمامة، ح رقم 15

خالد ؟ قال : إنك دعوتني باسمي الذي سمّتني أمي التي ولـدتني ، وقد كنت في عمياء من أمري ، ولقد خـدمت محمد بن الحنفية عمراً من عمري ولا أشك إلا وانه إمام، حتى إذا كان قريباً سألته بحرمة الله وبحرمة رسـوله وبحرمة أمـير المؤمـنين فأرشـدني إليك وقـال : هو الإمـام عليَّ وعليك وعلى خلق الله كلهم ، ثم أذنت لي فجئت فدنوت منك سميتني باسمي الـذي سـمتني أمي فعلمت انك الإمـام الـذي فـرض الله طاعته عليَّ وعلى كل مسلم.[172]

د - إقصاء بني الحسن

وحسبما تقول بعض الروايات الأخـرى، فقد قـام الإمـام محمد البـاقر، بعد إقصـاء أبنـاء محمد بن الحنفيـة، بخطـوة أخـرى هي إقصاء بني عمه الحسن الذين كانوا ينافسونه في قيـادة الشـيعة، وحصر الإمامة في أبنـاء الحسـين. وبما أن آية أولي الأرحـام " النـبي أولى بـالمؤمنين من أنفسـهم وأزواجه أمهـاتهم وأولـوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله" كانت – حسب تفسير الباقر السابق - تشمل أبنـاء الحسن والحسـين، فقد قـام البـاقر، حسب بعض الروايـات، باتهـام أبنـاء عمه بالكـذب على الله بادعائهم الإمامة، وأوَّلَ هذه الآية: "ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة" بهم، ثم فسرها بقوله:" من قـال إني إمام وليس بإمام.. وإن كـان علويـا".[173] وفي رواية أخـرى:"وإن كان فاطميا علويا".[174] وعنـدما سـأله عبد الـرحيم القصـير : هل لولد الحسن فيها (إي في الإمرة) نصيب؟ قـال: "لا واللـه، يا عبد الرحيم ما لمحمدي فيها نصـيب غيرنـا، وإن هـذه الآية جـرت في ولد الحسين من بعده".[175]

وقد أثـار حصر البـاقر للإمامة في ولد الحسـين، ابنَ عمه عبد الله بن الحسن بن الحسن الـذي رد عليه قـائلا:" كيف صـارت الإمامة في ولد الحسـين دون الحسن وهما سـيدا شـباب أهل

---

[172] - الكشي 2 | 336
[173] - الكليني، الكـافي، كتـاب الحجـة، بـاب أنه من ادعى الإمامة وليس لها بأهل، ح رقم 1

[174] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أنه من ادعى الإمامة وليس لها بأهل، ح رقم 3
[175] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما نص الله ورسوله على الأئمة واحدا بعد واحد، ح رقم 2

الجنـــة؟ وهما في الفضل ســواء؟ ألا إن للحسن على الحســين فضلا بالكبر، وكان الواجب أن تكون الإمامة إذن في الأفضل".[176] مما دفع الباقر للرد عليه، فقال:"كذبوا والله، أوَ لم يسمعوا الله تعالى يقول:" وجعلها كلمة باقية في عقبه" فهل جعلها إلا في عقب الحسين؟". [177]

ولاية الدم

وحسب رواية ينقلها العياشي في تفسيره، فإن الباقر حاول أن ينتقد الإمام الحسن بسبب تنازله لمعاوية، وأن يثبت حقه بالإمامة بناء على ولاية دم الحسين، فقال :" رحم الله عمي الحسن .. لقد غمد الحسن أربعين ألف سيف حين أصيب أمير المؤمنين، وأسلمها إلى معاوية .. وخرج الحسين صلوات الله عليه فعرض نفسه على الله في سبعين رجلا !.. مَن أحق بدمه منا ؟.. نحن والله أصحاب الأمر وفينا القائم ومنا السفاح والمنصور، وقد قال الله تعالى :"ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا". نحن أولياء الحسين بن علي وعلى دينه". [178] غير أن هذا التأويل كذلك لم يكن مقنعا بصورة كافية ولا حاسما في معركة التنافس على الإمامة.

سلاح رسول الله (ص)

وفي محاولة لتجاوز هذا الخلاف مع أبناء عمه الحسنيين، وتعزيز شرعية مطالبته بقيادة الشيعة، اعتمد الباقر- إضافة إلى موضوع "ولاية الدم"- على موضوع آخر هو: "امتلاكه لسلاح رسول الله" ووراثته من أجداده، حيث روي أنه كان يقول:" إن السلاح فينا كمثل التابوت في بني إسرائيل كان حيثما دار فثم الملك، وحيث ما دار السلاح فثم العلم". وكان يتساءل في معرض تفنيد دعاوى بني عمه: "ألا يقولون عند من كان سلاح رسول الله ؟..وما كان في سيفه من علامة كانت في جانبيه إن كانوا يعلمون؟". [179]

---

176 - ولذلك ذهب قسم من الشيعة في تلك الأيام (كالجارودية) إلى أن الإمامة في أعقاب الحسن والحسين. المفيد، الثقلان، ص 10

177 - الخزاز، كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، ص 246

178 - العياشي، التفسير، ج 2 ص 291

179 - الصفار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات، ص، 176 و 178

ولكن الباقر لم يستطع حسم المعركة بإظهار سلاح رسول الله للملأ، وظل موقفه بالتـالي ضـعيفا أمـام أبنـاء عمه الحسـنيين الـذين كـان يـتزعمهم عبد الله بن الحسن بن الحسـن، ويحـاول قيادة عموم الشيعة ويدعي أيضا امتلاكه لسلاح رسول الله.

هـ - إقصاء الباقر لأخوته العشرة

وخـاض الإمـام البـاقر معركة أخـيرة في إثبـات الإمامة بالوراثة لشخصه من بين اخوته العشـرة.[180] لا سـيما وأن النـاس كـانوا يتسـاءلون :"ما بالها أبطحت من ولد أبيه مَن له مثل قرابته ومن هو أكـبر منه وقصـرت عمن هو اصـغر منه؟" فاعتمد في حصر الإمامة فيه من بين اخوتـه، على دعـوى الوصـية إليه من أبيه ووراثته لسلاح رسول الله، حيث قال: "يعـرف صـاحب هـذا الأمر بثلث خصال لا تكون في غـيره، هو أولى النـاس بالـذي قبله وهو وصيه وعنده سلاح رسول الله (ص) ووصيته وذلك عندي لا أنـازع فيه".[181] وقـال إن أبـاه ورث سـلاح رسـول اللـه، من أبيه وجـده فاختصه به عند وفاتـه، وكـان يوجد في سـفط، وعنـدما نازعه اخوته على السفط، قال لهم:" والله ما لكم فيه شيء ، ولو كان لكم فيه شـيء ما دفعه إلي".[182] وقد قـال في الرواية السـابقة الـتي تحـدث فيها عن دفع الإمـام علي الكتـاب والسـلاح إلى ابنه الحسن، أنه أخذ بيد علي بن الحسين، ثم قال له: وأمرك رسـول الله (ص) أن تـدفعها إلى ابنك محمـد، واقـرأه من رسـول الله (ص) ومني السلام.[183]

---

[180] - حيث كان له عشرة اخوة وفيهم من هو أكبر منه، وهم: عبد الله، الحسن، الحسـين، زيـد، عمـر، الحسـين الأصـغر، عبد الـرحمن، سـليمان، علي، محمد الأصغر.

[181] - الصفار، بصائر الدرجات، ج 4، باب (4) ما عند الأئمة عليهم السلام من سلاح رسول الله ص وآيات الأنبياء ، ح رقم 28

[182] - أو دعـوى وراثة الكتـاب. الصـفار ، بصـائر الـدرجات، ص 180 والكليـني، الكـافي، كتـاب الحجـة، بـاب ما نص الله ورسـوله على الأئمة واحدا بعد واحد، ح رقم 6

[183] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الإشـارة والنص على الحسن بن علي، ح رقم 1 و 5 وتأييدا لذلك يروي الكليني في "الكافي" أن جابر بن عبد الله الأنصاري (توفي سنة 78) أدرك الباقر، وأنه أخذ بيده وقـال:" إن رسول الله (ص) أخبرني أني سأدرك رجلا من أهل بيته يقال له: محمد بن علي يكنى أبا جعفر، فإذا أدركته فاقرأه مني السلام" فقال له أبـوه: "هنيئا لك يا بـني ما خصك الله به من رسـوله من بين أهل بيتك لا تطلع اخوتك على هذا فيكيدوا لك كيدا، كما كـادوا اخـوة يوسف ليوسف عليه السـلام". الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الإشارة والنص على علي بن الحسين،

وثمة روايـات أخـرى ينسـبها الإمامية إلى البـاقر تعتمد على توافق سـلاح رسـول الله مع جسد الإمـام، كعلامة من علامـات الإمامـة، بحيث "إذا لبس درع رسـول الله (ص) كـانت عليه وفقا وإذا لبسـها غـيره من النـاس طـويلهم وقصـيرهم زادت عليه شبرا...".[184]

و - إقصاء الإمام زيد

وبالرغم مما يقال من وجود تنسيق بين الباقر وأخيه زيد.[185] فان بعض الروايـات تتحـدث عن وجـود منافسة قوية للبـاقر من أخيه زيد بن علي الذي رفع راية الجهاد والثـورة، وقـال: "ليس الإمـام منا من جلس في بيته وأرخى سـتره وثبط عن الجهـاد ، ولكن الإمام منا من منع حوزته وجاهد في سـبيل الله حق جهـاده ودفع عن رعيته وذب عن حريمـه".[186] مما أدى إلى التفـاف كثـير من الشـيعة حولـه، وخاصة في الكوفة الـتي أرسل أهلها إليه كتبا يدعونه فيها إلى أنفسـهم ويخبرونه باجتمـاعهم ويطلبـون منه الخروج. وحسبما ينقل الكليني، فإن الباقر قام هنا بطرح موضوع "العلم" وسأل أخـاه قـائلاً: هـذه الكتب ابتـداء منهم أو جـواب ما كتبت بهم إليه ودعـوتهم إليـه؟ فقـال زيد: بل ابتـداء من القـوم لمعرفتهم بحقنا وبقرابتنا من رسـول الله ولما يجـدون في كتـاب الله (عز وجل) من وجـوب مودتنا وفـرض طاعتنـا، ولما نحن فيه من الضيق والضنك والبلاء . فقال له البـاقر: إن الطاعة مفروضة من الله عز وجـل، وسـنة أمضـاها في الأولين وكـذلك يجريها في الآخـرين، والطاعة لواحد منا والمـودة للجميـع، وأمر الله يجـري

ح رقم 3

[184] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب مواليد الأئمة 8

[185] - كما في رواية عن الإمام علي بن موسى الرضا، أنه قـال للمـأمون، وهو يحدثه عن زيد بن علي، أنه كـان من علمـاء آل محمـد، غضب لله فجاهد أعداءه حتى قتل في سـبيله، ولقد حـدثني أبي موسى بن جعفر أنه سـمع أبـاه جعفر بن محمد يقـول: رحم الله عمي زيـدا إنه دعا إلى الرضا من آل محمد، ولو ظفر لـوفى لله من ذلـك، انه قـال: أدعـوكم إلى الرضا من آل محمد. العاملي ، وسائل الشيعة، كتاب الجهاد.

[186] - أعلن زيد الثـورة ضد الخليفة الأمـوي هشـام بن عبد الملك اعتمـادا على مبـدأ (أولي الأرحـام) قـائلا:" إنـا أرحـام رسـول الله أولى بالملك والإمرة " و دعا إلى نصرة (أهل البيت) ، بصورة عامة ، وقال:"إنا ندعوكم إلى كتـاب الله وسـنة نبيه وجهـاد الظـالمين ، والـدفع عن المستضـعفين وإعطـاء المحـرومين ، وقسم هـذا الفيء بين أهله سـواء ورد المظـالم وإقفال المجمر ونصرنا أهل البيت على من نصب لنا وجهل حقنا".

لأوليائه بحكم موصول وقضاء مفصول وحكم مقضي وقــدر وأجل مسمى لوقت معلوم، فلا يسـتخفنك الـذين لا يوقنـون .. إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا فلا تعجل، فان الله لا يعجل لعجلة العبـاد ، ولا تسبقن الله فتعجزك البلية فتصـرعك.. وقـال: هل تعـرف يا أخي من نفسك شـيئا مما نسـبتها إليه فتجيء عليه بشـاهد من كتـاب الله أو حجة من رسـول الله أو تضـرب به مثلا؟..فـإن الله عر وجل أحل حلالا وحرم حراما ، وفرض فـرائض وضـرب أمثـالا وسن سننا ، ولم يجعل الإمام القائم بـأمره شـبهة فيما فـرض له من الطاعة أن يسبقه بأمر قبل محله أو يجاهد فيه قبل حلوله ... فجعل لكل شـيء أجلا ولكل اجل كتابـا، فـإن كنت على بينة من ربك ويقين من أمرك وتبيـان من شـأنك فشـأنك، وإلا فلا تـرومنَّ أمـراً أنت منه في شك وشـبهة ، ولا تتعـاطَ زوال ملك لم تنقض أكله ولم ينقطع مـداه، ولم يبلغ الكتـاب أجله ، فلو قد بلغ مـداه وانقطع أكله وبلغ الكتـاب أجله لانقطع الفصل وتتـابع النظـام و لأعقب الله التابع والمتبـوع الـذل والصـغار، أعـوذ بالله من إمـام ضل عن وقته فكان التابع فيه أعلم من المتبـوع، أتريد يا أخي أن تحيي ملة قوم قد كفروا بآيات الله وعصوا رسـوله؟ أعيـذك بالله يا أخي أن تكون غداً المصلوب بالكناسة".[187]

وسواء كانت العلامات والمحاولات والأحاديث والقصص التي نسـبت إلى الإمـام محمد بن علي البـاقر صـحيحة أم مـزورة وموضوعة من قبل الغلاة، فإنها لعبت، أو لعب بعضها على الأقل، دورا في تأسيس إمامة الباقر "الدينية" للشـيعة في بداية القـرن الثاني الهجري، خصوصا بعد وفاة زعيم الحركة الكيسانية القـوي أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية سـنة 98 للهجـرة، وضـعف القيـادات الشـيعية الأخـرى المنافسة للبـاقر، حيث كـان محمد بن علي بن عباس معتزلا في الحميمة وهي قرية من قرى الأردن، وكـان عبد الله بن الحسن بن الحسن يعد ابنه الصـغير

---

187 - الكليني، الكافي، كتاب الحجـة، بـاب ما يضل به بين دعـوى المحق والمبطل في أمر الإمامـة، ح رقم 16 يلاحظ أن علامـات الوضع المتـأخر بادية على هـذه الرواية الـتي تقـول مـرة : بـأن الطاعة مفروضة من الله لواحد من أهل البيت والمودة للجميع، وتقول مـرة أخـرى: فـإن كنت على بينة من ربك ويقين من أمرك وتبيان من شـأنك فشـأنك. وتتهم في النهاية زيد بأنه يريد أن يحيي ملة قوم قد كفروا بآيات الله وعصـوا رسـوله، علما بأن زيد لم يرد سوى الثورة ضد الأمويين. لذا فقد يكـون الأرجح أن تكـون هذه الرواية مختلقة من قبل الإمامية الذين قاموا بنسبتها زورا إلى الإمـام الباقر. وبالتالي فلم يشكل "العلم" عاملا حاسما في إثبات إمامة الباقر ولا سلب الإمامة من زيد بن علي الذي لم يكن يقل علما عن أخيه.

محمد (ذا النفس الزكيــة) للخــروج في المســتقبل البعيــد، وقد أسماه بالمهدي عند ولادتـه.[188] وكـان عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر (الذي خرج في اصفهان سـنة 129) أصـغر من أن ينافس البـاقر، بالإضـافة إلى تفـرق الحركة الكيسـانية إلى فـرق صغيرة أخرى كربية وبربرية وبيانية. كل ذلك دفع جمـاهير الحركة الكيسـانية – فيما يبـدو - إلى الانضـواء تحت لـواء الإمـام البـاقر وإعلان الولاء له، وهذا ما أدى إلى انتقال تلك الجماهير مع الكثير من أفكار ونظريات الكيسانية المغالية إلى شيعة البــاقر، وقيامها بإســقاط نظرياتها على الإمــام، مثل الألوهية والنبــوة فضــلاً عن "الإمامة الإلهيــــة" (القائمة على النص والوصــــية والوراثة في السـلالة العلوية الحسـينية) وتـأليف أحـاديث ونسـبتها إلى الإمـام الباقر وابنه جعفر الصادق فيما بعد.

المبحث الثاني:
إضفاء الصبغة الدينية الإلهية على نظرية الإمامة

وبعيـدا عن الجـدل حـول صـحة تلك الأحـاديث وفيما إذا كـانت موضوعة من قبل الغلاة، أم صادرة حقا من الإمــام البـاقر (وابنه جعفر الصــادق فيما بعــد)، فإننا يمكن أن نلاحظ نشــوء نظرية "الإمامة" وتطورها عبر الخطوات التالية:

1- شمولية الشريعة الإسلامية

في المرحلة الأولى، يمكننا مشاهدة بذرة "الإمامـة" تنمو وسط الجدل الذي دار في تلك الأيام حول شمولية الشـريعة الإسـلامية لكل شـيء في الحيـاة وتوفيرها لأحكـام تفصـيلية لكل شـيء، أو محــدوديتها في مســائل معينة وتركها لمســائل أخــرى للعقل الإنســاني، وهو ما يعــرف بالمســائل المدنية العرفية كموضــوع العلاقة بين الحكام والمحكـومين وكيفية انتخـاب الحـاكم، وجـواز الاجتهــاد وقيــاس المســائل الحادثة على المســائل المشــابهة المعلومة في الشــريعة الإســلامية. ذلك الجــدل الــذي قسم المسـلمين إلى مدرسـتين هما مدرسة "أهل الحـديث" ومدرسة "أهل الرأي". وحسب الروايات الواردة في التراث الإمـامي فـإن الإمام الباقر (وابنه جعفر الصادق فيما بعد) قد اتخذ موقفا مضادا لكلا المدرسـتين أهل الـرأي وأهل الحـديث، حيث أكد في البداية مبدأ شـمولية الشـريعة الإسـلامية لكل شـيء في الحيـاة، وقـال

---

188 - وقد خرج على المنصور العباسي وقتل سنة 145

:"إن الله تبارك وتعالى لم يدَع شيئا تحتاج إليه الأمة إلا أنزله في كتابه وبينه لرسـوله (ص) وجعل لكل شئ حـداً وجعل عليه دليلا يدل عليه، وجعل على من تعدى ذلك الحد حداً".[189] ولكن البـاقر – حسبما يقول زرارة بن أعين - اتخذ موقفا سلبيا من اسـتعمال القياس في استنباط أحكام جديدة في الحوادث الواقعة، وقال :" يا زرارة! إياك وأصحاب القياس في الـدين، فـانهم تركـوا علم ما وكلوا به، وتكلفوا ما قد كفوه، يتأولون الأخبار، ويكذبون على الله عـزّ وجـلّ، وكـأني بالرجل منهم ينـادى من بين يديـه، فيجيب من خلفه، وينادى من خلفه، فيجيب من بين يديـه، قد تـاهوا وتحـيروا في الأرض والدين".[190]

وفي نفس الـوقت خـاض الإمـام البـاقر معركة حامية مع أهل الحديث الذين كانوا يتناقلون أحياناً روايات ضعيفة، حيث اسـتنكر ذلك ونـادى بـالعودة إلى القـرآن والاحتجـاج بـه، وتقديمه على الروايات الضـعيفة. وحـذر من التصـديق "بالأحـاديث الكاذبة على الله التي يكذبها القرآن ويتبرأ منها ومن حملتها ورواتهـا".[191] وقد روى عن آبائه عن رسـول الله (ص) أنه قـال:"... إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بـالقرآن فإنه شـافع مشـفع وماحل مصـدق. ومن جعله أمامه قـاده إلى الجنة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار وهو الـدليل يـدل على خـير سـبيل ... فيه مصـابيح الهـدى ومنـار الحكمة ودليل على المعرفـة".[192] كما روى حـديثا أسـنده إلى جـده الإمـام علي، يوصي فيه أصـحابه بـالقرآن، ويقـول:"اعلمـوا أن القـرآن هـدى النهـار ونـور الليل المظلم على ما كان من جهد وفاقة".[193]

2 - انحصار العلم في أهل البيت

وربما كـانت الـدعوة للتمسك بـالقرآن ورفض القيـاس ونبذ الأحـاديث الضـعيفة علامة ممـيزة لمدرسة أهل الـبيت، وهي بحد ذاتها لا تنطوي على مشكلة كبيرة، ما عدا بعض الأمور التفصـيلية الـتي كـان يجـادل فيها أصـحاب مدرسة الـرأي أو أهل الحـديث،

---

[189] - الكليني، الكـافي، كتـاب العقـل، كتـاب فضل العلم، بـاب الـرد إلى الكتاب والسنة،ح رقم 2 عن علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسـى، عن يونس، عن حسين بن المنذر، عن عمر بن قيس، عن أبي جعفر

[190] - أمالي المفيد : 51 | 12.

[191] - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 8240 - 1

[192] - الكليني، الكافي، كتاب فضل القرآن، حديث رقم 2

[193] - الكليني، الكافي، كتاب فضل القرآن، حديث رقم 6

ولكن تلك الدعوة قادت إلى خطـوة أخـرى هي حصر عملية فهم القرآن بالأئمة المعينين من قبل الله فقط، ولسنا متأكدين بنسبة هـذا القـول إلى البـاقر أو الصـادق، ولكن الروايـات الـتي ينقلها الإمامية عنهما تـدعي أن البـاقر قـال:" إنما يعـرف القـرآن من خـوطب بـه".[194] وأنه قـال:"إن أول وصي كـان على وجه الأرض هبة الله بن آدم، وما من نبي مضى إلا وله وصي وكـــــان جميع الأنبيـــاء مائة ألف نـــبي وعشـــرين ألف نـــبي، منهم خمسة أولو العزم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السـلام وإن علي بن أبي طـالب كـان هبة الله لمحمـد، وورث علم الأوصـياء، وعلم من كـان قبلـه، أما إن محمـداً ورث علم من كـان قبله من الأنبيـاء والمرسـلين".[195] وقـال:"إن عليا عليه السـلام كـان عالما والعلم يتوارث، ولن يهلك عالم إلا بقي من بعده من يعلم علمه، أو ما شاء الله".[196]

ويزعم الإمامية أن الباقر قال: إن رسول الله (ص) وضع العلم الذي كان عنده عند الوصي. وفسر قول الله عز وجل:" الله نــور السموات والأرض" بأنه يقول: أنا هـادي السـماوات والأرض مثل العلم الذي أعطيته وهو نوري الذي يهتـدى به مثل المشـكاة فيها المصباح، فالمشكاة قلب محمد (ص) والمصـباح النـور الـذي فيه العلم وقوله: " المصباح في زجاجة " يقــول: إني أريد أن أقبضك فأجعل الذي عنـدك عند الوصي كما يجعل المصـباح في الزجاجة " كأنها كـوكب دري" فـأعلمهم فضل الوصـي... وقوله عز وجـل: "يكـاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نـار نـور على نـور يهـدي الله لنوره من يشـاء" يقـول: مثل أولادكم الـذين يولـدون منكم كمثل الـزيت الـذي يعصر من الزيتــون .. يقــول: يكـادون أن يتكلمــوا بالنبوة ولو لم ينزل عليهم ملك.[197]

---

[194] - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 485 عن عدة من أصـحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالـــد، عن أبيـــه، عن محمد بن ســـنان، عن زيد الشحام قال: دخل قتادة بن دعامة على أبي جعفر (ع) فقال:

[195] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة ورثوا علم النبي وجميع الأنبياء والأوصياء، ح رقم 2

[196] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة ورثة العلم، ح رقم 2 و 3و 4و 5 و 7

[197] - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 574

وأن البـاقر اعتمد على "حـديث الثقلين" في حصر العلم في أهل الـبيت.[198] وأنه قـال لسـعد الإسـكاف:"لا يـزال كتـاب الله والدليل منا يدل عليه حتى يردا عليَّ الحوض".[199]

وينقل الإمامية عن الباقر أنه استنكر ترك الناس لأئمة أهل البيت وذهابهم إلى علماء آخرين، قائلا:"يمصون الثماد (وهو الماء القليل) ويدعون النهر العظيم! قيل لـه: وما النهر العظيم؟ قـال: رسول الله (ص) والعلم الذي أعطاه اللـه، إن الله عز وجل جمع لمحمد (ص) سنن النبيين من آدم وهلمَّ جرا إلى محمد (ص) قيل له: وما تلك السنن؟ قـال: علم النبـيين بأسـره، وإن رسـول الله (ص) صيَّر ذلك كله عند أمير المؤمنين (ع)".[200]

ويروون: أن الباقر قال لفقيهين كانا في مكة هما سلمة بن كهيل، والحكم بن عتيبة: "شرِّقا وغرِّبا فلا تجدان علما صـحيحا إلا شيئا خرج من عندنا أهل البيت".[201] أو "فليشرق الحكم وليغرب، أما والله لا يصيب العلم إلا من أهل بيت نزل عليهم جبرئيـل".[202] وأن الباقر سمع فتوى للحكم بن عتيبة يقـول فيها بجـواز شـهادة ولد الزنا، فغضب وقال:" اللهم لا تغفر ذنبه. ما قال الله للحكم " إنه لـذكر لك ولقومـك" فليـذهب الحكم يمينا وشـمالا، فوالله لا

---

[198] - الذي رواه عن جابر بن عبدالله الأنصاري عن رسول الله (ص) :"أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين : الثقل الأكبر ، والثقل الأصغر ، إن تمسكتم بهما لا تضـلوا ، ولا تبـدلوا، وإني سـألت اللطيف الخبـير أن لا يتفرقا حـتى يـردا علي الحـوض فـأعطيت ذلـك، قـالوا : وما الثقل الأكـبر؟ وما الثقل الأصغر؟ قال : الثقل الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد اللـه، وسـبب طرفه بأيديكم والثقل الأصغر عترتي وأهل بيتي". بصائر الدرجات : 122 و 123

[199] - وفي رواية أخـرى عن علي بن محمد ، عن القاسم بن محمد ، عن سليمان بن داود ، عن يحيى ابن أديم عن شريك ، عن جابر قال : قـال أبو جعفر: دعا رسول الله (ص) أصحابه بمنى فقال : " يا أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين ، أما إن تمسـكتم بهما لن تضـلوا : كتـاب الله وعـترتي أهل بيتي ، فإنهما لن يفترقا حـتى يـردا علي الحـوض " ثم قـال : " أيها النـاس إني تارك فيكم حرمات الله : كتاب الله ، وعترتي ، والكعبة البيت الحــرام " ثم قـال أبو جعفـر: أما كتـاب الله فحرفـوا ، وأما الكعبة فهـدموا وأما العترة فقتلوا ، وكل ودائع الله فقد تبروا. الصفار ، بصائر الدرجات : 123

[200] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة ورثة العلم، ح رقم 6

[201] - الوافي، ح رقم [33224] عن الكافي 1 : 329 | 3

[202] - الوافي، ح رقم [33225] عن الكافي 1 : 329 | 4 .

يؤخذ العلم إلا من أهل بيت نزل عليهم جبرئيل عليه السـلام".[203]
وقال:"كل ما لم يخرج من هذا البيت فهو باطل".[204]

ويروون أيضا عن الباقر أنه قـال:" ليس عند أحد من النـاس حق ولا صواب ولا أحد من النـاس يقضي بقضـاء حق إلا ما خـرج منا أهل الــبيت وإذا تشــعبت بهم الأمــور كــان الخطــاء منهم والصــواب من علي عليه الســلام".[205] وأنه أكد ذلك قــائلا:" إنه ليس أحد عنـده علم شئ إلا خـرج من عند أمـير المؤمـنين عليه السـلام، فليـذهب النـاس حيث شاءوا، فوالله ليس الأمر إلا من هاهنا". وأشار بيده إلى بيته.[206]

ويقول الإمامية: إن الباقر أنكر على فقيه أهل البصرة قتـادة بن دعامة، تفسـيرَه للقـرآن، وقـال له عنـدما التقـاه: " ويحك يا قتادة إنما يعرف القرآن من خوطب بـه.. ويحك يا قتـادة إن كنت إنما فسـرت القــرآن من تلقــاء نفسك فقد هلكت وأهلكت وإن كنت قد أخذته من الرجال فقد هلكت وأهلكت.. ".[207] وأن البـاقر سـأله عن تفسـير قوله تعـالى:" وقـدرنا فيها السـير سـيروا فيها ليالي وأياما آمنين" فقال قتادة : أي من خرج من بيته بــزاد حلال وراحلة وكراء حلال يريد هذا البيت كان آمنا حتى يرجع إلى أهلـه، فرفض الباقر هذا التفسير وقـال له :"إنه من خـرج من بيته بـزاد وراحلة وكراء حلال يـروم هـذا الـبيت عارفا بحقنا يهوانا قلبه كما قال الله عز وجل:"واجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم" ولم يعن البيت فيقول:"إليه" ثم قـال البـاقر بعد ذلـك:" فنحن والله دعـوة إبـراهيم (ع) الـتي من هوانا قلبُـه قُبلت حجته وإلا فلا.. يا قتـادة فإذا كان كذلك كان آمنا من عذاب جهنم يوم القيامة".[208]

وكانت دعوى حصر العلم في أهل الـبيت، في البدايـة، تقـوم على ادعاء امتلاك الإمام الباقر لكتب خاصة بخط علي، كان يعـبر عنها أحيانا بكتـاب علي أو مصـحف فاطمة أو الجفر أو الجامعـة،

---

203 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أنه ليس شيء من الحق في يد الناس إلا ما خرج من عند الأئمة، ح رقم 5
204 - الوافي، ح رقم [33236] عن بصائر الدرجات : 531 | 21.
205 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أنه ليس شيء من الحق في يد الناس إلا ما خرج من عند الأئمة، ح رقم 1
206 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أنه ليس شيء من الحق في يد الناس إلا ما خرج من عند الأئمة، ح رقم 2
207 - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 485
208 - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 485

كما جاء عن محمد بن مسلم وزرارة بن أعين عن الباقر أنه كـان يفتي بناء على تلك الكتب التي قال عنها: " إنها إملاء رسـول الله (ص) وخط علي من فيه بيـده".[209] أو أنه كـان يفـتي بنـاء على رواية الحديث عن أبيه عن جده " أن أمير المؤمــنين حدثه ذلك".[210] وبـالرغم من أن دعـوى (امتلاك البـاقر لكتب خاصـة) لم تكن تشــكل حجة حاسـمة ضد من يــرفض الاعتمــاد على روايته عن آبائه، غير أنها كـانت دعـوى معقولة ومقبولة إلى درجة كبـيرة.[211] ولكن تلك الـــدعوى تطـــورت فيما بعد لتـــتركز على ذات الأئمة الذين يمتلكون علما خاصا من الله، ويقومون بدور "الحجة" على العباد، كما نقل الشيعة الإمامية عن الباقر أنه قال:"والله ما ترك الله أرضا منذ قبض آدم عليه السلام إلا وفيها إمام يهتـدي به إلى الله وهو حجته على عبـاده، ولا تبقى الأرض بغـير إمـام حجة لله على عبـــــاده".[212] و"إن الأرض لا تخلو من حجة وأنا والله ذلك الحجة".[213] وأنه قال:" والله إنا لخزان الله في سمائه وأرضــه، لا على ذهب ولا على فضة إلا على علمـه".[214] وقـال:"نحن خـزان علم الله، ونحن تراجمة وحي اللــه، ونحن الحجة البالغة على من دون الســماء ومن فـوق الأرض".[215] و"إنا - أهل الـبيت - شـجرة النبوة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، وبيت الرحمة، ومعدن

---

209 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة قد أوتـوا العلم وأثبت في صدورهم، ح رقم 6

210 - الكليني، الكـافي، كتـاب الحجـة، بـاب أن الأئمة قد أوتـوا العلم وأثبت في صدورهم، ح رقم 10

211 - وقد نقل الكشي عن الإمام الصـادق أنه كـان يقـول :إن أهل المدينة كانوا ينكـرون على البـاقر روايته عن رسـول الله (ص)، ويقولـون: ما رأينا أحدا قط أكذب من هذا يحدث عمن لم يره. فلما رأى ما يقولـون حـدثهم عن جابر بن عبد الله فصـدقوه، وكـان جـابر والله يأتيه يتعلم منه. الكشي في ترجمة جابر بن عبد الله الأنصاري.

212 - الكليني، الكافي، كتاب الحجـة، بـاب أن الأرض لا تخلو من حجـة، ح رقم 8

213 - الكليني، الكافي، كتاب الحجـة، بـاب أن الأرض لا تخلو من حجـة، ح رقم 9

214 - الكليـني، الكـافي، كتـاب الحجـة، بـاب أن الأئمة ولاة أمر الله وخزنة علمه، ح رقم 2

215 - الكليني، الكـافي، كتـاب الحجـة، بـاب أن الأئمة ولاة أمر الله وخزنة علمه، ح رقم 3 عن سدير

العلم.[216] و"نحن شجرة النبوة، وبيت الرحمـة، ومفـاتيح الحكمـة، ومعـدن العلم، وموضع الرسـالة، ومختلف الملائكـة، وموضع سر اللـه، ونحن وديعة الله في عبـاده، ونحن حـرم الله الأكـبر، ونحن ذمة الله، ونحن عهد اللـه، فمن وفي بعهـدنا فقد وفى بعهد اللـه، ومن خفرها فقد خفر ذمة الله وعهده".[217]

وعن أبي حمزة الثمالي قال سـمعت أبا جعفر يقـول:" قـال رسول الله (ص): قال الله تبارك وتعالى: اسـتكمال حجـتي على الأشقياء من أمتك من ترك ولاية علي والأوصياء من بعـدك، فـإن فيهم سنتك وسنة الأنبياء من قبلـك، وهم خـزاني على علمي من بعدك، ثم قال رسول الله (ص): لقد أنبـأني جبرئيل عليه السـلام بأسمائهم وأسماء آبائهم".[218]

وروى أبو حمزة عن أبي جعفر قال :"لما قضى رسـول الله (ص) نبوته واسـتكملت أيامه أوحى الله إليه يا محمد (ص) قد قضيت نبوتك واستكملت أيامك فاجعل العلم الذي عنـدك والآثـار والاسم الأكبر وميراث العلم وآثـار النبـوة في أهل بيتك عند على بن أبي طـالب فـإني لم أقطع علم النبـوة من العقب من ذريتك كما لم اقطعها من بيوتـات الأنبيـاء الـذين كـانوا بينك وبين أبيك آدم".[219]

ونقل الإمامية عن محمد الباقر حديثا حول كيفية علم الأئمة، وأنه قـال:" نـزل جبرئيل على محمد (ص) برمـانتين من الجنـة، فلقيه علي (ع) فقال: ما هاتان الرمانتان اللتان في يدك؟ فقـال: أما هذه فالنبوة، ليس لك فيها نصيب، وأما هذه فالعلم، ثم فلقها رسول الله (ص) بنصفين فأعطاه نصـفها وأخذ رسـول الله (ص) نصفها ثم قال: أنت شريكي فيه وأنا شريكك فيه، قال: فلم يعلم والله رسـول الله (ص) حرفا مما علمه الله عز وجل إلا وقد علمه عليا، ثم انتهى العلم إلينا، ثم وضع يده على صدره".[220]

---

[216] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة معـدن العلم وشـجرة النبوة ومختلف الملائكة، ح رقم 1 و2

[217] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة معـدن العلم وشـجرة النبوة ومختلف الملائكة، ح رقم 3

[218] - الكليني، الكـافي، كتـاب الحجـة، بـاب أن الأئمة ولاة أمر الله وخزنة علمه، ح رقم 4

[219] - الصفار، بصائر الدرجات، ج 9 باب (22) ح رقم (2)

[220] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الله لم يعلم نبيع علما إلا أمره أن يعلمه أمير المؤمنين، ح رقم 1 و 2 و 3

ورووا أن الباقر فسر قول الله عز وجل: " فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون" بأهل البيت، وقال: "قال رسول الله (ص): الذكر أنا والأئمة أهل الذكر" كما فسر قوله عز وجل: "وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون" بقوله :"نحن قومه ونحن المسؤولون". [221]

وقال محمد بن مسلم، أنه قال للباقر: إن مَن عندنا يزعمون أن قول الله عز وجل: "فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون": أنهم اليهود والنصارى، فقال الباقر:" إذاً يدعونكم إلى دينهم! - وأومأ بيده إلى صدره وقال - نحن أهل الذكر ونحن المسؤولون".[222]

وروى أبو بصير عن الباقر أنه فسر آية " بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم" بأنها تعني الأئمة، وذكر أنه أومأ بيده إلى صدره. [223] ثم قال: أما والله يا أبا محمد ما قال بين دفتي المصحف؟ قلت:من هم؟ جعلت فداك. قال: من عسى أن يكونوا غيرنا؟.[224] وقال: "إن هذا العلم انتهى إليّ في القرآن".[225]

وروى جابر بن يزيد الجعفي عن الباقر في تفسير قول الله عز وجل: " هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب" بأنه قال:" إنما نحن الذين يعلمون والذين لا يعلمون عدونا ، وشيعتنا أولو الألباب".[226] وأنه فسر قول الله عز وجل: " وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم" بأئمة أهل البيت، وقال :"رسول الله (ص) وآله أفضل الراسخين في العلم، قد علمه الله عز وجل جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل، وما كان الله لينزل عليه شيئا لم يعلمه تأويله، وأوصياؤه من بعده يعلمونه كله، والذين لا يعلمون تأويله إذا قال العالم فيهم بعلم،

---

221 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن أهل الذكر الذين أمر الله بسؤالهم هم الأئمة، ح رقم 1 و6

222 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن أهل الذكر الذين أمر الله بسؤالهم هم الأئمة، ح رقم 7

223 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة قد أوتوا العلم وأثبت في صدورهم، ح رقم 1

224 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة قد أوتوا العلم وأثبت في صدورهم، ح رقم 3

225 - الوافي،[33587] 56 بصائر الدرجات : 226 | 14.

226 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن من وصفه الله بالعلم في كتابه هم الأئمة، ح رقم 1 و2

فأجـابهم الله بقوله " يقولـون آمنا به كل من عند ربنا " والقـرآن خاص وعام ومحكم ومتشابه، وناسخ ومنسـوخ، فالراسـخون في العلم يعلمونه". [227] وأنه قال:" إن النبي فسر القرآن لرجل واحد هو الإمـام علي، وإن القـرآن لن يكفي الأجيـال التالية إلا إذا وجد "المفسـِّر".[228] وفسر قوله تعـالى:"قل كفى بالله شـهيدا بيـني وبينكم ومن عنده علم الكتاب" بأنها تعني: الأئمة من أهل البيت، وقال:"إيّانا عنى، وعليٌّ أوّلنا وأفضلنا وخيرنا بعد النـبي (ص)".[229] وأنه حصر علم القرآن بأئمة أهل البيت وقـال: "إنما على النـاس أن يقرؤوا القرآن كما أنزل، فإذا احتاجوا إلى تفسـيره، فالاهتـداء بنا وإلينا!". [230]

وروى الإمامية عن البـاقر أن الأئمة هم "ورثة الكتـاب" الـذين ذكـرهم الله في قولـه:" ثم أورثنا الكتـاب الـذين اصـطفينا من عبادنا " حيث فسر العباد بـ: "ولد فاطمة عليها السـلام والسـابق بالخيرات: الإمام، والمقتصد: العـارف بالإمـام، والظـالم لنفسـه: الذي لا يعرف الإمـام".[231] والأئمة هم الـذين آتـاهم الله الكتـاب ، وذكرهم في هذه الآية :"الذين آتيـاهم الكتـاب يتلونه حق تلاوتـه" حيث قال:" هم الأئمة عليهم السلام".[232]

ونقلوا عن الباقر أنه قال: إن "تفسير القرآن على سبعة أوجه، منه ما كـــــان، ومنه ما لم يكن بعـــــد، تعرفه الأئمة (عليهم السـلام)" .[233] و"ما من القـرآن آيـة، إلا ولها ظهر وبطن، ظهـره تنزيله وبطنه تأويله، ومنه ما قد مضـى، ومنه ما لم يكن ، يجـري كما تجري الشمس والقمـر، كل ما جـاء تأويل شـيء يكـون على الأموات، كما يكون على الأحياء ... نحن نعلمه" .[234]

وفي هـذا يقـول جـابر بن يزيد الجعفي:" سـألت أبا جعفر عن شيء من التفسير، فأجابني، ثم سألته عنه ثانية، فأجابني بجـواب

[227] - الكليني، الكـافي، كتـاب الحجـة، بـاب أن الراسـخين في العلم هم الأئمة، ح رقم 2

[228] - الوافي،[33534] الكافي 1 : 188 | 1 .

[229] - الوافي،[33546] 15 الكافي 1 : 179 | 6.

[230] - الوافي،[33595] 64 تفسير فرات الكوفي : 91

[231] - الكليني، الكافي، كتـاب الحجـة، بـاب في أن من اصـطفاه الله من عباده وأورثهم كتابه هم الأئمة، ح رقم 1و2 و 3

[232] - الكليني، الكافي، كتـاب الحجـة، بـاب في أن من اصـطفاه الله من عباده وأورثهم كتابه هم الأئمة، ح رقم 4

[233] - الوافي،[33581] 50 بصائر الدرجات : 216 | 8.

[234] - الوافي،[33580] 49 بصائر الدرجات : 216 | 7 و 8

آخــر، فقلت: كنت أجبتـني في هـذه المسـألة بجـواب غـير هـذا، فقال: يا جـابر! إن للقـرآن بطنا وللبطن بطنا وله ظهـر، وللظهر ظهر، يا جـابر! وليس شـيء أبعد من عقـول الرجـال من تفسـير القرآن، وإنّ الآية يكون أولها في شيء، وآخرها في شــيء ، وهو كلام متصل متصرف على وجوه".[235]

وبالإضافة إلى حصر علم الكتاب كله عند الأئمة، تقول روايات أخـرى أن الإمـام البـاقر كـان يـدعي امتلاك النسـخة الكاملة من القرآن، حيث قال:" ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القـرآن كله كما أنـــزل إلا كــذاب، وما جمعه وحفظه كما نزله الله تعــالى إلا علي بن أبي طالب (ع) والأئمة من بعـده (ع)".[236] و"ما يسـتطيع أحد أن يـدعي أن عنــده جميع القــرآن كله ظـاهره وباطنه غــير الأوصياء".[237]

ولسنا نعرف مدى صحة هذه الروايات وفيما إذا كانت صادرة فعلا عن الإمــام البــاقر أم أنها منســوبة إليه كــذبا، وإن كنا نؤيد الاحتمال الثاني، ولكنها – على أية حـال - تؤسس لـدعوى امتلاك الإمام وحده لعلم الكتاب، والقدرة على تفسـيره وتأويله، وتـؤدي إلى تحويل أئمة أهل الـــبيت إلى "مصـــدر تشـــريعي" جديد إلى جانب القرآن والسنة النبوية. كما في رواية عن أبي خالد الكابلي قــال: ســألت أبا جعفر عن قــول الله عز وجــل: "فــآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا"؟ فقال:" يا أبا خالد.. النـور – والله - الأئمة من آل محمد (ص) إلى يــوم القيامــة، وهم والله نــور الله الذي أنـزل، وهم والله نـور الله في السـماوات وفي الأرض".[238] وقـــال في تفســـير قوله تعـــالى:"ويجعل لكم نـــوراً تمشـــون بــه":"يعـني إماما تـأتمون بــه".[239] وما ورد في رواية أخــرى في تفسير قوله تعالى:"واتبعوا النور الـذي انـزل معـه" قـال: "النـور في هذا الموضع علي أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام".[240]

---

[235] - الوافي،[33572] 41 المحاسن : 300 | 5.

[236] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة، ح رقم 1

[237] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة، ح رقم 2

[238] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة نور الله، ح رقم 1

[239] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة نور الله، ح رقم 3

[240] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة نور الله، ح رقم 2

3- علم الأئمة بالغيب

ولأن "الإمامة الإلهية" كانت تتطلب "علما إلهيا" لا تحده حدود، لم يكتـفِ منظِّروها بـدعوى اقتصـار علم الإمـام على الوراثة عن طريق الكتب، ولا علم تفسير القرآن، وإنما راحوا يوسعون آفـاق العلم ليمتد إلى السـماء والأرض، ورووا عن البـاقر أنه قـال: " لا والله لا يكون عالمٌ جاهلا أبـدا، عالما بشـيء جـاهلا بشـيء.. الله أجل وأعز وأكـــــرم من أن يفـــــرض طاعة عبد يحجب عنه علم سـمائه وأرضـه.. لا يحجب ذلك عنـه".[241] وأنه قـال: "عجبت من قـــوم يتولونا ويجعلونا أئمة ويصـــفون أن طاعتنا مفترضة عليهم كطاعة رسول الله (ص) ثم يكسرون حجتهم ويخصمون أنفسـهم بضعف قلوبهم، فينقصونا حقنا ويعيبون ذلك على من أعطـاه الله برهان حق معرفتنا والتسليم لأمرنا، أترون أن الله تبارك وتعـالى افترض طاعة أوليائه على عباده، ثم يخفي عنهم أخبار السماوات والأرض ويقطع عنهم مـواد العلم فيما يـرد عليهم مما فيه قـوام دينهم؟!".[242]

ونقل الإمامية عن البـاقر عن جـده أمـير المؤمـنين أنه كـان يقول:"لقد أعطيت خصالاً ما سـبقني إليها أحد قبلي، عُلِّمت علم المنايا والبلايا، والأنساب وفصل الخطاب، فلم يفُتْـني ما سـبقني، ولم يعزب عني ما غاب عـني، ابشِّـر بـإذن الله و أؤدي عنـه، كل ذلك من الله مكنني فيه بعلمه".[243] وزعموا أن الباقر كان يقـول: "إنا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وحقيقة النفاق".[244]

وكانت دعواهم هذه في علم الإمام بالغيب تنسـجم مع نظرية "الإمامة الإلهية" فإذا كانت هذه الدعوى صحيحة فلا بد أن يعـرف الإمام الغيب ويتصل بالسـماء بأية طريقة كما يفعل الأنبيـاء، وإذا

---

241 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون، ح رقم 6

242 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون، ح رقم 4 والصفار، بصائر الدرجات، ج 3 ، باب 5 (مالا يحجب عن الأئمة علم السماء وأخباره وعلم الأرض وغير ذلك) ح رقم 3

243 - الكليني، الكافي، كتاب الحجـة، بـاب أن الأئمة هم أركـان الأرض، ح رقم 1 ولذلك كان يقـول :"المتعقب عليه في شئ من أحكامه كـالمتعقب على الله وعلى رسوله والراد عليه في صـغيرة أو كبـيرة على حد الشـرك بالله".

244 - الكافي، كتاب الحجة، باب في معرفتهم أولياءهم والتفويض إليهم، ح رقم 2

لم يثبت علم الإمام بالغيب ولم يستطيع الإخبار بأي شيء غيبي ؛ فلا طريق لإثبات إمامته، خاصة في غياب النص والوصية عليه من الإمام السابق. ولما كانت نظرية الإمامة قد نشأت في القرن الثاني الهجري، في ظروف صعبة، وانعدام وجود أدلة كافية على إمامة الباقر، فكان لا بد لإثباتها له من ادعاء علم الباقر بالغيب. ولكن التحدي الأكبر الذي كان يواجه تلك الدعوى بعلم الأئمة للغيب، تناقضها مع القرآن الذي يصرح :"عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا". وهذا ما أدركه دعاة نظرية الإمامة، فنسجوا روايات في الرد على ذلك ونسبوها للإمام الباقر، كما يقول حمران بن أعين أنه اعترض على مقولة "علم الأئمة بالغيب" وسأل الباقر عن قوله تعالى:"عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا" فرد عليه الباقر قائلاً: "إلا من ارتضى من رسول. وكان والله محمد ممن ارتضاه، وأما قوله "عالم الغيب" فإن الله عز وجل عالم بما غاب عن خلقه فيما قدر من شئ، ويقضيه في علمه قبل أن يخلقه، وقبل أن يفضيه إلى الملائكة، فذلك يا حمران، علم موقوف عنده، إليه فيه المشيئة، فيقضيه إذا أراد، ويبدو له فيه فلا يمضيه، فأما العلم الذي يقدره الله عز وجل فيقضيه ويمضيه فهو العلم الذي انتهى إلى رسول الله (ص) ثم إلينا".[245]

وينقل الإمامية عن الباقر أنه قال:" إن اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفا وإنما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس حتى تناول السرير بيده ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين، ونحن عندنا من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفا، وحرف واحد عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب عنده، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم".[246] وقال ضريس: سمعت أبا جعفر يقول:" إن لله عز وجل علمين: علم مبذول، وعلم مكفوف فأما المبذول فانه ليس من شئ تعلمه الملائكة والرسل إلا نحن نعلمه، وأما المكفوف فهو الذي عند الله عز وجل في أم الكتاب إذا خرج نفذ".[247] وقال أبو بصير: قال أبو جعفر:" إن لله عز وجل

---

[245] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب نادر فيه ذكر الغيب، ح رقم 2

[246] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما أعطي الأئمة من اسم الله الأعظم، ح رقم 1 و3

[247] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء، ح رقم 3

علمين: علم لا يعلمه إلا هو وعلم علمه ملائكته ورسـله، فما علمه ملائكته ورسله عليهم السلام فنحن نعلمه".[248]

وكما يلاحظ فإن هـذه الروايـات تخلط بين الأئمة والرسل في الاسـتثناء الـوارد في الآيـة، بلا دليل سـوى الادعـاء، وهي تشـكل صلب نظرية "الإمامة الإلهية".

4- تحدث الملائكة مع "الأئمة المحدَّثين"

وفي السـياق نفسـه، نجد في الـتراث الشـيعي "الإمـامي" روايـات عديـدة عن أبي جعفر البـاقر تتحـدث عن الأئمة الـذين تحـدثهم الملائكـة، ومع شـكنا بصـحتها، نـرى أنها تشـكل امتـدادا لنظرية "الإمامة الإلهيـة"، أو مرحلة من مراحل تطورهـا، بعد القـول بالحاجة إلى الإمـام "الحجـة" الـذي يمتلك وحـده القـرآن الكامل الصحيح، والذي يمتلك وحـده أيضا علم الكتـاب، والقـدرة على تفسيره وتأويله، وعلم الغيب واسم الله الأعظم. ولما كانت نظرية "الإمامـة" تقـول بـأن الأئمة معينـون من قبل اللـه، وأن علمهم إلهيٌ، فلم تجد مانعا من ادعاء تحـديث الملائكة للأئمة مع تأكيدها على نفي كون الأئمة أنبياء تحاشيا للخروج عن ضروريات الدين الإسلامي. فقد روى الكليني عن الإمام الباقر أنه قـال:"إن علم ما لا اختلاف فيه عند الأوصـياء، كما كـان رسـول الله (ص) يعلمه إلا أنهم لا يرون ما كان رسول الله (ص) يرى، لأنه كان نبيا وهم محدَّثون، وأنه كـان يفد إلى الله (عز وجـل) فيسـمع الـوحي وهم لا يسمعون". وقال:" إن الله عز وجل يقـول لرسـوله (ص): " إنا أنزلناه في ليلة القدر " - إلى آخرها - فهل كـان رسـول الله (ص) يعلم من العلم - شـيئا لا يعلمه - في تلك الليلة أو يأتيه به جبرئيل (ع) في غيرهـا؟" ثم قـال:"ما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم". وتسـاءل: من الراسـخون في العلم؟ ثم أجـاب: إنهم خلفـاء رسـول الله (ص) المؤيـدون، ولا يسـتخلف رسـول الله (ص) إلا من يحكم بحكمه وإلا من يكـون مثله إلا النبـوة، وإن كـان رسـول الله (ص) لم يسـتخلف في علمه أحـدا فقد ضيع من في أصلاب الرجال ممن يكون بعده".[249]

وحسبما يروي الكليني فإن الباقر رفض أن يكون علم النـبي مقتصرا على القرآن، واستشـهد بهـذه الآيـة:"إنا أنزلنـاه في ليلة

---

[248] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة يعلمون جميع العلـوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء، ح رقم 4

[249] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في شأن إنا أنزلناه ، ح رقم 1

مباركة، إنا كنا منذرين، فيها يُفرق كل أمر حكيم، أمـرا من عنـدنا إنا كنا مرسلين" فقال:"إن هذا الأمر الحكيم الـذي يفـرق فيه هو من الملائكة والروح التي تنزل من السماء إلى الأرض، ولا بد لهم من سيد يتحاكمون إليـه... لعمـري ما في الأرض ولا في السـماء وليٌّ لله عز ذكره إلا وهو مؤيد، ومن أُيِّد لم يُخطِ، وما في الأرض عدوٌ لله عز ذكـره إلا وهو مخـذول، ومن خُـذل لم يُصـب، كما أن الأمر لا بد من تنزيله من السماء يحكم به أهل الأرض، كذلك لابد من والٍ... أبى الله عز وجل بعد محمد (ص) أن يـترك العبـاد ولا حجة عليهم". وأنه قـال:" إن القـرآن ليس بنـاطق يـأمر وينهى، ولكن للقرآن أهل يأمرون وينهون، وأقول: قد عرضت لبعض أهل الأرض مصيبة، ما هي في السنة والحكم الـذي ليس فيه اختلاف، وليست في القـــــرآن، أبى الله لعلمه بتلك الفتنة أن تظهر في الأرض، وليس في حكمه راد لها ومفرج عن أهلها".[250]

وروى الكليني عن الباقر أنه قال في تفسـير آية:"فيها يفـرق كل أمر حكيم": "إنه لينزل في ليلة القـدر إلى ولي الأمر تفسـير الأمور سنة سـنة، يـؤمر فيها في أمر نفسه بكـذا وكـذا، وفي أمر الناس بكذا وكذا، وإنه ليحدث لولي الأمر سوى ذلك كل يوم علم الله (عز وجل) الخاص والمكنون العجيب المخزون، مثل ما ينزل في تلك الليلة من الأمـر".[251] وروى عن البـاقر عن علي بن أبي طالب أنه قـال:"إن ليلة القـدر في كل سـنة، وإنه يـنزل في تلك الليلة أمر السنة وإن لـذلك الأمر ولاة بعد رسـول الله (ص)".[252] و"إن رسول الله (ص) قـال: تكـون ليلة القـدر بعـدى يـنزل الأمر فيها إلى علي".[253]

ويبـدو من خلال مجموعة من الروايـات المنسـوبة إلى الإمـام البـاقر أنه اعتمد كثـيرا على موضـوع نـزول الملائكة ليلة القـدر، فقـال:" يا معشر الشـيعة خاصـموا بسـورة إنا أنزلنـاه، تفلحـوا، فوالله إنها لحجة الله تبـارك وتعـالى على الخلق بعد رسـول الله (ص) وإنها لسـيدة دينكم، وإنها لغاية علمنـا.. يا معشر الشـيعة خاصموا بـ " حم والكتاب المبين إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين" فإنها لولاة الأمر خاصة بعد رسول الله (ص)".[254] وقال:

---

[250] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في شأن إنا أنزلناه ، ح رقم 1
[251] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في شأن إنا أنزلناه ، ح رقم 3
[252] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في شأن إنا أنزلناه ، ح رقم 2
[253] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في شأن إنا أنزلناه ، ح رقم 5
[254] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في شأن إنا أنزلنـاه ، ح رقم 6 كما اعتمد على تفسير هـذه الآية :" وإن من أمة إلا خلا فيها نـذير" ليقـول

"فضل إيمــان المــؤمن بحمله " إنا أنزلنا " وبتفســيرها على من ليس مثله في الإيمان بها، كفضل الإنسان على البهائم ".[255]

وكل تلك الروايــات تصب في فكــرة واحــدة هي:"الوصي المحدَّث" وضرورة وجوده واستمراره إلى يوم القيامـة، كما كـان يقول الكيسانية في المختار أو ابن الحنفية، ولذا نحتمل كثـيرا أن يكون بقايا الكيسانية هم الـذين اختلقـوا هـذه الروايـات ونسـبوها إلى الإمـام البـاقر، الـذي رووا عنه أنه قـال:" لقد خلق الله جل ذكــره ليلة القــدر أول ما خلق الــدنيا، ولقد خلق فيها أول نــبي يكون، وأول وصي يكون، ولقد قضى أن يكـون في كل سـنة ليلة يهبط فيها بتفسير الأمور إلى مثلها من السـنة المقبلـة، من جحد ذلك فقد رد على الله (عز وجــل) علمــه، لأنه لا يقــوم الأنبيــاء والرسل والمحـدَّثون إلا أن تكـون عليهم حجة بما يـأتيهم في تلك الليلة، مع الحجة الـتي يـأتيهم بها جبرئيل (ع)". وقـال في جـواب سـؤال عن نـزول الملائكة على المحـدَّثين:" أما الأنبيـاء والرسل صلى الله عليهم فلا شك، ولا بد لمن سواهم من أول يوم خلقت فيه الأرض إلى آخر فنـاء الـدنيا أن تكـون على أهل الأرض حجة يـنزل ذلك في تلك الليلة إلى من أحب من عبـاده.. وأيم الله لقد نزل الروح والملائكة بالأمر في ليلة القــدر على آدم، وأيم الله ما مات آدم إلا وله وصي، وكل من بعد آدم من الأنبياء قد أتاه الأمر فيها، ووضع لوصيه من بعده.. وأيم الله إن كان النبي ليـؤمر فيما يأتيه، من الأمر في تلك الليلة من آدم إلى محمد (ص) أن أوصى إلى فلان، ولقد قــال الله عز وجل في كتابه لــولاة الأمر من بعد محمد (ص) خاصــة: "وعد الله الــذين آمنــوا منكم وعملــوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الـذين من قبلهم - إلى قوله - فأولئك هم الفاســقون" يقــول: أســتخلفكم لعلمي وديني وعبادتي بعد نبيكم كما استخلف وصاة آدم من بعـده حـتى يبعث النـبي الـذي يليه "يعبـدونني لا يشـركون بي شـيئا" يقـول: يعبــدونني بإيمــان لا نــبي بعد محمد (ص) فمن قــال غــير ذلك "فأولئك هم الفاسقون" فقد مكن ولاة الأمر بعد محمد بـالعلم، و نحن هم، فاسألونا، فـإن صـدقناكم فـأقروا وما أنتم بفـاعلين. أما علمنا فظاهر، وأما إبـان أجلنا الـذي يظهر فيه الـدين منا حـتى لا يكون بين الناس اختلاف، فإن له أجلا من ممر الليالي والأيام، إذا

بضــرورة وجــود النــذير من قبل النــبي في كل جيل من أجيــال الأمة الإسلامية، وأن القـرآن لا يكفيهم إلا بوجـود المفسـر، وأن النـبي لم يفسر القرآن إلا لرجل واحد هو علي بن أبي طالب. المصدر

[255] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في شأن إنا أنزلناه ، ح رقم 7

أتى ظهــر، وكــان الأمر واحــدا.. وأيم الله لقد قضي الأمر أن لا يكـون بين المؤمـنين اختلاف، ولـذلك جعلهم شـهداء على النـاس ليشهد محمد (ص) علينا، ولنشـهد على شـيعتنا، ولتشـهد شـيعتنا على النــاس، أبى الله عز وجل أن يكــون في حكمه اختلاف، أو بين أهل علمه تناقض".[256]

وزعموا أنه قال أيضا: " إن الملائكة تزور ولي الأمر في كل يوم وليلة، حـتى إذا أتت ليلة القـدر، فيهبط فيها من الملائكة إلى ولي الأمر، خلق الله...وأيم الله إن من صـدق بليلة القـدر، ليعلم أنها لنا خاصة لقــول رســول الله (ص) لعلي (ع) حين دنا موتــه: هذا وليكم من بعدي، فـان أطعتمـوه رشـدتم، ولكن من لا يـؤمن بما في ليلة القــدر منكــر، ومن آمن بليلة القــدر ممن على غــير رأينا فانه لا يسـعه في الصـدق إلا أن يقـول، إنها لنا ومن لم يقل فانه كاذب، إن الله عز وجل أعظم من أن يـنزل الأمر مع الـروح والملائكة إلى كافر فاسق، فان قال: إنه يـنزل إلى الخليفة الـذي هو عليها فليس قولهم ذلك بشيء، وإن قالوا: إنه ليس ينزل إلى أحد فلا يكون أن ينزل شئ إلى غير شئ وإن قـالوا - وسـيقولون -: ليس هذا بشيء، فقد ضلوا ضلالا بعيدا".[257]

وحسب الروايات التي ينقلها الكليني فقد وضع البـاقر الأئمة في مصــاف الملائكة والأنبيــاء والرسل في تلقي العلم من اللــه: "فما نبـذه إلى ملائكته ورسـله فقد انتهى إلينـا".[258] وأطلق على "الأئمة" صفة "المحدَّثين" أي الذين تحدثهم الملائكة، وأنه أضاف كلمة "المحدَّث" إلى هذه الآية: "وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي (ولا محدَّث)".[259]

وتزعم بعض الروايات أن الباقر اخترع دعـوى "المحـدَّث" مما ولد صدمة في صفوف شـيعته، ولـدى أقـرب المقـربين إليه وهو عمه (عبد الله بن زيد، أخو الإمـام علي بن الحسـين لأمـه) الـذي استنكر حكاية "المحدَّث" وقـال: سـبحان الله ؟! كأنه ينكر ذلـك، فأقبل عليه أبو جعفر فقــال: أما والله إن ابن أمك بعــدُ قد كــان

---

256 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في شأن إنا أنزلناه ، ح رقم 7

257 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في شأن إنا أنزلناه ، ح رقم 9

258 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة يعلمون جميع العلـوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء، ح رقم 1و 2 و3 و4

259 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة محـدثون مفهمـون، ح رقم 2

يعـرف ذلـك.[260] وأثـارت تلك الـدعوى تسـاؤلا عند الشـيعة عن احتمـــال كـــون ما يـــدعي "المحـــدَّث" أنه يســـمعه: من وحي الشيطان؟ وكيف يعرف بأنه ملك؟ فكان الـرد عليهم: أنه "يعطى السكينة والوقار حتى يعلم أنه كلام ملك". [261]

وصدمت تلك الدعوى كذلك أقرب شيعة الباقر إليه: حمران بن أعين، الذي سـمعه يقـول "بـأن عليا كـان محـدَّثا" فخـرج إلى أصحابه يقول: جئتكم بعجيبة، فقالوا: وما هي؟ فقال: سـمعت أبا جعفر يقول: كان علي محدَّثا. فقالوا له ما صنعت شيئا ألا سـألته من يحدثه" فعـاد فسـأل أبا جعفر فقـال لـه: يحدثه ملك ، فقـال حمران: أقول إنه نبي أو رسول؟ قـال: لا ، بل مثله مثل صـاحب سليمان ومثل صـاحب موسى ومثله مثل ذوى القـرنين.[262] وقـرأ الباقر هذه الآية هكـذا "وما أرسـلنا من قبلك من رسـول ولا نـبي ولا محدث"**.** ويكمل حمران الرواية فيقول إنه ذهب وأخبر الحكم بن عيينة بـالخبر، مما أزعج البـاقر فلامه وقـال لـه:"لِمَ حـدثت الحكم بن عيينة عـني أن الأوصـياء محدَّثون؟ لا تحدثه وأشـباهه بمثل هذا الحديث".[263]

ويزعم أبو حمزة الثمالي والمغيرة بن سـعيد (الـذي تنبأ فيما بعد.[264]) أن الباقر قـال لهما:"وجـدنا علم علي في آية من كتـاب الله "وما أرسلنا من قبلك من رسـول ولا نـبي ولا محدَّث" فقـالا له: ليست هكذا هي، فقال في كتاب علي "وما أرســلنا من قبلك

---

[260] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة محدثون مفهمون، ح رقم 2

[261] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة محدثون مفهمون، ح رقم 4

[262] - - الكليـني، الكـافي، كتـاب الحجـة، بـاب في أن الأئمة محـدثون مفهمون، ح رقم 5 والصفار، بصائر الدرجات، ج 7 باب 6 ح رقم (10)

[263] - الخوئي، معجم رجال الحديث، رقم 4027 – عن الكشي في ترجمة حمران بن أعين الشيباني.

[264] - تقول روايات عديدة عن الصادق أن المغيرة كان يكـذب على البـاقر في حياته فيأخذ كتبه من أصـحابه ويـدس فيها ما يشـاء من كفر وزندقة وغلو، كما في هذه الرواية أنه قال:"كان المغـيرة بن سـعيد يتعمد الكـذب على أبي، ويأخذ كتب أصـحابه، وكـان أصـحابه المسـتترون بأصـحاب أبي يأخذون الكتب فيدفعونها إلى المغـيرة، وكـان يـدس فيها الكفر والزندقـة، ويســندها إلى أبي، ثم يــدفعها إلى أصــحابه، ثم يــأمرهم أن يبثوها في الشـيعة، فكل ما كـان في كتب أبي من الغلو فـذاك مما دسه المغـيرة بن سـعيد في كتبـه". أسد حيـدر، الإمـام الصـادق والمـذاهب الأربعـة، المجلد الثاني، ص 381 – 383

من رسـول ولا نـبي ولا محدَّث إلا إذا تمـنى ألقى الشـيطان في أمنيته" فقـال أبو حمـزة : وأي شئ المحـدَّث؟ فقـال: ينكت في أذنه فيسـمع طنينا كطـنين الطست أو يقـرع على قلبه فيسـمع وقعا كوقع السلسلة على الطست".[265]

ولم يكتف بعض الرواة بدعوى نزول الملائكة على الأئمة، وإنما أضافوا إليها دعـوى صـعود أرواح "الأوصـياء" إلى السـماء لطلب المزيد من العلم، كما في حـديث أبي يحـيى الصـنعاني، الـذي يـدعي صـعود روح الوصي كل ليلة جمعة مع أرواح الأنبيـاء والأوصـياء المـوتى إلى السـماء وطوافها بـالعرش ... إلى أن يقول:"ويصبح الوصي الذي بين ظهرانيكم وقد زيد في علمه مثل جم الغفير".[266] أو " فلا تـرد أرواحنا إلى أبـداننا إلا بعلم مسـتفاد، ولولا ذلك لأنفدنا".[267]

وبـالرغم من محاولة بعض الأحـاديث التفريق بين النـبي و "المحدَّث" ونفي النبـوة عن الأئمـة، إلا أن تلك المقولة أحـدثت اضطرابا كبيرا لـدى الشـيعة الـذين أخـذوا يتوافـدون على البـاقر ويسـألونه عن هـذه الـدعوى العجيبة الغريبة : هل هي النبـوة؟ ويزعم حمران بن أعين : أنه سأل أبا جعفر، بعدما أخبره بحـديث الملك للإمـام: تقـول إنه نـبي؟ قـال: فحـرك يـده - هكـذا -: أو كصـاحب سـليمان أو كصـاحب موسى أو كـذي القـرنين، أو ما بلغكم أنه قال: وفيكم مثله.[268]

---

[265] - الصفار، بصائر الدرجات، ج 7 باب 6 ح رقم (13). وعن زرارة عن أبي جعفر قـال الأنبيـاء على خمسة أنـواع منهم من يسـمع الصـوت مثل صـوت السلسـلة فيعلم ما عـنى به ومنهم من ينبـأ في منامه مثل يوسف وإبـراهيم ومنهم من يعـاين ومنهم من ينكت في قلبه ويـوقر في أذنـه. الصـفار، بصـائر الـدرجات، ج 8، بـاب 1 في الفـرق بين الأنبيـاء والرسل والأئمة عليهم السلام ومعرفتهم وصفتهم ، ح رقم (6)

[266] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة يـزدادون في ليلة الجمعة، ح رقم 1

[267] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة يـزدادون في ليلة الجمعة، ح رقم 2 و باب لولا أن الأئمة يـزدادون لنفد ما عنـدهم، ح رقم 1 و 2

[268] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة محدثون مفهمون، ح رقم 5 وباب في أن الأئمة بمن يشبهون ممن مضى وكراهة القول فيهم بالنبوة، ح رقم 1

ويقول الحارث بن المغيرة إنه سأل الباقر نفس السؤال وأجابه بنفس الجـواب.[269] ودخل بريد بن معاوية على البـاقر فسـأله: ما منزلتكم؟ ومَن تشبهون ممن مضى؟ فأجابه: صـاحب موسى وذو القرنين، كانا عالمين ولم يكونا نبيين.[270]

وتكشف بعض الأحاديث عن محاورات جرت بين بعض الشيعة والباقر حـول موضـوع "المحدَّث" وتسـاؤلات لهم عن تفـوق علم الأئمة على علم النـبي في حالة نـزول الملائكة على الأئمـة، كما في رواية زرارة بن أعين الـــذي يقـــول إنه ســـمع أبا جعفر يقـول:"لـولا أنا نـزداد لأنفـدنا" فسـأله : تـزدادون شـيئا لا يعلمه رسـول الله (ص)؟! وأن البـاقر قـال لـه:" أما إنه إذا كـان ذلك عـــرض على رســـول الله (ص) ثم على الأئمة ثم انتهى الأمر إلينا".[271]

وتقول إحدى الروايات التي ينقلها الكليني إن رجلاً (يبـدو أنه شيعي) جاء إلى الإمام الباقر، وأجرى معه حوارا مهما جـدا حـول موضوع "المحدَّث"، وابتدأ حديثه بالقول:

- يا ابن رسول الله لا تغضب علي؟. قال: لمـاذا؟ قـال: لما أريد أن أسألك عنه، قال: قـل، قـال: ولا تغضـب؟ قال: ولا أغضب. قال:
- أرأيت قولك في ليلة القدر، وتـنزل الملائكة والـروح فيها إلى الأوصـياء، يـأتونهم بـأمر لم يكن رسـول الله (ص) قد علمه؟ أو يأتونهم بأمر كان رسول الله (ص) علمـه؟ وقد علمت أن رسـول الله (ص) مـات وليس من علمه شئ إلا وعلي (ع) له واع. قال أبو جعفر:
- مالي ولك أيها الرجل ومن أدخلك علي؟ قال:
- أدخلني عليك القضاء لطلب الدين، قال:
- فافهم ما أقول لك: إن رسول الله (ص) لما أسري به لم يهبط حـتى أعلمه الله جل ذكـره علم ما قد كـان

---

[269] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة بمن يشبهون ممن مضى وكراهة القول فيهم بالنبوة، ح رقم 4

[270] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة بمن يشبهون ممن مضى وكراهة القول فيهم بالنبوة، ح رقم 5

[271] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة يـزدادون في ليلة الجمعة، ح رقم 3

وما سـيكون، وكـان كثـير من علمه ذلك جملا يـأتي تفسـيرها في ليلة القـدر، وكـذلك كـان علي بن أبي طـالب (ع) قد علم جمل العلم ويـأتي تفسـيره في ليـالي القـدر، كما كـان مع رسـول الله (ص)، قـال السائل:

- أو ما كان في الجُمل تفسير؟ قال:

- بلى، ولكنه إنما يأتي بـالأمر من الله تعـالى في ليـالي القدر إلى النبي وإلى الأوصياء: افعل كـذا وكـذا، لأمر قد كانوا علموه، أمروا كيف يعملون فيه، قال:

- فسر لي هذا، قال:

- لم يمت رسول الله (ص) إلا حافظا لجمله وتفسـيره، قال:

- فالذي كان يأتيه في ليالي القدر علمُ ما هو؟ قال:

- الأمر واليسر فيما كان قد علم، قال السائل:

- فما يحدث لهم في ليالي القدر علم سوى ما علمـوا؟ قال:

- هذا مما أمروا بكتمانه، ولا يعلم تفسير ما سـألت عنه إلا الله عز وجل. قال السائل:

- فهل يعلم الأوصياء ما لا يعلم الأنبياء؟ قال:

- لا، وكيف يعلم وصي غـــير علم ما أوصي إليه. قـــال السائل:

- فهل يسعنا أن نقول: إن أحداً من الوصاة (الأوصـياء) يعلم ما لا يعلم الآخر؟ قال:

- لا، لم يمت نـــبي إلا وعلمه في جـــوف وصـــيه، وإنما تـنزل الملائكة والـروح في ليلة القـدر بـالحكم الـذي يحكم به بين العباد. قال السائل:

- و ما كانوا علموا ذلك الحكم؟ قال:

- بلى قد علموه ولكنهم لا يستطيعون إمضاء شئ منه حتى يؤمروا في ليالي القدر كيف يصنعون إلى السنة المقبلة. قال السائل:

- يا أبا جعفر لا أستطيع إنكار هذا؟ قال أبو جعفر :

- من أنكره فليس منا. قال السائل:

- يا أبا جعفر أرأيت النبي (ص) هل كان يأتيه في ليالي القدر شئ لم يكن علمه؟ قال:

- لا يحل لك أن تسأل عن هذا، أما علم ما كان وما سيكون فليس يموت نبي ولا وصي إلا والوصي الذي بعده يعلمه، أما هذا العلم الذي تسأل عنه فإن الله عز وجل أبى أن يطلع الأوصياء عليه إلا أنفسهم. قال السائل:

- يا ابن رسول الله كيف أعرف أن ليلة القدر تكون في كل سنة؟ قال:

- إذا أتى شهر رمضان فاقرأ سورة الدخان في كل ليلة مائة مرة فإذا أتت ليلة ثلاث وعشرين فإنك ناظر إلى تصديق الذي سألت عنه.[272]

"صعوبة حديث آل محمد"

وسواء كانت مقولة "المحدَّث" من بنات أفكار الباقر أو من مخترعات غلاة الإمامية، فإنها جوبهت برد فعل رافض من قبل كثير من الشيعة لمخالفتها الصريحة للقرآن الكريم الذي يؤكد على ختم النبوة وانقطاع الوحي أو نزول الملائكة على بشر بعد النبي محمد (ص). وهذا ما تكشف عنه أحاديث عديدة ينقلها الكليني عن الباقر، تتضمن محاولة للسيطرة على الأمور وتخفيف الصدمة، بالإيحاء بصعوبة حديث آل محمد، وأنه صعب مستصعب. حيث يرد في إحدى الروايات عن الباقر أنه يروي حديثا عن رسول الله (ص) أنه قال: "إن حديث آل محمد صعب مستصعب لا يؤمن به إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد

---

272 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في شأن إنا أنزلناه ، ح رقم 8

امتحن الله قلبه للإيمـــان، فما ورد عليكم من حـــديث آل محمد (ص) فلانت له قلــوبكم وعرفتمــوه فــاقبلوه، وما اشــمأزت منه قلوبكم وأنكرتموه فردوه إلى الله وإلى الرسول وإلى العالم من آل محمد، وإنما الهالك أن يحـدث أحـدكم بشـيء منه لا يحتملـه، فيقــول: والله ما كـــان هــذا والله ما كـــان هــذا. والإنكـــار هو الكفر".[273]

وأن الباقر قال:" والله إن أحب أصحابي إلي أورعهم وأفقههم وأكتمهم لحديثنا، وإن أسوأهم عندي حالا وأمقتهم للذي إذا سـمع الحــديث ينسب إلينا ويــروى عنا فلم يقبله اشــمأز منه وجحــده وكفَّر من دان به وهو لا يدري لعل الحديث من عنـدنا خـرج وإلينا أسند، فيكون بذلك خارجا عن ولايتنا".[274]

وتقـول بعض الروايـات إن البـاقر قـام بـدعوة الشـيعة للتسـليم والتصديق والطاعة. وفسر قوله تعالى "ومن يقـترف حسـنة نـزد له فيها حسنا" بأن الاقتراف يعني:"التسليم لنا والصدق علينا وألا يكـــذب علينـــا".[275] وأنه ســـأل كامل التمـــار: أتـــدري من هم المؤمنــون؟ (في قوله تعــالى : قد أفلح المؤمنــون) قــال: أنت أعلم، قــال:"قد أفلح المؤمنــون المســلّمون، إن المســلّمين هم النجباء".[276] وقال لسدير: " إنما كلف الناس ثلاثة: معرفة الأئمــة، والتسليم لهم فيما ورد عليهم، والرد إليهم فيما اختلفوا فيه".[277]

المبحث الثالث: وجوب الولاء للأئمة

---

273 - وكذلك :" إن حديثنا صعب مستصعب، لا يحتمله إلا صدور منيرة أو قلوب سـليمة أو أخلاق حسـنة". و"إن علم العلمـاء صـعب مستصـعب، لا يحتمله إلا نـــبي مرسل أو ملك مقـــرب أو عبد مـــؤمن امتحن الله قلبه للإيمان". الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب فيما جاء أن حـديثهم صـعب مستصعب، ح رقم 1 و 2 و3 و 4

274 - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب الكتمان، ح رقم 7

275 - الكليني، الكـافي، كتـاب الحجـة، بـاب التسـليم وفضل المسـلمين، ح رقم 4

276 - الكليني، الكـافي، كتـاب الحجـة، بـاب التسـليم وفضل المسـلمين، ح رقم 5

277 - الكليني، الكـافي، كتـاب الحجـة، بـاب التسـليم وفضل المسـلمين، ح رقم1

وبعد أن أصبحت نظرية "الإمامة لأهل البيت" دينية إلهية، كـان لا بد أن يصـبح الــولاء للأئمة واجبـاً دينيــاً مقدسـاً وليس خيـاراً سياسياً حراً، كما هو الحال في نظام الشورى المدني الذي يختار فيه المســلمون إمـــامهم طواعية ويعقـــدون معه اتفاقية معينة للحكم، يمنحونه ولاءهم على أساســها، فــإذا خــالف شــروطهم سحبوا ولاءهم عنه وأسقطوه.

وكان من الطبيعي أن يتضمن الفكر الإمامي بندا خاصا بوجوب الـــولاء للأئمة من أهل الـــبيت، ورفع الأمر إلى مرتبة الأحكـــام الشـــرعية والأركـــان المهمة في الإســلام. وتأكيـــدا لـــذلك روى الإمامية أحاديث عديـدة عن الإمـام البـاقر تـدعو الشـيعة لتقـديم الـــولاء لـــه، والتصـــديق بإمامته الخاصة من اللـــه، كما ورد في "الكــافي" عنه أنه قــال:" قــال رســول الله (ص): من أحب أن يحيى حياة تشبه حياة الأنبياء، ويمـوت ميتة تشـبه ميتة الشـهداء، ويسكن الجنان الـتي غرسـها الـرحمن؛ فليتـولَّ عليا وليـوالِ وليَه وليقتد بالأئمة من بعده، فـإنهم عـترتي خلقـوا من طينـتي.. وويل للمخــالفين لهم من أمــتي، اللهم لا تنلهم شــفاعتي".[278] وما ورد عن جابر بن يزيد الجعفي، عن أبي جعفر قال:" قال رســول الله (ص): من سره أن يحـيى حيـاتي، ويمـوت ميتـتي، ويـدخل الجنة الـتي وعـدنيها ربي... فليتـولَّ علي بن أبي طـالب (ع) وأوصـياءه من بعده، فإنهم لا يدخلونكم في بـاب ضـلال، ولا يخرجـونكم من باب هدى ... وإني سألت ربي ألا يفـرق بينهم وبين الكتـاب حـتى يردا علي الحوض ".[279]

وعن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفر يقول:" قال رسول الله (ص): إن الله تبارك وتعالى يقـول: اسـتكمال حجـتي على الأشقياء من أمتك: من ترك ولاية علي ووالى أعداءه، وأنكر فضله وفضل الأوصـياء من بعـده، فـإن فضـلك فضـلهم، وطاعتك طـاعتهم، وحقك حقهم، ومعصـيتك معصـيتهم، وهم الأئمة الهـداة من بعــــدك، جــــرى فيهم روحك ...حق عليَّ لقد اصـــــطفيتهم وانتجبتهم وأخلصتهم وارتضيتهم، ونجى من أحبهم ووالاهم وسـلم

---

[278] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما فرض الله ورسوله من الكون مع الأئمة، ح رقم 3

[279] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما فرض الله ورسوله من الكون مع الأئمـة، ح رقم 6 وفي رواية ثالثة يرويها أبو عبد الله عن رسـول اللـه، يقول فيها"...إلى الله أشكو أمر أمتي، المنكرين لفضلهم، القـاطعين فيهم صلتي، وأيم الله ليقتلن ابني لا أنالهم الله شفاعتي". المصدر ، ح رقم 5

لفضـــلهم، ولقد آتــاني جبرئيل عليه السـلام بأســمائهم وأســماء آبائهم وأحبائهم والمسلمين لفضلهم".[280]

وعن جابر، عن أبي جعفر، قال: لما نـزلت هـذه الآيـة: "يـوم ندعو كل أناس بإمـامهم" قـال المسـلمون: يا رسـول الله ألست إمــام النــاس كلهم أجمعين؟ قــال: فقــال رســول الله (ص): أنا رسول الله إلى الناس أجمعين ولكن سيكون من بعدي أئمة على النـــاس من الله من أهل بيــتي، يقومـــون في النـــاس فيُكذَّبون، ويظلهم أئمة الكفر والضـــلال وأشـــياعهم، فمن والاهم، واتبعهم وصــدقهم فهو مــني ومعي وســيلقاني، ألا ومن ظلمهم وكــذبهم فليس مني ولا معي وأنا منه برئ". [281]

وروى الإمامية عن الباقر أن رسول الله (ص) وَعَدَ من يتولى الأئمة بالشفاعة، وقال:"إن الروح والراحة والفلج والعون والنجاح والبركة والكرامة والمغفـــــرة والمعافــــاة واليسر والبشــــرى والرضوان والقرب والنصر والتمكن والرجاء والمحبة من الله عز وجل لمن تـولى عليا وائتم بـه، وبـرئ من عـدوه، وسـلم لفضـله وللأوصــياء من بعـــده، حقا علي أن أدخلهم في شـــفاعتي، وحق على ربي تبارك وتعالى أن يستجيب لي فيهم، فإنهم أتباعي ومن تبعني فإنه مني".[282] وأن البـاقر قال لأبي خالد الكـابلي:" والله يا أبا خالد لا يحبنا عبد ويتولانا حـــــتى يطهر الله قلبه ولا يطهر الله قلب عبد حتى يسلم لنا ويكون سلما لنا فإذا كان سلما لنا سلمه الله من شديد الحساب وآمنه من فزع يوم القيامة الأكبر". [283]

ويقولــون: إن البــاقر نظر ذات يــوم إلى النــاس يطوفــون حــول الكعبة، فقال:" هكذا كانوا يطوفـون في الجاهليـة، إنما أمـروا أن يطوفـوا بهـا، ثم ينفـروا إلينا فيُعلِمونا ولايتهم ومـودتهم ويعرضـوا علينا نصرتهم، ثم قرأ هذه الآية: "واجعل أفئدة من النـاس تهـوي إليهم".[284] وإنه قال لسدير:"إنما أُمر الناس أن يأتوا هذه الأحجــار

---

280 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما فرض الله ورسوله من الكون مع الأئمة، ح رقم 4

281 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة في كتاب الله إمامان، ح رقم 1

282 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما فرض الله ورسوله من الكون مع الأئمة، ح رقم 7

283 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة نور الله، ح رقم 1

284 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الـواجب على النـاس بعد ما يقضون مناسكهم أن يأتوا الإمام، ح رقم 1 و 2

فيطوفوا بها ثم يأتونا فيُعْلمونا ولايتهم لنا وهو قــول اللــه: " وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى" - ثم أومأ بيده إلى صـــدره - إلى ولايتنـــا. وفسر قوله تعـــالى: " قل إنما أعظكم بواحدة" بقولـه: إنما أعظكم بولاية علي، هي الواحـدة الـتي قـال الله تبارك وتعالى " إنما أعظكم بواحدة".[285]

ورووا عن الباقر : أن الله أوحى إلى نبيه (ص): " فاستمسك بالذي أوحي إليك، إنك على صراط مسـتقيم" أي: إنك على ولاية علي وعلي هو الصراط المستقيم.[286] وأن الباقر قال: إن جبرئيل عليه السـلام نـزل بهـذه الآية على محمد (ص) هكـذا: " بئسـما اشتروا به أنفسهم أن يكفـروا بما أنـزل الله (في علي) بغيـا".[287] وأنه قرأ هذه الآية "أ فكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفســكم". البقرة 87 مع شرح خاص هكذا: " أ فكلما جاءكم (محمـد) بما لا تهوى أنفسكم (بموالاة علي) فاستكبرتم، ففريقا (من آل محمـد) كذبتم وفريقا تقتلون".[288]

وزعم بعض الـرواة أن البـاقر قـال : نـزل جبرئيل (ع) بهـذه الآية على محمد (ص) هكـذا "فبـدل الـذين ظلمـوا (آل محمد حقهم) قــولاً غــير الــذي قيل لهم فأنزلنا على الــذين ظلمــوا (آل محمد حقهم) رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون".[289] وأنه قـال: نـزل جبرئيل (ع) بهذه الآية هكذا: " إن الذين كفروا وظلموا (آل محمد حقهم) لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهـديهم طريقا إلا طريق جهنم خالـدين فيها أبـدا وكـان ذلك على الله يسـيرا" ثم قـال: " يا أيها النــاس قد جــاء كم الرســول بــالحق من ربكم (في ولاية علي) فـــآمنوا خـــيرا لكم وإن تكفـــروا (بولاية علي) فـــإن لله ما في السماوات وما في الأرض ". النساء: 168- 170[290]

---

[285] - الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح رقم 41

[286] - الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح رقم 24

[287] - الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح رقم 25

[288] - الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح رقم 31

[289] - الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح رقم 58

[290] - الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح رقم 59

وأنه قال: نـزل جبرئيل بهـذه الآية هكـذا: " فـأبى أكـثر النـاس (بولاية علي) إلا كفورا". وأنه قال: نزل جبرئيل عليه السلام بهذه الآية هكـــذا: " وقل الحق من ربكم (في ولاية علي) فمن شـــاء فليـــؤمن ومن شـــاء فليكفر إنا اعتـــدنا للظـــالمين (آل محمـــد) نارا".[291]

وحسبما يقول الإمامية، فإن أبا جعفر اختصر أمر الولاية بكلمة فقـــال:" إن الله عز وجل نصب عليا علما بينه وبين خلقـــه، فمن عرفه كان مؤمنا، ومن أنكره كـان كـافرا، ومن جهله كـان ضـالا، ومن نصب معه شيئا كان مشركا، ومن جـاء بولايته دخل الجنـة". [292] وأنه قـال:" إن عليا عليه السـلام بـاب فتحه اللـه، فمن دخله كان مؤمنا ومن خرج منه كان كافرا ومن لم يدخل فيه ولم يخرج منه كـان في الطبقة الـذين قـال الله تبـارك وتعـالى: لي فيهم المشيئة". [293]

وزعموا بأن الباقر عزا مسألة الولاية والقبـول بها إلى عوامل جينية تعـود للطينة الـتي خلق منها الإنسـان في عـالم الـذر (وهو كما يقـال: عـالم مثـالي قبل عـالم الأرض) فقـال:" إن الله أخذ ميثـاق شـيعتنا بالولاية لنا وهم ذر، يـوم أخذ الميثـاق على الـذر، بـالإقرار له بالربوبية ولمحمد (ص) بـالنبوة وعـرض الله عز وجل على محمد (ص) أمته في الطين وهم أظلة وخلقهم من الطينة الـتي خلق منها آدم وخلق الله أرواح شـيعتنا قبل أبـدانهم بـألفي عام وعرضهم عليه وعرفهم رسول الله (ص) وعرفهم عليا ونحن نعرفهم في لحن القول". [294]

ورووا عن الباقر اعتباره الولاية لأهل البيت مرادفة لأركـان الإسـلام، وأنه قـال: "بـني الإسـلام على خمس: على الصـلاة والزكـاة والصـوم والحج والولاية ولم ينـادَ بشـيء كما نـودي بالولاية".[295] وفي رواية أخرى:" فأخذ النـاس بـأربع وتركـوا هـذه،

---

[291] - الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح رقم 65

[292] - الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نتف وجوامع من الرواية في الولاية، ح رقم 7

[293] - الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نتف وجوامع من الرواية في الولاية، ح رقم 8

[294] - الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نتف وجوامع من الرواية في الولاية، ح رقم 9

[295] - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب دعائم الإسلام، ح رقم 1

يعني الولاية". [296] وإن "الولاية أفضل، لأنها مفتاحهن، والـوالي هو الدليل عليهن". وإن " ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشـياء و رضا الـــرحمن الطاعة للإمـــام بعد معرفتـــه، إن الله عز وجل يقول: "من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسـلناك عليهم حفيظـا". أما لو أن رجلا قـام ليله وصـام نهـاره وتصـدق بجميع ماله وحج جميع دهـــره ولم يعـــرف ولاية ولي الله فيواليه ويكــون جميع أعماله بدلالته إليــه، ما كــان له على الله عز وجل حق في ثوابه ولا كان من أهل الإيمــان، ثم قــال: أولئك المحسن منهم يدخله الله الجنة بفضل رحمته". [297]

وقال سالم الحناط : إن الباقر فسر قول الله تبـارك وتعـالى: " نــزل به الــروح الأمين على قلبك لتكــون من المنــذرين بلســان عربي مبين" بأن قال: هي الولاية لأمير المؤمـنين.[298] كما شــرح قول الله عز وجل: " ولو أنهم أقاموا التـوراة و الإنجيل وما انـزل إليهم من ربهم" فقال: الولاية.[299]

وذهب بعض الرواة بعيدا فقالوا إن الباقر أخـبر شـيعته بـولاء الملائكة لأهل الـبيت فقال: "والله إن في السـماء لسـبعين صـفا من الملائكــة، لو اجتمع أهل الأرض كلهم يحصــون عــدد كل صف منهم ما أحصوهم وإنهم ليدينون بولايتنا". [300]

الفصل الخامس
الإمام الصادق في خضم التيارات السياسية والفقهية

تــوفي الإمــام محمد البـاقر سـنة 114 هــ في المدينة المنــورة وورثه ابنه الإمام جعفر الصادق، وقد استحق لقب "الإمام" لعلمه

[296] - واعتـبر الصـادق في حـديث له الولاية ثالثة الأثـافي، فقـال: أثـافي الإسلام ثلاثة: الصلاة والزكاة والولاية، لا تصح واحدة منهن إلا بصــاحبتيها". الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب دعائم الإسلام، ح رقم 3 و 4

[297] - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب دعائم الإسلام، ح رقم 5

[298] - الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح رقم 1

[299] - الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح رقم 6

[300] - الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نتف وجوامع من الرواية في الولاية، ح رقم 5

وفضله وتقواه.[301] وكان من أشد الناس التزاما بـالقرآن والسـنة، وما فتيء يوصي شيعته بـالالتزام بهما: " لا تقبلـوا علينا حـديثا إلا ما وافق القـــرآن والســـنة، أو تجـــدون معه شـــاهدا من أحاديثنا المتقدمة...فاتقوا الله ولا تقبلـوا علينا ما خـالف قـول ربنا تعـالى وسـنه نبينا محمد (ص) فإنا إذا حـدثنا قلنـا: قـال الله (عزَّ وجل) وقال رسـول الله (ص)".[302] "فوالله ما نحن إلا عبيد الـذي خلقنا واصـطفانا، ما نقـدر على ضر ولا نفـع، وإن رحمنا فبرحمتـه، وإن عـــذبنا فبـــذنوبنا، والله مالنا على الله من حجة ولا معنا من الله براءة، وإنا لميتون ومقبورون ومنشـورون ومبعوثـون وموقوفـون ومسؤولون ".[303]

وان كل ما كان يشكل ميزة خاصة للإمام الصادق عن غـيره من الزعماء هو العلم المسـتند إلى مجموعة من الكتب الموروثة عن آبائه وأجداده.[304]

وقد اعتمد على ذلك في إثبات إمامته أمام منافسيه من بني عمه الحسنيين، وتحدث عن المـيزة الـتي تؤهله للإمامة فقـال :" أما والله عندنا ما لا نحتاج إلى الناس وان الناس ليحتاجون إلينــا. ان عندنا الصحيفة : سبعون ذراعا بخط علي وإملاء رسول الله .. فيها من كل حلال وحرام". وشـرح "العلم" الـذي كـان لديه فقال :" انه وراثة من رســـول الله ومن علي بن أبي طـــــالب . علم يستغني عن الناس ولا يستغني النـاس عنـه". [305] وكـان يخـاطب الشـيعة قـائلاً:" ولو أنكم إذا سـألوكم (بنو الحسـن) وأجبتمـوهم واحتجـوكم بـالأمر كـان أحب إلي أن تقولـوا لهم: إنا لسـنا كما يبلغكم. ولكنا قوم نطلب هذا العلم عند من هو أهله ومن صـاحبه .. وهـذا الجفر عند من هـو؟ ومن هو صـاحبه؟. فـان يكن عنـدكم فإنا نبايعكم وإن يكن عند غيركم فإنا نطلبه حتى نعلم". [306] ونفى الصادق وجود (الجفر) لـدى بـني الحسـن، وقال :" إن في الجفر الذي يذكرونه لما يسـوؤهم لأنهم لا يقولـون الحق ... والحق فيه، فليخرجوا قضـايا علي وفرائضه إن كـانوا صـادقين. وسـلوهم عن

---

[301] - كما وصــفه أخلص أصـحابه عبد الله بن أبي يعفـور بأنه كـان عالما فاضلا براً تقياً . رجال الكشى : 160 32 .

[302] - الخوئي، معجم رجال الحديث، رقم 12587 - المغيرة بن سعيد

[303] - رجال الكشى : 70 و 71

[304] - مصـحف فاطمة ليس قرآنا وإنما هو كتـاب حـديث خـاص بها وفيه وصاياها، كما يتضح من بعض الروايات.

[305] - الصفار، بصائر الدرجات، ص 142

[306] - الصفار، بصائر الدرجات، ص 158

الخـالات والعمـات. وليخرجـوا مصـحف فاطمة فـإن فيه وصـية فاطمة. ومعه سـلاح رسـول اللـه. إن الله عز وجل يقـول: فـأتوا بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين".[307]

وعندما تحدى عبدُالله بن الحسن الصادقَ، واتهمه بأنه "رجل صـحفي" (أي يأخذ من الصـحف الإسـرائيلية السـابقة)، وقـال:" ليس لنا في هـــــــذا الأمر ما ليس لغيرنا"! أجابه أبو عبد الله قـــائلا:"إي والله صـــحف إبـــراهيم وموسى وعيسى ورثتها عن آبائي".[308] وقال:" أما تعجبون من عبد الله يزعم أن أبــاه عليا لم يكن إماما، ويقـول: إنه ليس لنا علم، وليس فينا إمـام، صـدق ما هو بإمام ولا كان أبوه إماما. وصدق والله ما عنده علم".[309]

وحسبما يقول هشام بن سالم وحفص بن البخـتري، أنهما سـئلا الصــادق: بــأي شئ يعــرف الإمــام؟ قــال:" بالوصــية الظــاهرة وبالفضــل، إن الإمــام لا يســتطيع أحد أن يطعن عليه في فم ولا بطن ولا فــرج، فيقــال: كـذاب ويأكل أمــوال النـاس، وما أشـبه هذا".[310]

ومما يؤكد قيام إمامة الصادق على محور العلم، رواية محمد بن مسـلم الـذي يقـول إنه سـأل أبا عبد الله عمن يكـون بعـده؟ فقال:" إن عليا عليه السلام كـان عالما والعلم يتـوارث، فلا يهلك عالم إلا بقي من بعده من يعلم مثل علمه أو ما شاء اللــه، قلت: أ فَيَسع الناس إذا مات العالم ألا يعرفـوا الـذي بعـده؟ فقـال: أما أهل هذه البلدة - يعني المدينة - فلا وأما غيرها من البلدان فبقدر مسيرهم، إن الله يقول:"وما كـان المؤمنـون لينفـروا كافة فلـولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون". قال: قلت: أ رأيت من مات في ذلـــك؟ فقـــال: هو بمنزلة من خـــرج من بيته مهـــاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه المـوت فقد وقع أجـره على اللـه، قـال: قلت:

---

307 - الكليني، الكافي، ج1 ، ص 241

308 - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 553

309 - الصفار، بصائر الدرجات: الجـزء 3، بـاب 14 في الأئمة أنهم أعطـوا الجفر والجامعة ومصحف فاطمة ، ح رقم (15)

310 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الأمور التي توجب حجة الإمام، ح رقم 3

فـإذا قـدموا بـأي شئ يعرفـون صـاحبهم؟ قـال: يعطى السـكينة والوقار والهيبة".[311]

ولا توجد أدلة قاطعة على تبني الإمام الصادق لنظرية "الإمامة الإلهية". كما لم توجد أدلة قاطعة على تبـني والـده لها من قبـل. ولو كـان البـاقر يتبناها حقـاً ، لكـان - على الأقل – قد نقلها إلى ابنه جعفر الصـــادق بصـــورة رســـمية واضـــحة لا لبس فيها ولا غمـــوض، على العكس مما حصل فعلا حيث اكتفى بالوصـــية اليه بتغســـيله وتكفينه والصـــلاة عليه ودفنه وتســـوية قـــبره.[312] وهي وصـية لا تتضـمن أي معـنى سياسي أو ديـني فضلا عن "الإمامة الإلهية".[313] ولذلك ترك الإمام الصادق الساحة السياسية لزعمـاء آخرين من البيت العلـوي والهاشـمي، فتقـدم عمه الإمـام زيد بن علي ليفجر سنة 122 ثورة في الكوفة ضد الخليفة الأموي هشام بن الحكم، ثم يتبعها ابنه يحـيى بثـورة أخـرى في خراسـان سـنة 125 وفجر عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيار ثورة

---

[311] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما يجب على النـاس عند مضي الإمام، ح رقم 3 ومن الجدير بالـذكر ان نظرية "الاثـني عشـرية" لم تكن مخترعة ولا معروفة في زمـان الصـادق، ولم يكن أحد سـمع قط بأسـماء الأئمة الاثني عشر الذين نظم الشيعة قائمتهم في القرن الرابع الهجري.

[312] - كما يقول الإمام الصادق:" إن أبي استودعني ما هناك، فلما حضرته الوفاة قال: ادع لي شهودا فدعوت أربعة من قريش، فيهم نافع مولى عبد الله بن عمـر، قـال: اكتب هـذا ما أوصى به يعقـوب بنيه " يا بـني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسـلمون" و أوصى محمد بن علي إلى ابنه جعفر بن محمد وأمـره أن يكفنه في بـرده الـذي كـان يصـلي فيه الجمع وأن يعممه بعمامته وأن يربع قـــبره ويرفعه أربع أصـــابع، ثم يخلي عنه، فقال: اطووه، ثم قال للشـهود: انصـرفوا رحمكم اللـه، فقلت بعد ما انصـرفوا: ما كـان في هـذا يا أبت أن تشـهد عليـه؟ فقـال: إني كـرهت أن تُغلب وأن يقـــال: إنه لم يـــوص، فـــأردت أن تكـــون لك حجة". الكليـــني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما يجب على الناس عند مضي الإمام، ح رقم 2

[313] - روى الإمامية إشـارات عامة من البـاقر حـول الصـادق، فقـال أبو الصباح الكناني: نطر أبو جعفر إلى أبي عبد الله يمشي فقـال: تـرى هـذا؟ هذا من الـذين قـال الله عز وجـل:" ونريد أن نمن على الـذين استضـعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين". وما نقله سدير الصيرفي من أن أبا جعفر قال له: "إن من سعادة الرجل أن يكون له الولـد، يعـرف فيه شبه خلقه وخلقه وشمائله، وإني لأعرف من ابني هـذا شـبه خلقي وخلقي وشمائلي". وأنه قال عنه:"هذا خير البرية أو أخير". وأنه سـئل عن القـائم، فضرب بيده على أبي عبد الله، فقال: هذا والله قائم آل محمد (ص). ولما حضرت الباقر الوفاة قال:" يا جعفر أوصيك بأصحابي خيرا".
الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الإشارة والنص على جعفر الصادق، ح رقم 1و 2 و 3 و4 و5 و6 و 7

في أصفهان وبلاد فارس سنة 129، وفجر العباسيون ثورة في خراسان أدت الى اسقاط النظام الأموي واستيلائهم على السلطة سنة 132. وفي تلك الأثناء نهض محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن، المعروف بـ "النفس الزكية" لإسقاط النظام الأموي، بعد مقتل الخليفة الأموي الوليد بن يزيد سنة 126، وبايعه الهاشميون وغيرهم من المعارضين للأمويين والمعتزلة والزيدية. وعندما عرض عمرو بن عبيد زعيم المعتزلة عليه مبايعة ابن عمه النفس الزكية، لم يقل الصادق: "إني إمام مفترض الطاعة من الله". وإنما أشار إلى أعلميته، واحتج بقول رسول الله (ص): " من ضرب الناس بسيفه ودعاهم إلى نفسه وفي المسلمين من هو أعلم منه فهو ضال متكلف".[314]

ورغم أن الإمام الصادق كان زاهدا في طلب الدنيا، إلا أن الإمامية دخلوا على الخط وادعوا أنه الإمام المفترض الطاعة من الله.[315] وصوروا الإمام منافسا لعمه زيد بن علي، وبني عمه الحسنيين على الزعامة. فقد روى الكليني في "الكافي" روايات عديدة عن الصادق أنه اتخذ موقفا مضادا لعمه زيد، وقال:" لا تعود الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين أبدا، إنما جرت من علي بن الحسين كما قال الله تبارك وتعالى: " وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله" فلا تكون بعد علي بن الحسين إلا في الأعقاب وأعقاب الأعقاب". و" أبى الله أن يجعلها لأخوين بعد الحسن والحسين". و" لا تجتمع الإمامة في

---

[314] - دخل عمرو بن عبيد زعيم المعتزلة، مع مجموعة منهم على الصادق، ودعوه للانخراط في حركتهم ومبايعة ابن عمه محمد بن عبد الله، وقالوا له: "قد قتل أهل الشام خليفتهم وضرب الله عز وجل بعضهم ببعض، وشتت الله أمرهم، فنظرنا فوجدنا رجلا له دين وعقل ومروة وموضع ومعدن للخلافة وهو محمد بن عبد الله بن الحسن فأردنا أن نجتمع عليه فنبايعه ثم نظهر معه فمن كان بايعنا فهو منا وكنا منه، ومن اعتزلنا كففنا عنه ومن نصب لنا جاهدناه ونصبنا له على بغيه ورده إلى الحق وأهله، وقد أحببنا أن نعرض ذلك عليك فتدخل معنا فانه لا غنى بنا عن مثلك لموضعك وكثرة شيعتك". فقال الصادق لعمرو بن عبيد:" اتق الله، وأنتم أيها الرهط فاتقوا الله، فإن أبي حدثني وكان خير أهل الأرض وأعلمهم بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه (ص): أن رسول الله (ص) قال:" من ضرب الناس بسيفه ودعاهم إلى نفسه وفي المسلمين من هو أعلم منه فهو ضال متكلف". الكليني، الكافي، ح رقم 8247 – 1

[315] - الكشي في ترجمة زيد، وترجمة أبي جعفر الأحول محمد بن علي بن النعمان، و ترجمة أبو خالد القماط

أخــوين بعد الحسن والحســين، إنما هي في الأعقــاب وأعقــاب الأعقاب".[316]

وروى "الإمامية" عن الإمـام الصـادق مثلما رووا عن أبيه البـاقر اســتخدامه لموضــوع:"ســلاح رســول الله (ص)" كــدليل على الإمامــة، وأنه قــال:"مثل الســلاح فينا كمثل التــابوت في بــني إســرائيل. كــانت بنو إســرائيل في أي بيت وجد التــابوت على أبوابهم أوتوا النبوة. ومن صار إليه السلاح منا أوتي الإمامة. ولقد لبس أبي درع رسول الله فخطت عليه الأرض خطيطـا. ولبسـتها أنا وكانت. وقائمنا من إذا لبسها ملأها إن شاء الله".[317]

كما زعم الإمامية أن محمد بن عبد الله بن الحسن قام بالرد على الصادق بادعاء امتلاكه لسلاح رسول الله، أيضا، وهو ما دفع الصادق إلى تكذيبه قائلا:" والله لقد كذب فوالله ما عنده وما رآه بواحدة من عينيه قط. ولا رآه عند أبيه. إلا أن يكون رآه عند علي بن الحسين". و"إن بني الحسن ليعرفون هـذا كما يعرفـون الليل أنه ليل والنهــار أنه نهــار ..ولكنهم يحملهم الحسد وطلب الــدنيا على الجحود والإنكار. ولو طلبـوا الحق بـالحق لكـان خـيرا لهم". و"قد كـان لرسـول الله سـيفان وفي أحــدهما علامة في ميمنته فليخبروا بعلامتهما وأسمائهما إن كانوا صادقين".[318]

ومع أن الإمامية ادعوا أن الصادق اعتمد على موضوع "السلاح" في الاسـتدلال على إمامتـه، إلا أنهم قـالوا إن "السـلاح" لم يكن ظاهرا، أي انه كان سريا وغامضا، وقـالوا إن أحد أصحاب الإمـام الصــادق (عبد الأعلى) ســأله عن علامة الإمامــة، فأجابه قــائلا: "يُعـرف صـاحب هـذا الأمر بثلاث خصـال لا تكـون في غـيره: هو أولى النـاس بالـذين قبله وهو وصـيه، وعنـده سـلاح رسـول الله

---

[316] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ثبات الإمامة في الأعقاب، ح رقم 1 و3 و 4

[317] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، بـاب ما عند الأئمة من سـلاح رسـول الله ومتاعه، ح رقم 1

[318] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، بـاب ما عند الأئمة من سـلاح رسـول الله ومتاعه، ح رقم 1
الخوئي، معجم الرجال، رقم 6805 عن الصفار، بصائر الـدرجات: الجـزء 4، الباب 4، في أن ما عند الأئمة (عليهم السلام)، من سلاح رسـول الله صلى الله عليه وآيات الأنبياء، ص 174.

(ص)". فقال عبد الأعلى: إن ذلك مستور مخافة السلطان؟ قال: لا يكون في ستر إلا وله حجة ظاهرة.[319]

الصادق و"الإمامة الإلهية"

وقال "الإمامية": إن الإمامة أمر الهي، وإن تعيين الإمام الجديد يتم بتدخل من الله تعالى، وروى عمرو بن الأشعث: انه سمع الإمام الصادق يقول: "لعلكم ترون أن هذا الأمر إلى رجل منا يضعه حيث يشاء لا والله انه لعهد من رسول الله مسمى رجل فرجل حتى ينتهي الأمر إلى صاحبه". وأنه قال:" ما مات عالم حتى يُعلمه الله عز وجل إلى من يوصي".[320] وقال:" لا يموت الرجل منا حتى يعرف وليه".[321] **أو** "لا يموت الإمام حتى يعلم من يكون من بعده فيوصي إليه".[322]

ولم يكتفِ "الإمامية" أو الغلاة منهم بذلك فنسبوا الى الإمام الصادق كثيرا من مقولاتهم الباطلة التي كانوا ينسبونها إلى أبيه من قبل، مثل علم الأئمة بالغيب وأنهم حجة من الله، وأنهم مفوضون في التشريع، أو مفوضون في إدارة الكون، وأنهم محدَّثون تتنزل عليهم الملائكة.

---

319 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما يجب على الناس عند مضي الإمام، ح رقم 2

320 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الإمام يعرف الإمام الذي يكون بعده. ح رقم 7 والصفار، بصائر الدرجات، ج 10 باب 2

321 - الصفار، بصائر الدرجات، ج 10 باب 3

322 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الإمام يعرف الإمام الذي يكون بعده. ح رقم 5 و 6 وقال إسماعيل بن عمار انه سأل أبا الحسن الأول الكاظم عن الإمامة: هل هي فرض من الله على الإمام أن يوصي ويعهد قبل ان يخرج من الدنيا؟ فقال نعم ، فقال فريضة من الله؟.. قال نعم. وقال يحيى بن مالك انه سأل علي بن موسى الرضا عن قول الله عز وجل: "ان الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات إلى أهلها"؟ فقال: الإمام يؤدي إلى الإمام. ثم قال: يا يحيى، انه والله ليس منه، إنما هو أمر من الله . وتقول بعض الروايات أن الإمام الجديد نفسه لم يكن يعرف أنه سيصبح "إماما" إلا في وقت متأخر، كما في هذه الرواية المنسوبة للصادق أنه سئل : متى يعرف الإمام أنه إمام؟ فقال: " في آخر دقيقة من حياة الأول". - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب وقت ما يعلم الإمام جميع علم الإمام الذي كان قبله، ح رقم 3 والصفار، بصائر الدرجات، ج 10 باب 3

هل كان الصادق "حجة من الله"؟

فبالرغم من تأكيد الإمام الصادق على ختم النبوة وانقطاع الوحي، إلا أن بعض الغلاة من "الإمامية" كانوا يصرون على ضرورة وجود رابط مستمر بين الله تعالى وخلقه في الأرض، بعد النبي محمد (ص) ليرفع الاختلافات بين المسلمين، ويكون "حجة" عليهم، وقيِّما على القرآن ومفسراً له. هو "الإمام الناطق" في مقابل "القرآن الصامت".[323]

وقد قام هؤلاء الغلاة الذين عرفوا بـ: "الرافضة" و"الإمامية" فيما بعد، بالتركيز على دور الإمام "الحجة" كمحور رئيسي في الدين والحياة، ورووا أحاديث كثيرة عن أئمة أهل البيت في هذا المضمون، واتخذوا من تلك الأحاديث دليلا على المطلوب. وفي هذا المجال ينقل الكليني في "الكافي" باب (أن الحجة لا تقوم لله على خلقه إلا بإمام) مجموعة روايات عن الإمام الصادق، تقول:"إن الحجة لا تقوم لله على خلقه إلا بإمام حتى يُعرف".[324] (وفي بعض الروايات: حيٍّ يُعرف) وإن "الحجة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق".[325] و"إن الأرض لا تخلو إلا وفيها إمام، كيما إن زاد المؤمنون شيئا ردهم، وإن نقصوا شيئا أتمه لهم". و"ما زالت الأرض إلا ولله فيها الحجة، يعرف الحلال والحرام ويدعو الناس إلى سبيل الله". و"إن الله لم يدع الأرض بغير عالم ولو كان ذلك لم يعرف الحق من الباطل". و"إن الله أجلُّ وأعظم من

---

[323] - يقول العاملي جامع (الوافي) : قد وردت أحاديث متواترة تزيد على مائتين وعشرين حديثا ... دالة على عدم جواز ورود استنباط الأحكام النظرية من ظواهر القرآن إلا بعد معرفة تفسيره من كلام الأئمة (عليهم السلام) والتفحص عن أحوالها، والقطع بأنها محكمة أو متشابهة، ناسخة أو منسوخة عامة أو خاصة ، إلى غير ذلك، أو ورود ما يوافقها من أحاديثهم الثابتة، وانه يجب العمل بالكتاب والسنة، وقد تقدم ذلك في حديث عبيدة السلماني ، لكن إذا كان ظاهر آية لا يوافقها حديث، ولا يعلم أنها ناسخة أو منسوخة ، محكمة أو متشابهة، لم يجز الجزم بظاهرها، ولا جزم بمخالفتها ، بغير نص بل يجب الاحتياط لما يأتي ان شاء الله تعالى ، ولا يخفى ندور الفرض لكثرة النصوص في آيات الأحكام ، والاستدلال بها منهم (عليهم السلام) ، وورد ما يوافقها أو يخصصها . الوافي، ح رقم [33151] عن الكافي 8 : 117 | 92

[324] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الحجة لا تقوم لله على خلقه إلا بالإمام، ح رقم 1 و2 و3

[325] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الحجة لا تقوم لله على خلقه إلا بالإمام، ح رقم 4

أن يـترك الأرض بغـير إمـام عـادل".[326] وأن أمـير المؤمـنين عليه السـلام قـال:"اللهم إنك لا تخلي أرضك من حجة لك على خلقك".[327]

وينقل الكليني عن أبي حمـزة قـال: قلت لأبي عبدالله : أتبقى الأرض بغير إمام؟ قال: لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت.[328]

كما توحي بعض الروايات بأهمية وجود "الحجة" في الأرض بحيث " لو لم يبق في الأرض إلا اثنان لكـان أحـدهما الحجـة".[329] أو " لو كـان النـاس رجلين لكـان أحـدهما الإمـام. وإن آخر مَن يموت الإمام، لئلا يحتج أحد على الله عز وجل أنه تركه بغير حجة لله عليه".[330]

وينقل "الإمامية" عن أبي عبدالله أنه قال:" أبى الله أن يجري الأشياء إلا بأسباب، فجعل لكل شئ سببا وجعل لكل سبب شرحا وجعل لكل شـرح علمـا، وجعل لكل علم بابا ناطقـا، عرفه من عرفـه، وجهله من جهلـه، ذاك رسـول الله (ص) ونحن".[331] وأنه خاطب شيعته قـائلا:"إنكم لا تكونـون صـالحين حـتى تعرفـوا، ولا تعرفـوا حـتى تصـدقوا، ولا تصـدقوا حـتى تسـلموا ...إنه من أتى الـبيوت من أبوابها اهتـدى، ومن أخذ في غيرها سـلك طريق الـردى... التمسـوا الـبيوت الـتي أذن الله أن ترفع ويـذكر فيها

---

326 - الكليني، الكافي، كتاب الحجـة، بـاب أن الأرض لا تخلو من حجـة، ح رقم2 و3 و5و 6

327 - المصدر، ح رقم 7

328 - المصدر، ح رقم 10 وهناك أحاديث أخرى عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن الرضا قال: قلت له: أتبقى الأرض بغـير إمـام؟ قـال: لا، قلت: فإنا نروي عن أبي عبدالله أنها لا تبقى بغير إمام إلا أن يسـخط الله تعـالى على أهل الأرض أو على العباد، فقال: لا، لا تبقى.. إذاً لسـاخت. وعن أبي جعفر أنه قـال:"لو أن الإمـام رفع من الأرض سـاعة لمـاجت بأهلهـا، كما يموج البحر بأهله". الكليني، الكافي، كتاب الحجـة، بـاب أن الأرض لا تخلو من حجة، ح رقم 11 و 12 و 13

329 - الكليـني، الكـافي، كتـاب الحجـة، بـاب أنه لو لم يبق في الأرض إلا رجلان لكان أحدهما الحجة، ح رقم 1 و2

330 - الكليـني، الكـافي، كتـاب الحجـة، بـاب أنه لو لم يبق في الأرض إلا رجلان لكان أحدهما الحجة، ح رقم 3 و4 و5

331 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب معرفة الإمام والرد إليه، ح رقم 7

اسـمه، فانه أخـبركم أنهم رجـال لا تلهيهم تجـارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتـاء الزكـاة يخـافون يوما تتقلب فيه القلـوب والأبصار... اتبعوا رسـول الله وأهل بيته وأقـروا بما نـزل من عند الله واتبعوا آثار الهدى، فانهم علامات الإمامة والتقى...".[332]

و كما نقل "الإمامية" عن أبي جعفر أنه قال: إن "رسول الله (ص) المنذر، وعلي الهـادي، أما والله ما ذهبت منا وما زالت فينا إلى الساعة".[333] أو"لكل زمان منا هادٍ يهديهم إلى ما جاء به نبي الله (ص)، ثم الهـــداة من بعــــده علي ثم الأوصــــياء واحد بعد واحــد".[334] نقلـوا أيضا عن أبي عبد الله الصـادق أنه شـرح قوله تعـالى:"إنما أنت منـذر ولكل قـوم هـاد" بتقسـيمه الى نصـفين، وتوجيه النصف الأول: "إنما أنت منذر" للرسول، واسـتنتاج فكـرة عامة من النصف الثاني:"ولكل قوم هاد" بتكرر الهـداة لكل قـوم عبر التاريخ. ثم قال بأن الأئمة هم الهـداة في كل زمـان، أو:"كل إمام هاد للقرن الذي هو فيهم". [335] وأنه قال: "لو كانت إذا نزلت آية على رجل ثم مـات ذلك الرجـل، مـاتت الآيـة، مـات الكتـاب؛ ولكنه حي يجري فيمن بقي كما جرى فيمن مضى".[336]

واستفاد "الإمامية" من ذلك ضرورة وجود "الحجـة" المرتبط بالسماء، في كل زمان. ولم يختلفـوا عمن ادعى النبـوة للأئمة إلا بـأنهم لم ينسـبوا الـوحي أو نـزول الملائكة على الأئمة – ما عـدا بعض المتطــرفين من الإمامية الــذين قــالوا بــذلك أيضا - ولكن المحصلة كانت واحدة هو ارتباط "الأئمة" نوعاً ما بالله تعالى.[337]

---

[332] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب معرفة الإمام والرد إليه، ح رقم 6

[333] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة هم الهداة، ح رقم 4

[334] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة هم الهداة، ح رقم 2

[335] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة هم الهداة، ح رقم 1

[336] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة هم الهداة، ح رقم 3

[337] - استغرب الإمام زيد بن علي من فكرة "الحجة" عندما سمع بها لأول مـرة من المتكلم "أبي جعفر الأحـول" المعـروف بشـيطان الطـاق، الـذي رفض الاستجابة لطلبه بالانضمام إلى حركته الثورية في الكوفة، وقال له: إن كان أباك أو أخاك، خرجت معه. ولما استفسر زيد منه عن السبب قال له الأحول: إنما هي نفس واحدة فان كـان لله في الأرض حجة فـالمتخلف عنك نــاجٍ والخــارج معك هالك وإن لا تكن لله حجة في الأرض فــالمتخلف عنك والخارج معك سواء. فتساءل زيد: لمـاذا لم يخـبره أبـوه الإمـام علي بن الحســين بــذلك، قــائلا: يا أبا جعفر كنت أجلس مع أبي على الخـــوان فيلقمني البضعة السمينة ويبرد لي اللقمة الحارة حتى تـبرد، شـفقة علي،

وأصبح "الأئمة" في نظر الإمامية: يحتلون موقعا لصيقا بـالنبوة، وصاروا "مصدراً من مصادر التشريع" و"خزانة علم الله".[338] كما تقول رواية عن أبي عبد الله يصف فيها "الأئمة" بأنهم" أمناء الله على ما أهبط من علم أو عــذر أو نــذر، والحجة البالغة على من في الأرض، يجـري لآخـرهم من الله مثل الـذي جـرى لأولهم، ولا يصل أحد إلى ذلك إلا بعون الله".[339]

وفي رواية أخـرى عن جعفر بن محمد عن أبيـه، عن أمـير المؤمـنين أنه قــال:"إنا - أهل الــبيت - شــجرة النبــوة، وموضع الرســالة، ومختلف الملائكــة، وبيت الرحمــة، ومعــدن العلم".[340] وعنه أيضا أنه قال:"نحن شـجرة النبـوة، وبيت الرحمـة، ومفـاتيح الحكمــة، ومعــدن العلم، وموضع الرســالة، ومختلف الملائكــة، وموضع سر اللــه، ونحن وديعة الله في عبــاده، ونحن حــرم الله الأكـبر، ونحن ذمة اللــه، ونحن عهد اللــه، فمن وفي بعهـدنا فقد وفى بعهد الله، ومن خفرها فقد خفر ذمة الله وعهده".[341]

وعندما بات "الأئمة": "خزنة علم اللـه" أصـبحوا :" الأبـواب الـتي أمر الله أن يـؤتى منها"، كما في رواية عن أبي عبدالله أنه قال:"الأوصياء هم أبواب الله عز وجل التي يؤتى منها ولولاهم ما

ولم يشفق علي من حر النار، إذا أخبرك بالـدين ولم يخـبرني بـه؟ قـال له الأحول: جعلت فداك بسبب شـفقته عليك من حر النـار لم يخـبرك، خـاف عليك: أن لا تقبله فتـدخل النـار، وأخـبرني أنـا، فـإن قبلت نجـوت، وإن لم أقبل لم يبال أن أدخل النار.

الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الاضطرار إلى الحجة، ح رقم 5

[338] - كما عن عبد الرحمن بن كثير قال: سمعت أبا عبد الله يقـول:" نحن ولاة أمر اللـــه، وخزنة علم الله وعيبة وحي اللـــه". وعن عبدالله بن أبي يعفور قال: قال أبوعبدالله:"إن الله واحد متوحد بالوحدانية، متفرد بـأمره، فخلق خلقا فقدرهم لـذلك الأمـر، فنحن هم يا ابن أبي يعفـور، فنحن حجج الله في عبـاده، وخزانه على علمـه، والقـائمون بـذلك" وقـال:"إن الله عز وجــل خلقنا ... وجعلنا خزانه في ســمائه وأرضــه... وبعبادتنا عبد الله عز وجل، ولولانا ما عبد الله". الكليني، الكافي، كتـاب الحجـة، بـاب أن الأئمة ولاة أمر الله وخزنة علمه، ح رقم1 و 5 و 6

[339] - الكليني، الكافي، كتـاب الحجـة، بـاب أن الأئمة هم أركـان الأرض، ح رقم 3

[340] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة معـدن العلم وشـجرة النبوة ومختلف الملائكة، ح رقم 1 و2

[341] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة معـدن العلم وشـجرة النبوة ومختلف الملائكة، ح رقم 3

عرف الله عز وجل وبهم احتج الله تبارك وتعالى على خلقـه".[342] وفي رواية أخرى:"كان أمير المؤمنين (ع) باب الله الذي لا يـؤتى إلا منه، وسبيله الذي من سلك بغـيره هلـك، وكـذلك يجـري لأئمة الهدى واحـدا بعد واحـد، جعلهم الله أركـان الأرض أن تميد بأهلها وحجته البالغة على من فوق الأرض ومن تحت الثرى".[343]

وهكذا أصبح "الأئمة": "العلامات" التي يهتدي بها الناس، كما في رواية عن أبي عبدالله في تفسـير قوله تعـالى: "وعلامـات و بالنجم هم يهتدون" قال:"النجم رسـول الله (ص) والعلامـات هم الأئمة (ع)".[344]

وأصبحوا "الآيات" التي ذكرها الله عز وجل في كتابه، كما في رواية عن أبي عبد الله في تفسير قـول الله تبـارك وتعـالى:"وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون" قـال:"الآيـات هم الأئمــة، والنــذر هم الأنبيــاء عليهم الســلام".[345] أو كما في تفسـير قوله تعالى:"كذبوا بآياتنا كلها" قال:"يعني الأوصياء كلهم".[346]

وأصبحوا: "المتوسمين" الذي قال الله عنهم:"إن في ذلك لآيات للمتوســمين، وإنها لبســبيل مقيم" . ففي رواية عن أبي عبد الله

---

[342] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة خلفاء الله في أرضه 2

[343] - الكليني، الكافي، كتاب الحجــة، بـاب أن الأئمة هم أركـان الأرض، ح رقم 1 ولذلك كان يقــول :"المتعقب عليه في شئ من أحكامه كـالمتعقب على الله وعلى رسوله والراد عليه في صـغيرة أو كبـيرة على حد الشـرك بالله".

[344] - وما عن الرضا أنه قال:" نحن العلامات والنجم رسول الله صلى الله عليه وآله. الكليـني، الكـافي، كتـاب الحجــة، بـاب أن الأئمة هم العلامـات التي ذكرها الله في كتابه، ح رقم 1و2 و3

[345] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الآيـات الـتي ذكرها الله في كتابه هم الأئمة، ح رقم 1

[346] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الآيـات الـتي ذكرها الله في كتابه هم الأئمــة، ح رقم 2 وهنــاك رواية عن أبي جعفر عليه يفسر فيها " عن النبأ العظيم" بأنه أمـير المؤمـنين ، وينقل عنه أن كـان يقـول:" ما لله عز وجل آية هي أكبر مني ولا لله من نب أعظم مـني". الكليـني، الكـافي، كتاب الحجة، باب أن الآيات التي ذكرها الله في كتابه هم الأئمة، ح رقم 3

قـال:" نحن المتوسـمون والسـبيل فينا مقيم".[347] "لا يخـرج منا أبدا".[348]

ورغم تناقض مقولة "الحجـة" مع خاتمية النـبي محمد (ص) إلا أن الغلاة مرروها بنسـبتها إلى الإمـام الصـادق، والأئمة الآخـرين، وحاشا لهم أن يتفوهـوا بـذلك، ولا سـيما أن جميع الروايـات السـابقة المنسـوبة إليهم تعتمد على مجـرد الادعـاء والتأويل التعسفي للقرآن، ولا تأتي بأي دليل.

هل كان الصادق يدعي علم الغيب؟

وفي ظل افتقـاد "الإماميـة" للأدلة الشـرعية الكافية على كـون جعفر الصادق، أو غـيره من الأئمـة: هو "الحجـة" المعين من قبل الله تعالى؛ لجأ "الإمامية" الى ادعاء علم "الإمام" بالغيب وقدرته على الإتيان بالمعاجز، وادعى هشام بن الحكم أنه أجرى منـاظرة حـول الإمامة مع رجل شـامي في حضـرة الامـام الصـادق على حـرف جبل في طـرف الحـرم ، وأن الرجل الشـامي سـأله عن الحجة بعد القـرآن والسـنة، فقـال لـه: هـذا الجـالس ، يعـني أبا عبدالله، الذي تشد اليه الرحال ، ويخبرنا بأخبار السماء وراثة عن أب عن جد. فقال الشامي: وكيف لي بعلم ذلك ؟.. قال هشـام : سـله عما بـدا لك ، فقـال له أبو عبداللـه: أنا أكفيك المسـألة يا شـامي : أخـبرك عن مسـيرك وعن سـفرك .. خـرجتَ يـوم كـذا ..وكان طريقك كـذا .. ومـررتَ على كـذا.. ومرَّ بك كـذا .. فأقبل الشامي كلما وصف له شيئا من أمره يقول صدقت والله.[349]

---

[347] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن المتوسمين الذين ذكرهم الله في كتابه هم الأئمة، ح رقم1و2 و 3 و 4 و 5

[348] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن المتوسمين الذين ذكرهم الله في كتابه هم الأئمة، ح رقم4

[349] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الاضطرار إلى الحجة، ح رقم 4 والمفيد، الإرشاد، ص 278 – 289 وقال الشيخ المفيد فيكتـاب "الثقلان" بعد بحث موضـوع اشـتراط العصـمة في الامـام:" اذا ثبتت هـذه الاصـول وجب ابانة الامام من رعيته بالنص عليه والعلم المعجز الخـارق للعـادات ، اذ لا طريق الى المعرفة بما تجتمع له هـذه الصـفات الا بنص الصـادق عن الله تعـالى أو المعجز". وقـال السـيد المرتضى في "الشـافي" بعد بحث موضـوع العصـمة:" اذا ثبت ذلك وجبت ابانته بـالنص او بـالمعجز". وقـال الشـيخ الطوسي في "تلخيص الشـافي":" ايجـاب النص على الإمـام أو ما يقوم مقامه من المعجز الدال على امامته ... ولا بد مع صحة هـذه الجملة من وجوب النص على الامـام بعينه او اظهـار المعجز القـائم مقامه عليه". وقـال العلامة الحلي في "نهج الحـق":" ان طريق تعـيين الامـام أمـران :

كما زعم "أبو جعفر الأحـول" أن الإمـام زيد بن علي أقسم له بأن صاحبه (أي الإمـام الصـادق) قد حدثه في المدينة بأنه سـوف يقتل ويصلب بالكناسة.[350]

وقال عمار الساباطي: سألت أبا عبدالله: عن الإمـام، يعلم الغيب؟ فقـــــال:" لا، ولكن إذا أراد أن يعلم الشيء أعلمه الله ذلـك".[351] و"إن الإمـام إذا شـاء أن يعلم علم".[352] وعن سـيف التمـار قـال كنا مع أبي عبد اللـه، جماعة من الشـيعة في الحِجر فقال: علينا عين؟ فالتفتنا يمنة ويسـرة فلم نرَ أحـدا فقلنـا: ليس علينا عين، فقـال:" ورب الكعبة ورب البنية - ثلاث مــرات - لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أني أعلم منهما ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما، لأن موسى والخضر عليهما السـلام أعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم السـاعة، وقد ورثناه من رسول الله (ص) وراثة".[353]

ورووا عن أبي عبد الله أنه قال:" إن عندنا علم ما كان وعلم ما هو كائن إلى أن تقـوم السـاعة...وما يحـدث بالليل والنهـار، الأمر من بعد الأمـر، والشيء بعد الشيء، إلى يـوم القيامـة".[354] وفي رواية أخرى:"إني لأعلم ما في السـماوات وما في الأرض، وأعلم ما في الجنة وأعلم ما في النـار، وأعلم ما كـان وما يكـون" قـال الـراوي: ثم مكث هنيئة فـرأى أن ذلك كـبر على من سـمعه منه فقـال:" علمت ذلك من كتـاب الله عز وجـل، إن الله عز وجل يقول:فيه تبيان كل شئ".[355]

وقال محمد بن مروان أن أبا عبد الله قال:"إن الإمـام ليسـمع في بطن أمه ...فإذا صار الأمر إليه جعل الله له عمـودا من نـور،

النص من الله تعـالى أو نبيه او امـام ثبتت امامته بـالنص ، او ظهـور المعجزات على يده".

350 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الاضطرار إلى الحجة، ح رقم 5

351 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب نادر فيه ذكر الغيب، ح رقم 2 و 3 و 4

352 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة إذا شـاءوا أن يعلمـوا علموا، ح رقم 1

353 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون، ح رقم 1

354 - الكليـني، الكـافي، كتـاب الحجـة، بـاب فيه ذكر الصـحيفة والجفر والجامعة، ح رقم 1

355 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون، ح رقم 2

يبصر به ما يعمل أهل كل بلـدة".[356] أو "إذا قـام بهـذا الأمر رفع الله له في كل بلدة منارا ينظر به إلى أعمال العباد".[357]

ويبدو التلازم بين دعوى "الإمامة الإلهية" ودعـوى علم الغيب واضـحا في الروايـات التالية ، الـتي يرويها الكليـني عن أبي عبد الله أنه قـال: "أي إمـام لا يعلم ما يصـيبه وإلى ما يصـير، فليس ذلك بحجة لله على خلقـــه".[358] وإن "الله أكـــرم وأرحم وأرأف بعبـاده من أن يفـرض طاعة عبد على العبـاد ثم يحجب عنه خـبر السـماء صـباحا ومسـاء".[359] وأنه قـال:"عجبت من قـوم يتولونا ويجعلونا أئمة ويصفون أن طاعتنا مفترضة عليهم كطاعة رسـول الله (ص) ثم يكســرون حجتهم ويخصـــمون أنفســهم بضـــعف قلوبهم، فينقصونا حقنا ويعيبون ذلك على من أعطـاه الله برهـان حق معرفتنا والتسليم لأمرنا، أترون أن الله تبارك وتعالى افترض طاعة أوليائه على عبـــاده، ثم يخفي عنهم أخبـــار الســـماوات والأرض ويقطع عنهم مـواد العلم فيما يـرد عليهم مما فيه قـوام دينهم؟!".[360]

هل كان الصادق "محدَّثاً" ؟

وكما ابتلي الإمام محمد الباقر بالغلاة الذين نسبوا إليه القـول بـنزول الملائكة وتحـدثهم معـه، ابتلي ابنه الإمـام الصـادق بـذلك أيضا، حيث نقل الغلاة عنه أنه قال:" مبلغ علمنا على ثلاثة وجوه: ماض وغـابر وحـادث فأما الماضي فمفسـر، وأما الغـابر فمزبـور وأما الحادث فقـذف في القلـوب، ونقر في الأسـماع، وهو أفضل علمنا ولا نــبي بعد نبينــا".[361] وأنه أجــاب الحــارث بن المغـيرة، عندما سأله قـائلا: أخـبرني عن علم عـالمكم؟ فقـال:" وراثة من

---

[356] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب مواليد الأئمة، ح رقم 4

[357] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب مواليد الأئمة، ح رقم 3

[358] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة يعلمون متى يموتون، ح رقم 1

[359] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون، ح رقم 3

[360] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون، ح رقم 4

[361] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب جهات علوم الأئمة، ح رقم 1

رسول الله (ص)، ومن علي ، قال الحارث: إنا نتحـدث أنه يقـذف في قلوبكم وينكت في آذانكم؟ قال: أو ذاك".[362]

وزعم أبو حمزة أنه سأل الصادق: عن العلم، أهو علم يتعلمه العالم من أفواه الرجال أم في الكتاب عندكم تقرءونه، فتعلمـون منه؟ فقال:" الأمر أعظم من ذلك وأوجب، أما سمعت قــول الله عز وجــل: "وكــذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تــدري ما الكتاب ولا الإيمـان" ... قد كـان في حـال لا يـدري ما الكتـاب ولا الإيمان حتى بعث الله تعـالى الـروح الـتي ذكر في الكتـاب، فلما أوحاها إليه علم بها العلم والفهم، وهي الـــروح الـــتي يعطيها الله تعالى من شاء، فإذا أعطاها عبدا علمه الفهم".[363]

وروى سماعة عن أبي عبدالله أنه قال:" إن لله تبارك وتعـالى علمين: علما أظهر عليه ملائكته وأنبياءه ورســله، فما أظهر عليه ملائكته ورسله وأنبياءه فقد علمناه، وعلما استأثر به فإذا بــدا لله في شئ منه أعلمنا ذلك وعـــرض على الأئمة الـــذين كـــانوا من قبلنـا". [364] وروى أبو بصـير أيضا عنه أنه قـال:"إن لله عز وجــل علمين: علما عنده لم يطلع عليه أحدا من خلقه، وعلما نبـذه إلى ملائكته ورسله، فما نبذه إلى ملائكته ورسله فقد انتهى إلينا".[365]

وزعم أبو بصير أن الصادق أكد له مرافقة الروح للأئمة، وهو " خلقٌ من خلق الله عز وجل أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رســول الله (ص) يخــبره ويســدده وهو مع الأئمة من بعــده".[366] ونقل رواة آخرون عن الصادق أنه قـال: "منذ أنـزل الله عز وجل ذلك الروح على محمد (ص)، ما صعد إلى السماء، وإنه لفينــا".[367] وقال في تفسير قوله تعالى: "يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي " إنـــه:" خلق أعظم من جبرئيل وميكائيـــل، لم يكن مع

---

[362] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب جهات علوم الأئمة، ح رقم 2

[363] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الروح التي يسدد الله بها الأئمة، ح رقم 5

[364] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة يعلمون جميع العلـوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء، ح رقم 1

[365] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة يعلمون جميع العلـوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء، ح رقم 2

[366] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الروح التي يسدد الله بها الأئمة، ح رقم 1 و 2 و 3

[367] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الروح التي يسدد الله بها الأئمة، ح رقم 2

أحد ممن مضى، غير محمد (ص). وهو مع الأئمة يسـددهم، وليس كل ما طلب وجد".[368]

وافـترى بعض الغلاة على الإمـام الصـادق فنسـبوا إليه القـول بتحريف القرآن من أجل إثبات دعـوى تحـدث الملائكة معـه، وأنه قرأ الآية التالية هكذا: " وما أرسلنا من قبلك من رسـول ولا نـبي (ولا محدَّث)".[369] وعَرَّف "المحدَّث" بأنه الذي "يسمع الصوت ولا يـرى الشـخص. ويعطى السـكينة والوقـار حـتى يعلم أنه كلام ملك".[370]

ونقل الغلاة عن الصـادق دعـوى تـنزل الأمر على ولي الأمر بعد رسـول اللـه، وإصـراره على هـذه الـدعوى إلى درجة انتقـاد المخـالفين لها الـذين يقولـون:"مضت ليلة القـدر مع رسـول الله (ص)". واعتبـار ذلـك:" فتنة أصـابتهم خاصـة، وبها ارتـدوا على أعقـابهم، لأنه إن قـالوا: لم تـذهب، فلابد أن يكـون لله عز وجل فيها أمر، وإذا أقـروا بـالأمر لم يكن له من صـاحب بـد".[371] وأنه استدل بنزول الملائكة في ليلة القدر على وجود صـاحب لها على مدى الزمان، وعدم اختصاصها برسول الله.[372]

وروى الكليني من أحاديث الغلاة عن الصـادق أنه قـال:"إن الملائكة تصـافح الأئمة على فرشـهم، وأنهم ألطف بصـبياننا منا بهم".[373] وأنه ضرب بيده إلى مساور في البيت وقـال: "مسـاور طالما اتكت عليها الملائكة وربما التقطنا من زغبها".[374]

وروى بعض الغلاة تفاصـيل عن دعـواهم تحـدث الملائكة مع الأئمة، وحاولوا أن يجيبوا على تساؤلات بعض الشـيعة الرافضـين لها واحتمـالهم كـون ما يـدعي (المحـدَّث) سـماعه؛ أنه من وحي

---

[368] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الروح التي يسدد الله بها الأئمة، ح رقم 4

[369] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة محدثون مفهمون، ح رقم 2

[370] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة محدثون مفهمون، ح رقم 4

[371] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في شأن إنا أنزلناه ، ح رقم 4

[372] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في شأن إنا أنزلناه ، ح رقم 4

[373] - الكليـني، الكـافي، كتـاب الحجـة، بـاب أن الأئمة تـدخل الملائكة بيوتهم..ح رقم 1

[374] - الكليـني، الكـافي، كتـاب الحجـة، بـاب أن الأئمة تـدخل الملائكة بيوتهم..ح رقم 2

الشـيطان. وكيف يعـرف بأنه ملـك؟ فـرووا عن أبي عبد الله أنه قال: "يعطى السكينة والوقار حتى يعلم أنه كلام ملك".[375]

كما أجـابوا عن تسـاؤلات أخـرى بتفـوق علم الأئمة على علم النبي، إن صحت دعوى "التحدث" وحاولوا أن يحلوا ذلك الإشكال بالقول:" ليس يخرج شئ من عند الله عز وجل حتى يبدأ برسول الله (ص) ثم بأمير المؤمنين (ع) ثم بواحد بعد واحـد، لكيلا يكـون آخرنا أعلم من أولنا".[376]

وادعى أبو يحيى الصنعاني: أن الإمام الصادق حدثه عن صعود أرواح "الأوصياء" إلى السماء لطلب المزيد من العلم، فقـال:" يا أبا يحيى إن لنا في ليالي الجمعة لشأنا من الشأن، فقـال: جعلت فـداك وما ذاك الشـأن قـال:"يـؤذن لأرواح الأنبيـاء المـوتى (ع) وأرواح الأوصياء الموتى وروح الوصي الذي بين ظهرانيكم، يعـرج بها إلى السـماء حـتى تـوافي عـرش ربهـا، فتطـوف به أسـبوعا وتصـلي عند كل قائمة من قـوائم العـرش ركعـتين، ثم تـرد إلى الأبدان التي كانت فيها فتصبح الأنبياء والأوصياء قد ملئـوا سـرورا ويصـبح الوصي الـذي بين ظهـرانيكم وقد زيد في علمه مثل جم الغفير".[377] وفي رواية أخرى:"إذا كان ليلة الجمعة وافى رسـول الله (ص) العـرش ووافى الأئمة (ع) معه ووافينا معهم، فلا تـرد أرواحنا إلى أبداننا إلا بعلم مستفاد، ولولا ذلك لأنفدنا".[378]

وبالرغم من أن هذه المقولة تكاد تشابه دعوى النبـوة، إلا أن هؤلاء الغلاة حاولوا التخفيف من وقعها، فنقلوا عن الإمام الصادق أنه قال :"الأئمة بمنزلة رسول الله (ص) إلا أنهم ليسوا بأنبياء ولا يحل لهم من النساء ما يحل للنبي (ص) فأما ما خلا ذلك فهم فيه

---

375 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة محدثون مفهمون، ح رقم 4 ولكن هـذا الجـواب لم يحسم الإشـكال، وقد كـان النـاس يستشكلون حـتى على الأنبيـاء في دعـواهم النبـوة فكـانوا يحتجـون عليهم بالمعاجز، في حين لم يكن يقدم الأئمة أية معاجز تثبت صحة دعـواهم في نزول الملائكة أو نبوتهم.

376 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة يـزدادون في ليلة الجمعة، ح رقم 4

377 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة يـزدادون في ليلة الجمعة، ح رقم 1

378 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة يـزدادون في ليلة الجمعة، ح رقم 2 و باب لولا أن الأئمة يـزدادون لنفد ما عنـدهم، ح رقم 1 و 2

بمنزلة رسـول الله (ص)".[379] أو "إنما الوقـوف علينا في الحلال، فأما النبوة فلا".[380]

وقد رد الإمـام الصـادق على هـؤلاء الغلاة بـالقول:"إن الله عز ذكره ختم بنبيكم النبيين فلا نبي بعده أبـدا، وختم بكتـابكم الكتب فلا كتـاب بعـده أبـدا، وأنـزل فيه تبيـان كل شئ وخلقكم وخلق السماوات والأرض ونبأ ما قبلكم وفصل ما بينكم وخبر ما بعـدكم وأمر الجنة والنار وما أنتم صائرون إليه".[381]

هل كان الصادق "مفوضاً في التشريع"؟

وكما كانت دعوى "الحجـة" درجة مخففة عن دعـوى "النبـوة" للأئمة، فقد ابتلي الإمـام الصـادق بنـوع مخفف من الغلاة، الـذين اخـترعوا قـولا مشـابها لـدعوى "التفـويض" في الخلق والحيـاة والموت والرزق والحساب يوم القيامة، فقـالوا بـ: "تفـويض الله للأئمة في الفتوى". وزعمـوا أن الـدين أو الحكم الشـرعي هو ما يقوله الأئمة، وليس ما روي عن النبي الأكرم أو جـاء في القـرآن الكريم فقط. وهو ما أتـاح لهم نقل ما يشـاءون من الفتـاوى عن الأئمة، ونسف الدين الإسلامي والتلاعب بتأويل القرآن الكريم.

وقد أسسوا فكرة تفويض الدين للائمة، اعتمـادا على تأويل آيـة:"وما آتـاكم الرسـول فخـذوه وما نهـاكم عنه فـانتهوا". واسـتخراج معـنى التفـويض منها للنـبي الأكـرم، ثم قيـاس الأئمة على النـبي، والقـول بـأن الله تعـالى فـوض الأئمةَ أمرَ الـدين، ونسبوا للإمام الصادق أنه قال:"فما فوض الله إلى رسـوله (ص) فقد فوضه إلينـا".[382] وقـال:" لا والله ما فـوض الله إلى أحد من خلقه إلا إلى رسـول الله (ص) وإلى الأئمـة، قـال عز وجـل: إنا أنزلنا إليك الكتاب بـالحق لتحكم بين النـاس بما أريك اللـه. وهي جارية في الأوصـياء عليهم السـلام".[383] وأنه خـاطب الشـيعة

---

379 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة بمن يشبهون ممن مضى وكراهة القول فيهم بالنبوة، ح رقم 7

380 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة بمن يشبهون ممن مضى وكراهة القول فيهم بالنبوة، ح رقم 2

381 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة بمن يشبهون ممن مضى وكراهة القول فيهم بالنبوة، ح رقم 3

382 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب التفويض إلى رسول الله والأئمة أمر الدين، ح رقم 9

383 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب التفويض إلى رسول الله والأئمة أمر الدين، ح رقم 8

قائلا:"إن نبي الله فوض إلى علي وائتمنه، فسلمتم وجحد النـاس فوالله لنحبكم أن تقولــوا إذا قلنا وأن تصــمتوا إذا صــمتنا ونحن فيما بينكم وبين الله عز وجل، ما جعل الله لأحد خـيراً في خلاف أمرنا".[384]

وروى هؤلاء الغلاة "المفوضة في التشريع" عن الصادق أنه كان يفتي النـــاس أحيانا حسب انتمـــاءاتهم، وربما غيَّر فتـــاواه في مجلس واحد عـدة مـرات، وأنه كـان يقـول:" إن الإمـام إذا أبصر إلى الرجل عرفه وعــرف لونه وإن ســمع كلامه من خلف حائط عرفه وعرف ما هـو، إن الله يقـول: "ومن آياته خلق السـماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيـات للعـالمين" وهم العلماء، فليس يسمع شيئا من الأمر ينطق به إلا عرفه، نـاج أو هالك، فلذلك يجيبهم بالـذي يجيبهم".[385] وأنه قـال: "أنتم أفقه الناس إذا عرفتم معاني كلامنا ، إن الكلمة لتنصرف على وجـوه ، فلو شاء إنسان لصرف كلامه كيف شاء ، ولا يكذب".[386]

وقال أحد الغلاة "الخطابية" (موسى بن أشيم) : كنت عند أبي عبد الله فسأله رجل عن آية من كتاب الله (عز وجل) فأخبره بها ثم دخل عليه داخل فسـأله عن تلك الآية فـأخبره بخلاف ما أخـبر به الأول، فـدخلني من ذلك ما شـاء الله حـتى كـأن قلـبي يشـرح بالسكاكين، فقلت في نفسي: تـركت أبا قتـادة بالشـام لا يخطئ في الواو وشبهه وجئت إلى هذا يخطئ هذا الخطـاء كلـه، فبينا أنا كــذلك إذ دخل عليه آخر فسـأله عن تلك الآية فـأخبره بخلاف ما أخــبرني وأخــبر صــاحبي، فســكنت نفســي، فعلمت أن ذلك منه تقيــة، قــال: ثم التفت إلي فقــال لي:" يا ابن أشــيم إن الله (عز وجل) فوض إلى سليمان بن داود فقـال: "هـذا عطاؤنا فـامنن أو أمسك بغير حساب ".[387] وفوض إلى نبيه، (ص) فقال: "ما آتــاكم

---

[384] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب التفويض إلى رسول الله والأئمة أمر الدين، ح رقم 1

[385] -الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في معـرفتهم أوليـاءهم والتفـويض إليهم، ح رقم 3

[386] - الوافي، [33360] عن معاني الأخبار : 1 | 1

[387] - الآية "هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب " 39 سورة ص، لا تدل على تفويض الله لسليمان أمر الدين، وإنما هي تتحدث عن عطاء الله الملك لــه، كما ذكر المفســرون. وكما يقــول الســيد محمد حســين الطباطبائي في المـيزان، في تفسـير هـذه الآيـة: «هـذا عطاؤنا فـامنن أو أمسك بغير حساب» أي هذا الذي ذكر من الملك عطاؤنا لك بغـير حسـاب و الظاهر أن المـراد بكونه بغـير حسـاب أنه لا ينفد بالعطـاء و المن و لـذا

الرســول فخــذوه وما نهــاكم عنه فــانتهوا ".[388] فما فــوض إلى رسول الله (ص) فقد فوضه إلينا".[389] وقال عبد الأعلى مولى آل ســام أن الإمــام الصــادق حدثه ذات يــوم ثم غــير كلامه في مجلسه.[390]

وقد فتحت هذه الدعوى (التفويض في التشريع) الباب واسـعا أمام ورود فتاوى وأحاديث متناقضة أو غامضة عن الأئمة أو قابلة للتأويل والتفسـير، وحـدوث الاختلاف في صـفوف الشـيعة، حـتى نقل عن الأئمة قــولهم: "إن في أخبارنا محكما كمحكم القــرآن ، ومتشـابها كمتشـابه القـرآن، فـردوا متشـابهها إلى محكمهـا، ولا تتبعوا متشابهها دون محكمها، فتضـلوا".[391] ونقل عن الأئمة أيضا إجازة العمل بكل الأحاديث المختلفة أحيانا. كما يقول الحسن بن الجهم: قلت للرضا : تجيئنا الأحــاديث عنكم مختلفــة، فقــال: ما جـاءك عنا فقس على كتـاب الله عـزّ وجـلّ وأحاديثنا ، فـان كـان يشبههما فهو منا ، وإن لم يكن يشبههما فليس منا ، قلت : يجيئنا الرجلان ـ وكلاهما ثقة ـ بحـديثين مختلفين ، ولا نعلم أيهما الحـق، قـال :"فـإذا لم تعلم فموسع عليك بأيهما أخـذت". [392] وكتب عبد الله بن محمد إلى أبي الحسن (الكــاظم) : اختلف أصــحابنا في روايـاتهم عن أبي عبدالله في ركعـتي الفجر في السـفر ، فـروى

قيل: «فـامنن أو أمسـك» أي أنهما يسـتويان في عـدم التـأثير فيـه.وقيـل: المراد بغـير حسـاب أنك لا تحاسب عليه يـوم القيامـة، و قيـل: المـراد أن إعطاءه تفضل لا مجازاة و قيل غير ذلك.

[388] - إن آية "ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا" (7 الحشر) لا تدل على تفويض الله أمر الدين للنبي لكي يفتي به بما يشـاء، فقد كـان النــبي تابعا لأمر ربه مســلّما له ومبلغا عنــه، وإنما هي جــاءت في ســياق توزيع الغنـائم وتعليم المسـلمين الالـتزام بتعليمـات الرسـول في مسـألة العطـاء "ما أفـاء الله على رسـوله من أهل القـرى فلله وللرسـول ولـذي القربى واليتـامى والمسـاكين وابن السـبيل كي لا يكـون دولة بين الأغنيـاء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فـانتهوا واتقـوا الله إن الله شديد العقاب".

[389] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب التفويض إلى رسول الله والأئمة أمر الدين، ح رقم 2

[390] - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب الكذب، ح رقم 20

[391] - الوافي، [33355] عن عيون أخبار الرضا 1 : 290 | 39.

[392] - الوافي، [33373] 40

بعضـهم: صـلها في المحمل ، وروى بعضـهم : لا تصـلِّها إلا على الأرض، فوقَّع :" موسع عليك بأية عملت".[393]

هل كان حديث "الأئمة" صعبا؟

وبما أن مقولات الغلاة ونظرياتهم وأفكـارهم المنحرفة الـتي ينسبونها للأئمة، كانت تصطدم بمباديء الدين الاسـلامي وصـريح القـرآن والعقـل، بحيث كـانت تثـير اشـمئزاز الشـيعة وتـدفعهم لرفضـها بشـدة .[394] وتكفـير من يـدين بهـا.[395] فقد كـان الغلاة يحاولون تمريرها بالاعتراف بأنها صعبة ولكن على الشـيعة قبولها والتسليم بها، والادعـاء على لسـان الأئمة بـأن "حـديث آل محمد صعب مستصعب لا يؤمن به إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان".

وكما نقل الغلاة عن الإمــام البــاقر قوله:" والله إن أحب أصــحابي إلي أورعهم وأفقههم وأكتمهم لحــديثنا وإن أســوأهم عندي حالا وأمقتهم للذي إذا سمع الحديث ينسب إلينا ويروى عنا فلم يقبله اشمأز منه وجحـده وكفر من دان به وهو لا يـدري لعل الحـديث من عنـدنا خـرج وإلينا اسـند، فيكـون بـذلك خارجا عن ولايتنـا".[396] نقلـوا أيضا عن الإمـام الصـادق حـديثا مشـابها يقـول فيه:"إن علم العلماء صعب مستصـعب، لا يحتمله إلا نـبي مرسل أو ملك مقــرب أو عبد مــؤمن امتحن الله قلبه للإيمــان". أو " حديثنا لا يحتمله ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان".[397] وزعموا أنه قـال: " والله لو علم أبو ذر ما في

---

393 - الوافي، [33377] 44

394 - الكليني، الكـافي، كتـاب الحجـة، بـاب فيما جـاء أن حـديثهم صـعب مستصعب، ح رقم 1 و 2 و3 و 4

395 - الكليـني، الكـافي، كتـاب الإيمـان والكفـر، بـاب الكتمـان، ح رقم 7 والصفار، بصائر الدرجات، ج 10 باب 22 ح رقم 1

396 - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب الكتمان، ح رقم 7

397 - وربما كان ذلك تحريفا أو تصحيفا للحديث، ولكنه أثار علامة استفهام كـبرى عند الشـيعة في الأجيـال اللاحقـة، فكتب أحـدهم إلى الإمـام علي الهادي يستفسر منه عن معنى الحديث، فجـاء الجـواب:" إنما معـنى قـول الصادق (أي: لا يحتمله ملك ولا نبي ولا مؤمن): أن الملك لا يحتمله حــتى يخرجه إلى ملك غــيره، والنــبي لا يحتمله حــتى يخرجه إلى نــبي غــيره، والمؤمن لا يحتمله حتى يخرجه إلى مـؤمن غـيره فهـذا معـنى قـول جـدي عليه السلام". الكليني، الكافي، كتـاب الحجـة، بـاب فيما جـاء أن حـديثهم صعب مستصعب، ح رقم 2 و 4

قلب سلمان لقتله ولقد آخى رسول الله (ص) بينهمــا، فما ظنكم بسائر الخلق، وإنما صـار سـلمان من العلمـاء لأنه امـرؤ منا أهل البيت".[398] وأنه أرجع القبول والرفض لأحـاديثهم إلى عـالم الـذر (الخيــالي الســابق على عــالم الــدنيا) فقــال :"إن الله أخذ من شيعتنا الميثاق كما أخذ على بني آدم " ألست بربكم " فمن وفى لنا وفى الله له بالجنة ومن أبغضـنا ولم يـؤد إلينا حقنا ففي النـار خالدا مخلدا".[399]

وادعى الغلاة بأن الصادق أرجع أيضا الرفض أو القبول لأحاديثه إلى طينة الإنسان، فقال لأبي بصير :" يا أبا محمد إن عندنا والله ســراً من ســرِّ اللــه، وعلمــاً من علم اللــه، والله ما يحتمله ملك مقرب ولا نـبي مرسل ولا مـؤمن امتحن الله قلبه للإيمـان. والله ما كلف الله ذلك أحـداً غيرنا ولا اسـتعبد بـذلك أحـداً غيرنـا. وإن عندنا سـراً من سـرِّ الله وعلما من علم اللـه، أمرنا الله بتبليغـه، فبلغنا عن الله عز وجـل ما أمرنا بتبليغـه، فلم نجد له موضـعا ولا أهلا ولا حمالة يحتملونه حـتى خلق الله لـذلك أقوامـاً خلقـوا من طينةٍ خُلق منها محمد وآله وذريته عليهم السـلام، ومن نـور خلق الله منه محمـداً وذريته وصـنعهم بفضل صـنع رحمته الـتي صـنع منها محمــدا وذريتــه، فبلغنا عن الله ما أمرنا بتبليغــه، فقبلــوه و احتملــوا ذلك، فبلغهم ذلك عنا فقبلــوه واحتملــوه، وبلغهم ذكرنا فمالت قلوبهم إلى معرفتنا وحديثنا، فلولا أنهم خلقوا من هذا لما كـانوا كـذلك، لا والله ما احتملـوه. ثم قـال: إن الله خلق أقواما لجهنم والنــار، فأمرنا أن نبلغهم كما بلغنــاهم واشــمأزوا من ذلك ونفرت قلوبهم وردوه علينا ولم يحتملوه وكذبوا به وقـالوا سـاحر كــذاب، فطبع الله على قلــوبهم وأنســاهم ذلــك، ثم أطلق الله لسـانهم ببعض الحـق، فهم ينطقـون به وقلـوبهم منكـرة، ليكـون ذلك دفعا عن أوليائه وأهل طاعته ولــــــولا ذلك ما عبد الله في أرضه، فأمرنا بـالكف عنهم والسـتر والكتمـان فـاكتموا عمن أمر الله بــالكف عنه واســتروا عمن أمر الله بالســتر والكتمــان عنه. قال: ثم رفع يـده وبكى وقـال: اللهم إن هـؤلاء لشـرذمة قليلـون فاجعل محيانا محياهم ومماتنا مماتهم ولا تسـلط عليهم عـدوا لك

---

[398] - الكليني، الكافي، كتـاب الحجـة، بـاب فيما جـاء أن حـديثهم صـعب مستصعب، ح رقم 2

[399] - الكليني، الكافي، كتـاب الحجـة، بـاب فيما جـاء أن حـديثهم صـعب مستصعب، ح رقم 3

فتفجعنا بهم، فانك إن أفجعتنا بهم لم تعبد أبدا في أرضك وصـلى الله على محمد وآله وسلم تسليما".[400]

وتراجع الغلاة عن مواقفهم قليلا، فاعترفوا بعدم استعداد عامة الشـيعة للإيمـان بمقـولاتهم الصـعبة، أو احتمالهـا، فـادعوا بـأن الشيعة ليسوا كلهم أهلا لها ولا موضعا للإيمان بهـا، ما عـدا بعض الأقـــوام الـــذين "خلقـــوا من طينة خلق منها محمد وآله وذريته عليهم السـلام ومن نـور خلق الله منه محمـدا وذريتـه" فقبلـوه . وحاول الغلاة إغراء بعض الشـيعة للتسـليم بكل ما يقولـون حـتى يحوزوا على فضل المشاركة في الخلق من طينة آل محمد ، كما تقول هـذه الفقـرة من الحـديث:" فلـولا أنهم خلقـوا من هـذا لما كـانوا كـذلك، لا والله ما احتملـوه". كما حـاولوا تهديد الرافضـين والمعارضـين وإرهـابهم بـالقول على لسـان الأئمة:" إن الله خلق أقواما لجهنم والنار، فأمرنا أن نبلغهم كما بلغنـاهم واشـمأزوا من ذلك ونفرت قلـوبهم وردوه علينا ولم يحتملـوه وكـذبوا به وقـالوا ساحر كذاب، فطبع الله على قلوبهم وأنساهم ذلك".[401]

وزعم الغلاة أن الإمـام الصـادق أوصـاهم قـائلا:"من سـرَّه أن يستكمل الإيمان كله فليقل: القول مـني في جميع الأشـياء قـول آل محمــد، فيما أســروا وما أعلنــوا وفيما بلغــني عنهم وفيما لم يبلغـني".[402] وقــال أبو بصــير قــال أبو عبد الله:" قــول الله عز وجل: " الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه" : هم المسلِّمون لآل محمد، الذين إذا سمعوا الحـديث لم يزيـدوا فيه ولم ينقصـوا منه جاءوا به كما سمعوه".[403]

وادعى سفيان بن السيط (السمط) أنه اشـتكى لأبي عبد الله فقال: إن الرجل ليأتينا من قبلك فيخبرنا عنك بــالعظيم من الأمر فيضيق بذلك صدورنا حـتى نكذبه، فقـال أبو عبد الله: أليس عني

---

[400] - الكليني، الكافي، كتـاب الحجـة، بـاب فيما جـاء أن حـديثهم صـعب مستصعب، ح رقم 5

[401] - هذا إذا صحت الأحاديث عن الصادق، ولا يبدو أنها صحيحة.

[402] - الكليني، الكـافي، كتـاب الحجـة، بـاب التسـليم وفضل المسـلمين، ح رقم 6

[403] - الكليني، الكـافي، كتـاب الحجـة، بـاب التسـليم وفضل المسـلمين، ح رقم 9

يحدثكم؟ قال: بلى، قـال: فيقـول لليل أنه نهـار وللنهـار أنه ليل؟ قال: لا ، فقال:" رده الينا فانك إن كذبت فإذاً تكذبنا".[404]

هل الولاء لأهل البيت ركن من أركان الإسلام؟

ولم ينفك الغلاة يدورون حـول الإمـام جعفر الصـادق ويرتفعـون درجة في الغلو أو ينزلون درجة، إنما كانوا يدورون في نظريـاتهم حول "الإمام الإلهي" المعين من قبل الله، أو المالك لعلم النبوة، الشبيه بالنبي، العالم بالغيب، المحدَّث من قبل الملائكة، أو محل تجسد الإله، الحـالّ فيه الإلـه. وكلها نظريـات متقاربة ومتداخلـة. وقد حـارب الإمـام الصـادق كثـيرا من تلك النظريـات ولا سـيما المتطرفة منها الـتي تنسب إليه النبـوة أو الألوهية أو علم الغيب. وكفَّر الشيعةُ الإماميةُ عبر التاريخ من يقـول بـذلك، ولكنهم قبلـوا الدرجة الـدنيا وهي نظرية "الإمامة الإلهيـة". وصـدقوا الأحـاديث المنسوبة للإمام الصادق الواردة حولها. وبالرغم من شكنا بصـحة تلك الأحـاديث واسـتبعادنا صـدورها عن الإمـام الصـادق، وسـوف نناقش ذلك فيما بعد، إلا أننا نـود الإشـارة هنا إلى ارتبـاط نظرية "الإمــام الإلهي الحجة المعين من قبل الســماء" بموقف الــولاء السياسي الــديني لــه، واعتبــاره ركنا عظيما من أركــان الــدين، ورفعه إلى درجة التوحيد والنبوة. إذ لم يعد "الإمام" رئيسا منتخبا من المسلمين لإدارة شؤونهم وتطبيق الشريعة الإسلامية، فقـط، وإنما أصــبح جــزءا من المنظومة العقدية الدينية وامتــدادا لخط النبوة والأنبياء.

وسواء كانت نظرية "الإمامة الإلهية" من صنع الإمامين البـاقر والصـادق، أم من صـنع الغلاة المتشـيعين لهما في حياتهمـا، فإننا نعثر في التراث الشيعي على روايات كثـيرة تعظم منزلة الإمامة والولاء للأئمة اعتمادا على تأويل آيات كثيرة من القـرآن الكـريم، بالولاية للأئمة (الحســينيين). والتأكيد على موضــوع الوصــية في ذرية النـبي محمد (ص) اسـتمرارا لوصـايا الأنبيـاء السـابقين في ذريـاتهم، بـدءا من النـبي موسى (ع) الـذي أوصى إلى يوشع ابن نون (ع)، وانتهـاء بالوصـية إلى العـترة وأهل الـبيت، كما ورد في حديث "الثقلين".[405]

---

[404] - الصفار، بصائر الدرجات، ج 10 باب 22 ح رقم 3

[405] - الذي يروي عن الصادق عن رسول الله بهذه الصـورة :" إني تـارك فيكم أمــرين إن أخــذتم بهما لن تضــلوا: كتــاب الله عز وجل وأهل بيــتي عــترتي، أيها النــاس اســمعوا وقد بلغت، إنكم ســتردون علي الحــوض فأسألكم عما فعلتم في الثقلين والثقلان: كتاب الله جل ذكره وأهل بيـتي،

وقد روى الإمامية عن الصادق أن جبرئيل (ع) نزل على النبي (ص) فقال:" يا محمد إنك قد قضيت نبوتك واستكملت أيامك، فاجعل الاسم الأكبر، وميراث العلم وأثار علم النبوة عند علي (ع) فإني لم أترك الأرض إلا ولي فيها علَم تعرف به طاعتي، وتعرف به ولايتي، ويكون حجة لمن يولد بين قبض النبي إلى خروج النبي الآخر" قال: فأوصى إليه بالاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة، وأوصى إليه بألف كلمة وألف باب، يفتح كل كلمة وكل باب ألف كلمة وألف باب.[406] كما رووا عنه أيضا أحاديث في فضل أهل البيت والعترة والقربى.[407]

وقالوا بأن الإمام الصادق فسر قول الله عز وجل:" إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا" بالولاية، فقال:"إنما يعني أولى بكم، أي أحق بكم وبأموركم وأنفسكم وأموالكم، الله ورسوله والذين آمنوا يعني عليا وأولاده الأئمة عليهم السلام إلى يوم القيامة".[408]

وزعموا أن الصادق فسر قول الله عز وجل:" اتقوا الله وكونوا مع الصادقين" بأنه يعني "الأئمة" وقال: "إيانا عنى".[409] كما فسر الأمانة الواردة في قوله تعالى: "إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال " بالولاية وقال: هي ولاية أمير المؤمنين .[410]

وتداول الإمامية وصية لأبي عبد الله قالوا إنه أوصى شيعته بها، قائلا:" صبِّروا النفس على البلاء في الدنيا ... ومن سرَّه أن يعلم أن الله يحبه فليعمل بطاعة الله وليتبعنا، ألم يسمع قول الله عز وجل لنبيه (ص): "إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم"؟ والله لا يطيع اللهَ عبدٌ أبداً إلا أدخل الله عليه في طاعته اتباعنا، ولا والله لا يتبعنا عبدٌ أبداً إلا أحبه الله،

فلا تسبقوهم فتهلكوا، ولا تعلموهم فانهم أعلم منكم".

406 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الإشارة والنص على أمير المؤمنين، ح رقم 3

407 - وأنه قرأ قوله تعالى بهذه الصورة:" وإذا المودة سئلت بأي ذنب قتلت" وفسره بقوله : أسألكم عن المودة التي أنزلت عليكم فضلها، مودة القربى بأي ذنب قتلتموهم.

408 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما نص الله ورسوله على الأئمة واحدا بعد واحد، ح رقم 3

409 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما فرض الله ورسوله من الكون مع الأئمة، ح رقم 1 و كتاب الروضة، ح رقم349

410 - الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح رقم 2

ولا والله لا يدع أحد اتباعنا أبدا إلا أبغضنا، ولا والله لا يبغضــنا أحد أبـدا إلا عصى اللـه، ومن مـات عاصـيا لله أخـزاه الله وأكبه على وجهه في النار".[411]

وروى الكليـني أحـاديث عن الصـادق يربط فيها بين التوحيد والنبـوة والإمامة.[412] ويشـبه بين طاعة الله وطاعة الأئمـة، وبين معصــية إبليس لله ومعصــية النــاس للإمــام، ويقــول:" إن الله افــترض على أمة محمد (ص) خمس فــرائض: الصــلاة والزكـاة والصــيام الحج وولايتنا، فــرخص لهم في أشــياء من الفــرائض الأربعة ولم يرخص لأحد من المسلمين في ترك ولايتنا لا والله ما فيها رخصة".[413] ويعتـبر تـولي غـير "الأئمـة" نوعا من الإلحـاد في الدين.[414] ويقرأ قوله تعالى: " سأل سائل بعـذاب واقع للكـافرين ليس له دافع " مع إضــافة كلمة (بولاية علي) ثم يقــول: هكــذا والله نزل بها جبرئيل (ع) على محمد (ص).[415] ويستنبط موضـوع الولاية من آيات عديدة أخرى.[416]

وبعد أن يرفع الإمـام الصـادق - كما يقـول الإمامية - قضـية الإمامة إلى مسـتوى الـواجب الـديني؛ يقـوم بتحويلها من قضـية سياســية إلى قضـية دينية عـابرة للـزمن.[417] ويقـول: إن "ولايتنا ولاية الله الـتي لم يبعث نبيا قط إلا بهـا".[418] و" ما من نـبي جـاء

---

411 - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، رسالة الإمام الصادق، حديث رقم1

412 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب نادر في حالات الغيبة، ح رقم 5

413 - الكليـني، الكـافي، كتـاب الروضـة، ح رقم 399 وفسر أبو عبد الله الطاعة الواردة في قوله تعالى "ومن يطع الله والرســول..." بالطاعة في الولاية، وقال إن هذه الآية نزلت هكذا :" ومن يطع الله ورسوله (في ولاية علي وولاية الأئمة من بعده) فقد فاز فوزا عظيما". الكافي، كتاب الحجــة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح رقم 8

414 - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 533 و كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح رقم 3

415 - الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح رقم 47

416 - الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح رقم 90 و ح رقم 92

417 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أنه من ادعى الإمامة وليس لها بأهل، ح رقم 7

418 - الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نتف وجوامع من الرواية في الولاية، ح رقم 3

قط إلا بمعرفة حقنا وتفضيلنا على من سوانا".[419] ويذهب إلى أن تسمية بعض الأنبياء بأولي العزم إنما بسبب إقرارهم بولاية أهل البيت.[420] ويتحدث عن أخذ الله ميثاق الملائكة بولاية علي وأهل بيته.[421]

هل كان الصادق يمارس التقية؟

وقد غطى"الإمامية" نظريتهم التي نسبوها الى الإمام الصادق بغلاف "التقية" حيث نقلوا عنه أنه أوصى الشيعة بممارسة "التقية" ودعاهم لكتمان عقائدهم، وزعموا أنه اعتبر "التقية" ركنا من أركان الدين. وأنه قال:" التقية من ديني ودين آبائي ولا إيمان لمن لا تقية له".[422] أو "اتقوا الله وصونوا دينكم بالورع وقووه بالتقية".[423] أو" اتقوا على دينكم فاحجبوه بالتقية، فإنه لا إيمان لمن لا تقية له".[424] وأنه قال لأبي عمر الأعجمي: "يا أبا عمر إن تسعة أعشار الدين في التقية ولا دين لمن لا تقية له".[425] وقال:" إنما جعلت التقية ليحقن بها الدم".[426] وأنه وضع يده على شفتيه وقال لأحد أصحابه: "يا سالم احفظ لسانك تسلم ولا تحمل الناس على رقابنا".[427]

وادعى "الإمامية" أن الصادق حذر الشيعة من نشر أحاديثه قائلا:" من أذاع علينا حديثنا فهو بمنزلة من جحدنا حقنا". و" المذيع حديثنا كالجاحد له".[428] و"من أذاع علينا حديثنا سلبه الله

---

[419] - الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نتف وجوامع من الرواية في الولاية، ح رقم 4 و 6

[420] - وقرأ هذه الآية هكذا:" ولقد عهدنا إلى آدم من قبل كلمات في محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام من ذريتهم، فنسي" ثم قال: هكذا والله نزلت على محمد (ص). الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح رقم 22 و 23

[421] - الكليني، الكافي، ح رقم 5712 – 1 النوادر

[422] - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب التقية، ح رقم 12

[423] - الكليني، الكافي، ح رقم 8529 - 3

[424] - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب التقية، ح رقم 5

[425] - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب التقية، ح رقم 2

[426] - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب التقية، ح رقم 16

[427] - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب الصمت وحفظ اللسان، ح رقم 3

[428] - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب الإذاعة، ح رقم 2

الإيمان".[429] و" من أذاع علينا شيئا من أمرنا فهو كمن قتلنا عمدا ولم يقتلنا خطـاء".[430] وإن " مـذيع السر شـاك ، وقائله عند غـير أهله كافر". [431] و"المذيع لما أراد الله ستره مارق من الدين". [432]

وزعموا أن الإمام الصادق كان لديه أسرار وأنه كان يطالب الشـيعة بعـدم إفشـاء أسـراره، ويقـول:" لا تـذكروا سـرنا بخلاف علانيتنا ولا علانيتنا بخلاف سـرنا، حسـبكم أن تقولـوا ما نقـول وتصمتوا عما نصمت ".[433] ولـذلك كتب إلى أصـحابه محـذراً :" لا يحل لكم أن تظهـروهم على أصـول دين الله فـإنهم إن سـمعوا منكم فيه شيئا عادوكم عليه ورفعوه عليكم وجهـدوا على هلاككم واسـتقبلوكم بما تكرهـون ولم يكن لكم النصـفة منهم في دول الفجار".[434]

وقالوا بأن الصادق انتقد بمرارة بعض الشيعة الذين لا يلـتزمون بالتقية ويعلنـون عن أفكـارهم في المسـاجد، فقـال :" حلقٌ في المسجد يشهرونا ويشهرون أنفسـهم! أولئك ليسـوا منا ولا نحن منهم، أنطلقُ فـأواري وأسـترُ فيهتكـون سـتري هتك الله سـتورهم، يقولـون: إمـام، أما والله ما أنا بإمـام إلا لمن أطـاعني فأما من عصـاني فلست له بإمـام، لم يتعلقـون باسـمي؟!، ألا يكفّـون اسـمي من أفـواههم فوالله لا يجمعـني الله وإيـاهم في دار".[435]

ورووا بأن الصادق أمر الشيعة بعدم التحدث أمـام النـاس بما ينكـرون فقـال:" إنه ليس من احتمـال أمرنا التصـديق له والقبول فقط، من احتمال أمرنا ستره وصـيانته من غـير أهله ... رحم الله عبدا اجترَّ مودة الناس إلى نفسه، حدثوهم بما يعرفـون واسـتروا عنهم ما ينكـرون، والله ما الناصب لنا حربا بأشد علينا مؤونة من النـاطق علينا بما نكـره، فـإذا عـرفتم من عبد إذاعة فامشوا إليه وردوه عنهـا، فـإن قبل منكم وإلا فتحملـوا عليه بمن يثقل عليه ويسـمع منـه، فـان الرجل منكم يطلب الحاجة فيلطف فيها حـتى تقضى لـه، فـالطفوا في حـاجتي كما تلطفـون في

---

429 - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب الإذاعة، ح رقم 3
430 - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب الإذاعة، ح رقم 9 و 4
431 - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب الإذاعة، ح رقم 10
432 - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب الإذاعة، ح رقم 11
433 - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 51
434 - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، رسالة الإمام الصادق، حديث رقم 1
435 - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 562

حوائجكم فإن هو قبل منكم وإلا فادفنوا كلامه تحت أقــدامكم ولا تقولوا: إنه يقول ويقول، فإن ذلك يحمل علي وعليكم".[436]

وزعموا بأن الصادق كتب رسالة إلى أصـحابه وأمـرهم فيها: " بمجاملة أهل الباطل، ومخالطتهم ومنازعتهم بالتقية التي أمــركم الله أن تأخذوا بها فيما بينكم وبينهم".[437]

التقية في الجرح والتعديل

وإمعانا في التآمر على الإمـام الصـادق، قـام الغلاة بالالتفـاف على تبرؤ الإمام منهم ولعنه إياهم وتحذير أصحابه منهم، بالادعـاء أن الإمــام يمــارس التقية في اللعن، والطلب من أصــحابه عــدم إحراجه أمام الناس وسؤاله عن بعض الأشخاص، واضطراره إلى أن يلعن بعض أصـحابه "الصـالحين" تقية، وأنه قـال: " اتقـوا الله أيتها العصابة وإن استطعتم أن لا يكون منكم محرج الإمام.. فـإن محــرج الإمــام هو الــذي يســعى بأهل الصــلاح من أتبــاع الإمــام، المسلّمين لفضله، الصــابرين على أداء حقــه، العــارفين لحرمتــه، واعلموا أنه من نزل بذلك المنزل عند الإمـام فهو محـرج الإمـام، فإذا فعل ذلك عند الإمام أحـرج الإمـام إلى أن يلعن أهل الصـلاح من أتباعه، المسلّمين لفضله، الصـابرين على أداء حقه العـارفين بحرمته، فإذا لعنهم لإحراج أعداء الله صارت لعنته رحمة من الله عليهم وصــــــارت اللعنة من الله ومن الملائكة ورســــــله على أولئك".[438]

وقد أورد الكشي في ترجمة زرارة بن أعين، أن الإمـام الصادق قال لابنه عبد الله: " اقرأ مني على والــدك الســلام وقل له: إني أنا أعيبك دفاعا مني عنك، فإن النـاس والعـدو يسـارعون إلى كل من قربنـــاه وحمـــدنا مكانه لإدخـــال الأذى في من نحبه ونقربه، ويرمونه لمحبتنا له وقربه ودنوه منا، ويرون إدخـال الأذى عليه وقتله ويحمـدون كل من عبنـاه نحن، فإنما أعيبك لأنك رجل اشتهرت بنا وبميلك إلينا، وأنت في ذلك مـذموم عند النـاس غـير محمود الأثر بمودتك لنا ولميلك إلينا. فـأحببت أن أعيبك ليحمـدوا

---

[436] - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب الكتمان، ح رقم 5

[437] - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، رسالة الإمام الصادق، حديث رقم 1

[438] - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، رسالة الإمام الصادق، حديث رقم 1

أمـرك في الـدين بعيبك ونقصـك، ويكـون بـذلك منا دفع شـرهم عنك، يقول الله عز وجل: (أما السفينة فكانت لمساكين يعملـون في البحر فـأردت أن أعيبها وكـان وراءهم ملك يأخذ كل سـفينة غصبا)".[439]

وقد مر بنا قيام أبي الخطـاب بالالتفـاف على لعن الإمـام لـه، وبراءته منـه، بتأويل كلامه، حيث قـال: إن الإمـام يريد رجلا آخر في البصرة يسمى قتادة البصري ويكنى بأبي الخطـاب، ولما أكد الإمام أنه يعنيه شخصيا قال أبو الخطاب : إن أبا عبدالله يريد بلعنه إيانا في الظـاهر أضـدادنا في البـاطن، وتـأول قـول الله تعالى:"واما السفينة فكانت لمساكين يعملـون في البحر فـأردت ان أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا".[440]

التقية في الفتيا

وامتـدت "التقيـة" لتشـوه الفقه الجعفـري ، بما ادعته من تعمد الأئمة في التنـاقض في الفتيا عمـدا بهـدف "التقيـة". حيث ذكر الكليني في "الكافي" عدة روايات عن أبي عبد الله الصادق، يتعمد فيها الإفتاء المتعـدد والمتغـير في واقعة واحـدة، وأنه قـال لأحد أصحابه (أبي عمرو الكناني):" يا أبا عمرو أ رأيتك لو حدثتك بحديث أو أفتيتك بفتيا ثم جئتـني بعد ذلك فسـألتني عنه فأخبرتك بخلاف ما كنت أخبرتك، أو أفتيتك بخلاف ذلك، بأيهما كنت تأخـذ؟ قال: بأحدثهما و أدع الآخر، فقال: قد أصبت يا أبا عمر، وأبى الله إلا أن يعبد سـراً ، أما والله لئن فعلتم ذلك إنه لخـير لي ولكم، و أبى الله عز وجل لنا ولكم في دينه إلا التقيـــة".[441] وأنه قـــال لشـخص آخر:" أ رأيتك لو حـدثتك بحـديث العـام ، ثم جئتـني من قابل فحدثتك بخلافه ، بأيهما كنت تأخذ ؟ قال : كنت آخذ بـالأخير ، فقال له : رحمك الله".[442] وقـال لنصر الخثعمي:" من عـرف

---

[439] - الكشي، ترجمة زرارة بن أعين.

[440] - الأشعري القمي، سعد بن عبد الله، المقالات والفرق، ص 55

[441] - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب التقية، ح رقم 7

[442] - الوافي، [33340] عن الكافي 1 : 53 | 8 وهذا يشابه ما روي عن أبي جعفر الباقر أنه قال لأبي عبيدة: يا زياد ! ما تقـول لو أفتينا رجلا ممن يتولانا بشيء من التقية ؟ فقـال له : أنت أعلم ، جعلت فـداك ، قـال : إن أخذ به فهو خير له وأعظم أجـرا. وفي رواية أخـرى : إن أخذ به أجر ، وإن تركه ـ والله ـ أَثِم . الوافي، [33335] عن الكـافي 1 :ـ 52 |ـ 4. وقد مرت معنا في الفصل السـابق (عن الإمـام البـاقر) قصة انشـقاق عمر بن رباح عن الباقر وتراجعه عن القول بإمامتـه، بسـبب تنـاقض فتـاوى البـاقر بين عام وآخر دون مبرر أو داع للتقية.

أنّا لا نقول إلا حقّـاً ، فليكتفِ بما يعلم منا ، فـان سـمع منا خلاف ما يعلم ، فليعلم أن ذلك دفـــاع منا عنه".[443] وقـــال لأبي جعفر الأحول:" لا يسع الناس حتى يسألوا ، ويتفقهوا ، ويعرفوا إمـامهم ، ويسعهم أن يأخذوا بما يقول وإن كان تقية".[444]

ويزعم الإمامية أنه دخل على الصادق رجل فسأله عن آية من كتاب الله (عز وجل) فأخبره بهـا، ثم دخل عليه داخل فسـأله عن تلك الآية فأخبره بخلاف ما أخــبر به الأول، ثم دخل عليه آخر فسأله عن تلك الآية فأخبره بخلاف ما أخبر الأول والثاني.[445]

ويدعي الإمامية أن منهج الإمام الصـادق كـان يقـوم على الإفتاء بما يخالف علماء المسلمين من بقية المذاهب، ولكنه كان يفـتي أحيانا حسب ما يـوافقهم تقيـة، وكـان ينصح شـيعته سـراً بمخالفة تلك الفتـاوى، ويـروون عن عمر بن حنظلـة، أنه سـأل الصــــادق "عن رجلين من أصـــحابنا ، بينهما منازعة في دين أو ميراث ، فتحاكما ـ إلى أن قال : ـ فان كـان كل واحد اختـار رجلا من أصــحابنا ، فرضــيا أن يكونا النــاظرين في حقهما ، واختلف فيهما حكما ، وكلاهما اختلفا في حـــديثكم؟ فقـــال (الصـــادق): الحكم ما حكم به أعدلهما ، وأفقههما، وأصـدقهما في الحـديث ، وأورعهما ، ولا يلتفت إلى ما يحكم به الآخر ، قـــــــال : فقلت : فانهما عـدلان مرضـيان عند أصـحابنا ، لا يفضل واحد منهما على صاحبه ، قال : فقال : ينظر إلى ما كان من روايتهما عنا في ذلك الذي حكما به ، المجمع عليه عند أصـحابك ، فيؤخذ به من حكمنا ويترك الشاذ الذي ليس بمشهور عند أصـحابك فـان المجمع عليه لا ريب فيه ـ إلى أن قال : ـ فان كان الخبران عنكم مشــهورين ، قد رواهما الثقاة عنكم ؟ قــــــال : ينظر ، فما وافق حكمه حكم الكتاب والسنة وخالف العامة فيؤخذ به ، ويـترك ما خـالف حكمه حكم الكتــاب والســنة ووافق العامة ، قلت : جعلت فـــداك، إن رأيت إن كان الفقيهان عرفا حكمه من الكتاب والسـنة ، ووجـدنا أحد الخــبرين موافقا للعامة ، والآخر مخالفا لهم، بـأي الخــبرين يؤخذ ؟ فقــال : ما خــالف العامة ففيه الرشــاد ، فقلت : جعلت فداك، فإن وافقهما الخبران جميعا ؟ قـال : ينظر إلى ما هم إليه أميل حكامهم وقضاتهم ، فيترك ويؤخذ بالآخر ، قلت : فـإن وافق حكامهم الخبرين جميعا ؟ قـال : إذا كـان ذلك فارجئه حـتى تلقى

---

[443] - الوافي، [33336] الكافي 1 : 53 | 6

[444] - الوافي، [33346] عن الكافي 1 : 31 | 4

[445] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب التفويض إلى رسول الله والأئمة أمر الدين، ح رقم 2

إمامك ، فـإن الوقـوف عند الشـبهات خـير من الاقتحـام في الهلكات".[446]

وكحل لهـذه المعضـلة يـروون أن الصـادق قـال لـزرارة: " ما سمعته مني يشبه قـول النـاس: فيه التقيـة، وما سـمعت مـني لا يشبه قول الناس فلا تقية فيه".[447]

الفصل الســادس: أثر الفكر الإمـامي على الفقه الشيعي

المبحث الأول: أصول الفقه الإمامي

وبنـاء على نظرية "الإمامة الإلهيـة" و "حجية الأئمـة" وعلمهم الغيـبي وكـونهم "مصـدرا من مصـادر التشـريع" ووجـوب القطع بصوابية آرائهم، والتسليم لهم وعدم مناقشتهم، وعدم جواز تقليد غيرهم من العلماء أو تلقي الأحـاديث النبوية عن غـير طـريقهم.. ولد "الفقه الإمامي" الذي يقوم على ادعاء امتلاك الأئمة للقـرآن الكامـل، واحتكـار القـدرة على تفسـيره، وعلم الأئمة بـالغيب، وتحـدث الملائكة معهم ، وتفـويض الله لهم أمر الـدين وجـواز الفتوى خلافا للشريعة الاسلامية بسبب التقيـة، وخلافا للعامة من المسلمين.

1 – رفض القياس والرأي والاجتهاد

وكان "الفقه الإمامي" المنسوب الى الإمـام جعفر الصـادق، يـرفض مـذهب أهل الـرأي الـذين كـانوا يقولـون بالقيـاس والاجتهاد.[448] ويذهب إلى وجود النصوص الشرعية في كل شـيء.

---

[446] - الوافي، [33334] 1 عن الكافي، ج1 حديث 54/10

[447] - الوافي، [33379] 46

[448] - كان الإمام أبو حنيفة النعمان يقود مدرسة الرأي والقياس والاجتهاد، ويـرفض كثـيرا من الأحـاديث ، بينما كـان بعض أئمة أهل الحـديث كالإمـام مالك، يذهب إلى استعمال الرأي، بعد قول الصحابة والتابعين، وكان الإمام الشافعي يؤمن بالقياس، ويعتـبره مصـدرا من مصـادر التشـريع في غيـاب

بناء على فكرة: تبيان كل شي في الكتاب والسنة، وعدم وجود منطقة فراغ تحتاج إلى الرأي والاجتهاد، وينسب الإمامية الى الصادق قوله:"إن الله تبارك وتعالى أنزل في القرآن تبيان كل شئ حتى والله ما ترك الله شيئا يحتاج إليه العباد، حتى لا يستطيع عبد يقول: لو كان هذا انزل في القرآن؟ إلا وقد أنزله الله فيه".[449] ويزعمون أنه قال:" ما من شئ إلا وفيه كتاب أو سنة".[450] و"ما من أمر يختلف فيه اثنان إلا وله أصل في كتاب الله عز وجل ولكن لا تبلغه عقول الرجال".[451] ويقولون أنه كتب رسالة طويلة إلى أصحابه ، أكد فيها على أن الله قد أنزل القرآن ، وجعل فيه تبيان كل شيء.[452] وأنه روى عن جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، أنه قال:"أيها الناس إن الله تبارك وتعالى أرسل إليكم الرسول صلى الله عليه وآله وأنزل إليه الكتاب بالحق... إن فيه علم ما مضى، وعلم ما يأتي إلى يوم القيامة،

النصوص من الكتاب والسنة، وقد عرَّف الاجتهاد في كتابه المعروف "الرسالة" بالقياس، أي الأخذ بنظر الاعتبار الحالات المشابهة وإصدار الحكم في القضية الجديدة بموجب هذا القياس. وقال:" في القياس ؟ أهو الاجتهاد أم هما مفترقان قلت: هما اسمان بمعنى واحد ". على العكس من الإمام أحمد ابن حنبل (إمام أهل السنة) الذي كان يرفض القياس أشد الرفض ويعتبره بدعة مخالفة للسنة، ويصر على التمسك بالحديث كما هو. فقال في رسالته في "أصول السنة":" أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب الرسول (صلى الله عليه وسلم) والاقتداء بهم ، وترك البدع... والسنة عندنا آثار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) **وليس في السنة قياس**، ولا تضرب لها الأمثال، ولا تدرك بالعقول والأهواء. إنما هو الاتباع وترك الهوى".

ويقول أهل الرأي إن أحكام القرآن محدودة، والأحاديث لا تغطي جميع الحوادث الواقعة، فضلا عن أن الكثير منها غير ثابت قطعا، فإما أن نقول بأن الشريعة قد بينت أحكاما محددة، وتركت البقية للعقل الإنساني لكي ينتج فيها أحكاما مدنية عرفية، وإما أن نقول بأن الشريعة تغطي كل أمور الحياة، القديمة والجديدة، وهنا نحتاج الى القياس ومطابقة الحوادث الواقعة مع أقرب المسائل القديمة إليها.

449 - الكليني، الكافي، كتاب العقل، كتاب فضل العلم، باب الرد إلى الكتاب والسنة، ح رقم 1

450 - الكليني، الكافي، كتاب العقل، كتاب فضل العلم، باب الرد إلى الكتاب والسنة، ح رقم 4

451 - الكليني، الكافي، كتاب العقل، كتاب فضل العلم، باب الرد إلى الكتاب والسنة، ح رقم 6

452 - الوافي، ح رقم [33152] و الكافي 8 : 5. - الكليني، الكافي، كتاب العقل، كتاب فضل العلم، باب الرد إلى الكتاب والسنة، ح رقم 0 1 الوافي، ح رقم [33153] 3

وحكم ما بينكم وبيـان ما أصـبحتم فيه تختلفـون، فلو سـألتموني عنه لعلمتكم".[453]

وبناء على تبيان الكتاب والسنة لكل شيء، فقد اتخذ الإمام الإمامية موقفا سـلبيا من اسـتعمال القيـاس من أجل اسـتنباط أحكـام جديـدة في الحـوادث الواقعـة، ورووا عن الصـادق أنه قال:"إن أصحاب المقـائيس طلبـوا العلم بالمقـائيس فلم تـزدهم المقـائيس من الحق إلا بعـدا، وإن دين الله لا يصـاب بالمقائيس".[454] وأنه قال لتلميذه أبـان:" إن السـنة لا تقـاس ، ألا تـرى أن المـرأة تقضي صـومها ، ولا تقضي صـلاتها، يا أبـان ان السـنة إذا قيست محق الـدين". [455] وأنه روى عن أبيه عن جـده الإمام علي أنه قال:"من نصب نفسه للقياس لم يـزل دهـره في التبـاس ، ومن دان الله بـالرأي لم يـزل دهـره في ارتمـاس".[456] وأنه قـال:إن عليا (ع) أبى أن يـدخل في دين الله الـرأي، وأن يقول في شيء من دين الله بالرأي والمقـاييس" وأنه قـال : "لو علم (فقيه أهل العراق عبد الله) ابن شبرمة من أين هلك النـاس ما دان بالمقـاييس ، ولا عمل بهـا". [457] أو " من عمل بالمقـائيس فقد هلك وأهلك".[458]

ونقل الإمامية عن جعفر الصـادق أنه اسـتدل على عـدم جـواز استعمال الرأي والقيـاس بحرمته في أيـام الرسـول، قـائلا: "كما أنه لم يكن لأحد من النـاس مع محمد (ص) أن يأخذ بهـواه ، ولا رأيه ، ولا مقاييسه خلافا لأمر محمد (ص) ، كـذلك لم يكن لأحد بعد محمد (ص) أن يأخذ بهـواه ، ولا رأيـه، ولا مقاييسـه"، وأنه أوصى شيعته باتباع آثـار رسـول الله (ص) وسـنته ، والأخذ بهـا، وحذرهم من اتباع الأهواء والأخذ بالرأي. " فـإن أضل النـاس عند الله من اتبع هواه ورأيه بغير هدى من الله".[459]

---

[453] - الكليني، الكـافي، كتـاب العقـل، كتـاب فضل العلم، بـاب الـرد إلى الكتاب والسنة، ح رقم 7

[454] - الكليني، الكافي، كتاب العقل، كتاب فضل العلم، باب البـدع والـرأي والمقائيس، ح رقم 7

[455] - الوافي، ح رقم [33160] 10 ـ

[456] - الوافي، ح رقم [33161] 11 ـ

[457] - الوافي، ح رقم [33183] 33 ـ

[458] - الكليـني، الكـافي، كتـاب العقـل، كتـاب فضل العلم، بـاب النهي عن القول بغير علم، ح رقم 9

[459] - الوافي، ح رقم [33152] و الكافي 8 ـ 5. ـ عن أبي عبدالله ، و الكليني، الكافي، كتاب الروضة، رسالة الإمام الصادق، حديث رقم 1

ويقول أبو بصير أنه سأل الصادق قـائلا: تـرد علينا أشـياء ليس نعرفها في كتاب الله ولا سنة فننظر فيها؟ فقـال:" لا، أما إنك إن أصبت لم تؤجر، وإن أخطأت كذبت على الله عز وجل".[460]

ويقول أبو جعفر الأحول أنه ناظر أحد الشراة (الخوارج) فغلبه، فقــال الصــادق:" والله لقد ســررتني ، والله ما قلت من الحق حرفا ، قال : وَلِمَ ؟ قـال : لأنك تكلمت على القيـاس ، والقيـاس ليس من ديني".[461]

ويقول رجل آخر أنه سأل الصادق عن مسألة فأجابه فيها، فقال الرجل: أ رأيت إن كان كذا وكذا ما يكـون القـول فيهـا؟ فقـال له الصـادق:"مـه.. ما أجبتك فيه من شئ فهو عن رسـول الله (ص) لسنا من: "أرأيت" في شئ".[462]

وروى الإمامية عن الصادق عن رسول الله (ص) أنه قـال: قـال الله جل جلالــه:" ما آمن بي من فسر برأيه كلامي ، وما عرفــني من شــبهني بخلقي ، وما على ديــني من اســتعمل القيــاس في ديني".[463] وأنه نقل عن جده أمير المؤمنين أنه قـال:" لا تقيسـوا الــدين ، فـإن أمر الله لا يقـاس ، وسـيأتي قـوم يقيسـون ، وهم أعداء الدين" .[464]

---

460 - الكليني، الكافي، كتاب العقل، كتاب فضل العلم، باب البدع والرأي والمقائيس، ح رقم 11

461 - رجال الكشي 2 : 188 | 331.

462 - الكليني، الكافي، كتاب العقل، كتاب فضل العلم، باب البدع والرأي والمقائيس، ح رقم 21

ويقول محمد بن حكيم، أحد أصحاب الإمـام موسى الكـاظم، أنه حـاول أن يسترخص في القياس، فقال له : جعلت فداك فقهنا في الدين وأغنانا الله بكم عن النـاس حـتى أن الجماعة منا لتكـون في المجلس ما يسـأل رجل صاحبه تحضره المسألة و يحضره جوابها فيما من الله علينا بكم فربما ورد علينا الشيء لم يأتنا فيه عنك ولا عن آبائك شئ فنظرنا إلى أحسن ما يحضرنا وأوفق الأشـياء لما جاءنا عنكم فنأخذ بـه؟ فقـال:"هيهـات هيهـات، في ذلك والله هلك من هلك يا ابن حكيم". وقال الكـاظم ليـونس بن عبد الرحمن:"من نظر برأيه هلك". الكليني، الكافي، كتاب العقل، كتـاب فضل العلم، باب البدع والرأي والمقائيس، ح رقم 9 و 10

463 - آمالي الصدوق : 15 | 3 ، والتوحيد : 68 | 23 ، وعيون أخبار الرضا 1 : 116 | 4 .

464 - الوافي [33186] عن المحاسن : 215 | 98

ويحاول الفقه "الإمامي" حل مشكلة محدودية الأحكام الواردة في القرآن والسنة، بادعـاء وجـود "العلم الإلهي المسـتمر" لـدى الأئمة من أهل البيت الذين يشكلون "مصدرا مستمرا من مصادر التشريع" الى جانب القرآن والسنة. وينسب الإمامية أحاديث إلى جعفر الصـادق بأنه كـان يـدعي معرفة ذلك العلم، ويقولـون أنه سـأل أبا حنيفة ذات مـرة قـائلا:" أنت فقيه العـراق؟ قـال : نعم، قال : فبِمَ تفتيهم ؟ قال : بكتاب الله وسـنة نبيه (ص) ، قـال : يا أبا حنيفـــة! تعـــرف كتـــاب الله حق معرفته ؟ وتعـــرف الناسخ والمنسوخ ؟ قـال : نعم ، قـال : يا أبا حنيفـة! لقد ادعيت علمـاً ، ويلك **ما جعل الله ذلك إلا عند أهل الكتـاب الـذين أنـزل عليهم** ، ويلك ولا هو **إلا عند الخـــاص من ذرية نبينا محمد** (ص) ، وما ورثك الله من كتابه حرفا".[465] ثم حـذره قـائلا:" اتق الله ، ولا تقس (في) الدين برأيك، فإن أول من قـاس إبليس ـــ وسأله ـــ: ويحك أيهما أعظم ؟ قتل النفس، أو الزنا ؟ قـال : قتل النفس، قال : فان الله عزّ وجلّ قد قبل في قتل النفس شاهدين ، ولم يقبل في الزنا إلا أربعة ، ثم أيهما أعظم ؟ الصـــــلاة ؟ أم الصوم ؟ قال : الصلاة ، قال : فما بـال الحـائض تقضي الصـيام ، ولا تقضي الصـلاة ؟ فكيف يقـوم لك القيـاس ؟ فـاتق الله ، ولا تقس .[466]

وفي رواية أخرى أن الصادق قال لأبي حنيفة:": يا نعمان ! إياك والقياس فان أبي حدثني عن آبائه : أن رسول الله (ص) قـال : من قـاس شـيئا من الـدين برأيه قرنه الله مع إبليس في النـار ، فان أول من قاس إبليس ، حين قال : خلقتـني من نـار ، وخلقته من طين ، فدع الرأي والقياس ، وما قال قـوم ليس له في دين الله برهان ، فان دين الله لم يوضع بالآراء والمقاييس".[467]

ويروي الإمامية أن جعفر الصادق كتب رسـالة إلى أصـحاب الرأي والقياس ، جاء فيها:" أما بعد، فـإن من دعا غـيره إلى دينه بالارتياء والمقاييس لم ينصف ولم يصب حظه ... وفي ذلك تحـير الجـاهلون، وشك المرتـابون، وظن الظـانون، ولو كـان ذلك عند الله جـــائزا لم يبعث الله الرسل بما فيه الفصـــل، ولم ينه عن الهزل، ولم يعب الجهل، ولكن الناس لما سفهوا الحـق، وغمطـوا النعمة، واستغنوا بجهلهم وتدابيرهم عن علم اللـه، واكتفـوا بـذلك

---

465 - الوافي ، ح رقم [33177] 27
466 - الوافي، ح رقم [33175] 25
467 - الوافي، ح رقم [33176] 26

عن رسـله **والقوّام بـأمره**، وقـالوا : لا شـيء إلا ما أدركته عقولنا، وعرفته ألبابنـا، فـولاهم الله ما تولـوا ، وأهملهم وخـذلهم حـتى صـاروا عبـدة أنفسـهم من حيث لا يعلمـون، ولو كـان الله رضي منهم اجتهـادهم وارتيـاءهم فيما ادعـوا من ذلك لم يبعث إليهم فاصلا لما بينهم، ولا زاجـرا عن وصـفهم، وإنما اسـتدللنا أن رضا الله غـير ذلـك، ببعثه الرسل بـالأمور القيمة الصـحيحة، والتحـذير من الأمـور المشـكلة المفسـدة، ثم جعلهم أبوابه وصراطه والأدلاء عليه بأمور محجوبة عن الـرأي والقيـاس ، فمن طلب ما عند الله بقيـاس ورأي لم يـزدد من الله إلا بعـدا ، ولم يبعث رسولا قط ـ وإن طـال عمـره ــ قـابلا من النـاس خلاف ما جاء به ، حتى يكون متبوعا مـرة وتابعا أخـرى ، ولم يـرَ أيضا فيما جاء به اسـتعمل رأيا ولا مقياسا ، حـتى يكـون ذلك واضـحا عنـده كـالوحي من الله ، وفي ذلك دليل لكل ذي لب وحجى ، إن أصحاب الرأي والقياس مخطئون مدحضون".[468]

وبما أن استعمال القياس أو الاجتهاد في الفقه، كـان يشـكل تحـديا كبـيرا لنظرية الإمامة الإلهيـة، واسـتغناءاً عن الأئمـة، فقد روى الإمامية عن الصـادق أنه قـال:" يظن هـؤلاء الـذين يـدعون أنهم فقهـاء علمـاء أنهم قد أثبتـوا جميع الفقه والـدين مما تحتـاج إليه الأمة، وليس كل علم رسول الله (ص) علموه، ولا صار إليهم من رسـول الله (ص) ولا عرفـوه ، وذلك أن الشـيء من الحلال والحرام والأحكام يـرد عليهم ، فيُسـألون عنه ، ولا يكـون عنـدهم فيه أثر عن رسول الله (ص) ، ويستحيون أن ينسبهم النـاس إلى الجهل، ويكرهون أن يسألوا فلا يجيبوا ، فيطلب النـاس العلم من معدنه، فلـذلك اسـتعملوا الـرأي والقيـاس في دين اللـه، وتركـوا الآثـار ، ودانـوا بالبـدع ، وقد قـال رسـول الله (ص) : كل بدعة ضـلالة، فلو أنهم إذا سـئلوا عن شـيء من دين الله ، فلم يكن عنـدهم فيه أثر عن رسـول الله ، ردوه إلى الله وإلى الرسـول **وإلى أولي الأمر منهم، لعلمه الـذين يسـتنبطونه منهم من آل محمد** (ص)".[469] وقـال:"**إن الله فـرض طاعة الأئمـة، الـذين أنـزل الله كتابه عليهم**، على عبـاده، **وأمر الأمة برد ما اشتبه عليهم من الأحكـام إليهم** ... وإن الله لم يكلف النـاس اجتهـادا، لأنه قد نصب لهم أدلـة، وأقـام لهم أعلامـا، وأثبت عليهم الحجة ، فمحـال أن يضـطرهم إلى ما لا يطيقون بعد إرسـاله إليهم الرسل بتفصـيل الحلال والحـرام، ولم

---

[468] - الوافي، [33182] عن المحاسن : 209 | 76.

[469] - تفسير العياشي 2 : 331 | 46.

يــتركهم ســدى، مهما عجــزوا عنه ردوه إلى الرســول **والأئمة** صلوات الله عليهم".[470]

ونسب الإمامية إلى الصادق قولـه:" لعن الله أصـحاب القيـاس ، فــإنهم غــيروا كتــاب الله وســنة رســول الله (ص) ، واتهمــوا الصادقين في دين الله".[471]

2 – لا سنة إلا عن طريق أهل البيت

---

470 - الـوافي، ح رقم [33188]ـ 38 ــ علي بن الحسـين المرتضى في رسـالة (المحكم والمتشـابه) نقلا من (تفسـير) النعمـاني، ولـذلك ذهب الأخباريون من الشيعة (وهم سلف الإمامية) إلى عدم جواز العمل بظواهر القـرآن إلا إذا كـانت مدعمة بتفسـير أهل الـبيت، وفسـروا احتجـاج الأئمة بظــواهر القــرآن بأنه للجــدل، وقــالوا:"أما ما روي في بعض الأخبــار من قولهم (عليهم السـلام) : أما سـمعت قوله تعـالى ؟ ونحو ذلك ، فوجهه : أن من ســـمع آية ، ظاهرها دال على حكم نظـــري ، لم يجزْ له الجـــزم بخلافها ، لاحتمــال إرادة ظاهرها ، فالإنكــار هنـاك لأجل هـذا، وإن كـان لا يجوز الجزم بإرادة الظاهر أيضا ، لاحتمال النسخ والتخصيص والتأويل وغير ذلك ، بل إن كـانت موافقة للاحتيـاط فـذاك ، وإلا تعين الاحتيـاط لاشـتباه الحكم . على أن ما يتخيل معارضـته هنا ظـاهر ظـني الدلالـة، لا يعـارض النص المتــواتر القطعي الدلالة مع احتمــال الجميع ، للتقية وإرادة إلــزام المخـاطب بما يعتقد حجيته ، وأما الآية الـتي ورد تفسـيرها عنهم (عليهم السلام) ، أو اسـتدلالهم بها ، أو وافقت الأحـاديث الثابتة ، فلا إشـكال في العمل بها " . تعليقا على حـديث "من أتم في السـفر ، فـإن كـانت قـرئت عليه آية التقصير ، وفسرت له أعاد". الوافي،[33613]ـ 82 الحـديث 4 من الباب 17 من أبواب صلاة المسافر.

471 - آمــالي : المفيد 52 |ــ 13. وســار بقية الأئمة على خطى البــاقر والصادق في رفض الاجتهاد، والـدعوة للتقليـد، كما في رواية عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، قـال : قلت للرضا : جعلت فـداك ، إن بعض أصـحابنا يقولــون : نســمع الأمر يحكى عنك وعن آبائك ، فنقيس عليــه، ونعمل بــه، فقـال: سـبحان الله ! لا والله ما هـذا من دين جعفر ، هـؤلاء قـوم لا حاجة بهم إلينا ، قد خرجوا من طاعتنا ، وصاروا في موضعنا ، فأين التقليد الــذي كـانوا يقلـدون جعفـرا وأبا جعفر ؟ قـال جعفر : لا تحملـوا على القيـاس ، فليس من شــيء يعدله القيــاس ، إلا والقيــاس يكســره. - الــوافي، [33191] قرب الاسناد : 157.

ولكن الإمامية وقعوا بما رفضوه من قبل، بعد "غيبة الإمام الثـاني عشر محمد بن الحسن العسـكري" وانقطـاع اتصـالهم "بمصـادر العلم الإلهي القطعية"، حيث فتحوا باب الاجتهاد في القـرن الخـامس الهجـري وسـاروا على خطى أهل الـرأي فيما لا يوجد فيه نص من كتـاب أو سـنة، أو حـديث من أئمة أهل البيت.

إن الإمامية يأخذون بالسنة النبوية الى جـانب القـرآن، ولكنهم يشككون بالأحاديث الواردة عن النـبي الأكـرم (ص) ولا يعـترفون إلا بالأحـاديث الـواردة عن "الأئمـة" لأنهم – حسب رأيهم – أعلم الناس بالأحـاديث النبوية الصـحيحة، الـتي ورثوها أبـاً عن جد عن رسول الله (ص)، والتي تختلف عما في أيدي الناس. وينقلون عن الإمـــام الصـــادق أنه كـــان يتهم أهل الحـــديث بنقل الأحـــاديث المناقضة للقرآن الكريم، ويحذر من التصديق "بالأحـاديث الكاذبة على الله التي يكذبها القرآن ويتبرأ منها ومن حملتها ورواتها".[472] ويروون عن الصادق أنه كان يقول:"إن عندنا ما لا نحتاج معه إلى الناس، وإن الناس ليحتـاجون إلينـا، وإن عنـدنا كتابا إملاء رسـول الله صـلى الله عليه وآله وخط علي عليه السـلام، صـحيفة فيها كل حلال وحرام".[473] و"إن عندنا الجامعة.. صحيفة طولها سبعون ذراعا بـــذراع رســـول الله (ص) وإملائه من فلق فيه وخط علي بيمينـه، فيها كل حلال وحـرام وكل شئ يحتـاج النـاس إليه حـتى الأرش في الخـــدش" . و"إن عنـــدنا الجفر ... وعـــاء من أدم فيه علم النبـــيين والوصـــيين، وعلم العلمـــاء الـــذين مضـــوا من بـــني إسرائيل".[474] وفي حديث آخر وصف الجفر بأنه "جلد ثـور مملـوء علما".[475]

وقد روى الإمامية عن الصادق عن جده الإمام علي أنه قال:"إنما أتـاكم الحـديث من أربعة ، ليس لهم خـامس: رجل منـافق يظهر الإيمـان ، متصـنع بالإسـلام ، لا يتـأثّم ، ولا يتحـرج أن يكـذب على رسول الله (ص)، ... ورجل سمع من رسول الله (ص)، شـيئاً ، لم يحمله على وجهه ، ووهم فيه ، ولم يتعمد كـــذبا ، فهو في يـــده ، يقـــول به ، ويعمل به ، ويرويه ، فيقـــول : أنا ســـمعته من رســـول الله (ص) ، فلو علم المســـلمون أنه وهم لرفضـــوه ، ولو علم هو أنه وهم لرفضه ، ورجل ثـالث ســمع من رســول الله (ص) شــيئا أمر به ثم نهى عنه ، وهو لا يعلم : أو نهى عنه ، ثم أمر به ، وهو لا يعلم ، فحفظ منســـــــــوخه ، ولم يحفظ الناسخ ، فلو علم أنه منســـوخ لرفضه ، ولو علم النـــاس إذ ســـمعوه منه أنه منســـوخ

---

472 - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 8240 – 1

473 - الكليـني، الكـافي، كتـاب الحجـة، بـاب فيه ذكر الصـحيفة والجفر والجامعة، ح رقم 6

474 - الكليـني، الكـافي، كتـاب الحجـة، بـاب فيه ذكر الصـحيفة والجفر والجامعة، ح رقم 1 و 5

475 - الكليـني، الكـافي، كتـاب الحجـة، بـاب فيه ذكر الصـحيفة والجفر والجامعة، ح رقم 5

لرفضــوه ، وآخر رابع لم يكــذب على رســول الله (ص) ، مبغض للكــذب خوفا من الله ، وتعظيما لرســول الله (ص) ، لم ينسه ، بل حفظ ما سمع على وجهه ، فجاء به كما سمعه ، لم يــزد فيه ، ولم ينقص منه ، وعلم الناسخ من المنســـــوخ ، فعمل بالناسخ ، ورفض المنسوخ ، فـان أمر النـبي (ص) مثل القـرآن ، منه ناسخ ومنسوخ ، وخاص وعـام ، ومحكم ومتشـابه. وقد كـان يكـون من رسول الله (ص) الكلام له وجهان ، وكلام عام ، وكلام خاص مثل القــرآن.. فما نــزلت على رســول الله (ص) آية من القــرآن إلا أقرأنيها وأملاها عليّ، فكتبتها بخطي، وعلمـني تأويلها وتفسـيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصها وعامهــا، ودعا الله لي أن يعطيني فهما وحفظا، فما نسـيت آية من كتـاب اللـه، ولا علما أملاه عليّ وكتبته".[476]

ونتيجة لإيمـانهم بعصـمة "الأئمـة" وبنـاء على امتلاكهم لتلك الكتب الســـرية، فقد كـــان الإمامية يقبلـــون أية رواية ينســـبها "الإمام" إلى رسول الله (ص) من دون حاجة لذكر السـند، حـتى لو كانت بينه وبين الرسول مائة عام.[477]

3- "الأئمة" مصدر من مصادر التشريع

وربما كان الإمامية محقين في رفض الأحاديث الضـعيفة. ولم تكن توجد مشكلة كبيرة في التشكيك بصـحة كثـير من الأحـاديث المتداولة والمنســوبة للنــبي (ص) ، فقد رفض الإمــام أبو حنيفة كثيرا منهـا، كما اختـار الإمـام مالك بن أنس عشـرة آلاف حـديث من بين مائة ألــف، ولم يــزل ينظر فيها كل عــام ويحــذف منها الكثـير حـتى اسـتقر بعد عشر سـنوات على حـوالي خمسـمائة حديث فقط، واختار البخاري ومسـلم بضـعة آلاف حـديث من بين سـتمائة ألف أو سـبعمائة ألف حـديث. بيد أن "الإماميـة" كـانوا يــذهبون إلى أكـثر من ذلــك، حيث كـانوا يحصـرون عملية رواية الحـديث بأئمة أهل الـبيت (البـاقر والصـادق مثلا) ويرفضـون أية

---

[476] - الوافي، ح رقم [44614]

[477] - روى الكشي عن ســالم بن أبي حفصة (البــتري) أنه دخل على أبي عبد الله فقال له: عند الله نحتسب مصابنا برجل كان إذا حدث قـال: قـال رسول الله (ص) (ويقصد الإمام الباقر) فقـال أبو عبد الله ردا عليه:" قـال الله تعـالى: ما من شئ إلا وقد وكلت به غـيري إلا الصـدقة فـإني أتلقفها بيدي تلقفا، حتى أن الرجل والمرأة ليتصدق بتمـرة أو بشق تمـرة فأربيها له كما يـربي الرجل فلـوه أو فصـيله فيلقـاه يـوم القيامة وهي مثل أحد أو أعظم من أحد". الكشي، ترجمة الحسن بن صالح بن حي.

رواية تـأتي عن غـير طـريقهم، ولـذلك قـاموا بتفسـير الأحـاديث النبوية العامة التي تمجد العلماء وتثني عليهم، كالحـديث الشـهير الذي يقول فيه رسول الله (ص) :" اللهم ارحم خلفائي ... الـذين يأتون من بعدي، يروون حديثي وسـنتي" بـأن المقصـود بالخلفـاء هنا هم "الأئمة من أهل الـبيت" فقط. ونقلـوا عن جعفر الصـادق أنه قـال:"قـال رسـول الله (ص) : إن عند كل بدعة تكـون من بعـدي يُكـاد بها الإيمـان، ولياً من أهل بيـتي مـوكلا به يـذب عنـه، ينطق بإلهـام من الله ويعلن الحق وينـوره، ويـرد كيد الكائـدين، يعبر عن الضعفاء فاعتبروا يا أولي الأبصار وتوكلوا على الله".[478] وادعى يـونس بن ظبيـان (وهو أحد الغلاة الخطابيـة) أن الصـادق قال لـه: "إن أردت العلم الصحيح فعنـدنا أهل الـبيت، فنحن أهل الـذكر الـذين قـال الله : (فسـئلوا أهل الـذكر إن كنتم لا تعلمـون)".[479]

وزعم الإمامية أن الصادق كتب رسالة إلى الشيعة جاء فيهـا:" إن الله قد جعل للقرآن وتعلم القرآن أهلا، وهم أهل الذكر الذين أمر الله الأمة بسؤالهم، وأوصاهم "باتبـاع آثـار رسـول الله (ص) وسـنته، وآثـار الأئمة الهـداة من أهل بيت رسـول الله (ص) من بعـده وسـنتهم ، فانه من أخذ بـذلك فقد اهتـدى، ومن تـرك ذلك ورغب عنه ضل ، لأنهم هم الذين أمر الله بطاعتهم وولايتهم".[480]

---

478 - الكليني، الكافي، كتاب العقل، كتاب فضل العلم، باب البدع والرأي والمقائيس، ح رقم 5

479 - الوافي، ح رقم [33232] عن كفاية الأثر : 259. ويـذكر الصـدوق في (الأمالي) و (عيون الأخبار) أن الإمـام علي بن موسى الرضا قـال للعلمــاء في مجلس المــأمون : أخــبروني عن هــذه الآية : (**ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا**) فقالت العلماء: أراد الله بذلك : الأمة كلها ، فقال الرضا : بل أراد الله : العترة الطاهرة ، ثم قـال : ونحن أهل الذكر الذين قال الله عزّ وجلّ: (**فسـئلوا أهل الـذكر إن كنتم لا تعلمون**) فقـالت العلمـاء : إنما عـنى بـذلك : اليهـود والنصـارى ، فقـال الرضا : سبحان الله ! ويجوز ذلك ؟ إذن يدعونا إلى دينهم ، ويقولـون : إنه أفضل من دين الإسلام ، فقال المأمون : فهل عندك في ذلك شرح بخلاف ما قالوا يا أبا الحسن ؟ قـال : نعم، الـذكر : رسـول الله (صـلى الله عليه وآله) ، ونحن أهله ، وذلك بيّن في كتـــاب الله حيث يقـــول في ســـورة الطلاق : (**فاتقوا الله يا أولي الألباب الذين آمنـوا قد أنـزل الله إليكم ذكـرا * رسـولا يتلو عليكم آيـات الله مبينـات**) فالـذكر : رسول الله ، ونحن أهله". الوافي، ح رقم [33233] عن آمالي الصـدوق : 421 | 1 و 428 ، وعيون أخبار الرضا (عليه السلام) 2 : 228 | 1 و 239

480 - الوافي، ح رقم [33152] عن الكافي 8 : 5.

وقالوا إنه كان يتساءل:" عجبا للناس إنهم اخـذوا علمهم كله عن رسول الله (ص) فعملوا به واهتدوا ويرون أن أهل بيته لم يأخذوا علمه، ونحن أهل بيته وذريته في منازلنا نزل الـوحي، ومن عنـدنا خرج العلم إليهم، أفيرون أنهم علموا واهتدوا وجهلنا نحن وضللنا، إن هذا لمحال". [481]

وروى الإمامية عن الصادق أنه قسَّم الناس إلى ثلاثة أصناف : عالم ، ومتعلم ، وغثاء، وقال: "نحن العلماء، وشيعتنا المتعلمون ، وسـائر النـاس غثـاء".[482] وأنه قـال :" أنا من الـذين قـال الله : (أولئك الذين هدى الله فبهديهم اقتده) فسل عما شئت ".[483]

4 – التفويض في التشريع

وقـال بعض "الإماميـة": بـأن الله تعـالى قد فـوَّض للأئمة التشـريع، وزعمـوا أن الـدين أو الحكم الشـرعي هو ما يقوله الأئمة، وليس ما روي عن النبي الأكرم أو جاء في القرآن الكـريم فقط. وهو ما أتـاح لهم نقل ما يشـاءون من الفتـاوى عن الأئمـة، والتأسيس لفقه جديد.[484]

وقد فتحت هذه الدعوى (التفويض في التشريع) الباب واسعا أمام اختلاق ونسـبة فتـاوى وأحـاديث متناقضة أو غامضة أو قابلة للتأويل والتفسـير، إلى الأئمة من أهل الـبيت.[485] ويبـدو من خلال بعض الروايـات المنسـوبة إلى الإمـام الصـادق، أن فكـرة "التفويض" استخدمت لتأسـيس مـذهب متمـيز عما توارثـه عامة

---

481 - الكليني، الكافي، كتاب الحجـة، بـاب أن مسـتقى العلم من بيت آل محمد، ح رقم 1

482 - الوافي، ح رقم [33094]

483 - الوافي، ح رقم [33240] تفسير العياشي 1 : 368 | 55 .

484 - حيث نسبوا للإمام الصادق أنه قال:"فما فوض الله إلى رسوله (ص) فقد فوضه إلينـا" وقـال:" لا والله ما فـوض الله إلى أحد من خلقه إلا إلى رسول الله (ص) وإلى الأئمة، قال عز وجل: إنا أنزلنا إليك الكتـاب بـالحق لتحكم بين الناس بما أريك الله. وهي جارية في الأوصـياء عليهم السـلام". وأنه خاطب الشيعة قائلا:"إن نـبي الله فـوض إلى علي وائتمنـه، فسـلمتم وجحد الناس فوالله لنحبكم أن تقولوا إذا قلنا وأن تصمتوا إذا صـمتنا ونحن فيما بينكم وبين الله عز وجـل، ما جعل الله لأحد خـيراً في خلاف أمرنـا". الكليني، الكافي، كتاب الحجة، بـاب التفـويض إلى رسـول الله والأئمة أمر الدين، ح رقم1 و 8 و 9

485 - الوافي، [33355] عن عيون أخبار الرضا 1 : 290 | 39.

المسـلمين من أحـاديث نبوية وأحكـام شـرعية، بغض النظر عن صحة تلك الأحاديث والأحكام أو عدم صحتها.

5 - منهج مخالفة العامة

وبناء على دعوى "التفويض في أمر الدين" قام بعض الإمامية، أو الغلاة منهم باتخــاذ منهج جديد هو المخالفة للآخــرين، حيث نسبوا للإمام الصادق أنه قـال:" إذا ورد عليكم حـديثان مختلفـان فاعرضـوهما على كتـاب اللـه، فما وافق كتـاب الله فخـذوه، وما خــالف كتــاب الله فــردوه، فــان لم تجــدوهما في كتــاب الله فاعرضوهما على أخبار العامـة، فما وافق أخبـارهم فـذروه ، وما خـالف أخبـارهم فخـذوه ".[486] وفي رواية أخـرى :"إذا ورد عليكم حديثان مختلفان فخذوا بما خالف القوم".[487]

وبرر الإمامية ذلك المنهج (الأخذ بخلاف ما تقول العامـة) برواية حـديث عن الصـادق يقـول فيه :"إن عليا (ع) لم يكن يـدين الله بدين، إلا خالفت عليه الأمة إلى غيره، إرادة لإبطال أمره، وكـانوا يسألون أمـير المؤمـنين (ع) عن الشـيء الـذي لا يعلمونـه، فـإذا أفتـاهم جعلـوا له ضـداً من عنـدهم ، ليلبسـوا على النـاس".[488] وزعموا أن الصادق خاطب شـيعته قـائلا:" ما أنتم ــ والله ــ على شيء مما هم فيـه، ولا هم على شـيء مما أنتم فيـه، فخـالفوهم فما هم من الحنيفية على شـــيء".[489] وأنه قـــال:"والله ما جعل الله لأحد خـيرة في اتبـاع غيرنا ، وأن من وافقنا خـالف عـدونا، ومن وافق عـدونا في قـول أو عمل فليس منّـا، ولا نحن منهم" .[490] أو أنه قـــال "كـــذب من زعم أنه من شـــيعتنا ، وهو متمسك بعـروة غيرنـا".[491] وكـذلك:"شـيعتنا المسـلّمون لأمرنـا، الآخـذون بقولنا ، المخالفون لأعدائنا ، فمن لم يكن كذلك فليس منا".[492]

وكـان بعض الإمامية يتبع منهج المخالفـة، بـدلا من التأكد من رواة الحــديث عند عامة المســلمين ودراسة أســنادهم بصــورة

---

486 - الوافي، [33362] 29
487 - الوافي، [33363] 30
488 - الوافي، [33357] عن علل الشرائع : 531 | 1
489 - الوافي، [33365] 32
490 - الوافي، [33366] 33
491 - الوافي، [33359] عن صفات الشيعة : 3 | 4.
492 - الوافي، [33358] عن صفات الشيعة 3 | 2

موضوعية محايدة، فإن كانوا كذابين أو مشبوهين تترك رواياتهم، وإن كانوا صادقين يؤخذ بها.

كما كان بعض الإمامية يتبع منهج المخالفة حتى بالنسبة للأحاديث التي يرويها الشيعة عن الأئمة أنفسهم، بغض النظر عن صحتها. يقول الحسن بن الجهم: قلت للعبد الصالح : هل يسعنا فيما ورد علينا منكم إلا التسليم لكم ؟ فقال : لا والله لا يسعكم إلا التسليم لنا، فقلت : فيروى عن أبي عبد الله شيء ، ويروى عنه خلافه ، فبأيهما نأخذ؟ فقال : خذ بما خالف القوم ، وما وافق القوم فاجتنبه".[493]

وعن سماعة بن مهران، عن أبي عبد الله، قلت : يرد علينا حديثان : واحد يأمرنا بالأخذ به، والآخر ينهانا عنه، قال : لا تعمل بواحد منهما حتى تلقى صاحبك فتسأله، قلت : لابد أن نعمل (بواحد منهما) قال :" خذ بما فيه خلاف العامة". [494]

ومن الواضح أن هذه الروايات تؤسس لأصل خطير هو المخالفة من أجل المخالفة والتميز. وقد تركت أثرا سلبيا كبيرا في الفقه الإمامي. ورغم استبعاد صدور تلك الروايات عن الإمام الصادق، فانها أثارت امتعاض فريق آخر من الشيعة، كمحمد بن مسلم الذي يقال أنه سأل الصادق عن أسباب مخالفة أحاديث الأئمة للأحاديث النبوية الصحيحة قائلا: ما بال أقوام يروون عن فلان وفلان، عن رسول الله (ص) لا يتهمون بالكذب، فيجيء منكم خلافه؟ فقال: "إن الحديث ينسخ كما ينسخ القرآن".[495]

6 - الإفتاء خلافا للشريعة، تقية

---

[493] - الوافي، [33364] 31

[494] - الوافي، [33375] 42 ويوغل حديث منسوب الى الرضا في ممارسة منهج المخالفة من أجل المخالفة، عندما يسأله علي بن أسباط قائلا: يحدث الأمر لا أجد بداً من معرفته، وليس في البلد الذي أنا فيه أحد أستفتيه من مواليك؟ فيقول له: " ائت فقيه البلد فاستفته من أمرك ، فإذا أفتاك بشيء فخذ بخلافه ، فإن الحق فيه". ويقول الرضا أيضا:"إذا ورد عليكم خبران مختلفان ، فانظروا إلى ما يخالف منهما العامة فخذوه ، وانظروا إلى ما يوافق أخبارهم فدعوه". الوافي، [33356] عن عيون أخبار الرضا 1 : 275 | 10 و الوافي، [33367] 34

[495] - الوافي، عن الكليني، الكافي 1 : 52 | 2. ويحتمل بعض شراح هذا الحديث، بأن حديث الأئمة المناقض للمشهور من حديث الرسول كاشفا عن الناسخ، وليس ناسخا له.

وقد نسب "الإماميون" الى الإمام الصادق وبقية الأئمـة، الفتيا خلافا للحكم الشـــرعي "تقيـــة" وزعمـــوا أن الأئمة كـــانوا يتعمدون التناقض في الفتيا أحيانا بهدف "التقية". وقد استعرضنا الروايات الواردة حول هذا الموضـوع في فصل آخـر، ونكتفي هنا بذكر ثلاث روايات: عن أبي عمرو الكناني عن الصادق أنه قـال:" يا أبا عمرو أ رأيتك لو حدثتك بحديث أو أفتيتك بفتيا ثم جئتني بعد ذلك فســألتني عنه فأخبرتك بخلاف ما كنت أخبرتـــك، أو أفتيتك بخلاف ذلك، بأيهما كنت تأخذ؟ قال: بأحدثهما وأدع الآخـر، فقـال: قد أصـبت يا أبا عمـر، وأبى الله إلا أن يعبد سـراً ، أما والله لئن فعلتم ذلك إنه لخـــير لي ولكم، و أبى الله عز وجل لنا ولكم في دينه إلا التقية". [496] وعن أبي جعفر الأحول عن الصادق:" لا يسع الناس حتى يسـألوا ، ويتفقهـوا ، ويعرفـوا إمـامهم ، ويسـعهم أن يأخــذوا بما يقــول وإن كــان تقيــة". [497] وعن زرارة بن أعين عن الصادق أنه قال: " ما سمعته مني يشبه قول الناس: فيه التقية ، وما سمعت مني لا يشبه قول الناس فلا تقية فيه". [498]

المبحث الثاني: ملامح الفقه الإمامي

وقد انعكست تلك الأصـــول القائمة على نظرية "الإمامة الإلهيـة" على الفقه "الإمـامي" فـأثرت بصـورة مباشـرة أو غـير مباشرة على عدد من الأبواب، كالصلاة والصوم والإرث والقضـاء والجهاد، والخمس والزكاة والأنفال.

1 - الصلاة

فقد انعكست على أهم عبادة إسلامية "الصلاة" في عــدد من الأمـور: كـالأذان. [499] والتكتف في الصـلاة (التكفـير) . [500] وقــول

[496] - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب التقية، ح رقم 7

[497] - الوافي، [33346] عن الكافي 1 : 31 | 4

[498] - الوافي، [33379] 46 وعن أبي بصير قال: سألت أبا عبدالله عن القنوت فقال: فيما يجهر فيه بالقراءة، قال: فقلت له: إني سألت أباك عن ذلك فقال: في الخمس كلها؟ فقـال: رحم الله أبي إن أصـحاب أبي أتـوه فسـألوه فـأخبرهم بـالحق ثم أتـوني شـكاكا فـأفتيتهم بالتقيـة. الكليـني، الكافي، ح رقم 5122 - 3

[499] - حيث رفض الفقه الإمامي التثويب، وهو قول (الصلاة خير من النوم) في أذان الفجر. الكليني، الكافي، ح رقم 4957 - 6

[500] - الكليني، الكافي، ح رقم 4938 - 1

"آمين" بعد الفاتحة في الجماعـــــة، والقـــــول: "الحمد لله رب العالمين " بدلا من ذلك. [501] وعـدم جـواز قـراءة أقل من سـورة كاملة بعد الفاتحة.[502] والســــــجود على الأرض أو "التربـــــــة" الجافة.[503] وبعض الأمور الجزئية الصغيرة الأخرى. وهي أمور قد يحـدث الاختلاف حولها بين فقهـاء المـذهب الواحـد، ولكن أهم الاختلافات بين الفقه الإمامي وغـيره من المـذاهب الأخـرى تمثل في "تسـييس الصـلاة" وذلك من خلال عـدد من الطقـوس الـتي يحـاول الفقه "الإمـامي" من خلالها تأكيد الـولاء لأئمة أهل الـبيت في أثنائها، وذلك بـالتركيز على "الصـلاة على محمد وآل محمـد" في أثنـــاء الصـــلاة، بعد تفسـير "آل محمـــد" بالأئمة العلـــويين الحسينيين ، تـذكيرا للمصـلي بالأئمـة، وإدخـالا لهم في طقـوس العبادة، حيث ينسب إلى أبي جعفر الباقر أنه قال: " من قـال في ركوعه وسـجوده وقيامــه:" صـلى الله على محمد وآل محمد " كتب الله له بمثل الركوع والسـجود والقيـام". [504] و"إذا صـليت يــوم الجمعة فقـل:" اللهم صل على محمد وآل محمد الأوصـياء المرضيين بأفضل صلواتك وبـارك عليهم بأفضل بركاتك والسـلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته " فإنه من قالها في دبر العصر كتب الله له مائة ألف حسـنة ومحي عنه مائة ألف سـيئة وقضى له بها مائة ألف حاجة ورفع له بها مائة ألف درجة".[505]

ويـــروي الإمامية عن البـــاقر وصـــية بتلاوة خطبة خاصة يـــوم الجمعة تتضـمن الصـلاة على محمد وآل محمـد، والـدعاء للأئمة واحدا واحدا. [506] كما يروون عن الصادق دعاءا خاصـا بعد الفـراغ من الصلاة، يؤكد على الولاية لأئمة أهل الـبيت، حيث يقـول:" إذا فرغت من صلاتك فقل:" اللهم إني أدينك بطاعتك وولايتك وولاية رسولك وولاية الأئمة من أولهم إلى آخرهم " وتسميهم ثم قل: " اللهم إني أدينك بطاعتك وولايتهم والرضا بما فضـلتهم بـه، غـير متكبر ولا مستكبر على معنى ما أنـزلت في كتابك على حـدود ما أتانا فيه وما لم يأتنا مؤمن مقر مسلم بـذلك راض بما رضـيت به يا رب أريد به وجهك والـــدار الآخــــرة مرهوبا ومرغوبا إليك فيه

501 - الكليني، الكافي، ح رقم 5003 - 5
502 - الكليني، الكافي، ح رقم 5010 - 12
503 - بناء على فتوى منسوبة الى الإمام الصادق حـول ما يسـجد عليه في الصــلاة، تقــول : "لا تســجد إلا على الأرض أو ما أنبتت الأرض إلا القطن والكتان". الكليني، الكافي، ح رقم 5076 - 1
504 - الكليني، الكافي، ح رقم 7 505 - 13
505 - الكليني، الكافي، ح رقم 5515 - 4
506 - الكليني، الكافي، ح رقم 5494 - 6

فأحيني ما أحييتني على ذلك وأمتني إذا أمتني على ذلك وابعثـني إذا بعثتني على ذلك..".[507]

كما يتمثل البعد السياسي في الصـلاة، بلعن المخـالفين في أعقابها.[508] وكذلك في موضوع الصلاة جماعة خلف المخـالفين، حيث يروي الإمامية عن الباقر النهي عن الصـلاة خلفهم وقولـه:" ما هم عنـدي إلا بمنزلة الجـدر".[509] فيما يـروون عن الصـادق قوله:" إذا صـليت خلف إمـام لا تقتـدي به فـاقرأ خلفه سـمعت قراءته أو لم تسمع".[510]

ويظهر البعد السياسي أيضا في النهي عن الصـلاة في السواد، خلافا لبني العباس الذين رفعوه شعارا لهم.[511]

وإضـافة إلى ذلـك، يـروي الإمامية عن "الأئمـة" أنواعا من الأدعية والصـلوات تتضـمن التوسل بـالنبي وأهل الـبيت، لقضـاء الحاجات وحل المشاكل.[512]

2 - الصوم

ومع أن الصـوم أمر بسـيط جـدا، فقد كـان ثمة بعض النقـاط الخلافية بين الفقه الإمـامي وبين غـيره من المـدارس الفقهية الإسـلامية، وربما كـان أهم موضـوع حـدث فيه الخلاف هي مـدة شهر رمضـان، حيث روى الإمامية عـدة روايـات عن أبي عبدالله: أن "شـهر رمضـان ثلاثـون يوما لا ينقص أبـدا".[513] مما أدى إلى اختلاف الشيعة الإمامية في العيد مع عامة المسلمين، وصـيامهم العيد إلا تقية.[514]

---

[507] - الكليني، الكافي، ح رقم 5160 - 26

[508] - الكليني، الكافي، ح رقم 5144 - 10

[509] - الكليني، الكافي، ح رقم 5276 - 2

[510] - الكليني، الكافي، ح رقم 5278 – 4 و ح رقم 5281 - 7

[511] - الكليني، الكافي، ح رقم 5405 - 30

[512] - الكليني، الكافي، ح رقم 5695 – 1 و ح رقم 1 570 - 7

[513] - الكليني، الكافي، ح رقم 16326 و ح رقم 26327 و ح رقم 36328
وقد أخذ الصدوق في (من لا يحضره الفقيـه) وعـدد من الفقهـاء الشـيعة في القرن الرابع الهجري كالشريف أبى محمد الحسيني والحسين بن على بن الحسـين وهـارون بن موسى بتلك الأخبـار، ولكن معظم الشـيعة ردَّوا تلك الأخبـار بضـعف السـند ومخالفة المحسـوس والأخبـار المستفيضـة. وفسرها المجلسى بالتقية.

[514] - الكليني، الكافي، ح رقم 76339 و ح رقم 96341

وروى الإمامية روايـات متناقضة عن أئمة أهل الـبيت باسـتحباب صـوم يـوم عاشـوراء وكراهتـه، حيث روى الكليـني عـدة روايـات بالكراهة، وأنه صوم متروك بنزول شهر رمضـان والمـتروك بدعة و"أنه صوم يوم ما نزل به كتاب ولا جرت به سنة إلا سنة آل زياد بقتل الحسين بن علي صلوات الله عليهما".[515]

3 - العلاقات الاجتماعية (قوانين الأحوال الشخصية)

نكاح المتعة

ولعل أبرز مسألة اختلف فيها الفقه الإمامي ويختلف عن الفقه الإسلامي العام الذي كان متعارفا في ذلك الوقت، والـذي عـرف فيما بعد باسم الفقه السني، هو زواج المتعة. وقد اتسم الموقف المؤيد له بشيء من التطرف خلافا لتحـريم عمر بن الخطـاب له في آخر سنة من حياته. ورغم رواية الإمام زيد بن علي عن جـده أمـير المؤمـنين علي بن أبي طـالب حـديثا في تحـريم الرسـول للمتعة يوم خيبر، إلا أن الإمامية رووا عن أخيه الإمـام البـاقر، أنه اتخذ موقفا شديدا في تأييد المتعة ورفض التحريم. وأنه قال لأبي بصـير إنها نـزلت في القـرآن "فما اسـتمتعتم به منهن فـآتوهن أجـــورهن فريضة فلا جنـــاح عليكم فيما تراضـــيتم به من بعد الفريضة". النساء 24 [516] ورووا عنه أنه قال:" كـان علي يقـول: لـولا ما سـبقني به بن الخطـاب ما زنى إلا شـقي".[517] كما رووا عن جعفر الصـادق أنه قـال:" إنما نـزلت فما اسـتمتعتم به منهن (إلى أجل مسمى) فآتوهن أجورهن فريضة".[518] وأكد ذلك قـائلا: "المتعة نزل بها القرآن وجرت بها السنة من رسول (ص)".[519]

---

[515] - الكليني، الكافي، ح رقم 46603 و ح رقم 66605 و ح رقم 76606 و ح رقم 56604

قال المجلسى : أما صـوم يـوم عاشـورا فقد اختلفت الروايـات فيه وجمع الشـيخ بينها بـأن من صـام يـوم عاشـورا على طريق الحـزن بمصـائب آل محمد عليهم السـلام فقد أصـاب ومن صـامه على ما يعتقد فيه مخالفونا من الفضل في صـومه والتـبرك به فقد أثم وأخطأ ونقل هـذا الجمع عن المفيد ، والأظهر عنـدي أن الأخبـار الـواردة بفضل صـومه محمولة على التقية وإنما المستحب الإمساك على وجه الحزن إلى العصر لا الصـوم كما رواه الشيخ في المصباح.

[516] - الكليني، الكافي، ح رقم 9942 - 1

[517] - الكليني، الكافي، ح رقم 9943 - 2

[518] - الكليني، الكافي، ح رقم 9944 – 3

[519] - الكليني، الكافي، ح رقم 9946 - 5

وقد أثـار تأييد البـاقر لنكـاح المتعة جـدلا بين الفقهـاء في ذلك الحين، فجاء عبدالله بن عمير الليثي إلى الباقر فقـال: ما تقـول في متعة النسـاء ؟ فقـال : أحلها الله في كتابة وعلى لسـان (أو سـنة) نبيه فهي حلال إلى يـوم القيامـة، فقـال: يا أبا جعفر مثلك يقول هذا وقد حرمها عمر ونهى عنهـا؟! فقـال : وإن كـان فعـل! فقال: أني أعيذك بالله من ذلك تحل شـيئاً حرمه عمـر، فقـال : فـأنت على قـول صـاحبك وأنا على قـول رسـول الله (ص)، فهلم ألاعنك أن الحق ما قــال رســول الله (ص) وأن الباطل ما قــال صـاحبك. قـال زرارة: فأقبل عبدالله بن عمـير فقـال: يسـرك أن نسـاءك وبناتك وأخواتك وبنـات عمك يفعلن؟ قـال: فـأعرض عنه أبو جعفر حين ذكر نساءه وبنات عمه.[520]

ونقل الإمامية عن الصادق قوله:" إن المتعة ديني ودين آبائي فمن عمل بــها عمل بـديننا، ومن أنكرها أنكر ديننـا، واعتقد بغـير ديننــا".[521] وقولــه:" ليس منا من لم يــؤمن بكَرَّتنــا، ويســتحل متعتنا". [522]

وبالغ الإمامية في تأييد المتعة، فرووا أحاديث كثيرة عن الباقر والصادق في الحث على نكـاح المتعـة، كقـول البـاقر: "إن النـبي (ص) لما اسري به إلى السماء قال: لحقني جبرئيل (ع) فقال: يا محمد إن الله تبارك وتعالى يقـول: إني قد غفـرت للمتمتعين من أمتك من النساء".[523] وقوله لمن سأله: للمتمتع ثواب؟:" إن كـان يريد بذلك وجه الله تعالى وخلافا على من أنكرها لم يكلمها كلمة إلا كتب الله تعـالى له بها حسـنة، ولم يمد يـده إليها إلا كتب الله له حسنة، فإذا دنا منها غفر الله تعالى له بذلك ذنبا، فــإذا اغتسل غفر الله له بقدر ما مر من الماء على شعره، قال: بعدد الشعر؟ قال: نعم بعدد الشعر". [524] وكذلك قول أبي عبدالله :" إني لأحب للرجل أن لا يخرج من الـدنيا حـتى يتمتع ولو مـرة".[525] و" ما من رجل تمتع ثم أغتسل إلا خلق الله من كل قطـــــــــره تقطر منه سبعين ملكاً يستغفرون له إلى يوم القيامة ويلعنــون متجنبها إلى أن تقوم الساعة".[526]

---

520 - الكليـني، الكـافي ح رقم 9945 – 4 و التهـذيب 2/186 وسـائل الشيعة 14/43

521 - الصدوق، من لا يحضره الفقيه 3/366

522 - الكليني، الكافي، ح رقم 4583

523 - الكليني، الكافي، ح رقم 4601

524 - الكليـني، الكـافي، ح رقم 4600 والصـدوق، من لا يحضـره الفقيه 2/149؛ وسائل لشيعه14/442

525 - الحر العامل، وسائل الشيعة 14/443)

526 - الحر العامل، الوسائل14/444

وروى عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله أنه قال:" إن الله تبارك وتعالى حرم على شيعتنا المسكر من كل شراب وعوضهم من ذلك المتعة".[527]

ولا تشترط بعض الروايات "الإمامية" المنسوبة للباقر والصادق، الضرورة لإباحة ممارسة المتعة، حيث تبيح التمتع بأكثر من واحدة في وقت واحد، وحتى لو كان الرجل يمتلك أربع نساء، فقد رووا عن أبي جعفر إنها ليست من الأربع، لأنها لا تطلق ولا ترث وإنما هي مستأجرة.[528] وقالوا بأنهم سألوا أبا عبدالله عن المتعة أهي من الأربع؟ فقال:" لا، ولا من السبعين".[529] وأنه قال لزرارة:" تزوج منهن ألفا فإنهن مستأجرات".[530] وسأله الفضيل بن يسار عن المتعة، فقال: "هي كبعض إمائك".[531] كما سأله عمر بن أذينة: كم تحل من المتعة؟ فقال:" هن بمنزلة الإماء".[532] أي بلا حدود.

ورغم ذلك التوسع في إباحة المتعة في الفقه الإمامي، إلا أن الفقه الجعفري يحفل بروايات مضادة، تدعو لتجنب المتعة، أو التردد على بيوت الغواني.[533] أو تحليلها للعزاب فقط.[534]

بطلان الطلاق بالثلاث

وأما الموضوع الآخر الذي يتميز به الفقه الإمامي، فهو الموقف من الطلاق بالثلاث في جلسة واحدة، والذي لا يخلو أيضا من بعد سياسي مضاد لموقف عمر بن الخطاب الذي اعتبره ثلاث طلقات بائنة، حيث اعتبر الفقه الإمامي الطلاق بالثلاث في جلسة واحدة، طلاقا باطلا مخالفا للسنة، ولم يحتسبه حتى طلقة

---

527 - الكليني، الكافي، ح رقم 4616

528 - الكليني، الكافي، ح رقم 9954 - 5

529 - الكليني، الكافي، ح رقم 4594 و ح رقم 9951 – 2 و ح رقم 9953 - 4

530 - الكليني، الكافي، ح رقم 9956 - 7

531 - الكليني، الكافي، ح رقم 4595

532 - الكليني، الكافي، ح رقم 9950 - 1

533 - الكليني، الكافي، ح رقم 9960 – 4 و ح رقم 10025 – 10 و ح رقم 4592

534 - الكليني، الكافي، ح رقم 9958 - 2

واحـــدة.[535] وينقل الإمامية عن الصـــادق أنه كـــان يحـــذر من المطلقات ثلاثا في مجلس، فإنهن ذوات أزواج.[536]

وبينما يتساهل الفقه الجعفري بالنسبة للإشهاد في عقد الـزواج، فإنه يتشـدد بالنسـبة للإشـهاد في الطلاق، ويعتـبر ذلك شـــرطا لصـــحة الطلاق.[537] فـــإن " الطلاق على غـــير الســـنة باطل".[538]

4 - الإرث

وقد انعكست نظرية "الإمامة الإلهية" وقراءتها التاريخية الخاصة، على قوانين الإرث في مسألتين هما:

1- وراثة الابنة لكل التركة في حـــال عـــدم وجـــود وارث رئيسي آخر، خلافا للفقه السني (العباسـي)، الـذي يـوزع النصف الباقي على الأعمام والأقارب.
2- عدم وراثة الزوجة للعقار.

وبينما تتأثر المسألة الأولى بموضوع إرث فاطمة الزهراء لتركة أبيها كلها وانتقاله إلى بنيهـا، وعـدم انتقـال شـيء منه إلى الأعمام وأبنائهم (كبـني العبـاس)[539] فـان المسـألة الثانية تحـاول نفي حق السـيدة عائشة بوراثة بيتها من النـبي. وقد اعتمد الفقه "الإمـامي" في هـذه المسـألة على روايـات عديـدة منسـوبة للإمـامين البـاقر والصـادق. كرواية محمد بن مسـلم، عن أبي

---

[535] - الكليـني، الكـافي، ح رقم 18-10689 و ح رقم 910680 و ح رقم 10687- 16 و ح رقم 710678

[536] - الكليني، الكافي، ح رقم 9834 – 4 و ح رقم 9831 – 1 و ح رقم 10686-15

[537] - الكليني، الكافي، ح رقم 210673

[538] - الكليني، الكافي، ح رقم 310674 و ح رقم 610677 و ح رقم 11-10682 و ح رقم 13-10684

[539] - وقد عـبر شـاعر العباسـيين، مـروان بن ابي حفصة عن خلافهم مع العلويين بقوله:

أنى يكون – وليس ذاك بكائن – لبني البنات وراثة الأعمام؟

وقال ابان بن عبد الحميد اللاحقي :

أعم نبي الله أقرب زلفة اليه؟ أم ابن العم في رتبة النسب؟
وأيهما أولى به وبعهده؟ ومن ذا له حق التراث بما وجب؟
فان كان عباس أحق بتكلم وكان علي بعد ذلك على سبب
فأبناء عباس هم يحجبونه كما العم لابن العم في الإرث قد حجب

جعفر، أنه قال:" النساء لا يرثن من الأرض ولا من العقار شـيئا". [540] ورواية عبد الملك بن أعين، عن أحدهما قـال:" ليس للنسـاء من الـدور والعقـار شئ". [541] ورواية زرارة، عن أبي جعفر :" أن المـرأة لا تـرث مما تـرك زوجها من القـرى والـدور والسـلاح والدواب شيئا، وترث من المـال والفـرش والثيـاب ومتـاع الـبيت مما ترك ويقـوم النقض الأبـواب والجـذوع والقصب فتعطى حقها منه". [542] وما روي عن يزيد الصائغ قال: سـمعت أبا جعفر يقـول: إن النسـاء لا يـرثن من ربـاع الأرض (الربـاع جمع ربع وهو المـنزل.كما في القـاموس) شـيئا ولكن لهن قيمة الطـوب والخشب، قال: فقلت له: إن النـاس لا يأخـذون بهـذا، فقـال: إذا وليناهم ضربناهم بالسوط فإن انتهوا وإلا ضربناهم عليه بالسيف. [543]

5 - القضاء

وبما أن القضاء يعتـبر من أبـرز مسـئوليات الدولـة، أية دولـة، فكـان لا بد أن يتـأثر بصـورة مباشـرة بنظرية "الإمامة"، وأن يتعـرض القضـاء التـابع للأنظمة القائمة "الجـائرة والمغتصـبة" للمقاطعة من الشيعة الإماميـة، فـرووا أحـاديث عن الأئمة تـدعو إلى تشكيل دوائر قضـائية شـرعية سـرية خاصة بهم، تابعة لولاية الأئمة من أهل البيت. وقد روى الكليني في "الكـافي" في كتـاب القضـاء والأحكـام .. (بـاب إن الحكومة إنما هي للإمـام عليه السلام) عدة روايات في هذا المجال. كما عن سليمان بن خالد، عن أبي عبدالله قـال:" اتقـوا الحكومة فـإن الحكومة إنما هي للإمـام العـالم بالقضـاء العـادل في المسـلمين لنـبي أو وصى نبي". [544]

---

[540] - الكليني، الكافي، ح رقم 491، 13 – 1 و ح رقم 494، 13 - 4

[541] - الكليني، الكافي، ح رقم 499، 13 - 9

[542] - الكليني، الكافي، ح رقم 492، 13 – 2

[543] - الكليني، الكافي، ح رقم 0 50، 13 – 10 و ح رقم 366، 13 – 3 و ح رقم 493، 13 – 3 و ح رقم 497، 13 - 7

[544] - الكليني، الكافي، ح رقم 606، 14 – 1 و ح رقم 607، 14 – 2 و ح رقم 608، 14 - 3

وعن أبي خديجة قال: قال لي أبوعبدالله:" إياكم أن يحاكم بعضكم بعضا إلى أهل الجور ولكن انظروا إلى رجل منكم يعلم شيئا من قضائنا فاجعلوه بينكم فإني قد جعلته قاضيا فتحاكموا إليه". [545]

وعن عمر بن حنظلة قال: سألت أبا عبدالله عن رجلين من أصحابنا يكون بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان أو إلى القضاة أيحل ذلك؟ فقال: من تحاكم إلى الطاغوت فحكم له فإنما يأخذ سحتا وإن كان حقه ثابتا لأنه أخذ بحكم الطاغوت وقد أمر الله أن يكفر به، قلت: كيف يصنعان قال: انظروا إلى من كان منكم قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فارضوا به حكما فإني قد جعلته عليكم حاكما فإذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه فإنما بحكم الله قد استخف وعلينا رد والراد علينا الراد على الله وهو على حد الشرك بالله". [546]

6- **الجهاد**

اختلف موقف الفقه الإمامي من الجهاد ضد الأعداء الخارجيين، عن الفقه الإسلامي العام وحتى الفقه الشيعي السابق، فأصبح بعد نشوء نظرية "الإمامة" أقرب إلى السلبية منه إلى الإيجابية التي كان يتمتع بها سابقاً. وقد روى الإمامية عن الباقر والصادق نصوصا مخالفة لدعاء أهل الثغور الوارد عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين. وكان هذا الدعاء قد تضمن موقفا إيجابيا من الغزاة والمجاهدين الذين كانوا يدافعون عن ثغور المسلمين في ظل الدولة الأموية. ولكن الفقه الإمامي روى عن جعفر الصادق أنه يحصر شرعية الجهاد بقيادة أئمة أهل البيت، ويشترط الإيمان والجهاد في الإمام، وعدم الاتصاف بالظلم والطغيان. ويذهب إلى عدم الحق في إعلان الجهاد إلا للمظلومين المؤمنين. كما جاء في حديث طويل له رواه أبو عمرو الزبيري، الذي قال إنه سأل الصادق عن الدعاء إلى الله والجهاد في سبيله أ هو لقوم لا يحل إلا لهم ولا يقوم به إلا من كان منهم أم هو مباح لكل من وحد الله عز وجل وآمن برسوله (ص) ومن كان كذا فله أن يدعو إلى الله عز وجل وإلى طاعته

---

[545] - الكليني، الكافي، ح رقم 627، 14 - 4
[546] - الكليني، الكافي، ح رقم 628، 14 - 5

وأن يجاهد في سبيله؟ فقال:" ذلك لقوم لا يحل إلا لهم ولا يقـوم بذلك إلا من كان منهم، قال: من أولئك؟ قـال: من قـام بشـرائط الله عز وجل في القتال والجهاد على المجاهدين فهو المأذون له في الدعاء إلى الله عز وجل ومن لم يكن قائما بشـرائط الله عز وجل في الجهاد على المجاهدين فليس بمأذون له في الجهاد، ولا الـــدعاء إلى الله حـــتى يحكم في نفسه ما أخذ الله عليه من شـرائط الجهـاد... وإنما أذن للمؤمـنين الـذين قـاموا بشـرائط الإيمان التي وصفناها وذلك أنه لا يكون مأذونا له في القتال حتى يكون مظلومـا، ولا يكـون مظلوما حـتى يكـون مؤمنـا، ولا يكـون مؤمنا حـتى يكـون قائما بشـرائط الإيمـان الـتي اشـترط الله عز وجل على المؤمنين و المجاهدين ، فإذا تكاملت فيه شـرائط الله عز وجل كـــان مؤمنا وإذا كـــان مؤمنا كـــان مظلوما وإذا كـــان مظلوما كـان مأذونا له في الجهـاد لقوله عز وجـل: " أذن للـذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصـرهم لقـدير " وإن لم يكن مسـتكملا لشـرائط الإيمـان فهو ظـالم ممن يبغي ويجب جهـاده حتى يتوب وليس مثله مأذونا له في الجهـاد والـدعاء إلى الله عز وجل لأنه ليس من المؤمـــنين المظلـــومين الـــذين أذن لهم في القرآن في القتال...وإنما أذن الله عز وجل للمؤمنين الذين قاموا بما وصف الله عز وجل من الشـــرائط الـــتي شـــرطها الله على المؤمنين في الإيمان والجهاد ومن كان قائما بتلك الشـــرائط فهو مؤمن وهو مظلوم ومأذون له في الجهاد بذلك المعنى ومن كـان على خلاف ذلك فهو ظالم وليس من المظلومين وليس بمـأذون له في القتـال ولا بـالنهي عن المنكر والأمر بـالمعروف لأنه ليس من أهل ذلك ولا مأذون له في الدعاء إلى الله عز وجل لأنه ليس يجاهد مثله وأمر بدعائه إلى الله ولا يكـــون مجاهـــدا من قد أمر المؤمنون بجهاده وحظر الجهـاد عليه ومنعه منـه، ولا يكـون داعيا إلى الله عز وجل من أمر بـــــدعاء مثله إلى التوبة والحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يأمر بـالمعروف من قد أمر أن يــؤمر به ولا ينهى عن المنكر من قد أمر أن ينهى عنه ... ولســنا نقول لمن أراد الجهاد وهو على خلاف ما وصفنا من شـرائط الله عز وجل على المؤمنين والمجاهدين: لا تجاهدوا، ولكن نقـول: قد علمنا كم ما شـرط الله عز وجل على أهل الجهـاد الـذين بـايعهم واشترى منهم أنفسـهم وأمـوالهم بالجنـان فليصـلح امـرؤ ما علم من نفسه من تقصـير عن ذلك وليعرضـها على شـرائط الله ...".[547]

[547] - الكليني، الكافي، ح رقم 8240 – 1 وروى الإمامية عن الباقر رسالة ينتقد فيها ما كـان يجـري تحت عنـوان "الجهـاد" في ظل الدولة الأمويـة،

وروى الإمامية حديثا عن أبي عبد الله عن جده زين العابدين يتضمن موقفا سلبيا من الجهـاد الـذي كـان دائـرا في تلك الأيـام، لافتقاده لشروط الإيمان، وأنه قال لعباد البصري الذي عاب عليه تـرك الجهـاد والإقبـال على الحج :" إذا رأينا هـؤلاء الـذين هـذه صفتهم فالجهاد معهم أفضل من الحج". [548]

واشتهر لدى الشيعة "الإمامية" في ذلك الزمان شـعار"لا غـزو إلا مع إمـام عـادل" ورووا عن أمـير المؤمـنين علي بن أبي طالب أنه قال في وصيته لكميل ابن زيـاد :" لا غـزو إلا مع إمـام عـادل، ولا نفل إلا من إمـام فاضل ، يا كميل ! هي نبـوة ورسـالة وإمامة ، وليس بعد ذلك إلا مــوالين متبعين ، أو مبتــدعين ، إنما يتقبل الله من المتقين". [549] وقـال بشـير الـدهان، لأبي عبداللـه: إني رأيت في المنــام أني قلت لــك: إن القتـال مع غـير الإمـام المفـروض طاعته حـرام مثل الميتة والـدم ولحم الخـنزير، فقلت لي: هو كذلك؟ فقال أبوعبدالله: هو كذلك هو كذلك. [550]

وزعم رجل من الإمامية أنه قــال للصــادق: إن في بلادنا موضع رباط يقال له: قزوين وعدواً يقـال لـه: "الـديلم" فهل من جهاد أو هل من رباط؟ فقال: عليكم بهـذا الـبيت فحجـوه. فأعـاد عليه الحديث، فقال: عليكم بهذا البيت فحجوه، أما يرضى أحدكم أن يكـــون في بيته ينفق على عياله من طوله ينتظر أمرنا فـــإن أدركه كان كمن شهد مع رسول الله (ص) بدرا وإن مات منتظـرا لأمرنا كان كمن كان مع قائمنا عليه السلام هكذا في فسطاطه – وجمع بين الســبابتين - ولا أقــول هكــذا - وجمع بين الســبابة والوسطى - فإن هذه أطول من هذه. [551]

يشير فيها إلى انقلاب أهداف الجهاد من الدعوة إلى عبادة الله إلى عبـادة العبيد، ويقول فيها:".. ومن ذلك ما ضيع الجهـاد الـذي فضـله الله عز وجل على الأعمـال وفضل عامله على العمـال تفضـيلا في الـدرجات والمغفـرة والرحمة لأنه ظهر به الــدين وبه يــدفع عن الــدين وبه اشــترى الله من المؤمنين أنفسـهم وأمـوالهم بالجنة بيعا مفلحا منجحـا، اشـترط عليهم فيه حفظ الحـدود، وأول ذلك الـدعاء إلى طاعة الله عز وجل من طاعة العبـاد وإلى عبـادة الله من عبـادة العبـاد وإلى ولاية الله من ولاية العبـاد...وليس الــدعاء من طاعة عبد إلى طاعة عبد مثلــه". الكليــني، الكــافي، ح رقم 8224 – 4 و ح رقم 8238 - 2

548 - الكليني، الكافي، ح رقم 8244 - 1

549 - الوافي، [33133] 34 عن تحف العقول 118

550 - الكليني، الكافي، ح رقم 8246 - 3

551 - الكليني، الكافي، ح رقم 8245 - 2

ورغم دلالة بعض الروايات على إعداد "الأئمة" منذ أيـام الباقر للثورة على الأمويين والعباسيين، ودعوتهم الشيعة لانتظـار القائم الذي كان يحتمل أن يكون الباقر أو الصادق أو الكـاظم، أو أي أحد آخر من أبنـائهم، إلا أن "الإماميـة" الـتزموا في كثـير من الأحيان بالموقف المهـادن، ولم ينخرطـوا في عـدد من الحركـات الثورية التي قـام بها أئمة آخـرون من أبنـاء علي كالإمـام زيد بن علي، أو محمد بن عبد الله ذي النفس الزكيـــة، أو شـــهيد فخ الحسين بن علي، ولم يقومـوا هم بـإعلان الثـورة على أي حـاكم أموي أو عباسي. وكـان شـرط قيـادة الإمـام "المفـروض الطاعة من الله" سببا في تفـرق كثـير من الإمامية عن الإمـام زيد الـذي أعلن الثـورة في الكوفة سـنة 122 هجريـة، حـتى أطلق عليهم اسم "الرافضة" بسبب رفضهم له.[552]

وقد رووا عن الإمام الصادق عدة روايات تفضل إنكار المنكر بـالقلب، كما في رواية يحـيى الطويل صـاحب المنقـري، عن أبي عبدالله أنه قال:" حسب المؤمن عزاً إذا رأى منكرا أن يعلم الله عز وجل من قلبه إنكـاره".[553] وأنه قـال:" إنما يـؤمر بـالمعروف وينهى عن المنكر مـــؤمن فيتعظ أو جاهل فيتعلم، وأما صـــاحب

---

[552] - روى الكشي في ترجمة زيد، وترجمة أبي جعفر الأحول محمد بن علي بن النعمان: أن زيد بن علي خاطب الأحول فقال: يا محمد بلغني أنك تزعم أن في آل محمد إماما مفترض الطاعة ؟ فقال له: نعم، وكان أبـوك علي بن الحسين أحـدهم، فقـال: وكيف وقد كـان يـؤتي بلقمة وهي حـارة فيبردها بيده، ثم يلقمنيها، أفترى أنه كـان يشـفق علي من حر اللقمـة، ولا يشفق علي من حر النار ؟ ! فقال له: جعلت فـداك من شـفقته عليك من حر النار لم يخبرك، خاف عليك أن لا تقبله فتدخل النـار، فلا يكـون له فيك الشفاعة ولا لله فيك المشيئة ، واخبرني أنا فإن قبلت نجوت وإن لم يبـال أن أدخل النار ، فقال أبو عبد الله: أخذته من بين يديه ومن خلفه ما تركت له مخرجا.

وروي عن أبي خالد القماط، قال: قال لي رجل من الزيدية أيام زيد: ما منعك أن تخرج مع زيد؟ قـال: قلت لـه: إن كـان أحد في الأرض مفـروض الطاعة فالخـارج قبله هالـك، وإن كـان ليس في الأرض مفـروض الطاعة فالخـارج والجـالس موسع لهما فلم يـرد علي بشيء، قـال: فمضـيت من فـوري إلى أبي عبدالله فأخبرته بما قـال لي الزيـدي وبما قلت لـه، وكـان متكئا فجلس، ثم قـــال: أخذته من بين يديه ومن خلفـــه، وعن يمينه وعن شماله، ومن فوقه ومن تحته، ثم لم تجعل له مخرجـا. الكشـي، ترجمة أبو خالد القماط

[553] - الكليني، الكافي، ح رقم 8356 - 1

سوط أو سيف فلا".[554] ورواية مفضل بن يزيد، عنه أنه قال له:" يا مفضل من تعرض لسلطان جـائر فأصـابته بلية لم يـؤجر عليها ولم يرزق الصبر عليها".[555]

7 - الأنفال

554 - الكليني، الكافي، ح رقم 8357 - 2
555 - الكليني، الكافي، ح رقم 8358 – 3

ولكن يبدو أن موقف الصادق من الثورة كان يعـود إلى عملية تقـدير للموقف، أكثر منه التزاما مبدئيا بالمهادنة، ولذلك لم يكن يستجيب بسرعة إلى الـدعوات الثورية غـير المؤكـدة الـتي كـانت تسـتحثه على الخـروج أو تـدعوه لاسـتلام قيـادة الثـورة. فقد كتب أبو سـلمة الخلال ، حين أعلن أبو مسلم الخراساني الثورة في خراسـان، إلى الامـام جعفر الصـادق يعـرض عليه استلام السلطة، وأمر رسوله (محمد بن عبد الرحمان بن أسلم) أن يلقى الامـــام الصـــادق (قبل أن يلقى عبد الله المحض وعمر الأشـــرف) فقابل الرسـولُ الصـادقَ ، وسـلمه الكتـاب فقـال الصـادق :" مـالي ولأبي سـلمة ، وهو شـيعة لغـيري" فقـال الرسـول اقـرأ الكتـاب ، فقـال الامـام لخادمه : ادن السراج مني فأدناه ، فوضع الكتاب على النار حـتى احـترق ، فقال الرسول : ألا تجيبه ؟ فقال الامام قد رأيت الجـواب ، عرِّف صـاحبك بما رأيت.

ويقال إن أبا مسلم الخراساني نفسه عرض الخلافة على الصادق و تحويل الدعوة إليه ، فكتب إلى الامام يقول: " إني قد أظهـرت الكلمة ، ودعـوت الناس عن مـوالاة بـني أمية إلى مـوالاة أهل الـبيت ، فـإن رغبت فلا مزيد عليك" فكتب إليه الامام :" ما أنت من رجـالي ، ولا الزمـان زمـاني". ابن قتيبة ، الامامة والسياسة :ج 2 ص 152 -ـ 153 و 155 -ـ 156 ، والمســعودي : مــروج الــذهب 3 /ــ 268 -ــ 269 و 284 -ــ 285 والشهرستاني، الملل والنحل، ج1 ص 241 ، والكليني، روضة الكافي، ص 229 والمجلسي، بحار الأنوار : ج 47 ص 297

نظر "الإمامية" إلى موضـوع الأنفـال (أي الأملاك العامـة) من زاوية "الإمامة الإلهية" الــتي تعطي "الأئمـــة" الحق في الحكم والخلافة، وتحصره فيهم، فلم يعترفوا بالدول القائمة وأوكلوا أمر التصـرف بتلك الأمـوال العامة إلى "الأئمـة" وإن لم يكونـوا في السلطة، فنسبوا إلى الإمام الصـادق أنه قـال: "نحن قـوم فـرض الله طاعتنا، لنا الأنفال ولنا صفو المـال".[556] أو " الـدنيا وما فيها لله تبارك وتعالى ولرسوله ولنــا، فمن غلب على شئ منها فليتق الله، وليـؤد حق الله تبـارك وتعـالى وليـبرَّ إخوانـه، فـإن لم يفعل ذلك فالله ورسوله ونحن براء منه".[557]

ورووا عن الباقر أنه قال :" وجدنا في كتاب علي عليه السلام " أن الأرض لله يورثها من يشاء من عبــاده والعاقبة للمتقين ".. أنا وأهل بيتي الذين أورثنا الله الأرض، ونحن المتقــون، والأرض كلها لنــا، فمن أحيا أرضا من المســلمين فليعمرها وليــؤد خراجها إلى الإمام من أهل بيتي وله ما أكل منها فإن تركها أو أخربها وأخـذها رجل من المســلمين من بعــده فعمرها وأحياها فهو أحق بها من الذي تركهـا، يـؤدي خراجها إلى الإمـام من أهل بيـتي وله ما أكل منها حـتى يظهر القـائم من أهل بيـتي بالسـيف، فيحويها ويمنعها ويخرجهم منها، كما حواها رسول الله (ص) ومنعها إلا ما كان في أيدي شيعتنا فإنه يقاطعهم على ما في أيديهم و يترك الأرض في أيديهم".[558]

وقالوا إن الباقر روى عن رسول الله (ص) أنه قال:" خلق الله آدم وأقطعه الدنيا قطيعة، فما كـان لآدم (ع) فلرسـول الله (ص) وما كان لرسول الله فهو للائمة من آل محمد (ع)".[559]

وروى حفص بن البختري، عن أبي عبد الله الصادق أنه قـال:" إن جبرئيل (ع) كـرى برجله خمسة أنهـار ولسـان المـاء يتبعـه: الفرات ودجلة ونيل مصر و مهران ونهر بلخ فما سـقت أو سـقي منها فللإمام، والبحر المطيف بالدنيا للإمام".[560]

---

[556] - الكافي، كتاب الحجة، باب الفيء والأنفال وتفسير الخمس وحدوده، ح رقم 17

[557] - الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأرض كلها للإمام، ح رقم 2

[558] - الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأرض كلها للإمام، ح رقم 1

[559] - الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأرض كلها للإمام، ح رقم 7

[560] - الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأرض كلها للإمام، ح رقم 8

وروى الكليني عن الإمام الصادق أنه قال:" الأنفال ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركـاب، أو قـوم صـالحوا، أو قـوم أعطـوا بأيـديهم، وكل أرض خربة وبطـــــون الأودية فهو لرســــول الله (ص) وهو للإمــام من بعــده يضــعه حيث يشــاء". [561] وأنه قــال:" الآجــام والمعادن والبحار والمفاوز هي للإمام خاصة، فإن عمل فيها قـوم بـإذن الإمـام فلهم أربعة أخمـاس وللإمـام خمس والـذي للإمـام يجـري مجـرى الخمس ومن عمل فيها بغـير إذن الإمـام فالإمـام يأخـذه كلـه، ليس لأحد فيه شئ وكـذلك من عمر شـيئا أو أجـرى قناة أو عمل في أرض خـراب بغـير إذن صـاحب الأرض فليس له ذلك فإن شاء أخذها منه كلها وإن شاء تركها في يده". [562]

ويبدو أن الإمامية لم يكونوا يجمعون على هذا الرأي، فقد حكى الســـندي بن الربيع عن حـــدوث خلاف بين محمد بن أبي عمـــير وهشـــام بن الحكم بعد حـــوار مع أحد رجـــال الأخـــير (أبي مالك الحضرمي) حيث قـال ابن أبي عمـير: إن الـدنيا كلها للامـام على جهة الملك وإنّه أولى بها من الذين في أيـديهم. وقـال أبو مالـك: أملاك النــاس لهم إلا ما حكم الله به للامــام من الفيء والخمس والمغنم فذلك لـه، وذلك أيضـاً، قد بين الله للامـام عليه السـلام، أين يضعه وكيف يصنع به. فتراضـيا بهشـام بن الحكم وصـارا إليه فحكم هشام لأبي مالك، فغضب بن أبي عمـير وهجر هشـاماً بعد ذلك. [563]

8 - **الخمس**

واشتهر الفقه "الإمامي" أيضا بتشريع وجوب الخمس (وهو إخراج عشرين بالمائة من الأرباح السنوية) وتسـليمه للأئمة كحق من حقوقهم، باعتبار أنهم "ذوي القربى" الـذين أمر الله بإعطـاء الخمس لهم، وقد روى سـليم بن قيس قـال: سـمعت أمـير المؤمنين (ع) يقـول: "نحن والله الـذين عـنى الله بـذي القـربى، الـذين قـرنهم الله بنفسه ونبيه (ص) فقـال: " ما أفـاء الله على رسـوله من أهل القـرى فلله وللرسـول ولـذي القـربى واليتـامى

---

[561] - الكافي، كتاب الحجة، باب الفيء والأنفال وتفسير الخمس وحدوده، ح رقم 3

[562] - الكافي، كتاب الحجة، باب الفيء والأنفال وتفسير الخمس وحدوده، ح رقم 1

[563] - الهمداني، رضا، مصباح الفقيه، كتاب الخمس، ص 108

والمسـاكين" منا خاصة ولم يجعل لنا سـهما في الصـدقة، أكـرم الله نبيه وأكرمنا أن يطعمنا أوساخ ما في أيدي الناس". [564]

ونسب الإمامية الى الباقر تفسيره لقوله تعالى: "واعلموا أنما غنمتم من شئ فـأن لله خمسة وللرسـول ولـذي القـربى " بقوله:" هم قرابة رسول الله (ص) والخمس لله وللرسول ولنا". [565] كما نسبوا للإمام الصادق أنه قال في تفسـير الآية الآنفـة: هم " أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام". [566]

وبعد أن قـام "الإماميـة" بحصر الخمس بالأئمة الحسـنيين، بادروا إلى توسيع دائرة منابعه، فلم يقصروه على مغانم الحـرب، كما ورد في آية الخمس، وإنما قـالوا بأنه يشـمل مـوارد كثـيرة وعلى رأسـها المعـادن المختلفة. [567] وما يخـرج من البحر من اللؤلؤ والياقوت والزبرجد. [568] وأموال التجارة والزراعة. [569]

9 - الزكاة

وقد تميز الفقه "الإمامي" في باب الزكاة ، حيث قال بتحـريم دفع الزكـاة إلى الفقـراء المخـالفين، واشـتراط الـولاء للأئمة الحسنيين، بالنسبة لتوزيع الزكـاة على الفقـراء، حيث نسب إلى البـاقر التوصـية بوضع الزكـاة في أهل الولاية فقـط، أونقلها من بلد إلى آخـر، إن لم يوجد "عـارف" في البلد الأول. [570] ونقل زرارة عن الصادق النهي عن إعطـاء الزكـاة إلا لمن يعـرف. [571] حتى لقرابة الرجل المحتـاجين "غـير العـارفين". وأنه قـال لأبي

---

[564] - الكافي، كتاب الحجة، باب الفيء والأنفال وتفسير الخمس وحدوده، ح رقم 1

[565] - الكافي، كتاب الحجة، باب الفيء والأنفال وتفسير الخمس وحدوده، ح رقم 2

[566] - الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح رقم 12 وباب الفيء والأنفال وتفسير الخمس وحدوده، ح رقم 7

[567] - الكافي، كتاب الحجة، باب الفيء والأنفال وتفسير الخمس وحدوده، ح رقم 8 و 19

[568] - الكافي، كتاب الحجة، باب الفيء والأنفال وتفسير الخمس وحدوده، ح رقم 21

[569] - الكافي، كتاب الحجة، باب الفيء والأنفال وتفسير الخمس وحدوده، ح رقم 12

[570] - الكليني، الكافي، ح رقم 5970 - 11

[571] - الكليني، الكافي، ح رقم 5744 - 1

بصـــير: "لا ولا كرامة". [572] ونسب الإمامية إلى علي بن موسى الرضا قوله:"لا توضع الزكاة فيمن لا يعرف، ولا زكاة الفطــرة". [573]

وبلغ التشدد في هذا القرار حد الحكم بإعادة إخراج الزكاة مرة ثانية إن تم وضعها في غـير موضـعها. [574] وكـذلك الحكم بإعـادة إخراجها، على كل "ناصبي" يتحول إلى التشيع.[575]

الفصل السابع :المقاطعة والانطواء الطائفي

1- المقاطعة النفسية والفكرية: التكفير واللعن

أحدثت نظرية "الإمامة الإلهية لأهل البيت" تطورا كبيرا في بنية الحركة الشـيعية، الـتي تحـولت من حـزب سياسي سـابق يلتف حـول أئمة أهل الـبيت منذ أيـام الإمـام علي والحسن والحسـين، ويعمل من أجل الإصلاح في الأمة الإسلامية ونشر الحق والعدالة لعموم المسلمين، إلى طائفة منغلقة على نفسـها، ومنفصـلة عن بقية المسلمين.

فقد أدى رفع أمر "الإمامة" إلى مستوى العقيـدة والعبـادات الضـرورية في الإسـلام، إلى اعتبـار "الـولاء" للأئمة الحسـينيين، شـرطا للهـدى والتقـوى والإخلاص، واتهـام من لا يـؤمن بـولايتهم بالضلال والشرك ، ورسم صورة سلبية "لأعداء" أئمة أهل الـبيت وشـيعتهم، وخصـومهم.[576] ونسب الإمـاميون إلى الصـادق حـديثا يعرِّف الإسلام والإيمان، والفرق بينهمـا، يقـول فيه:" الإسـلام هو الظاهر الذي عليه الناس: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمـدا عبـده ورسـوله وإقـام الصـلاة وإيتـاء الزكـاة وحج البيت وصيام شـهر رمضـان فهـذا الإسـلام، والإيمـان معرفة هـذا الأمر مع هذا فان أقرَّ بها ولم يعرف هذا الأمر كان مسـلما وكـان

---

572 - الكليني، الكافي، ح رقم 5950 - 4

573 - الكليني، الكافي، ح رقم 5928 - 6

574 - الكليني، الكافي، ح رقم 5924 - 2

575 - الكليني، الكافي، ح رقم 5927 – 5 و ح رقم 5923 - 1

576 - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب أدنى ما يكـون فيه العبد مؤمنا أو كافرا، ح رقم 1

ضـــالا".[577] ورووا عنه حـــديثا يقـــول فيـــه:" لكل شئ أســـاس ؛ وأساس الإسلام حبنا أهل البيت".[578]

وروى الإمامية عن الباقر والصادق روايات عديدة عن النــبي الأكرم باعتبار من يحب عليا ويعرفه ويطيعه ويدخل بابـه: مؤمنـا، ومن يرفضه أو يجهله أو يحاربـه: كـافرا.[579] ونسـبوا إلى الصـادق اعتباره كل من نصب شيئا (أو شخصا) دون أهل الـبيت فهو ممن يعبد الله على حـرف.[580] وأنه قـال:" أُمِـرَ النـاس بمعرفتنا والـرد إلينا والتسـليم لنـا. وإن صـاموا وصـلوا وشـهدوا أن لا إله إلا الله وجعلوا في أنفسهم أن لا يردوا إلينا كانوا بذلك مشركين".[581]

وانطلاقا من اعتبار الولاء لأهل البيت إيمانا، ومخالفتهم كفرا، فقد اتخذ الفكر "الإمـامي" موقفا سـلبيا من الصـحابة الـذين لم يتبعوا عليا بعد وفاة رسول الله (ص) مباشرة، ونقل الكليـني عن أبي جعفر أنه قال:" ذهب المهـاجرون والأنصـار إلا ثلاثـة".[582] أو "كـــان النـــاس أهل ردة بعد النـــبي (ص) إلا ثلاثة .. المقـــداد بن الأســـود وأبو ذر الغفـــاري و ســـلمان الفارسي رحمة الله وبركاته عليهم ثم عـــرف أنـــاس بعد يســـير. هـــؤلاء الـــذين دارت عليهم الـــرحى وأبـــوا أن يبـــايعوا حـــتى جـــاءوا بـــأمير المؤمـــنين مكرها فبايع".[583] وروى الكليـني عن أبي عبد اللـه أنه قـال:" من ادعى الإمامة وليس من أهلها فهو كافر".[584] وأنه قال: "ثلاثة لا يكلمهم الله يـــوم القيامة ولا يـــزكيهم ولهم عـــذاب أليم: من ادعى إمامة من الله ليست لـــه، ومن جحد إماما من اللـــه، ومن زعم أن لهما

---

577 - الكليني، الكافي، كتـاب الإيمـان والكفر ، بـاب أن الإسـلام يحقن به الدم، ح رقم 4 و كتاب الحجة، باب معرفة الإمام والرد إليه، ح رقم 6

578 - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر ، باب نسبة الإسلام، ح رقم 2 و 3

579 - الكليـني، الكـافي، كتـاب الإيمـان والكفـر، بـاب المـؤمن وعلاماته وصفاته، ح رقم 27، و باب الكفر 16 و 17 و 18 و 20 و كتاب الروضـة، ح رقم 353

580 - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب الشرك، ح رقم 4

581 - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب الشرك، ح رقم 5

582 - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب في قلة عدد المؤمنين، ح رقم 6

583 - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 341

584 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أنه من ادعى الإمامة وليس لها بأهل، ح رقم 2

في الإسلام نصيبا". [585] وأنه اعتـبر من ينكر أحد الأئمة كمن أنكر معرفة الله (تبارك وتعالى) ومعرفة رسول الله (ص).[586]

ويدعي الحارث بن المغيرة أنه سمع عبد الملك بن أعين يسأل أبا عبد الله، فلم يزل يسائله حتى قال: فهلك الناس إذاً، قال: إي والله يا ابن أعين فهلك النـاس أجمعـون قلت: من في المشـرق ومن في المغـرب؟ قـال: إنها فتحت بضـلال، إي والله لهلكـوا إلا ثلاثة. [587]

ومن هنا اعتـبر الإمـاميون عـدم بيعة الصـحابة للإمـام علي مباشرة بعد النـبي (ص) نوعا من الـردة. [588] وزعم أبو بصـير أن الصـادق قـرأ هـذه الآية هكـذا : " فسـتعلمون من هو في ضـلال مبين، يا معشر المكذبين حيث أنبأتكم رسـالة ربي في ولاية علي (ع) و الأئمة (ع) من بعده، من هو في ضلال مـبين". وقـال: كـذا أنزلت.[589]

وروى الإمامية عن البـاقر أنه قـال:" كل من دان الله بعبـادة يجهد فيها نفسه ولا إمـام له من الله فسـعيه غـير مقبـول، وهو ضـال متحـير والله شـانئ لأعمالـه، ومثله كمثل شـاة ضـلت عن راعيها وقطيعها... ومن أصـبح من هـذه الأمة لا إمـام له من الله عز وجل ظاهرا عادلا أصبح ضالا تائها وإن مات على هـذه الحـال مات ميتة كفر ونفـاق، وإن أئمة الجـور وأتبـاعهم لمعزولـون عن دين اللــه، قد ضــلوا وأضــلوا، فأعمــالهم الــتي يعملونها كرمــاد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شئ ذلك هو الضلال البعيد". [590]

كما رووا عن الصادق أنه قال :" إن الله لا يسـتحيي أن يعـذب أمة دانت بإمـام ليس من الله وإن كـانت في أعمالها بـرة تقيـة،

---

585 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أنه من ادعى الإمامة وليس لها بأهل، ح رقم 4 و ح رقم 12

586 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب معرفة الإمام والرد إليه، ح رقم 5

587 - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 356

588 - الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح رقم 42 و 43

589 - الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح رقم 45

590 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب فيمن دان الله بغير إمام من الله، ح رقم 2

وإن الله ليستحيي أن يعـذب أمة دانت بإمـام من الله وإن كـانت في أعمالها ظالمة مسـيئة". [591] ونقل الكليـني عن عبد اللـه بن أبي يعفور أنه قال للصادق: إني أخالط النـاس فيكـثر عجـبي من أقوام لا يتولونكم ويتولون فلانا وفلانـا، لهم أمانة وصـدق ووفـاء، وأقــوام يتولــونكم، ليس لهم تلك الأمانة ولا الوفــاء والصــدق؟ فاستوى أبوعبدالله جالسا وأقبل عليه كالغضبان، ثم قـال: لا دين لمن دان الله بولاية إمـام جـائر ليس من اللـه، ولا عتب على من دان بولاية إمـام عـادل من اللـه، فتعجب ابن أبي يعفـور قـائلا: لا دين لأولئك ولا عتب على هـــؤلاء؟! قـــال: نعم لا دين لأولئك ولا عتب على هؤلاء، ثم قـال: ألا تسـمع لقـول الله عز وجـل: " الله ولي الـذين آمنـوا يخـرجهم من الظلمـات إلى النـور" يعـني من ظلمات الذنوب إلى نور التوبة والمغفرة لولايتهم كل إمام عــادل من الله، وقال: " والـذين كفـروا أوليـاؤهم الطـاغوت يخرجـونهم من النـور إلى الظلمـات " إنما عـنى بهـذا أنهم كـانوا على نــور الإســلام فلما أن تولــوا كل إمــام جــائر ليس من الله عز وجــل خرجوا بولايتهم إياه من نور الإسلام إلى ظلمات الكفـر، فـأوجب الله لهم النــار من الكفــار، فــ " أولئك أصــحاب النــار هم فيها خالدون ". [592]

ويتحدث الإمامية عن تشكيك بعض الشيعة كفضيل بن يسـار بحـــــديث "من مــــات وليس عليه إمـــــام فميتته ميتة جاهلية" المنسوب إلى الرسول الأعظم (ص) وأنه سأل الصـادق متعجبـاً: قال ذلك رسول الله (ص)؟ فقال أبو عبد الله: إي والله قد قـال، قال فضيل: فكل من مـات وليس له إمـام فميتته ميتة جاهليـة؟! قال: نعم. [593] وأن عبد الله ابن أبي يعفور لم يهضم الحـديث أيضا فذهب إلى الصادق وسأله عن قول رسول الله (ص):" من مـات وليس له إمام فميتته ميتة جاهلية" هل هي ميتة كفـر؟ فقـال أبو عبد الله: ميتة ضلال، فأعاد ابن أبي يعفور السـؤال بتعجب: فمن مات اليـوم وليس له إمـام، فميتته ميتة جاهليـة؟ فقـال: نعم. [594] وأن الحـارث بن المغـيرة كـذلك حـاول التأكد من صـحة الحـديث

---

[591] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب فيمن دان الله بغير إمام من الله، ح رقم 5

[592] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب فيمن دان الله بغير إمام من الله، ح رقم 3

[593] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب من مات وليس له إمام من أئمة الهدى، ح رقم 1

[594] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب من مات وليس له إمام من أئمة الهدى، ح رقم 2

الآنف المنسوب إلى رسول الله، فقال لأبي عبد الله :" من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية؟" قال: نعم، قـال: جاهلية جهلاء أو جاهلية لا يعرف إمامه؟ قال:"جاهلية كفر ونفاق وضلال". [595]

وروى المفضل بن عمر (وهو من الغلاة المفوضـــة) عن أبي عبدالله (الصادق) أنه قال :" من دان الله بغير سماع عن صــادق ألزمه الله - البتة - إلى العناء ، ومن ادعى سماعا من غير البـاب الذي فتحه الله فهو مشرك، وذلك البـاب المـأمون على سر الله المكنون". [596]

ونسب الإمامية إلى الصادق، حـديثا يعتـبر فيه أتبـاع الأنظمة والأحـزاب المنافسة لأهل الـبيت مشـركين ، ويقـول فيـه: " من أشـرك مع إمـام إمامته من عند الله من ليست إمامته من اللـه، كان مشركا بالله". [597]

اللعن

وقد طور غلاة الإمامية الموقف السلبي من الخلفـاء والحكـام "الذين اغتصبوا حق أهل البيت" وأتباعهم، بدء من اعتبارهم كفارا ومشركين، انتهاء إلى إبداء العداوة والبغضـاء لهم ولعنهم. فـرووا عن أبي جعفر أنه قــال:"إن الشــيخين (أي أبا بكر وعمــر) فارقا الدنيا ولم يتوبا ولم يتذكرا ما صـنعا بـأمير المؤمـنين فعليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين". [598] وزعم الحسين بن ثوير، وأبو سـلمة السـراج أنهما سـمعا أبا عبد اللــه وهو يلعن في دبر كل مكتوبة أربعة من الرجـــال وأربعا من النســـاء فلان وفلان وفلان ومعاوية ويسميهم وفلانة وفلانة وهند وأم الحكم أخت معاوية.[599]

وروى حنـان بن سـدير، عن أبيه قـال: سـألت أبا جعفر عنهما (عن أبي بكر وعمـــر) فقـــال:" يا أبا الفضل ما تســـألني عنهما فوالله ما مــات منا ميت قط إلا ســاخطا عليهمــا، وما منا اليـوم إلا سـاخطا عليهما يوصي بـذلك الكبـير منا الصـغير، إنهما

595 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب من مات وليس له إمام من أئمة الهدى، ح رقم 3

596 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب من مات وليس له إمام من أئمة الهدى، ح رقم 4

597 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أنه من ادعى الإمامة وليس لها بأهل، ح رقم 6

598 - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 343

599 - الكليني، الكافي، ح رقم 5144 - 10

ظلمانا حقنا ومنعانا فيئنا وكانا أول من ركب أعناقنا وبثقا علينا بثقا في الإسلام لا يسكر أبدا حتى يقـوم قائمنا أو يتكلم متكلمنـا. ثم قــال: أما والله لو قد قــام قائمنا أو تكلم متكلمنا لأبــدى من أمورهما ما كان يكتم ولكتم من أمورهما ما كـان يظهـر، والله ما أسست من بلية ولا قضـية تجـري علينا أهل الـبيت إلا هما أسسا أولها فعليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين".[600]

وينقل الكليني عدة روايات في لعن صـنوف أهل الخلاف من القدرية والخــوارج والمرجئة، كما في هــذه الرواية عن أبي عبد اللــه أنه قــال:" لعن الله القدريــة، لعن الله الخــوارج، لعن الله المرجئة، لعن الله المرجئة. فقال الراوي:لعنت هـؤلاء مـرة مـرة ولعنت هؤلاء مرتين؟! قال: إن هؤلاء يقولـون: إن قتلتنا مؤمنــون فدماؤنا متلطخة بثيابهم إلى يوم القيامــة، إن الله حكى عن قــوم في كتابه: "لن نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النـار قل قد جاء كم رسل من قبلي بالبينـات وبالـذي قلتم فلم قتلتمـوهم إن كنتم صادقين" قال: كـان بين القـاتلين والقـائلين خمسـمائة عـام فـألزمهم الله القتل برضـاهم ما فعلـوا".[601] وعن أبي مســروق قال: سـألني أبو عبد الله عن أهل البصـرة ما هم؟ فقلت: مرجئة وقدرية وحروريـة، فقـال: لعن الله تلك الملل الكـافرة المشـركة التي لا تعبد الله على شئ".[602]

استثناء المستضعفين

و بعد تصـنيفه للنـاس بين مـؤمن وكـافر، على أسـاس الإيمــان بولاية أئمة أهل الــبيت أو الكفر بهــا، قــام الإماميــة، باسـتثناء شـريحة من النـاس أطلق عليهم "المستضـعفون" وهم النـاس البسـطاء العـاديون الـذين يجهلـون الخلافـات السياسـية الدينية، ولا يتخذون موقفا سلبيا من أهل الـبيت، ولا موقفا إيجابيا فاعلا من خصومهم. وقال عمر ابن أبان : سألت أبا عبد الله، عن المستضعفين فقال:" هم أهل الولاية، فقلت أي ولاية؟ فقال: أما إنها ليس بالولاية في الدين ولكنها الولاية في المناكحة والموارثة

---

600 - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 340

601 - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب في صنوف أهل الخلاف، ح رقم 1

602 - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب في صنوف أهل الخلاف، ح رقم 2

والمخالطة وهم ليسوا بالمؤمنين ولا بالكفار ومنهم المرجَون لأمر الله عز وجل".[603]

ويقول زرارة : دخلت أنا وحمران أو أنا وبكير على أبي جعفر، فقلت له: إنا نمد المطمار. قال: وما المطمار؟ قلت: التُرّ [604] فمن وافقنا من علوي أو غيره تولينـاه ومن خالفنا من علـوي أو غـيره برئنا منـه، فقـال لي:" يا زرارة قـول الله أصـدق من قولـك، فـأين الـذين قـال الله عز وجـل: " إلا المستضـعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سـبيلا " أين المرجـون لأمر اللـه؟ أين الـذين خلطـوا عملا صـالحا وآخر سيئا؟ أين أصحاب الأعراف؟ أين المؤلفة قلوبهم؟!".[605]

ويبدو من خلال هذه الرواية أن "الإمامية" كانوا يتطرفون في التعامل مع المخالفين بعيدا عن موقف أئمة أهل الـبيت، كما يبدو من بعض الروايـات الأخـرى أنهم كـانوا يختلفـون في تكفـير العامة من النـاس، وتحديد المستضـعفين، حيث كـان بعضـهم يتطـرف في تكفـير "كل من لم يعـرف هـذا الأمر" بينما كـان بعضـهم يحافظ على اعتداله بعـدم تكفـير المخـالف إلا إذا جحد وعاند.[606]

2- المقاطعة السياسية

وقد أدى تكفير أئمة المخالفين، وأتباعهم، ولعنهم والحكم بضـلالهم، إلى موقف سـلبي آخـر، هو الفصل الاجتمـاعي والسياسي بين الشـيعة "الإماميـة" وغـيرهم من المسـلمين المخالفين، حيث قـام "الإماميـة" برواية رسـالة خاصة زعمـوا أن الصـادق وجهها للشـيعة وقـال فيهـا:"أحبـوا في الله من وصف صفتكم وأبغضوا في الله من خالفكم وابذلوا مـودتكم ونصـيحتكم لمن وصف صفتكم ولا تبتـذلوها لمن رغب عن صـفتكم وعـاداكم

---

[603] - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب المستضعف، ح رقم 5 و 6

[604] - المطمار بالمهملتين خيط للبنـاء يقـدر به وكـذا الـترّ ، بضم المثنـاة الفوقية والـراء المشـددة يعـني إنا نضع ميزانا لتولينا النـاس وبراءتنا منهم وهو ما نحن عليه من التشيع فمن استقام معنا عليه فهو ممن توليناه ومن مال عنه وعدل فنحن منه براء، كائنا من كان .

[605] - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب أصناف الناس، ح رقم 3

[606] - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب الضلال، ح رقم 1

عليها وبغى لكم الغوائـل".[607] وأنه قـال:" من كـان يـؤمن بالله واليـــوم الآخر فلا يجلس مجلسا ينتقص فيه إمـــام أو يعاب فيه مـــؤمن". [608] وقال:" إذا ابتليت بأهل النصب ومجالســـتهم فكن كأنك على الرضف (الحجارة الساخنة)حتى تقوم فإن الله يمقتهم ويلعنهم فإذا رأيتهم يخوضـون في ذكر إمـام من الأئمة فقم فـإن سخط الله ينزل هناك عليهم.[609]

وكان من الطبيعي بعد ذلك أن يدعو الفكر الإمامي إلى مقاطعة الأنظمة الحاكمـــة، وأن يـــروي عن البـــاقر النهي عن الدخول في أعمال الحكام المخالفين:" ولا مَـدة قلم. إن أحـدهم لا يصيب من دنياهم شيئا إلا أصابوا من دينه مثله". [610] وأن يفسر الصـــادق قـــول الله عز وجـــل: " ولا تركنوا إلى الـــذين ظلمـــوا فتمسكم النار" بقوله: هو الرجل يأتي السلطان فيحب بقاءه إلى أن يدخل يده إلى كيسه فيعطيه.[611] ويحذر أصـحابه قـائلا:"اتقـوا الله وصونوا دينكم بالورع وقووه بالتقية والاستغناء بالله عز وجل إنه من خضع لصـــاحب ســـلطان ولمن يخالفه على دينه طلبا لما في يديه من دنيـاه أخمله الله عز وجـل ومقته عليه ووكله إليـه، فإن هو غلب على شئ من دنياه فصار إليه منه شئ نزع الله عز وجـــل اســـمه البركة منه ولم يـأجره على شئ ينفقه في حج ولا عتق ولا بر". [612] وأن ينهى فضـــيل بن عيـــاض عن التكسب مع الحكام، ويقول له :" والله لضرر هـؤلاء على هـذه الأمة أشد من ضرر الترك والديلم" ويـبين له صـفة الـورع من النـاس ويقـول:" الذي يتورع عن محارم الله عز وجـل، ويجتب هـؤلاء، وإذا لم يتق الشـــبهات وقع في الحـــرام وهو لا يعرفه، وإذا رأى المنكر فلم ينكـــره وهو يقـــدر عليه فقد أحب أن يعصى الله عز وجـــل ومن أحب يعصى الله فقد بارز الله عز وجل بالعداوة، ومن أحب بقـاء الظالمين فقد أحب أن يعصى الله إن الله تعالى حمد نفسه على هلاك الظالمين فقال: " فقطع دابر القـوم الـذين ظلمـوا والحمد لله رب العالمين ".[613]

---

[607] - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، رسالة الإمام الصادق، حديث رقم 1

[608] - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب مجالسة أهل المعاصـي، ح رقم 8 و 9 و 12 و 15

[609] - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب مجالسة أهل المعاصـي، ح رقم 13

[610] - الكليني، الكافي، ح رقم 8531 - 5

[611] - الكليني، الكافي، ح رقم 8538 - 12

[612] - الكليني، الكافي، ح رقم 8529 – 3

[613] - الكليني، الكافي، ح رقم 8537 - 11

وعندما قال للصادق رجل من أصحابه: أصـلحك الله إنه ربما أصاب الرجل منا الضيق أو الشدة فيـدعا إلى البنـاء يبنيه أو النهر يكريه أو المسناة يصلحها فما تقول في ذلـك؟ قـال أبو عبد الله :" ما أحب أني عقدت لهم عقدة أو وكيت لهم وكاء، وإن لي ما بين لابتيها، لا ولا مدة بقلم، إن أعوان الظلمة يـوم القيامة في سرادق من نار حتى يحكم الله بين العباد".[614]

وسمع الصادق ذات يـوم أن المنصـور قد حبس مجموعة من الشيعة، فسأل عن السـبب قـائلا: ما لهم وما لـه؟ فقيل لـه: اسـتعملهم فحبسـهم، فقـال أبو عبد الله: ألم أنههم؟!.. ألم أنههم؟!.. ألم أنههم؟!.. هم النار، هم النار، هم النار.[615]

وقد ذكر عند أبي عبد الله، رجل من هذه العصابة (الشيعة) قد ولى ولايـة، فقـال: كيف صـنيعته إلى إخوانـه؟ فقيل: ليس عنـده خـير، فقـال: أف.. يـدخلون فيما لا ينبغي لهم ولا يصـنعون إلى إخوانهم خيرا.[616]

ويقول زياد ابن أبي سلمة : دخلت على أبي الحسن موسى (بن جعفر) فقال لي: يا زياد إنك لتعمل عمل السـلطان؟ قـال: قلت: أجل، قال لي: ولم؟ قلت: أنا رجل لي مروة وعلي عيـال و ليس وراء ظهري شئ فقـال لي: يا زيـاد لئن أسـقط من جـالق (اسم جبـل) فـأتقطع قطعة قطعة أحب إلي من أن أتـولى لأحد منهم عملا أو أطأ بساط أحدهم.. إلا لماذا؟ قلت: لا أدري جعلت فداك، فقال: إلا لتفريج كربة عن مـؤمن أو فك أسـره أو قضـاء دينـه، يا زياد إن أهون ما يصـنع الله بمن تـولى لهم عملا أن يضـرب عليه سرادق من نار إلى أن يفرغ الله من حساب الخلائق، يا زياد فإن وليت شـيئا من أعمـالهم فأحسن إلى إخوانك فواحـدة بواحـدة والله من وراء ذلك. يا زياد أيما رجل منكم تـولى لأحد منهم عملا ثم ساوى بينكم وبينهم فقولوا له: أنت منتحل (للتشيع) كـذاب، يا زياد إذا ذكرت مقدرتك على الناس فاذكر مقـدرة الله عليك غـداً ونفاد ما أتيت إليهم عنهم، وبقاء ما أتيت إليهم عليك.[617]

وعن علي بن يقطين قـال: قلت لأبي الحسـن: ما تقول في أعمـال هـؤلاء؟ قـال: إن كنت لا بد فـاعلا فـاتق أمـوال الشـيعة،

---

614 - الكليني، الكافي، ح رقم 8533 - 7
615 - الكليني، الكافي، ح رقم 8534 - 8
616 - الكليني، الكافي، ح رقم 8544 – 2 و ح رقم 8541 - 14
617 - الكليني، الكافي، ح رقم 8543 - 1

فكـــان ابن يقطين يجبيها من الشـــيعة علانية ويردها عليهم في السر.[618]

3 - المقاطعة الاجتماعية

وإذا كـانت مقاطعة الظـالمين مفهومة ومعروفة عن أئمة أهل البيت ، فإن الإمامية رووا عنهم روايات أخرى تأمر بمقاطعة المخـــالفين اجتماعيـــا، ونقلـــوا عن أبي عبد الله أنه حـــذر من مجالسة أهل المعاصي والبدع، فقـال:" لا تصـحبوا أهل البـدع ولا تجالسـوهم فتصـيروا عند النـاس كواحد منهم، قـال رسـول الله (ص): المـرء على دين خليله وقرينـه".[619] وأنه روى عن رسـول الله (ص) أنه قـال:" : إذا رأيتم أهل الـريب والبـدع من بعـدي فأظهروا البراءة منهم وأكـثروا من سـبهم والقـول فيهم والوقيعة وباهتوهم كيلا يطمعوا في الفسـاد في الإسـلام ويحـذرهم النـاس ولا يتعلمون من بدعهم يكتب الله لكم بذلك الحسنات ويرفع لكم به الدرجات في الآخرة".[620]

وروى الكليني أحاديث تأمر بمقاطعة المخالفين، وقال في رواية: إن قوما من أهل خراسـان من وراء النهر أتـوا أبا عبد الله فقـــال لهم: تصـــافحون أهل بلادكم وتنـــاكحونهم؟ أما إنكم إذا صـافحتموهم انقطعت عـروة من عـرى الإسـلام وإذا نـاكحتموهم انهتك الحجاب بينكم وبين الله عز وجل.[621]

وزعم الإمامية أن أبا عبد الله كـــره ســـؤر ولد الزنا وســـؤر اليهودي والنصراني والمشرك وكل ما خـالف الإسـلام وكـان أشد ذلك عنده سؤر الناصب.[622] وأنه قال:" لا تغتسل من البـئر الـتي تجتمع فيها غسالة الحمام فإن فيها غسـالة ولد الزنا وهو لا يطهر إلى سـبعة آبـاء، وفيها غسـالة الناصب وهو شـرهما، إن الله لم يخلق خلقا شـــرا من الكلب وإن الناصب أهـــون على الله من الكلب".[623]

---

618 - الكليني، الكافي، ح رقم 8545 – 3 و ح رقم 8546 - 4

619 - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب مجالسة أهل المعاصـي، ح رقم 3

620 - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب مجالسة أهل المعاصـي، ح رقم 2 و 4 و كتاب الروضة، ح رقم 314

621 - الكليني، الكافي، ح رقم 9561 - 17

622 - الكليني، الكافي، ح رقم 3866 - 6

623 - الكليني، الكافي، ح رقم 3881 - 1

ونتيجة لقــرار الإمامية مقاطعة المخــالفين اجتماعيا فقد قــاموا بمقـاطعتهم في الصــلوات والعبـادات، وتحــريم صـلاة الجماعة خلفهم الا للتقية.[624]

وقد أدى موقف المقاطعة الاجتماعية ببعض الإمامية إلى تحريم الزواج بين الطـرفين. خلافا لموقف أهل الـبيت، كما يبـدو من موقف زرارة بن أعين الــذي ابتــدأ أو ابتــدع هــذا الموقف السلبي في أيام البـاقر بـالرغم من محاولة الإمـام التخفيف منه.[625] وكذلك بالرغم من رأي الإمام الصادق الذي قال لـه:" أما إنك إن كبرت رجعت وتحللت عنك عقدك".[626]

وفي محاولة من زرارة لتأييد موقفه الرافض من الـتزاوج مع غير الشيعة، روى حديثا عن أبي عبد الله في تزويج أم كلثــوم بنت علي بن أبي طــالب من عمر بن الخطــاب، أنه قــال : "إن ذلك فرجٌ غُصبناه".[627] حيث كان تفسير زواج أم كلثوم من عمر، وتـبريره بالاغتصـاب والإكـراه، ضـروريا لتمرير موقف المقاطعة الاجتماعية وتحــريم الـزواج من المخـالفين عند الإمامية في ذلك الوقت، وهكـذا نسب الإمامية المتطرفـون مجموعة روايـات إلى الصـادق بهـذا المضـمون، فزعمـوا أنه قـال: "لا يـتزوج المـؤمن الناصبة المعروفة بذلك".[628] وقال:" لا يزوج المؤمن الناصـبة ولا يـتزوج الناصب المؤمنة ولا يـتزوج المستضـعف مؤمنه".[629] وأنه قال لأبي بصير، وزرارة :" تزوجوا في الشكاك ولا تزوجوهم لأن المرأة تأخذ من أدب زوجها ويقهرها على دينه".[630]

وعن الفضــيل بن يســار قــال: قلت لأبي عبد اللــه: إن لامــرأتي أختا عارفة على رأينا وليس على رأينا بالبصــرة إلا قليل فأزوجها ممن لا يرى رأيهـا؟ قـال: لا ولا نعمة ولا كرامة.. إن الله عز وجل يقول: "فلا ترجعـوهن إلى الكفـار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن ".[631]

---

[624] - الكليني، الكافي، ح رقم 5276 – 2 و ح رقم 5281 – 7 و ح رقم 5278 - 4

[625] - الكليني، الكافي، ح رقم 9556 - 12

[626] - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفـر، بـاب الضـلال، ح رقم 2 و ح رقم 9546 - 2

[627] - الكليني، الكافي، ح رقم 9536 – 1 و ح رقم 9537 - 2

[628] - الكليني، الكافي، ح رقم 9547 - 3

[629] - الكليني، الكافي، ح رقم 2 955 – 8 و ح رقم 9548 - 4

[630] - الكليني، الكافي، ح رقم 9545 – 1 و ح رقم 9 954 - 5

[631] - الكليني، الكافي، ح رقم 9550 - 6

وذهب الإماميـة، حسب بعض الروايـات، إلى تفضـيل زواج اليهودية والنصـرانية على الناصـبية، كما عن عبد اللـه بن سـنان، عن أبي عبد اللـه قـال: سـأله أبي وأنا أسـمع عن نكـاح اليهودية والنصـرانية فقـال: "نكاحهما أحب إلي من نكـاح الناصـبية، وما أحب للرجل المسـلم أن يـتزوج اليهودية ولا النصـرانية مخافة أن يتهود ولده أو يتنصر".[632] وأنه قـال:" تـزوج اليهودية والنصـرانية أفضل - أو قال: خير - من تزوج الناصب والناصبية".[633]

وامتدت المقاطعة الاجتماعية من الحياة إلى الوفـاة، فنقل الإمامية عن الصادق أنه رفض الصلاة على جنائز المخالفين، وإذا ما اضطر أحد إلى الصلاة عليهم فان عليه أن يلعنهم بدل الترحم عليهم.[634] ورووا عنه أنه قال: إذا صليت على عـدو الله فقـل: " اللهم إن فلانا لا نعلم منه إلا أنه عدو لك ولرسولك، اللهم فاحشِ قبره ناراً واحشِ جوفه نـاراً وعجل به إلى النـار فإنه كـان يتـولى أعداءك ويعادي أولياءك ويبغض أهل بيت نبيـك، اللهم ضـيق عليه قـبره " فـإذا رُفع فقـل: " اللهم لا ترفعـه ولا تزكـه".[635] وروى محمد بن مسلم عن الصادق أنه قال: إن كان جاحدا للحق فقـل: "اللهم املأ جوفه ناراً وقبره ناراً وسلط عليه الحيات والعقارب".[636] وفي رواية أخـــرى عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قـــال: تقول : " اللهم اخزِ عبـدك في عبـادك وبلادك، اللهم أصـله نـارك وأذقه أشد عــذابكَ فإنه كـان يعـادي أوليـاءك ويـوالي أعـداءك ويبغض أهل بيت نبيك (ص).[637]

4 - المقاطعة الاقتصادية

وإلى جـــانب المقاطعة السياســية والثقافية والاجتماعيـــة، نقل الإمامية أحــاديث عن أئمة المــذهب بوجــوب مقاطعة الشــيعة لمخالفيهم اقتصاديا، وخصوصا في موضوع الزكـاة. وقد نقلنا تلك الروايات في فصل الفقه الإمـامي. وقد زعمـوا بتحـريم "الأئمـة" لـدفع الزكـاة للفقــراء المخــالفين.[638] ونقل الزكـاة من بلد إلى

---

[632] - الكليني، الكافي، ح رقم 9559 - 15
[633] - الكليني، الكافي، ح رقم 9560 - 16
[634] - الكليني، الكافي، ح رقم 4540 – 1 و ح رقم 4541 - 2
[635] - الكليني، الكافي، ح رقم 4543 - 4
[636] - الكليني، الكافي، ح رقم 4544 – 5 و ح رقم 4546 – 7
[637] - الكليني، الكافي، ح رقم 4545 - 6
[638] - الكليني، الكافي، ح رقم 5928 – 6 و ح رقم 5744 - 1

آخــر، إن لم يوجد "عــارف" في البلد الأول.[639] ووجــوب إعــادة إخراج الزكاة مرة ثانية إن تم وضعها في غير موضعها.[640]

5 – الانطواء : تعزيز العلاقات الشيعية الداخلية

ونتيجة للانفصال الذي أحدثته نظرية "الإمامة الإلهية" بين الإمامية ومحيطهم الإسلامي العام، أدرك الإماميون مبكـراً أهمية تعزيز العلاقات الداخلية، فنقلوا عن الباقر قوله لأحد أصحابه:" يا خثيمة أبلغ من تــرى من موالينا الســلام وأوصــهم بتقــوى الله العظيم وأن يعود غنيهم على فقيرهم وقويهم على ضعيفهم، وأن يشــهد حيهم جنــازة ميتهم، وأن يتلاقــوا في بيــوتهم، فــإن لقيا بعضهم بعضا حياة لأمرنا، رحم الله عبدا أحيا أمرنـا".[641] ورووا أن الإمـام سـأل شـيعيا آخر قـائلا: أ تخلـون وتتحـدثون وتقولـون ما شئتم؟ فقال: إي والله إنا لنخلو ونتحدث ونقـول ما شـئنا، فقـال: أما والله لوددت أني معكم في بعض تلك المواطن، أما والله إني لأحب ريحكم وأرواحكم ؛ وإنكم على دين الله ودين ملائكته فأعينوا بورع واجتهاد".[642]

ونقلــوا عن أبي عبد الله أنه أوصى الشــيعة بــالتزاور والمحادثة والتــبري والتــولي.[643] وأنه قـــال:" إن لله ملائكة سياحين، سوى الكرام الكاتبين، فإذا مروا بقـوم يـذكرون محمـدا وآل محمد قالوا: قفوا فقد أصبتم حاجتكم، فيجلسون، فيتفقهـون معهم فـإذا قـاموا عـادوا مرضـاهم وشـهدوا جنـائزهم وتعاهـدوا غائبهم، فذلك المجلس الذي لا يشقى به جليس".[644]

وقد لعبت هـذه الأحـاديث والوصـايا بمقاطعة المخـالفين عباديا وسياســيا واجتماعيا واقتصــاديا ونفســيا، وتعزيز العلاقــات الداخلية الشيعية، دورا كبيرا في تشييد الكيـان الطـائفي الخـاص للشـيعة، وفـرض جـدار من العزلة حـولهم، وتحـويلهم من طليعة

---

639 - الكليني، الكافي، ح رقم 5970 - 11

640 - الكليني، الكافي، ح رقم 5924 - 2

641 - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب زيارة الإخوان، ح رقم 2

642 - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب تذاكر الإخوان، ح رقم 5

643 - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب تذاكر الإخوان، ح رقم 2 و كتاب الروضة، ح رقم 292

644 - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب تذاكر الإخوان، ح رقم 3 و 4 و 6

سياسية تناضل من أجل مصالح الأمة العامة في الحرية والعدالة والشورى، الى مجموعة خاصة منطوية على نفسها وتتبادل العداوة والبغضاء مع الآخرين.

الفصل الثامن: الإعلام الإمامي .. والتعبئة النفسية

بالرغم من حداثة وصعوبة نظرية "الإمامة الإلهية" فإن الإعلام الإمامي نجح في تسويق الاعتقاد بـ"الأئمة" والولاء لهم، كجزء لا يتجزأ من العقيدة الإسلامية في صفوف بعض الشيعة ، مما عزز علاقة الشيعة "الإمامية" بالأئمة أحياء وأمواتا، حكاما أو محكومين، ناطقين أو صامتين، قائمين أو قاعدين، ثوارا أو مهادنين، محقين أو مخطئين، وصوَّرهم كسفينة نجاة من ركبها نجى ومن تخلف عنهم غرق وهوى، وأضفى على "الأئمة" من أبناء علي والحسين، هالة قدسية دينية خالدة.

وحسب رواية ينقلها الكشي عن يوسف بن جعفر، قال: قلت لأبي عبد الله (الصادق): أصف لك ديني الذي أدين الله به، فإن أكن على حق فثبتني، وإن أكن على غير الحق فردني إلى الحق، قال: هات. قال: قلت: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عليا كان إمامي، وأن الحسن كان إمامي، وأن الحسين كان إمامي، وأن علي بن الحسين كان إمامي، وأن محمد بن علي كان إمامي، وأنت جعلت فداك على منهاج آبائك. فقال عند ذلك مرارا:"رحمك الله، ثم قال: هذا دين الله ودين ملائكته، وديني ودين آبائي الذي لا يقبل الله غيره ".[645]

ولتكريس تلك الصورة "الدينية" عن الأئمة، اتبع الإعلام الإمامي عدة خطوات أو عمليات إيحاء نفسية، تضمنت الفقرات التالية:

---

[645] - الخوئي، معجم رجال الحديث، رقم 13815 عن الكشي، ترجمة: يوسف بن جعفر

1- طبيعة الأئمة ومكانتهم عند الله

فقد قام الإعلام الإمامي برفع مكانة "الأئمة" فوق مستوى البشر العـاديين، وإضـفاء هالة خاصة عليهم. وبث أحـاديث كثـيرة عن طبيعة "الأئمـــــــة" وكيفية خلقهم وطريقة ولادتهم. كما في رواية منسـوبة لأبي جعفر (البـاقر) أنه قـال: " إن الله خلقنا من أعلى علـيين وخلق قلـوب شـيعتنا مما خلقنـا، وخلق أبـدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تهوي إلينا، لأنها خلقت مما خلقنا، ثم تلا هــذه الآيــة: "كلا إن كتـاب الأبــرار لفي علـيين، وما أدراك ما عليــون، كتاب مرقوم يشهده المقربون". وأضاف: خلق عدونا من سـجين وخلق قلـوب شـيعتهم مما خلقهم منـه، وأبـدانهم من دون ذلـك، فقلوبهم تهوي إليهم، لأنها خلقت مما خلقوا منه، ثم تلا هذه الآية: " كلا إن كتـاب الفجـار لفي سـجين، وما أدراك ما سـجين، كتـاب مرقوم".[646]

---

646 - الكليني، الكـافي، كتـاب الحجـة، بـاب خلق أبـدان الأئمة وأرواحهم وقلوبهم، ح رقم 4

وفي رواية أخرى تفوح منها رائحة الوضع والغلو، يقول:" للإمام عشر علامــات: يولد مطهــرا، مختونــا، وإذا وقع على الأرض وقع على راحته رافعا صوته بالشهادتين، ولا يجنب، وتنام عينه ولا ينام قلبه، ولا يتثاءب ولا يتمطى، ويرى من خلفه كما يرى من أمامــه، ونجـــــوه (خروجــــــه) كرائحة المسك والأرض موكلة بســــــتره وابتلاعه...".[647]

علاقة الأئمة بالجن

وفي محاولة منهم لإضـفاء طـابع خـارق للعـادة على "الأئمـة" ينقل "الإمامية" عدة روايات عن علاقة الجن بالأئمة، ويروون عن أبي جعفر أنه قال :" إن لنا أتباعا من الجن، كما أن لنا أتباعا من الإنس فإذا أردنا أمراً بعثنـاهم".[648] وأن الأئمة كـانوا يسـتخدمون الجن في حوائجهم وبريدهم.[649] وعن سعد الإسكافي قـال: أتيت أبا جعفر في بعض ما أتيته فجعل يقــول: لا تعجــل، حــتى حميت الشـمس علي وجعلت أتتبع الأفيـاء، فما لبث أن خـرج علي قـوم كـأنهم الجـراد الصـفر، عليهم البتـوت قد انتهكتم العبـادة، فوالله لأنساني ما كنت فيه من حسن هيئة القوم، فلما دخلت عليه قال لي: أراني قد شققت عليك، قلت: أجل والله لقد أنساني ما كنت فيه قـــوم مـــروا بي لم أر قوما أحسن هيئة منهم في زي رجل

---

647 - وتقول رواية أخرى عن إسحاق بن جعفر (الصادق) يقول: سـمعت أبي يقــول: الأوصـياء إذا حملت بهم أمهـاتهم أصـابها فـترة شـبه الغشـية، فأقـامت في ذلك يومها ذلك إن كـان نهـارا، أو ليلتها إن كـان ليلا، ثم تـرى في منامها رجلا يبشــــرها بغلام، عليم حليم، فتفـــرح لــــذلك، ثم تنتبه من نومها، فتسمع من جانبها الأيمن في جانب البيت صوتا يقـول: حملت بخـير وتصيرين إلى خـير وجئت بخـير، ابشـري بغلام، حليم عليم. وتجد خفة في بــــدنها ثم لم تجد بعد ذلك امتناعا من جنبيها وبطنها فـــإذا كـــان لتسع من شهرها سمعت في البيت حسا شديدا، فإذا كانت الليلة الـتي تلد فيها ظهر لها في الـبيت نـور تـراه لا يـراه غيرها إلا أبـوه، فـإذا ولدته ولدته قاعـدا وتفتحت له حـتى يخـرج متربعا يسـتدير بعد وقوعه إلى الأرض، فلا يخطئ القبلة حيث كــانت بوجهــه، ثم يعطس ثلاثا يشــير بإصــبعه بالتحميد ويقع مسروا مختونا ورباعيتاه من فوق وأسـفل ونابـاه وضـاحكاه ومن بين يديه مثل سبيكة الذهب نور ويقيم يومه وليلته تسـيل يـداه ذهبا وكـذلك الأنبيـاء إذا ولدوا وإنما الأوصياء أعلاق من الأنبياء". الكليني، الكافي، كتاب الحجـة، باب مواليد الأئمة 4 و 8

648 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الجن يأتيهم فيسـألونهم عن معالم دينهم، ح رقم 4

649 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الجن يأتيهم فيسـألونهم عن معالم دينهم، ح رقم 4

واحد كـأن ألـوانهم الجـراد الصـفر، قد أنهكتهم العبـادة فقـال: يا سـعد رأيتهم؟ قلت: نعم، قـال أولئك إخوانك من الجن، قـال: فقلت: يأتونك؟ قال: نعم يأتونا يسألونا عن معـالم دينهم وحلالهم وحرامهم".[650]

2- الصلاة على آل محمد

وقام الإعلام الإمامي باستغلال موضـوع "الصـلاة على محمد وآل محمـد" ونجح نجاحا كبـيرا بإدخاله في كل منـاحي الحيـاة، وذلك بعد تأويل "آل محمـد" بذرية النـبي من "الأئمة" العلـويين الحسينيين.

ومع أن القرآن الكريم يتحدث عن الصلاة على محمد (ص) ، ويطالب المؤمنين بالصلاة عليه في الآية 56 من سورة الأحـزاب :"إن الله وملائكته يصـلون على النـبي، يا أيها الـذين آمنـوا صـلوا عليه وسلموا تسليما" دون أن يذكر الصـلاة على "آل محمـد"، إلا أن بعض الأحاديث تقول إن الصحابة سألوا الرسـول (ص) عنـدما نزلت هـذه الآية: " يا رسـول الله، هـذا السـلام عليك قد عرفنـاه فكيف الصـلاة عليك؟ قـال: قولـوا: اللهم صل على محمد وآل محمد كما صـليت على إبـراهيم وآل إبـراهيم إنك حميد مجيد، وبـارك على محمد وآل محمد كما بـاركت على إبـراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد".[651]

ولكن معـنى كلمة "آل" لم يكن مطابقا لكلمة "أهـل" في البدايـة. إذ أن كلمة "الآل" كما يقـول الطباطبـائي في "تفسـير المـيزان" تعـني: خاصة الشـيء. وكما يقـول الـراغب في "المفردات": الآل: يستعمل فيمن يختص بالإنسـان اختصاصا ذاتيا إما بقرابة قريبة أو بمـوالاة. وقد وردت كلمة "آل" في القـرآن الكريم ثلاث عشـرة مـرة ملحقة بكلمة "فرعـون" وعشر مـرات ملحقة بأسماء عدد من الأنبياء، كهذه الآيات:"وإذ نجينـاكم من آل فرعـون. وأغرقنا آل فرعـون. كدأب آل فرعـون. ولقد أخـذنا آل فرعون بالسنين. وقال رجل مـؤمن من آل فرعـون يكتم إيمانه" وكلها تشير إلى معنى "الأتبـاع" وليس الذريـة، لأن فرعـون كـان

---

[650] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الجن يأتيهم فيسـألونهم عن معالم دينهم، ح رقم 1 و2 و 3

[651] - البخـاري، وابن كثـير في تفسـيره، والطبرسي في مجمع البيـان والطوسي في التبيان، في تفسير هذه الآية. ومن هنا قال الإمام الشافعي بوجوب الصلاة على النبي في التشهد الأخير.

عقيما ولم تكن له ذرية، كما هو معروف. وأما الآيات الـتي وردت فيها كلمة "آل" ملحقة بأسماء الأنبياء مثل هذه الآيات:" فقد آتينا آل ابراهيم الكتـاب والحكمة وآتينـاهم ملكا عظيما". "ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب". "يرثـني ويـرث من آل يعقـوب". "وبقية مما تــرك آل موسى وآل هــارون". "إلا آل لــوط إنا لمنجــوهم أجمعين". "فلما جاء آل لوط المرسلون". "قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم". "إعملـوا آل داود شـكرا". "سـلام على إل ياسـين" (وفي قــراءة: آل ياســين)" فـإن كلمة "آل" هنا قد تعـني الذرية الطيبة الطاهرة من الأنبياء من بني إسرائيل (وليس كل الذريـة)، وقد تشمل الأتباع من المؤمنين أيضا، كما في "آل موسى" الـذي لم يكن له ذرية. مما يلقي ضـوءا على معـنى "آل محمـد" بحيث يشــمل الأصــحاب والأتبــاع والذرية الطيبــة. وحسب القــراءة المشهورة لآية"سلام على إل ياسـين" فإنها تعـني النـبي إليـاس، وليس فيها دلالة على معــنى الآل، وأما على القــراءات الأخــرى (نــافع وابن عــامر ويعقــوب وزيد) أي "آل ياســين" فإنها تحتمل المعنيين: الأتبـاع والذريـة. ولكن الإمامية فسـروها بالذرية و"أهل الــبيت" فقــط، حيث رووا عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عن علي أنه قــــــال:" يس محمد (ص) ونحن آل يس".[652] وأنه قــال أيضا:" إن الله تعــالى أوحى إلى نبيه عنــدما عرج به إلى السـماء: يا محمد صلِّ على نفسك وعلى أهل بيتـك، فقال: صلى الله عليَّ وعلى أهل بيتي وقد فعل".[653]

ومن الواضح أن هـذا التفسـير لكلمة "الآل" بمعـنى "الأهـل" يضـيِّق المعــنى العــام الواسع الــذي يشــمل جميع المســلمين المتبعين للنبي ليحصره في الأهل والذرية، ولما كـان هـؤلاء فيهم الصالح والطالح، فقد قام الإمامية بحصر المعنى في إطار أضـيق فنقلـوا عن الصـادق أنه قـال:"إذا قـاموا بشـرائط شـريعته كـانوا آله". وذلك حتى ينسجم التفسير الجديد مع نظرية الإمامة الإلهية لأهل البيت، أو يقترب منها.

ويروي الإمامية رواية مرسـلة عن عليّ بن موسى الرضـا، أنه حضر مجلس المأمون وقد اجتمع فيه جماعة علمـاء أهل العـراق وخراســان، فقــالت العلمــاء: هــذا رســول الله يُــؤثَر عنه أنّه قال:"أمّتي آلي"، وهؤلاء أصحابه يقولون بالخبر المستفيض الـذي

---

652 - الطباطبائي، تفسير الميزان ،عن المعاني، وعيون أخبار الرضـا، عن الصادق والرضا

653 - الكليني، الكافي، ح رقم **5712 - 1**

لا يمكن دفعه:"آل محمّد أمّتُه". ولكن الرضا فسر "الآل" بـالعترة والقربى، واستدل على ذلك بتأويل عدد من الآيات القرآنية.[654]

وبعد تفسير الإمامية "الآل" بالأهل، وتقـديم "الأئمة العلـويين الحسينيين" كأبرز مصداق، أو المصـداق الوحيد للأهـل، دون بقية البطون الهاشمية والعلوية والحسنية والحسينية، قاموا باستخدام "الصــلاة على محمد وآل محمــد" كــأداة إعلامية سياســية في الترويج لهم، واعتبار الصلاة على "آل محمـد" حقا من حقـوقهم. كما نقلوا عن الصادق أنه قال : إن أباه (الباقر) سمع رجلا متعلقا بالبيت وهو يقول: اللهم صل على محمـد، فقـال له :" يا عبد الله لا تبترهـــا، لا تظلمنا حقنا، قــــل: اللهم صل على محمد وأهل بيته".[655]

ويلاحظ في هذا الحديث والحديث الأسبق: استبدال كلمة "أهل بيتي" أو "أهل بيته" بكلمة "آل محمد".

وبعد تفسير كلمة "الآل" بالأهل، قام الإمامية برواية أحـاديث عن الأئمة تحث الشـيعة على اسـتخدام "الصـلاة على محمد وآل محمد" في مختلف العبادات، كما روي عن البـاقر أنه قـال:" من قــال في ركوعه وســجوده وقيامــه: "صــلى الله على محمد وآل محمد " كتب الله له بمثل الركــوع والســجود والقيــام".[656] وأنه قال:" ما من شئ يُعبد الله به يـوم الجمعة أحب إلي من الصـلاة على محمد وآل محمـــــد". [657] وأنه أضـــاف جملة " الأوصـــياء المرضيين" إليها، من أجل تحديدها وتوضيح المـراد منهـا، فقـال: إذا صـليت يـوم الجمعة فقـل:" اللهم صل على محمد وآل محمد الأوصياء المرضيين بأفضل صـلواتك وبـارك عليهم بأفضل بركاتك والســـلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته " فإنه من قالها في دبر العصر كتب الله له مائة ألف حسنة ومحا عنه مائة ألف سيئة وقضى له بها مائة ألف حاجة ورفع له بها مائة ألف درجة.[658]

3 - برامج الأدعية

---

654 - ابن شـعبة الحـراني، تحف العقـول، ص 425، والمجلسـي، بحـار الأنوار، ج 25 ص 220

655 - الكليني، الكافي، كتاب الدعاء، باب الصـلاة على النـبي وأهل بيتـه، حديث رقم 21

656 - الكليني، الكافي، ح رقم 7 505 - 13

657 - الكليني، الكافي، ح رقم 5514 - 3

658 - الكليني، الكافي، ح رقم 5515 - 4

واعتمد الإعلام الإمـامي على برنـامج الأدعيـة، في عملية التعبئة النفســية والتربية الدينية للشــيعة، وضـــمَّن تلك الأدعية مفاهيم نظرية الإمامة، الـتي قـام بإدخالها في المنظومة العقدية الإسلامية، فروى عن (البـاقر أو الصـادق) أنه قـال: "من قـال:" اللهم إني أشـــهدك وأشـــهد ملائكتك المقـــربين وحملة عرشك المصـــطفين أنك أنت الله لا إله إلا أنت الـــرحمن الـــرحيم وأن محمدا عبدك و رسولك وأن فلان بن فلان إمامي ووليي وأن أباه رسـول الله (ص) وعليا والحسن والحسـين وفلانا وفلانـا، حـتى ينتهي إليـه، أئمـتي وأوليـائي، على ذلك أحيا وعليه أمـوت وعليه أبعث يوم القيامـة، وأبـرأ من فلان وفلان وفلان". فـإن مـات في ليلته دخل الجنة".[659]

وروى الإمامية عن أبي عبد الله أنه قـــال : " اللهم ... أصبحت على فطرة الإسـلام و كلمة الإخلاص وملة إبـراهيم ودين محمد... آل محمد أئمـتي ليس لي أئمة غـيرهم، بهم أأتم وإيـاهم أتـولى وبهم أقتـدي، اللهم اجعلهم أوليـائي في الـدنيا والآخـرة ، واجعلني أوالي أولياء هم وأعـادي أعـداء هم في الـدنيا والآخـرة، وألحقني بالصالحين وآبائي معهم ".[660]

وقالوا بأن البـاقر أوصى بقـراءة هـذا الـدعاء: تقـول إذا أصبحت:" أصبحتُ بالله مؤمنا على دين محمد وسنته، ودين علي وســـنته، ودين الأوصـــياء وســـنتهم، آمنت بســـرهم وعلانيتهم وشاهدهم وغائبهم، وأعوذ الله مما اسـتعاذ منه رسـول الله (ص) وعلي (ع) والأوصياء، وأرغب إلى الله فيما رغبوا إليه ولا حول ولا قـــوة إلا باللـــه".[661] وأنه قـــال : ما من عبد يقـــول حين يمسي ويصـــبح: " رضـــيت بالله ربا وبالإســـلام دينا وبمحمد (ص) نبيا وبـالقرآن بلاغا وبعلي إماما " ثلاثـا، إلا كـان حقا على الله العزيز الجبار أن يرضيه يوم القيامة.[662]

---

659 - الكليني، الكافي، كتاب الدعاء، باب القـول عند الإصـباح والإمسـاء، حديث رقم 3

660 - الكليني، الكافي، كتاب الدعاء، باب القـول عند الإصـباح والإمسـاء، حديث رقم 21

661 - الكليني، الكافي، كتاب الدعاء، باب القـول عند الإصـباح والإمسـاء، حديث رقم 4

662 - الكليني، الكافي، كتاب الدعاء، باب القـول عند الإصـباح والإمسـاء، حديث رقم 12

ورووا عن أبي عبد الله الصادق أنه علم أحد أصحابه هذا الدعاء : إذا أصبحت وإذا أمسيت، قل: "الحمد الله الذي يفعل ما يشاء ولا يفعل ما يشاء غيره، الحمد لله كما يحب الله أن يحمد، الحمد لله كما هو أهله، اللهم أدخلني في كل خير أدخلت فيه محمداً وآل محمد وأخرجني من كل سوء أخرجت منه محمداً وآل محمد وصلى الله على محمد وآل محمد ".[663]

وأنه قال: مهما تركت من شئ فلا تترك أن تقول في كل صباح ومساء: " اللهم.. احفظ إمام المسلمين بحفظ الإيمان، وانصره نصرا عزيزا وافتح له فتحا يسيرا واجعل له ولنا من لدنك سلطانا نصيرا، اللهم العن فلانا وفلانا والفرق المختلفة على رسولك وولاة الأمر بعد رسولك والأئمة من بعده وشيعتهم...".[664]

وبالإضافة إلى أدعية الصباح والمساء، نظم الإعلام الإمامي أدعية خاصة عند النوم والانتباه.[665]

وذكر الإمامية أن الأئمة أوصوا الشيعةَ بهذا الدعاء الخاص، لأجل تعجيل فرجهم، وهو: بعد حمد الله تبارك وتعالى والصلاة على النبي (ص): " اللهم كن لوليك (فلان بن فلان) في هذه الساعة، وفي كل ساعة وليا وحافظا وناصرا ودليلا وقائدا وعونا وعينا حتى تسكنه أرضك طوعا وتمتعه فيها طويلا ".[666] وطالبوا الشيعة بتلاوة الدعاء في ليالي شهر رمضان: " اللهم صل على محمد عبدك ورسولك سيد المرسلين وإمام المتقين ورسول رب العالمين ، اللهم صل على أمير المؤمنين ووصي رسول رب العالمين - ثم تسمي الأئمة حتى تنتهي إلى صاحبك، ثم تقول -: افتح له فتحا يسيرا وانصره نصرا عزيزا، اللهم أظهر به دينك وسنة نبيك حتى لا يستخفي بشيء من الحق مخافة أحد من الخلق اللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة تعز بها الإسلام وأهله وتذل بها النفاق وأهله وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك

---

663 - الكليني، الكافي، كتاب الدعاء، باب القول عند الإصباح والإمساء، حديث رقم 22

664 - الكليني، الكافي، كتاب الدعاء، باب القول عند الإصباح والإمساء، حديث رقم 23

665 - الكليني، الكافي، كتاب الدعاء، باب الدعاء عند النوم والانتباه، حديث رقم 2

666 - الكليني، الكافي، كتاب الدعاء، باب دعوات موجزة لجميع الحوائج، حديث رقم4- 6656

والقــادة في ســبيلك وترزقنا بها كرامة الــدنيا والآخــرة اللهم ما حملتنا من الحق فعرفناه وما قصرنا عنه فعلمناه".[667]

وزعم الإمامية أن الصـادق دعا الشـيعة إلى تأكيد الولاية لأهل الـبيت بعد الصـلاة ، وإعلان الخضـوع لهم، فقال: إذا فـرغت من صـلاتك فقـل: " اللهم إني أدينك بطاعتك وولايتك وولاية رسـولك وولاية الأئمة (عل) من أولهم إلى آخـرهم " وتسـميهم ثم قـل: " اللهم إني أدينك بطاعتك وولايتهم والرضا بما فضـلتهم بـه، غـير متكبر ولا مستكبر على معنى ما أنـزلت في كتابك على حـدود ما أتانا فيه وما لم يأتنا مؤمن مقر مسلم بـذلك راض بما رضـيت به يا رب أريد به وجهك والـــدار الآخـــرة مرهوبا ومرغوبا إليك فيه فأحيني ما أحييتني على ذلك وأمتني إذا أمتني على ذلك وابعثـني إذا بعثتني على ذلك..".[668]

وحاول الإعلام الإمامي أن يحيط بحياة الإنسان الشيعي من كل جوانبهـا، فلم ينسَ بتـذكيره بمكانة "الأئمـة" حـتى وهو يقـوم بطلي النـورة وإزالة شـعر العانـة، وتـأليف حـديث عن أحد الأئمة يعِدُ من يردد هـذا الـدعاء بتطهـير الله له من الأدنـاس في الدنيا ومن الذنوب، وإبدال شعره بشـعر لا يعصي اللـه، وتعويضه بكل شعرة من جسده ملكا يسبح له إلى أن تقـوم السـاعة ، كل تسـبيحة من تسـبيحهم تعـدل بـألف تسـبيحة من تسـبيح أهل الأرض.[669]

ومن الواضح أن هذا الدعاء "طلي النورة وإزالة شـعر العانة" ينطوي على محاولة ذكية جدا لربط جميع مفاصل حيـاة الإنسـان بالـدعاء للأئمـة، بما يشـبه في الحقيقية عملية تنـويم مغناطيسي فكري سياسي ديني، لا مثيل لها في التاريخ.

وحاول الإعلام الإمامي بواسطة تلك الأدعية ، أن يضمن الوعد لمن يقرأها ويعلن الولاء لـ"الأئمـة" ويتـبرأ من أعـدائهم، بالجنـة، وبرضـوان الله يـوم القيامـة، وأن يضـخم ثـواب الـدعاء بصـورة تتجاوز كثيرا من الأعمال الصالحة، وأن يقـوم بواسـطة بعض تلك الأدعية بعملية فصل نفسي بين الشـيعة وغـيرهم من المسـلمين الذين يصـفهم بــ: "المشـركين والفاسـقين" ويـأمر بلعنهم ولعن

---

667 - الكليني، الكافي، ح رقم 5494 - 6

668 - الكليني، الكافي، ح رقم 5160 - 26

669 - الكليني، الكافي ، ح رقم 12850 15

"الفــرق المختلفة على رســولك وولاة الأمر بعد رســولك والأئمة من بعده وشيعتهم".[670]

ومن البديهي أن الدعاء "للأئمـة" خصوصا بعد الصـلاة، يسـاهم في تكـــوين هالة دينية حـــولهم وإدخـــالهم في المنظومة العقدية الإســـلامية، كما ورد في أحد الأدعية : "اللهم إني أدينك بطاعتك وولايتك وولاية رسولك وولاية الأئمة من أولهم إلى آخرهم ".[671]

4- زيارات قبور "الأئمة"

وبالإضـــافة إلى الأدعية الـــتي تتضـــمن الصـــلاة على محمد وآل محمــد، والتوسل بهم إلى اللــه، وتقــديمهم بين يــدي الحاجة إلى الله من خلال الأدعية، فـــان الإعلام الإمـــامي، قـــام بسن طقس آخــر، مهم جــدا ، هي الزيــارات الــتي أوصى الشـيعة بتلاوتها عند قبــور الأئمة في مناســبات كثــيرة، والــتي تحتــوي على مختلف الأفكار الإمامية حول أئمة أهل البيت، وذلك من أجل غرســها في عقولهم وعواطفهم بصـورة عميقـة. والزيـارات كثـيرة وموجـودة في كتب خاصة، ولكنا سوف نذكر عددا صغيرا منها.

أ - زيارة أمير المؤمنين (علي بن أبي طالب)

" الســلام عليك يا ولي الله أنت أول مظلــوم وأول من غصب حقه صبرت واحتسبت حتى أتاك اليقين فأشــهد أنك لقيت الله وأنت شــهيد عــذب الله قاتلك بــأنواع العــذاب وجــدد عليه العذاب، جئتك عارفا بحقك مستبصرا بشأنك معاديا لأعدائك ومن ظلمك، ألقي على ذلك ربي إن شـاء الله يا ولى الله إن لي ذنوبا كثيرة فاشفع لي إلى ربك فإن لك عند الله مقاما محمودا معلوما وإن لك عند الله جاها وشفاعة وقد قال تعالي: " ولا يشـفعون إلا لمن ارتضى ".[672]

ب - زيــارة البقيع (الــذي يضم قبــور الأئمة الحسن وزين العابدين والباقر والصادق) وهي كما يلي:

670 - الكليني، الكافي، كتاب الدعاء، باب القـول عند الإصـباح والإمسـاء، حديث رقم 23

671 - الكليني، الكافي، ح رقم 5160 - 26

672 - الكليني، الكافي، ح رقم 8173 -1 و ح رقم 8174

" السلام عليكم أئمة الهدى، السلام عليكم أهل التقوى، السلام عليكم الحجة على أهل الـدنيا، السـلام عليكم القـوام في البرية بالقسط، السـلام عليكم أهل الصـفوة، السـلام عليكم أهل النجــوى، أشــهد أنكم قد بلغتم ونصــحتم وصــبرتم في ذات الله وكــذبتم وأسئ إليكم فعفــوتم، وأشــهد أنكم الأئمة الراشـــدون المهديون وأن طاعتكم مفروضة وأن قولكم الصدق وأنكم دعوتم فلم تجابوا وأمرتم فلم تطاعوا وأنكم دعائم الدين وأركان الأرض ولم تزالوا بعين الله ينسخكم في أصــلاب كل مطهر وينقلكم في أرحام المطهرات لم تدنسـكم الجاهلية الجهلاء ولم تشـرك فيكم فتن الأهــواء، طبتم وطــاب منبتكم، منَّ بكم علينا ديــان الــدين فجعلكم في بيــوت أذن الله أن ترفع ويــذكر فيها اســمه وجعل صــلواتنا عليكم رحمة لنا وكفـارة لـذنوبنا إذا اختـاركم لنا وطيب خلقنا بما منَّ به علينا من ولايتكم وكنا عنــده مســمين بفضــلكم معترفين بتصديقنا إياكم وهذا مقام من أسـرف وأخطأ واسـتكان وأقر بما جــنى ورجا بمقامه الخلاص وأن يسـتنقذه بكم مسـتنقذ الهلكى من الردى فكونـوا لي شـفعاء فقد وفـدت إليكم إذا رغب عنكم أهل الدنيا واتخذوا آيات الله هزوا واستكبروا عنها" .[673]

ج - زيارة الحسين

عن أبي عبد الله، قال: إذا أتيت قبر الحسين فائت الفرات واغتسل بحيـال قـبره وتوجه إليه وعليك السـكينة والوقـار حـتى تدخل إلى القبر من الجانب الشـرقي وقل حين تدخلـه: "السـلام على ملائكة الله المــنزلين، الســلام على ملائكة الله المــردفين، الســلام على ملائكة الله المســومين، الســلام على ملائكة الله الذين هم في هذا الحرم مقيمون " فـإذا اسـتقبلت قـبر الحسـين عليه السلام فقل: "السلام على رسـول اللـه، السـلام على أمين الله على رسـله وعـزائم أمـره والخـاتم لما سـبق والفـاتح لما اســـتقبل والمهيمن على ذلك كله والســـلام عليه ورحمة الله وبركاته " ثم تقول: " اللهم صل على أمير المؤمنين عبدك وأخي رسـولك الـذي انتجبته بعلمك وجعلته هاديا لمن شـئت من خلقك والــدليل على من بعثته برســالاتك وديــان الــدين بعــدلك وفصل قضـائك بين خلقك والمهيمن على ذلك كله والسـلام عليه ورحمة الله وبركاته ".

---

673 - الكليني، الكافي، ح رقم 8147

ثم تصـلى على الحسن والحسـين وسـائر الأئمة ثم تـأتي قـبر الحسـين ، فتقـول: " السـلام عليك يا ابن رسـول اللـه، السـلام عليك يا ابن أمير المؤمـنين صـلى الله عليك يا أبا عبد الله أشـهد أنك قد بلغت عن الله عز وجل ما أمرت به ولم تخش أحدا غـيره وجاهدت في سبيله وعبدته صـادقا حـتى أتـاك اليقين، أشـهد أنك كلمة التقوى وباب الهدى والعروة الـوثقى والحجة على من يبقى ومن تحت الثرى، أشهد أن ذلك سابق فيما مضى وذلك لكم فاتح فيما بقي أشـهد أن أرواحكم وطينتكم طيبة طـابت وطهـرت هي بعضـها من بعض مناً من الله ورحمة، وأشـهد الله وأشـهدكم أني بكم مؤمن ولكم تابع في ذات نفسي وشرائع ديني وخاتمة عملي ومنقلبي ومثواي وأسأل الله البر الرحيم أن يتم ذلك لي ... اللهم اجعلنا ممن ينصـره وتنصـره به وتمن عليه بنصـرك لـدينك في الدنيا والآخرة ".[674]

وينقل الإمامية عن أبي عبد الله أنه حضَّ الشـيعة على زيـارة الحسـين، وقـال لبشـير الـدهان الـذي أخـبره بأنه ربما فاته الحج فيعرِّف عند قبر الحسين، أي يزوره يوم عرفة، فقال له: أحسنت يا بشير أيما مؤمن أتى قبر الحسين عارفا بحقه في غير يوم عيد كتب الله له عشـرين حجة وعشـرين عمـرة مـبرورات مقبـولات وعشرين حجة وعمرة مع نبي مرسل أو إمام عدل، ومن أتاه في يوم عيد كتب الله له مائة حجة ومائة عمرة ومائة غـزوة مع نـبي مرسل أو إمـام عـدل. فقـال بشـير: كيف لي بمثل الموقـف؟ فنظر إليه شبه المغضب ثم قال له: يا بشـير إن المـؤمن إذا أتى قـبر الحسـين يـوم عرفة واغتسل من الفـرات ثم توجه إليه كتب الله له بكل خطـوة حجة بمناسـكها - ولا أعلمه إلا قـال: وغـزوة -.[675]

وفي رواية أخرى عن صالح النيلي عن أبي عبد الله أنه قال: من أتى قبر الحسـين عارفا بحقه كتب الله له أجر من أعتق ألف نسـمة وكمن حمل على ألف فـرس مسـرجة ملجمة في سـبيل الله.[676]

---

674 - الكليـني، الكـافي، ح رقم 18177 و ح رقم 8178- 2 و ح رقم 8179- 3

675 - الكليـني، الكـافي، ح رقم 8186 -1 و ح رقم 8187- 2 و ح رقم 8188 -3 و ح رقم8189- 4

676 - الكليني، الكافي، ح رقم 8190- 5

وعن هارون بن خارجة قال: سمعت أبا عبد الله يقول: وكل الله بقبر الحسين أربعة آلاف ملك شعث غير يبكونه إلى يــوم القيامة فمن زراه عارفا بحقــه شــيعوه حــتى يبلغــوه مأمنه، وإن مــرض عادوه غدوة وعشية، وإن مات شـهدوا جنازته واسـتغفروا له إلى يوم القيامة.[677]

وروى الإمامية عن أبي عبد الله أنه قال: من أتى قبر أبي عبد الله (الحســـين) عارفا بحقه غفر الله له ما تقـــدم من ذنبه وما تأخر.[678] وقال : إذا كان النصف من شعبان نـادى منـاد من الأفق الأعلى: ألا زائري قبر الحسين ارجعوا مغفـورا لكم وثـوابكم على ربكم ومحمد نبيكم.[679]

وقال سدير إن أبا عبد الله سألها: هل تـزور قـبر الحسـين في كل يوم؟ قال: جعلت فداك لا، قال: فما أجفاكم، قــال: فتزورونه في كل جمعـة؟ فقـال سـدير: لا، قـال: فتزورونه في كل شـهر؟ قال: لا، قال: فتزورونه في كل سنة؟ قال: قد يكون ذلـك، قـال: يا ســدير ما أجفــاكم للحســين! أما علمت أن لله عز وجل ألفي ألف ملك شـعث غـبر يبكـون ويـزورون لا يفـترون؟ وما عليك يا سدير أن تزور قبر الحسين في كل جمعة خمس مرات وفي كل يوم مـرة؟ قلت: جعلت فـداك إن بيننا وبينه فراسخ كثـيرة فقـال لي: اصـعد فـوق سـطحك ثم تلتفت يمنة ويسـرة ثم ترفع رأسك إلى السـماء ثم نحو القـبر وتقـول: "السـلام عليك يا أبا عبد الله السلام عليك ورحمة الله وبركاته " تكتب لك زورة والـزورة حجة وعمـرة، قـال: سـدير فربما فعلت في الشـهر أكـثر من عشـرين مرة.[680]

وحول كيفية الزيارة، روى الإمامية عن أبي عبد الله أنه قال:" إذا أردت زيارة الحسين فزره وأنت حـزين مكـروب شـعث مغـبر جائع عطشان وسـله الحـوائج وانصـرف عنه ولا تتخـذه وطنا".[681] وأنه وعد من زار أحدا من الأئمة من الفضل كمن زار رسول الله (ص).[682] ونقلــوا عنه أنه قــال:" يا علي من زارني في حيــاتي أو

---

677 - الكافي، الكليني، ح رقم 8191- 6 و ح رقم 8192 -7

678 - الكافي، الكليني، ح رقم 8195 - 10

679 - الكليني، الكـافي، ح رقم 8219- 9 وروي عن موسى بن جعفر أنه قــال: أدنى ما يثــاب به زائر أبي عبد الله بشط الفــرات إذا عــرف حقه وحرمته وولايته: أن يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. الكافي، الكليــني، ح رقم 8194 - 9

680 - الكليني، الكافي ،ح رقم 8218- 8

681 - الكليني، الكافي ، ح رقم 8212 -2

682 - الكليني، الكافي، ح رقم 18183

بعد مـــــــــوتي أو زارك في حياتك أو بعد موتك أو زار ابنيك في حياتهما أو بعد موتهما ضـــمنت له يـــوم القيامة أن أخلصه من أهوالها وشـدائدها حـتى أصـيره معي في درجـتي".[683] وأنه قـال ليونس بن أبي وهب القصري ، الـذي جـاءه دون أن يـزور الإمـام علي:" بئس ما صـنعت.. لـولا أنك من شـيعتنا ما نظـرت إليك ألا تـــزور من يـــزوره الله مع الملائكة ويـــزوره الأنبيـــاء ويـــزوره المؤمنون؟ اعلم أن أمير المؤمنين (ع) أفضل عند الله من الأئمة وله ثواب أعمالهم وعلى قدر أعمالهم فضلوا".[684]

وعن زيد الشـحام قـال: قلت لأبي عبد الله : ما لمن زار رسـول الله (ص)؟ قال: كمن زار الله عز وجل فوق عرشـه، قـال: قلت فما لمن زار أحدا منكم؟ قال: كمن زار رسول الله (ص).[685]

وينقل الإمامية عن علي بن موسى الرضا "زيـارة" عامة لكل الأئمة.[686] وأنه يقــول : من زار قــبر أبي ببغــداد كمن زار قــبر رسـول الله (ص)، وقـبر أمـير المؤمـنين (ص) إلا أن لرسـول الله ولأمير المؤمنين صلوات الله عليهما فضلهما.[687] بينما ينقلون عن الجواد أنه قال: من زار قبر أبي بطوس غفر الله له ما تقـدم من ذنبه وما تـأخر، وبـنى الله له منـبرا في حـذاء منـبر محمد وعلي عليهما السلام حـتى يفـرغ الله من حسـاب الخلائـق.[688] في حين ينقلون عن علي الهادي التوصية بزيارة الكاظم والجواد.[689]

وبما أن هـدف الزيـارة هو تمـتين العلاقة بين الشـيعة والأئمة، وأن كثيرا من الشيعة لا يستطيع القيام بالزيارة، لأسباب عديدة، وبالتـالي لا يتحقق الهـدف، فقد نقل الإعلام الإمـامي عن أبي عبد الله أنه قال: " إذا بعدت بأحـدكم الشـقة ونـأت به الـدار فليعلُ أعلى منزله وليصل ركعتين وليؤم بالسلام إلى قبورنا فـإن لك يصل إلينا".[690]

---

683 - الكليني، الكافي، ح رقم 8184 -2
684 - الكليني، الكافي، ح رقم 8185 -3
685 - الكليني، الكافي، ح رقم 8204 -5
686 - الكليني، الكافي، ح رقم 8182 -2
687 - الكافي، الكليني، ح رقم 8197 -1
688 - الكليني، الكافي، ح رقم 8202 -3
689 - الكليني، الكافي، ح رقم 18181
690 - الكليني، الكافي ، ح رقم 8211 -1

ولكي يضفي الإعلام الإمـامي هالة قدسـية على أمـاكن دفن "الأئمـة"، قـام بمقارنتها بـالحرمين مكة والمدينـة، فـروى خلاد القلانســي، عن أبي عبد الله أنه قــال:"الصــلاة بمكة بمائة ألف صلاة والدرهم فيها بمائة ألف درهم، والصلاة في المدينة بعشـرة آلاف صلاة والدرهم فيها بعشرة آلاف درهم، والصـلاة في الكوفة بألف صلاة والدرهم فيها بألف درهم".[691] وقال أبو بصير: سمعت أبا عبد الله يقـول:" تتم الصـلاة في أربعة مـواطن: في المسـجد الحـــرام ومســـجد الرســـول (ص) ومســـجد الكوفة وحـــرم الحسـين".[692] وقـال أبو شـبل إن أبا عبد الله نصـحه بزيـارة قـبر الحسين وإتمـام الصـلاة فيـه، وعنـدما قـال له: إن بعض أصـحابنا يرون التقصير، قال: إنما يفعل ذلك الضعفة.[693]

---

691 - الكليني، الكافي ، ح رقم 8205 -1

692 - الكليني، الكـافي ، ح رقم 8206 -2 و ح رقم 8207- 3 و ح رقم 8208 -4 و ح رقم 8209 -5

693 - الكليني، الكافي ، ح رقم 8210 -6

ومن الجدير بالذكر أن زيارة قبور الأموات بهدف الدعاء لهم وقراءة الفاتحة، عمل مشروع في الإسلام، ولكن الزيارات التي ينقلها الإمامية عن "الأئمة" ويقولون أنهم كانوا يوصون بها شيعتهم لزيارتهم بالصيغ المحددة، والمضامين الآنفة، هو عمل إعلامي سياسي يهدف إلى ترسيخ الولاء لهم والبراءة من أعدائهم، كما رأينا مثلا في زيارة أمير المؤمنين، التي تقول: " أنت أول مظلوم وأول من غصب حقه.. جئتك عارفا بحقك مستبصرا بشأنك معاديا لأعدائك ومن ظلمك".[694] وتقول:" أتيتك يا أمير المؤمنين عارفا بحقك مستبصرا بشأنك معاديا لأعدائك مواليا لأوليائك.. وأتولى آخركم بما توليت به أولكم وكفرت بالجبت والطاغوت واللات والعزى".[695]

وكما لاحظنا فإن إحدى الزيارات حاولت رسم صورة مغالية للأئمة – وهي لا شك من وضع الغلاة - حيث تخاطبهم وكأنهم مفتاح الكون، وأداة الخلق وواسطة المطر، حيث تقول:" بكم فتح الله وبكم يختم، وبكم يمحو ما يشاء وبكم يثبت.. وبكم تنبت الأرض أشجارها، وبكم تخرج الأشجار أثمارها، وبكم تنزل السماء قطرها ورزقها... إرادة الرب في مقادير أموره نهبط إليكم وتصدر من بيوتك" ثم تصل إلى الهدف السياسي من كل ذلك الغلو فتقول:" لعنت أمة قتلتكم وأمة خالفتكم وأمة جحدت ولايتكم".[696]

وتقوم "زيارة" أخرى بالمزج بين إعلان العقيدة الإمامية بأن الحسين "حجة الله في أرضه وشاهده على خلقه" وبين الاعتراف بالذنوب في حضرته تمهيدا لطلب الشفاعة عند الله.[697] واضعة الحسين واسطة بين الإنسان والله، خلافا للتعاليم الإسلامية القرآنية التي تحث على طلب المغفرة المباشرة من الله.

---

[694] - الكليني، الكافي، ح رقم 8173 -1
[695] - الكليني، الكافي، ح رقم 8174
[696] - الكليني، الكافي، ح رقم 8178 2
[697] - الكليني، الكافي، ح رقم 8179- 3

وعندما تصبح زيارة الحسين عملا دينيا مقدسا، يرتفع أجرها ليقارب أجر الحج والعمرة، أو يزيد عنهما بكثير.[698] بل تقول رواية أخرى بأن الله يغفر لزائر الحسين ما تقدم من ذنبه وما تأخر.[699] وهو ما لم يعد الله به زائر بيته الحرام في مكة أن يغفر له ما تأخر من ذنبه.

وكل هذه الروايات تهدف، كما هو واضح، إلى تشجيع الناس على زيارة الحسين، كنوع من التظاهر السياسي الديني، الذي يصب في خانة "الأئمة" الأحياء ويعزز من شوكتهم. بالرغم من أنها لم توضح أساس تلك الدعاوى بالأجر الجزيل الذي يفوق أجر الحج والعمر والجهاد في سبيل الله عشرات المرات، ولم تستدل بآية من القرآن الكريم أو حديث نبوي، وإنما اعتمادا على كون "الأئمة" مصدرا من مصادر العلم الإلهي والدين.

وهناك مجال كبير لمناقشة تلك الروايات والزيارات، والتساؤل عن صحة نسبتها لأئمة أهل البيت، ولكنا لسنا الآن في معرض مناقشتها، وإنما نهدف تبيان دورها في خطة الإعلام والتعبئة النفسية الدينية للشيعة، وشدهم نحو أئمة أهل البيت أحياء وأمواتا.

5 - الشفاعة يوم القيامة

وقام الإعلام الإمامي بشد الشيعة نحو "الأئمة" بعملية تعبوية مهمة أخرى هي "الشفاعة". التي نسبها الإمامية للأئمة كجائزة لشيعتهم يوم القيامة، ووعدٍ لهم في مقابل ما يقومون به من أعمال وتضحيات وزيارات ومواقف ولائية تجاههم. وبغض النظر عن آثار عقيدة الشفاعة السلبية على التزام البعض بالأحكام الإسلامية، فإن العزف على وتر الذنوب والوعد بالشفاعة، شكل فقرة مهمة في النشاط الإعلامي الذي كان يقوم به الإمامية لتصوير "الأئمة" بأنهم ذوي مكانة دينية خاصة وعالية عند الله، تشبه مكانة الأنبياء والملائكة، بحيث يمتلكون القدرة على الشفاعة يوم القيامة، وإنقاذ العاصين من النار، كما يروون في حديث منسوب للإمام علي بن موسى الرضا يقول فيه:" إن لكل إمام عهدا في عنق أوليائه وشيعته وإن من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقا بما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعاءهم يوم

[698] - الكليني، الكافي، ح رقم 8186 -1
[699] - الكافي، الكليني، ح رقم8193 – 8 و ح رقم 8195 - 10

القيامة". [700] أو كما يـروون في حـديث آخر منسـوب الى الإمـام موسى الكـاظم، يعِـدُ فيه أحد أصـحابه (عليَ بن المغـيرة) بـأن يكــون مع "الأئمــة" يــوم القيامــة، وذلك في مقابل قيامه بختم القـــرآن وإهـــداء ثوابه لرســـول الله (ص) ولعلي (ع) وفاطمة والأئمة الآخرين، ولما تساءل ابن المغيرة متعجبـاً: الله أكـبر فلي بذلك؟ قال: نعم، ثلاث مرات.[701]

[700] - الكليني، الكافي، ح رقم 8171 -2

[701] - الكليني، الكافي، كتاب فضل القرآن، باب في كم يقرأ القرآن ويختم، ح رقم 4

ويروي الإمامية أيضا أن الباقر وعد شيخا بالجنة بعدما وقف الشيخ على باب داره وسلم عليه، وقال: والله إني لأحبكم وأحب من يحبكم، ووالله ما أحبكم وأحب من يحبكم لطمع في دنيـــــا. والله إني لأبغض عـدوكم وأبـرأ منـه، ووالله ما أبغضه وأبـرأ منه لـوتر كـان بيـني وبينـه. والله إني لأحل حلالكم وأحـرم حـرامكم وأنتظر أمركم فهل ترجو لي جعلني الله فـداك؟ فقـال البـاقر: " إن تَمُتْ ترِدْ على رســـــــــول الله (ص) وعلى علي والحسن و الحسين وعلي بن الحسـين ويثلج قلبك ويـبرد فـؤادك وتقر عينك وتســتقبل بــالروح والريحــان مع الكــرام الكــاتبين ولو قد بلغت نفسك ههنا - وأهوى بيـده إلى حلقـه- وإن تعش تـرى ما يقر الله به عينك وتكــون معنا في الســنام الأعلى". ثم أقبل بوجهه على القـوم فقـال: من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا.[702]

ولم يقتصر الإعلام الإمامي على ادعاء قيام "الأئمة" بالشفاعة للمتبعين الصالحين، وإنما الشفاعة خصوصا للعاصـين والمـذنبين، فقد روى الإمامية عن زياد الأسود بأنه كان يقترف الذنوب، حـتى خاف على نفسه من الهلاك، حتى ذهب لأبي جعفر، وقال له: إني ألـمُّ بالذنوب حتى إذا ظننت أني قد هلكت ذكرت حبكم فرجــوت النجاة وتجلى عني، فقـال أبو جعفـر: وهل الـدين إلا الحب؟ قـال الله تعـالى: "حبب إليكم الإيمـان وزينه في قلـوبكم" وقـال: "إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله" وقال: " يحبون من هـاجر إليهم" إن رجلا أتى النـــبي (ص) فقــــال يا رســـول الله أحب المصلين ولا أصلي، وأحب الصوامين ولا أصوم؟ فقال له رســول الله (ص): أنت مع من أحببت ولك ما اكتســـبت. وأضـــاف أبو جعفر: ما تبغون وما تريـدون؟ أما إنها لو كـان فزعة من السـماء فزع كل قوم إلى مـأمنهم وفزعنا إلى نبينا وفـزعتم إلينـا.[703] ولا شك أن حــديث الإعلام الإمــامي عن وعد البــاقر للمــذنبين من الشيعة بتوفـير ملجأ آمن لهم يـوم القيامـة، كـان يجتـذب أعـدادا منهم للالتفاف حولهم، وتوثيق علاقتهم به.

---

[702] - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 30
[703] - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 35

ويبدو من خلال بعض الروايات أن "الإمامية" كانوا يتعرضون لضغوط هائلة من المجتمع، فكان الإعلام الإمامي يحاول أن يعزيهم، بتطمينهم على مستقبلهم وضمان الجنة لهم، حيث تقول إحدى الروايات التي ينسبها الإعلام الإمامي إلى الصادق أن أحد أصحابه اشتكى إليه مقاطعة الناس للشيعة قائلا: نحن عندهم أشر من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا. فقال أبو عبد الله: " أما والله لا يدخل النار منكم اثنان، لا والله ولا واحد، والله إنكم الذين قال الله عز وجل: "وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار، اتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار، إن ذلك لحق تخاصم أهل النار" ثم قال: طلبوكم والله في النار فما وجدوا منكم أحدا". [704]

ومثلما كان الإعلام الإمامي يعِد المذنبين من الشيعة بالشفاعة، فانه كان يهدد خصوم الأئمة، المحسنين الصالحين، بإحباط أعمالهم إذا لم يوالوا "الأئمة"، وروى الإعلام الإمامي عن أبي عبد الله أنه قال: ".. والله لو سجد حتى ينقطع عنقه ما قبل الله تبارك وتعالى منه إلا بولايتنا أهل البيت" وفسر آية: "والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون" بتقديم المحبة والولاء لأهل البيت مع الطاعة، وهم في ذلك خائفون، ليس خوفهم خوف شك ولكنهم خافوا أن يكونوا مقصرين في محبتنا وطاعتنا".[705]

وعن محمد بن سليمان، عن أبيه قال: كنت عند أبي عبدالله إذ دخل عليه أبو بصير وقد خفره النفس ، فلما أخذ مجلسه قاله له أبوعبدالله : يا أبا محمد ما هذا النفس العالي؟ فقال: جعلت فداك يا ابن رسول الله كبر سني ودق عظمي واقترب أجلي مع أنني لست أدري ما أَردُ عليه من أمر آخرتي، فقال أبوعبدالله : يا أبا محمد وإنك لتقول هذا؟! قال: جعلت فداك وكيف لا أقول هذا؟! فقال: يا أبا محمد أما علمت أن الله تعالى يكرم الشباب منكم ويستحيي من الكهول؟ قال: قلت: جعلت فداك فكيف يكرم الشباب ويستحيي من الكهول؟ فقال: يكرم الله الشباب أن يعذبهم ويستحيي من الكهول أن يحاسبهم، قال: قلت: جعلت فداك هذا لنا خاصة أم لأهل التوحيد؟ قال فقال: لا والله إلا لكم خاصة دون العالم، قال: قلت: جعلت فداك فإنا قد نُبزنا نبزا انكسرت له ظهورنا وماتت له أفئدتنا واستحلت له الولاة دماءنا في حديث رواه لهم فقهاؤهم، قال: فقال أبو عبد الله:

---

704 - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 32

705 - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب محاسبة العمل، ح رقم 15

"الرافضة"؟ قال: قـال: قلت: نعم، قـال: لا والله ما هم سـموكم ولكن الله سماكم به، أما علمت يا أبا محمد أن سـبعين رجلا من بـني إسـرائيل رفضـوا فرعـون وقومه لما اسـتبان لهم ضـلالهم فلحقـوا بموسى (ع) لما اسـتبان لهم هـداه فسـموا في عسـكر موسى "الرافضة" لأنهم رفضـوا فرعـون وكـانوا أشد أهل ذلك العسكر عبادة وأشدهم حبا لموسى وهارون وذريتهما (ع) فأوحى الله عز وجل إلى موسى (ع) أن أثبت لهم هذا الاسم في التوراة فإني قد سميتهم به ونحلتهم إيـاه، فـأثبت موسى (ع) الاسم لهم ثم ذخر الله عز وجل لكم هـذا الاسم حـتى نحلكموه، يا أبا محمد رفضوا الخير ورفضتم الشر، افترق الناس كل فرقة وتشعبوا كل شـعبة فانشـعبتم مع أهل بيت نـبيكم (ص) وذهبتم حيث ذهبـوا و اخـترتم من اختـار الله لكم وأردتم من أراد الله فابشـروا ثم ابشروا، فأنتم والله المرحومون المتقبل من محسنكم والمتجاوز عن مسيئكم، من لم يأت الله عز وجل بما انتم عليه يـوم القيامة لم يتقبل منه حسـنة ولم يتجـاوز له عن سـيئة، يا أبا محمد فهل سـررتك؟ قـال: قلت: جعلت فـداك زدني، فقـال: يا أبا محمد إن لله عز وجل ملائكة يسـقطون الـذنوب عن ظهـور شـيعتنا كما يسـقط الـريح الـورق في أوان سـقوطه وذلك قوله عز وجـل: " الـذين يحملـون العـرش ومن حوله يسـبحون بحمد ربهم. ويستغفرون للذين آمنوا" استغفارهم والله لكم دون هـذا الخلـق، يا أبا محمد فهل سررتك؟ قال: قلت: جعلت فداك زدني، قال: يا أبا محمد لقد ذكركم الله في كتابه فقـال: " من المؤمـنين رجـال صـدقوا ما عاهـدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا" إنكم وفيتم بما أخذ الله عليه ميثـاقكم من ولايتنا وإنكم لم تبـدلوا بنا غيرنا ولو لم تفعلـوا لعـيركم الله كما عيرهم حيث يقول جل ذكره: " وما وجـدنا لأكـثرهم من عهد وإن وجدنا أكـثرهم لفاسـقين" يا أبا محمد فهل سـررتك؟ قـال: قلت: جعلت فـداك زدني فقـال: يا أبا محمد لقد ذكـركم الله في كتابه فقال: " إخوانا على سرر متقابلين" والله ما أراد بهـذا غـيركم، يا أبا محمد فهل سررتك؟ قال: قلت: جعلت فـداك زدني، فقـال: يا أبا محمد " الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عـدو إلا المتقين" والله ما أراد بهـذا غـيركم، يا أبا محمد فهل سـررتك قـال: قلت: جعلت فداك زدني، فقال: يا أبا محمد لقد ذكرنا الله عز وجل وشيعتنا و عـدونا في آية من كتابه فقـال عز وجـل: " هل يسـتوي الـذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولـوا الألبـاب" فنحن الـذين يعلمون وعدونا الذين لا يعلمون و شيعتنا هم أولـوا الألبـاب، يا أبا محمد فهل سررتك؟ قال: قلت: جعلت فـداك زدني، فقـال: يا أبا

محمد والله ما استثنى الله عز وجل بأحد من أوصـياء الأنبيـاء ولا أتباعهم ما خلا أمير المؤمنين (ع) وشـيعته فقـال في كتابه وقوله الحق: "يوم لا يغني مـولى عن مـولى شـيئا ، ولا هم ينصـرون إلا من رحم الله " يعــني بــذلك عليا (ع) وشــيعته، يا أبا محمد فهل سـررتك؟ قـال: قلت: جعلت فـداك زدني، قـال: يا أبا محمد لقد ذكركم الله تعالى في كتابه إذ يقـول: " يا عبـادي الـذين أسـرفوا على أنفســهم لا تقنطــوا من رحمة الله إن الله يغفر الــذنوب جميعا إنه هو الغفــور الــرحيم" والله ما أراد بهــذا غــيركم، فهل سررتك يا أبا محمد؟ قال: قلت: جعلت فداك زدني، فقــال: يا أبا محمد لقد ذكــركم الله في كتابه فقــال: " إن عبــادي ليس لك عليهم سـلطان" والله ما أراد بهـذا إلا الأئمة (ع) وشـيعتهم، فهل سررتك يا أبا محمد؟ قال: قلت: جعلت فداك زدني، فقــال: يا أبا محمد لقد ذكـركم الله في كتابه فقـال: " فأولئك مع الـذين أنعم الله عليهم من النبيين والصـديقين والشـهداء والصـالحين وحسن أولئك رفيقا" فرسـول الله صـلى الله عليه وآله في الآية النـبيون ونحن في هــذا الموضع الصــديقون والشــهداء وأنتم الصــالحون فتســموا بالصــلاح كما ســماكم الله عز وجــل، يا أبا محمد فهل سـررتك؟ قـال: قلت: جعلت فـداك زدني، قـال: يا أبا محمد لقد ذكركم الله إذ حكى عن عدوكم في النار بقولـه: " وقـالوا مالنا لا نـرى رجـالا كنا نعـدهم من الأشـرار. اتخـذناهم سـخريا أم زاغت عنهم الأبصار" والله ما عنى ولا أراد بهذا غيركم، صـرتم عند أهل هذا العالم شرار الناس وأنتم والله في الجنة تحبرون، وفى النــار تطلبــون يــا أبا محمد فهل ســررتك؟ قــال: قلت: جعلت فــداك زدني، قال: يا أبا محمد ما من آية نزلت تقود إلى الجنة ولا تـذكر أهلها بخير إلا وهي فينا وفي شيعتنا وما من آية نزلت تــذكر أهلها بشر ولا تسـوق إلى النــار إلا وهي في عــدونا ومن خالفنــا، فهل سررتك يا أبا محمد؟ قال: قلت: جعلت فداك، زدني، فقال: يا أبا محمد ليس على ملة إبراهيم إلا نحن وشيعتنا وسـائر النـاس من ذلك بــراء، يا أبا محمد فهل ســررتك؟ وفي رواية أخــرى فقــال: حسبي.[706]

وقد أدت فكــرة الشــفاعة ببعض الشـيعة إلى التســاهل في اقــتراف الــذنوب، حــتى ذهب بعض الغلاة إلى تأويل العبــادات والأحكـام الشـرعية بأشـخاص "الأئمـة"، والانتهـاء إلى التعطيل والإباحة والتحلل من كل المحرمــات، فقد روى يوسف بن ثــابت بن أبي سـعدة، عن أبي عبد الله أنه قـال:" الإيمـان لا يضر معه

---

[706] - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، حديث رقم 6

عمل وكــذلك الكفر لا ينفع معه عمــل".[707] وكــان الإيمــان في مفهومهم يعني الولاية "للأئمــة". ولكن "الأئمــة" أنفسـهم وقفـوا أمــام ذلك التفســير المغــالي المــؤدي للإباحية والانحلال، وقــام الإمـام الصـادق بتهديد المـذنبين بالنـار وحـذرهم من العـودة إلى المعاصي.[708]

ومن الواضح تناقض هذه الروايات الأخيرة مع الروايات السـابقة الـتي تبعث على الاتكـال على شـفاعة أهل الـبيت يـوم القيامــة، ومن المؤكد وضـعها أو تزويرها أو إضـافة أمــور إليهــا، ولكن رغم دعوة "الأئمة" لشيعتهم إلى العمل بالـدين، ووقــوفهم أمام الموجة الإباحية التي استندت إلى بعض الأحاديث المنســوبة كذبا إليهم، فإن مجرد الحـديث عن الشـفاعة يشد الشـيعة للأئمة من أجل تقديم الولاء لهم وزيارتهم بعد الوفاة، والاهتمام بهم في كل حين، في حين يبعث على قـــدر من التســـاهل في الالـــتزام بالدين، والاتكال على "الأئمة". وهو ما وقع فيه كثـير من الشـيعة قديما وحديثا.

6 - حضور "الأئمة" عند الوفاة

ومثلما طرح الإعلام الإمامي مسـألة الشـفاعة يـوم القيامة لشد الشيعة نحو "الأئمة" في الحيـاة الـدنيا، وتعميق الـولاء لهم، قــام ذلك الإعلام أيضا بالحــديث عن حضــور "الأئمــة" عند وفــاة الإنسان الشيعي، وإسـعافه في أول محطة من محطـات الآخــرة.[709] حيث نقل الإمامية عن أبي عبد الله أنه أقسم لأحد أصـــحابه أن الميت يــرى رســول الله (ص) وعليا ، وقــال لــه: يا عقبة لن تموت نفس مؤمنة أبدا حتى تراهما، فسأل عقبة: يقــولان شـيئا؟ قال: نعم، يدخلان جميعا على المـؤمن فيجلس رسـول الله (ص) عند رأسه وعلي (ع) عند رجليه فيكب عليه رســـــول الله (ص) فيقول: يا ولي الله أبشر أنا رسـول الله إني خـير لك مما تـركت

---

707 - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفـر، بـاب أن الإيمـان لا يضر معه سيئة والكفر لا ينفع معه حسنة، ح رقم 4

708 - الكليني، الكافي، ح رقم 10034 ـ 9 و كتاب الإيمان والكفر، باب أن الإيمان لا يضر معه سيئة والكفر لا ينفع معه حسـنة، ح رقم 5 و كتـاب الإيمان والكفر، باب الخوف والرجـاء، ح رقم 6 و 11و كتـاب الروضـة، ح رقم 8ـ 35 و ح رقم 4831 – 15 و كتاب الإيمان والكفـر، بـاب الطاعة والتقوى، ح رقم 6 و 13

709 - الكليني، الكافي، ح رقم 4323 - 2

من الدنيا ثم ينهض رسول الله (ص) فيقـوم علي (عليه السـلام) حتى يكب عليه، فيقول: يا ولي الله أبشر أنا علي بن أبي طـالب الـذي كنت تحبه أما لأنفعنـك. ثم قـال أبو عبد اللـه: إن هـذا في كتاب الله عز وجـل، فتعجب عقبة وقـال: أين جعلـني الله فـداك هذا من كتاب الله؟ قـال: في يـونس قـول الله عز وجل ههنـا: " الـذين آمنـوا وكـانوا يتقـون لهم البشـرى في الحيـوة الـدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ".[710]

واستنادا لأحاديث تؤكد على عودة الميت إلى الحياة في قبره، توصي أحـاديث أخـرى، ينقلها الإعلام الإمـامي، على تلقين الميت عند دفنه بمبادئ الـدين والولايـة. كما في رواية عن أبي عبد الله يقول فيهـا: إذا أردت أن تـدفن الميت ... تـدني فمك إلى سـمعه وتقـــول: " اســـمع افهم - ثلاث مـــرات - الله ربك ومحمد نبيك والإسلام دينك - وفلان - إمامك اسمع وافهم " وأعـدها عليه ثلاث مـرات هـذا التلقين.[711] وفي رواية أخـرى عن زرارة ، قـال: إذا وضعت الميت في لحـده قـرأت آية الكرسي واضـرب يـدك على منكبه الأيمن ثم قل: " يا فلان قل: رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد (ص) نبيا وبعلي إماما " وسم إمام زمانه.[712]

وعن أبي بكر الحضرمي قال: قلت لأبي جعفر: أصـلحك الله من المســؤولون في قبـورهم..وعمَّ يُسـألون؟ قـال: عن الحجة القائمة بين أظهـركم، فيقــال للمــؤمن: ما تقــول في فلان ابن فلان؟ فيقـول: ذاك إمـامي، فيقـال: نم أنـام الله عينك. ويفتح له باب من الجنة فما يزال يتحفه من روحها إلى يوم القيامة ويقــال للكافر: ما تقول في فلان ابن فلان؟ قال: فيقول: قد سـمعت به وما أدري ما هو، فيقال له: لا دريت . قال: ويفتح له باب من النار فلا يزال يتحفه من حرها إلى يوم القيامة.[713]

وروى الإمامية عن أبي عبد الله أنه قـــال: يُســـأل الميت في قــبره عن خمس، عن صــلاته وزكاته وحجه وصــيامه وولايته إيانا أهل البيت فتقـول الولاية من جـانب القـبر للأربـع: ما دخل فيكن من نقص فعليَّ تمامه.[714]

وبغض النظر عن صحة نسبة تلك الروايات للأئمة، فإن هذه الروايـات الـتي انتشـرت بين الشـيعة وصـدقها ويصـدقها الكثـير

---

710 - الكليني، الكافي، ح رقم 4324 - 1
711 - الكليني، الكافي، ح رقم **- 5**
712- الكليني، الكافي، ح رقم 4571 - 7
713 - الكليني، الكافي، ح رقم 4720 - 8
714 - الكليني، الكافي، ح رقم 4727 - 15

منهم، لعبت دورا كبيرا في عملية التعبئة النفسية والسياسية وشد الشيعة إلى "الأئمة".

7 - الدفن في "وادي السلام"

وإضافة إلى كل ما سبق ، قام الإعلام الإمامي بالتحدث عن مصير أرواح المؤمنين (الشيعة) بعد الموت، واجتماعها في "وادي السلام" الكائن في ظهر الكوفة (النجف) واستخدام ذلك وسيلة من وسائل الربط بين الشيعة و"الأئمة".[715]

ونقل الإمامية حديثا عن أبي عبد الله، أنه قال لرجل (أحمد بن عمر) اشتكى له خوفه من موت أخيه ببغداد، فقال له: ما تبالي حيثما مات، أما إنه لا يبقى مؤمن شرق الأرض وغربها إلا حشر الله روحه إلى وادي السلام، فقال: وأين وادي السلام؟ قال: ظهر الكوفة، أما إني كأني بهم حلق حلق قعود يتحدثون.[716]

وتحاول الأحاديث التي ينقلها الإعلام الإمامي بهذا الشأن العزف على وتر الشفاعة والخوف من الموت وما بعد الموت، بهدف زرع الولاء لأئمة أهل البيت والتبرؤ من أعدائهم وخصومهم السياسيين، وشد الشيعة إليهم. ويبدو أنها نجحت في ترك أثر كبير في نفوس الشيعة الذين يحرص الكثير منهم على الدفن في مقبرة "وادي السلام" في النجف، ونقل جثمانه من مسافات بعيدة وبشق الأنفس إليها، أملا بالفوز بشفاعة "الأئمة" والنجاة من النار.

8 - الحج وميثاق الولاية

بالإضافة إلى كل ما سبق من مفردات إعلامية خالصة، قام الإعلام الإمامي باستغلال شعيرة الحج ليضفي عليها طابعا شيعيا مميزا، وذلك من خلال تفسير موضوع الحجر الأسود ، الذي حبك حوله قصة تصب في موضوع الولاء لـ"لأئمة". ولسنا نعرف حقيقة الرواية الواردة عن الإمام الصادق، ومدى صحتها، إذ يوجد بين رجالها الضعيف (كابن سنان) الذي يحتمل أن يكون مختلق الرواية، ولكنها تؤدي دورا إعلاميا بصرف أنظار الشيعة وهم يطوفون حول البيت الحرام، ويقبلون الحجر الأسود، إلى مسألة

---

[715] - الكليني، الكافي، ح رقم 4734 - 1

[716] - الكليني، الكافي، ح رقم 4735 - 2

الولاية لــ"الأئمــة"، وتطــالبهم بــإعلان العهد لهم، وتؤكد لهم بــأن الحجر الأسود يحفظ كلام الحجاج ويشهد لهم يوم القيامة.

تقول الرواية عن بكير بن أعين أنه : سأل أبا عبدالله (ع) لأي علة وضع الله الحجر في الــركن الــذي هو فيه ولم يوضع في غيره؟ ولأي علة تقبل؟ ولأي علة اخرج من الجنــة؟ ولأي علة وضع ميثاق العباد والعهد فيه ولم يوضع في غيره؟ وكيف السـبب في ذلك؟ تخبرني جعلني الله فداك فإن تفكري فيه لعجب. فقال (أبو عبد الله) : سألت وأعضلت في المسألة واستقصيت فـافهم الجواب وفرِّغ قلبك وأصغ سـمعك أخـبرك إن شـاء الله : إن الله تبارك وتعالى وضع الحجر الأسود وهى جوهرة أخرجت من الجنة إلى آدم (ع)، فوضـعت في ذلك الــركن لعلة الميثـاق وذلك أنه لما اخذ من بـــــني آدم من ظهـــــورهم ذريتهم حين أخذ الله عليهم الميثاق في ذلك المكـان وفي ذلك المكـان تـراءى لهم ومن ذلك المكان يهبط الطير على القائم (ع) فـأول من يبايعه ذلك الطـائر وهو والله جبرئيل (ع) وإلى ذلك المقام يسند القــائم ظهــره وهو الحجة والــدليل على القــائم وهو الشــاهد لمن وافا [ه] في ذلك المكان والشاهد على من أدى إليه الميثـاق والعهد الـذي أخذ الله عز وجل على العبــاد. وأما القبلة والاســتلام فلعلة العهد تجديــدا لذلك العهد والميثـاق وتجديـدا للبيعة ليـؤدوا إليه العهد الـذي أخذ الله عليهم في الميثاق فيأتوه في كل سنة ويـؤدوا إليه ذلك العهد والأمانة اللــذين أخــذا عليهم، ألا تــرى أنك تقــول: أمــانتي أديتها وميثـاقي تعاهدته لتشـهد لي بالموافـاة ووالله ما يـؤدي ذلك أحد غير شـيعتنا ولا حفظ ذلك العهد والميثـاق أحد غـير شـيعتنا وإنهم ليأتوه فيعرفهم ويصدقهم ويأتيه غيرهم فينكرهم ويكــذبهم و ذلك أنه لم يحفظ ذلك غـيركم فلكم والله يشـهد وعليهم والله يشـهد بــالخفر والجحــود والكفر وهو الحجة البالغة من الله عليهم يــوم القيامة يجيء وله لسان ناطق وعينــان في صـورته الأولى يعرفه الخلق ولا ينكره، يشـهد لمن وافـاه وجـدد العهد والميثـاق عنـده، بحفظ العهد والميثـــاق وأداء الأمانة ويشـــهد على كل من أنكر وجحد ونسي الميثاق بالكفر والإنكار. فأما علة ما أخرجه الله من الجنة فهل تــدري ما كــان الحجــر؟ قلت: لا قــال كــان ملكا من عظماء الملائكة عند الله فلما أخذ الله من الملائكة الميثـاق كـان أول من آمن به وأقر ذلك الملك فاتخـــــذه الله أمينا على جميع خلقه فألقمه الميثـاق وأودعه عنــده واســتعبد الخلق أن يجــددوا عنده في كل سنة الإقرار بالميثاق والعهد الذي أخذ الله عز وجل عليهم، ثم جعله الله مع آدم في الجنة يذكره الميثاق ويجدد عنده

الإقرار في كل سنة فلما عصى آدم واخـرج من الجنة أنسـاه الله العهد والميثـاق الـذي أخـذه الله عليه وعلى ولـده لمحمد (ص) ولوصيه (ع) وجعله تائها حيرانا، فلما تاب الله على آدم حول ذلك الملك في صـورة درة بيضـاء فرمـاه من الجنة إلى آدم (ع) وهو بـأرض الهند فلما نظر إليه آنس إليه وهو لا يعرفه بـأكثر من أنه جوهرة وأنطقه الله عز وجل فقال له: يا آدم أتعرفـني؟ قـال: لا، قـال: أجل استحوذ عليك الشيطان فأنسـاك ذكر ربك ثم تحـول إلى صـورته الـتي كـان مع آدم في الجنة فقـال لآدم: أين العهد والميثـاق فـوثب إليه آدم وذكر الميثـاق وبكى وخضع له وقبله وجدد الإقرار بالعهد والميثـاق ثم حوله الله عز وجل إلى جـوهرة الحجر درة بيضـاء صـافية تضئ فحمله آدم (ع) على عاتقه إجلالا له وتعظيما فكان إذا أعيا حمله عنه جبرئيل (ع) حتى وافا به مكة فما زال يأنس به بمكة ويجدد الإقرار له كل يوم وليلة ثم إن الله عز وجل لما بنى الكعبة وضع الحجر في ذلك المكـان لأنه تبـارك وتعالى حين أخذ الميثاق من ولد آدم أخذه في ذلك المكـان وفي ذلك المكـان ألقم الملك الميثـاق ولـذلك وضع في ذلك الـركن ونحى آدم من مكـان الـبيت إلى الصـفا وحـوا إلى المـروة ووضع الحجر في ذلك الـركن فلما نظر آدم من الصـفا وقد وضع الحجر في الركن كـبر الله وهلله ومجـده فلـذلك جـرت السـنة بـالتكبير واسـتقبال الـركن الـذي فيه الحجر من الصـفا فـإن الله أودعه الميثـاق والعهد دون غـيره من الملائكة لأن الله عز وجل لما أخذ الميثـاق له بالربوبية و لمحمد (ص) بـالنبوة ولعلي (ع) بالوصـية اصـطكت فـرائص الملائكة، فـأول من أسـرع إلى الإقـرار ذلك الملك لم يكن فيهم أشد حبا لمحمد وآل محمد (ص) منه ولـذلك اختاره الله من بينهم وألقمه الميثـاق وهو يجيء يـوم القيامة وله لسان ناطق وعين ناظرة يشهد لكل من وافـاه إلى ذلك المكـان وحفظ الميثاق.[717]

9 - طينة المؤمن وطبيعته

ولم يتوقف الإعلام الإمـامي في الحـديث عند عظمة "الأئمـة" وتبيان مكانتهم وقدراتهم وقيامهم بدور الشفاعة يوم القيامة، وما إلى ذلـك، وإنما قـام أيضا بتقوية معنويـات الشـيعة في مواجهة

---

[717] - الكليني، الكافي، ح رقم 36731 والرواية ينقلها الكليني عن محمد بن يحيى وغيره، عن محمد بن أحمد، عن موسى بن عمر، عن ابن سـنان، عن أبي سعيد القماط، عن بكير بن أعين عن أبي عبد الله.

الضـغوط الشـديدة والكثـيرة الـتي كـانوا يتعرضـون لها في تلك الأيـام، سـواء من قبل الأنظمة السياسـية أو الحركـات المعارضة لهم أو المجتمع الـرافض لمقـولاتهم بصـورة عامـة. فتحـدث عن طبيعة مختلفة للمؤمـــنين (أي الشـــيعة) وطينة قريبة من طينة "الأئمة"، فنقل رواية عن علي بن الحسين أنه قـال:" إن الله عز وجل خلق النبيين من طينة عليين: قلوبهم وأبدانهم، وخلق قلوب المؤمــنين من تلك الطينة وخلق أبــدان المؤمــنين من دون ذلك وخلق الكفــار من طينة ســجين: قلــوبهم وأبــدانهم، فخلط بين الطينتين، فمن هذا يلد المؤمن الكافر ويلد الكـافر المـؤمن ومن ههنا يصـيب المـؤمن السـيئة ومن ههنا يصـيب الكـافر الحسـنة، فقلوب المؤمـنين تحن إلى ما خلقـوا منه وقلـوب الكـافرين تحن إلى ما خلقوا منه".[718]

ونقل رواية عن زرارة عن أبي جعفر يتحدث فيها عن عملية الخلق والاختيار في عالم سابق على الدنيا، يسميه "عالم الذر" ، وخلق المؤمنين من ماء عذب وخلق الكفـار من مـاء مـالح أجـاج وامتحـان الله لهم بـأمرهم بـدخول النـار "فلا يسـتطيع هـؤلاء أن يكونـوا من هـؤلاء ، ولا هـؤلاء من هـؤلاء".[719] "فَثَمَّ ثبتت الطاعة والولاية والمعصية".[720]

وروى الإعلام الإمامي رواية عن أبي عبد الله أنه قال:"إن الله عز وجل خلق المـــؤمن من طينة الجنة وخلق الكـــافر من طينة النـــار". وقـــال:"إذا أراد الله عز وجل بعبد خـــيراً طـــيَّب روحه وجسده فلا يسـمع شـيئا من الخـير إلا عرفه ولا يسـمع شـيئا من المنكر إلا أنكـــره". وأضـــاف:" الطينـــات ثلاث: طينة الأنبيـــاء والمـــؤمن من تلك الطينة إلا أن الأنبيـــاء هم من صـــفوتها، هم الأصل ولهم فضـلهم والمؤمنـون الفـرع من طين لازب، كـذلك لا يفـرق الله عز وجل بينهم وبين شـيعتهم. وطينة الناصب من حمأ مسـنون، وأما المستضـعفون فمن تـراب، لا يتحـول مـؤمن عن إيمانه ولا ناصب عن نصبه ولله المشيئة فيهم".[721]

---

718 - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب طينة المؤمن والكافر، ح رقم 1 و 4

719 - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، بـاب طينة المـؤمن والكـافر، باب آخر منه، ح رقم 1 و 2 و 3

720 - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، بـاب طينة المـؤمن والكـافر، باب آخر منه، ح رقم 1 و 3

721 - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب طينة المؤمن والكافر، ح رقم 2

وزعم صالح بن سهل أنه سأل أبا عبد الله :من أي شئ خلق الله عز وجل طينة المــؤمن فقــال:"من طينة الأنبيــاء، فلم تنجس أبدا". [722] وأنه قال:" إن في الجنة لشجرة تسـمى المـزن، فـإذا أراد الله أن يخلق مؤمنا أقطر منها قطـرة، فلا تصـيب بقلة ولا ثمرة أكل منها مؤمن أو كافر إلا أخرج الله عز وجل من صلبه مؤمنا". [723]

وحكى رجل يدعى (عبد الله بن كيسـان) أنه اسـتغرب من تحلي غـير الشـيعة بالصـفات الحميـدة، واتصـاف بعض الشـيعة بصفات مذمومة، فقال للإمام الصادق: إني ولدت بالجبل ونشأت في أرض فارس وإنـني أخالط النـاس في التجـارات وغـير ذلـك، فأخالط الرجــل، فـأرى له حسن السـمت وحسن الخلق وكـثرة أمانـة، ثم أفتشه فأتبينه عن عـداوتكم، وأخالط الرجل فـأرى منه ســوء الخلق وقلة أمانة وزعــارة، ثم أفتشه فأتبينه عن ولايتكم، فكيف يكون ذلك؟ فقال له الصادق: أما علمت يا ابن كيســان أن الله عز وجل أخذ طينة من الجنة وطينة من النــــــار، فخلطهما جميعـا، ثم نـزع هـذه من هـذه ، وهـذه من هـذه، فما رأيت من أولئك من الأمانة وحسن الخلق وحسن السمت فمما مستهم من طينة الجنة وهم يعودون إلى ما خلقـوا منـه، وما رأيت من هـؤلاء من قلة الأمانة وسـوء الخلق والزعـارة، فمما مسـتهم من طينة النار وهم يعودن إلى ما خلقوا منه". [724]

وهـذه الأحـاديث تنطـوي - كما هو واضح - على عقيـدة الجـبر، المرفوضة من الشـيعة قـديما وحـديثا، ويمكن القـول أنها أحاديث إعلامية سياسية نفسـية خياليـة، كـانت تحـاول سد الخلل الحاصل في نفــوس الشــيعة "الإماميــة" من الضـغوط الداخلية والخارجيـة، وأنها كـانت تحـاول أيضا سد الطريق على الأصـوات الشيعية التي كانت ترفض الكثير من النظريـات الجديـدة كنظرية "الإمامة الإلهية" وتخويف الشيعة من التراجع عن الولاء "للأئمة"، واتهام المعارضين بأن طينتهم خبيثة.

---

722 - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب طينة المؤمن والكافر، ح رقم 3 و 6

723 - الكليني، الكـافي، كتـاب الإيمـان والكفر ، بـاب إذا أراد الله أن يخلق المؤمن، ح رقم 1

724 - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب طينة المؤمن والكافر، ح رقم 5

10 - الانتماء للتشيع باختيار الله

وفي محاولة من الإعلام الإمامي لتجاوز عقدة الحوار المنطقي مع الخصوم، وصعوبة الدعوة لموالاة "الأئمة" دينيا وسياسيا، واعتبار ذلك عقيدة إسلامية، بلا أدلة كافية من الكتاب والسنة، قام الإعلام بالإيحاء باختيار الله للإنسان للإنتماء لمذهب التشيع (الإمامي). وذلك حسب بعض الأحاديث التي ينقلها الإمامية عن أبي عبد الله أنه قال: "إياكم والناس، إن الله عز وجل إذا أراد بعبد خيراً نكت في قلبه نكتة فتركه وهو يجول لذلك ويطلبه".[725] ويزعم الفضيل بن يسار أنه سأل الصادق قائلا: ندعو الناس إلى هذا الأمر؟ فقال:" يا فضيل إن الله إذا أراد بعبد خيرا أمر ملكا فأخذ بعنقه حتى أدخله في هذا الأمر طائعا أو كارها". [726] وأن أبا عبد الله قال لثابت أبي سعيد: يا ثابت مالكم وللناس؟ كفوا عن الناس ولا تدعوا أحدا إلى أمركم، فوالله لو أن أهل السماء وأهل الأرض اجتمعوا على أن يضلوا عبدا يريد الله هداه ما استطاعوا، كفوا عن الناس ولا يقول أحدكم: أخي وابن عمي وجاري، فإن الله عز وجل إذا أراد بعبد خيرا طيب روحه، فلا يسمع بمعروف إلا عرفه ولا بمنكر إلا أنكره، ثم يقذف الله في قلبه كلمة يجمع بها أمره". [727] وأنه قال لعقبة: "اجعلوا أمركم هذا لله ولا تجعلوه للناس، فإنه ما كان لله فهو لله وما كان للناس فلا يصعد إلى السماء ولا تخاصموا بدينكم الناس فإن المخاصمة ممرضة للقلب إن الله عز وجل قال لنبيه (ص): "إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء" وقال: " أ فأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين" ذروا الناس فإن الناس أخذوا عن الناس وإنكم أخذتم عن رسول الله (ص) وعلي (ع) ولا سواء، وإنني سمعت أبي يقول: إذا كتب الله على عبد أن يدخله في هذا الأمر كان أسرع إليه من الطير إلى وكره". [728]

---

[725] - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب في ترك دعاء الناس، ح رقم 1

[726] - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب في ترك دعاء الناس، ح رقم 3

[727] - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب في ترك دعاء الناس، ح رقم 2

[728] - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب في ترك دعاء الناس، ح رقم 4

وينقل الإمامية عن الصـادق أنه قـال: "إن الله عز وجل خلق قوما للحق فـإذا مرَّ بهم البـابُ من الحق قبلته قلـوبهم وإن كانوا لا يعرفونه وإذا مرَّ بهم البابُ من الباطل أنكرته قلوبهم وإن كـانوا لا يعرفونـه، وخلق قوما لغـير ذلك فـإذا مـرَّ بهم البـاب من الحق أنكرته قلوبهم وإن كانوا لا يعرفونه وإذا مـرَّ بهم البـاب من الباطل قبلته قلوبهم وإن كانوا لا يعرفونه". [729]

ويزعمون أنه قال لعبد الحميد بن أبي العلاء :" إن الله عز وجل إذا أراد بعبد خـيرا نكت في قلبه نكتة من نـور فأضـاء لها سمعه وقلبه حـتى يكـون أحـرص على ما في أيـديكم منكم، وإذا أراد بعبد سـوءا نكت في قلبه نكتة سـوداء، فـأظلم لها سـمعه وقلبـه، ثم تلا هـذه الآية " فمن يـرد الله أن يهديه يشـرح صـدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صـدره ضـيقا حرجا كأنما يصـعد في السماء". [730]

وأنه قـال لعمر بن حنظلـة:" يا أبا الصـخر إن الله يعطي الـدنيا من يحب ويبغض، ولا يعطي هـذا الأمر إلا صـفوته من خلقه". [731] وقال لميسر:" إن الدنيا يعطيها الله عز وجل من أحب ومن أبغض وإن الإيمان لا يعطيه إلا من أحبه". [732]

وأنه قـال أيضا :" والله لا يحبنا من العـرب والعجم إلا أهل البيوتات والشرف والمعـدن ولا يبغضـنا من هـؤلاء وهـؤلاء إلا كل دنس ملصق". [733]

---

[729] - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب في ترك دعاء النـاس، ح رقم 5

[730] - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب في ترك دعاء النـاس، ح رقم 6 و 7

[731] - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب أن الله إنما يعطي الدين من يحبه، ح رقم 1 و 3

[732] - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب أن الله إنما يعطي الدين من يحبه، ح رقم 4

ويروي الكليني حديثا مناقضا لكل تلك الأحاديث، عن محمد بن يحـيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن النعمان، عن عبدالله بن مسـكان، عن سـليمان بن خالد قـال: قلت لأبي عبد الله عليه السـلام: إن لي أهل بيت وهم يسمعون مني أفأدعوهم إلى هـذا الأمـر؟ فقـال: نعم إن الله عز وجل يقول في كتابه " يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نـارا وقودها الناس والحجارة ". الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب في الدعاء للأهل إلى الإيمان، ح رقم 1

[733] - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 479

11- تعظيم الشيعة

وإضافة إلى ذلـك، كـان الإعلام الإمـامي يعبيء الشـيعة الإمامية نفسـيا ويـدعونهم للصـمود في وجه الأعاصـير. ونجد في طيات "الكافي" أحاديث كثيرة بهـذا المضـمون. كما عن عبد الله بن سنان قال: سمعت أبا عبد الله يقول:" ثلاث هن فخر المؤمن وزينه في الـدنيا والآخـرة: الصـلاة في آخر الليـل، ويأسه مما في أيدي الناس، وولايته الإمـام من آل محمد صـلى الله عليه وآلـه". [734]

وعن عمرو بن أبي المقدام، عن أبي عبد الله، مثله وزاد فيه:" ألا وإن لكل شئ جوهرا وجوهر ولد آدم: محمد (ص) ونحن وشيعتنا بعـدنا، حبـذا شـيعتنا ما أقـربهم من عـرش الله عز وجل وأحسن صنع الله إليهم يوم القيامة، والله لولا أن يتعاظم النــاس ذلك أو يـــدخلهم زهو لســـلمت عليهم الملائكة قبلا، والله ما من عبد من شـيعتنا يتلو القـرآن في صـلاته قائما إلا وله بكل حـرف مائة حسنة، ولا قرأ في صلاته جالسا إلا وله بكل حرف خمســون حسنة، ولا في غير الصلاة إلا وله بكل حـرف عشر حسـنات، وإن للصامت من شيعتنا لأجر من قرأ القـرآن ممن خالفـه، أنتم والله على فرشكم نيـام لكم أجر المجاهـدين، وأنتم والله في صـلاتكم لكم أجر الصافين في سبيله، أنتم والله الذين قال الله عز وجـل: " ونزعنا ما في صدوهم من غل إخوانا على سرر متقابلين". إنما شـيعتنا أصـحاب الأربعة الأعين: عينــان في الــرأس وعينــان في القلب، ألا والخلائق كلهم كـــــــــــذلك، ألا إن الله عز وجل فتح أبصاركم وأعمى أبصارهم".[735]

وكما يـدعي عمـرو بن أبي المقـدام أنه سـمع أبا عبد الله يقــول: خــرجت أنا وأبي حــتى إذا كنا بين القــبر والمنــبر إذا هو بأناس من الشيعة فسلم عليهم، ثم قال: إني والله لأحب رياحكم وأرواحكم، فأعينوني على ذلك بـورع واجتهـاد، واعلمـوا أن ولايتنا لا تنـال إلا بـالورع والاجتهـاد ومن ائتم منكم بعبد فليعمل بعملـه، أنتم شـيعة اللـه، وأنتم أنصــار اللــه، وأنتم الســابقون الأولــون، والسابقون الآخرون، والسابقون في الدنيا والسابقون في الآخرة إلى الجنــة، قد ضــمنا لكم الجنة بضــمان الله عز وجل وضــمان رســـول الله (ص)، والله ما على درجة الجنة أكـــثر أرواحا منكم

[734] - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 311
[735] - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 260

فتنافسوا في فضايل الدرجات، أنتم الطيبون ونساؤكم الطيبات كل مؤمنة حوراء عيناء وكل مؤمن صديق ولقد قال أمير المؤمنين (ع): لقنبر: يا قنبر إبشر وبشر واستبشر فوالله لقد مات رسول الله (ص) وهو على أمته ساخط إلا الشيعة. ألا وإن لكل شئ عزاً وعز الإسلام الشيعة. ألا وإن لكل شئ دعامة ودعامة الإسلام الشيعة. ألا وإن لكل شئ ذروة وذروة الإسلام الشيعة. ألا وإن لكل شئ شرفا وشرف الإسلام الشيعة. ألا وإن لكل شئ سيدا وسيد المجالس مجالس الشيعة. ألا وإن لكل شئ إماما وإمام الأرض أرض تسكنها الشيعة. والله لو لا ما في الأرض منكم ما رأيت بعين عشيبا أبدا، والله لو ما في الأرض منكم ما أنعم الله على أهل خلافكم ولا أصابوا الطيبات، مالهم في الدنيا ولا لهم في الآخرة من نصيب، كل ناصب وإن تعبد واجتهد منسوب إلى هذه الآية " عاملة ناصبة، تصلى نارا حامية" فكل ناصب مجتهد فعمله هباء، شيعتنا ينطقون بنور الله عز وجل، ومن خالفهم ينطقون بتفلت، والله ما من عبد من شيعتنا ينام إلا أصعد الله عز وجل روحه إلى السماء فيبارك عليها فإن كان قد أتى عليها أجلها جعلها في كنوز رحمته وفي رياض جنة وفي ظل عرشه، وإن كان أجلها متأخرا بعث بها مع أمنته من الملائكة ليردوها إلى الجسد الذي خرجت منه لتسكن فيه، والله إن حاجكم وعماركم لخاصة الله عز وجل وإن فقراءكم لأهل الغنى وإن أغنياءكم لأهل القناعة وإنكم كلكم لأهل دعوته وأهل إجابته". [736]

وروى الإمامية عن أبي جعفر أنه قال:" ما أحد من هذه الأمة يدين بدين إبراهيم (ع) إلا نحن وشيعتنا ولا هدي من هدي من هذه الأمة إلا بنا، ولا ضل من ضل من هذه الأمة إلا بنا". [737]

وقال عبد الله بن الوليد الكندي : دخلنا على أبي عبد الله، فقال: من أنتم؟ فقلنا: من أهل الكوفة، فقال: ما من بلدة من البلدان أكثر محبا لنا من أهل الكوفة ولا سيما هذه العصابة، إن الله جل ذكره هداكم لأمر جهله الناس وأحببتمونا وأبغضنا الناس واتبعتمونا وخالفنا الناس و صدقتمونا وكذبنا الناس فأحياكم الله محيانا وأماتكم الله مماتنا فأشهد على أبي أنه كان يقول: ما بين

736 - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 259 و ح رقم 328
737 - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 359

أحـــدكم وبين أن يـــرى ما يقر الله به عينه وأن يغتبط إلا أن تبلغ نفسه هذه وأهوى بيده إلى حلقه". [738]

وادعى الإمامية أن أبا عبد الله كــان يقــول لهم:" أنتم والله نـور في ظلمـات الأرض ، والله إن أهل السـماء لينظـرون إليكم في ظلمــات الأرض كما تنظـرون أنتم إلى الكــوكب الــدري في السماء". [739] وزعم أبو حمـزة أنه سـمع أبا عبد الله يقـول لرجل من الشيعة: "أنتم الطيبون ونساؤكم الطيبات، كل مؤمنة حــوراء عيناء وكل مؤمن صديق". وسـمعه يقـول: "شـيعتنا أقـرب الخلق من عـرش الله عز وجل يـوم القيامة بعـدنا، وما من شـيعتنا أحد يقـــوم إلى الصـــلاة إلا اكتنفته فيها عـــدد من خالفه من الملائكة يصـلون عليـه، جماعة حـتى يفـرغ من صـلاته، وإن الصـائم منكم لـيرتع في ريـاض الجنة تعـدوا له الملائكة حـتى يفطـر". وسـمعه يقول:" أنتم أهل تحية الله بسلامه، وأهل أثرة الله برحمته، وأهل توفيق الله بعصـمته، وأهل دعـوة الله بطاعتـه، لا حسـاب عليكم ولا خـــوف ولا حـــزن، أنتم للجنة والجنة لكم، أســـماؤكم عنـــدنا الصــــالحون والمصـــــلحون، وأنتم أهل الرضا عن الله عز وجل برضاه عنكم، والملائكة إخوانكم في الخير فإذا جهدتم ادعـوا وإذا غفلتم اجهدوا، وأنتم خير البرية، ديـاركم لكم جنـة، وقبـوركم لكم جنة، للجنة خلقتم وفي الجنة نعيمكم وإلى الجنة تصيرون". [740]

وقام الإعلام الإمامي بعمل مقارنة بين الشيعة والحواريين، فروى عن الصادق أنه قال:" إن حواري عيسى (ع) كـانوا شـيعته وإن شـــيعتنا حواريونا وما كـــان حـــواري عيسى بـــأطوع له من حوارينا لنا، وإنما قـال عيسى (ع) للحـواريين: " من أنصـاري إلى الله قــال الحواريــون نحن أنصــار الله " فلا والله ما نصــروه من اليهود ولا قاتلوهم دونه وشيعتنا والله لم يزالوا منذ قبض الله عز ذكـره رسـوله (ص) ينصـرونا ويقـاتلون دوننا ويحرقـون ويعـذبون ويشــردون في البلــدان، جــزاهم الله عنا خــيرا. وقد قــال أمــير المؤمـــنين (ع): والله لو ضـــربت خيشـــوم محبينا بالســـيف ما أبغضونا، ووالله لو أدنيت إلى مبغضينا وحثـوت لهم من المـال ما أحبونا". [741]

12 - انتظار القائم

---

[738] - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 38
[739] - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 415
[740] - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 556 و ح رقم 316
[741] - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 396

واستخدم الإعلام الإمامي مادة إعلامية أخرى مهمة جدا تخص العلاقة بين الشيعة و"الأئمة"، وهي مسألة الانتظار، فعندما كان الشيعة الإمامية يتعرضون لضغوط هائلة من قبل السلطات الأموية والعباسية، ويشاهدون الفرق الشيعية الأخرى تتأهب للثورة، وتنجح في إقامة دول لها هنا وهناك، كان ضغطهم يزداد على أئمتهم استعجالا بالقيام والثورة، في الوقت الذي كان فيه "الأئمة" يبشرونهم بقرب القيام، ويدعونهم إلى الصبر والانتظار، ويعدونهم بالأجر والثواب. ففي رواية عن الإمام محمد بن علي الباقر يقول:"من قرأ المسبحات كلها قبل أن ينام لم يمت حتى يدرك القائم وإن مات كان في جوار محمد النبي (ص)". [742] وفي رواية أخرى عنه أنه قال في خطبة له:"اتقوا الله أيتها العصابة الناجية إن أتم الله لكم ما أعطاكم به، فإنه لا يتم الأمر حتى يدخل عليكم مثل الذي دخل على الصالحين قبلكم وحتى تبتلوا في أنفسكم وأموالكم وحتى تسمعوا من أعداء الله أذى كثيرا فتصبروا وتعركوا بجنوبكم وحتى يستذلوكم ويبغضوكم وحتى يحملوا عليكم الضيم فتحملوا منهم تلتمسون بذلك وجه الله والدار الآخرة وحتى تكظموا الغيظ الشديد في الأذى في الله عز وجل يجترمونه إليكم وحتى يكذبوكم بالحق ويعادوكم فيه ويبغضوكم عليه فتصبروا على ذلك منهم ومصداق ذلك كله في كتاب الله الذي أنزله جبرئيل (ع) على نبيكم (ص): "فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم" ثم قال: " وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا" فقد كذب نبي الله والرسل من قبله وأوذوا مع التكذيب بالحق فإن سركم أمر الله فيهم الذي خلقهم له في الأصل - أصل الخلق من الكفر الذي سبق في علم الله أن يخلقهم له في الأصل ومن الذين سماهم الله في كتابه في قوله: " وجعلنا منهم أئمة يدعون إلى النار " فتدبروا هذا واعقلوه ولا تجهلوه فإنه من يجهل هذا وأشباهه مما افترض الله عليه في كتابه مما أمر الله به ونهى عنه ترك دين الله وركب معاصيه فاستوجب سخط الله فأكبه الله على وجهه في النار".[743]

---

[742] - الكليني، الكافي، كتاب فضل القرآن، باب فضل القرآن، ح رقم 3 و المسبحات من السور ما افتتح بسبح أو يسبح

[743] - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، رسالة الإمام الصادق، حديث رقم 1

ويروي الإمامية عن الباقر أنه قدم صورة مستقبلية لما سيحدث للأمويين من هزيمة وانهيار وهروب إلى بلاد الروم، عند قيام القائم.[744] وعندما طال الانتظار، ولم يخرج القائم، قال عبد الحميد الواسطي (أحد الشيعة) لأبي جعفر : أصلحك الله لقد تركنا أسواقنا انتظارا لهذا الأمر حتى ليوشك الرجل منا أن يسأل في يده؟ فقال: يا عبد الحميد أترى من حبس نفسه على الله لا يجعل الله له مخرجا؟ بلى والله ليجعلن الله له مخرجا، رحم الله عبدا أحيا أمرنا، قال: أصلحك الله إن هؤلاء المرجئة يقولون ما علينا أن نكون على الذي نحن عليه حتى إذا جاء ما تقولون كنا نحن وأنتم سواء؟ فقال: يا عبد الحميد صدقوا من تاب تاب الله عليه ومن أسرَّ نفاقا فلا يرغم الله إلا بأنفه، ومن أظهر أمرنا أهرق الله دمه يذبحهم الله على الإسلام كما يذبح القصاب شاته، قال: فنحن يومئذ والناس فيه سواء؟ قال أبو جعفر: لا، أنتم يومئذ سنام الأرض وحكامها، لا يسعنا في ديننا إلا ذلك، قال عبد الحميد: فإن مت قبل أن أدرك القائم؟ قال: إن القائل منكم إذا قال:"إن أدركت قائم آل محمد نصرته" كالمقارع معه بسيفه، والشهادة معه شهادتان. [745]

ولكي يخفف الإعلام الإمامي ضغط طول الانتظار على الشيعة، روى عن الباقر أنه قال لأحد أصحابه (أبي عبد الله الجعفي): كم الرباط عندكم؟ قال: أربعون. قال: لكن رباطنا رباط الدهر، ومن ارتبط فينا دابة كان له وزنها ووزن وزنها ما كانت عنده، ومن ارتبط فينا سلاحا كان له وزنه ما كان عنده، لا تجزعوا من مرة ولا من مرتين ولا من ثلاث ولا من أربع".[746] وأنه قال : " ما ضرَّ من مات منتظرا لأمرنا ألا يموت في وسط فسطاط المهدي وعسكره".[747]

ولما توفي الإمام الباقر دون أن يقوم بحركة ثورية، أو ينتصر على عدو، ورث ابنه الصادق تركة ثقيلة دفعت الكثير من أتباعه إلى الانضمام إلى الحركات الشيعية الأخرى (وخاصة الزيدية) التي قامت بحركات عسكرية وانتصر بعضها أو كاد، فما كان من الإعلام الإمامي إلا أن يصبِّر الإمامية ويدعوهم إلى الانتظار، وقد روى عن الصادق أنه قال لعمار الساباطي: يا عمار الصدقة في

---

[744] - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 15

[745] - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 37

[746] - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 576

[747] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أنه من عرف إمامه لم يضره تقدم هذا الأمر أو تأخر، ح رقم 6

السر والله أفضل من الصدقة في العلانية وكـذلك والله عبـادتكم في السر مع إمــامكم المســتتر في دولة الباطل وتخــوفكم من عــدوكم في دولة الباطل وحــال الهدنة أفضل ممن يعبد الله عز وجل ذكــره في ظهــور الحق مع إمــام الحق الظــاهر في دولة الحـق، وليست العبـادة مع الخـوف في دولة الباطل مثل العبـادة والأمن في دولة الحق، واعلمـوا أن من صـلى منكم اليـوم صـلاة فريضة في جماعة، مسـتتر بها من عـدوه في وقتها فأتمهـا، كتب الله له خمسين صلاة فريضة في جماعة، ومن صلى منكم صــلاة فريضة وحـده مسـتترا بها من عـوده في وقتها فأتمهـا، كتب الله عز وجل بها له خمسا وعشرين صلاة فريضة وحدانية، ومن صلى منكم صــلاة نافلة لوقتها فأتمهــا، كتب الله له بها عشر صــلوات نوافل، ومن عمل منكم حسنة، كتب الله عز وجل له بها عشرين حسنة، ويضاعف الله عز وجل حسـنات المـؤمن منكم إذا أحسن أعمالــــه، ودان بالتقية على دينه وإمامه و نفســــه، وأمسك من لسانه أضعافا مضاعفة إن الله عز وجل كريم.

فقــال عمــار: جعلت فــداك قد والله رغبتــني في العمــل، وحثثني عليه، ولكن احب أن اعلم كيف صـرنا نحن اليـوم أفضل أعمــالا من أصـحاب الإمــام الظــاهر منكم في دولة الحق ونحن على دين واحد؟ فقال: إنكم سبقتموهم إلى الدخول في دين الله عز وجل وإلى الصـلاة والصـوم والحج وإلى كل خـير وفقه وإلى عبــادة الله عز ذكــره ســرا من عــدوكم مع إمــامكم المســتتر، مطيعين لـه، صـابرين معـه، منتظـرين لدولة الحق خـائفين على إمامكم وأنفسكم من الملوك الظلمة، تنتظرون إلى حق إمـامكم وحقوقكم في أيدي الظلمـة، قد منعـوكم ذلـك، واضـطروكم إلى حــرث الــدنيا وطلب المعــاش مع الصــبر على دينكم وعبــادتكم وطاعة إمامكم والخوف مع عدوكم، فبذلك ضـاعف الله عز وجل لكم الأعمال، فهنيئا لكم.

فقال عمار: جعلت فـداك فما تـرى إذاً أن نكـون من أصـحاب القــــائم ويظهر الحق و نحن اليـــوم في إمامتك وطاعتك أفضل أعمـالا من أصـحاب دولة الحق والعـدل؟ فقـال: سـبحان الله أما تحبون أن يظهر الله تبارك وتعالى الحق والعدل في البلاد ويجمع الله الكلمة ويؤلف الله بين قلـوب مختلفـة، ولا يعصـون الله عز وجل في أرضه، وتقام حدوده في خلقه، ويرد الله الحق إلى أهله فيظهر، حتى لا يستخفي بشيء من الحق مخافة أحد من الخلـق، أما والله يا عمار لا يموت منكم ميت على الحال الــتي أنتم عليها

إلا كـــان أفضل عند الله من كثـــير من شـــهداء بـــدر وأحد فابشروا".[748]

وروى زرارة بن أعين أن الصادق قال له:" اعرف إمامك فإنك إذا عـرفت لم يضـرك، تقـدم هـذا الأمر أو تـأخر". [749] وأنه قـال لفضـيل بن يسـار: " يا فضـيل اعـرف إمامـك، فانك إذا عـرفت إمامك لم يضرك، تقدم هـذا الأمر أو تـأخر، ومن عـرف إمامه ثم مات قبل أن يقوم صاحب هذا الأمر، كان بمنزلة من كـان قاعـداً في عســكره، لا بل بمنزلة من قعد تحت لوائــه" . وقــال لبعض أصحابه: بمنزلة من استشهد مع رسول الله (ص). [750]

ويقول أبو بصير أنه لم يتحمل طول الانتظار، فقال لأبي عبد اللـه: جعلت فـداك مـتى الفـرج؟ فقـال: "يا أبا بصـير وأنت ممن يريد الـدنيا؟ من عــرف هــذا الأمر فقد فــرج عنه لانتظــاره".[751] وقـال له مـرة أخـرى: تـراني أدرك القـائم ؟ فقـال: يا أبا بصـير ألست تعـرف إمامـك؟ فقـال: إي والله وأنت هو - وتنـاول يـده - فقال: والله ما تبالي يا أبا بصير ألا تكون محتبيا بسـيفك في ظل رواق القائم . [752]

ونقل عمر بن أبان عن الصـادق أنه قـال: اعـرف العلامة فـإذا عرفته لم يضرك تقدم هذا الأمر أو تأخر، إن الله عز وجل يقـول: " يوم ندعو كل أناس بإمامهم " فمن عرف إمامه كان كمن كـان في فسطاط المنتظر". [753]

ومع تصــاعد الضــغط السياسي وتفجر الثــورات الشــيعية الأخرى هنا وهناك، ازداد الضغط الإمامي على الصـادق للخـروج، فاعتذر بقلة الأنصـار، ولما أشـار الشـيعة إلى كـثرتهم وتجـاوزهم مئات الألوف، شـكك الصـادق بحقيقة الـتزامهم وولائهم لـه، فقد

---

748 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب نادر في حالات الغيبة، ح رقم 2

749 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، بـاب أنه من عـرف إمامه لم يضـره تقدم هذا الأمر أو تأخر، ح رقم 1

750 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، بـاب أنه من عـرف إمامه لم يضـره تقدم هذا الأمر أو تأخر، ح رقم 2

751 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، بـاب أنه من عـرف إمامه لم يضـره تقدم هذا الأمر أو تأخر، ح رقم 3

752 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، بـاب أنه من عـرف إمامه لم يضـره تقدم هذا الأمر أو تأخر، ح رقم 4

753 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، بـاب أنه من عـرف إمامه لم يضـره تقدم هذا الأمر أو تأخر، ح رقم 7

دخل سدير الصيرفي على أبي عبد الله فقال له: والله ما يسعك القعـود، فقـال: ولم يا سـدير؟ قـال: لكـثرة مواليك وشـيعتك وأنصارك والله لو كان لأمير المؤمنين مالك من الشيعة والأنصـار والموالي ما طمـع فيه تيم ولا عـدي، فقـال: يا سـدير وكم عسى أن يكونوا؟ قال: مائة ألف، قـال: مائة ألـف؟ قـال: نعم، ومـائتي ألف قال: مائتي ألف؟ قال: نعم ونصف الـدنيا . فسـكت عنـه أبو عبد الله ثم قـال: يخف عليك أن تبلغ معنا إلى ينبع؟ قـال: نعم. فـأمر بحمـار وبغل أن يسـرَّجا، وبينما هما في الطريق نظر إلى غلام يرعى جداء فقال: والله يا سدير لو كان لي شيعة بعدد هذه الجـداء ما وسـعني القعـود، فـنزل سـدير وعـدَّ الجـداء، فـإذا هي سبعة عشر.[754]

وربما كان بعض الشيعة يعتريهم الشك والارتياب في وعود "الأئمة" بالنصر وقرب الظهـور فكـان الإعلام الإمـامي يفسر لهم ذلك ويدعوهم إلى مزيد من الصـبر والانتظـار. وقد روى عن أبي عبد الله أنه قال:" إن الله تعالى أوحى إلى عمران أني واهب لك ذكرا سويا، مباركـا، يـبرئ الأكمه والأبـرص ويحـيي المـوتى بـإذن الله، وجاعله رسولا إلى بني إسرائيل، فحدث عمـران امرأته حنة بذلك وهي أم مريم، فلما حملت كان حملها بها عند نفسـها غلام، فلما وضعتها قالت: رب إني وضعتها أنـثى وليس الـذكر كـالأنثى، أي لا يكون البنت رسـولا، والله أعلم بما وضـعت، فلما وهب الله تعالى لمريم عيسى كـان هو الـذي بشر به عمـران ووعـده إيـاه، فـإذا قلنا في الرجل منا شـيئا وكـان في ولـده أو ولد ولـده فلا تنكروا ذلك". [755]

وأنه قال لإبراهيم ابن عمر اليماني:" إذا قلنا في رجل قـولا، فلم يكن فيه وكـان في ولـده أو ولد ولـده فلا تنكـروا ذلـك، فـإن الله تعـالى يفعل ما يشـاء". [756] وقـال لأبي خديجـة:" قد يقـوم الرجل بعدل أو يجور وينسب إليه ولم يكن قـام بـه، فيكـون ذلك ابنه أو ابن ابنه من بعده، فهو هو". [757]

---

[754] - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب في قلة عدد المؤمنين، ح رقم 4

[755] - الكافي، كتاب الحجة، باب في أنه إذا قيل في الرجل شيء فلم يكن فيه، ح رقم 1

[756] - الكافي، كتاب الحجة، باب في أنه إذا قيل في الرجل شيء فلم يكن فيه، ح رقم 2

[757] - الكافي، كتاب الحجة، باب في أنه إذا قيل في الرجل شيء فلم يكن فيه، ح رقم 3

وروى الإمامية عن الصادق أنه أوصى أصحابه بالصبر فقال لحفص بن غياث : يا حفص إن من صبر صـبر قليلا وإن من جـزع جزع قليلا، ثم قال: عليك بالصبر في جميع أمـورك، فـإن الله عز وجل بعث محمدا (ص) فأمره بالصـبر والرفـق، فقـال: " واصـبر على ما يقولـون واهجـرهم هجـرا جميلا، وذرني والمكـذبين أولي النعمة" وقال تبارك وتعالى: " ادفع بـالتي هي أحسن فـإذا الـذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم، وما يلقيها إلا الذين صبروا و ما يلقيها إلا ذو حظ عظيم" فصـبر رسـول الله (ص) حـتى نـالوه بالعظائم ورموه بهـا، فضـاق صـدره فـأنزل الله عز وجـل: "ولقد نعلم أنك يضـيق صـدرك بما يقولـون فسـبح بحمد ربك وكن من الساجدين" ثم كذبوه ورموه، فحزن لذلك، فـأنزل الله عز وجـل: " قد نعلم أنه ليحزنك الـذي يقولـون فـانهم لا يكـذبونك ولكن الظـالمين بآيـات الله يجحـدون، ولقد كـذبت رسل من قبلك فصـبروا على ما كـذبوا وأوذوا حـتى أتـاهم نصـرنا" فـألزم النـبي (ص) نفسه الصـبر، فتعـدوا فـذكروا الله تبـارك وتعـالى وكـذبوه، فقـال: قد صـبرت في نفسي وأهلي وعرضي ولا صـبر لي على ذكر إلهي، فـأنزل الله عز وجل " ولقد خلقنا السـماوات والأرض وما بينهما في سـتة أيـام وما مسـنا من لغـوب، فاصـبر على ما يقولـون" فصـبر النـبي (ص) في جميع أحواله ثم بشر في عترته بالأئمة و وصـفوا بالصـبر، فقـال: جل ثنـاؤه: " وجعلنا هم أئمة يهـدون بأمرنا لما صـبروا وكـانوا بآياتنا يوقنـون" فعند ذلك قـال (ص): الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد فشكر الله عز وجل ذلك لـه، فـأنزل الله عز وجل " وتمت كلمة ربك الحسـنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصـنع فرعـون وقومه وما كانوا يعرشون" فقـال (ص): إنه بشـرى وانتقـام، فأبـاح الله عز وجل له قتـال المشـركين فـأنزل: " اقتلـوا المشـركين حيث وجـدتموهم وخـذوهم واحصـروهم واقعـدوا لهم كل مرصـد، واقتلـوهم حيث ثقفتمـوهم" فقتلهم الله على يـدي رسـول الله (ص) و أحبائه وجعل له ثـواب صـبره مع ما ادخر له في الآخـرة، فمن صبر واحتسب لم يخرج من الدنيا حتى يقر الله له عينه في أعدائه، مع ما يدخر له في الآخرة".[758]

ولتأكيد روح الصـبر، والاسـتعداد للانتظـار الطويـل، روى الإمامية عن الصـادق أنه قـال:"إنا صُـبَّر وشـيعتنا أصـبر منـا.. لأنا نصبر على ما نعلم وشيعتنا يصبرون على مالا يعلمون".[759]

---

758 - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب الصبر، ح رقم 3
759 - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب الصبر، ح رقم 25

13 - **التعبئة النفسية العامة**

وعموما فإن الإعلام الإمامي كان يعالج الشـيعة نفسـيا ويحــاول تحصــينهم من الإعلام المضــاد الموجه إليهم، وحســبما يقول عبد الواحـد بن المختـار الأنصـاري أن أبا جعفـر قـال له: يا عبد الواحد ما يضر رجلا إذا كان على ذا الرأي ما قـال النـاس له ولو قالوا: مجنون ، وما يضـره ولو كـان على رأس جبل يعبد الله حتى يجيئه المـوت.[760] وأنه قـال لفضـيل بن يسـار: ما يبـالي من عرَّفه الله هـــذا الأمر أن يكـــون على قلة جبل يأكل من نبـــات الأرض حـتى يأتيه المـوت.[761] "يا فضـيل إن النـاس أخـذوا يمينا وشمالا وإنا وشيعتنا هُدينا الصراط المستقيم.[762]

وعن معلى بن خنيس، عن أبي عبد الله قال: قال رسول الله (ص): قـــال الله تبـــارك وتعـــالى: لو لم يكن في الأرض إلا مـؤمن واحد لاسـتغنيت به عن جميع خلقي ولجعلت له من إيمانه أنسا لا يحتاج إلى أحد.[763]

ومن الواضح أن هـذه الروايـات تحـاول معالجة الشـعور بالوحشة والأقلية والمقاطعة من قبل المجتمــع، وعــدم الاعتنــاء بذلك، والتمسك بخط الولاء لأهل البيت.

الفصل التاسع: تنزيه الباقر عن القول بنظرية "الإمامة"

---

760 - الكليني، الكافي، كتاب الإيمـان والكفـر، بـاب الرضا بموهبة الإيمـان والصبر على كل شيء بعده، ح رقم 1

761 - الكليني، الكافي، كتاب الإيمـان والكفـر، بـاب الرضا بموهبة الإيمـان والصبر على كل شيء بعده، ح رقم 3

762 - الكليني، الكافي، كتاب الإيمـان والكفـر، بـاب الرضا بموهبة الإيمـان والصبر على كل شيء بعده، ح رقم 5

763 - الكليني، الكافي، كتاب الإيمـان والكفـر، بـاب الرضا بموهبة الإيمـان والصبر على كل شيء بعده، ح رقم 2

لقد رأينا في الفصل الأول، أن الإمامة في الإسلام لم تكن جزءا من الدين، ولذلك لم يتحدث القرآن الكـريم ولا الرسـول الأعظم عنها لا كنظام ولا كأشخاص، ولم يكن المسلمون الأوائل يفهمون آية:"يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسـول وأولي الأمر منكم" النساء 59 كنص يؤسس لقيـادة تشـكل امتـدادا للنبـوة أو لمصدر تشريعي ديـني أو سياسي ثـالث في إزاء الله والرسـول، كما لم يفهم الإمـام علي النصـوص النبوية الـتي تشـيد بفضـله، كحديث الغدير، كنصٍ بالخلافة أو الوصية إليه بالإمامة.[764] ولـذلك "لم يـدعُ إلى نفسهً وأقر القـوم على ما صـنعوا وكتم أمـره" حسبما يقول الإمام محمد الباقر.[765]

وكذلك لم يفهم الشيعة الأوائل (في عهد الإمام علي والحسن والحسـين) التشـيع لأئمة أهل الـبيت "مـذهبا دينيـا"، وإنما انتمـاء سياسيا فقط. وقد استمر التشيع "السياسـي" الى القـرن الثـاني الهجري، حيث حدث نوع من التطور في الفكر الشـيعي بتحوله – لـدى فريق من الشـيعة - من سياسي الى ديـني، على أيـدي "الإماميـة" الـذين نسـبوا فكـرة "الإمامة الإلهيـة" إلى الإمـامين محمد بن علي البـاقر وابنه جعفر الصـادق، سـراً. وبـالرغم من النصوص الكثيرة (غير المتـواترة) الـتي جـاء بها الإمامية فسـوف نحاول في هذا الفصل التأكد من موقف الإمامين الباقر والصادق من نظرية الإمامة، ودراسة "الأدلة" والروايات الـتي تتحـدث عن نظرية "الإمامة الإلهيـة". وسـوف نعتمد في دراسـتنا على عـدة جوانب نظرية وتاريخية وعقلية ورجالية.

لقد نشأت بذرة نظرية "الإمامة الإلهيـة" من فكـرة شـمولية الشريعة الإسلامية لكل شـيء في الحيـاة وعـدم وجـود مجـالات مدنية متروكة للعقل الإنسـاني لكي يفـتي فيها حسب الظـروف الزمانية والمكانية، مثل المجـال السياسي وطريقة الحكم وكيفية انتخاب الحاكم وإدارة الدولة وما إلى ذلك. وهذه فكرة خاطئة لم توجد في القـرآن الكـريم، ولا في السـنة النبوية حيث يقـدم الإسلام مجموعة أحكام في بعض الأمور في الـوقت الـذي يـترك فيه مساحات واسعة للعقل الإنساني لكي يبـدع فيهـا. وقد حـاول بعض الفقهـاء كالإمـام أبي حنيفة والإمـام الشـافعي أن يقيسـوا المسائل الحادثة على المسائل والأحكام الثابتة في الشريعة، في

---

[764] - الطبري، ج 2 ص 120 والقاضي الهمداني، عبد الجبـار، المغـني في التوحيد والإمامة، ج20 ص 238

[765] - الكليني، روضة الكافي، ص 246

الوقت الذي كان بعض المحدثين يفتح نوافذه لاستقبال أي حديث منسوب الى النبي (ص)، مما أدى الى تكاثر الأحاديث خلال قرون الى أكثر من مليون حديث. وقد رفض الإمام الباقر والصادق الأحاديث المتداولة والمشكوك بصحتها، كما رفضا منهج الاجتهاد أو القول بالرأي والقياس. [766] والثابت لدينا من مذهب الباقر والصادق أنهما كانا يتمسكان بالقرآن الكريم والسنة الثابتة التي تصح عندهما والمروية عن آبائهما وأجدادهما. وقد رويا عن رسول الله (ص) أنه قال:"... إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفع وماحل مصدق. ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار وهو الدليل يدل على خير سبيل ... فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة ودليل على المعرفة". [767]

ولكن الإمامية رووا بالإضافة إلى ذلك فكرة أخرى هي:" انحصار العلم في أهل البيت" ونسبوها الى الباقر والصادق، ولا شك أن موقف الباقر السلبي من الأحاديث الضعيفة التي كان يتداولها أهل الحديث بتساهل، كان موقفا إيجابيا، كما أن دعوته للعودة إلى القرآن الكريم، كانت دعوة إيجابية مهمة أيضا، ولكن المشكلة كانت تكمن في حصر "الإمامية" لعملية فهم القرآن به "وبمن خوطب به". [768] وبادعائهم توارث العلم في سلالة معينة. [769] و"أن رسول الله (ص) وضع العلم الذي كان عنده عند

---

[766] - وقالا :"إن الله تبارك وتعالى لم يدع شيئا تحتاج إليه الأمة إلا أنزله في كتابه وبينه لرسوله (ص) وجعل لكل شئ حدا وجعل عليه دليلا يدل عليه، وجعل على من تعدى ذلك الحد حدا". الكليني، الكافي، كتاب العقل، كتاب فضل العلم، باب الرد إلى الكتاب والسنة،ح رقم 2 وقال الصادق :" يا زرارة ! إياك وأصحاب القياس في الدين ، فانهم تركوا علم ما وكلوا به، وتكلفوا ما قد كفوه، يتأولون الأخبار، ويكذبون على الله عزّ وجلّ، وكأني بالرجل منهم ينادى من بين يديه، فيجيب من خلفه، وينادى من خلفه ، فيجيب من بين يديه ، قد تاهوا وتحيروا في الأرض والدين". أمالي المفيد : 51 | 12ـ وحذر من التصديق "بالأحاديث الكاذبة على الله التي يكذبها القرآن ويتبرأ منها ومن حملتها ورواتها". الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 8240 - 1

[767] - الكليني، الكافي، كتاب فضل القرآن، حديث رقم 2

[768] - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 485

[769] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة ورثوا علم النبي وجميع الأنبياء والأوصياء، ح رقم 2 وباب أن الأئمة ورثة العلم، ح رقم 2 و 3و 4و 5 و 7

الوصـي".[770] و:"كل ما لم يخـرج من هـذا الـبيت فهو باطـل".[771] وهذا ما كان يعـني رفضـهم الاعـتراف بوجـود علمـاء آخـرين في الأمة غــير أئمة أهل الـبيت. في حين أن القــرآن يخــاطب عامة الناس أو المسلمين، ولم يأتِ ليخــاطب سـلالة معينة أو أشخاصا معيـنين في الأمـة، وبالتـالي فـان معرفة القـرآن مفتوحة لجميع المسلمين. ولا يمكن لأحد أن يصادر هذا الحق منهم.

ومن هنا فان دعـوى الإمامية بوراثة البـاقر لعلم النبـيين الـذي أودعه الرسـول الأعظم عند الإمـام علي، بلا دليـل. [772] وبالتـالي فان موقف الشيعة السلبي من الفقهاء المعاصرين للإمام البــاقر كان غـير مـبرر. [773] وإذا كـان جبرئيل قد نـزل على النـبي محمد (ص) فلا يعني أن أهل البيت يمتـازون بدرجة على غـيرهم، وأنهم أعلم بالقرآن من الآخرين، كما تقول رواية منسـوبة إلى البـاقر " فوالله لا يؤخذ العلم إلا من أهل بيت نــــزل عليهم جبرئيل عليه السلام".[774]

ومع ذلك يفشل الإمامية في تقديم مثل نموذجي على أعلمية الإمام البـاقر على غـيره من المفسـرين، بل يسـيئون إليه برواية تعتمد على التأويل التعسـفي ، حسـبما يقولـون ان البـاقر سـأل قتـادة فقيه أهل البصــرة عن معــنى قوله تعـالى:" وقــدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين" فقال قتـادة : أي من خـرج من بيته بزاد حلال وراحلة وكـراء حلال يريد هـذا الـبيت كـان آمنا حـتى يرجع إلى أهلـه، ولكن البـاقر رفض هـذا التفسـير وقـال له :"إنه من خرج من بيته بزاد وراحلة وكراء حلال يروم هـذا الـبيت عارفا بحقنا يهوانا قلبه كما قال الله عز وجـل:"واجعل أفئـدة من النـاس تهـوى إليهم" ولم يعنِ الـبيت فيقـول:"إليـه". وأضـاف:" فنحن والله دعـوة إبـراهيم (ع) الـتي من هوانا قلبُـه قُبلت حجته

---

770 - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 574

771 - الوافي، ح رقم [33236] عن بصائر الدرجات : 531 | 21.

772 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة ورثة العلم، ح رقم 6

773 - كالحديث المنسوب إلى الباقر :"كل ما لم يخرج من هذا البيت فهو باطل" أوقوله لسلمة بن كهيل ، والحكم بن عتيبة: "شرِّقا وغرِّبا فلا تجدان علما صـحيحا إلا شــيئا خــرج من عنــدنا أهل الــبيت". الــوافي، ح رقم [33236] عن بصـائر الـدرجات : 531 |ـ 21. و ح رقم [33224] عن الكافي 1 : 329 | 3

774 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أنه ليس شيء من الحق في يد الناس إلا ما خرج من عند الأئمة، ح رقم 5

وإلا فلا".[775] وهـــذا في الحقيقة تأويل يصـــعب على أي إنســـان قبولـه. ويشـكل محاولة لإضـافة طقس جديد في الحج وإشـراك الأئمة في عبادة الله. ونشك بصحة نسبته إلى الإمام الباقر.

وحسـبما يقـول الإمامية فـان دعـوى حصر العلم بأهل الـبيت، كـانت تقـوم في البدايـة، على دعـوى امتلاك البـاقر لكتب خاصة بخط علي، كان يعبر عنها أحيانا بكتاب علي أو مصحف فاطمة أو الجفر أو الجامعة.[776] وهي كتب سرية غير متواترة أي أنها أخبـار آحـاد مشـكوك فيهـا، لا تقـاوم الأخبـار المتـواترة أو أخبـار الآحـاد المتداولة بين عامة المسـلمين. وبالتـالي فإنها لا تعطي الأئمة أية أفضلية لاحتكار العلم الديني ومنع الآخرين من الرواية والاجتهاد.

ولكن الأمر لم يتوقف عند دعـوى وجـود الكتب الموروثـة، وإنما امتد لدعوى أخرى أخطر منها، وهي امتلاك الأئمة علما خاصا من الله، يؤهلهم للقيام بدور "الحجة" على العبـاد.[777] والادعـاء بـأن الأئمة هم خزان علم الله في سمائه وأرضه. وأنهم شجرة النبوة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة. وموضع سر الله.[778]

وروى الصفار حديثا عن الباقر يرسـله إلى الله تعـالى أنه أوحى للنـبي (ص):" يا محمد (ص) قد قضـيت نبوتك واسـتكملت أيامك فاجعل العلم الـذي عنـدك والآثـار والاسم الأكـبر ومـيراث العلم وآثار النبوة في أهل بيتك عند على بن أبي طالب فــاني لم اقطع علم النبـــــــــوة من العقب من ذريتك كما لم اقطعها من بيوتات الأنبياء الذين كانوا بينك وبين أبيك آدم".[779]

إن هذه الأحاديث تضعنا أمام دعوى جديدة شبيهة بالنبوة، وهي ليست مرفوضة فقط وإنما مســتنكرة من قبل الأئمة أنفســهم الذين يصرحون في أحاديث أخرى أنهم ليسوا أنبياء، وإذا افترضنا

---

[775] - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 485

[776] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة قد أوتـوا العلم وأثبت في صدورهم، ح رقم 6 و 10

[777] - الكليني، الكافي، كتاب الحجـة، بـاب أن الأرض لا تخلو من حجـة، ح رقم 8 و 9

[778] - الكليـني، الكـافي، كتـاب الحجـة، بـاب أن الأئمة ولاة أمر الله وخزنة علمـه، ح رقم 2 و بـاب أن الأئمة معـدن العلم وشـجرة النبـوة ومختلف الملائكة، ح رقم 1 و2 و 3

[779] - الصفار، بصائر الدرجات، ج 9 باب (22) ح رقم (2)

جدلا أن تلك الأحاديث صادرة عن الأئمة، فإنها لا يمكن أن تصدق بسهولة، ولا يمكن الاعتماد على الأئمة أنفسهم في روايتها، وإنما يطـالبون بالـدليل المعجز الـذي يبت صـحة كلامهم، كما يطـالب الأنبياء بالأدلة والبراهين "الإعجازية". وعندما لم يفعل الأئمة ذلك نعلم أن تلك الأحـــاديث مختلقة عليهم ومؤلفة من الغلاة الـــذين كانوا يدعون النبوة للأئمة ويدسون أنفسهم في صفوف الشيعة.

ويبدو أن الغلاة أدركوا ضخامة دعواهم "بأن الأئمة خـزان علم الله في سـمائه وأرضـه. وأنهم شـجرة النبـوة، وموضع الرسـالة، ومختلف الملائكــة. وموضع سر الله" وتضــمنها لــدعوى النبــوة، فقاموا بتأليف حديث آخر يخفف اللهجة بالتمييز بين النبوة والعلم الإلهي فرووا عن الباقر أنه قال :" نزل جبرئيل على محمد (ص) برمــانتين من الجنــة، فلقيه علي (ع) فقــال: ما هاتـان الرمانتـان اللتان في يـدك؟ فقـال: أما هـذه فـالنبوة، ليس لك فيها نصـيب، وأما هـذه فـالعلم، ثم فلقها رسـول الله (ص) بنصـفين فأعطـاه نصفها وأخذ رسـول الله (ص) نصـفها ثم قـال: أنت شـريكي فيه وأنا شريكك فيه، قال: فلم يعلم والله رسول الله (ص) حرفا مما علمه الله عز وجل إلا وقد علمه عليــا، ثم انتهى العلم إلينــا، ثم وضع يده على صدره".[780]

ولكن هذا الفصل بين النبوة والعلم الإلهي يصعب تصوره، إذا قلنا بأن العلم الموروث للأئمة علم خاص يختلف عن التعلم والاجتهـاد المتاح لجميع الناس. وهو ما كان الإمامية يحاولون ادعاءه.

وقبل أن نسترسل في الحــديث، يجــدر بنا التوقف قليلا عند الرواية الآنفة التي يرويها الصفار، فهي تدعي أن الباقر يروي عن الله تعالى دون أن يسند حديثه حتى إلى رسول الله، وهو حــديث لم يعرف أبدا عن غير الباقر، ثم تقول إن جبرئيل نــزل برمــانتين من الجنــة، وهـذا أمر لم يحـدث في كل حيـاة الرسـول، ولا دليل عليــه، وتقــول أيضا بــأن النــبي أعطى الإمــام علي نصف رمانــة، كناية عن العلم، لتقول أن الإمام علي أصبح شـريك الرسـول في العلم، لتدعي بعد ذلك بــأن البـاقر أصـبح وريثا لـذلك العلم. وكل هذه الأقوال ادعاءات فارغة مناقضة لخاتمية النبوة بمحمــد، وهي أقرب ما تكون إلى أقوال الغلاة والمنحرفين.

وعلى أي حـال لم يـترك الإمامية آية من القـرآن الكـريم إلا واستغلوها لدعم دعواهم في احتكار الأئمة للعلم الديني "الإلهي" حيث رووا عن البـــــاقر أنه قـــــال:" نحن أهل الـــــذكر ونحن

---

780 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الله لم يعلم نبيع علما إلا أمره أن يعلمه أمير المؤمنين، ح رقم 1 و 2 و 3

المسـؤولون".[781] وأنه فسر قـول الله عز وجـل: "فاسـألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون" بأهل البيت، وأنه روى عن رسـول الله (ص) حديثا يقول فيه:" الذكر أنا والأئمة أهل الذكر".[782]

ولكن هذه الروايات ضعيفة ومرفوضة لأنها تخالف سياق الآية بوضوح، حيث وردت هكذا:" وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نـوحي إليهم، فاسألوا أهل الذكر، إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبـر..." النحل 43 و 44 وهي صـريحة بطلب السـؤال من أهل الكتـاب للتعرف على مواصفات الأنبياء السابقين الذين كانوا رجـالا، وهي ليست بالتأكيد في معـرض الخطـاب للمسـلمين والطلب منهم السـؤال من أهل الـبيت في المسـتقبل. وقد وردت الآية مـرة أخرى في سورة الأنبياء هكذا:" وما أرسلنا قبلك إلا رجـالا نـوحي إليهم، فاسألوا أهل الذكر، إن كنتم لا تعلمون،وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعـام وما كـانوا خالـدين" الأنبيـاء 7 و 8 حيث يتضح المعـنى من السـياق العـام للآية الـذي يركز على طبيعة النـبي البشرية المشـابهة لطبيعة الأنبيـاء السـابقين، والآيتـان لا تطلبـان من المسلمين أو المشركين الاستعانة بـاليهود والنصـارى لإثبـات نبـوة النـبي محمـد، وإنما تطلبـان السـؤال عن طبيعة الأنبيـاء البشـرية من أجل يكف المشـركون عن الاسـتغراب من نـزول الوحي على رجل، أو كونه يأكل الطعام ويمشي في الأسواق.

ولكن الإمامية قاموا باقتطاع فقـرة من الآية وأهملـوا ما قبلها وما بعـدها، وأوَّلوها كما يشـاءون لـدعم دعـواهم باحتكـار الأئمة للعلم الديني وتفسير القرآن.

وواصل الإمامية طريقتهم في تأويل القرآن، بصورة تعسـفية فرووا عن البـاقر أنه أكد أن آية " بل هو آيـات بينـات في صـدور الذين أوتـوا العلم" تعـني الأئمـة، وأنه أومأ بيـده إلى صـدره.[783] وقال: "إن هـذا العلم انتهى إليّ في القـرآن".[784] رغم أن الآية عامة ولا تحمل أي مؤشر لتخصيصها في الأئمة أو الباقر بالذات.

---

781 - الكليني، الكافي، كتاب الحجـة، بـاب أن أهل الـذكر الـذين أمر الله بسؤالهم هم الأئمة، ح رقم 7

782 - الكليني، الكافي، كتاب الحجـة، بـاب أن أهل الـذكر الـذين أمر الله بسؤالهم هم الأئمة، ح رقم 1 و6

783 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة قد أوتـوا العلم وأثبت في صدورهم، ح رقم 1

784 - الوافي،[33587] 56 بصائر الدرجات : 226 | 14.

ولم يترك الإمامية آية فيها كلمة "العلم" إلا زعموا أن المقصود بها الأئمة من أهل البيت دون أن يقـدموا أي دليل على دعـواهم.[785] في حين أنهم كـانوا يرفضـون أن يـدعي ذلك أي أحد غـير "الأئمـة" حـتى لو كـان من أهل الـبيت أو من الحسـنيين مثلا، ويسارعون إلى اتهامه بالكذب.

ويأتي على رأس آيات "العلم" تفسيرهم لقول الله عز وجل: " وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولـون آمنا به كل من عند ربنا ". آل عمران 7 حيث يقوم الإمامية بتقطيع الآية كما يشاءون، بصورة تعسفية، ليستدلوا بها على رأيهم، بأن المقصـود منها أئمة أهل الـبيت، حيث يعطفـون "الراسـخون" على كلمة "الله" بحيث يصبح المعـنى: "وما يعلم تأويله إلا الله والراسـخون في العلم " ليقولـوا بعد ذلـك:"فرسـول الله (ص) وآله أفضل الراسـخين في العلم، قد علمه الله عز وجل جميع ما أنـزل عليه من التنزيل والتأويـل، وما كـان الله ليـنزل عليه شـيئا لم يعلمه تأويلـه، وأوصـياؤه من بعـده يعلمونه كله" ويضـيفوا إليها كلمة مقـدرة محذوفة (والـذين لا يعلمـون تأويله إذا قـال العـالم فيهم بعلم): " يقولـون آمنا به كل من عند ربنا " . وذلك حـتى يصـبح للفقـرة الأخـيرة معـنى.[786] بينما الآية تقـول بوضـوح "وما يعلم تأويله إلا اللـه" وتبـدأ جملة أخـرى:" والراسـخون في العلم يقولون: آمنا به كلٌ من عند ربنا".

ولا نحتـاج إلى عنـاء كبـير لـرد تـأويلات الإمامية لعـدد من الآيـات كقوله تعالى:"قل كفى بالله شـهيدا بيـني وبينكم ومن عنـده علم الكتـاب" وقولـه:" ثم أورثنا الكتـاب الـذين اصـطفينا من عبادنا " وتفسيرها بأنها تعـني: الأئمة من أهل الـبيت.[787] لأنهم كالعـادة لا يقدمون أي دليل على دعـواهم. وتبـدو الركاكة واضـحة في كثـير من الروايات الـتي ينسـبها "الإماميـة" إلى البـاقر في تأويل عـدد من الآيـات القرآنية وتفسـيرها بصـورة تعسـفية، مثل:" الله نـور السـموات والأرض" بأنه يعـني: العلم والوصية لأهل الـبيت الـذين"يكـادون أن يتكلمـوا بـالنبوة ولو لم يـنزل عليهم ملك".[788]

---

[785] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، بـاب أن من وصـفه الله بـالعلم في كتابه هم الأئمة، ح رقم 1 و2

[786] - الكليني، الكـافي، كتـاب الحجـة، بـاب أن الراسـخين في العلم هم الأئمة، ح رقم 2

[787] - الوافي،[33546] 15 الكافي 1 : 179 | 6.

[788] - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 574

وقوله تعـالى: "ويمحـوا الله الباطل ويحق الحق بكلماته إنه عليم بذات الصدور" بتفسير الحق بالولاية.[789]

ويلاحظ أن الإمامية كـانوا يحـاولون تغطية تـأويلهم التعسـفي للقرآن بالادعاء بصعوبة فهم النـاس لـه، وعـدم معرفة أحد به إلا الأئمة، حتى إذا قـدموا عـدة تفسـيرات مختلفة لآية واحـدة، وفي هــذا يقــول جــابر بن يزيد (وهو من أكــابر الغلاة، وكــان من الكربية):" سألت أبا جعفر عن شيء من التفسير ، فأجـابني، ثم سألته عنه ثانية ، فأجابني بجـواب آخر ، فقلت: كنت أجبتـني في هذه المسألة بجـواب غـير هـذا، فقـال: يا جـابر! إن للقـرآن بطنا وللبطن بطنا وله ظهر، وللظهر ظهر، يا جـابر! وليس شـيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القـرآن ، وإنّ الآية يكـون أولها في شــيء ، وآخرها في شــيء ، وهو كلام متصل متصــرف على وجــوه".[790] وإذا كـان ما ينقله الإمامية عن البـاقر صـحيحا – ولا نعتقد بصحته – فيبـدو أنه كـان يفسر القـرآن كيفما يشـاء وبعيـدا عن العقل والمنطق الصحيح، ويقول إنه من تفسير الباطن.

وعندما نسأل الإمامية: ما هو الدليل على صحة كلامهم؟ وما هو الفرق بين التفسير الصحيح والتأويل التعسفي؟ لا يقدمون لنا أية حجة. بل يقومون أحيانا بإضـافة بعض الكلمـات إلى بعض الآيـات من عندهم لتنسجم مع نظـريتهم في الإمامة الإلهيـة، ويـدعون – على لسان الأئمة – "أنها نزلت هكذا". حيث كـان بعضـهم يـدعي أيضا امتلاك الأئمة للنسـخة الكاملة من القـرآن، و" ما ادعى أحد من النــاس أنه جمع القــرآن كله كما أنــزل إلا كــذاب، وما جمعه وحفظه كما نزله الله تعــالى إلا علي بن أبي طــالب (ع) والأئمة من بعــده (ع)".[791] و"ما يســتطيع أحد أن يــدعي أن عنــده جميع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الأوصياء".[792]

وهكذا زعم بعض الإمامية أنه لا يمتلك أحد القرآن الكامل إلا الإمام، ولا يعلم أحد معاني القرآن إلا الإمـام، وهو ما مهد لتحويل

[789] - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 574

[790] - الوافي،[33572] 41 المحاسن : 300 | 5.

[791] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة، ح رقم 1

[792] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة، ح رقم 2

الأئمة من أهل البيت إلى "مصـدر تشـريعي" جديد فـوق القـرآن والسنة النبوية.

إن ادعاء الإمامية منصب "الإمامة الإلهية" لمحمد الباقر ، أدى بهم إلى ادعـاء امتلاكه "العلم الإلهي" الـذي لا تحـده حـدود، ولم يعد الأمر يقتصر على الوراثة عن طريق الكتب، ولا علم تفســير القرآن، وإنما رفعوه إلى السماء ، فرووا عنه أنه قال: " لا والله لا يكون عالمٌ جـاهلا أبـدا، عالما بشـيء جـاهلا بشـيء.. الله أجل وأعز وأكــرم من أن يفــرض طاعة عبد يحجب عنه علم ســمائه وأرضــه.. لا يحجب ذلك عنــه".[793] وأنه قــال: "عجبت من قــوم يتولونا ويجعلونا أئمة ويصــفون أن طاعتنا مفترضة عليهم كطاعة رسول الله (ص) ثم يكسرون حجتهم ويخصمون أنفسهم بضـعف قلوبهم، فينقصونا حقنا ويعيبون ذلك على من أعطـاه الله برهـان حق معرفتنا والتسليم لأمرنا، أترون أن الله تبارك وتعالى افترض طاعة أوليائه على عبــاده، ثم يخفي عنهم أخبــار الســماوات والأرض ويقطع عنهم مـواد العلم فيما يـرد عليهم مما فيه قـوام دينهم؟!".[794] وأنه قــال: "إنا لنعــرف الرجل إذا رأينــاه بحقيقة الإيمــان وحقيقة النفــاق".[795] وكل هــذه الروايــات مرفوضة ولا يمكن تصديقها، بل نكـاد نجـزم بوضـعها على لسـان البـاقر، لأنها بصـراحة مخالفة للقـرآن الكـريم الـذي ينفي علم الغيب عن أحد غير بعض الرسل "إلا من ارتضى من رسول" . وقد رفضها بعض الشيعة في ذلك الزمان مثل حمران بن أعين الـذي تمسك بقوله تعــالى:"عــالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحــدا". ولكن الإمامية يقولــون ان البــاقر رد عليه قــائلاً: "إلا من ارتضى من رســول. وكان والله محمد ممن ارتضاه... فأما العلم الذي يقــدره الله عز وجل فيقضــيه ويمضــيه فهو العلم الــذي انتهى إلى رســول الله (ص) ثم إلينا".[796] ولسنا نعرف هل اقتنع حمران بهذا الــرد أم لا؟ ولكنا نعلم أن استثناء النـبي وبعض الرسل جـاء صـراحة بـالقرآن الكريم، في حين لا يوجد دليل على انتقـال علم الغيب من النـبي

---

[793] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون، ح رقم 6

[794] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون، ح رقم 4 والصفار، بصائر الدرجات، ج 3 ، باب 5 (مالا يحجب عن الأئمة علم السماء وأخباره وعلم الأرض وغير ذلك) ح رقم 3

[795] - الكافي، كتاب الحجة، باب في معرفتهم أولياءهم والتفويض إليهم، ح رقم 2

[796] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب نادر فيه ذكر الغيب، ح رقم 2

للأئمة وللإمام الباقر. وأن الله تعالى لم يقـل" إلا من ارتضى من رسـول أو إمـام". ومن هنا نشك بـاختلاق الرواية من قبل الغلاة (من أمثال أبي بصير وعمرو بن شـمر وجـابر بن يزيـد) ونسـبتها للباقر.[797]

ويشكِّل القول بنظرية "المحدَّث" ونسـبتها إلى الإمـام البـاقر، قمة التلفيق والـتزوير والكـذب. وقد روج لها الغلاة في مرحلة متطـورة بعد القـول بالحاجة إلى الإمـام "الحجـة" الـذي يمتلك وحـده القـرآن الكامل الصـحيح، والـذي يمتلك وحـده أيضا علم الكتـاب، والقـدرة على تفسـيره وتأويلـه، وعلم الغيب واسم الله الأعظم. ولما كانت نظرية "الإمامة" تقول بأن الأئمة معينون من قبل الله وإن علمهم إلهي فكـان لا بد أن يـدعوا تحـديث الملائكة للأئمة. وقد استعرضنا في (فصل سابق) كثيرا من الروايات الـتي نسبوها إليهما، حول نـزول الملائكة في ليلة القـدر، وتحـدثهم مع الأوصياء .[798] ووضع الأئمة في مصـاف الملائكة والأنبيـاء والرسل في تلقي العلم من الله: "فما نبذه إلى ملائكته ورسله فقد انتهى إلينا".[799] وإضافة "المحدَّث" إلى هذه الآية: "وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي (ولا محدَّث)".[800]

ومع استبعادنا تماما لتبني هذه الدعوة الضـالة من قبل الإمـام الباقر، فان الغلاة يصرون على نسبتها إليـه، ويتحـدثون عن رفض واستنكار أقـرب المقـربين له لـدعوى "المحـدَّث" مثل عمه (عبد الله بن زيد، شقيق الإمام علي بن الحسين لأمه).[801] وحمران بن أعين وأبو حمـزة الثمـالي والمغـيرة بن سـعيد، الـذين اسـتنكروا

---

797 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة يعلمون جميع العلـوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء، ح رقم 4

798 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في شأن إنا أنزلناه ، ح رقم 1 و 2 و 3 و 5 و 6 و 7 و 9

799 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة يعلمون جميع العلـوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء، ح رقم 1و 2 و3 و4

800 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة محـدثون مفهمـون، ح رقم 2 وكان من الطبيعي أن تثير هذه الدعوى تساؤلا عند الشـيعة عن احتمال كون ما يدعي "المحدَّث" أنه يسـمعه: من وحي الشـيطان؟ وكيف يعرف بأنه ملك؟ فكان الرد عليهم: أنه "يعطى السكينة والوقار حـتى يعلم أنه كلام ملك". الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة محـدثون مفهمون، ح رقم 4

801 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة محدثون مفهمون، ح رقم 2

إضـــافة كلمة "المحـــدث" في الآيـــة:"وما أرســـلنا من قبلك من رسول ولا نـبي ولا محـدث" فقـالوا : ليست هكـذا هي.[802] ولكن الغلاة يصرون على موقفهم ويزعمـون أن البـاقر قـال لهم: "إنها في كتاب علي" ، فقال أبو حمزة والمغيرة: وأى شئ المحـدث؟ فقال: ينكت في أذنه فيسمع طنينا كطنين الطست أو يقرع على قلبه فيسمع وقعا كوقع السلسـلة على الطست.[803] وأن حمـران سـأله : هل هو نبي أو رسـول؟ فقـال: لا ، بل مثله مثل صـاحب سليمان ومثل صاحب موسى ومثله مثل ذي القرنين.[804]

وبـالرغم من محاولة التفريق بين النـبي و"المحدَّث" ونفي النبوة عن الأئمة، إلا أن تعريف الرواة لحديث الملائكة مع الأئمة بـالنكت في الآذان والقـرع في القلـوب هو الـوحي بعينـه، إذ لا يختلف الـوحي عن شـيء من ذلـك. حيث يقـول البـاقر:" الأنبيـاء على خمسة أنواع منهم من يسمع الصوت مثل صـوت السلسـلة فيعلم ما عنى به ومنهم من ينبـأ في منامه مثل يوسف وإبـراهيم ومنهم من يعاين ومنهم من ينكت في قلبه ويوقر في أذنه".[805]

وبما أن دعوى "المحـدَّث" مناقضة لخاتمية النـبي محمد (ص) وأنها بـنيت على أسـاس القـول بتحريف القـرآن، فإنا نرفضـها بشدة، ولا نصـدق الروايـات الـتي تنسـبها لأهل الـبيت، وحـتى لو صحت تلك الروايات فرضا، فانا غير ملزمين بقبولها من أي أحـد. كما لا نقبل دعوى تحريف القرآن من أي أحد.

ومن الملفت للنظر أن الغلاة الذين كانوا يرددون تلك الدعوى، كانوا يلفونها بستار من السرية والكتمان، ويقولون إن البــاقر لامَ حمران بن أعين على إخبار الحكم بن عيينة بهـا، قـائلا:" لا تحدثه

---

802 - الصفار، بصائر الدرجات، ج 7 باب 6 ح رقم (13)

803 - الصفار، بصائر الدرجات، ج 7 باب 6 ح رقم (13) وعن زرارة عن أبي جعفر قـال الأنبيـاء على خمسة أنـواع منهم من يسـمع الصـوت مثل صـوت السلسـلة فيعلم مـاعنى به ومنهم من ينبـأ في منامه مثل يوسف وإبـــراهيم ومنهم من يعـــاين ومنهم من ينكت في قلبه ويـــوقر في أذنـــه. الصـفار، بصـائر الـدرجات، ج 8، بـاب 1 في الفـرق بين الأنبيـاء والرسل والأئمة عليهم السلام ومعرفتهم وصفتهم ، ح رقم (6)

804 - - الكليـني، الكـافي، كتـاب الحجـة، بـاب في أن الأئمة محـدثون مفهمون، ح رقم 5 والصفار، بصائر الدرجات، ج 7 باب 6 ح رقم (10)

805 - الصفار، بصائر الدرجات، ج 8، باب 1 في الفرق بين الأنبياء والرسل والأئمة عليهم السلام ومعرفتهم وصفتهم ، ح رقم (6)

وأشباهه بمثل هذا الحديث".[806] وهـذا ما يثـير عـددا من الأسـئلة: إذا كانت الدعوى قائمة على أسس ثابتة وصـحيحة فلمـاذا يخـاف الباقر من انتشارها؟ وإذا كانت كاذبة وضعيفة فلماذا يتفوه بها؟

وبالرغم من شكنا بكل تلك الروايات الواردة حول "المحـدَّث" ونسـبتها إلى الإمـام البـاقر، فـان تلك الروايـات تتحـدث عن اضطراب كبـير حصل لـدى الشـيعة الـذين أخـذوا يتوافـدون على البـاقر ويسـألونه عن هـذه الـدعوى العجيبة الغريبة : هل هي النبـوة؟.[807] وهل يفـوق علم الأئمة على علم النـبي، مع اسـتمرار نـزول الـوحي عليهم؟، وأن البـاقر أجـابهم: "أما إنه إذا كـان ذلك عـرض على رسـول الله (ص)، ثم على الأئمة ثم انتهى الأمر إلينا".[808]

ويبـدو من الحـوار الجـريء الـذي جـرى بين رجل من الشـيعة والباقر.[809] - إن ثبتت صحة الحـديث - أن المحـاور الشـيعي كـان رافضا لدعوى نزول الملائكة على الأئمة، وأن الحوار كـان محرجا للإمام الباقر الذي أحس منذ البداية بذكاء المحاور، فقال: "مـالي ولك أيها الرجل ومن أدخلك علي؟" وأنه أفحمه مـرتين، مما اضـطره للقـول:" هـذا مما أمـروا بكتمانـه، ولا يعلم تفسـير ما سـألت عنه إلا الله عز وجـل" و "لا يحل لك أن تسـأل عن هـذا.. أما هـذا العلم الـذي تسـأل عنه فـإن الله عز وجل أبى أن يطلع الأوصـياء عليه إلا أنفسـهم". وأن المحـاور حـاول التملص من الإيمـان بمقولة "المحدَّث" الـتي لم تـدخل عقله:" يا أبا جعفر لا أسـتطيع إنكـار هـذا؟" فهـدده البـاقر قـائلا:" من أنكـره فليس منا".[810]

ولكنا نعتقد أن الرواية موضوعة من أساسها، وإن صـحت فإنها تحمل أدلة الـرفض من عامة الشـيعة لـدعوى "المحـدَّث" واشمئزاز قلوبهم منها.

---

[806] - الخوئي، معجم رجال الحديث، رقم 4027 – عن الكشي في ترجمة حمران بن أعين الشيباني.

[807] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة محدثون مفهمون، ح رقم 5 وباب في أن الأئمة بمن يشبهون ممن مضى وكراهة القول فيهم بالنبوة، ح رقم 1 و 4 و 5

[808] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة يـزدادون في ليلة الجمعة، ح رقم 3

[809] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في شأن إنا أنزلنـاه ، ح رقم 8 وقد رويناه في فصل سابق

[810] - المصدر ، ح رقم 6

ومن المؤكد أن مقولة "المحـدَّث" وكثـيرا من مقـولات الغلاة الأخرى (كامتلاك الأئمة للقرآن الكامل الصحيح، وعلمهم بـالغيب) كانت تثير ردود فعل واسعة عند الشـيعة المعتـدلين الـذين كـانوا يرفضون تصديق كل حديث يروى عن أهل البيت، ويشمئزون من بعضها إذا كان يتعارض مع القـرآن الكـريم والعقل السـليم، ولـذا فان الغلاة كانوا يحاولون تمرير مقـولاتهم بنسـبة أحـاديث أخـرى للأئمة تـرفض التفكـير في أحـاديثهم والتميـيز بين المعقـول منها وغـير المعقـول، كهـذا الحـديث الـذي نسـبه الغلاة للبـاقر:"إن أسوأهم عندي حـالا وأمقتهم للـذي إذا سـمع الحـديث ينسب إلينا ويروى عنا فلم يقبله اشـمأز منه وجحـده وكفَّر من دان به وهو لا يـدري لعل الحـديث من عنـدنا خـرج وإلينا أسـند، فيكـون بـذلك خارجا عن ولايتنا".[811] وهذا الحديث الذي نسبوه إلى رسـول الله (ص) أنه قال:" إن حديث آل محمد صعب مستصعب لا يـؤمن به إلا ملك مقـرب أو نـبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمـان، فما ورد عليكم من حـــديث آل محمد (ص) فلانت له قلـــوبكم وعرفتموه فاقبلوه، وما اشمأزت منه قلـوبكم وأنكرتمـوه فـردوه إلى الله وإلى الرسـول وإلى العـالم من آل محمـد، وإنما الهالك أن يحدث أحدكم بشيء منه لا يحتمله، فيقول: والله ما كـان هـذا والله ما كان هذا، والإنكار هو الكفر".[812]

ومن الواضح أن هذه الأحاديث تحاول تحريم التفكير على الشـيعة، وفـرض حالة من التقليد الأعمى عليهم وإجبـارهم على قبول أي حديث ينسب إلى أئمة أهل البيت مهما كـان أسـطوريا، وتهديدهم بـإخراجهم من ولايتهم، في حين أن المنطق الإسـلامي يحتم رد بعض الأحـاديث المغاليـة، كـدعوى "المحـدَّث"، حـتى لو كانت صادرة من الأئمة أنفسـهم، وحاشـاهم أن يقولـوا بمثل تلك الأحاديث. وقد قال الإمام الصادق في الـرد على الغلاة: "والله لو ابتلوا بنا وأمرناهم بذلك لكان الواجب أن لا يقبلوه".

وهـذا ما قـام به الشـيعة المعتـدلون في زمن البـاقر، الـذين رفضـوا مقـولات الغلاة وكفـروهم، وتـبرءوا منهم.[813] وكـان من المتوقع أن تشق دعـوى "المحـدَّث" صـفوف الشـيعة الـذين لم

---

[811] - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب الكتمان، ح رقم 7

[812] - وقال أبو عبدالله:" إن حديثنا صعب مستصعب، لا يحتمله إلا صـدور منـيرة أو قلـوب سـليمة أو أخلاق حسـنة". و"إن علم العلمـاء صـعب مستصعب، لا يحتمله إلا نـبي مرسل أو ملك مقـرب أو عبد مـؤمن امتحن الله قلبه للإيمـان". الكليـني، الكـافي، كتـاب الحجـة، بـاب فيما جـاء أن حديثهم صعب مستصعب، ح رقم 1 و 2 و3 و 4

يهضم كثير منهم الحكاية، ولم يسلموا لكل ما كـان يقـول الغلاة، بل وكانوا يستنكرون بعضـها. وربما كـان بعضـهم يـرفض تصـديق الأحاديث الـتي تـروى عن رسـول الله مثل "إن حـديث آل محمد صعب مستصعب" ولا بد أنهم كانوا يتساءلون مثلما نتساءل الآن: هل كـان حـديث آل محمد جـزءا من الـدين الإسـلامي ؟ أم لا؟ ولماذا هو صعب بهذه الدرجة؟ حتى لا يؤمن به إلا ملك مقرب أو نـبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمـان؟ ومـاذا عن بقية الناس؟ أم أن هذا حديث مختلق على لسـان رسـول اللـه، خاصة وانه يأتي بلا سند، ليكسر مقاومة الشـيعة الـذين كـانوا يرفضـون الغلو في أهل البيت، ويشمئزون منه وينكرونه ويردونه؟

فشل محاولة إثبات الإمامة للأئمة

وقد فشل "الإمامية" في إثبات "الإمامة الإلهيـة" لأهل الـبيت، رغم روايتهم لمجموعة من الأحاديث عن النبي الأكرم (ص) مثل:

أ - حديث العترة أو الثقلين

فقد رووا عن الباقر عن جابر بن عبدالله الأنصـاري أن رسـول الله (ص) قـال :" يا أيها النـاس إني تـارك فيكم الثقلين.. إن تمسـكتم بهما لا تضـلوا ، ولا تبـدلوا.. الثقل الأكـبر كتـاب الله ... والثقل الأصغر عترتي وأهل بيتي، ولا يزال كتاب الله والـدليل منا يدل عليه حـتى يـردا عليَّ الحـوض ".[814] وأن البـاقر اعتـبر نفسه بنـاء على ذلك دالاً على الكتـاب. فهـذا ما لا يمكننا تصـديقه، للأسباب التالية:

أولا: لأن صيغة هذا الحـديث لم تثبت، وقد أورده مسـلم بصـيغة مغـايرة:" أما بعد ، ألا أيّها النـاس، فإنما أنا بشر يوشك أنْ يـأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تـارك فيكم ثقلين: أوّلهما كتـاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به. فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه. ثم قال : وأهل بيتي. أذكّركم الله في أهل بيـتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي". وقد ورد

---

[813] - الكليني، الكـافي، كتـاب الحجـة، بـاب التسـليم وفضل المسـلمين، ح رقم1

[814] - بصائر الدرجات : 122 و 123

بعبـارة أخـرى هي " كتـاب الله وسـنتي". وروي عن البـاقر أيضا بعبارة أخرى هي: "إني تارك فيكم الثقلين ، أما إن تمسـكتم بهما لن تضلوا : كتاب الله وعترتي أهل بيـتي ، فإنهما لن يفترقا حـتى يــردا علي الحــوض".[815] من دون إضـافة " ولا يــزال كتـاب الله والدليل منا يدل عليه حتى يردا عليَّ الحوض ".

ثانيا: هناك رواية أخرى عن الباقر فيها إضافة مختلفة هي "الكعبة البيت الحرام" ليصبح الحديث هكذا: " أيها الناس إني تـارك فيكم حرمات الله : كتاب الله ، وعترتي، والكعبة البيت الحــرام". وفي هذه الرواية تتمة تـدعي أن كتـاب الله قد تعـرض للتحريـف. وهو أمر مخــالف لصــريح القــرآن الكــريم، مما يضــعف الرواية من أساسها.[816]

ثالثا: ان رواية الباقر عن جابر كانت موضع شك، وحسبما ينقل الإماميون أنفسهم عن الإمـام جعفر الصـادق " فـإن أهل المدينة كانوا ينكرون على الباقر روايته عن رسـول الله (ص)، ويقولـون: ما رأينا أحدا قط أكذب من هـذا يحـدث عمن لم يـره. فلما رأى ما يقولـون حـدثهم عن جـابر بن عبد الله فصـدقوه، وكـان جـابر والله يأتيه يتعلم منه". [817]

رابعا: إن مفهوم "العترة" في جميع الروايات غـير محـدد، وكما قلنا فان العترة تعني القرابة، وهي تشمل جميع أقربـاء الرسـول (ص) من الهاشـــميين: كالعباســـيين والطـــالبيين (آل جعفر وآل عقيل وآل علي)، وأما "أهل الــبيت" فهي تشــمل نســاء النــبي أيضا.[818] ولا يمكن تحديدها بسـلالة علي بن أبي طـالب فقـط، أو

---

[815] - الصفار ، بصائر الـدرجات : 123 عن على بن محمد ، عن القاسم بن محمد ، عن ســليمان بن داود ، عن يحــيى ابن أديم عن شــريك ، عن جابر قال : قال أبو جعفر: دعا رسول الله (ص) أصحابه بمنى فقال...

[816] - الصفار ، بصائر الدرجات : 123

[817] - الكشي في ترجمة جابر بن عبد الله الأنصـاري. وروى الكشي عن محمد بن مسـلم، وزرارة، قـالا: سـألنا أبا جعفر عن أحـاديث فرواها عن جابر، فقلنا مالنا ولجابر ! المصدر.

[818] - وقد وردت كلمة "أهل البيت" في القرآن الكريم مرتين، مرة في ســورة هــود في خطــاب زوجة النــبي إبــراهيم (ع) :" وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقـوب. قـالت: يا ويلـتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا؟! إن هذا لشـيء عجيب. قـالوا: أتعجـبين من أمر الله؟ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت، إنه حميد مجيـد". 71-73 ومرة أخرى في سورة الأحزاب في مخاطبة نساء النـبي:"وقـرن في بيــوتكن ولا تــبرجن تــبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصــلاة وآتين الزكــاة

بالأئمة الخاصين أو بالإمام الباقر. وحسب رواية أبي الجارود فـان البــاقر كــان يحــاول إثبــات بنوته لرســول الله (ص) في مقابل العباسيين الذين كانوا ينكرون ذلك، ولكنه لم ينفِ شمول حــديث العترة للعباسيين ولغيرهم من الطالبيين والعلويين.[819]

خامسـا: وإذا صح هـذا الحـديث فانه لا يتضـمن معـنى الإمامة والخلافـــة، وإنما الوصـــية بـــالعترة أو أهل الـــبيت. ولا دلالة في الكلمـتين على حصر الإمامة في ذرية علي والحسـين، كما قـال الإمامية، الذين رووا عن الباقر تفسـير كلمة "أهل الـبيت" بالأئمة من نسل الرسـول.[820] كما لا دلالة في الحـديث على كـون أحد من "العـترة" بالخصـوص دليلا على القـرآن أو مختصا بتفسـيره وترجمته وتأويله.

ب – آية أولي الأرحام

وقد اســتدل "الإماميــة" بآية أولي الأرحــام:" النــبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهـاتهم وأولـوا الأرحـام بعضـهم أولى ببعض في كتـاب اللـه" كـدليل على حصر الإمامة في ذرية النبي، فـرووا عن البـاقر أنه قـال:" إنها نـزلت في الإمـرة، فنحن أولى بـــالأمر وبرســـول الله (ص) من المؤمـــنين والمهـــاجرين والأنصــار".[821] ولكن الرواية لم تثبت عن البــاقر أنه قــال ذلــك، وعلى فـرض صـحة الرواية فهو تأويل متعسف للآية البعيـدة عن المفهـوم السياسـي، والـتي تنص على أولوية القرابة في الإرث، والناسخة لنظام التوارث بالأخوَّة الإسلامية الذي كان معتمـدا في بداية الهجـــرة، كما يفهم بوضـــوح من ســـياقها:" النـــبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهـاتهم وأولـوا الأرحـام بعضـهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا كان ذلك في الكتاب مسـطورا" الأحـزاب 6 ومع ذلك فإنها لا تفيد الإمامية، إذ أن كلمة "أولي الأرحام" تشمل

وأطعن الله ورســوله إنما يريد الله ليــذهب عنكم الــرجس أهل الــبيت ويطهركم تطهيرا". الآية 33

[819] - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 501

[820] - الكليني، الكافي، الروضة، ح رقم 5494 - 6 و ح رقم، 597

[821] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما نص الله ورسوله على الأئمة واحدا بعد واحد، ح رقم 2

جميع أرحام النبي من العباسيين والطـالبيين، وقد حـاول الإمامية تفسيرها بالذرية فقط بدون دليل.[822] وذهبت محاولاتهم سدى.

ج – حديث الغدير

وبعدما فشل الإماميون في إثبات الإمامة "للأئمة" من أبنـاء علي والحسـين، بالقرابة والعـترة وما إلى ذلـك، استشـهدوا في وقت متـأخر بحـديث الغـدير، وذلك بعد تطعيمه بـالنص الصـريح على إمامة علي بن أبي طـالب، ونسـبوا ذلك الى محمد البـاقر، حيث نقلـــوا عنه أنه روى عن رســـول الله (ص)، أنه قـــال:" يا معشر المسلمين هذا **وليكم من بعـدي** فليبلغ الشـاهد منكم الغـائب" وأنه دعا عليا فقال:" يا علي إني أريد أن أأتمنك على ما ائتمنــني الله عليه من غيبه وعلمه ومن خلقه ومن دينه الــــذي ارتضــــاه لنفســه. فلم يشــرك والله فيها أحــدا من الخلق".[823] ومع الشك بصحة هذه الرواية التي ينقلها الكليني في "الكـافي" وهو مصـدر إمامي غير محايد، فإن الباقر – على فـرض صـحة الرواية عنه – لا يرويها بســند وإنما يرســلها إلى رســول الله (ص) رغم وجــود فارق ثلاثة أجيال، وبالإضافة إلى أنها رواية شـاذة تخـالف الرواية التاريخية المعروفة والمتفق عليها بين السـنة والشـيعة، والـتي لا تتضمن التصريح بالولاية بعد رسول اللـه، فـإن روايتها عن البـاقر تضعفها لأنها تمهد لدعوى الإمامة له.

قصيدة حسان بن ثابت يوم الغدير

وقد اسـتدل بعض الإمامية المتـأخرين بقصـيدة اشـتهرت عن حسان بن ثابت شاعر النـبي (ص) على كـون حـديث الغـدير نصا صريحا بنصب الإمـام علي يـوم غـدير خم إماما على المسـلمين، وقالوا بأن حسانا ألقاها يوم الغدير، بعـدما أمر رسـول الله مناديا فنــادى: الصــلاة جامعــة، فأخذ بيد علي وقــال: "من كنت مــولاه فعلي مولاه، اللهم؟ وال من والاه، وعاد من عـاداه". فزعمـوا أن حساناً قال: يا رسـول الله أقـول في علي شـعرا؟ فقـال رسـول الله (ص): افعل، فقال:

يناديهم يوم الغدير نــبيهم = بخم و أســمع بالرســول مناديا

---

[822] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما نص الله ورسوله على الأئمة واحدا بعد واحد، ح رقم 2

[823] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما نص الله ورســوله على الأئمة واحدا بعد واحد، ح رقم 6

فقال فمن مولاكم و وليكم فقالوا = و لم يبدوا هنـاك التعاديا

إلهك مولانا و أنت ولينا و لن = تجــدن منا لك اليــوم عاصــيا

فقال له قم يا علي فـإنني رضـيتك = من بعـدي إماما و هاديا

فمن كنت مولاه فهـذا وليه فكونـوا = له أنصـار صـدق مواليا

هنـــاك دعا اللهم وال وليه و كن = للـــذي عـــادى عليا معاديا

وقد رويت القصيدة بـأربع أبيـات فقـط، كما وردت بتغيـير في عجز الــبيت الثــالث ليصــبح هكــذا:"ولم تلق منا في الولاية عاصــيا" كما رويت بإضــافة بيت ســابع هــو:"فيا رب انصر ناصريه لنصرهم..إمام هدىً كالبدر يجلو الدياجيا".

وقد استشهد الشيخ المفيد (المتوفى 413 هـ) بهذه القصــيدة في إثبـــات نظرية الإمامة الإلهية لأهل الـــبيت، فقـــال في " الفصول المختارة " ص 87 :" ومما يشهد بقـول الشـيعة في معنى المـولى وأن النـبي أراد به يـوم الغـدير: الإمامـة؛ قـول حسان بن ثابت على ما جاء به الأثر: أن رسول الله لما نصب عليا يوم الغدير للناس علما وقال فيه ما قال، استأذنه حسان بن ثابت في أن يقول شعرا فأنشأ يقول: يناديهم يـوم الغـدير نبيهم . الأبيات، فلما فرغ من هذا القول قـال له النـبي صـلى الله عليه وآله: لا تزال يا حسان مؤيدا بروح القدس ما نصرتنا بلسانك، فلـولا أن النـبي (ص) أراد بـالمولى الإمامة لما أثـنى على حسان بإخباره بـذلك، ولأنكـره عليـه، ورده عنـه". وقـال المفيد أيضا في: (رسالته في معنى المـولى):" شـعر حسـان مشهور في ذلـك... وهـذا صـريح في الإقـرار بإمامته من جهة القـول الكـائن في يـوم الغـدير من رسـول الله لـه، لا يمكن تأويله، ولا يسوغ صرفه إلى غير حقيقته".[824]

وقال أبو الفتح الكراجكي (المتوفى 449 هــ) في " كـنز الفوائد " ص 123: "إن شـــعر حســـان هـــذا قد ســـارت به الركبـان وقد تضـمن الإقـرار لأمـير - المؤمـنين عليه السـلام بالإمامـة، والرياسة على الأنـام لما مدحه بـذلك يـوم الغـدير بحضرة رسول الله (ص) على رؤوس الأشـهاد فصـوبه النـبي في مقاله".

[824] - وروى المفيد القصيدة أيضا في كتابه " الإرشاد " ص 31 و64

وأشار عبد الحسين الأميني في كتاب "الغدير" إلى الجدل الشيعي السني حول معنى الولاية، فاستدل بالقصيدة على الرأي الشيعي (الإمامي) وقال:"قد أقره النبي صلى الله عليه وآله على ما فهمه من مغزى كلامه، وقرظه بقوله: لا تزال يا حسان مؤيدا بروح القدس ما نصرتنا بلسانك". ولكن الأميني لفت نظر القراء إلى التلاعب الذي حصل في القصيدة عبر التاريخ فقال:" يظهر للباحث أن حسانا أكمل هذا الأبيات قصيدة ضمنها نبذا من مناقب أمير المؤمنين عليه السلام فكل أخذ منها شطرا يناسب موضوعه". وأضاف:" إن لحسان في مولانا أمير المؤمنين عليه السلام مدايح جمة غير ما سبقت الإشارة إليه، وسنوقفك على ما التقطناه من ذلك، فمن هذه الناحية نعرف أن يد الأمانة لم تقبض عليها يوم مدت إلى ديوانه، فحرفت الكلم عن مواضعها، ولعبت بديوان حسان كما لعبت بغيره من الدواوين والكتب والمعاجم التي أسقطت منها مدايح أهل البيت عليهم السلام وفضايلهم". وقد افترض الأميني أن التحريف تم في قصيدة حسان بن ثابت باتجاه مضاد للإمامية، ولم يشر بالطبع إلى احتمال قيام الإمامية بتأليف القصيدة أو تحريفها باتجاه يخدم نظريتهم.

وفي الواقع لا نحتاج إلى عناء كبير لنكتشف اختلاق هذه القصيدة أو إضافة المفاهيم الإمامية إليها في وقت متأخر (في القرن الرابع الهجري) فيكفي أن نعرف أن محدثي ومتكلمي ومؤرخي الشيعة الإمامية لم يشيروا إليها ولم يذكروها في كتبهم السابقة (كالنوبختي في فرق الشيعة، والأشعري القمي في المقالات والفرق، والكليني في الكافي، والصفار في بصائر الدرجات مثلا) وأنها ظهرت في القرن الرابع، حسبما يذكر الأميني صاحب كتاب "الغدير" الذي يقول: إن "أقدم كتاب سبق إلى رواية هذا الشعر هو كتاب سليم بن قيس الهلالي التابعي الصدوق الثبت المعول عليه عند علماء الفريقين... وتبعه على روايته لفيف من علماء الإسلام لا يستهان بعدتهم". ثم يذكر الأميني أسماء اثني عشر محدثا من أهل السنة من القرن الرابع والخامس والسادس والسابع والثامن وما بعدها، رووا القصيدة، أولهم: الحافظ أبو عبد الله المرزباني محمد بن عمران الخراساني (المتوفى 378 هـ) ثم يذكر الأميني أسماء ستة وعشرين عالما من أعلام الشيعة الإمامية أولهم الشيخ محمد بن علي بابويه الصدوق (المتوفى 381 هـ) ثم الشريف الرضي (المتوفى

406 هـ) والشريف المرتضى علم الهدى (المتوفى 436 هـ)[825] والشيخ الطوسي (المتوفى 460 هـ) الذين رووا القصيدة برواية سليم، ما عدا المؤرخ الشيعي المعاصر للطوسي، أبي جعفر محمد بن جرير بن رستم بن يزيد الطبري (من رجال القرن الخامس الهجري) الذي يروي البيت الثالث هكذا:" إلهك مولانا وأنت ولينا ولا تجدن منا لك اليوم عاصيا" أي من دون تصريح بالولاية، على العكس مما جاء في الروايات الأخرى:" ولم تلق منا في الولاية عاصيا".

ونفهم من تزامن رواية الصدوق (المتوفى سنة 381) والحافظ المرزباني (المتوفى سنة 378) اللذين كانا أول من روى القصيدة من الشيعة والسنة، أن القصيدة ظهرت في القرن الرابع الهجري، حسبما يؤكد الشيخ الأميني الذي يقول إن "أقدم كتاب سبق إلى رواية هذا الشعر هو كتاب سليم بن قيس الهلالي ... وتبعه على روايته لفيف من علماء الإسلام لا يستهان بعدتهم".[826] وهذا كلام صحيح يتفق مع ظهور كتاب سليم في القرن الرابع الهجري.

وبغض النظر عن حجية روايات محدثي أهل السنة المتأخرين (من القرن الرابع ولاحقا) وفيما إذا كانوا يروون قصيدة حسان بن ثابت كما يرويها الشيعة الإمامية، صريحة حول الولاية والإمامة، أم لا؟ وفيما إذا كانوا يسندونها إلى رجال ثقاة معروفين غير رواة الإمامية؟ أم لا؟ وفيما إذا كانوا يعتقدون بصحتها ويؤمنون بها، أم لا؟ ولماذا لم يصبحوا شيعة إمامية إذن؟ بغض النظر عن كل تلك التساؤلات فان رواية الشيعة الإمامية (الاثني عشرية) في القرنين الرابع والخامس لها، وعدم رواية الكليني والصفار والمحدثين الإمامية السابقين لها، يكشف عن وضع تلك القصيدة واختلاقها، أو تزويرها والتلاعب بها بما يخدم نظريتهم في الإمامة في القرن الرابع الهجري.[827] وأما ما يدعيه الأميني من كون سليم بن قيس الهلالي "تابعي صدوق ثبت

---

[825] - رغم أن الشريف المرتضى ينفي في كتابه "الشافي" أن يكون حديث الغدير نصا جليا في الإمامة، وينفي علمه بقول أحد من الشيعة ذلك، ويقول ردا على القاضي الهمداني، صاحب كتاب "المغني" الذي اتهم الشيعة بالإمامية بالقول بالنص الجلي:" إنه نص خفي، وليس بنص جلي". الشافي ج 2 ص 128

[826] - الأميني، الغدير ، ص 7

http://www.aqaed.com/shialib/books/all/2ghdir02/2ghdir02-01.html#2gdr02

معول عليه عند علماء الفـريقين" فهـذا غـير صـحيح بـالمرة، ولم يسند قوله لأي مصدر، إذ أن سليم الهلالي شـخص مجهـول لـدى السنة والشـيعة، ويحتمل أنه شـخص مختلـق، حيث كـان الشـيعة يشكون في وضع واختلاق كتـاب سـليم، وذلك لروايته عن طريق (محمد بن علي الصـيرفي أبو سـمينة) الكـذاب المشـهور ، و (احمد بن هلال العبرتـائي) الغـالي الملعـون ، وقد قـال ابن الغضائري :" كان أصـحابنا يقولـون : ان سـليماً لا يُعـرف ولا ذكر له... والكتاب موضوع لا مرية فيه، وعلى ذلك علامـات تـدل على ما ذكرنا " .[828]

ولكن الأخبـاريين الحشـويين من الشـيعة الإمامية (كالصـدوق والنعمـاني) اعتمـدوا على ذلك الكتـاب الـذي ظهر في زمـانهم، ووصـفه النعمـاني :" بأنه من الأصـول الـتي يرجع إليها الشـيعة ويعولون عليها". بينما ضعَّف الشيخ المفيد (كتاب سليم) وقـال:" انه غـير موثـوق به ولا يجـوز العمل على أكـثره ، وقد حصل فيه تخليط وتـدليس ، فينبغي للمتـدين ان يتجنب العمل بكل ما فيه، ولا يعـوّل على جملته والتقليد لروايته ، وليفـزع إلى العلمـاء فيما تضـمنه من الأحـاديث ليوقفـوه على الصـحيح منها والفاسد".[829] وانتقد الشيخ المفيدُ الشيخَ الصدوقَ ، على نقله الكتاب واعتماده عليه، وعزى ذلك إلى منهج الصـدوق الأخبـاري، وقـال عنـه:" انه على مـذهب أصـحاب الحـديث، في العمل على ظـواهر الألفـاظ والعـدول عن طـرق الاعتبـار، وهـذا رأي يضرّ صـاحبه في دينه، ويمنعه المقام عليه عن الاستبصار" .[830]

وهذا ما يؤكد اختلاق القصيدة من قبل الإمامية في القرن الرابع ونسـبتها إلى (سـليم بن قيس الهلالي) الـذي نسـبوا إليه أيضا القـول الصـريح بنظرية الإمامة الإلهيـة، وتحديد عـدد الأئمة في إثني عشر إماما فقط.

---

[827] - وقد ترافقت رواية تلك القصـيدة مع ظهـور القـول بـالاثني عشـرية اعتمـادا على كتـاب سـليم بن قيس الهلالي، كما ذكر المـؤرخ الشـيعي المسعودي (توفي سنة 345 هـ) في (التنبيه والإشراف):" ان أصل القول في حصر عـدد الأئمة بـاثني عشر ما ذكـره سـليم بن قيس الهلالي في كتابه". المسعودي، التنبيه والإشراف، ص 198 ، والأميني، الغـدير، ج 1، ص 195

[828] - العلامة الحلي، الخلاصة، ص 83

[829] - المفيد، أوائل المقالات وشرح اعتقادات الصدوق، ص 247

[830] - المصدر نفسه، ص 242

وتأكيدا لنظرية النص الصريح على الإمام علي بالإمامة، يأتي "الإماميـة" برواية أخـرى ينسـبونها الى البـاقر الـذي يرسـلها إلى الإمام علي أنه خطب في أصحاب رسول الله بعد وفاته قائلا:"إن الله تبـارك اسـمه ... شدَّ بي أزر رسـوله .. واختصـني بوصـيته واصـطفاني بخلافته في أمته فقـال (ص) .. : أيها النـاس إن عليا مـني كهـارون من موسى إلا أنه لا نـبي بعـدي... كـان ذلك منه اســتخلافا لي كما اســتخلف موسى هـــارون (ع) حيث يقـــول: "اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سـبيل المفسـدين". [831] ولكن هذه الرواية أيضا مشـكوك بصـحتها، وبلا سـند، وشـاذة، وتنطـوي على تهمة بجر النار إلى قرص راويها.

ونلاحظ العنصر الأسطوري واضحا في بعض الروايات مثل هذه الرواية التي ينسبها الغلاة إلى الإمام الباقر، ويقول فيهـا: إن الإمام علي أخذ بيد أبي بكر فأراه النبي (ص) بعد وفاته، فقال له النـبي: "يا أبا بكر آمن بعلي وبأحد عشر من ولـده، إنهم مثلي إلا النبوة وتب إلى الله مما في يدك، فإنه لا حق لك فيه". [832]

وعلى فـرض وجـود النص الصـريح على الإمـام علي بالخلافة والإمامة، فإن نظرية الإمامة تفتقر إلى الأدلة الكافية للنزول إلى بقية الأئمة من ذرية علي والحســـين. ولا يملك الإمامية ســـوى روايات عن الإمام محمد البـاقر تنص على إخـراج بقية أولاد علي كمحمد بن الحنفية وأبنائه وأبنـاء الحسـن، الـذين كـانوا يتصـدون لقيادة الشيعة في أواخر القرن الأول الهجري والقرن الثـاني. [833] وهي روايـات آحـاد مجهولة ومشـكوك بصـحتها، وإن ثبتت روايتها عن البـــاقر فإنها لا تشـــكل دليلا شـــرعيا مقنعـــا، لاحتوائها على ادعاءات عظيمة (كائتمان الأئمة على ما ائتمن الله تعالى رسوله عليه من خلقه ومن غيبه ومن دينه الذي ارتضاه لنفسه)، ووجـــود التهمة باختلاقها في وقت متأخر.

---

[831] - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، خطبة الوسيلة

[832] - الكافي، كتاب الحجة، باب في الاثني عشر والنص عليهم، ح رقم 13 ويلاحظ أن هذه الرواية تتضمن فكرة الاثـني عشـرية، وهي فكـرة طـرأت على الشـيعة الإمامية في القـرن الرابع الهجـري، مما يقـوي الاحتمـال باختلاقها في ذلك الزمان، أو إضافة هذه الفقرة على الرواية الصـادرة في القرن الثاني، والمنسوبة للإمام الباقر.

[833] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما نص الله ورسوله على الأئمة واحدا بعد واحد، ح رقم 6

وقد روى مؤسسو نظرية "الإمامة الإلهية" أحاديث عن الإمام الباقر تقول إن الإمام علي أوصى حين وفاته ولدَه بالسمع والطاعة للحسن والحسين، وإن الحسين أوصى لابنته الكبرى فاطمة ودفع إليها كتابا ملفوفا ووصية ظاهرة، وكان علي بن الحسين مبطونا لا يرون إلا أنه لما به، وأن فاطمة دفعت الكتاب إلى علي بن الحسين ثم صار والله ذلك الكتاب إلينا.[834]

وإذا صحت هذه الرواية عن الباقر – ولا أعتقد أنها صحيحة – فإنها تعجز أيضا عن إثبات "الإمامة الإلهية" لبقية الأئمة لأنها:

أولا: خبر واحد مروي عن الباقر، ويصب في مصلحته، فلا يمكن أن يُقبل منه.

ثانيا: إن رواية الباقر لا تحمل النص الصريح بالإمامة، وإنما تعترف بوصية الحسين لأخته فاطمة، وصية ظاهرة لا تتحدث عن الإمامة.

ثالثا: لا يعرف أحد ماذا كان يوجد في الكتاب الملفوف، وبالتالي فهو لا يدل على النص على الإمامة.

رابعا: وإذا كانت الإمامة بالنص، فلماذا لم يتحدث الإمام الحسين عن الإمامة وانتقالها بالوراثة والنص والوصية من قبل؟ ولماذا انتظر حتى آخر ساعة يوم عاشوراء ليعطي أخته كتابا ملفوفا لكي تسلمه إلى زين العابدين الذي لم يكن يعرف أحد ماذا سيكون مصيره؟ وهل سيعيش؟ أم يموت عاجلا؟ ولماذا لم يتحدث إليه مباشرة؟

وهناك روايات أخرى مشابهة تعتمد على وراثة الكتب والسلاح، كدليل على الإمامة، ولكنها لا تتضمن نصا صريحا بالإمامة من واحد لآخر.[835]

ومما يؤكد ضعف كل تلك "الأدلة" والروايات، هو لجوء الإمامية الى تدعيم نظريتهم بالأساطير التي يسمونها "معاجز" كمعجزة تحدث الحجر الأسود والفصل بين زين العابدين وعمه محمد بن

---

[834] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما نص الله ورسوله على الأئمة واحدا بعد واحد، ح رقم 6

[835] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الإشارة والنص على الحسن بن علي، ح رقم 1 و 5

الحنفية في نزاعهما حـول الإمامـة.[836] وهي قصة يرويها الكليـني والصـفار وابن بابويه عن الإمـام البـاقر، مع أن الحجر الأسـود لم يتحدث نصرة لرسول الله أيام دعوته في مكة، فكيف يقـوم بحل مشكلة الإمامة بين علي بن الحسين وعمه ابن الحنفية؟ ولمـاذا؟ وهل كـان علي بن الحسـين مهتما بالإمامة حـتى يطـالب عمه بالتنـازل له عنهـا؟ وهو الـذي رفضـها بعد أن أتته طائعة عنـدما عرضـها عليه المختـار بن عبيـدة الثقفي، وتوسل إليه أن يقبل قيادة الشيعة بعد مقتل أبيه فرفض ذلك بشدة.

وإضافة إلى ذلك فإن تلك الرواية تتضمن اعترافا مبطنا بعـدم وجود أية نصوص على إمامة السـجاد أو أحقيته في مقابل دعـوى عمه ابن الحنفية بالإمامة، وتكشف عن ثغـرة كبـيرة في نظرية الإمامة التي كانت تفتقد إلى النص الجلي في ذلك الزمان.

وإذا افترضـنا صـحة الأسـطورة، وانها معجـزة حـدثت، فما هو الهـدف منهـا؟ أليس إقنـاع النـاس بإمامة زين العابـدين؟ وهـذا يفـترض أن تكـون المحاكمة علنيـة. فهل تمت المحاكمة أمـام الناس؟ ليشهدوا المعجزة ويستفيدوا من ثمرتهـا؟ ومن هم أولئك الناس؟ وهل كان المسـجد الحـرام فارغا وقتهـا؟ ولمـاذا لا يـذكر القصة أي مصـدر محايـد؟ وعلى فـرض رواية البـاقر لها فإنها لا تشكل حجة شرعية لوجود التهمة بالمصلحة السياسية من ورائها وإثبات الإمامة له من بعد أبيه.

ورغم أن القرآن الكريم ينفي علم الغيب عن أي أحد إلا بتعليم الله لبعض الرسل، فان أحد الغلاة السـابقين، من أعضـاء الحركة الكيسـانية وهو أبو خالد الكـابلي الـذي كـان خادما لمحمد بن الحنفية حتى وفاته ، قام باختلاق "معجزة" سـرية أخـرى تتحـدث عن علم الإمـام زين العابـدين بـالغيب، وإخبـار الكـابلي باسـمه الحقيقي (كنكـر) الـذي لا يعرفه أحـد.[837] وذلك في محاولة منه لإثبات "الإمامة الإلهية" لأبناء الحسين.

وبعد إقصـاء محمد بن الحنفية وأبنائـه، نظريا من الحق في الإمامـة، لم يسـتطع الإمـاميون حصر الإمامة في أبنـاء الحسـين، لمنافسة الحسنيين لهم وتصديهم للإمامـة، ولم يجـدوا ما يقولونه

---

[836] - الكليني، الكـافي، كتـاب الحجـة، بـاب ما يضل به بين دعـوى المحق والمبطل في أمر الإمامة، ح رقم 5 والصفار، بصـائر الـدرجات، ج 10 ص 502، وابن بابويه، الإمامة والتبصرة من الحيرة، ص 60

[837] - الكشي 2 | 336

ضدهم سوى اتهامهم بالكذب، ونسبة أحاديث حول ذلك إلى الإمام الباقر.[838] أو الاحتجاج بهذه الآية:" وجعلها كلمة باقية في عقبه" وتأويل "الكلمة" والضمير البارز بالحسين.[839] رغم أن الآية تتحدث عن النبي إبراهيم (عليه السلام) وعن كلمة التوحيد.[840] فكيف يمكن أن يقوم الباقر بتأويلها بالإمامة وفي جده الحسين دون دليل؟

وربما كان الإمامية يشعرون بضعف موقفهم في تأسيس نظريتهم، فجاءوا بأسطورة أخرى هي "معجزة حصاة أم أسلم" التي رووها عن الإمام الباقر ، وزعموا أنه قال : إن أم أسلم جاءت إلى النبي (ص) فأخبرته أنها قد قرأت الكتب وعلمت كل نبي ووصي، وسألته: فمن وصيك يا رسول الله؟ فقال لها : هذا هو وصيي، ثم ضرب بيده إلى حصاة من الأرض ففركها بإصبعه فجعلها شبه الدقيق، ثم عجنها، ثم طبعها بخاتمه، ثم قال: من فعل فعلي هذا فهو وصيي في حياتي وبعد مماتي، فخرجت من عنده، ثم جاءت إلى أمير المؤمنين ففعل كما فعل رسول الله، ثم جاءت إلى الحسن والحسين ، وعمرت حتى لحقت بعلي بن الحسين وفعل كل واحد منهم كفعل رسول الله (ص)".[841]

ولم يقل لنا الإماميون من هي "أم أسلم" المعمرة التي لا يعرفها أحد في التاريخ؟ وأين كانت؟ ومن أين جاءت؟ وأين التقت علي بن الحسين؟ وكيف؟ ولماذا لم تأتِ إلى الباقر لكي

---

[838] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أنه من ادعى الإمامة وليس لها بأهل، ح رقم 1 و 3

[839] - الخزاز، كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، ص 246

[840] - يقول السيد محمد حسين الطباطبائي في تفسير الميزان:" قوله تعالى: "وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون" الظاهر أن ضمير الفاعل المستتر في "جعلها" لله سبحانه، و الضمير البارز - على ما قيل - لكلمة البراءة التي تكلم بها إبراهيم (عليه السلام) و معناها معنى كلمة التوحيد ... و المراد بعقبه ذريته و ولده، و قوله: "لعلهم يرجعون" أي يرجعون من عبادة آلهة غير الله إلى عبادته تعالى أي يرجع بعضهم - و هم العابدون لغير الله بدعوة بعضهم و هم العابدون لله - إلى عبادته تعالى، و بهذا يظهر أن المراد ببقاء الكلمة في عقبه عدم خلوهم عن الموحد ما داموا، و لعل هذا عن استجابة دعائه (عليه السلام) إذ يقول: "و اجنبني و بني أن نعبد الأصنام": إبراهيم: 35.

[841] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما يضل به بين دعوى المحق والمبطل في أمر الإمامة، ح رقم 15

يطبع خاتمه في حصاتها؟ ولماذا لم يفعل النـبي الأكـرم مثل تلك "المعجزة" أمام كفار قريش ليثبت لهم نبوته؟

ولكي يجـرد أنصـار البـاقر خصـومهم الزيدية (الحسـنيين) من الحق بالزعامـة، قـاموا بنسـبة حـديث إلى البـاقر ينتقد فيه عمه الإمـام الحسن لاستسـلامه أمـام معاويـة، وإغمـاده أربعين ألف سيف، على العكس مما فعل جـده الحسـين الـذي قاتل بسـبعين رجلا. [842] فهل يعقل أن ينتقد البـاقر الإمـام الحسـن؟ أم أن هـذا الحديث موضوع عليه ضمن عشرات أو مئات الأحاديث التي كـان يضعها الغلاة بسهولة؟ ولا نقول ان الإمـام البـاقر كـان معصـوما، ولكن لا نعتقد أن التنـــافس السياسي مع أبنـــاء عمه يدفعه إلى انتقاد عمه الحسن على تنازله لمعاوية.

وربما يكون الباقر قد ادعى الحق بالثأر لمقتل جـده الحسـين، باعتبار أنه أولى من غيره به لأنه ولي الدم وأحق الناس به، وأنه قد استشـــهد بقوله تعـــالى :"ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا". [843] ولكن ما علاقة هذه الآية بالحق في الإمامة ؟

وأما حكاية "امتلاك البــاقر لســلاح رســول اللــه" ووراثته من أجداده، التي يسوقها الإماميون أيضا لإثبات حق الإمام الباقر في الإمامـــة، دون بـــني عمه الحســـنيين، وينســـبون إليه قوله:" إن السلاح فينا كمثل التـابوت في بـني إسـرائيل كـان حيثما دار فثم الملـك، وحيث ما دار السـلاح فثم العلم". فهي حكاية غـير قابلة للتصـديق، ونسـتبعد أن يكـون الإمـام البـاقر قد لجأ إليها لإثبـات إمامته. انطلاقا من عدم جـواز تعليق أمر الإمامة على أمر سـري لا يعلم به أحد، ولا يمكن إثباته لأحـد، أو يمكن للآخـرين ادعـاء ما يشابهه، حيث تقول الروايات نفسها : إن الإمام الباقر لم يستطع إظهار سـلاح رسـول الله للملأ، وأن ابن عمه عبد الله بن الحسن بن الحسن، كان يـدعي في نفس الـوقت امتلاكه لسـلاح رسـول الله.

لقد كان الإمامية يحاولون بشتى الوسائل والطـرق رسم هالة مقدسة حول الإمام محمد الباقر، وتحويله من إنسـان عـادي إلى "إمـام معصـوم معين من قبل اللـه" ولكنهم عجـزوا في إقنـاع قطاع كبير من الشـيعة الـذين لم يكونـوا يفرقـون بينه وبين أخيه

---

842 - العياشي، التفسير، ج 2 ص 291

843 - العياشي، التفسير، ج 2 ص 291

زيد بن علي، الذي رفع راية الجهاد والثـورة والثـأر للحسـين، مما أدى إلى التفاف كثير من الشيعة حوله، ودعوتهم إياه للخروج.

وبعد انهيار حجج الإمامية الواحدة تلو الأخرى، لم يجدوا ما يدعمون به دعـواهم حـول "إمامة البـاقر" سـوى طـرح موضـوع "العلم".[844] ولكنهم لم يستطيعوا إثبات أعلميته من غيره، غـير ما قـالوا من وراثة البـاقر لكتب من أبيـه. وهـذا أمر – إن صح - لا يوجد فيه دليل على الإمامة أو أي شيء آخر.

وهناك روايات ينقلها الكليني في "الكافي" أن الصـحابي جـابر بن عبد الله الأنصاري (تـوفي سـنة 78) أخذ بيدالباقر وقـال:" إن رسول الله (ص) أخبرني أني سأدرك رجلا من أهل بيته يقال لـه: محمد بن علي يكنى أبا جعفر، فإذا أدركته فـاقرأه مـني السـلام" وأن زين العابدين قال لـه: "هنيئا لك يا بـني ما خصك الله به من رسـوله من بين أهل بيتك لا تطلع اخوتك على هـذا فيكيـدوا لك كيدا، كما كادوا اخـوة يوسف ليوسف عليه السـلام".[845] ولا يوجد طريق لإثبات هذه الروايـات إلا من طريق الإماميـة، وهو ما يثـير الشك باختلاقها من قبلهم لإثبات إمامة الباقر، خاصة وأن الرواية الآنفة تصرح بأن الأمر كان سريا، وأن أباه نهـاه عن إطلاع اخوته عليـه، فكيف عـرف بقية النـاس؟ وكيف أصـبح ذلك دليلا على الإمامـة؟ مع أن الرواية - إن صـحت - لا تحمل من معـنى سـوى السلام فقط.

ومما يؤكد أن الإمام محمد الباقر كان بعيدا عن ادعاء أي منزلة غـير عاديـة، كالإمامة الإلهيـة، هو عـدم وصـيته بالإمامة إلى ابنه جعفر الصـادق، فقد اكتفى بالوصـية إليه بتغسـيله وتكفينه ودفنه.[846] وإذا لم تثبت الإمامة الإلهية لمحمد الباقر، فإنها بـالطبع لا تثبت لابنه جعفر الصادق، ولا إلى سائر "الأئمة" الآخرين.

ولعل الإمام الباقر كان يحاول التبرؤ من كثير من الجماعات التي تدعي التشـيع لـه، وتنسب إليه أمـورا لا يعرفهـا، عنـدما قـال: إن

---

844 - الكليني، الكافي، كتاب الحجـة، بـاب ما يضل به بين دعـوى المحق والمبطل في أمر الإمامة، ح رقم 16

845 - الكليني، الكـافي، كتـاب الحجـة، بـاب الإشـارة والنص على علي بن الحسين، ح رقم 3

846 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما يجب على النـاس عند مضي الإمام، ح رقم 2

"ثلاث عشرة فرقة تنتحل ولايتنا ومودتنـا، اثنتا عشـرة فرقة منها في النار وفرقة في الجنة".[847]

الفصل العاشـــر: تنزيه الإمـــام الصـــادق عن القـــول بنظرية "الإمامة"

لقد كانت مصيبة الإمام جعفر الصادق مع من يـدعي التشـيع في زمانه، أكبر من مصيبة أبيه، وذلك لأن بعضهم غالى فيه حـتى نسبه إلى الألوهية، أو وضعه تحت الألوهية بدرجة، وبعضـهم قـال بتفـويض الأمر إليه من الله بـالخلق والـرزق والحيـاة والمـوت والحسـاب، ولـذلك فقد كـان من الأيسر للغلاة أن ينسـبوا إلى الصادق النبوة، أو تحدث الملائكة معه، أو علمه بـالغيب، أو النص عليه من الله، وما إلى ذلك من أقوال ونظريـات بعيـدة كل البعد عن الدين الحق وعما كان يتبناه الإمام نفسه.

وقد اتبع الإمامية (أو ما كانوا يعرفون في تلك الأيام بالرافضة) نفس المنهج الـذي اتبعـوه من قبل مع والـده الإمـام البـاقر، من حيث بناء نظريتهم على التأويل التعسفي للقرآن الكـريم، ورواية أحاديث مرسـلة عن النـبي (ص)، أو عن الله عز وجـل، أو الأنبيـاء السـابقين والأمم الغـابرة، دون اعتمـاد على مصـدر معين، ونحن

---

847 - الكليني، الكافي، كتاب الروضـة، ح رقم 283 وجـاء سـدير فقـال لـه: إني تـركت مواليك مختلفين يتـبرأ بعضـهم من بعض قـال: فقـال: وما أنت وذاك، إنما كلف الناس ثلاثة: معرفة الأئمة، والتسليم لهم فيما ورد عليهم، والرد إليهم فيما اختلفوا فيه. الكليني، الكافي، كتاب الحجة، بـاب التسـليم وفضل المسلمين، ح رقم 1 وهذا ما يفسر قـول الإمـام الصـادق:" إنا أهل بيت صـديقون لا نخلو من كـذاب يكـذب علينا ويسـقط صـدقنا بكذبه علينا عند الناس" . و" إن فيهم من يكذب حتى أن الشـيطان ليحتـاج إلى كذبه.. لعنهم الله فإنا لا نخلو من كـذاب يكـذب علينا أو عـاجز الـرأي، كفانا الله مؤنة كل كذاب وأذاقهم حر الحديد". و" إن ممن ينتحل هـذا الأمة لمن هو شر من اليهود، والنصارى، والمجوس، والذين أشركوا". و"لقد أمسينا وما أحد أعـــدى لنا ممن ينتحل مودتنا ". و"ما أنـــزل الله ســـبحانه آية في المنـافقين، إلا وهي فيمن ينتحل التشـيع". و"لو قـام قائمنا بـدأ بكـذابي الشيعة فقتلهم ". الخوئي، معجم الرجـال،1681 عن الكشـي. ترجمة بن أبي زينب الأسدي، ح رقم5 و9 و 11 و 18، الطائفة الثانية

وإن كنا نشكك بجميع تلك الروايات ونستبعد صـدورها عن الإمـام الصـادق نفسـه، إلا أن ثبوتها حسب رأي الإمامية لا يشـكل لـدينا أية حجية، إذ أن الإمام لا يشكل لـدينا مصـدرا للعلم الإلهي حـتى نسـلم بكل ما يقـول، ولم تثبت لـدينا إمامته الإلهية وارتباطه بالغيب، حـتى نصـدقه في كل حـديث. وحاشا الإمـام الصـادق أن يقـول شـيئا من ذلـك، بل نعتقد أن كل ما نسب إليه في الـتراث الإمامي من أحاديث، ضعيف وغير صحيح ولا يمكن القبول به.[848]

وفي الحقيقة ان قسما كبيرا مما روي عن الصـادق هو تكـرار لما روي عن أبيه البـاقر، فلا حاجة كبـيرة لمناقشة الروايـات المكررة، ومع ذلك سنحاول التوقف عند بعضها.

وكما نلاحظ فان إحدى الروايات المنسوبة للصادق، تتحدث عن الوصـية في بـني إسـرائيل وتقـول: "أوصى موسى عليه السـلام إلى يوشع ابن نـون، وأوصى يوشع بن نـون إلى ولد هـارون، ولم يوص إلى ولده ولا إلى ولد موسى" دون أن تسند هذا القول إلى القرآن أو النبي محمد (ص) أو حتى إلى أي مصدر إسـرائيلي، ثم تواصل الرواية القيام بتأويل القرآن بصورة تعسـفية، فتقـول في تفسـير هـذه الآية**:**" وآت ذا القـربى حقـه" بـأن المقصـود منها إعطاء علي حقه: الوصية التي جعلت له، والاسم الأكـبر، مـيراث العلم، وآثـار علم النبـوة. وتقـرأ هـذه الآية بشـكل محـرف:" وإذا المودة سئلت بأي ذنب قتلت": يقـول أسـألكم عن المـودة الـتي أنزلت عليكم فضلها، مودة القربى بأي ذنب قتلتموهم". **[849]**

فهل كان الإمام الصادق يتلاعب القرآن بهذه الصورة؟ أم هـذا من فعل الغلاة والمنحرفين؟

---

[848] - وربما كان الإمامية يسلمون بكل ما يثبت صحته عن الصادق (وسائر الأئمة)، اعتمادا على عصمته وكونه مصدرا للعلم الإلهي والتشريع الـديني، ولكنا لم نصل إلى هذه المرحلـة، ولا زلنا نبحث في أسـاس الموضـوع، ولا يمكن ان نسلم بالنتيجة مورد النقاش، وإلا كان الأمر مصادرة ودورا باطلا.

[849] - الكليـني، الكـافي، كتـاب الحجـة، بـاب الإشـارة والنص على أمـير المؤمنين، ح رقم 3 ومن المعلوم أن الآية هي "وإذا الموؤدة سئلت".

ولا نريد أن نتوقف هنا عند كل رواية تنسب إلى الصــادق في مجــال تــأليف نظرية "الإمامــة"، فهي كثــيرة ولا تعد ولا تحصــى، ولكنها كلها قائمة على الادعاء والتأويل، مثل تفسير قول الله عز وجل: "كونوا مع الصادقين" بأنه يعني "الأئمة" .[850] وقوله تعالى: " يا أيها الــذين آمنــوا اســتجيبوا لله وللرســول إذا دعــاكم لما يحــــييكم" أنها نــــزلت في ولاية علي (ع). [851] وتفســــير الأمانة الــواردة في: "إنا عرضــنا الأمانة على الســماوات والأرض " أنها ولاية أمير المؤمــنين .[852] ولــذلك فــان هــذه الروايــات لا تؤسس عقيدة ولا تشــكل دليلا مقنعــا، فضلا عن أنها لم تثبت نســبتها إلى الإمام الصادق.

وأما الحــديث (الــدعاء) الــذي يــروى عن زرارة عن الصــادق، والــــذي يربط بين التوحيد والنبــــوة والإمامة :" اللهم عرفــــني نفسك، فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك، اللهم عرفــني رســولك، فإنك إن لم تعرفــني رســولك لم أعــرف حجتــك، اللهم عرفني حجتك، فإنك إن لم تعرفني حجتك ضــللت عن ديــني".[853] فانه يعــبر عن نظرية الإمامــة، ولكن تحيط به الملاحظــات الــتي قـــدمناها على كل ما ينسب إلى الصـــادق، ومع ذلك فقد مـــات زرارة وهو لا يعرف إمام زمانه بعد الصادق، فهل مات ضالا؟

وأما حــديث عبد الحميد بن أبي العلاء عن الصــادق، والــذي يساوي فيه بين عصيان إبليس لله في السجود لآدم، وتــرك الأمة الإسلامية للإمام الذي نصــبه النــبي، ويقــول إن الله لن يقبل عملا إلا من حيث أمرهم وبشرط تولي الإمام الــذي أمــرهم بولايته.[854]

---

[850] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما فرض الله ورسوله من الكون مع الأئمة، ح رقم 1

[851] - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم349

[852] - الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح رقم 2 و7 و 8 و 10 و 12و 16 و 29 و 45 وباب أن النعمة التي ذكرها الله في كتابه هم الأئمة، ح رقم 3

[853] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب نادر في حالات الغيبة، ح رقم 5

[854] - " لو أن إبليس سجد لله عز ذكره بعد المعصية والتكبر عمر الدنيا ما نفعه ذلك ولا قبله الله عز ذكره ما لم يســجد لآدم كما أمــره الله عز وجل أن يســجد لــه، وكــذلك هــذه الأمة العاصــية المفتونة بعد نبيها (ص) وبعد تركهم الإمام الذي نصبه نــبيهم (ص) لهم فلن يقبل الله تبــارك تعــالى لهم عملا ولن يرفع لهم حسنة حتى يأتوا الله عز وجل من حيث أمرهم ويتولوا الإمــام الــذي أمــروا بولايته ويــدخلوا من البــاب الــذي فتحه الله عز وجل

فهو يتضــمن قياسا مع الفــارق، من حيث وضــوح الأمر من الله تعالى إلى إبليس بالسـجود لآدم بنسـبة مائة بالمائـة، وغموضه أو عـــــدم ثبوته بالنســــبة لوجــــوب طاعة الأمة للأئمــــة. وكما يقــال:"العــرش ثم النقش". وإذا لم يثبت عــرش الإمامة فكيف نثبت نقش المساواة في المعصية مع إبليس؟

وهكذا يرد على الأحـاديث الأخـرى المنسـوبة للصـادق، والـتي تعتــبر تــولي غــير "الأئمــة" نوعا من الإلحــاد في الــدين.[855] أو الكفر.[856] أو الضلال.[857]

ويتجلى الكذب والـتزوير على لسـان الصـادق في هـذا الحـديث الـــذي يقـــول: إن " ولايتنا ولاية الله الـــتي لم يبعث نبيا قط إلا بها".[858] أو " ما من نبي جـاء قط إلا بمعرفة حقنا وتفضـيلنا على من سوانا". [859] أو "ولاية علي مكتوبة في جميع صـحف الأنبيـاء" [860] وذلك لأنها غير موجودة فعلا في أي كتاب من كتب الأنبياء، لا في التوراة ولا في الإنجيل، ولم يتحدث عنها القــرآن الكــريم، ولا أخـــبر بها الرســـول محمد (ص) فكيف علم بها الصـــادق؟ – لو صحت نسـبة الحـديث إليه - وهل يعقل أن يتلفظ الصـادق بهكـذا أحــــاديث؟ أم هي من اختلاق الغلاة لتشــــويه ســــمعته، وتمرير نظرياتهم الواهية باسمه ؟

كما يتجلى التأويل التعسفي للقرآن في هذا الحديث المنسوب للإمام الصادق، الـذي يئـوِّل "العـزم" في قـول الله عز وجـل: "

ورســـوله لهم، يا أبا محمد إن الله افـــترض على أمة محمد (ص) خمس فرائض: الصلاة والزكاة والصـيام الحج وولايتنا فـرخص لهم في أشـياء من الفرائض الأربعة ولم يرخص لأحد من المسلمين في ترك ولايتنا لا والله ما فيها رخصة". الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 399

[855] - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 533 و كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح رقم 3

[856] - الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح رقم52

[857] - الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح رقم 90

[858] - الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نتف وجوامع من الرواية في الولاية، ح رقم 3

[859] - الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نتف وجوامع من الرواية في الولاية، ح رقم 4

[860] - الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نتف وجوامع من الرواية في الولاية، ح رقم 6

ولقد عهــدنا إلى أدم من قبل فنسي ولم نجد له عزمـــا" بعـــدم اعـتراف آدم بالأئمـة، على العكس من أولي العـزم الـذين أقـروا بذلك.[861] ويضاف إلى التأويل في هذا الحـديث القـول بـالتحريف، فيــدعي نــزول الآية بشــكل آخر يتضــمن أســماء محمد وعلي وفاطمة والحسن والحســـين والأئمة من ذريتهم.[862] وهو ما يؤكد اختلاق الحديث من قبل الغلاة.

كما يتجلى التـأليف الخيـالي في هـذا الحـديث المنسـوب إلى الإمــــام الصــــادق: " إن الله عز وجل لما عــــرج بنبيه (ص) إلى سـماواته السـبع ... اجتمعت الملائكة فسـلمت على النـبي (ص) أفواجا وقـالت: يا محمد كيف أخـوك؟ إذا نـزلت فـاقرأه السـلام، قــال النــبي: أفتعرفونــه؟ قــالوا: وكيف لا نعرفه وقد أخذ ميثاقك وميثاقه منا وميثـاق شـيعته إلى يـوم القيامة علينـا؟ وإنا لنتصـفح وجوه شيعته في كل يوم وليلة خمسا - يعنون في كل وقت صلاة - وإنا لنصـــلي عليك وعليــه... محمد خـــير النبـــيين وعلي خـــير الوصيين. ثم أوحى الله إليه يا محمد صل على نفسك وعلى أهل بيتك فقــال: صــلى الله علي وعلى أهل بيــتي وقد فعــل..".[863] ويكفي في الحكم على هـــذا الحـــديث بالوضع والـــتزوير أنه لم ينسب الحـــديث إلى النـــبي، وإنما يحكيه كأنه أحد المشــاهدين، ويتضمن قصصا خيالية لم يتحـدث بها النـبي ولم يـذكرها أحد من الصحابة ولا التـابعين. ولـذا فمن المسـتبعد أن يكـون صـادرا عن الصادق.

واضـطر الإمامية من أجل إثبـات إمامة الصـادق الإلهيـة، في غيــاب النص عليــه، إلى ادعــاء علمه بــالغيب،[864] فقــال عمــار

---

[861] - الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح رقم 22

[862] - الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح رقم 23

[863] - الكليني، الكافي، ح رقم 5712 – 1 النوادر

[864] - راجع: مناظرة هشام بن الحكم مع الرجل الشامي في منى، والتي تطرق فيها إلى ضرورة الحجة، فلما سأله الرجل الشـامي عن الحجة قـام أبو عبد الله بإخبـاره كيف كـان سـفره وكيف كـان طريقه من الشـام إلى مكــة. وكــذلك منــاظرة أبي جعفر الأحــول مع الإمــام زيد بن علي في الكوفة، حيث ادعى "الأحول" بأن زيد قد أقسم له في النهاية بـأن صـاحبه (أي الإمـــام الصـــادق) قد حدثه في المدينة بأنه ســـوف يقتل ويصـــلب بالكناسة . كدليل على علم الصادق بالغيب وعلى إمامته الإلهيـة. الكليـني، الكافي، كتاب الحجة، باب الاضطرار إلى الحجة، ح رقم 4 و 5

الساباطي: سألت أبا عبدالله: عن الإمام، يعلم الغيب؟ فقال:" لا، ولكن إذا أراد أن يعلم الشيء أعلمه الله ذلك".[865] و"إن الإمام إذا شاء أن يعلم علم".[866] وقالوا:" إن الإمام ليسمع في بطن أمه ...فإذا صار الأمر إليه جعل الله له عمودا من نور، يبصر به ما يعمل أهل كل بلدة". [867]

وقد روى الإمامية كل تلك الروايات عن الإمام الصادق، ولكنا نشك بكل ما نسب إليه وإلى الأئمة من أهل البيت من روايات حول علمهم بالغيب. ونجلّ أهل البيت عن ادعاء هكذا أمور واضحة البطلان، خصوصا وإن بعض الروايات المنسوبة إليهم تشير إلى امتلاك الأئمة لاثنين وسبعين حرفا من اسم الله الأعظم، واحتفاظ الله عز وجل بحرف واحد!

ويلاحظ أن بعض تلك الروايات المدعية لعلم الأئمة بالغيب تناقض نفسها بنفسها، وتؤكد على عدم معرفتهم به، مثل رواية (سيف التمار) التي يقول فيها إن أبا عبد الله، سأل جماعة من الشيعة في الحجر: علينا عين؟ فالتفتوا يمنة ويسرة فلم يروا أحدا فقالوا: ليس علينا عين. ولو كان الإمام يعلم الغيب لعلم هل يوجد حواليه عيون أم لا؟ ولم يكن بحاجة للسؤال من الشيعة والالتفات يمنة ويسرة!

وأما رواية سماع الإمام في بطن أمه. [868] فهي أيضا دعوى يكذبها الواقع التاريخي، وعدم معرفة الأئمة أنهم أئمة إلا في آخر دقيقة من حياة الأول، كما تقول روايات يذكرها الكليني والصفار، وعدم ادعاء النبي محمد (ص) للسمع في بطن أمه، مما يلقي هذه الرواية في سلة الأكاذيب.[869]

نظرية "المحدَّث":

---

[865] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب نادر فيه ذكر الغيب، ح رقم 2 و 3 و 4

[866] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة إذا شاءوا أن يعلموا علموا، ح رقم 1 و باب أن الأئمة ورثوا علم النبي وجميع الأنبياء والأوصياء، ح رقم 1 و، باب نادر فيه ذكر الغيب، ح رقم 1 و، باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون، ح رقم 1 و 2 و باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة، ح رقم 1 و باب أن الأئمة يعلمون متى يموتون، ح رقم 2 و 7

[867] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب مواليد الأئمة، ح رقم 3 و 4 و 7

[868] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب مواليد الأئمة، ح رقم 4

[869] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب نادر فيه ذكر الغيب، ح رقم 3

وكما قلنا في الفصل السابق (تنزيه الإمام الباقر) فان الغلاة المندسين في صفوف الشيعة نسبوا فكرة "المحدَّث" إليه واستمروا يروجون نفس الفكرة حول ابنه الإمام جعفر الصادق، بالإضافة إلى نسبة العلم بالغيب إليه، فنقلوا عنه قوله:" مبلغ علمنا على ثلاثة وجوه: ماض وغابر وحادث فأما الماضي فمفسر، وأما الغابر فمزبور وأما الحادث فقذف في القلوب، ونقر في الأسماع، وهو أفضل علمنا ولا نبي بعد نبينا".[870] ونقلوا عن الصادق في تعريف "المحدَّث" بأنه الذي "يسمع الصوت ولا يرى الشخص. ويعطى السكينة والوقار حتى يعلم أنه كلام ملك".[871]

وزعم الغلاة أن علم الإمام لا يقتصر على التعلم من أفواه الرجال والكتب، وإنما هو "أعظم من ذلك وأوجب" وبواسطة "الروح التي ذكر في الكتاب، والتي يعطيها الله تعالى من شاء، فإذا أعطاها عبدا علمه الفهم".[872] وادعوا على لسان الصادق: أن الله تبارك وتعالى علمه كل علم أظهر عليه ملائكته وأنبياءه ورسله. [873]

وذهب الغلاة إلى القول بمرافقة الروح للأئمة، وهو "خلقٌ من خلق الله عز وجل أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله (ص) يخبره ويسدده وهو مع الأئمة من بعده".[874] وأضافوا:"إن الملائكة تصافح الأئمة على فرشهم، وأنهم ألطف بصبياننا منا بهم".[875] وتحدثوا عن جلوس الملائكة واتكائها على المساور في بيوت الأئمة وسقوط زغبها عليها.[876] ومضوا إلى

---

[870] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب جهات علوم الأئمة، ح رقم 1 و 2

[871] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة محدثون مفهمون، ح رقم 2 و 4

[872] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الروح التي يسدد الله بها الأئمة، ح رقم 5

[873] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء، ح رقم 1 و 2

[874] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الروح التي يسدد الله بها الأئمة، ح رقم 1 و 2 و 3 و 4

[875] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة تدخل الملائكة بيوتهم..ح رقم 1

[876] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة تدخل الملائكة بيوتهم..ح رقم 2 وقال أبو الحسن (الكاظم):"ما من ملك يهبطه الله في أمر ما يهبطه إلا بدأ بالإمام، فعرض ذلك عليه، وإن مختلف الملائكة من عند الله تبارك وتعالى إلى صاحب هذا الأمر".[?]

أبعد من ذلك فتحـدثوا عن صـعود أرواح "الأوصـياء" إلى السـماء لطلب المزيد من العلم، في ليـالي الجمعة، حـتى تـوافي عـرش ربها، فتطوف به أسبوعا وتصلي عند كل قائمة من قوائم العرش ركعتين، ثم ترد إلى الأبدان الـتي كـانت فيها فتصـبح الأوصـياء قد ملئوا سرورا وعلما.[877]

ورفع الغلاة منزلة "الأئمة" إلى منزلة رسـول الله (ص) ، واسـتثنوا في حـديث نسـبوه للصـادق موضـوع الـزواج بـأكثر من أربعة "فأما ما خلا ذلك فهم فيه بمنزلة رسـول الله (ص)".[878] وبـالرغم من تشـابه مقولة "المحـدَّث" للنبـوة ، فقد حـاول بعض الغلاة نفي شـبهة النبـوة عن الصـادق والتأكيد على خاتمية النـبي محمد (ص) لهـا.[879] بينما انـدفع قسم آخر منهم إلى المجـاهرة بادعاء النبـوة للصـادق. في حين رفضـها قسم ثـالث من الشـيعة وتساءلوا: كيف يعرف "المحـدَّث" ما يسـمعه أنه وحي من اللـه؟ ولماذا لا يكون من وحي الشيطان؟.[880]

وبغض النظر عن موقف الصـادق من نظرية "الإمامة الإلهيـة" فان الغلاة "الرافضة" عجزوا عن إثبـات "الإمامة الإلهيـة" لجعفر الصـادق، وفشـلوا في تطـبيق النظرية على الواقـع، حيث تـوفي الإمام محمد الباقر ولم يوصِ إلى ابنه جعفر بالإمامة، وإنما كانت وصيته التي يرويها الإمامية أنفسهم مقتصرة على شـؤون الغسل والتكفين والدفن، ولم يستنتج منها الإمام فحوى الوصـية بالإمامة إلا بالإشـارة. وحـاول الإمامية الاسـتدلال ببعض الروايـات الـتي تبادلوها في ذلك الوقت، والتي لم تكن صريحة ولا حاسمة، وإنما تتضمن فقط إشارات بفضل الصادق وعلمه.[881]

---

877 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة يـزدادون في ليلة الجمعـة، ح رقم 1 و 2 و بـاب لـولا أن الأئمة يـزدادون لنفد ما عنـدهم، ح رقم 1 و 2

878 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة بمن يشبهون ممن مضى وكراهة القول فيهم بالنبوة، ح رقم 7

879 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة بمن يشبهون ممن مضى وكراهة القول فيهم بالنبوة، ح رقم 2 و 3

880 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة محدثون مفهمون، ح رقم 4

881 - الكليني، الكـافي، كتـاب الحجـة، بـاب الإشـارة والنص على جعفر الصادق، ح رقم 1

وقد كانت عملية إثبات إمامة الصادق صعبة حتى لكثـير من الشيعة الذين ظلوا يتساءلون عن كيفية انتقال الإمامة من الباقر إلى الصـادق. وذهب الكثـير منهم إلى اتبـاع عمه الإمـام زيد بن علي الذي لم يكن يقل علما عنه. والذي استمر بالاتصال بالشيعة وتحريضهم على الثورة ضد الأمويين، وبايعه خمسة عشر ألفا في الكوفة، وقام بالخروج سنة 122 للهجرة في أيـام هشـام بن عبد الملك.

وهنا يقول الإمامية: إن الصـادق رفع في مواجهة عمه زيد شـعارا هو: "لا تعود الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسـين أبـدا". ومع الشك بنسبة هذا الحـديث إلى الإمـام الصـادق، فانه لم يقم على أساس من القرآن أو السنة النبوية أو العقل أو الواقع، ولـذلك لم ينجح ذلك الشعار في صرف الجماهير الشيعية عن الإمام زيد، ما عدا فئة صغيرة منهم سماهم بـ"الرافضة" الـذين انسـحبوا أثنـاء المعركة مع الأمويين.

وينسب الإمامية إلى الصــادق: وضع قــانون الوراثة العمودية للإمامة في أبناء الحسين إلى يـوم القيامـة، وعـدم جـواز انتقالها إلى أخ أو عم أو ابن أخ أو ابن عم، ولا غــــيرهم من الأقربـــاء. و"إنما هي في الأعقاب وأعقاب الأعقاب".[882] "ثم هكذا أبـدا".[883] ولكن نسبة هذا القـول إلى الصـادق أيضا غـير ثابتـة، فـإذا كـانت الإمامة من الله فان الله يضعها حيثما يشاء وليس بالضـرورة في سـلالة معينة وبصـورة عموديـة، وإذا كـان هـذا القـانون صـحيحا فلماذا تم اختراقه بالنص على الأخوين الحسن والحسين؟ ولمـاذا لم يكن لبعض الأئمة (مثل عبد الله الأفطح) عقب حــتى تســتمر الإمامة في ذريته؟ ولماذا طـرح الإمـام الصـادق شـروطا أخـرى لمعرفة الإمــام وعلامــات يُعــرف بها الإمــام الجديــد، كالوصــية الظــاهرة والفضل والعلم والكــبر والســلاح والســكينة والوقــار والهيبة؟.[884]

وإذا كانت الإمامة من الله فكان لا بد أن يكون لها قانون ثابت يهدي الناس ويجمعهم ولا يفرقهم أو يتركهم حيارى بعد كل إمام.

---

882 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ثبات الإمامة في الأعقاب، ح رقم 1 و3 و 4

883 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ثبات الإمامة في الأعقاب، ح رقم 5

884 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الأمور التي توجب حجة الإمام، ح رقم 2و 3 و 6 وباب ما يجب على الناس عند مضي الإمام، ح رقم 2 و 3

[885] كما لم يكن يجــوز أن يوصي الإمــام إلى أحد من أبنائه (كما وصى الصادق لابنه إسماعيل) ثم يموت في حياته.

ويقول الإمامية أيضا: إن الصادق استدل على إمامته في البداية بوراثة الســلاح من أبيــه، وكــان يقــول:"مثل الســلاح فينا كمثل التـابوت في بـني إسـرائيل. كـانت بنو إسـرائيل في أي بيت وجد التابوت على أبوابهم أوتوا النبوة. ومن صار إليه السـلاح منا أوتي الإمامـــة. ولقد لبس أبي درع رســـول الله فخطت عليه الأرض خطيطا. ولبستها أنا وكـانت. وقائمنا من إذا لبسـها ملأها إن شـاء الله".[886]

ولكن هذا السـلاح كـان مسـتورا، ولم يـره أحـد، فلم يقـدم ولم يؤخر.[887] خاصة وأن الحسنيين كانوا أيضا يدعون امتلاكهم لسـلاح رسول الله .[888]

وفي محاولة لتجاوز الجدل حول السلاح، يقولـون إن الصـادق طـرح بدائل أخـرى هي (العلم والجفر ومصـحف فاطمة). بيد أنه لم يكن صــعبا على الحســنيين ادعــاء امتلاكهم لكل ذلك كــدليل على شرعيتهم وأحقيتهم بالإمامة.[889]

ويروون عن الإمام الصادق أنه تحدث عن الميزة الـتي تؤهله للإمامة فقال :" أما والله عندنا ما لا نحتاج إلى النـاس وان الناس ليحتـاجون إلينـا. ان عنـدنا الصـحيفة : سـبعون ذراعا بخط علي وإملاء رســول الله .. فيها من كل حلال وحـــرام".[890] ولكن الحسنيين قـاموا بتحديه والاسـتهزاء بادعائه امتلاك "الجفـر". [891]

---

[885] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب نادر في الغيبة، ح رقم 28

[886] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، بـاب ما عند الأئمة من سـلاح رسـول الله ومتاعه، ح رقم 1

[887] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما يجب على النـاس عند مضي الإمام، ح رقم 2

[888] - الخوئي، معجم الرجال، رقم 6805 عن الصفار، بصـائر الـدرجات: الجزء 4، الباب 4، في أن ما عند الأئمة (عليهم السلام)، من سلاح رسول الله صلى الله عليه وآيات الأنبياء، ص 174.

[889] - الصفار، بصائر الدرجات، ص 158 و- الكليـني، الكـافي، ج1 ، ص 241

[890] - الصفار، بصائر الدرجات، ص 142

واتهامه بأنه "رجل صـحفي" أي أنــه يأخذ من الصـحف السـابقة الإسرائيلية .[892]

وهكذا خسر الصادق معركة الزعامة لصالح أبنـاء عمـه، وخصوصا "محمد بن عبد الله ذي النفس الزكية" الـــــذي نهض لإســقاط النظــام الأمــوي، بعد مقتل الوليد بن يزيد في دمشق سنة 126، وبايعه الهاشميون وغيرهم من المعارضين للأمــويين، حتى دخل بعضـهم (كعمـرو بن عبيد زعيم المعتزلة، مع مجموعة منهم) على الصـادق، ودعـوه للانخـراط في حـركتهم ومبايعة ابن عمه محمد بن عبد الله.[893]

الصادق يتبرأ من نظرية "الإمامة"

لم تقم نظرية "الإمامة الإلهيــة" إلا على مجموعة أســاطير وتـأويلات تعسـفية للقـرآن الكـريم، وأحـاديث مختلقة وروايـات تاريخية مـزورة، ونظريـات مضـادة لضـروريات الـدين الإسـلامي كخاتمية نبوة النـبي محمد (ص) وانقطـاع الـوحي من بعـده. وقد كــان من اليســير على أي مســلم أو محقق أن يــدرك بــراءة الإمـامين البـاقر والصـادق من تلك النظرية بـراءة الـذئب من دم يوسـف، ويقطع بأنها من تـأليف الغلاة المتـآمرين المندسـين في صفوف الشيعة. وما كان لهؤلاء أن ينجحوا في تسـويق نظـريتهم باسم أئمة أهل الــبيت إلا بواسـطة "التقيــة" الــتي أتــاحت لهم تفسير وتأويل وقلب أحاديث الأئمة وأفعـالهم ومـواقفهم بصـورة معكوسة رأسا على عقب، بــالرغم من إنكــار الإمــام الصــادق وتـــبرؤه من كل ما كـــان الغلاة ينســـبون إليه من دعـــاوى في "الإمامة الإلهيــة". وكـانوا يــروون عن الصـادق أنه يقــول: " ما سمعته مني يشبه قـول النـاس: فيه التقية ، وما سـمعت مـني لا يشبه قـول النـاس فلا تقية فيـه".[894] وكـان الغلاة قد نسـبوا إلى الصادق دعاوى أخـرى كالألوهية والنبـوة، ولكنه نجح بسـهولة في التـبرؤ منهـا، كما نجح أيضا ولكن بصـعوبة في التـبرؤ من دعـوى تحـــدث الملائكة مع الأئمة أو نـــزول الـــوحي عليهم، أو علمهم

---

891 - الصفار، بصائر الدرجات: الجـزء 3، بـاب 14 في الأئمة أنهم أعطـوا الجفر والجامعة ومصحف فاطمة ، ح رقم (15)

892 - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 553

893 - الكليني، الكافي، ح رقم 8247 – 1

894 - الوافي، [33379] 46

بالغيب. إلا أن الصادق عانى صعوبة كبيرة جـدا في مكافحة بعض أجزاء نظرية "الإمامة الإلهية" البسيطة مثل موضوع "النص على الأئمة من اللـه" الـذي أخذ طريقه بسـهولة الى عقـول الشـيعة "الإمامية" وغدا من الصعب على الكثير منهم التفريق بين مذهب "جعفر الصـادق" الحقيقي وبين ما نسـبه اليه المتطرفـون من الإماميـة. بحيث أصـبح من البـديهي على مـرِّ التـاريخ اعتبـار "الإمامية" جـزءا من "الجعفريـة". ولكن التمعن بعمق في تـراث الإمام الصادق والنظر اليه بصورة شـاملة والقيـام بعملية مقارنة ومحاسـبة وتقـييم من مختلف الجـوانب وملاحظة تطـبيق نظرية الإمامة والعقبات التي واجهتها، يساعد معرفة الغث من السمين، والتعرف على حقيقة مذهب الإمـام جعفر الصـادق. وقد قمنا في الفصل السابق بتقييم الروايـات الـتي نسـبها الإمامية الى البـاقر والصـــادق، من حيث المتن والمضـــمون، وملاحظة تعـــارض تلك الروايـــات مع العقل والعلم والقـــرآن الكـــريم. وقد اهتممت في مرحلة من مراحل البحث بمناقشة تلك الروايـــــــات من حيث السـند، فوجـدت أن "الإماميـة" المتـأخرين (الاثـني عشـرية) قد قاموا ويقومون بنقد الكثـير من تلك الروايـات الـواردة في كتـاب "الكافي" للكليني، حتى لم يعودوا يقبلونها أو يطمئنـون لروايتهـا، ولم تبـــقَ لـــديهم مشـــكلة في رفض ما تبقى من الروايـــات "الإمامية" سوى الإيمان بموضوع "التقية". ولو أزاح الشـيعة هـذا الغطاء عن أحاديث أهل البيت والإمام الصادق بالخصوص لنظروا إلى حقيقة مذهب "التشيع" بعيدا عن أقاويل الغلاة والمتطرفين. وذلك لأن الـتراث الشـيعي نفسه يحمل الينا على لسـان الإمـام الصادق رفضا صريحا لنظرية "الإمامة الإلهية" وتوابعهـا، فهو مثلا ينفي بصراحة نظرية "الإمامة الإلهية" وينفي علمه بالغيب، ويأمر شيعته بـالولاء للشـيخين أبي بكر وعمر (اللـذين يتهمهما الإمامية باغتصاب الخلافة من علي) ولم يـدع النص عليه من أبيه البـاقر، كما لم ينص على أحد من ولـده بالإمامـة. وكل هـذه الحقـائق يؤشر على عـدم تبنيه لنظرية الإمامة إلا أن الغلاة يفسـرون كل ذلك بصورة معكوسة تحت ستار "التقية".

فقد روى الكليني عن سعيد السمان أنه كـان عند أبي عبدالله (الصادق) إذ دخل عليه رجلان من الزيدية فقـالا لـه: أ فيكم إمـام مفترض الطاعـة؟ فقـال: لا، فقـالا لـه: قد أخبرنا عنك الثقاة أنك تفـتي وتقر وتقـول به ونسـميهم لـك، فلان وفلان، وهم أصـحاب ورع وتشمير، وهم ممن لا يكـذب. فغضب أبو عبدالله فقـال: هم

أعلم وما قــالوا .. ما أمــرتهم بهــذا. فلما رأيا الغضب في وجهه خرجا.[895]

ولكن "الإمامية"يضيفون إلى هذه الرواية: أن الإمام الصادق لعن السائلَين (الزيـديين) بعـدما خرجـا، وأكد نظرية الإمامـة، وادعى: "أن لديه ســيف رســول الله (ص) ودرعه ولامته ومغفــره، وأن عنــده خــاتم ســليمان والطست الــذي كــان يقــرب بها موسى القربــان، وأن عنــده التــابوت الــتي جــاءت بها الملائكة تحملــه، والسلاح الـذي من صـار إليه أوتي الإمامة".[896] وبغض النظر عن المناقشة في هــذه الــدعاوى المغالية العجيبة الغريبة الــتي لم يـدعها رسـول الله (ص) من أجل إثبـات نبوتـه. فـإن هـذه التتمة تكشف عن تنـاقض دعـوى "الإماميـة" السـرية مع موقف الإمـام الصادق المعلن الرافض لنظرية "الإمامة الإلهية".

موقف الصادق الإيجابي من الشيخين

وبناء على عـدم إيمـان الصـادق بنظرية "الإمامة الإلهيـة" اتخذ موقفا إيجابيا من الشــــــيخين أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) خلافا للإمامية الذين كانوا يتهمونهما باغتصاب الخلافة من علي ويتبرءون منهما، والذين كانوا ينسبون إلى الصادق ســرا أنه كــان يلعنهمــا. فكــان الإمــام الصــادق يتــولى أبا بكر وعمر علنــاً ويطـالب الشـيعة بتوليهمـا، كما يقـول سـالم بن أبي حفصـة: أنه سـأل أبا جعفر وابنه جعفـراً عن أبي بكر وعمـر، فقـال: يا سـالم تولهما، وابرأ من عدوهما، فإنهما كانا إمامي هدى، ثم قال جعفر: يا سـالم، أيسب الرجل جـده ؟ أبو بكر جـدي، لا نـالتني شـفاعة محمد (ص) يــــوم القيامة إن لم أكن أتولاهمــــا، وأبــــرأ من عدوهما".[897]

---

[895] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما عند الأئمة من سلاح رسـول الله ، ح رقم 1 والكشي عن سعيد الأعـرج عن الإمـام الصـادق. الخـوئي، معجم الرجال، رقم 5109 والصـفار، بصـائر الـدرجات، ج 4، بـاب (4) ما عند الأئمة عليهم السلام من سلاح رسول الله ص وآيات الأنبيـاء، ح رقم (4)

[896] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الاضطرار إلى الحجة، ح رقم 5

[897] - الـذهبي، سـير أعلام النبلاء ج 6 ص 258 وذكر الخـوئي نقلا عن السـيد المهنا في عمـدة الطـالب: أن أم الصـادق: أم فـروة بنت القاسم الفقيه ابن محمد ابن أبي بكر، وأمها أسماء بنت عبد الرحمان بن أبي بكر، ولهذا كان الصادق يقول:" ولدني أبو بكر مـرتين". الخـوئي، معجم رجـال الحديث، رقم 9558

وهذا ما أكده أبو بصير (وهو من الإمامية المعادين للشيخين) في رواية يقول فيهـا: كنت جالسا عند أبي عبدالله إذ دخلت عليه "أم خالد" تسـتأذن عليه فقـال أبوعبداللـه: أَيسُـرُّك أن تسـمع كلامهـا؟ فقلت: نعم، فقـال: أما الآن فـأذن لها. قـال: وأجلسـني معه على الطنفسة ثم دخلت فتكلمت فـإذا امـرأة بليغة فسـألَتْه عنهما (عن الشيخين) فقال لها: توليهما؟ قالت: فـأقول لـربي إذا لقيته إنك أمرتني بولايتهما؟ قال: نعم، قالت: فإن هذا الذي معك على الطنفسة (أبا بصـير) يـأمرني بـالبراءة منهما، وكثـير النـوا (صاحب سالم بن أبي حفصة) يأمرني بولايتهما.[898]

ورغم وضوح موقف الإمام الصادق الإيجابي من الشيخين ، هنا ، فإن أبا بصير يزعم أن أم خالد سألت الإمام قائلـة: فأيهما خـير وأحب إليك؟ (كثـير النـوا أو أبو بصـير) قـال: هـذا والله أحب إلي من كثير النوا وأصحابه، إن هـذا يخاصم فيقـول: " ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون" "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون" " ومن لم يحكم بما أنـزل الله فأولئك هم الفاسقون".[899]

الصادق ينفي علم الغيب

وقد روى الكليني أيضا عدة روايات عن الإمام الصـادق ينفي فيها علمه بالغيب، الذي يشكل أساس نظرية "الإمامـة".[900] فنقل عن سـدير، أن الإمـام خـرج مغضـبا على مجموعة من أصـحابه هم (سدير وأبو بصير ويحيى البزاز وداود بن كثير) وقال لهم:"يا عجبا لأقـوام يزعمـون أنا نعلم الغيب، ما يعلم الغيب إلا الله عز وجـل، لقد هممت بضرب جاريتي فلانة، فهربت مـني فما علمت في أي بيوت الدار هي".[901] وأنه ردَّ على أبي الخطاب الـذي كـان يـروج مثل تلك الإشـــاعات، فقـــال:".. وأما قوله : إني قلت :" أعلم الغيب" فوالله الـــذي لا إله إلا هو ما أعلم فلا آجـــرني الله في أمواتي ولا بارك لي في أحيـائي إن كنت قلت لـه. قـال : وقدامه جويرية سوداء تدرج قال: لقد كان مني إلى أم هذه، أو إلى هذه، كخطة القلم فـأتتني هـذه فلو كنت أعلم الغيب ما كـانت تـأتيني،

---

898 - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 319
899 - المصدر السابق.
900 - راجع الفصل الخامس، دعوى الإمامية علم الصادق بالغيب.
901 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب نادر فيه ذكر الغيب، ح رقم 3

ولقد قاسـمت مع عبدالله بن الحسن حائطا بيـني وبينه فأصـابه السهل والشرب وأصابني الجبل".[902]

وعندما نقل أبو بصير للإمام الصادق قول الغلاة بأنه يعلم قطر المطر وعـدد النجـوم وورق الشـجر ووزن ما في البحر وعـدد الـتراب، رفع الإمـام يـده إلى السماء وقـال: "سـبحان الله!.. سبحان الله!.. لا والله ما يعلم هذا إلا الله".[903]

ولما قـال له يحـيى بن عبد الله بن الحسـن: إن قوما يزعمون أنك تعلم الغيب، قال الصادق: "سـبحان اللـه، ضع يـدك على رأسي، فوالله ما بقيت في جسدي شعرة، ولا في رأسي إلا قـامت، قـال: ثم قـال: لا واللـه، ما هي إلا رواية عن رسـول الله (ص)".[904]

الصادق يحذر من الكذب عليه

وإذا وضعنا موقف الإمام الصادق هذا، العلني الـرافض لنظرية النص الإلهي، والنفي لعلم الغيب، والإيجـابي من الشـيخين، الى جانب مجموعة من الأحاديث والتصريحات التي يشكو فيها الإمام من كثرة الكذب عليه في حياته ، فإن الصـورة تتضح أكـثر، حيث يقـول:" ما أكـثر ما يكـذب النـاس عليَّ".[905] و" إنا أهل بيت صـديقون لا نخلو من كـذاب يكـذب علينا ويسـقط صـدقنا بكذبه علينا عند النـاس" . و" أحـدهم يسـمع الكلمة فيحط إليها عشرا".[906] و" إن ممن ينتحل هذا الأمر ليكذب حتى أن الشيطان ليحتـاج إلى كذبـه".[907] " لعنهم الله فإنا لا نخلو من كـذاب يكـذب علينا أو عـاجز الـرأي، كفانا الله مؤنة كل كـذاب وأذاقهم حر الحديـد". و" إن ممن ينتحل هـذا الأمة لمن هو شر من اليهـود، والنصارى، والمجـوس، والـذين أشـركوا". و"لقد أمسـينا وما أحد أعـدى لنا ممن ينتحل مودتنا ". و"ما أنـزل الله سـبحانه آية في

---

[902] - الخوئي، معجم الرجال (10012) عن الكشـي، ترجمة محمد بن أبي زينب الأسدي، ح رقم 5

[903] - الخوئي، معجم الرجال (10012) عن الكشـي، ترجمة محمد بن أبي زينب الأسدي، ح رقم 7 الطائفة الثانية

[904] - الخوئي، معجم الرجال (10012) عن الكشـي، ترجمة محمد بن أبي زينب الأسدي، ح رقم ، الطائفة الثانية

[905] - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 293

[906] - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب التقية، ح رقم 10

[907] - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 362

المنــافقين، إلا وهي فيمن ينتحل التشــيع". و"لو قــام قائمنا بــدأ بكذابي الشيعة فقتلهم ". [908]

وتحدث عن أحد الغلاة (موسى ابن الأشيم) فقال:" كـان يأتيني فيدخل علي هو وصـاحبه، وحفص بن ميمـون، ويسـألوني، فــاخبرهم بــالحق، ثم يخرجــون من عنــدي إلى أبي الخطــاب، فيخبرهم بخلاف قولي، فيأخـذون بقولـه، ويـذرون قـولي". [909] و" إني لأحـدث الرجل بحـديث وأنهـاه عن الجـدال والمـراء في دين الله تعالى، وأنهاه عن القياس فيخـرج من عنـدي فيتـأول حـديثي على غير تأويله". [910]

---

908 - الخــوئي، معجم الرجــال،1681 عن الكشــي. ترجمة بن أبي زينب الأسـدي، ح رقم5 و9 و 11 و 18، الطائفة الثانية وكـان الإمـام البـاقر قد كشف أيضا حقيقة الكثــير ممن انتحل التشــيع له فتــبرأ منهم وقــال: إن "ثلاث عشرة فرقة تنتحل ولايتنا ومودتنـا، اثنتا عشـرة فرقة منها في النـار وفرقة في الجنة". الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 283 وربما كان لبعد الإمامين البـاقر والصـادق (اللـذين كانا يعيشـان في المدينة المنـورة) عن الجمـاهير الشـيعية الـتي كـانت تتواجد بمعظمها في الكوفة والعـراق وخراسان.. حيث لم يقم الصادق بزيارة العراق إلا مرة واحدة بُعيد سقوط الدولة الأموية وعند قيام الدولة العباسية في حدود سنة 132هـ . ربما كان لهذا البعد دور في افتقادهما للهيمنة على الجماهير الشيعية وإتاحة الفرص للغلاة للتلاعب بالشيعة وتسويق أفكارهم ونسبة ما يريدون لهما.

909 - الخوئي، معجم رجال الحديث، رقم 3825 الكشي، ترجمة جعفر بن ميمون.
وقــال أبو عمـرو الكشي ، قـال يحـيى بن عبد الحميـد الحمـاني في كتابه المؤلف في إثبات إمامة أمير المؤمنين عليه السلام : قلت لشريك : (لعله شريك بن عبدالله النخعي الكوفي القاضي المتوفى سنة 177 (أو) 178) إن أقواما يزعمون أن جعفر بن محمد ضعيف الحـديث ، فقـال : أخـبرك القصة كان جعفر بن محمد رجلا صـالحا مسـلما ورعا فاكتنفه قـوم جهـال يــدخلون عليه ويخرجــون من عنــده ويقولــون : حــدثنا جعفر بن محمد ، ويحدثون بأحـاديث كلها منكـرات كـذب موضـوعة على جعفر ، ليسـتأكلون الناس بذلك ، ويأخـذون منهم الـدراهم ، كـانوا يـأتون من ذلك بكل منكر ، فسمعت العوام بـذلك منهم فمنهم من هلك ومنهم من أنكر . وهـؤلاء مثل المفضل بن عمر وبنان وعمر النبطي وغيرهم ، ذكروا أن جعفرا حدثهم أن معرفة الإمام تكفي من الصوم والصـلوة ، وحـدثهم عن أبيه عن جـده وأنه حدثهم " ع ه " قبل يوم القيامة وأن عليا عليه السلام في السـحاب يطـير مع الـريح وأنه كـان يتكلم بعد المـوت ، وأنه كـان يتحـرك على المغتسل ، وأن إله السماء وإله الأرض الإمام ، فجعلوا لله شريكا جهال ضـلال . والله ما قــال جعفر شــيئا من هــذا قط ، كــان جعفر أتقى لله وأورع من ذلك فسـمع النـاس ذلك فضـعفوه ، ولو رأيت جعفـرا لعلمت أنه واحد النـاس . رجال الكشى : 208 و 209

910 - الخوئي، معجم الرجال،1681 عن الكشي.

وعندما وجد الصادق أكثر من يدعي التشيع في زمانه كاذبا في دعواه ولا يلتزم بدقة بتعليماته وأقواله، خاطبهم بصراحة:" كان أصحاب أبي والله خيرا منكم، كان أصحاب أبي ورقا لا شوك فيه، وأنتم اليوم شوك لا ورق فيه، فقال أبو الصباح الكناني جعلت فداك: فنحن أصحاب أبيك، قال: كنتم يومئذ خيرا منكم اليوم".[911] وقال لزيد الشحام:" مالكم وللناس قد حملتم الناس علي، إني والله ما وجدت أحدا يطيعني ويأخذ بقولي إلا رجلا واحدا رحمة الله عليه عبدالله بن أبي يعفور".[912]

الصادق يتبرأ من الغلاة

وقد حرص الإمام الصادق على تأسيس منهج واضح لشيعته يقوم على الالتزام بالكتاب والسنة، ودعاهم لرفض أية مقولة تنسب إليه إذا كانت تخالفهما، والضرب بتلك المقولة عرض الجدار. وبذل جهدا كبيرا طوال حياته في مكافحة الغلاة ومقولاتهم الشيطانية. فحذر شيعته منهم قائلا: "إحذروا على شبابكم الغلاة لا يفسدوهم، فان الغلاة شر خلق الله ، يصغرون عظمة الله ويدعون الربوبية لعباد الله ، والله إن الغلاة لشرٌّ من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا". وأضاف:" لا تقبلوا علينا حديثا إلا ما وافق القرآن والسنة، أو تجدون معه شاهدا من أحاديثنا المتقدمة، فإن المغيرة بن سعيد لعنه الله دس في كتب أصحاب أبي أحاديث لم يحدث بها أبي، فاتقوا الله ولا تقبلوا علينا ما خالف قول ربنا تعالى وسنه نبينا محمد (ص) فإنا إذا حدثنا قلنا: قال الله (عزَّ وجل) وقال رسول الله (ص)".[913] وأضاف:"كان المغيرة بن سعيد يتعمد الكذب على أبي، ويأخذ كتب أصحابه، وكان أصحابه المستترون بأصحاب أبي يأخذون الكتب فيدفعونها إلى المغيرة، وكان يدس فيها الكفر والزندقة،

---

[911] - الخوئي، معجم الرجال، رقم 263 – ترجمة: إبراهيم بن محمد بن سعيد

[912] - الكشي ، ترجمة عبدالله بن أبي يعفور ، عن حمدويه، قال: حدثنا أيوب بن نوح، عن محمد بن الفضيل، عن أبي أسامة زيد الشحام. ولعل من أشهر الوضاعين على لسان أهل البيت هو الزنديق عبد الكريم بن أبي العوجاء الذي اندس في صفوف الشيعة فترة من الزمن، قبل أن يكشف أمره ويحكم بالإعدام، والذي اعترف قبل مقتله "بأنه وضع أربعة آلاف حديث أحل بها الحرام وحرم بها الحلال، وفطر الرافضة في يوم من أيام صومهم وصومهم في يوم من أيام فطرهم". البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 255- 256

[913] - الخوئي، معجم رجال الحديث، رقم 12587 - المغيرة بن سعيد

ويسندها إلى أبي، ثم يدفعها إلى أصحابه، ثم يأمرهم أن يبثوها في الشيعة، فكل ما كان في كتب أبي من الغلو فذاك مما دسه المغيرة بن سعيد في كتبه".[914] وأكد ذلك قائلا :"إنه كان يكذب على أبي فأذاقه الله حر الحديد". وقال أيضا:" لعن الله المغيرة بن سعيد ولعن الله يهودية كان يختلف إليها يتعلم منها السحر والشعبذة والمخاريق، إن المغيرة كذب على أبي (ع) فسلبه الله الإيمان ، وإن قوما كذبوا عليَّ مالهم؟! أذاقهم الله حر الحديد. فوالله ما نحن إلا عبيد الذي خلقنا واصطفانا، ما نقدر على ضر ولا نفع ، وإن رحمنا فبرحمته ، وإن عذبنا فبذنوبنا ، والله مالنا على الله من حجة ولا معنا من الله براءة ، وإنا لميتون ومقبورون ومنشورون ومبعوثون وموقوفون ومسؤولون. ويلهم! مالهم؟! لعنهم الله ! لقد آذوا الله وآذوا رسوله (ص) في قبره وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي (صلوات الله عليهم) ، وها أناذا بين أظهركم لحم رسول الله وجلد رسول الله (ص) أبيت على فراشي خائفا وجلا مرعوبا، يأمنون وأفزع ، ينامون على فرشهم وأنا خائف ساهر وجل، أتقلقل بين الجبال والبراري". وأضاف:"لعن الله من قال فينا مالا نقوله في أنفسنا ، ولعن الله من أزالنا عن العبودية لله الذي خلقنا وإليه مآبنا ومعادنا وبيده نواصينا". وقال: "لعن الله عبدالله بن سبأ إنه ادعى الربوبية في أمير المؤمنين ، وكان والله أمير المؤمنين عليه السلام عبدا لله طائعا، الويل لمن كذب علينا، وإن قوما يقولون فينا مالا نقوله في أنفسنا، نبرأ إلى الله منهم ، نبرأ إلى الله منهم ".[915]

ووجه الإمام الصادق خطابا عاما إلى الشيعة قائلا:"يا معشر الشيعة.. شيعة آل محمد.. كونوا النمرقة الوسطى، يرجع إليكم الغالي، و يلحق بكم التالي، فقال له رجل :جعلت فداك ما الغالي؟ قال: قوم يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا، فليس أولئك منا ولسنا منهم، قال: فما التالي؟ قال: المرتاد يريد الخير، يبلغه الخير و يؤجر عليه".[916] ثم قال :" إلينا يرجع الغالي فلا نقبله، وبنا يلحق المقصر فنقبله ، فقيل له : كيف ذلك يا ابن رسول الله؟ قال : الغالي قد اعتاد ترك الصلاة والزكاة والصيام والحج فلا يقدر على ترك عادته وعلى الرجوع إلى طاعة الله عز

---

914 - أسد حيدر، الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، المجلد الثاني، ص 381 – 383

915 - رجال الكشى : 70 و 71

916 - الطبرسي، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، ط 2 ،1385 ه/ص .66

وجل أبدا ، وإن المقصر إذا عرف عمل وأطـاع". وقـال في تأويل قوله تعالى:"هل أنبئكم على من تنزل الشياطين؟ تـنزل على كل أفـاك أثيم" قـال: هم سـبعة: المغـيرة وبيـان وصـائد وحمـزة بن عمـارة الـبربري والحـارث الشـامي وعبد الله بن الحـارث وأبو الخطاب.[917]

وشن الإمام الصادق حملة شعواء على "الخطابية" الذين قالوا ان الأئمة أنبياء، ثم قالوا انهم آلهة، كـأبي الخطـاب محمد بن أبي زينب مقلاص الأسدي الكوفي، معتمد الإمام الصادق السـابق في الكوفـة، الـذي اسـتلهم بعض أفكـار الحركـات الشـيعية المغالية السـابقة (كالكيسـانية والبيانيـة) كفكـرة تفسـير الـدين بالرجـال، فكتب إليه :" بلغـني أنك تـزعم أن الزنا رجـل، وأن الخمر رجـل، وأن الصلاة رجل، والصيام رجل، والفواحش رجـل، وليس هو كما تقـول، إنا أصل الحـق، وفـروع الحق طاعة اللـه، وعـدونا أصل الشـر، وفـروعهم الفـواحش، وكيف يطـاع من لا يعـرف، وكيف يعـرف من لا يطـاع ؟ ".[918] ورد الإمـام على تأويل أبي الخطـاب العبادات بالرجـال، فقـال:" ما كـان الله عز وجل ليخـاطب خلقه بما لا يعلمون".[919]

وعنـدما ادعى أبو الخطـاب بـأن الأئمة أنبيـاء، ونـزول الملائكة عليه وتحدثهم معـه، وأنهم "محـدَّثون".[920] قـال الإمـام الصـادق: أبرأ ممن قال: "إنا أنبياء" .[921] وقال لأبي بصير: "يا با محمد أبرأ ممن يزعم أنا أرباب .. أبرأ ممن يـزعم أنا أنبيـاء". وحـذر شـيعته

---

[917] - المصادر

[918] - الخوئي، معجم الرجال (10012) عن الكشـي، ترجمة محمد بن أبي زينب الأسدي، ح رقم 4

[919] - الخوئي، معجم الرجال (10012) عن الكشـي، ترجمة محمد بن أبي زينب: مقلاص، أبو الخطاب الأسدي، ح رقم ، الطائفة الثانية 1

[920] - وهي المقولة التي كان يروجها من قبل المعلى بن خنيس، حتى قال الصادق عنه: "هلك فيها أبو الخطاب فلم يـدر ما تأويل المحـدَّث والنـبي". الكليني، الكـافي، كتـاب الحجـة، بـاب في أن الأئمة محـدثون مفهمـون، ح رقم 2

[921] - رجـال الكشى : 160 وذلك بعد محـاورة بين أحد أصـحاب أبي الخطـاب، وهو معلى بن خـنيس، مع عبد الله ابن أبي يعفـور، حيث قـال:" الأوصياء أنبياء". بينما قال ابن أبي يعفـور "الأوصياء علمـاء أبـرار أتقيـاء" فدخلا على الصـادق فلما اسـتقر بهما المجلس بـدأهما فقـال : يا عبد الله أبرأ ممن قال: "إنا أنبيـاء" . وقد قتل الـوالي العباسي داود بن علي سـنة 132 فقتله.

ممن يقـول بـذلك:" من قـال : بأننا أنبيـاء فعليه لعنة اللـه، ومن شك في ذلك فعليه لعنة الله".[922]

وقـام الصـادق بتكـذيب أبي الخطـاب في دعـواه القـرب من الصادق، وأن الإمام ضع يده على صدره وقال له :" عُـه ولا تنس !" وأنـه قـال له :" عيبة علمنا وموضع سـرنا أمين على أحيائنا وأمواتنا".[923] وقال الصـادق :" لا والله ما مسَّ شئ من جسـدي جسـده إلا يـده.. وأما قوله : إني قلت : "هو عيبة علمنا وموضع سرنا أمين على أحيائنا و أمواتنا" فلا آجـرني الله في أمـواتي ولا بـارك لي في أحيـائي إن كنت قلت له شـيئا من هـذا قـط"[924] واضاف:"كان أبو الخطـاب أحمـق، فكنت أحدثه فكـان لا يحفـظ، وكان يزيد من عنده ".[925]

واتخذ الإمام الصادق موقفا أشد من أبي الخطاب بعد ادعائه الألوهية للإمـام الصـادق، والنبـوة له، وقـال: لا والله ، لا يـأويني وإياه سقف بيت أبدا ، هم شـرٌّ من اليهـود والنصـارى والمجـوس والذين أشركوا ، والله ما صغر عظمة الله تصـغيرهم شئ قط .. والله لو أن عيسى أقر بما قالت النصـارى لأورثه الله صـمما إلى يـوم القيامة ، والله لو أقـررت بما يقـول فيَّ أهل الكوفة ، لأخذتني الأرض ، وما أنا إلا عبد مملوك لا أقدر على ضر شئ ولا نفع " . وقال لسدير: "يا سدير سمعي وبصري وشـعري وبشـري ولحمي ودمي من هؤلاء براء ، برئ الله منهم ورسوله ، ما هؤلاء

[922] - رجال الكشى : 193 و194 و195

[923] - وقد كشفه معاوية بن عمار، الذي يقـول : بلغـني عن أبي الخطـاب أشياء فدخلت على أبي عبدالله (الصادق)، فدخل أبو الخطاب وأنا عنده أو دخلت وهو عنـده فلما أن بقيت أنا وهو في المجلس قلت لأبي عبداللـه: إن أبا الخطاب روى عنك كذا وكذا ، قال : كذب ، قـال : فـأقبلت أروي ما روى شـيئا مما سـمعناه وأنكرنـاه إلا سـألت عنه ، فجعل يقـول : كـذب. وزحف أبو الخطاب حتى ضرب بيده إلى لحية أبي عبدالله ، فضـربت يـده وقلت : خلِّ يدك عن لحيته ، فقـال أبو الخطـاب : يا أبا القاسم لا تقـوم ؟ قال أبوعبدالله: له حاجة، حتى قال ثلاث مـرات، كل ذلك يقـول أبوعبدالله : له حاجة . فقـال أبوعبدالله : إنما أراد أن يقـول لـك: يخـبرني ويكتمك ، فأبلغ أصحابي كذا وكذا ، وأبلغهم كذا وكـذا. رجـال الكشى ، ترجمة محمد بن أبي زينب، ح رقم 9 .

[924] - الخوئي، معجم الرجال (10012) عن الكشـي، ترجمة محمد بن أبي زينب الأسدي، ح رقم 5

[925] - الخوئي، معجم الرجال (10012) عن الكشـي، ترجمة محمد بن أبي زينب: مقلاص، أبو الخطاب الأسدي، ح رقم 12

على ديني ودين آبـائي ، والله لا يجمعـني وإيـاهم يـوم القيامة إلا وهو عليهم ساخط" .[926]

وعندما جاء جماعة من الخطابية الى المدينة يسألون الإمام عن الربوبية، خرج لهم مرتعدا خائفا وقد وقفت كل شـعرة في رأسه وقال لهم مغضـبا: " بل عبـادٌ مكرمـون لا يسـبقونه بـالقول وهم بـــأمره يعملـــون".[927] وأنكر على أحـــدهم (وهو خالد بن نجيح الجوان) قوله لأصحابه: "ويحكم ما أغفلكم عند من تكلمون! عند رب العـالمين!" فقـال له الإمـام : "ويحك يا خالد إني والله عبد مخلوق لي رب اعبده، إن لم اعبده والله عذبني بالنار".[928] وقـال لرجل آخر منهم (صالح بن سـهل الهمـداني) : "يا صـالح إنا والله عبيد مخلوقون لنا رب نعبده ؟ إن لم نعبده عذبنا ".[929]

وعنــدما قــام "الخطابيــة" في الكوفة بالتلبية باسم الإمــام الصادق، خرَّ الإمـام سـاجدا وألـزق جؤجـؤه بـالأرض وبكى وأقبل يلوذ بإصـبعه ويقـول : "بل عبدٌ لله قنٌ داخرٌ" مـراراً كثـيرة ، ثم رفع رأسه ودموعه تسـيل على لحيتـه. فقـال له أحد أصـحابه : جعلت فـــداك وما عليك أنت من ذا ؟ فقـــال :" يا مصـــادف إن عيسى لو سكت عما قـالت النصـاري فيه لكـان حقا على الله أن يصم سمعه ويعمي بصره، ولو سكتُّ عما قال أبو الخطاب لكـان حقا على الله أن يصمّ سمعي ويعمي بصري".[930]

وقال الإمام الصادق تعقيبا على تلبية "الخطابية" باسمه:" والله لو ابتلوا بنا وأمرنـاهم بـذلك لكـان الـواجب أن لا يقبلـوه ، فكيف

---

[926] - المصدر ، ح رقم 6 قال : قلت : فما أنتم جعلت فـداك ؟ قـال : خـــزان علم الله وتراجمة وحي الله ونحن قـــوم معصـــومون ، أمر الله بطاعتنا ونهى عن معصـــيتنا ، نحن الحجة البالغة على من دون الســـماء وفوق الأرض . رواه أيضا الكليـني عن محمد بن يحـيى عن أحمد بن محمد عن البرقي عن أبي طالب عن سـدير. الكليـني، أصـول الكـافي، ج 1 ص 269.

[927] - رجال الكشي : 209

[928] - الصفار، بصائر الدرجات، ج 5 ، ح رقم (25)

[929] - الخوئي، معجم الرجال، رقم 5827 عن الكشي.

[930] - وفي قصة مشـابهة حـدثت في المدينة هتف بعض الخطابية : "لبيك جعفر بن محمد لبيك" فرجع الصـادق إلى منزلـه مغضبا خائفا ذعـرا مما قالوا وسجد في مسجده وعفر وجهه بالتراب وتـذلل للـه، وبـريء إليه مما هتف به. وقال: لو أن عيسى بن مريم عدا ما قال الله فيه إذاً لَصُمَّ صـمما لا يسمع بعده أبدا وعمي عمى لا يبصر بعـده أبـدا، وخـرس خرسا لا يتكلم بعده أبدا ". رجال الكشي : 192 و 193

وهم يـروني خائفا وجلا أسـتعدي الله عليهم وأتـبرأ إلى الله منهم أشهدكم أني امـرؤ ولـدني رسـول الله (ص) وما معي بـراءة من الله، إن أطعته رحمني وإن عصـيته عـذبني عـذابا شـديدا أو أشد عذابه".[931]

وأضاف:" يا رب بـرئت إليك مما ادعى فيَّ الأجـدع عبد بـني أسد (أبو الخطـاب)، خشع لك شـعري وبشـري، عبدٌ لك ابن عبد لك، خاضعٌ ذليل" ثم أطـرق سـاعة في الأرض كأنه ينـاجي شـيئا، ثم رفع رأسه و هو يقــــول: "أجل..أجل.. عبد خاضع خاشع ذليل لربه صـاغر راغم ، من ربه خـائف وجـل، لي والله رب أعبـده، لا أشــرك به شــيئا، ما له أخــزاه الله وأرعبه ولا آمن روعته يــوم القيامــة.. ما كــانت تلبية الأنبيــاء هكــذا، و لا تلبيــتي، و لا تلبية الرسل، إنما لبيت: بلبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك".[932]

وقام الإمام الصادق بلعن أبي الخطاب، ولكنه حاول الالتفـاف على لعن الإمام له، وبراءته منـه، بتأويل كلامه، فقـال: إن الإمـام يريد رجلا آخر في البصـرة يسـمى قتـادة البصـري ويكـنى بـأبي الخطاب، ولما نقل إلى الإمام الصادق تحريفه لكلامه قـال: والله ما عنيت إلا محمد بن مقلاص بن أبي زينب الأجدع البراد عبد بني أسد. ومع ذلك فقد قـال أبو الخطـاب : إن أبا عبدالله يريد بلعنه إيانا في الظاهر أضدادنا في الباطن، وتأول قول الله تعالى:"واما السـفينة فكـانت لمسـاكين يعملـون في البحر فـأردت ان أعيبها وكــان وراءهم ملك يأخذ كل ســفينة غصــبا" بــأن الســفينة أبا الخطــاب وأن المســاكين أصــحابه، وان الملك الــذي وراءهم عيسى بن موسى والي الكوفة العباسي.[933]

ولم يرتح الإمام الصادق من أبي الخطاب إلا بمقتله، على يدي عيسى بن موسى صاحب المنصور بسبخة الكوفة. سـنة 138 هــ وعندما سـمع بخـبره سُـرَّ به وقـال: "لعن الله أبا الخطـاب ولعن الله من قتل معه ولعن الله من بقي منهم ولعن الله من دخل قلبه رحمة لهم". وقال أيضا عندما ذكـره أحد أصـحابه بعد حين:"

---

931 - الخوئي، معجم رجال الحديث ، ترجمة المغيرة بن سـعيد، والكشي في رجاله.

932 - المجلسي، بحار الأنوار، ج 47، ص 378، عن كتاب زيد النرسي.

933 - الأشعري القمي، سعد بن عبد اللـه، المقـالات والفـرق، ص 55 وقد مر بنا قبل قليل أن الإمام الصادق استخدم هذه الآية في تـبرير لعن زرارة ظاهريا من أجل التغطية عليه.

على أبي الخطـاب لعنة الله والملائكة والنـاس أجمعين ، فأشـهد بالله أنه كـافر فاسق مشـرك ، وأنه يحشر مع فرعــون في أشد العذاب غدوا وعشيا".[934]

ونتيجة لخطـورة مقـولات "الخطابيـة" وخـروجهم عن الـدين، واختلاطهم بالشـيعة والمصــلين في مســجد الكوفة وإظهــارهم التعبـد، وبث أفكـارهم المغالية سـراً ، حـاول الإمـام الصـادق أن يفصل بينهم وبين الشيعة، فقال: "لا تقاعـدوهم ولا تؤاكلـوهم ولا تشاربوهم ولاتصافحوهم ولا توارثوهم".[935]

ولم يكتفِ الإمام الصادق بمكافحة الخطابية، وإنما لاحق فلولهم وأشباههم "المفوضة" الذين قالوا بتفويض الله للإمـام الصـادق،

---

[934] - وهكـذا لعن بقية الأئمة من أهل الـبيت أبا الخطـاب وأصـحابه ومنهم يونس بن ظبيان الذي سلم على بنت أبي الخطاب في قبرها قائلا: السلام عليكِ يا بنت رســول الله (ويقصد أبا الخطــاب). حيث لعنه الإمــام الرضا وقال لمن ذكره عنده: اخرج عني لعنك الله ولعن من حـدثك ولعن يـونس بن ظبيـان ألف لعنة تتبعها ألف لعنة كل لعنة منها تبلغك قعر جهنم أشـهد ما نـاداه إلا شـيطان ، أما إن يــونس مع أبي الخطــاب في أشد العــذاب مقرونان، وأصحابهما إلى ذلك الشيطان مع فرعـون وآل فرعـون في أشد العـذاب ، سـمعت ذلك من أبي عليه السـلام . بحـار الأنـوار جلـد: 25 من صفحه 280 إلى صفحه 288

[935] - يقـول النوبخـتي والأشـعري القمي: "كـانت الخطابية قد لزمــوا المســجد بالكوفة واظهـروا التعبد ولـزم كل رجل منهم اسـطوانة وكـانوا يدعون الناس إلى أمرهم سرا فبلغ خبرهم عيسى بن موسى وكـان عـاملا لأبي جعفر المنصــور على الكوفة وبلغه انهم قد اظهـروا الاباحـات ودعــوا الناس إلى نبوة أبي الخطاب وانهم مجتمعون في مسجد الكوفة قد لزمـوا الأساطين يـرون النـاس انهم لزمـوا للعبـادة فبعث إليهم رجلا من أصـحابه في خيل ورجالة ليأخذهم ويأتيه بهم فامتنعوا عليه وحاربوه وكـانوا سـبعين رجلا فقتلهم جميعا ولم يفلت منهم أحد إلا رجل واحد أصــابته جراحـــات فســقط بين القتلى فعد فيهم فلما جن الليل خــرج من بينهم فتخلص وهو أبو سلمة سالم بن مكرم الجمال الملقب بأبي خديجة . وكانت بينهم حرب شديدة بالقصب والحجـارة والسـكاكين كـانت مع بعضـهم وجعلـوا القصب مكان الرماح . فقاتلوا حـتى قتلـوا عن آخـرهم واسر أبو الخطاب فـأتى به عيسى بن موسى فـأمر بقتله فضـربت عنقه في دار الـرزق على شـاطئ الفـرات وأمر بصـلبه وصـلب أصـحابه فصـلبوا ثم أمر بعد مـدة بـإحراقهم فاحرقوا وبعث برؤوسهم إلى المنصور فأمر بها فصـلبت على مدينة بغـداد ثلاثة أيام ثم أحرقت" . سعد بن عبدالله في كتاب المقالات والفـرق ، ص 81 والنوبختى في فرق الشيعة، ص 69 و 70

والأئمة من أهل الــبيت، بــالخلق والــرزق والحيــاة والمــوت والحساب يوم القيامة.[936]

وقد تصدى الإمام الصادق لهم، واحتج عليهم بالقرآن الكـريم الــذي يقــول بصــراحة: "الــذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحـييكم هل من شـركائكم من يفعل من ذلكم من شئ سـبحانه وتعـالى عما يشـركون". واعتـبر الصـادق "المفوضـة" مشـركين، ولعنهم أشد اللعن. وعندما دخل حجر بن زائدة وعـامر بن جذاعة الأزدي على أبي عبدالله فقــالا له : جعلنا فــداك إن المفضل بن عمر يقـول : إنكم تقـدرون أرزاق العبـاد. فقـال :" والله ما يقـدر أرزاقنا إلا الله ، ولقد احتجت إلى طعـام لعيـالي فضـاق صـدري وأبلغت إلي الفكرة في ذلك حتى أحرزت قوتهم ، فعنـدها طـابت نفسي ، لعنه الله وبرئ منه، قالا : أفنلعنه ونتبرأ منه ؟ قـال: نعم ، فلعناه وبرئنا منه، برئ الله ورسوله منه".[937]

وقد تبرأ الإمام الصادق أيضا من "مفـوض" آخر هو أبو هـارون موسى بن عمــير المكفــوف، الــذي كـان ينقل عن الصــادق أنه يقول:" إن كنت تريد القـديم فـذاك لا يدركه أحد ، وإن كنت تريد

---

[936] - زعيمهم "المفضل بن عمر الجعفي" (تـوفي سـنة 179هــ) قـال عنه **النجاشي**:" مفضل بن عمر أبو عبد الله ، قيل أبو محمد الجعفي : كوفي ، فاسد المذهب ، مضـطرب الرواية ، لا يعبأ به . وقيل : إنه كـان خطابيا ، وقد ذُكِـرَت له مصـنفات لا يعـول عليها ، وإنما ذكرنا [ه] للشـرط الـذي قدمناه . وقال عنه **ابن الغضائري** : " ضعيف ، متهافت ، مرتفع القــول ، خطابي. وقد زيد عليه شــيء كثـير ، وحَمَل الغلاة في حديثه حَمْلا عظيما ، ولا يجـــــوز أن يكتب حديثه ، وروى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السـلام ". وقد نقل كلام ابن الغضــائري فيه ابن داود في رجاله والعلامة في الخلاصة آخذين بقوله .

[937] - وقد عمل أنصار المفضل روايات معاكسة على لسان الصادق، حيث روى عبد الله بن الوليد، قال: قال لي أبو عبد اللـه: ما تقـول في المفضل ؟ قلت: وما عسيت أن أقول فيه بعدما سـمعت منـك، فقـال: رحمه اللـه، لكن عامر بن جذاعة وحجر بن زائدة، أتياني فعاباه عندي، فسألتهما الكف عنه، فلم يفعلا، ثم سـألتهما أن يكفا عنـه، وأخبرتهما بسـروري بـذلك، فلم يفعلا ! فلا غفر الله لهما ". وقال بشـير الـدهان: قال أبو عبد الله لمحمد بن كثير الثقفي: ما تقول في المفضل بن عمر ؟ قال: ما عسيت أن أقول فيه، لو رأيت في عنقه صليبا، وفي وسـطه كشـطيخا (كسـحا)، لعلمت أنه على الحق، بعدما سمعتك تقول فيه ما تقول. قـال: رحمه اللـه، لكن حجر بن زائـدة، وعـامر بن جذاعة أتيـاني فشـتماه عنـدي، فقلت لهمـا: لا تفعلا فــإني أهــواه، فلم يقبلا، فسـألتهما وأخبرتهما أن الكف عنه حــاجتي، فلم يفعلا ! ! فلا غفر الله لهما". الكشي ، في ترجمة عــــــــــامر بن جذاعة والمفضل بن عمر.

الذي خلق ورزق فـذاك محمد بن علي". فقـال الصـادق :" كـذب عليَّ عليه لعنه الله، ما من خالق إلا الله وحده لا شريك لــه، حق على الله أن يـذيقنا المـوت، والـذي لا يهلك هو الله خـالق الخلق بارئ البرية".[938]

ويقول زرارة أنه أخـبر الصـادق: إن رجلا من ولد عبدالله بن سبأ يقول بالتفويض ، فقال: وما التفويض ؟ قال: "إن الله تبـارك وتعــالى خلق محمــدا وعليا صــلوات الله عليهما ففــوض إليهما فخلقا ورزقا وأماتا وأحييا" فقـال الصـادق: كـذب عـدو اللـه، إذا انصرفت إليه فاتلُ عليه هـذه الآية الـتي في سـورة الرعـد: " أم جعلــوا لله شــركاء خلقــوا كخلقه فتشــابه الخلق عليهم قل الله خــــالق كل شئ وهو الواحد القهــــار ". فانصــــرفت إلى الرجل فأخبرته فكأني ألقمته حجرا ، أو قال: فكأنما خرس .

وعنـدما سـمع الصـادق وهو في المدينة بعض أقـوال المغـالي بشار الشعيري (مؤسس الفرقة العليائيـة)[939] في الكوفـة، أرسل إليه أحد أصحابه ويدعى (مرازم) وقـال له: " إن اليهـود قـالوا ما قالوا ووحدوا الله وإن النصارى قالوا ما قـالوا ووحـدوا اللـه، وإن بشاراً قـال قـولا عظيمـا، فـإذا قـدمت الكوفة قل له : يقـول لك جعفر : يا كافر يا فاسق يا مشرك أنا بـرئ منك" . قـال مـرازم : فلما قدمت الكوفة فوضـعت متـاعي وجئت إليه فـدعوت الجارية فقلت : قولي لأبي إسماعيل : هذا مرازم ، فخرج إلي فقلت له : يقـول لك جعفر بن محمد : يا كـافر يا فاسق يا مشـرك أنا بـرئ منك، فقـال لي : وقد ذكـرني سـيدي ؟ قـال : قلت : نعم ذكـرك بهـذا الـذي قلت لـك، فقـال: جـزاك الله خـيرا وفعل بك ، وأقبل يدعو لي.[940]

وعنـدما ذهب الإمـام الصـادق إلى الكوفـة، دخل عليه بشـار الشعيري، فرفض الإمام استقباله وطرده قائلا:" اخرج عني لعنك الله ، والله لا يظلني وإياك سـقف بيت أبـدا". فلما خـرج قـال :" ويله .. ألا قال بما قالت اليهود ، ألا قـال بما قـالت النصـارى ، ألا قال بما قـالت المجـوس ، أو بما قـالت الصـابئة ، والله ما صـغر

938 - رجال الكشى : 145

939 - "بشار الشعيري" هو مؤسس الفرقة المغالية "العليائية" التي كانت تقول: بأن عليا هو رب ، ظهر بالعلوية والهاشمية وأظهر أنه عبده ورسوله بالمحمديـة. رجـال الكشى : 252 3 والشهرسـتاني، الملل والنحل 1 : 293

940 - الخوئي، معجم الرجال ، رقم 1728 عن الكشي

الله تصغير هذا الفـاجر أحد ، إنه شـيطان ابن شـيطان خـرج من البحر ليغوي أصحابي وشيعتي فاحـذروه ، وليبلغ الشـاهد الغـائب أني عبد الله بن عبد الله عبدٌ قنٌ ابنُ أمة ، ضـــمتني الأصـــلاب والأرحام ، وأني لميت وأني لمبعوث ثم موقوف ثم مسئول والله لأسألَنَّ عما قال فيَّ هذا الكذاب وادعاه عليَّ. ياويله ماله! أرعبه الله ، فلقد أمن على فراشه وأفزعـني وأقلقـني عن رقـادي، أو تـدرون أني لِـمَ أقـول ذلك ؟ أقـول ذلك لأسـتقر في قـبري".[941] وقــال لجماعة بشــار الشــعيري: "ويلكم توبــوا إلى الله فــإنكم كافرون مشركون" .[942]

دور الغلاة في تمزيق صفوف الشيعة

لقد كان القائلون بنظرية "الإمامة الإلهية" فئة قليلة من شيعة الإمــام جعفر الصــادق، وهم كــانوا أقــرب إلى الغلاة منهم الى "الجعفرية". وقد تسببوا في شق صفوف الشيعة وإحـداث خلاف شديد بينهم بحيث قاطعوا بعضهم في الصلاة في زمن البـاقر.[943] وتــبرأ بعضــهم من بعض، وكفر بعضــهم بعضــا.[944] واســتمرت الحلافات الداخلية بين الشيعة في عهد الإمام الصادق، حتى دخل عبد الأعلى عليه، وقال له: إن شيعتك قد تباغضوا وشنئ بعضـهم بعضا فلو نظرت جعلت فداك في أمـرهم، فقـال: لقد هممت أن أكتب كتابا لا يختلف علي منهم اثنان، فقال: ما كنا قط أحوج إلى ذلك منا اليوم.[945]

---

[941] - رجال الكشى : 253 و 254

[942] - رجال الكشى : 252 .

[943] - روى الكشى عن ... أبي علي بن راشد عن أبي جعفر الثاني، قـال: قلت: جعلت فـداك قد اختلف أصـحابنا فأصـلى خلف أصـحاب هشـام بن الحكم؟ فقال: عليك بعلي بن حديد، قلت: فآخذ بقوله؟ فقال: نعم، فلقيت علي بن حديد فقلت له: أصلي خلف أصحاب هشام بن الحكم؟ قال لا.
راجع أيضا:الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 5279 - 5

[944] - الخـوئي، معجم الرجـال، رقم 2224 ، نقلا عن الكشي في ترجمة جعفر بن عيسى بن عبيد (بن يقطين).

[945] - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 282

ودخل الفيض بن المختار، على الإمام الصادق وقال له: جعلـني الله فداك ما هذا الاختلاف الذي بين شيعتكم ؟ قال: وأي اختلاف يا فيض ؟ فقال له الفيض: إني لأجلس في حلقهم بالكوفة فأكـاد أن أشك في اختلافهم في حديثهم. فقـال أبو عبد اللـه:" أجل هو كما ذكرت يا فيض، إن الناس أولعوا بالكذب علينا إن (كأن) الله افترض عليهم لا يريد منهم غيره وإني أحدث أحدهم بالحديث فلا يخرج من عندي حتى يتأوله على غير تأويله وذلك أنهم لا يطلبون بحـديثنا وبحبنا ما عند الله وإنما يطلبـون به الـدنيا، وكل يحب أن يدعى رأسـا، إنه ليس من عبد يرفع نفسه إلا وضـعه الله وما من عبد وضع نفسه إلا رفعه الله وشـرفه، فـإذا أردت حـديثا فعليك بهذا الجالس" وأومأ إلى زرارة بن أعين.[946]

وروى الكشي عن أبي عبدالله أنه قال لزيد الشحام:" يا زيد مالكم وللناس قد حملتم النـاس علي، إني والله ما وجـدت أحـدا يطيعـني ويأخذ بقـولي إلا رجلا واحـدا رحمة الله عليه عبدالله بن أبي يعفور".[947] وهو الذي كان يحارب الغلاة ويقول :"إن الأوصياء علمـاء أبـرار أتقيـاء".[948] وقد جـاء سـدير الصـيرفي إلى الإمـام الصـادق يحرضه على الثـورة زاعما أن عـدد الشـيعة يبلغ مئـات الألوف أو نصف الدنيا فقال له الإمام: "والله يا سدير لو كـان لي شيعة بعدد هذه الجداء (وأشـار إلى قطيـع) ما وسـعني القعـود". فعدَّ سدير الجداء، فإذا هي سبعة عشـر.[949] مما يـدل على عـدم اعتراف الإمام الصادق بكثير ممن كانوا ينتحلون التشـيع في تلك الأيام. ولذلك غضب الإمام عندما قال له أبو الصباح الكناني : إنا نعيَّر بالكوفة فيقـال لنا "جعفريـة" . ثم قـال: إن أصـحاب جعفر منكم لقليل، إنما أصحاب جعفر من اشتد ورعه وعمل لخالقه.[950]

وتداول الشيعة في تلك الأيام حـديثا عن الإمـام علي بن أبي طالب يصور حالة الشـيعة في ذلك الزمـان، ويقـول فيـه:"... فيا عجبا وما لي لا أعجب من خطأ هـذه الفـرق على اختلاف حججها في دينها، لا يقتصون أثر نبي ولا يقتدون بعمل وصي ... ووا أسفا من فعلات شيعتي من بعد قرب مودتها اليوم كيف يستذل بعـدي بعضها بعضا وكيف يقتل بعضها بعضا، المتشـتتة غـدا عن الأصـل،

---

946 - الخوئي، معجم الرجال، ترجمة زرارة، عن الكشي، الحديث رقم 9

947 - الكشي في ترجمة عبدالله بن أبي يعفور

948 - رجال الكشى ، ترجمة بن أبي يعفور

949 - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب في قلة عدد المؤمنين، ح رقم 4

950 - الكشي، الجعفرية

النازلة بالفرع، المؤملة الفتح من غير جهته، كل حزب منهم آخذ منه بغصن، أينما مال الغصن مال معه... ".[951]

وربما كان هذا الحديث من تأليف بعض المعاصرين لتلك الفترة، ولكنه يحكي واقع التشتت والخلافات الداخلية، التي كانت تعصف بالشيعة في تلك الأيام. ولا شك بوجود عوامل عديدة لدى مختلف الأحزاب الشيعية المتصارعة، ولكن لا شك أيضا بمسئولية الأحاديث "الصعبة" المغالية والروايات المتناقضة والأفكار المتطرفة وعلى رأسها نظرية "الإمامة الإلهية" عن ذلك الاختلاف.

الفصل الحادي عشر: وصول "التشيع الديني" إلى طريق مسدود

المبحث الأول: أزمة خلافة الصادق

استعرضنا فيما سبق أدلة متعددة على عدم تبني الإمام الصادق لنظرية "الإمامة الإلهية" القائمة على العلم الغيبي والنص من الله. ونضيف الى ذلك إشارة جعفر الصادق إلى ابنه إسماعيل كخليفة مرتقب من بعده، وقد توفاه الله تعالى في حياته. ولو كان تعيينه من الله لما مات قبل أبيه، أو لم يكن الصادق يشير إليه من قبل خلافا لإرادة الله. ولم يكن الله ليخبر أحدا بأن فلانا سيكون إماما ثم يتوفاه قبل أوان إمامته. ولكن الإمامية الذين كانوا يعتقدون بأن الإمامة من الله وأن الله تعالى قد أخبر الصادق بتعيين ابنه إسماعيل أصيبوا بصدمة نفسية كبيرة، فذهب بعضهم إلى حدوث "البداء" عند الله، وتغيير رأيه في إسماعيل، بينما ذهب قسم آخر إلى إنكار وفاة إسماعيل والزعم بأن عملية دفنه كانت مسرحية أعدها الصادق للتقية. وأصر هؤلاء على نقل الإمامة بعد الصادق إلى ذرية إسماعيل، ثم شكلوا الفرقة "الإسماعيلية". بينما قام بعض الإمامية بزعامة

---

[951] - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 22 وكان من الطبيعي بعد اتساع حركة التشيع في أواخر القرن الثاني الهجري، أن يدخلها الكثير من المغرضين والمنافقين والمنحرفين والمغالين، حتى قال الإمام الكاظم:" لو ميزت شيعتي لم أجدهم إلا واصفة، ولو امتحنتهم لما وجدتهم إلا مرتدين، ولو تمحصتهم لما خلص من الألف واحد، ولو غربلتهم غربلة لم يبق منهم إلا ما كان لي، إنهم طال ما اتكوا على الأرائك، فقالوا: نحن شيعة علي، إنما شيعة علي من صدق قوله فعله". المصدر، ح رقم 290

سـليمان بن جرير الـرقي بمراجعة مـوقفهم من نظرية "الإمامة الإلهية" وأعلنوا كفرهم بهـا. وذلك – حسـبما يقـول النوبخـتي – : "انهم لما أشار جعفر إلى إمامة ابنه إسماعيل، ثم مات إسماعيل في حيـاة أبيـه، رجعـوا عن إمامة جعفـر، وقـالوا كـذبنا، ولم يكن إمامـا، لأن الإمـام لا يكـذب ولا يقـول ما لا يكـون، وحكمـوا على جعفر أنه قـــال: إن الله عز وجل بـــدا له في إمامة إســـماعيل، فـأنكروا البـداء والمشـيئة من اللـه، وقـالوا هـذا باطل لا يجـوز. ومـالوا إلى مقالة البترية ومقالة سـليمان بن جريـر، وهو الـذي قـال لأصـحابه بهـذا السـبب أن أئمة الرافضة وضـعوا لشـيعتهم مقالتين لا يظهرون معهما من أئمتهم على كذب أبدا، وهما القول بالبداء وإجازة التقية، فأما البـداء فـان أئمتهم لما أحلـوا أنفسـهم من شيعتهم محل الأنبيـاء من رعيتها في العلم فيما كـان ويكـون والإخبار بما يكـون في غـد، وقـالوا لشـيعتهم أنه سـيكون في غد وفي غابر الأيام كذا وكذا، فـان جـاء ذلك الشـيء على ما قـالوه، قالوا لهم: ألم نعلمكم أن هذا يكـــون فنحن نعلم من قبل الله عز وجل ما علمته الأنبياء وبيننا وبين الله عز وجل مثل تلك الأسـباب الـــتي علمت بها الأنبيـــاء عن الله ما علمت، وان لم يكن ذلك الشيء الذي قالوا انه يكون على ما قالوا، قالوا لشيعتهم بـدا لله في ذلك بكونــه، وأما التقية فانه لما كـثرت على أئمتهم مســائل شيعتهم في الحلال والحرام وغير ذلك من صـنوف أبـواب الـدين فأجــابوا فيها وحفظ عنهم شــيعتهم جــواب ما ســألوهم وكتبــوه ودونـــوه ولم يحفظ أئمتهم تلك الأجوبة لتقـــادم العهد وتفـــاوت الأوقات لأن مسائلهم لم ترد في يوم واحد ولا في شهر واحد بل في ســنين متباعــدة وأشــهر متباينــة، وأوقــات متفرقة فوقع في أيـديهم في المسـألة الواحـدة عـدة أجوبة مختلفة متضـادة وفي مســائل مختلفة أجوبة متفقــة، فلما وقفــوا على ذلك منهم ردوا إليها هذا الاختلاف والتخليط في جواباتهم وسألوهم عنه وأنكــروه عليهم، فقـالوا: من أين هـذا الاختلاف وكيف جـاز ذلك قـالت لهم أئمتهم: "إنما أجبنا بهذا للتقية، ولنا أن نجيب بما أجبنا وكيف شئنا لأن ذلك الينا ونحن نعلم بما يصـــلحكم وما فيه بقاؤنا وبقـــاؤكم وكف عــدوكم عنا وعنكم" فمــتى يظهر من هــؤلاء على كــذب؟ ومتى يعرف لهم حق من باطل؟ فمال إلى سليمان بن جرير هذا لهذا القـول جماعة من أصـحاب أبي جعفر وتركـوا القـول بإمامة جعفر".[952]

---

[952] - النوبختي، فـرق الشـيعة، ص 63 – 66 وذهب سـليمان بن جرير الـرقي بعد ذلك إلى القـول أن الإمامة شـورى، وجـواز إمامة المفضـول، واليه تنسب "السـليمانية". راجـع: الملل والنحل ، والفــرق بين الفــرق،

ويظهر من النوبختي أن "السليمانية" انشقوا عن "الجعفرية"، وهـذا يصح إذا ثبت أن الإمـام الصـادق قد تبـنى الفكر الإمـامي وزعم إن إمامته من اللـه، وأنه عين إسـماعيل من بعـده ثم قـال :"بدا لله فيـه". وإما إذا لم يثبت ذلك – وهو الأصح لـدينا – فيبـدو أن السـليمانية انشـقوا عن "الإماميـة" ورفضـوا ما كـان هـؤلاء ينسبوه الى الإمام من أقوال. وفي كلتا الحـالتين كـان انشـقاقهم بسـبب كشف وفـاة إسـماعيل (الموصى به كخليفة مـرتقب) في حياة أبيه، عن عدم تعيينه من قبل الله تعالى.

ومن المؤشرات الأخرى المهمة على عدم تبني الإمـام جعفر الصادق لنظرية "الإمامة الإلهية" هي وفاته (في 25 شـوال سـنة 148 للهجـرة) دون تعـيين خليفة لـه، والاكتفـاء بتبيـان العلامـات العامة فقط كـ:" الوصية الظاهرة والفضل، بحيث لا يستطيع أحد أن يطعن عليه في فم ولا بطن ولا فـرج، فيقـال: كـذاب ويأكل أموال الناس، وما أشبه هذا".[953] أو اتصافه بـ "السـكينة والوقـار والهيبـة".[954] أو الوراثة في "الكبـير ما لم تكن فيه عاهـة".[955] بحيث التبس الأمر على رجل كـزرارة بن أعين (الـذي كـان من كبار تلامذة الباقر والصادق) والذي سمع بوفاة الصـادق وهو على فـراش المـوت في الكوفـة، فأرسل ابنه عبيد الله إلى المدينة لكي يسـتطلع له هوية الإمـام الجديـد، ولكنه تـوفي قبل أن يعـود ابنه من السفر، فوضع المصحف على صدره وقال أنه يـأتم بهـذا المصحف أو من يشير إليه المصحف.[956]

ونتيجة لعـدم وصـيته لأحد من بعـده بالاسـم، ذهب عامة الشـيعة الجعفرية بعد وفاة الصادق الى ابنه عبد الله الأفطح.[957]

والوافي للصفدي

[953] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الأمور التي توجب حجة الإمام، ح رقم 3

[954] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما يجب على النـاس عند مضي الإمام، ح رقم 3 ومن الجدير بالـذكر ان نظرية "الاثـني عشـرية" لم تكن معروفة في زمان الصـادق، ولم يكن أحد سـمع قط بأسـماء الأئمة الاثـني عشر الذين نظم الشيعة قائمتهم في القرن الرابع الهجري.

[955] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الأمور التي توجب حجة الإمام، ح رقم 6

[956] - الكشي، ترجمة زرارة بن أعين. والصدوق، إكمال الدين، ص 75 و76

[957] - ويقـال إن عامة الشـيعة الجعفرية ذهبـوا الى عبد الله الأفطح بنـاء على حـديث رووه عن الصـادق، أنه سـئل عن: المتـوثب على هـذا الأمـر، المدعي له، ما الحجة عليه؟ فقال: يُسـأل عن الحلال والحـرام. ثم قـال:" ثلاثة من الحجة لم تجتمع في أحد إلا كان صاحب هذا الأمر: أن يكون أولى الناس بمن كان قبله، ويكون عنده السلاح، ويكون صاحب الوصية الظاهرة التي إذا قدمت المدينة سألت عنها العامة والصبيان: إلى من أوصى فلان؟

وقد جلس "عبد الله الأفطح" مجلس أبيه وادعى الوصية له، وكاد الشيعة "الجعفرية" يجمعون عليه.[958] (ما عدا "الإسماعيلية"[959] الذين تمسكوا بحياة إسماعيل أو انتقلوا للقول بإمامة ابنه محمد، و"الناووسية" الذين أنكروا وفاة الصادق، وقالوا بمهدويته وغيبته[960]). وذلك حسب العلامات التي كان قد همس بها الإمام الصادق لبعض شيعته، حول معرفة الإمام الجديد كالكبر والقرب والوصية الظاهرة. حيث يؤكد الصفار والكليني والمفيد والكشي: على ذهاب أقطاب "الإمامية" كعبد الله بن بكير وعمار الساباطي وهشام بن سالم الجواليقي ومحمد بن النعمان الأحول، في البداية إلى عبدالله الأفطح "الذي أجمع الناس عليه أنه صاحب الأمر بعد أبيه" وذلك لرواية الناس عن أبي عبدالله:" أن الأمر في الكبير ما لم تكن به عاهة"، وإصرار عمار الساباطي وهو من أصحاب الإمامين الباقر والصادق على القول بإمامته حتى النهاية.[961] وحسبما يقول النوبختي فقد مال إلى عبد الله الأفطح جل مشايخ الشيعة وفقهائها، ولم يشكّوا في أن الإمامة

فيقولون: إلى فلان بن فلان". الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الأمور التي توجب حجة الإمام، ح رقم 2

958 - الكليني، الكافي، ج 1 ص 351، والمفيد، الإرشاد، ص 291، والصفار، بصائر الدرجات، ص 250 – 252، والكشي ، الرجال، ترجمة هشام بن سالم. الأشعري القمي، المقالات والفرق، ص 87 و النوبختي، فرق الشيعة، ص 77 – 78 و الأشعري القمي، سعد بن عبد الله، المقالات والفرق، ص 87 - 88

959 - نشأت الفرقة "الإسماعيلية" كانشقاق عن "الجعفرية" وقالت:"إن الإمام بعد جعفر ابنه إسماعيل، وأنكرت موت إسماعيل في حياة أبيه، لأن أباه أشار إليه بالإمامة بعده، وقلدهم ذلك له وأخبرهم أنه صاحبه، وان الإمام لا يقول إلا الحق، فلما ظهر موته علمنا أنه قد صدق وأنه القائم وأنه لم يمت". وهذه الفرقة هي "الإسماعيلية الخالصة". بينما قالت فرقة منهم أن الإمام بعد جعفر، محمد بن إسماعيل، وقالوا أن الأمر كان لإسماعيل في حياة أبيه فلما توفي قبل أبيه جعل جعفر الأمر لمحمد بن إسماعيل، وكان الحق له ولا يجوز لغيره، لأنها لا تنتقل من أخ إلى أخ بعد الحسن والحسين، ولا تكون إلا في الأعقاب، ولم يكن لأخوي إسماعيل عبد الله وموسى في الإمامة حق، كما لم يكن لمحمد بن الحنفية حق مع علي بن الحسين، وأصحاب هذا القول يسمون "المباركية" برئيس لهم يسمى "المبارك" مولى إسماعيل بن جعفر. النوبختي، فرق الشيعة، ص 67- 68

960 - قال الناووسية: أن جعفر بن محمد حي لم يمت ولا يموت حتى يظهر ويلي أمر الناس وأنه هو المهدي، وسميت "الناووسية" بهذا الاسم لرئيس لهم من أهل البصرة يقال له فلان بن فلان الناووس. النوبختي، فرق الشيعة، ص 67

في عبد الله بن جعفر وفي ولده من بعده.[962] وروى بعضــهم عن الإمــام الصــادق أنه طلب من ابنه موسى أن يســلم الأمر لأخيه عبدالله ولا ينازعه بكلمــة.[963] وهكـذا احتل عبدالله الأفطح مقـام الإمامة بالوصية والكبر والجلوس مجلس أبيـه، بـالرغم من عـدم وجود نص واضح وصريح عليه من أبيه بالإمامة.[964]

ولكن الأفطح توفي عقب أبيه بسـبعين يومـا، دون أن يخلف ولــدا تســتمر فيه الإمامــة، مما ولد صــدمة جديــدة في صــفوف "الإمامية" الذين كانوا يؤمنـون بقـانون التـوارث العمـودي. فقـام بعضـــهم بشـــطب اسم الأفطح من قائمة الأئمة والادعـــاء بخطأ الذهاب إليه من البداية، وقاموا بالتشكيك بكفاءته العلمية، وقالوا إنهم امتحنوه وتراجعوا عنه في حياتـه. وذهب بعضـهم إلى اتهامه بالفسق والانحــراف، ورووا عن الصــادق أنه كـان يلومــه ويعاتبه ويعظه ويطالبه أن يكـون مثل أخيه الكـاظم.[965] وقـاموا بـاختلاق رواية عن عيسى بن عبد الله بن عمر بن علي بن أبي طــــالب ، أنه سأل أبا عبد الله عن الإمـام بعـده، فأومأ إلى ابنه موسـى.[966] وذلك في محاولة منهم لإثبـات عـدم شـرعية الأفطح في الإمامة منذ البداية.[967]

وانتقل هــؤلاء إلى أخيه موسى بن جعفــر، بينما توقف آخــرون التزاما منهم بالشـعار الـذي كـان يقـول بـأن الإمامة لا تكـون في أخوين بعد الحسن والحسين، واضـطروا إلى افـتراض ولد مخفي لعبد الله الأفطح، قـــالوا إن اســـمه "محمد بن عبد اللـــه" وانه المهدي المنتظر، وأنه موجود في اليمن بصورة سرية وقد أخفـاه أبوه بسبب التقية.

وجمع بقية "الفطحية" بين إمامة عبد الله، وإمامة أخيه موسى بن جعفر من بعـــده. وبـــرر هـــؤلاء عملية الجمع بين أخـــوين في الإمامــة، بــالقول بثبـوت إمامة عبد الله خلال السـبعين يوما من حياته، وبعدم جواز الجمع إذا كان لـدى الإمـام السـابق ولـد، وأما إذا لم يكن لديه ولد كعبد الله فلا بأس بالانتقال إلى أخيه.[968]

---

961 - الكليــني، الكــافي، ج 1 ص 351، والمفيــد، الإرشــاد، ص 291، والصفار، بصائر الـدرجات، ص 250 – 252، والكشي ، الرجـال، ترجمة هشام بن سالم. الأشعري القمي، المقالات والفرق، ص 87

962 - النوبختي، فرق الشيعة، ص 77 – 78

963 - الأشعري القمي، سعد بن عبد الله، المقالات والفرق، ص 88

964 - الأشعري القمي، المقالات والفرق، ص 87

وقد ساهم الارتباك الذي حصل في خلافة الصادق، سواء بسبب عدم كفاءة الأفطح علما وورعا، أم في وفاته بسرعة دون عقب، في التشكيك بنظرية "الإمامة الإلهية" وتعزيز منطق "التشيع السياسي" (أو التشيع العلوي الزيدي) الذي يؤكد على الطبيعة السياسية العادية للإمامة، ويرفض الطابع الديني الإلهي المدعى لها، مما أدى إلى شعور أقطاب النظرية "الإمامية" وحتى المتكلمين منهم كهشام بن سالم الجواليقي وأبي جعفر الأحول (المعروف بمؤمن الطاق، أو شيطان الطاق) بالحيرة

---

[965] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الإشارة والنص على أبي الحسن، ح رقم 10 وقال الشيخ المفيد في "الإرشاد": في باب ذكر أولاد أبي عبد الله : "كان عبد الله بن جعفر أكبر أخوته بعد إسماعيل ولم تكن منزلته عند أبيه كمنزلة غيره من ولده في الإكرام، وكان متهما بالخلاف على أبيه في الاعتقاد، ويقال: إنه كان يخالط الحشوية ويميل إلى مذهب المرجئة، وادعى بعد أبيه الإمامة، واحتج بأنه أكبر أخوته الباقين، فاتبعه على قوله جماعة من أصحاب أبي عبد الله (ع)، ثم رجع أكثرهم بعد ذلك إلى القول بإمامة أخيه موسى (ع) لما تبينوا ضعف دعواه وقوة أمر أبي الحسن (ع) ودلالة حقه وبراهين إمامته، وأقام نفر يسير منهم على أمره ودانوا بإمامة عبد الله بن جعفر، وهم الطائفة الملقبة بالفطحية ". وقال الكشي: " الذين قالوا بإمامته عامة مشائخ العصابة وفقهائها، مالوا إلى هذه المقالة فدخلت عليهم الشبهة لما روي عنهم (ع) أنهم قالوا: الإمامة في الأكبر من ولد الإمام إذا مضى. ثم منهم من رجع عن القول بإمامته لما امتحنه بمسائل من الحلال والحرام لم يكن عنده فيها جواب، ولما ظهر منه من الأشياء التي لا ينبغي أن تظهر من الإمام. ثم إن عبد الله مات بعد أبيه بسبعين يوما، فرجع الباقون إلا شذاذا منهم عن القول بإمامته إلى القول بإمامة أبي الحسن موسى (ع)، ورجعوا إلى الخبر الذي روي أن الإمامة لا تكون في الأخوين بعد الحسن والحسين (ع)، وبقي شذاذ منهم على القول بإمامته، وبعد أن مات قالوا بإمامة أبي الحسن موسى (ع). وروي عن أبي عبد الله (ع) أنه قال لموسى: يا بني إن أخاك سيجلس مجلسي ويدعي الإمامة بعدي ! فلا تنازعه بكلمة، فإنه أول أهلي لحوقا بي ". الكشي، ترجمة عمار بن موسى الساباطي.

[966] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ثبات الإمامة في الأعقاب، ح رقم 5

[967] - يقول هشام بن سالم الجواليقي: انه دخل على عبد الله الأفطح ، مع مجموعة من الشيعة ، وانهم سألوه بعض المسائل الفقهية فلم يجبهم بصورة صحيحة ، مما دفعهم إلى التشكيك بإمامته والخروج من عنده "حيارى ضلالاً فقعدنا في بعض أزقة الكوفة باكين حيارى لا ندري إلى أين نتوجه ولا من نقصد ، ونقول : إلى المرجئة ؟.. إلى الزيدية؟.. إلى المعتزلة؟.. إلى الخوارج ؟...فنحن كذلك إذ رأيت رجلا شيخا لا اعرفه يومئ إلي بيده ... فقال لي ادخل رحمك الله فدخلت ، فإذا أبو الحسن موسى ، فقال لي ابتداءاً منه : لا إلى المرجئة ولا إلى القدرية ولا إلى

والضـلال والبكـاء من شـدة الأزمـة، كما يقـول الجـواليقي، ولم يجـــدوا ما يعينهم على الخـــروج من الأزمة ســـوى اللجـــوء إلى المنطق الأسـطوري والبـاطني والغلو في ادعـاء معرفة الإمـام الكاظم بالغيب ودعوتهم إلى إمامته بصورة سرية.[969]

المبحث الثاني:
اعتزال الكاظم عن الإمامة

وفي الحقيقة ان الانتقال للقول بإمامة موسى الكاظم (128 – 183)، لم يحل الأزمة، فقد كان الكـاظم شـابا يبلغ من العمر عشرين عاما عند وفاة والده الصادق وأخيه عبد الله، ولم يكن – كما قلنا آنفا - يتمتع بنص معروف وواضح من أبيه عليه بالإمامة، إضـافة إلى أنه لم يـدَّعِ الإمامة ولم يسـعَ إليهـا، وفضل الاعـتزال

الزيدية ولا إلى المعترلة ولا إلى الخـوارج ..إلي إلي .. قلت: جعلت فـداك مضى أبوك ؟..قال : نعم ...قلت : فمن لنا من بعده؟..قـال : ان شـاء الله ان يهديك هداك ...قلت جعلت فداك فأنت هو؟.. قال : لا ما أقـول ذلك ... فقلت في نفسي: لم اصب طريق المسألة ، ثم قلت جعلت فـداك ..عليك إمام ؟..قال: لا فدخلني شـيء لا يعلمه إلا الله إعظاماً له وهيبة ، ثم قلت: جعلت فداك .. أسألك كما كنت اسـأل أبـاك ؟..قـال: سل تخـبر ، ولا تـذع فـان أذعت فهو الـذبح، قـال فسـألته فـإذا هو بحر لا يـنزف، قلت: جعلت فداك شيعة أبيك ضلال، فالقي إليهم هذا الأمر وادعوهم إليك؟..فقد أخذت علي الكتمان ..قال: من آمنت منهم رشدا ، فألقِ إليه ، وخذ عليه الكتمـان ، فـان أذاع فهو الـذبح وأشـار بيـده إلى حلقـه. قـال :فخـرجت من عنـده فلقيت أبا جعفر الأحـول ، فقـال لي : ما وراءك ؟، قلت : الهـدى ، وحدثته بالقصة ، ثم لقينا الفضيل وأبا بصير فدخلا عليه سمعا كلامه وسألاه وقطعا عليه.

الكليني، الكافي، ج 1 ص 351، والمفيد، الإرشاد، ص 291، والفصول، ص 253 ، وعلي بن بابويه الصـدوق، الإمامة والتبصـرة من الحـيرة، ص 205 والصـفار، بصـائر الـدرجات، ص 250 – 252، والكشي ، الرجـال، ترجمة هشام بن سالم. والنوبختي، فرق الشيعة، ص 77 – 78

[968] - النوبختي، فرق الشيعة، ص 77 – 78

[969] - ويشير عبد القاهر البغـدادي إلى انقسـام الجعفرية إلى عـدة فـرق أخرى هي: "الهشـامية" أتبـاع هشـام بن الحكم، أو أتبـاع هشـام بن سـالم الجواليقي و "الزرارية" أتباع زرارة بن أعين و"الشيطانية" أتباع شـيطان الطاق (أبي جعفر الأحول) و"الكاملية" أتباع أبي كامل، البغـدادي، الفـرق بين الفرق، ص 17

والهدوء.[970] بالرغم من الروايات التي ألفها بعض "الإمامية" حوله فيما بعد، وقد اعترف هشام بن سالم الجواليقي (الذي أسس لإمامة الكاظم الدينية) بأن الأخير لم يكن يجرؤ على الدعوة إلى نفسه أمام الملأ، وبصراحة، وادعى أن الكاظم كان يقوم بذلك سراً للتقية.[971]

وقد سبق لنا التعرف على منطق الغلاة الباطنيين الذين كانوا يغلفون مقولاتهم الخاصة المناقضة لمواقف وأقوال "الأئمة" دائما، بالتقية. ولكن سيرة الكاظم في السنوات التالية كشفت حقيقة دعوى "الإمامية" (من أمثال هشام بن سالم الجواليقي ومؤمن الطاق، وأبي بصير) حيث ظل الكاظم متمسكا بموقف الاعتزال السياسي. وحسبما يقول الشيخ محمد بن علي الصدوق (شيخ الطائفة الإمامية في القرن الرابع الهجري) فقد ظل الكاظم منعزلا وكاتما لأمره، وإن الشيعة لم تكن تختلف إليه، وإنه كان يأمر الشيعة بطاعة السلاطين على كل حال، فان كانوا عدولا فليسألوا الله إبقاءهم، وان كانوا جائرين فليسألوا الله صلاحهم.[972]

ومن هنا فقد انصرف عامة الشيعة في أيام موسى الكاظم وأيام أبي جعفر المنصور، إلى الإمام عيسى بن زيد بن علي، وهو متوارٍ في العراق، وبايعوه سراً بالإمامة، في عام 156هـ وجاءته بيعة الأهواز وواسط ومكة والمدينة وتهامة، واثبت دعاته فبلغوا مصر والشام. واتفق مع أصحابه على الخروج بعد وفاة المنصور، فمات عيسى مسموما بسواد الكوفة سنة 166 في أيام الخليفة العباسي المهدي بن المنصور (158- 169هـ). فحمل الراية الإمام الحسين بن علي بن الحسن (المعروف بالمثلث) "صاحب فخ" الذي قام بثورة في المدينة سنة 169هـ في أيام الخليفة العباسي موسى الهادي (169- 170هـ) الذي

---

970 - الصدوق، إكمال الدين، ص 361 والأمالي، ص 338 و الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب من ادعى الإمامة وليس لها بأهل .. ح رقم 19

971 - الكليني، الكافي، ج 1 ص 351، والمفيد، الإرشاد، ص 291، والصفار، بصائر الدرجات، ص 250 – 252، والكشي ، الرجال، ترجمة هشام بن سالم.

972 - الصدوق، إكمال الدين، ص 361 والأمالي، ص 338 ويفترض بعض الكتاب الشيعة أن الكاظم كان يمارس قيادة سرية ويعد للثورة على هارون الرشيد الذي اعتقله، بتهمة جمع المال والسلاح، بناء على وشاية من ابن أخيه محمد بن إسماعيل، وربما كان ذلك صحيحا ولكنه لا يحمل دلالة على ادعاء "الإمامة الدينية".

أمر واليه على المدينة بالتشـــديد على أهل الـــبيت والتنكيل بهم وإلــزامهم بالإقامة الجبرية، والعـرض عليه يوميـاً خشـية خـروج أحـدهم أو قيامه بثـورة. فاسـتولى الحسـين "صـاحب فخ" على المدينـة، ودعا إلى كتـاب الله وسـنة رسـول الله والى الرضا من آل محمد والعــــدل في الرعية والقسم بالســــوية، وطلب من الكاظم المبايعة فاعتذر منه قـائلا:"يـا ابن عم لا تكلّفـني ما كلّف ابن عمك (محمد بن عبد الله ذو النفس الزكيـة) عمَّك أبا عبدالله (الصادق)، فيخـرج مـني ما لا أريـد، كما خـرج من أبي عبدالله ما لم يكن يريد". فقـال له الحسـين: إنّما عرضت عليك أمـراً فـان أردته دخلت فيه. وإن كرهته لم أحملك عليه والله المسـتعان، ثم ودّعه.[973]

وبعد أن قُتل الحسين "صـاحب فخ" قـرب مكة ، حمل الإمـام يحيى بن عبدالله ابن الحسن ، راية الثـورة على الخليفة العباسي هــارون الرشــيد، فطلب من موسى بن جعفر أن ينصــره، ولما رفض كتب إليه يســتنكر عليه خذلانه له ويقــول له :" أما بعد ... خبَّرَني من ورد علي من أعـوان الله على دينه ونشر طاعته ، بما كان من تحننك مع خذلانك وقد شاورت في الدعوة للرضا من آل محمد (ص)، وقد احتجبتها واحتجبها أبــوك من قبلـــك، وقـــديما ادعيتم ما ليس لكم، وبســـطتم آمــــالكم إلى ما لم يعطكم الله فاســتهويتم وأظللتم، وأنا محــذرك ما حــذرك الله من نفسه" . فكتب إليه الكــاظم:" من موسى بن أبي عبد الله ... إلى يحــيى بن عبد الله بن الحسن أما بعــد.. فــإني أحــذرك الله ونفســي، وأعلمك أليم عذابــه، وشــديد عقابــه، وتكامل نقماته وأوصــيك ونفسي بتقوى الله، فإنها زين الكلام، وتثبيت النعم، أتاني كتابـك، تـــذكر فيه أني مُـــدَّعٍ وأبي من قبل ، وما ســـمعت ذلك مـــني ، وسـتكتب شـهادتهم ويسـألون، ولم يـدع حـرص الـدنيا ومطالبها لأهلها مطلبا لآخـــرتهم، حـــتى يفسد عليهم مطلب آخـــرتهم في دنياهم. وذكـرت أني ثبطت النـاس عنك لرغبـتي فيما في يـديك، وما منعـني من مـدخلك الـذي أنت فيه لو كنت راغبا ضـعفٌ عن سنَّة، ولا قلةُ بصيرةٍ بحجة، ولكن الله تبارك وتعـالى خلق النـاس أمشـاجا، وغـرائب، وغرائز ... وأنا متقـدم إليك أحـذرك معصـية الخليفـة، وأحثك على بـره وطاعتـه، وأن تطلب لنفسك أمانا قبل أن تأخـذك الأظفـار، ويلزمك الخنـاق من كل مكـان تـتروح إلى النفس من كل مكان ولا تجده، حتى يمنَّ الله عليك بمنه وفضله، ورقة الخليفة أبقـاه اللـه، فيؤمنك ويرحمـك، ويحفظ فيك أرحـام

[973] - الكليني، الكافي، الأصول، ج 1، ص 366

رسول الله (ص). والسلام على من اتبع الهدى " إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى ".[974]

ومما يؤكد عدم تبني الكاظم لنظرية "الإمامة الإلهية" انتماء معظم أبنائه للخط الزيدي (أو التشيع السياسي العلوي)، إضافة إلى أخيه محمد بن جعفر الصادق المعروف بـ "الديباج" الذي خرج في مكة سنة 199 للهجرة ، وتلقب بأمير المؤمنين.[975]

أ - روايات النص على الكاظم

ولكن وبالرغم من اعتزال الإمام موسى الكاظم السياسة ورفضه ادعاء الإمامة، وبالرغم من الغموض الذي كان يلف قضية الخلف بعد الإمام الصادق، ووفاة زرارة دون معرفة الإمام الجديد، وذهاب أقطاب النظرية الامامية إلى القول بإمامة عبدالله الأفطح، فان فريقا من "الامامية" التف حول الكاظم، وحاول أن يجعل منه رمزا لنظرية "الإمامة الإلهية" و"إماما" في سلسلة الأئمة "الربانيين" المنصوص عليهم، التي كان يجب أن تستمر إلى يوم القيامة. وحاول هذا الفريق أن يأتي بنصوص تثبت إشارة الإمام الصادق إلى ابنه الكاظم. وقد ذكر الكليني في "الكافي" والصفار في "بصائر الدرجات" والصدوق في - "عيون أخبار الرضا" والمفيد في "الإرشاد" حوالي ستة عشر نصا تتراوح بين الإشارة الغامضة والتأكيد الصريح الواضح .

فقد ادعى الفيض بن المختار: أن الصادق أشار إلى الكاظم منذ أن كان طفلا صغيرا. وأنه قال لأبي عبد الله: مَن لنا بعدك؟

---

[974] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب من ادعى الإمامة وليس لها بأهل .. ح رقم 19 ورغم وضوح الرسالة ونفي الكاظم ادعاءه بالإمامة، ودعوته ليحيى بالطاعة للخليفة (العباسي هارون الرشيد)، إلا أن بعض الشيعة المتأخرين فسروا هذه الرسالة بالتقية، أو ترجيحه احتمال وقوع الكتاب في أيدي السلطة العباسية، تبعا للمنطق الباطني الذي يفسر الأمور دائما بشكل معاكس. كما فسر بعض الشيعة دعوة الكاظم ليحيى بطاعة الخليفة بأنه يقصد نفسه كخليفة شرعي معين من قبل الله، رغم ابتعاد السياق العام للرسالة عن هذا المفهوم.

[975] - يقول النوبختي : إن شيعة الصادق تفرقوا إلى ست فرق، وقالت الفرقة الرابعة منهم: أن الإمام بعد جعفر ابنه محمد، فجعل هؤلاء الإمامة في محمد وولده من بعده، وهذه الفرقة تسمى "السمطية" (أو الشمطية) نسبة إلى رئيس لهم يقال له يحيى بن أبي السميط. النوبختي، فرق الشيعة، ص 77

فقال: هـذا صـاحبكم، فتمسك بـه، وأشـار إلى الكـاظم.[976] وروى معاذ بن كثير، أنه قال لأبي عبد الله: أسـألُ الله الـذي رزق أبـاك منك هذه المنزلة أن يرزقك من عقبك قبل الممات مثلها، فقـال: قد فعل الله ذلــك. قــال: من هــو؟ فأشــار إلى العبد الصــالح (الكاظم) وهو راقد فقال: هذا الراقد، وهو غلام.[977] كما قال عبد الـرحمن بن الحجـاج إنه سـأل جعفر بن محمـد: من ولي النـاس بعدك؟ فقال: إن موسى قد لبس الدرع وساوى عليه، فقــال عبد الرحمن: لا أحتاج بعد هذا إلى شئ.[978] وقال المفضل بن عمر إن أبا عبد الله قال له:"اسـتوصِ بـه، وضع أمـره عند من تثق به من أصحابك".[979] وروي عن إسحاق بن جعفر الصادق أنه قـال: كنت عند أبي يوما، فسـأله علي بن عمر بن علي فقـال: جعلت فـداك إلى من نفزع ويفزع النـاس بعـدك؟ فقـال: إلى صـاحب الثـوبين الأصفرين والغديرين - يعني الذؤابتين - وهو الطالع عليك من هذا البـاب، يفتح البـابين بيـده جميعـا، فما لبثنا أن طلعت علينا كفـان آخذة بالبـابين ففتحهمـا، ثم دخل علينا أبو إبـراهيم (الكـاظم).[980] وعن صفوان الجمال: أن منصور بن حازم سأل أبا عبد الله: بأبي أنت وأمي إن الأنفس يُغــدا عليها ويُــراح، فــإذا كــان ذلك فمَن؟ فقال أبو عبد الله: إذا كان ذلك فهو صـاحبكم وضـرب بيـده على منكب أبي الحسن الأيمن - في ما أعلم - وهو يومئذ خماسي (عمره خمس سنوات) وعبد الله بن جعفر جالس معنا.[981] وقـال أيضا:"عليكم بهذا، فهو والله صاحبكم بعدي".[982] وعن عيسى بن عبد اللــه، أنه سـأل أبا عبد الله، نفس السـؤال، فأومأ إلى ابنه موسـى.[983] وعن فيض بن المختـار: أن أبا عبد الله قـال لـه: هو

---

[976] - الكليـني، الكـافي، كتـاب الحجـة، بـاب الإشـارة والنص على أبي الحسن، ح رقم 1

[977] - الكليـني، الكـافي، كتـاب الحجـة، بـاب الإشـارة والنص على أبي الحسن، ح رقم 2

[978] - الكليـني، الكـافي، كتـاب الحجـة، بـاب الإشـارة والنص على أبي الحسن، ح رقم 3

[979] - الكليـني، الكـافي، كتـاب الحجـة، بـاب الإشـارة والنص على أبي الحسن، ح رقم 4

[980] - الكليـني، الكـافي، كتـاب الحجـة، بـاب الإشـارة والنص على أبي الحسن، ح رقم 5

[981] - الكليـني، الكـافي، كتـاب الحجـة، بـاب الإشـارة والنص على أبي الحسن، ح رقم 6

[982] - الكليـني، الكـافي، كتـاب الحجـة، بـاب الإشـارة والنص على أبي الحسن، ح رقم 12

[983] - الكليـني، الكـافي، كتـاب الحجـة، بـاب الإشـارة والنص على أبي الحسن، ح رقم 7

صاحبك الذي سألت عنه، فقم إليه فأقرَّ له بحقه، فقمت حتى قبلت رأسه ويده ودعوت الله عز وجل له.[984] وروى "الإمامية" عن الكاظم أنه رفض الاعتراف بإمامة أخيه الأفطح، وعندما قال له أحد أصحابه: إني أحتج عليك عند الله يوم القيامة أنك زعمت أن عبد الله لم يكن إماما، وضع يده على عنقه، ثم قال له:" نعم احتج عليَّ بذلك عند الله عز وجل فما كان فيه من إثم فهو في رقبتي".[985]

ولكن هذه الروايات لم تكن معروفة ولا ثابتة ولا منتشرة بين الشيعة الجعفرية ولا حتى "الإمامية" من قبل، ولذلك ذهب عامة الفقهاء الشيعة إلى عبد الله الأفطح، واحتار البقية لعدم معرفتهم الإمام الجديد، وهذا ما يعزز احتمال وضع هذه الروايات من قبل الدعاة لموسى الكاظم من بعد، ومحاولة الإيحاء بوجود النص عليه من الصادق من قبل.

ب - دليل المعاجز

ولما لم تكن النصوص التي أوردها "الإمامية - الموسوية" مقنعة وكافية، فقد لجئوا إلى سلاح المعاجز وعلم الغيب ليثبتوا وجود الارتباط الخاص للإمام الكاظم بالسماء، وتحديده من بين اخوته كوريث شرعي ووحيد، وفي هذا يقول أبو بصير أنه ذهب إلى الإمام الكاظم وسأله قائلاً: جعلت فداك بمَ يُعرف الإمام؟..قال : بخصال : أما أولاهن فانه بشيء قد تقدم من أبيه وإشارته إليه ليكون حجة، ويُسأل فيجيب وإذا سكت عنه ابتدأ، ويخبر بما في غدٍ ويكلم الناس بكل لسان. ثم قال : يا أبا محمد إن الإمام لا يخفى عليه كلام أحد من الناس ولا منطق الطير ولا كلام شيء فيه روح ، فمن لم يكن هذه الخصال فيه فليس هو بإمام .

وتأكيدا لتلك الدعوى الأسطورية المغالية روى "الموسوية" روايات كثيرة تزعم أن الكاظم كان يعلم متى يموت الرجل ويخبر أصحابه بذلك، كما كان يخبرهم بمصائرهم في المستقبل. وأنه كان يفعل "المعاجز" فيخرج من الحبس ببغداد ويحطم الأغلال ويخترق الجدران، ويذهب من بغداد إلى المدينة المنورة ويعود إليها في نفس الليلة، ويطبع خاتمه في حصاة، ويتكلم

---

984 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الإشارة والنص على أبي الحسن، ح رقم 9

985 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما يضل به بين دعوى المحق والمبطل في أمر الإمامة، ح رقم 10

بلغـات أجنبية من دون تعلم ، ويـدخل النـار ولا يحـترق، ويقـوم بإحياء بقرة ميتة. وما إلى ذلك من "المعاجز".[986]

وانفرد أبو بصير برواية خاصة، تتحدث عن معجزة للكاظم في الدقيقة الأولى من ولادته، وهو سقوطه من بطن أمه واضعا يديه على الأرض، رافعا رأسه إلى السماء، وقول الصادق لأمه حميـدة بأن ذلك أمارة الوصي من بعده.[987]

ولكن هذه الحكايات الأسطورية كانت تواجه برفض شديد من الكاظم نفسه، الذي لم يكن يدعي علما بغيب، ولا إتيانا لمعجزة. وعندما أخبره يحيى بن عبدالله بن الحسين : أن بعض الغلاة يدعي علمه (الكاظم) بالغيب، أنكر ذلك وقال:" سبحان الله! ضع يدك على رأسي فوالله ما بقيت في جسدي شعرة ولا في رأسي إلا قامت" .[988] وأعرب الكاظم عن استيائه من حركة التزوير التي يقوم بها بعض الغلاة المندسين في أنصاره، فقال:" لو ميزت شيعتي لم أجدهم إلا واضعة (أي يضعون الحديث) ولو امتحنتهم لما وجدتهم إلا مرتدين ولو محصتهم لما خلص من الألف واحد !!!".[989]

وقد استغل "الإمامية" غياب الكاظم في السجن بضع سنين لينسبوا إليه ما يشاءون حتى لو كان مخالفا بصراحة لما عرف عنه، كما فعل "علي بن سويد السائي" الذي ادعى أنه كتب إلى الكاظم رسالة وأنه أجابه برسالة ورد فيها:" لا تقل لما بلغك عنا أو نسب إلينا: "هذا باطل" . وإن كنت تعرف خلافه، فانك لا تدري لِـمَ قلناه وعلى أي وجه وصفناه، آمن بما أخبرتك ولا تفش ما استكتمتك".[990]

---

[986] - الكليني، الكافي، ج 1 ص 356، والصفار، بصائر الدرجات، ص 255، والصـدوق،عيـون أخبـار الرضـا، ص 104، والمفيـد، الإرشـاد، ص 293، والقطب الراونــدي، الخــرايج والجــرايح، والنــوري الطبرســي، خاتمة المستدرك، ص 565

[987] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب مواليد الأئمـة، ح رقم 1 وقـال الكشي في ترجمة ليث بن البختري: "محمد بن مسعود، قال: سألت علي بن الحسن بن فضـال، عن أبي بصـير، فقـال: كـان اسـمه يحـيى بن أبي القاسم، فقال: أبو بصير كان يكنى أبا محمد، وكان مولى لبني أسد، وكـان مكفوفا، فسألته: هل يتهم بالغلو ؟ فقال: أما الغلو فلا، لم يتهم، ولكن كان مخلطا ".

[988] - رجال الكشى : 192

[989] - الكليني، الكافي ، ج 8 ص228

[990] - الخوئي، معجم رجال الحديث، رقم 8202 عن الكشي في ترجمـة: علي بن سويد السائي

ج - استمرار الغلو

ولو فتشنا هويات من كان يـدعي الانتمـاء إلى شـيعة موسى الكـــــاظم في ذلك الـــــوقت، لعثرنا على كثـــــير من الغلاة في صفوفهم، وخاصة "المفوضة" أو "المفضـلية" (أتبـاع المفضل بن عمر) الذي لعنه الإمام الصادق، ولكنه التف حول الكـاظم وادعى النص عليه من أبيه الصادق، كما التف "الخطابية" حول إسماعيل وأنكروا وفاته في حيـاة أبيـه، وادعـوا وجـود النص عليـه. وكـذلك "البشـرية" (أتبـاع محمد بن بشـير) الـذي لعنه الكـاظم لأنه كـان يقول فيه بالربوبية، ويدعي لنفسه النبوة.[991] وقد كان هذا يكــذب على الكــاظم في حياتــه، ويحــاول أن يــدس نفسه في شــيعته، فانتبه إليه الكاظم، ولعنه وسأل الله أن يذيقه حر الحديــد، وأبــاح دمه، حتى أشار على أحد أصحابه بقتله.[992]

وقال الكاظم لعلي بن أبي حمزة البطائني:" لعن الله محمد بن بشير وأذاقه الله حر الحديد، إنه يكذب عليَّ.. بـرئ الله منـه، وبـــرئت إلى الله منـــه، اللهم إني أبـــرأ إليك مما يدعيه فيَّ ابن بشير، اللهم أرحني منـه، ثم قـال: يا علي ما أحد اجـترأ أن يتعمد علينا الكـذب إلا أذاقه الله حر الحديـد، وإن بنانا كـذب على علي بن الحسين عليه السلام فأذاقه الله حر الحديد، وإن المغــيرة بن سعيد كـذب على أبي جعفر عليه السـلام فأذاقه الله حر الحديـد، وإن أبا الخطـــاب كـــذب على أبي فأذاقه الله حر الحديـــد، وإن محمد بن بشـير لعنه الله يكـذب عليَّ بـرئت إلى الله منـه، اللهم إني أبرأ إليك مما يدعيه فيَّ محمد بن بشـير، اللهم أرحـني منـه، اللهم إني أسألك أن تخلصني من هـذا الـرجس النجس محمد بن بشير فقد شارك الشيطان أباه في رحم أمه".[993]

واعتبر الإمام الكاظم القائلين بالتناسخ (كالبشرية) كفارا، ولعنهم، ثم قـال:" ألا كـانوا مجوسـا، ألا كـانوا نصـارى، ألا كـانوا قدريـة، ألا كـانوا مرجئـة، ألا كـانوا حرورية". وحـذر شـيعته منهم قـــائلا:" لا تقاعـــدوهم ولا تصـــادقوهم وابـــرءوا منهم، بـــرئ الله منهم".[994]

---

991 - رجال الكشى : 297 - 299

992 - الكشي، ترجمة محمد بن بشير

993 - الكشي، ترجمة محمد بن بشير

994 - الكشي، ترجمة محمد بن بشير

ولكن محمد بن بشير لم يأبه لموقف الكاظم منـه، وظل يكذب عليه في حياته وبعد وفاته، فقد استغل مناسبة وفاة الإمام الكاظم بصورة غامضة في سجن الرشيد في بغداد سنة 183 هـ، لينخرط في صفوف "الواقفية" الـذين قـالوا بغيبة الإمـام وهروبه من السجن، وأنه لم يمت وهو القائم المهدي. فـادعى أن موسى بن جعفر اســـتخلفه في وقت غيبته على الأمة وجعله وصــــيه وأعطـاه خاتمـه، وعلّمه جميع ما تحتـاج إليه رعيته من أمر دينهم ودنياهم، وفوض إليه جميع أمره وأقامه مقام نفسـه، وأنه الإمـام من بعد الكاظم.[995]

المبحث الثالث: الاختلاف حول علي بن موسى الرضا

أ – "الواقفية"

لقد ذوت نظرية "الإمامة الإلهيـــة" في عهد الكـــاظم، وكـــادت تنطفئ بعد وفاته سنة 183 هـ خصوصا وأن شيعته لم يعرفوا أي نص منه على أحد من ولـــده بالإمامـــة. وذهب الكثـــير منهم إلى اعتناق المذهب الزيـدي (أو بـالأحرى التشـيع العلـوي السياسـي) الذي لا يحصر الإمامة في سلالة معينة أو أشخاص معيـنين، وإنما يثبتها لمن يخـــرج من آل محمد ويـــأمر بـــالمعروف وينهى عن المنكر. ولذلك قام جمع من أصـحاب الكـاظم وأبنائه في المدينة بالاجتماع عند باب أم أحمد (زوجة الكاظم) وبايعوا ابنها أحمد.[996]

---

995 - ويقـول الكشـي:"كـان عنـده صـورة قد عملها وأقامها شخصا كأنه صورة أبي الحسن (الكـاظم) من ثيـاب حريـر، وقد طلاها بالأدوية وعالجها بحيل عملها فيها حتى صارت شبيها بصورة إنسان، وكـان يطويها فـإذا أراد الشعبذة نفخ فيها فأقامها، فكان يقول لأصحابه: إن أبا الحسن عندي، فإن أحببتم أن تـروه وتعلمـوه أني نـبي فهلمـوا أعرضه عليكم، فكـان يـدخلهم الـبيت والصـورة مطوية معه فيقـول لهم: هل تـرون في الـبيت مقيما أو ترون غيري وغيركم ؟ فيقولون: لا وليس في البيت أحد، فيقول: فاخرجوا، فيخرجون من البيت فيصير هو وراء السـتر ويسـبل السـتر بينه وبينهم، ثم يقدم تلك الصورة ثم يرفع الستر بينهم وبينه، فينظـرون إلى صـورة قائمة وشــخص كأنه شــخص أبي الحسن لا ينكــرون منه شــيئا، ويقف هو منه بــالقرب فــيريهم من طريق الشــعبذة أنه يكلمه ويناجيه ويــدنو منه كأنه يساره، ثم يغمزهم أن يتنحوا فيتنحون، ويسبل الستر بينه وبينهم فلا يـرون شيئا". الكشي، ترجمة محمد بن بشير.

996 - الكليني، الكافي، ج 1 ص 381 - 382

وأما "الإمامية" الذين كانوا يؤمنون بنظرية الإمامة الإلهية أو "التشــيع الــديني"، فقد غلب عليهم "الوقــف" أي الانتهــاء عند الكـاظم. وتشـبثوا بأحـاديث رووها تؤكد أن الكـاظم هو المهـدي المنتظر، ولذلك رفضوا الانتقـال إلى أي شـخص آخر، وقـال علي بن أسباط للرضا: ان رجلا عنى أخـاك ابـراهيم فـذكر له أن أبـاك في الحيــاة، وانك تعلم من ذلك ما يعلم؟..فقــال : ســبحان الله يمـــوت رســـول الله ولا يمـــوت موسى ؟!.. قد والله مضى كما مضى رسـول الله (ص).[997] واتهم من قـال بعـدم وفاته بالكـذب، وقــال:" إنهم كفــار بما أنــزل الله عز وجل على محمد (ص)، ولو كان الله يمـدُّ في أجل أحد من بـني آدم لحاجة الخلق إليـه، لمـدَّ الله في أجل رسول الله (ص)". [998]

وعندما حج الحسن بن قياما الصيرفي سنة 193، أي بعد عشر سنين من وفاة الكاظم، سأل الرضا عن أبيه فقال له: مضى كما مضى آبـاؤه . فقـال: فكيف أصـنع بحـديث حـدثني به يعقـوب بن شعيب عن أبي بصير أن أبا عبدالله قال : إن جاءكم من يخــبركم إن ابني هذا مات أو كفن وقبر ونفضوا أيديهم من تراب قـبره فلا تصدقوا به؟..فقال الرضا : كذب أبو بصير ليس هكذا حدثه .. إنما قال: إن جاءكم عن صاحب هذا الأمر.[999]

واحتج بعض "الواقفية" أيضا بأن الرضا لم يكن لديه ولد تستمر فيه الإمامة، ولم يكن قد رزق بولد حتى وقت متأخر، فخشــوا أن تتكرر تجربة عبد الله الأفطح الذي توفي بـدون عقب، مما سـبب لهم مشـــــكلة في اســـــتمرار الإمامة وانتقالها إلى أخيه موسى الكاظم.

وقد حاول الرضا أن يستميل "الواقفية" بتسفيه انتظارهم لإمام غـائب لا يمـارس دور القيـادة ولا يمكن التفاعل معـه، فقـال لهم بمنطقهم:"إن الحجة لا تقوم لله على خلقه إلا بإمام حيّ يُعـرف" و "من مات بغير إمام مات ميتة جاهليـة.. إمـام حي يعرفـه. وقد قال رسول الله (ص): من مـات وليس له إمـام يسـمع له ويطيع مـات ميتة جاهليـة". وقـال لأحد الواقفيـة:"من مـات وليس عليه إمام حي ظـاهر مـات ميتة جاهليـة" فسـأله الـواقفي مستوضـحا

---

997 - الكليني، الكافي، ج 1 ص 380
998 - الكشي، معرفة الرجال، ص 379
999 - الكشي، الرجال، ترجمة الصيرفي.

ومركــزا على كلمة "إمــام حي"؟ فأكد له مــرة أخــرى "إمــام حي".[1000]

وقد اتهم أنصــارُ علي بن موسى الرضا "الواقفيــةَ" بــالوقف بسبب المال، وأنهم اخـترعوا حكاية هـروب الكـاظم من السـجن والبقاء في الحياة، لكيلا يسلموا الأموال والأمانات إلى ورثته.[1001] بيد أنه لا يمكن تفســير حركة الوقف الواســعة بالعامل المــادي

[1000] - الكليني، الكافي، ج 1 ص 177 والحميري، قرب الإسناد، ص 203

[1001] - قال الشيخ الطوسي في "الغيبة": في الكلام على الواقفة : روى الثقات أن أول من أظهر هذا الاعتقاد علي بن أبي حمزة البطـائني، وزيـاد بن مروان القندي، وعثمان بن عيسى الرواسي، طمعـوا في الـدنيا ومـالوا إلى حطامها، واسـتمالوا قوما فبـذلوا لهم شـيئا مما اختـانوه من الأمـوال، نحو حمزة بن بزيع، وابن المكاري، وكرام الخثعمي، وأمثالهم. ثم قـال عند ذكره الوكلاء المذمومين بعد بيان السـفراء الممـدوحين: " ومنهم علي بن أبي حمــزة البطــائني، وزيــاد بن مــروان القنــدي، وعثمــان بن عيسى الرواســي، كلهم كـانوا وكلاء لأبي الحسن موسى ، وكـان عنـدهم أمـوال جزيلـة، فلما مضى أبو الحسن موسى وقفـوا طمعا في الأمـوال، ودفعـوا إمامة الرضا وجحـدوه ! ". وروى الصـدوق في "عيـون أخبـار الرضـا" عن يونس بن عبد الرحمان، قال: مات أبو إبراهيم (الكـاظم) وليس من قوامه أحد إلا وعنده المال الكثير، وكان ذلك سبب وقفهم، وجحدهم موته، طمعا في الأموال! كان عند زياد بن مروان القندي سبعون ألف دينار، وعند علي بن أبي حمزة ثلاثون ألف دينار. المصدر، الجزء 1، باب السبب الـذي قيل من أجله بالوقف على موسى بن جعفر ، الحديث 2

وروى الكشي عن يونس بن عبد الـرحمن. قـال: مـات أبو الحسن عليه السلام وليس من قوامه أحد إلا وعنده المال الكثير، وذلك سـبب وقـوفهم وجحودهم موته، وكان عند زياد القندي سـبعون ألف دينـار، وعند علي ابن أبي حمــزة ثلاثــون ألف دينــار، قــال: فلما رأيت ذلك وتــبين علي الحــق، وعــــرفت من أمر أبي الحسن الرضا عليه الســــلام ما علمت، فكلمت ودعوت الناس إليـه، قـال: فبعثا إلي وقـالا لي: لا تـدعو إلى هـذا، إن كنت تريد المال فنحن نغنيك، وضمنا لي عشرة آلاف دينار، وقالا لي: كف. قــال يونس: فقلت لهمـا: إنا روينا عن الصـادقين أنهم قـالوا: إذا ظهـرت البـدع فعلى العالم أن يظهر علمه، فإن لم يفعل سلب عنه نور الإيمان، وما كنت أدع الجهاد وأمر الله على كل حال. قال: فناصباني وأظهـرا لي العـداوة ". ورواها الصدوق بسـنده، عن يـونس بن عبد الـرحمن، مثلـه. العلـل: بـاب العلة التي من أجلها قيل بالوقف على موسى بن جعفر ، والعيـون: الجـزء 1، بــاب الســبب الــذي قيل من أجله بــالوقف على موسى بن جعفر ، الحديث 2. ورواها الشـيخ عن محمد بن يعقـوب، مثلـه. الغيبـة: في الكلام على الواقفة.

فقط، حيث كان بعض "الواقفية" أشخاصا ثقاة عند الجميع.[1002] ومنهم "أصحاب الإجماع" والرواة الثقاة، الذين يدل وقفهم على الكاظم، على غموض مسألة الخلف وعدم معرفتهم بالوصية لأحد من بعده.[1003]

ب – "القطعية" والاستعانة بالمعاجز

وكان فريق من "الموسوية" بادر إلى تبني إمامة الرضا فور وفاة الكاظم، وعلى رأسهم يونس بن عبد الرحمن القمي.[1004]

[1002] - كعلي بن الحسن بن محمد الطائي الكوفي المعروف بالطاطري، الذي يوصف بالفقه والثقة في الحديث والذي عملت الطائفة بما رواه، ومع ذلك كان يقول بالوقف. وكما يقول الطوسي في "رجاله": "كان واقفيا، شديد العناد في مذهبه، صعب العصبية على من خالفه من الامامية ، وله كتب كثيرة في نصرة مذهبه". وكذلك عبد الله بن جبلة، الفقيه المشهور الموثوق، وعبد الله بن الحارث المخزومي، وعلي بن أبي حمزة، وعثمان بن عيسى الكلابي الرؤاسي، وعلي بن الخطاب، وغالب بن عثمان، ومحمد بن إسحاق بن عمار التغلبي الصيرفي، وإسحاق بن جرير وموسى بن بكر، ووهيب بن حفص الجريري، ويحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين، ويحيى بن القاسم الحذاء أبو بصير، وعبد الرحمن بن الحجاج، ورفاعة بن موسى، ويونس بن يعقوب، وجميل بن دراج، وحماد بن عيسى، واحمد بن محمد بن أبي نصر، وآل مهران ، وغيرهم من الأصحاب الثقاة عند الشيعة الإمامية. الخوئي، معجم رجال الحديث، رقم 8028

[1003] - وقد حاول "القطعية" رواية النص على الرضا على لسان أحدهم (وهو عبد الله بن الحارث) حيث روى الصدوق بإسناده عن محمد بن الفضيل، عنه أنه قال: بعث إلينا أبو إبراهيم (الكاظم) فجمعنا ثم قال: أتدرون لم جمعتكم، قلنا: لا، قال: اشهدوا أن عليا ابني هذا وصيي والقيم بأمري وخليفتي من بعدي، من كان له عندي دين فليأخذه من ابني هذا، ومن كانت له عندي عدة فليستنجزها منه، ومن لم يكن له بد من لقائي فلا يلقني إلا بكتابه. الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج 1، باب نص أبي الحسن موسى بن جعفر على ابنه الرضا بالإمامة والوصية 4، الحديث 14. ورواها المفيد في "الإرشاد" وعد المخزومي ممن روى النص على الرضا علي بن موسى. الخوئي، معجم رجال الحديث، رقم 6781

[1004] - يقول الكشي في ترجمة يونس: "... قال أحمد بن محمد الأقرع: لقيت محمد بن الحسن فحدثني بهذا الحديث، قال: كنا في مجلس عيسى بن سليمان ببغداد، فجاء رجل إلى عيسى فقال: أردت أن أكتب إلى أبي الحسن الأول (الكاظم) في مسألة أسأله عنها: جعلت فداك عندنا قوم يقولون بمقالة يونس فأعطيهم من الزكاة شيئا ؟ قال: فكتب إلي: نعم أعطهم، فإن يونس أول من يجيب عليا إذا دعي، قال: وكنا جلوسا بعد ذلك فدخل علينا رجل، فقال: قد مات أبو الحسن موسى عليه السلام، وكان يونس في المجلس، فقال يونس: يا معشر أهل المجلس إنه ليس

الـذي زعم أنه قابل الرضا وقـال لـه: قد عـرفت انقطـاعي إليك وإلى أبيـــــك، وحلفته بحق الله وحق رســـــوله وحق أهل بيته - وســـميتهم حـــتى انتهيت إليه - أن لا يخـــرج ما يخـــبرني به إلى الناس، وإني أرجو أن يقـول أبي حي، ثم سـألته عن أبيه أحي أم ميت ؟ فقال: قد والله مات، قلت: جعلت فداك، إن شـيعتك - أو قلت مواليك - يـروون أن فيه شـبه أربعة أنبيـاء، قـال: قد والله الـذي لا إله إلا هو هلـك، قـال: قلت هلاك غيبـة، أو هلاك مـوت ؟ فقال: هلاك موت والله، قلت: جعلت فداك، فلعلك مني في تقية ؟ فقال: سبحان الله، قد والله مـات، قلت: فمن أين علمت موته ؟ - حيث كان هو في المدينة ومات أبوه في بغداد - قال: جـاءني منه ما علمت به أنه قد مـــات، قلت: فأوصى إليك ؟ قـــال: نعم، (قلت): فما شرَك فيها أحد معك ؟ قــــــال: لا، قلت: فعليك من إخوانك إمام ؟ فقال: لا، قلت: فأنت إمام ؟ قال: نعم.[1005]

وظل عامة "الواقفية" على موقفهم السلبي من الرضا حوالي سبعة عشر عاما، إلى أن استدعاه الخليفة العباسي المأمون إلى خراسان وأوكل إليه ولاية العهد، سنة 201 فبـدأ بعضـهم يميل إليه ويدعي حدوث معاجز غيبية دلت عليه، ودفعته لتغيير موقفه، كما راح بعضهم ينسج روايات على لسـان الكـاظم تتضـمن النص عليه أو الإشارة إليه بالإمامة.[1006] كما فعلوا من قبل مع أبيه.

بيني وبين الله إمام، إلا علي بن موسى عليه السلام فهو إمامي".

[1005] - الكشي، ترجمة يونس بن عبد الرحمن

[1006] - من قبيل:"هذا علي سيد ولدي، أما إني قد نحلته كنيتي". و "إن ابني عليا أكبر ولـدي وأبـرُّهم عنـدي وأحبهم إلي وهو ينظر معي في الجفر ولم ينظر فيه إلا نبي أو وصي نبي". و"هـذا صـاحبكم من بعـدي". و"هـذا ابـني علي، إن أبي اخذ بيدي فأدخلني إلى قبر سـول الله (ص) فقـال: يا بـني ! إن الله عز وجل قـــال: " إني جاعل في الأرض خليفـــة" وإن الله عز وجل إذا قال قولا وفى به". و" بعدي أبو الحسن الرضا". و"هـذا ابـني فلان (أبو الحسن الرضـــا) كتابه كتـــابي وكلامه كلامي ورســـوله رســـولي وما قـــال فالقول قوله". و"اشهدوا أن ابني هذا وصيي والقيم بـأمري وخليفـتي من بعدي، من كان له عندي دين فليأخذه من ابـني هـذا، ومن كـانت له عنـدي عـــدة فلينجزها منه ومن لم يكن له بد من لقـــائي فلا يلقـــني إلا بكتابه". و"عهـدي إلى أكـبر ولـدي أن يفعل كـذا وأن يفعل كـذا". و"إن فلانا ابـني، ســيد ولـــدي، وقد نحلته كنيـــتي". و"ابـــني فلان - يعي أبا الحسن الرضا - الإمام بعدي". الكليني، الكـافي، كتـاب الحجـة، بـاب الإشـارة والنص على أبي الحسن الرضا، ح رقم 1 و 2 و3و 4 و 5 و 6 و 7 و 8 و9 و 10 و 11

وقد قام يزيد بن سليط (أحد أصحاب الكاظم) باختلاق قصة مليئة بادعاءات المعاجز وعلم الغيب، لكي يثبت إمامة الرضا، ولكنه اعترف فيها بغموض الوصية وسرية النص على الرضا، فادعى أنه لقي الإمام الكاظم في طريق مكة في موضع، وسأله عن الإمام بعده، فقال له: "أخبرك يا أبا عمارة أني خرجت من منزلي فأوصيت إلى ابني فلان (الرضا)، وأشركت معه بني في الظاهر، وأوصيته في الباطن، فأفردته وحده ولو كان الأمر إليَّ لجعلته في القاسم ابني، لحبي إياه ورأفتي عليه ولكن ذلك إلى الله عز وجل، يجعله حيث يشاء، ولقد جاء ني بخبره رسول الله (ص)، ثم أرانيه وأراني من يكون معه وكذلك لا يوصي إلى أحد منا حتى يأتي بخبره رسول الله (ص) وجدي علي (ص) ورأيت مع رسول الله (ص) خاتما وسيفا وعصا وكتابا وعمامة، فقلت: ما هذا يا رسول الله؟ فقال لي: أما العمامة فسلطان الله عز وجل، وأما السيف فعز الله تبارك وتعالى، وأما الكتاب فنور الله تبارك وتعالى، وأما العصا فقوة الله، وأما الخاتم فجامع هذه الأمور، ثم قال لي: والأمر قد خرج منك إلى غيرك، فقلت: يا رسول الله أرنيه أيهم هو؟ فقال رسول الله (ص): ما رأيت من الأئمة أحدا أجزع على فراق هذا الأمر منك ولو كانت الإمامة بالمحبة لكان إسماعيل أحب إلى أبيك منك ولكن ذلك من الله عز وجل. ثم قال أبو إبراهيم (الكاظم): ورأيت ولدي جميعا الأحياء منهم والأموات، فقال لي أمير المؤمنين: هذا سيدهم وأشار إلى ابني علي فهو مني وأنا منه والله مع المحسنين. ثم قال أبو إبراهيم: يا يزيد إنها وديعة عندك فلا تخبر بها إلا عاقلا أو عبدا تعرفه صادقا وإن سئلت عن الشهادة فاشهد بها، وهو قول الله عز وجل: " إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها". قال: فقال أبو إبراهيم: فأقبلت على رسول الله (ص) فقلت: قد جمعتهم لي - بأبي وأمي - فأيهم هو؟ فقال: هو الذي ينظر بنور الله عز وجل ويسمع بفهمه وينطق بحكمته يصيب فلا يخطئ، ويعلم فلا يجهل، معلما حكما وعلما، هو هذا - وأخذ بيد علي ابني - ثم قال: ما أقل مقامك معه، فإذا رجعت من سفرك فأوص وأصلح أمرك وافرغ مما أردت، فإنك منتقل عنهم ومجاور غيرهم، فإذا أردت فادع عليا ... ثم اجمع له ولدك من بعدهم، فأشهد عليهم وأشهد الله عز وجل وكفى بالله شهيدا. قال يزيد ثم قال لي أبو إبراهيم: إني أؤخذ في هذه السنة والأمر هو إلى ابني علي... وليس له أن يتكلم إلا بعد موت هارون بأربع سنين". ثم قال لي:" يا يزيد وإذا مررت بهذا الموضع ولقيته وستلقاه

فبشره أنه سيولد له غلام، أمين، مأمون". قال يزيد: وكان اخوة علي يرجون أن يرثوه فعادوني اخوته من غير ذنب .[1007]

ويقول ابن سنان : دخلت على أبي الحسن موسى من قبل أن يقدم العراق بسنة وعلي ابنه جالس بين يديه، فنظر إلي فقال: يا محمد أما إنه سيكون في هذه السنة حركة، فلا تجزع لذلك، قال: قلت: وما يكون جعلت فداك؟ فقد أقلقني ما ذكرت فقال: أصير إلى الطاغية، أما إنه لا يبدأني منه سوء ومن الذي يكون بعده، قال: قلت: وما يكون جعلت فداك؟ قال: يضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء، قال: قلت: وما ذاك جعلت فداك؟ قال: من ظلم ابني هذا حقه وجحد إمامته من بعدي كان كمن ظلم علي بن أبي طالب حقه وجحده إمامته بعد رسول الله (ص) قال: قلت: والله لئن مد الله لي في العمر لأسلمن له حقه ولأقرن له بإمامته، قال: صدقت يا محمد يمد الله في عمرك وتسلم له حقه وتقر له بإمامته من يكون من بعده، قال: قلت: ومن ذاك؟ قال محمد ابنه، قال: قلت: له الرضا والتسليم.[1008]

ومع أن يزيد بن سليط يحاول إثبات إمامة الرضا عن طريق النص عليه من أبيه، إلا انه يؤكد سريته وخصوصيته وإشراك الكاظم لجميع ولده بالوصية، وهي وصية مالية خاصة سوف نذكرها بعد قليل، مما يدل على غموض أمر النص على الرضا، وبالتالي صعوبة التعرف على الإمام الذي يقول إنه معين من قبل الله، فكيف يمكن أن يعين الله إماما لخلقه وهو مجهول لديهم ولا يعلمه إلا نفر قليل؟

وأما الوصية التي استشهد بعض الشيعة "القطعية" بها لإثبات إمامة الرضا، فهي دليل ضعيف معاكس ضد نظرية "الإمامة الإلهية" وتأتي في سياق الوصايا العادية العرفية، ولا علاقة لها بالإمامة. وهي وصية مهمة ومفصلة من الكاظم إلى ابنه علي الرضا بإدارة أمواله وأوقافه ورعاية بنيه ونسائه، وقد جاء فيها:

[1007] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الإشارة والنص على أبي الحسن الرضا، ح رقم 14

[1008] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الإشارة والنص على أبي الحسن الرضا، ح رقم 16 وكما يلاحظ فإن يزيد بن سليط وابن سنان يدعيان بأن الإمام الكاظم كان يعلم الغيب ويعرف متى يؤخذ ومتى وماذا يولد له في المستقبل ومن أية جارية؟ وأنه قال لابن سنان، بأنه سوف يعتقل ولا يمسه سوء من الطاغية والذي بعده، وأن الله سوف يمد في عمر ابن سنان، وأن الرضا سوف يتعرض للرفض من قبل الشيعة.

"... إني قد أوصيت إلى علي وبنيّ بعدُ معه إن شــاء وآنس منهم رشدا وأحب أن يقرهم فـذاك له وإن كـرههم وأحب أن يخـرجهم فــذاك له ولا أمر لهم معه وأوصــيت إليه بصــدقاتي وأمــوالي وموالي وصـبياني الـذي خلفت وولـدي... وإن أراد رجل منهم أن يـــزوج أخته فليس له أن يزوجها إلا بإذنه وأمـــره، فإنه أعـــرف بمناكح قومه".[1009] وهذه الوصية تؤكد فقط على تفضيل الكـاظم للرضا على غيره من أولاده، وليس فيها أي حديث عن الإمامة.

ولـذلك فقد ظل الرضا يعـاني من عـدم اعـتراف اخوته وكبـار تلاميذ والده به، طوال عشـرين عامـا، خاصة وأنه لم يولد له ابنه محمد الجـواد إلا بعد حـوالي أحد عشر عاما أو اثـني عشر عاما من وفـاة أبيه (الكـاظم)، عنـدما كـان يبلغ (الرضـا) من العمر حـوالي السادسة والأربعين.[1010] وقد كـان ذلك أمـرا مهما عند الإمامية الـذين يؤمنـون بتسلسل الإمامة في الأعقـاب وأعقـاب الأعقاب، وعدم جواز انتقالها إلى أخ أو ابن أخ، أو عم أو ابن عم، ولذلك فقد كانوا يعتبرون عدم إنجاب الرضا ولـدا دليلا على عـدم إمامته الدينيـة. ويقـال إن محمد ابن أبي نصر سـأله: من الإمـام بعدك؟ فقال له: الإمـام ابـني، ثم قـال: هل يتجـرأ أحد أن يقـول ابني وليس له ولد.[1011] ويقـال إن أحد الواقفة (الحسن ابن قياما

[1009] - الكليـني عن أحمد بن مهـران، عن محمد بن علي، عن أبي الحكم قال: حدثني عبد الله بن إبراهيم الجعفري وعبد الله بن محمد بن عمــارة، عن يزيد بن سليط قال: لما أوصى أبو إبراهيم (الكاظم) أشهدَ إبراهيم بن محمد الجعفري وإسحاق بن محمد الجعفـري وإسـحاق بن جعفر بن محمد وجعفر ابن صـالح ومعاوية الجعفـري ويحـيى بن الحسـين بن زيد بن علي وسعد بن عمران الأنصاري ومحمد بن الحـارث الأنصـاري ويزيد بن سـليط الأنصاري ومحمد بن جعفر بن سـعد الأسـلم - وهو كـاتب الوصـية الأولى - أشهدهم أنه يشـهد أن لا إله إلا الله وحـده لا شـريك له وأن محمـدا عبـده ورسوله... الكليني، الكافي، كتاب الحجـة، بـاب الإشـارة والنص على أبي الحسن الرضا، ح رقم 15

[1010] - التبس الأمر على معظم أبنائه و تلامذته وأصــــحابه ومنهم بعض أصـحاب الإجمـاع والـرواة الثقـاة كعلي بن أبي حمـزة وعلي بن الخطـاب وغالب بن عثمان ومحمد بن إسحاق ابن عمار التغلبي الصـيرفي وإسـحاق بن جرير وموسى بن بكر ووهيب بن حفص الجريرة ويحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين ويحيى بن القاسم الحذاء أبو بصير وعبد الـرحمن بن الحجاج ورفاعة بن موسى ويـونس بن يعقـوب وجميل بن دراج وحمـاد بن عيسى واحمد بن محمد بن أبي نصر ،وآل مهــــران ، وغــــيرهم من الأصحاب الثقاة عند الشيعة.

[1011] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الإشارة والنص على أبي جعفر الثاني، ح رقم 5

الواسطي الصيرفي) دخل عليه وسـأله : كيف تكـون إماما وليس لك ولـد؟ ولم يكن ولد له أبو جعفـر، بعد ، فأجابه الرضا - شـبه المغضب -: وما علمك أنه لا يكون لي ولد؟! والله لا تمضي الأيام والليـالي حـتى يرزقـني الله ولـدا ذكـرا يفـرق به بين الحق والباطـل.[1012] فقـال لـه: أيكـون إمامـان؟ قـال: لا، إلا وأحـدهما صـامت، فقـال لـه: هو ذا أنت، ليس لك صـامت ، فقـال الرضـا: والله ليجعلن الله مني ما يثبت به الحق وأهله، ويمحق به الباطل وأهله. فولد له بعد سنة أبو جعفر.[1013]

ويأتي الإمامية "القطعية" بهـاتين الروايـتين كـدليل على إمامة الرضا الإلهيـة، لعلمه بـالغيب وتأكيـده على ولادة ولد ذكر له في المستقبل، ولكن نستبعد صـحة الروايـتين لاحتوائهما على دعـوى علم الأئمة بالغيب، وهو ما لا يعلمه إلا الله، وما كـان يرفضه أئمة أهل الـبيت بشـدة. مع وجـود احتمـال في اختلاق الروايـتين فيما بعد. والغريب أن معظم الرافضين للرضا وحـتى اخوته وأعمامـه، رفضـوا الاعـتراف بولـده (محمد الجـواد، الـذي ولد سـنة 195) بسـبب كونه داكن اللـون (أسـود)، واتهمـوا أمه (الجارية النوبيـة) بالزنا – والعياذ بالله - ولم يصدقوا أنه ابنه حتى جاءوا بقـائف أكد لهم انتساب الجواد للرضا.[1014]

وفي غياب النصوص الواضحة والصريحة والعامة والعلنية على إمامة الرضا الدينيـة، كـان لا بد للامامية من الاسـتعانة بسـلاح المعـاجز وادعـاء معرفة الإمـام الرضا بعلم الغيب لإثبـات إمامته وإضـفاء صـبغة "دينيـة" عليهـا، وقد قـام بهـذه المهمة (احمد بن محمد بن عمرو بن أبي نصر الـبزنطي السـكوني الكـوفي) الـذي كـان واقفيا في البدايـة، ورفض الإيمـان بإمامة الرضا لأنه كما يقول "أجاب عن بعض المسـائل الفقهية بخلاف ما جـاء عن آبائه وأقربائه" لكن البزنطي عاد فقال بإمامة الرضا ، بعد ان استدعاه المأمون إليه، و قال انه شعر بعلم الإمام الرضا بالغيب ، ومعرفة ما في نفسـه، واتخذ من ذلك دليلا إعجازيا على إمامة الرضـا،

1012 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الإشارة والنص على أبي جعفر الثاني، ح رقم 4

1013 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الإشارة والنص على أبي جعفر الثاني، ح رقم 7

1014 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الإشارة والنص على أبي جعفر الثاني، ح رقم 14

واصـــبح من أقـــرب مقربيه وذا منزلة عظيمة لديه ، وروى كتابا عنه.[1015]

وشارك الـبزنطي في تلك المهمة (داود بن كثـير الـرقي)،[1016] الـذي كـان واقفيا أيضـا، ثم عـاد فقـال بإمامة الرضـا. كما فعل (عبدالله بن المغـيرة) الـذي انتقل من الوقف إلى القـول بإمامة الرضا بناءا على دليل غيبي ومعجزة وعلم بالغيب قـال إنه وجـده في الإمام الرضا.[1017] وكما فعل (الوشاء) الذي كان واقفيا حوالي عشـرين عامـا، ثم انقلب بعد ذهـاب الإمـام الرضا إلى خراسـان، فاختلق رواية ترتكز على علم الرضا بالغيب، وأعلن على أساسها إيمانه به.[1018]

وفي الاستدلال على إمامة الرضا، أشـاع "القطعيـون" (الـذين قطعــوا على إمامة الرضــا) "معجــزة غيبيــة" له ، وهي معرفته بوفاة أبيه الكاظم في بغداد ، وهو في المدينة، في نفس الوقت، وقبل أن يأتي البريد بالخبر بعدة أيام.[1019]

وقام "القطعيون" بتحوير أسطورة " أم أسلم" التي سـبق أن قـــال بها بعض "الإماميـــة" كـــدليل على إمامة زين العابـــدين، فاختلقوا أسـطورة مشـابهة تحت عنـوان "حصـاة حبابة الوالبيـة"

1015 - راجع الفهرست للطوسي، ورجال الكشي، والنجاشـي، والطوسـي، الغيبة، ص 47 والصدوق، عيون أخبار الرضا، ص 213

1016 - الذي يعده الكشي من الثقاة ويروي عن الصـادق انه قـال عنـه: انه منه بمنزلة المقداد من رسول الله ، وانه أحد أصحاب القائم.

1017 - الكليني، الكافي، ج1 ص 355

1018 - الكليني، الكافي، ج 1 ص 354 و 488 ويروي الكليني عدة قصص إعجازية منها : أخبــار الإمــام الرضا لرجل عن كمية دينه وإعطائه أمــوالا بقـدر حاجته ، كما يـروي الطوسي في (الغيبـة) عـدة روايـات عن علم الإمام الرضا للغيب كدليل على إمامته ، منها : إخبار المأمون بمكان وفـاة الرضا ومكـان وفـاة المـأمون ، وإخبـاره المـأمون عن وليد سـيولد له زائد الخلقة ، ويــورد الصــدوق مجموعة كبــيرة من الــدلائل الــتي تثبت إمامة الرضــا، وكلها تقــوم على معرفة الإمــام بعلم الغيب وعلم المنايا والبلايا ، ويـذكر في عيـون أخبـار الرضا معجـزة مقتل الرضا بيد غلمـان المـأمون وعودته للحياة مرة أخرى . كما يـذكر الصـفار علم الإمـام بمنطق الطـير ، كـدليل على صـحة إمامته . وفي رواية يـذكرها الحر العـاملي عن الإمـام الرضا : ان دلالة الإمامة تكمن في اسـتجابة الـدعوة وعلم الغيب والإخبـار بما يكون وما في قلوب الناس.

1019 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في أن الإمام متى يعلم أن الأمر قد صار إليه، ح رقم 6

الـتي زعمـوا أنها عاشت أكـثر من مـائتي عـام، ورأت ثمانية من الأئمة من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى علي بن موسى الرضا، وأضافوا عليها أن الإمام علي بن الحسين أعاد لها شـبابها بعد أن بلغت من العمر عتيا، وأنها التقت الإمام علي في الكوفة وسـألته: يا أمـير المؤمـنين ما دلالة الإمامة يرحمك اللـه؟ فقـال ائتيـني بتلك الحصـاة. وأشـار بيـده إلى حصـاة فأتته بها فطبع لها فيها بخاتمه، ثم قال لها: يا حبابـة! إذا ادعى مـدع الإمامـة، فقـدر أن يطبع كما رأيت فاعلمي أنه إمام مفـترض الطاعـة، والإمـام لا يعزب عنه شئ يريـده. ثم انصـرفت حـتى قبض أمـير المؤمـنين، فجـاءت إلى الحسـن، وهو في مجلس أمـير المؤمـنين، والنـاس يسألونه فقال: يا حبابة الوالبية، هـاتي ما معـك، فأعطته الحصـاة فطبع فيها كما طبع أمير المؤمنين، قـالت: ثم أتيت الحسـين وهو في مسجد رسـول الله (ص) فقـرب ورحب، ثم قـال لي: إن في الدلالة دليلا على ما تريدين، أ فتريدين دلالة الإمامـة؟ فقلت: نعم يا سيدي، فقال: هـاتي ما معـك، فناولته الحصـاة فطبع لي فيهـا، قـــالت: ثم أتيت علي بن الحســـين وقد بلغ بي الكـــبر إلى أن أرعشت وأنا أعد يومئذ مائة وثلاث عشـــرة ســـنة، فرأيته راكعا وساجدا ومشغولا بالعبادة فيئست من الدلالة، فأومأ إلي بالسبابة فعاد إلي شـبابي .. ثم قـال لي: هـاتي ما معك فأعطيته الحصـاة فطبع لي فيها، ثم أتيت أبا جعفر فطبع لي فيهـا، ثم أتيت أبا عبد الله فطبع لي فيهـا، ثم أتيت أبا الحسن موسـى، فطبع لي فيهـا، ثم أتيت الرضـــا، فطبع لي فيهـــا. وعاشت حبابة بعد ذلك تســـعة أشهر" .[1020]

ج - موقف الرضا من ولاية عهد المأمون

وبغض النظر عن تهـــافت دليل "المعـــاجز وعلم الغيب" وخاصة تلك القصة الأسطورية، في إثبـات إمامة الرضـا، لمخالفة الدليل للقرآن الكريم، فإنه كان يتناقض مع سـيرة الإمـام الرضا الذي لم يكن يدعي النص الإلهي عليه، ولا الحق الإلهي بالخلافـة، بل وقـــام بـــانقلاب سياسي كبـــير على سياسة آبائه الســـابقة

[1020] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، بـاب ما يضل به بين دعـوى المحق والمبطل في أمر الإمامة، ح رقم 3 ويقال أنه في الوقت الـذي كـان بعض الواقفية الغلاة يميلون إلى الرضا بعد اسـتدعاء المـأمون له إلى خراسـان، فان أهم أصحابه وهو يـونس بن عبد الـرحمن توقف فيـه، وقـال "إن دخل في هـذا الأمر طائعا أو مكرها فهو طـاغوت ". الكشـي، ترجمة يـونس بن عبد الرحمن

المتمثلة بتكفير الحكومات الظالمة ومقاطعتها.[1021] وقبل بولاية العهد للمأمون.[1022]

وكان المأمون قد تعهد خلال صراعه مع أخيه الأمين، وتحت ضغط الثورات العلوية (الزيدية) على أن ينقل الخلافة إلى أفضل آل أبي طالب ، ثم أعلن: أن الإمام علي بن موسى الرضا هو أفضل العلويين.[1023] وعرض الخلافة عليه سنة 201 للهجرة، متظاهرا بأنه يريد إعادة الخلافة للعلويين الذين هم أحق بها من العباسيين ، بناءا على حق الإمام علي في خلافة الرسول.[1024] ودعا الرضا لاستلام الخلافة منه ، إلا أن الرضا كان يشك بحقيقة موقفه، فرفض قبول الخلافة، ولكن المأمون عرض عليه ولاية العهد، وأصر عليه ليقبلها، فقبلها منه ، وألقى الرضا يوم البيعة خطبة قال فيها :" إن أمير المؤمنين عضده الله بالسداد ووفقه للرشاد عرف من حقنا ما جهله غيره فوصل أرحاما قطعت وآمن نفوسا فزعت ، بل أحياها وقد تلفت، وأغناها إذ افتقرت ، مبتغيا رضا رب العالمين لا يريد جزاءا إلا من عنده... وانه جعل إليَّ عهده والإمرة الكبرى ان بقيت بعده ، فمن حل عقدة أمر الله تعالى بشدها ، وقصم عروة أحب الله إيثاقها فقد باع حريمه

[1021] - كان الباقر مثلا يرفض توظف الشيعة في الأنظمة الحاكمة، ويقول:" لا ولا مَدة قلم. إن أحدهم لا يصيب من دنياهم شيئا إلا أصابوا من دينه مثله". وكان الصادق يقول :" ما أحب أني عقدت لهم عقدة أو وكيت لهم وكاء، وإن لي ما بين لابتيها لا ولا مدة بقلم، إن أعوان الظلمة يوم القيامة في سرادق من نار حتى يحكم الله بين العباد". وكان الكاظم يقول:" لئن أسقط من جالق فأتقطع قطعة قطعة أحب إلي من أن أتولي لأحد منهم عملا أو أطأ بساط أحدهم...". الكليني، الكافي، ح رقم 8531 – 5 و ح رقم 8533 – 7 و ح رقم 8543 - 1

[1022] - لم يكن الرضا يدعي العصمة لنفسه، وقد عبر عن رأيه بحق الأمة في التغيير ومعاقبة الإمام ، إذا أخطأ أو انحرف، عند قبوله ولاية العهد من المأمون، حيث قال: "فان حدثُ أو غيَّرتُ أو بدلتُ كنت للغير مستحقاً وللنكال متعرضاً، وأعوذ بالله من سخطه". القلقشندي ، أحمد بن عبد الله، مآثر الانافة في معالم الخلافة، ج2 ص 322

[1023] - الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص 563

[1024] - وقد احدث المأمون بذلك انعطافا حادا في الأيديولوجية السياسية العباسية القائمة منذ عهد المهدي العباسي الذي ثبت الحق العباسي في الخلافة استنادا إلى حق جدهم العباس بوراثة النبي واصدر منشورا سياسيا بذلك ، خلافا لما كان عليه العباسيون ، قبل انتصارهم وقضائهم على الدولة الأموية عام 132، من الفكر الشيعي القديم الكيساني، حيث كانوا يؤمنون بشرعية إمامة الإمام علي بن أبي طالب ، ويستمدون شرعيتهم من أبي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية ، الذي قالوا انه قد أوصى لجدهم بالإمامة عند موته المفاجئ في الحميمة.

وأحل محرمه ، إذ كـــان ذلك زاريا على الإمـــام منتهكا حرمة الإسلام ، بـذلك جـرى السـلف ... فرصة تنتهز وبائقة تبتـدر ، وما ادري ما يفعل بي ولا بكم ، ان الحكم إلا لله يقضي الحق وهو خير الفاصلين".[1025]

ومهما اختلف المؤرخون في تحليل موقف المأمون، فـان مبايعة الرضا له وقبوله بولاية العهـد، يكشـفان عن موقف أيـديولوجي ظـاهر بـالاعتراف بشـرعية خلافة المـأمون وواقعية إمامة الرضا بعيـــدا عن نظريـــة: "الإمامة الإلهية الخاصة في أولاد علي والحسين". وقد اصبح التحـالف بين البيـتين الهاشـميين العباسي والعلوي ، سمة المرحلة التالية ، و عقيـدة دولة الخلافة العباسـية الرســمية لبضــعة عقــود ، وقد تمثل بعد المـــأمون في موقف الخلفـــاء العباســيين (المعتصم والواثق والمتوكل والمعتمـــد) الإيجـابي من أبنـاء الرضا كمحمد الجـواد وعلي الهـادي والحسن العســكري ، حيث كــان الخلفــاء يقــدمون لهم كامل الاحــترام والتقدير.

وهناك حديث عن الإمام الرضا، يرويه الشيخ الصدوق، يتحدث فيه عن نظرية الشـورى بصـراحة ويـروي عن آبائه وأجـداده عن رسـول الله (ص)، أنه قـال:" من جـاءكم يريد أن يفـرق الجماعة ويغصب الأمة أمرها ويتولى من غير مشورة فاقتلوه فـان الله قد أذن ذلك".[1026]

د - لا جواب لكل سؤال

وفيما كان الإمامية "الواقفية" و"القطعية" يتجـادلون حـول إمامة الرضـا، وفيما إذا كـان وريثا شـرعيا لوالـده ومعينا من قبل الله تعـالى، كـان هو يتخذ موقفا مضـادا لـدعوى الإمامية بامتلاكه العلم الإلهي أو القـدرة على تفسـير القـرآن والإجابة على جميع الأسئلة التي توجه إليـه، حيث أعلن أنه لن يجيب على كل سـؤال وليس مضطرا لذلك، وعلى الناس أن يسألوا ولكن ليس عليه أن يجيب. بما يشبه التخلي عن "المرجعية الدينية" فقـال: "إن شـئنا أجبنا وإن شـــئنا أمســكنا".[1027] وذلك خلافا لما كـــان الإمامية

[1025] - الصدوق، عيون أخبار الرضا، ص 246

[1026] - الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج 2 ص 62

[1027] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، بـاب أن أهل الـذكر الـذين أمر الله بسؤالهم هم الأئمة، ح رقم 8

ينسبون إلى الباقر والصادق أنهما كانا يقولان بأن أهل البيت هم الذكر الوارد في القرآن، والذين يأمر الله بسؤالهم "فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ".[1028] مما ولد صدمة كبيرة لدى عموم الشيعة "الإمامية" الذين أخذوا يتوافدون عليه ويكاتبونه ويستفسرون منه عن سبب ذلك. وقد نسب الوشاء وأحمد بن محمد بن أبي نصر إلى الرضا تفسيره لهذه الآية بشكل جديد، حيث قال:" على الأئمة من الفرض ما ليس على شيعتهم، وعلى شيعتنا ما ليس علينا، أمرهم الله عز وجل أن يسألونا، قال: " فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون " فأمرهم أن يسألونا وليس علينا الجواب، إن شئنا أجبنا وإن شئنا أمسكنا".[1029]

وقال الوشاء : سألت الرضا فقلت له: جعلت فداك: " فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون "؟ فقال: " نحن أهل الذكر ونحن المسؤولون، قلت: فأنتم المسؤولون ونحن السائلون؟ قال: نعم، قلت: حقا علينا أن نسألكم؟ قال: نعم، قلت: حقا عليكم أن تجيبونا؟ قال:" لا ذاك إلينا إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل، أما تسمع قول الله تبارك وتعالى: هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ".[1030]

وقال أحمد بن محمد بن أبي نصر: كتبت إلى الرضا كتابا فكان في بعض ما كتبت: قال الله عز وجل: " فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون " وقال الله عز وجل: " وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون" فقد فرضت عليهم المسألة، ولم يفرض عليكم الجواب؟ قال: قال الله تبارك وتعالى: " فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواء هم ومن أضل ممن اتبع هواه".[1031]

1028 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن أهل الذكر الذين أمر الله بسؤالهم هم الأئمة، ح رقم 2 و 4 و 5 وقد مر تفسير الباقر المشابهة لهذه الآية في الفصل السابق. المصدر، ح رقم 7

1029 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن أهل الذكر الذين أمر الله بسؤالهم هم الأئمة، ح رقم 8

1030 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن أهل الذكر الذين أمر الله بسؤالهم هم الأئمة، ح رقم 3

1031 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن أهل الذكر الذين أمر الله بسؤالهم هم الأئمة، ح رقم 9

وقــال محمد بن حكيم: ســألت أبا الحسن: عن الإمــام هل يُسئل عن شئ من الحلال والحرام والذي يحتاج الناس ولا يكــون فيه شئ؟ قال:" لا ولكن يكون عنده ولا يجيب، ذاك إليه ان شـاء أجاب وإن شاء لم يجب".[1032] وقال صـفوان بن يحـيى: قلت لأبي الحسن (الرضـا) : يكــون الإمــام يُســئل عن الحلال والحــرام فلا يكون عنده فيه شئ؟ قـال:" لا ولكن قد يكـون عنـده ولا يجيب".[1033] وروى محمد بن عبد الــرحمن الأســدي والحسن بن صــالح قـالا: أتـاه رجل من الواقفة وأخذ بلجـام دابته وقـال إني أريد أن أسألك، فقال:" إذاً لا أجيبك"، فقال: ولـمَ لا تجيبــني؟ قـال:" لأن ذلك إليَّ إن شئت أجبتك وإن شئت لم أجبك".[1034]

ورفض علي بن موسى الرضا علامة العلم بالحلال والحرام في التعــرف على الإمــام، الــتي تحــدث عنها جــده الصــادق، فقــال الرضـا:"الدلالة عليـه: الكـبر والفضل والوصـية والسـلاح ... فأما المســائل فليس فيها حجــة".[1035] وقــال لابن أبي نصــر:"للإمــام علامات منها أن يكون أكبر ولد أبيه، ويكون فيه الفضل والوصية، ويقـدم الـركب فيقـول: إلى من أوصى فلان؟ فيقـال: إلى فلان، والسلاح فينا بمنزلة التابوت في بني إســرائيل، تكـون الإمامة مع السلاح حيثما كان".[1036]

ولا ندري بالضبط مدى صحة هـذه الروايـات، والتـبرير الـذي يقدمه الرضـا، ولا سـيما استشـهاده بآية "هـذا عطاؤنا فـامنن أو أمسك بغير حسـاب " الـتي لا تـدل على الموضـوع، ولكنا نحصل منها على نتيجة مؤكــدة هو رفض الإمــام الرضا الإجابة عن بعض الأسئلة التي توجه إليه، وهو ما يتنافى مع منصب العـالم الربـاني والمفسر الإلهي للقـــرآن، أو "المرجع الـــديني" الـــذي كـــان "الإمامية" يدعونه للإمام.

1032 - الصفار، بصائر الدرجات، ج 2 باب 20 (في الأئمة ع يكون عنـدهم الحلال والحرام في الأحوال كلها ولكن لا يجيبون) ح رقم 1 و 2 و4 و 5

1033 - الصفار، بصائر الدرجات، ج 2 باب 20 (في الأئمة ع يكون عنـدهم الحلال والحرام في الأحوال كلها ولكن لا يجيبون) ح رقم 1 و 2 و4 و 5

1034 - الصفار، بصائر الدرجات، ج 2 باب 20 (في الأئمة ع يكون عنـدهم الحلال والحرام في الأحوال كلها ولكن لا يجيبون) ح رقم 1 و 2 و4 و 5

1035 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الأمور التي توجب حجة الإمام، ح رقم 5

1036 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الأمور التي توجب حجة الإمام، ح رقم 1

ولكن الغلاة الذين كانوا يحاولون إلصاق أنفسهم بالإمام الرضا كما ألصقوا أنفسهم من قبل بآبائه وأجداده، لم يكن يعجبهم إلا أن يضفوا على الرضا صبغة "دينية"، ويشيعوا بأنه إمام مفروض الطاعة من الله، لكي يدعوا بعد ذلك الوكالة والنيابة عنه. وكان من أبرز الغلاة الذين التفوا حول الإمام الرضا وألصقوا أنفسهم به هو الغالي "محمد بن موسى بن الحسن بن فرات البغدادي" الذي كان يدعي النبوة للإمام الرضا، والبابية عنه، وكان يشكل امتداداً للخطابية والعليائية الذين يقولون بألوهية الأئمة.[1037]

هـ - مكافحة الغلاة

وقام الإمام علي بن موسى الرضا بمكافحة الغلاة الذين التفوا حوله وعلى رأسهم الغالي "محمد بن موسى بن الحسن بن فرات البغدادي" الذي كان يدعي النبوة للإمام الرضا، والبابية عنه، وكان يشكل امتداداً للخطابية والعليائية الذين يقولون بألوهية الأئمة.[1038] وقد اشتكاه الرضا فقال :" آذاني محمد بن الفرات آذاه الله وأذاقه حر الحديد ، آذاني لعنه الله أذى ما آذى أبو الخطاب جعفر بن محمد عليهما السلام بمثله ، وما كذب علينا خطابي مثل ما كذب محمد بن الفرات. والله ما أحد يكذب إلينا إلا ويذيقه الله حر الحديد". وقد استجاب الله دعاءه فقتله ابن شكلة.[1039] ففرح الإمام الرضا وقال ليونس بن عبد الرحمن : يا يونس أما ترى إلى محمد بن فرات وما يكذب علي ؟ فقال : أبعده الله وأسحقه وأشقاه، فقال: " قد فعل الله ذلك به ، أذاقه الله حر الحديد كما أذاق من كان قبله ممن كذب علينا، يا يونس

[1037] - وقد ورث أفكاره الشيطانية إلى عدد من الأشخاص في القرن الثالث الهجري، كان منهم "السجادة الحسن بن علي بن أبي عثمان" و"علي بن حسكة الجوّاز القمي" وتلامذته: "القاسم اليقطيني الشعراني " و" الحسن بن محمد، المعروف بابن بابا القمي" و "محمد بن موسى الشريعي" و"محمد بن نصير النميري الفهري" و"فارس بن حاتم القزويني". الذين كانوا يدعون الألوهية أو النبوة للأئمة من أهل البيت، ويدعون "البابية" لهم أو النبوة عنهم، ويغالون فيهم .

[1038] - وقد ورث أفكاره الشيطانية إلى عدد من الأشخاص في القرن الثالث الهجري، كان منهم "السجادة الحسن بن علي بن أبي عثمان" و"علي بن حسكة الجوّاز القمي" وتلامذته: "القاسم اليقطيني الشعراني " و" الحسن بن محمد، المعروف بابن بابا القمي" و "محمد بن موسى الشريعي" و"محمد بن نصير النميري الفهري" و"فارس بن حاتم القزويني". الذين كانوا يدعون الألوهية أو النبوة للأئمة من أهل البيت، ويدعون "البابية" لهم أو النبوة عنهم، ويغالون فيهم .

[1039] - هو إبراهيم بن المهدى بن المنصور (الملقب بابن شكلة).

إنما قلت ذلك لتحذر عنه أصحابي وتأمرهم بلعنه والبراءة منه ، فإن الله برئ منه" .

وحاول الرضا عزل الغلاة ومنعهم من الاختلاط بالشيعة، فقال لأبي هاشم الجعفري: "الغلاة كفار، والمفوضة مشركون، من جالسهم أو خالطهم أو واكلهم أو شاربهم أو واصلهم أو زوجهم أو تزوج إليهم أو أمنهم أو ائتمنهم على أمانة أو صدق حديثهم أو أعانهم بشطر كلمة خرج من ولاية الله عز وجل وولاية رسول الله (ص) وولايتنا أهل البيت". وقال أيضا ليزيد بن عمير بن معاوية الشامي:"من زعم أن الله عز وجل فوض أمر الخلق والرزق إلى حججه عليهم السلام فقد قال بالتفويض ... والقائل بالتفويض مشرك".[1040]

وكان الرضا يدعو على الغلاة ويتبرأ منهم في صلاته فيقول: " اللهم إني برئ من الحول والقوة ولا حول ولا قوة إلا بك ، اللهم إني أعوذ بك وأبرأ إليك من الذين ادعوا لنا ما ليس لنا بحق اللهم إني أبرأ إليك من الذين قالوا فينا ما لم نقله في أنفسنا ، اللهم لك الخلق ومنك الرزق وإياك نعبد وإياك نستعين ، اللهم أنت خالقنا وخالق آبائنا الأولين وآبائنا الآخرين اللهم لا تليق الربوبية إلا بك ولا تصلح الإلهية إلا لك ، فالعن النصارى الذين صغروا عظمتك والعن المضاهئين لقولهم من بريتك. اللهم إنا عبيدك وأبناء عبيدك لا نملك لأنفسنا نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ، اللهم من زعم أنا أرباب فنحن منه براء ، ومن زعم أن إلينا الخلق وعلينا الرزق ، فنحن براء منه كبراءة عيسى بن مريم عليه السلام من النصارى، اللهم إنا لم ندعهم إلى ما يزعمون ، فلا تؤاخذنا بما يقولون ، واغفر لنا ما يدعون ولا تدع على الأرض منهم ديارا إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا " .

وعندما قال له المأمون: بلغني أن قوما يغلون فيكم ويتجاوزون فيكم الحد ، قال الرضا: "إنا لنبرأ إلى الله (عز وجل) ممن يغلو فينا فيرفعنا فوق حدنا كبراءة عيسى بن مريم عليه السلام من النصارى، قال الله عز وجل: " وإذ قال الله يا عيسى بن مريم ء أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك

1040 - المجلسي، بحار الأنوار جلد: 25 من صفحه 336 إلى صفحه 344

أنت علام الغيــوب ما قلت لهم إلا ما أمرتــني به أن اعبــدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتــني كنت أنت الـــرقيب عليهم وأنت على كل شئ شـــهيد"... فمن ادعى للأنبيــاء ربوبية أو ادعى للأئمة ربوبية أو نبــوة .. فنحن بــراء منه في الدنيا والآخرة" .[1041]

ولم يكن الغلو الــذي يعصف بالشــيعة في زمن الرضا على مســـتوى واحـــد، كما انه لم يكن لـــدى الجميع مشـــابها لغلو "الخطابية" و "المفوضة" و "الفراتيـة" (أتبـاع محمد بن الفـرات) الذي يتضمن الكفر الصريح، وإنما كان يختلف ويتنــوع من جماعة الى أخــرى، ولـذلك فقد كـانت الفـرق الشـيعية المختلفة تختلف فيما بينها، ويتهم بعضها بعضا بالكفر والزندقة.[1042]

المبحث الرابع: النكسة الكبرى: أزمة الطفولة

1041 - بحار الأنوار جلد: 25 من صفحه 272 إلى صفحه 280

1042 - يقول هشام بن إبـراهيم الختلي المشـرقي: اسـتأذنت لجماعة علي أبي الحسن (الرضا) سنة 199، فحضروا، وحضرنا، ستة عشر رجلا، فخرج مسافر فقال: ليدخل آل يقطين، ويونس بن عبد الرحمان، والباقون، رجلا، رجلا، فلما دخلـوا وخرجـوا، خـرج مسـافر، فـدعاني، وموسـى، وجعفر بن عيسـى، ويـونس، فأدخلنا جميعا عليـه، فسـلمنا ثم أمرنا بـالجلوس، فلما جلسـنا قـال له جعفر بن عيسـى: أشــكو إلى الله وإليك ما نحن فيه من أصــحابنا. فقــال: وما أنتم فيه منهم ؟ فقــال جعفــر: هم والله يزنــدقونا ويكفرونــا، ويـبرءون منـا. فقـال: هكـذا كـان أصـحاب علي ابن الحسـين، ومحمد بن علي، وأصــحاب جعفــر، وموســى، ولقد كــان أصــحاب زرارة يكفرون غيرهم وكذلك غيرهم كانوا يكفرونهم. فقلت له: يا سيدي نستعين بك على هــذين الشــيخين، يــونس، وهشــام، وهما حاضــران، وهما أدبانــا، وعلمانا الكلام، فـإن كنا يا سـيدي على هـدى ففزنـا، وإن كنا على ضـلال فهذان أضلانا، فمرنا بتركه، ونتـوب إلى الله منه يا سـيدي، فادعنا إلى دين الله نتبعـك. فقــال : ما أعلمكم إلا على هـدى، جـزاكم الله عن النصـيحة القديمة والحديثة خـيرا، فتـأولوا القديمة علي بن يقطين، والحديثة خـدمتنا له والله أعلم. فقال جعفر: جعلت فـداك، إن صـالحا، وأبا الأسد ختن علي بن يقطين، حكيا عنك أنهما حكيا لك شــيئا من كلامنا فقلت لهمــا، مالكما والكلام بينكما ينسلخ إلى الزندقة، فقال: ما قلت لهما ذلــك، أأنا قلت ذلك ؟ والله ما قلت لهما، وقال يونس: جعلت فداك، إنهم يزعمـون أنا زنادقـة، فقال له: أرأيتك أن لو كنت زنديقا فقال لك هو مـؤمن، ما كـان ينفعك من ذلك ؟ ولو كنت مؤمنا، فقال: هو زنديق ما كان يضرك منه ؟ .
الخوئي، معجم الرجال، رقم 2224 ، نقلا عن الكشي في ترجمة جعفر بن عيسى بن عبيد (بن يقطين).

وقد أصيبت النظرية "الإمامية" (أو التشيع الديني) بنكسة كبرى عند وفاة الرضا سنة 203 ، قبل أن يكمل ابنه الجواد السابعة أو الثامنة من عمـــره، حيث رفض معظم أصـــحابه وأتباعه القـــول بإمامة ابنه. وكــان على رأســهم يــونس بن عبد الــرحمن القمي الــــذي عمل كثــــيرا من أجل إثبــــات إمامة الرضا في مواجهة الواقفية.[1043] وبـالرغم من تحـدث المـؤرخين الشـيعة المتـأخرين كـالنوبختي والأشـعري القمي عن ذهـاب قسم من شـيعة الرضا للقول بإمامته؛ فلا يوجد أي مؤشر على كون هؤلاء فريقا يعتد به، وذلك لعــدم قــدرة ذلك الصــبي على قيــادة الشــيعة عمليا أو توجيههم بشـيء، وعـدم ظهـور علامـات خارقة عليه كما ظهـرت على النبي يحيى أو النبي عيسى (عليهما السلام). وقد قال عامة الشيعة:" إن من كان له من السن ما ذكرنــاه لم يكن من بــالغي الحلم ولا مقاربيه ، والله تعـالى يقـول: وابتلـوا اليتـامى حـتى إذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشـدا فـادفعوا إليهم أمـوالهم، وإذا كان الله تعالى قد أوجب الحجر على هـذا في أمواله لإيجابه ذلك في جملة الأيتام؛ بطل أن يكون إماما لأن الإمام هو الــوالي على

[1043] - عن المفيد في "عيون المعجزات": قال: لما قبض الرضا كان سن أبي جعفر نحو ســبع ســنين، واختلفت الكلمة في بغــداد وفي الأمصــار، واجتمع الريــان بن الصــلت، وصــفوان بن يحــيى، ومحمد بن حكيم، وعبد الرحمــان بن الحجــاج، وجماعة من وجــوه الشــيعة وثقــاتهم في دار عبد الرحمان ابن الحجاج في بركة زلزل، يبكون ويتوجعون من المصيبة، فقـال يونس: دعوا البكاء، من لهذا الأمر؟ وإلى من نقصد بالمسائل إلى أن يكبر هذا، يعني أبا جعفر، فقام إليه الريان ووضع يده في حلقه، ولم يزل يلطمه ويقول له: أنت تظهر الإيمــان، وتبطن الشك والشــرك، إن كــان أمــره من الله جل وعلا، فلو أنه كان ابن يوم واحد لكان بمنزلة الشـيخ العـالم، وإن لم يكن من عند الله فلو عمر ألف ســنة فهو واحد من النــاس، فــأقبلت العصابة عليه تعذله وتوبخه.(المجلسي، بحار الأنوار ج 50 ص 99 باب 5- فضائله ومكارم أخلاقه). ولذلك قاطع أصحاب الجواد والعسكري يونس بن عبد الرحمن، ورفضوا الصـلاة خلفه وخلف أصـحابه "اليونسـية". فقد روى الكشي بإسـناده عن أبي علي بن راشـد، عن أبي جعفر الثـاني (الجـواد)، قال: قلت: جعلت فداك قد اختلف أصحابنا، فأصلي خلف أصـحاب هشـام بن الحكم ؟ قــال: عليك بعلي بن حديــد، قلت فآخذ بقولــه؟ قــال: نعم، فلقيت علي بن حديد، فقلت: نصلى خلف أصحاب هشام بن الحكم ؟ قال: لا ". وفي رواية أخرى عن يزيد بن حماد، عن أبي الحسن (الهادي)، قال: قلت: أصـلي خلف من لا أعـرف؟ فقـال: لا تصل إلا خلف من تثق بدينــه، فقلت له: أصلي خلف يونس وأصـحابه ؟ فقـال: يـأبى ذلك عليكم علي بن حديد، قلت: آخذ بقوله في ذلك ؟ قـال: نعم، قـال: فسـألت علي بن حديد عن ذلك، فقـال: لا تصل خلفه ولا خلف أصـحابه ". الخـوئي، معجم رجـال الحديث، رقم 7994 ، والكشي، في ترجمة يونس بن عبد الرحمن.

الخلق في جميع أمر الـدين والـدنيا وليس يصح أن يكـون الـوالي على أموال الله تعالى كلها من الصـدقات والأخمـاس، والمـأمون على الشـــريعة والأحكـــام وإمـــام الفقهـــاء والقضـــاة والحكـــام ، والحاجر على كثير من ذوي الألباب في ضـروب من الأعمـال من لا ولاية له على درهم واحد من مـال نفسه ولا يـؤمن على النظر لنفسه، ومن هو محجور عليه لصغر سـنه ونقصـان عقله لتنـاقض ذلك واستحالته".[1044]

وأما الذين قالوا بإمامة الجواد، في ذلك العمر، فقد وقعوا في أزمة كبيرة، واضطربوا في الإجابة على مشــكلتي العمر والعلم ، فقال بعضـهم :" لا يجـوز أن يكـون علمه من قبل أبيه لأن الرضا ذهب إلى خراسان والجواد ابن أربع سنين وأشهر، ومن كــان في هذه السن فليس في حد من يســتفرغ تعليم معرفة دقيق الــدين وجليله ، ولكن الله علمه ذلك عند البلوغ بضـروب مما يـدل على جهات علم الإمام مثل الإلهام والنكت في القلب والنقر في الأذن والرؤيا الصادقة في النوم والملك المحدث له ووجوه رفع المنـــار والعمود والمصباح وعرض الأعمال". وما إلى ذلك مما كان يقوله غلاة الإمامية بحق الأئمة السـابقين. واستشـهدوا بآية من القـرآن الكــريم تقـول:" وآتينــاه الحكم صــبيا" وقــالوا: " كما أعطى الله النبـوة ليحـيى وهو طفل صـغير ، وكما أعطاها لعيسى وهو طفل صغير كذلك فلم لا يجوز أن يعطي الإمامة لمحمد الجواد وهو ابن سبع سنين؟" وأخذوا يحبكون الروايـات عن الرضا والجـواد حـول إمكانية تولي الأطفال للإمامة.[1045]

[1044] - الأشـعري القمي، المقـالات والفـرق، ص 96 والمفيـد، الفصـول المختارة، ص 112 - 113

[1045] - فرووا عن الجواد انه قال لمن استشكل في عمره:" ان الله تعالى أوحى إلى داود ان يســتخلف سـليمان وهو صــبي يــرعى الغنم" . وقــال صــفوان بن يحــيى : قلت للرضــا: قد كنا نســألك قبل أن يهب الله لك أبا جعفر، فكنت تقول: يهب الله لي غلامـا، فقد وهبه الله لـك، فـأقر عيوننـا، فلا أرانا الله يومك فإن كـان كـون فـإلى من؟ فأشـار بيـده إلى أبي جعفر وهو قائم بين يديه، فقلت: جعلت فداك هـذا ابن ثلاث سـنين؟! فقـال: وما يضره من ذلك فقد قام عيسى عليه السـلام بالحجة وهو ابن ثلاث سـنين. وفي رواية أخرى: إن الله تبارك وتعالى بعث عيسى ابن مريم رسولا نبيــا، صـاحب شـريعة مبتـدأة في أصـغر من السن الـذي فيه أبو جعفـر. وروى محمد بن إسماعيل بن بزيع عن الرضا أنه سأله: يكون الإمـام ابن أقل من سـبع سـنين؟ فقـال: نعم وأقل من خمس سـنين. وقـال علي بن أسـباط: رأيت أبا جعفر وقد خـرج علي فأخـذت النظر إليه وجعلت أنظر إلى رأسه ورجليه، لأصف قامته لأصحابنا بمصر، فبينا أنا كـذلك حـتى قعـد، فقـال: يا

ورفض بعضهم هذا المنطق المشحون بـالغلو والأسـاطير، وقالوا: " إن الجواد قبل البلـوغ هو إمـام على معـنى أن الأمر له دون غـيره إلى وقت البلـوغ، فـإذا بلغ علِم لا من جهة الإلهـام والنكت ولا الملك ولا لشـيء من الوجـوه الـتي ذكرتها الفرقة المتقدمة، لأن الوحي منقطع بعد النبي بإجماع الأمـة". وقـالوا: " لا يعقل أن يعلم ذلك إلا بـالتوقيف والتعليم لا الإلهـام والتوفيق، لكن نقـول إنه علم ذلك عند البلـوغ من كتب أبيه وما ورثه من العلم فيها وما رسمه له فيها من الأصول والفـروع". وأجـاز قسم من هـؤلاء القيـاس والاجتهـاد في الأحكـام، للإمـام خاصـة، على الأصول الـتي في يديه لأنه معصـوم من الخطأ والزلل فلا يخطئ في القياس.[1046]

وقد روى هـذا الفريق عـدداً من الأحـاديث السـرية من الرضا حـول الإشـارة والنص على ابنه محمد الجـواد، وأنه قـال عنـدما ولد:" هذا المولود الـذي لم يولد مولـود أعظم بركة على شـيعتنا منه". وقـال لجماعة من أصـحابه:" القـوا أبا جعفر فسـلموا عليه وأحـدثوا به عهـدا". وقـال:"هـذا أبو جعفر قد أجلسـته مجلسي وصيرته مكـاني، إنا أهل بيت يتـوارث أصـاغرنا عن أكابرنا القـذة بالقـذة". وأنه دعا بابنه وهو صـغير فأجلسه في حجـره وقـال للحسن بن الجهم: جرده وانزع قميصه، فنزعه الحسن، فقال له: انظر بين كتفيه، فنظـر، فـإذا في أحد كتفيه شـبيه بالخـاتم داخل

علي إن الله احتج في الإمامة بمثل ما احتج به في النبوة فقـال: " وآتينـاه الحكم صـبيا" و " لما بلغ أشـده" " وبلغ أربعين سـنة" فقد يجـوز أن يـؤتى الحكمة وهو صبي ويجوز أن يؤتاها وهو ابن أربعين سـنة. وزعم علي بن حسـان أنه قـال للجـواد: يا سـيدي إن النـاس ينكـرون عليك حداثة سـنك، فقـال: وما ينكـرون من ذلك قـول الله عز وجـل؟ لقد قـال الله عز وجل لنبيه (ص): " قل هذه سـبيلي أدعو إلى الله على بصـيرة أنا ومن اتبعـني" فوالله ما تبعه إلا علي (ع) وله تسع سـنين وأنا ابن تسع سـنين. ونقل الكليـني عن علي بن جعفر بن محمد (أخي الكـاظم) أنه قبل ذات يـوم يد الجواد وهو صغير وعظمه، مما دفع بعض أصـحابه إلى توبيخه قـائلين: أنت عم أبيه وأنت تفعل به هذا الفعل؟ فقـال: اسـكتوا إذا كـان الله عز وجل - وقبض على لحيته - لم يؤهل هـذه الشـيبة وأهَّل هـذا الفـتى ووضـعه حيث وضعه، أنكر فضله؟! نعوذ بالله مما تقولون، بل أنا له عبد. النوبختي، فرق الشـيعة ص 86 – 90 والأشـعري القمي، المقـالات، ص 99 والكليـني، الكـافي، ج 1 ص 494 و 382 – 384، و كتـاب الحجـة، بـاب الإشـارة والنص على أبي جعفر الثاني، ح رقم 10 و 12و 13 و باب حالات الأئمة في السن ح رقم 2 و 5 و 6 و 7 و 8

[1046] - النوبختي، فرق الشيعة، ص 90

في اللحم، ثم قـال: أتـرى هـذا؟ كـان مثله في هـذا الموضع من أبي.[1047]

ومع وجود الشك بصحة هذه الأحـاديث، فإنها لا تحمل معـنى الإمامة المباشرة بعد وفـاة الرضـا، في حالة الصـغر، وأنها إمامة دينية من اللـــه، إذ يحتمل أيضا أن الرضا كـــان يأمل أن يرثه ابنه في المســتقبل بعد طــول عمــر، حيث لم يكن يعلم بأنه ســوف يمــوت ســريعا في عمر السادسة والخمســين. ولكن "الإمامية" اضــطروا للقــول بإمامة الجــواد إنقــاذا لنظــريتهم من التهــاوي والسقوط، فوقعوا فيما هو أعظم من التنـاقض مع القـرآن الـذي يــأمر بــالحجر على الأطفــال. أو ممارسة القيــاس الباطل على بعض الأنبياء السابقين (سليمان ويحيى وعيسـى) بـدون دليـل، أو ادعاء علم الغيب للإمام.[1048]

ولكي يثبت "الإماميــة" إمامة الجــواد، اضــطروا إلى ادعــاء "معاجز" له كتكلم العصا وشهادتها بإمامته، حيث ادعى محمد بن أبي العلاء أن القاضي يحــيى بن أكثم - قاضي ســامراء - ســأل الجواد عن الإمام من هو؟ فقـال: أنا هـو، فقـال: هل لك علامـة؟ فكان في يده عصا فنطقت وقالت: إن مولاي إمـام هـذا الزمـان وهو الحجة.[1049]

وهكذا حـاول الإمامية بهـذه القصص "الإعجازيـة" الأسـطورية إخراس صـوت العقل والعلم في البحث عن أدلة شـرعية لإثبـات نظرية ليس عليها دليـل. دون أن يكلفـوا أنفسـهم بعد ذلك عنـاء

[1047] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الإشارة والنص على أبي جعفر الثاني، ح رقم 1 و 2 و 6 و 8 و 9

[1048] - وكان لا بد ان يبنوا قولهم على مجموعة من حكايات المعاجز والعلم بالغيب ، كمعرفة الجواد وهو في المدينة بوفـاة أبيه وهو في خراسـان في نفس الساعة ، وذهابه بلمح البصر إلى خراسان لتغسـيل أبيه وتكفينه ، ثم عودته إلى المدينة في نفس الليلــة، وقيــام عصا كـانت في يــده بـالنطق والشهادة له بالإمامة ، وإجابته لقوم من الشيعة عن ثلاثين ألف مسألة في مجلس واحد.

ابن بابويه الصـدوق، الإمامة والتبصـرة من الحـيرة، ص 222 النوبخـتي، فرق الشيعة ص 86 – 90 والأشعري القمي، المقالات، ص 99 والكليني، الكـافي، ج 1 ص 494 و 382 – 384، و كتـاب الحجـة، بـاب الإشـارة والنص على أبي جعفر الثاني، ح رقم 10 و 12و 13 و باب حالات الأئمة في السن ح رقم 2 و 5 و 6 و 7 و 8

[1049] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، بـاب ما يضل به بين دعـوى المحق والمبطل في أمر الإمامة، ح رقم 9

إثبات تلك القصص لأحد، أو يسـمحوا لأحد بمناقشـتها والتشـكيك فيها.

وقد تكـررت مشـكلة صـغر عمر الإمـام مـرة أخـرى مع ابن الجـواد (علي الهـادي) حيث تـوفي أبــوه في مقتبل عمــره ولما يكمل الخامسة والعشرين، وكـان ولـداه الوحيـدان علي وموسى صغيرين لم يتجاوز أكبرهما السابعة. ولأن الهادي كان صغيرا عند وفاة الجواد فقد أوصى أبوه بالأموال والضياع والنفقـات والرقيق إلى أحد أصـحابه، وهـو: (عبدالله بن المسـاور)، وأمـره بتحويلها إلى الهادي عند البلوغ ، وشهد على ذلك أحمد بن أبي خالد مولى أبي جعفر.[1050]

وهذا ما دفع الشيعة إلى التساؤل: إذا كان الهادي بنظر أبيه غير قادر على إدارة الأموال والضياع والنفقـات لصـغره فكيف يكـون إماما؟..وكيف يقوم بالإمامة طفل صغير؟ ومن هو الإمام في تلك الفـترة؟..وقد زاد الغمـوض الحـيرة بين الأخـوين علي وموسى : أيهما الإمام؟..

يقص علينا الكليـني ذلك الغمـوض وتلك الحـيرة الـتي أصـابت الشـيعة في أمر الإمـام بعد الجـواد، وعـدم معرفة كبـار الشـيعة بهوية الإمــــام الجديد ، فيقــــول: عن الحســـــين بن محمد عن الخيراني عن أبيه:"لما مضى أبو جعفر .. اجتمع رؤسـاء العصـابة (الشيعة) عند محمد بن الفرج يتفاوضون هذا الأمـر، فكتب محمد بن الفرج إلى أبي يعلمه باجتماعهم عنده، ويسأله أن يأتيه، فوجد القــوم مجتمعين عنــده، فقـالوا لأبي: ما تقــول في هـذا الأمــر؟ فأخرج أبو الخيراني لهم وصية قـال إن الجـواد قد أوصى بها إليه

1050 - ذكر الكليني أن أبا جعفر محمد بن علي الجواد قد جعل عبد الله بن المسـاور، قيما على أمـوال أبنائه الصـغار، وقد "شـهد أحمد بن أبي خالد مولى أبي جعفر أن أبا جعفر محمد بن علي ... أشهده أنه أوصى إلى علي ابنه بنفسه وأخواته وجعل أمر موسى إذا بلغ إليه وجعل عبدالله بن المسـاور قائما على تركته من الضـياع والأمـوال والنفقـات والرقيق وغـير ذلك إلى أن يبلغ علي بن محمد. صير عبد الله بن المساور ذلك اليوم إليه، يقوم بأمر نفسه وأخواته ويصير أمر موسى إليه، يقوم لنفسه بعدهما على شـرط أبيهما في صـدقاته الـتي تصـدق بهـا". وذلك يـوم الأحد لثلاث ليـال خلــون من ذي الحجة ســنة عشــرين ومــائتين وكتب أحمد بن أبي خالد شهادته بخطه وشهد الحسن بن محمد الجواني على مثل شـهادة أحمد بن أبي خالد في صـدر هـذا الكتـاب وكتب شـهادته بيـده وشـهد نصر الخـادم وكتب شهادته بيـده. الكليـني، الكـافي، ج 1 كتـاب الحجـة، بـاب الإشـارة والنص على أبي الحسن الثالث، ص 325

قبيل وفاته سرا، وفيها:" إني ماض والأمر صائر إلى ابني علي وله عليكم بعدي ما كان لي عليكم بعد أبي". فطلب رؤساء الشيعة منه أن يأتي بشاهد، فقال لهم: قد آتاكم الله عز وجل به، هذا أبو جعفر الأشعري يشهد لي بسماع هذه الرسالة وسأله أن يشهد بما عنده، فأنكر أحمد أن يكون سمع من هذا شيئا فدعاه أبو الخيراني إلى المباهلة، فتراجع وقال: قد سمعت ذلك وهذا مكرمة كنت احب أن تكون لرجل من العرب لا لرجل من العجم: فلم يبرح القوم حتى قالوا بالحق جميعا.[1051]

وقد أدت هذه الحيرة وذلك الغموض في أمر الإمامة إلى انقسام ما تبقى من الشيعة الامامية أتباع الجواد، إلى قسمين: قسم يقول بإمامة الهادي وآخر يقول بإمامة أخيه موسى المبرقع. [1052]

وقد ادعى إسماعيل بن مهران أن الجواد أخبره بصورة خاصة بأن الأمر من بعده إلى ابنه علي الهادي.[1053] ولكن هذه الرواية لم تكن لتقدم أو تؤخر أو تشيد إمامة الهادي وهو طفل صغير.

ولما لم يكن الهادي يمتلك أدلة كافية أو نصوص ثابتة على إمامته، فقد اضطر الغلاة من الإمامية إلى اختلاق إشاعات وحكايات تتضمن قيامه بمعاجز، أو علمه بالغيب ، فراحوا يدعون معرفته بوفاة أبيه في بغداد وهو في المدينة، في نفس الساعة ، ومعرفته بمرض أحد أبناء عمه غيبيا ، ومعرفته بمقتل الخليفة العباسي الواثق وجلوس المتوكل مكانه، ومقتل ابن الزيات، وهو في المدينة، وقبل ستة أيام من مجيء أول مسافر من العراق، ونقل الهادي لرجل من أصحابه هو إسحاق الجلاب من "سر من رأى" إلى بغداد في طرفة عين، و"تحويل خان للصعاليك إلى روضات آنقات باسرات فيهن خيرات عطرات وولدان كأنهن اللؤلؤ المكنون ، وأطيار وظباء وانهار تفور".[1054]

1051 - الكليني، الكافي، ج 1 كتاب الحجة، باب الإشارة والنص على أبي الحسن الثالث، ص 324، والمفيد، الإرشاد، ص 328

1052 - النوبختي،فرق الشيعة، ص 91 وذلك خلافا لما يزعم المفيد في "الإرشاد" من حدوث الإجماع عليه. ص 328

1053 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الإشارة والنص على أبي الحسن الثالث، ح رقم 1

1054 - الكليني، الكافي، ج 1 ص 502 و 498 و 499 والصفار، بصائر الدرجات، ص 467 وقد نقل الكليني عن هارون ابن الفضل قال رأيت أبا الحسن علي بن محمد في اليوم الذي توفي فيه أبو جعفر (الجواد)، فقال:

المبحث الخامس: تفاقم الغلو

وفي الحقيقة إن من يطلع على تلك القصص الأسـطورية يكتشف الـدور الخفي والكبـير الـذي كـان يلعبه الغلاة في رسم صـورة مغالية للأئمـة، والادعـاء بـأنهم يعلمـون الغيب ويـأتون بالمعـاجز، تمهيـدا لتمرير مقـولاتهم المغالية الأخـرى من "التفويض" و"الألوهية". وقد رأينا كيف حـاربهم الأئمة السـابقون (الصـادق والكـاظم والرضـا)، وسـوف نـرى كيف قـام الأئمة المتأخرون (كـالجواد والهـادي والعسـكري) بمحاربة الغلاة الـذين كانوا يحاولون دس أنفسهم في صـفوف الشـيعة وبث نظريـاتهم المتطرفة بينهم.

يقول علي بن مهزيار: سمعت أبا جعفر (الجـواد) يقـول وقد ذكر عنـده أبو الخطـاب : "لعن الله أبا الخطـاب ولعن أصـحابه ولعن الشـاكين في لعنه ولعن من وقف في ذلك وشك فيه" . ثم قـال :" هـذا أبو الغمـرو وجعفر بن واقد وهاشم بن أبي هاشم استأكلوا بنا الناس فصـاروا دعـاة يـدعون النـاس إلى ما دعا إليه أبو الخطـاب لعنه الله ولعنهم معه ولعن من قبل ذلك منهم ، يا على لا تتحرجن من لعنهم لعنهم الله فإن الله قد لعنهم ، ثم قال : قـال رسـول الله (ص) :" من تـأثم أن يلعن من لعنه الله فعليه لعنة الله".[1055]

وكتب الإمـام علي الهـادي إلى بعض شـيعته قـائلا:" لعن الله القاسم اليقطيـني ولعن الله علي بن حسـكة القمي إن شـيطانا تراءى للقاسم فيـوحي إليه زخـرف القـول غـرورا ".[1056] وعنـدما سأله بعض شيعته عن ابن حسكة الذي كان يدعي أنه من أوليائه وأن الإمام هو "الأول القديم" وأنه بابه ونبيـه وقد أمـره أن يـدعو إلى ذلك، وطلبوا من الإمام أن يكتب لهم جوابا يوضح لهم حقيقة الموقف وينجيهم من الهلكـة، كتب الهـادي لهم :" كـذب ابن حسكة عليه لعنة الله وبحسـبك أني لا أعرفه في مـوالي. ماله؟! لعنه الله ، فوالله ما بعث الله محمـدا والأنبيـاء من قبله إلا بالحنيفية والصـلاة والزكـاة والحج والصـيام والولاية ، وما دعا

إنا لله وإنا إليه راجعون، مضى أبو جعفر ، فقيل لـه: وكيف عـرفت؟ قـال: لأنه تداخلني ذلة لله لم أكن أعرفها. الكليني، الكافي، كتاب الحجـة، بـاب في أن الإمام متى يعلم أن الأمر قد صار إليه، ح رقم 5

[1055] - الخوئي، معجم رجال الحـديث، رقم 2333 عن الكشي في ترجمة جعفر بن واقد

[1056] - رجال الكشى : 321 و 322

محمد (ص). إلا إلى الله وحـــده لا شـــريك له . وكـــذلك نحن الأوصياء من ولـده عبيد الله لا نشـرك به شـيئا إن أطعنـاه رحمنا وأن عصـيناه عـذبنا ، مالنا على الله من حجة بل الحجة لله علينا وعلى جميع خلقه ، أبرأ إلى الله ممن يقول ذلك وأنتفي إلى الله من هــذا القــول ، فـاهجروهم لعنهم الله والجـأوهم إلى أضـيق الطريق ، وإن وجـــدت من أحد منهم خلـــوة فاشـــدخ رأسه بالصخرة".

وقـــال الكشـــي: كتب بعض أصـــحابنا إلى أبي الحسن العسكري:" جعلت فداك يا سيدي إن علي بن حسـكة يـدعي أنه من أوليائك وأنك أنت الأول القـــديم، وأنه بابك ونبيك أمرته أن يدعو إلى ذلك، ويزعم أن الصلاة والزكاة والحج والصوم كل ذلك معرفتك ومعرفة من كـان في مثل حـال ابن حسـكة فيما يـدعي من البابية والنبوة فهو مؤمن كامل سقط عنه الاسـتعباد بالصـوم والصـلاة والحج ، وذكر جميع شـرائع الـدين أن معـنى ذلك كله ما ثبت لـك، ومـال إليه نـاس كثـير فـإن رأيت أن تمنَّ على مواليك بجواب في ذلك تنجيهم من الهلكة". فكتب العسكري :" أبرأ إلى الله من الفهـــري والحسن بن محمد بن بابا القمي فـــابرأ منهما فـــإني محـــذرك وجميع مـــوالي وإني ألعنهمـــا، عليهما لعنة الله ، مستأكلين يأكلان بنا الناس فتانين مـؤذيين آذاهما الله وأركسـهما في الفتنة ركسا. يزعم ابن بابا أني بعثته نبيا وأنه باب ، ويله لعنه الله ، سخر منه الشيطان فـأغواه ، فلعن الله من قبل منه ذلك ، يا محمد إن قـــدرت أن تشـــدخ رأسه بحجر فافعل فأنه قد آذاني آذاه الله في الدنيا والآخرة". [1057]

ونظراً إلى أن الغلاة كـانوا ينسـبون أقـوالهم الكفرية إلى أئمة أهل البيت، فقد كانوا يوقعـون الشـيعة في التبـاس وحـيرة، مما كان يدفعهم للسؤال والاستفسار من الأئمة عن أولئك الغلاة المندسين في صفوفهم. وقد كان أمرهم يلتبس حـتى على مركز علمي مثل "قم" حيث كتب منها أحمد بن محمد بن عيسى إلى الإمـام العسـكري (في سـامراء):" في قـوم يتكلمـون ويقرأون أحـاديث وينسـبونها إليك وإلى آبائك فيها ما تشـمئز منها القلـوب ولا يجوز لنا ردها إذ كـانوا يروونها عن آبائـك، ولا قبولها لما فيها.. وينسـبون (خلـق) الأرض (أو الأمـر) إلى قـوم يـذكرون أنهم من مواليـك، وهو رجل يقـال لـه: علي ابن حسـكة، وآخر يقـال له : القاسم اليقطيني. ومن أقاويلهم أنهم يقولـون : إن قـول الله عز

1057 - رجال الكشي : 321 و 322

وجل : " إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكــر" معناها رجل ، لا ركوع ولا سجود، وكـذلك الزكـاة معناها ذلك الرجل لا عـدد درهم ولا إخراج مال، وأشياء من الفـرائض والسـنن والمعاصي تأولوها وصـيروها على الحد الـذي ذكـرت، فـإن رأيت أن تـبين لنا وتمنَّ علينا بما فيه السـلامة لمواليك ونجـاتهم من هـذه الأقاويل الـتي تخـــرجهم إلى الهلاك" .فكتب إليه العســكري:" ليس هـــذا ديننا فاعتزله".[1058]

وفي رسالة أخرى مشابهة كتب إبـراهيم بن شـيبة إلى الإمـام العسكري أيضا يقول فيها: "جعلت فداك إن عندنا قوما يختلفــون في معرفة فضلكم بأقاويل مختلفة تشـمئز منها القلـوب وتضـيق لها الصدور ويروون في ذلك الأحاديث لا يجـوز لنا الإقـرار بها لما فيها من القـول العظيم ولا يجـوز ردها ولا الجحـود لها إذ نسـبت إلى آبائك ، فنحن وقـوف عليها من ذلك – ثم يسـتعرض أقـوالهم الســـابقة، ويقــــول - فــــإن رأيت أن تمن على مواليك بما فيه ســـلامتهم ونجـــاتهم من الأقاويل الـــتي تصـــيرهم إلى العطب والهلاك، والذين ادعوا هذه الأشياء ادعـوا أنهم أوليـاء ودعـوا إلى طاعتهم منهم علي بن حسكة والقاسم اليقطيني ، فما تقول في القبـول منهم جميعـا؟" فكتب إليه العسـكري:" **ليس هذا ديننا فاعتزله**".[1059]

1058 - رجال الكشى : 321 وفي رسالة أخرى مشـابهة كتب إبـراهيم بن شيبة إلى الإمام العسكري أيضا يقول فيهـا: "جعلت فـداك إن عنـدنا قوما يختلفون في معرفة فضلكم بأقاويل مختلفة تشـمئز منها القلـوب وتضـيق لها الصدور ويروون في ذلك الأحـاديث لا يجـوز لنا الإقـرار بها لما فيها من القـول العظيم ولا يجـوز ردها ولا الجحـود لها إذ نسـبت إلى آبائك ، فنحن وقوف عليها من ذلك – ثم يستعرض أقوالهم السابقة، ويقول - فـإن رأيت أن تمن على مواليك بما فيه سلامتهم ونجاتهم من الأقاويل الـتي تصـيرهم إلى العطب والهلاك ، والذين ادعوا هذه الأشـياء ادعـوا أنهم أوليـاء ودعـوا إلى طــاعتهم منهم علي بن حســكة والقاسم اليقطيــني ، فما تقــول في القبــول منهم جميعـا؟" فكتب إليه العسـكري:" ليس هـذا ديننا فاعتزله". المصدر

1059 - رجال الكشى : 321

ومع ذلك فقد ظل الأمر ملتبسا على بعض الشيعة فكتب سـهل بن محمـد، إلى الإمـام الهـادي يستوضح منه الأمـر:"قد اشـتبه يا سيدي على جماعة من مواليك أمر الحسن بن محمد بن بابا، فما الذي تأمرنا يا سـيدي في أمـره نتـولاه؟ أم نتـبرأ منه؟ أم نمسك عنه فقد كـثر القـول فيه ؟ فكتب بخطه : "ملعـون هو وفـارس تبرءوا منهما لعنهما الله وضـاعف ذلك على فـارس". وكتب أيضا إلى علي بن عمر القزويني بخطه: "اعتقد فيما تـدين الله بـه، إن البـاطن عنـدي حسب ما أظهـرت لك فيمن اسـتنبأت عنـه، وهو فارس لعنه اللـه، فإنه ليس يسـعك إلا الاجتهـاد في لعنه وقصـده ومعاداته والمبالغة في ذلك بـأكثر ما تجد السـبيل إليـه، ما كنت آمر أن يـدان الله بـأمر غـير صـحيح، فجد وشد في لعنه وهتكه وقطع أسبابه وسد أصحابنا عنه وإبطال أمـره، وأبلغهم ذلك مـني وأحكمه لهم عـني، وإني سـائلكم بين يـدي الله عن هـذا الأمر المؤكـد، فويل للعاصي وللجاحد وكتبت بخطي ليلة الثلاثـاء لتسع ليـال من شـهر ربيع الأول سـنة (250) وأنا أتوكل على الله وأحمده كثيرا ".[1060]

وروى الكشي روايات في لعن فارس بن حاتم القزويني ، وأن أبا الحسن العسكري أمر جنيدا بقتله فقتله وحرض على قتل جماعة أخرى من الغلاة كأبي السمهري ابن أبي الزرقاء. [1061]

[1060] - الخوئي، معجم رجال الحديث، رقم 9311 الكشي، ترجمة: فارس بن حاتم ، و عن الطوسي، "الغيبة": باب السفراء ومنهم (من المذمومين من الوكلاء) فارس بن حاتم بن ماهويه القزويني

[1061] - رجال الكشى : 321 و 322- 5 - قال سـعد: وحـدثني جماعة من أصحابنا من العراقيين وغيرهم، هـذا الحـديث عن جنيـد، قـال: سـمعته أنا بعد ذلك من جنيد: أرسل إلي أبو الحسن العسـكري عليه السـلام يـأمرني بقتل فارس بن حاتم لعنه الله، فقلت: لا ، حتى أسمعه منه يقـول لي ذلك يشافهني به، قـال: فبعث إلي فـدعاني، فصـرت إليـه، فقـال: آمـرك بقتل فارس بن حاتم، فناولني دراهم من عنده وقال: اشتر بهذه سلاحا فاعرضه علي، فاشـتريت سـيفا فعرضـته عليـه، فقـال: رد هـذا وخذ غـيره، قـال: فرددت وأخذت مكانه ساطورا فعرضته عليه، فقـال: هـذا نعم، فجئت إلى فارس، وقد خرج من المسـجد بين الصـلاتين المغـرب والعشـاء، فضـربته على رأسه فصـرعته، فثـنيت عليه فسـقط ميتا ووقعت الضـجة، فـرميت الساطور من يـدي، واجتمع النـاس وأخـذوا يـدورون إذ لم يوجد هنـاك أحد غيري، فلم يروا معي سلاحا ولا سكينا، وطلبوا الزقـاق والـدور فلم يجـدوا شيئا، ولم يروا أثر الساطور بعد ذلك. الخوئي، معجم رجال الحـديث، رقم 9311 الكشـي، ترجمـة: فـارس بن حـاتم ، وذكر هـذه الرواية ابن شـهر آشـوب في المنـاقب: الجـزء 4، بـاب إمامة أبي الحسن علي بن محمد النقي، في (فصل في آياته عليه السلام)، لكنه ذكر بدل جنيد أبو جنيد.

و إلى جـانب علي ابن حسـكة ، والقاسم اليقطيـني والحسن بن محمد بن بابا القمي وفـارس بن حـاتم القزويـني والشريعي، كـان هنـاك محمد بن نصـير الفهـري النمـيري، الـذي ادعى أيضا أن علي بن محمد العسكري رب، وأنه نبي رسول من قبله ، وكان يقول بالتناسخ ، وإباحة المحارم ويحلل نكاح الرجـال بعضهم بعضا في أدبارهم ، ويقول : إنه من الفاعل والمفعـول به أحد الشهوات والطيبات ، إن الله لم يحرم شيئا من ذلك .[1062]

وقد كان بعض هؤلاء الغلاة ينسبون ما يشاءون من الأقوال الكاذبة للأئمـة، عن طريق ادعـاء رؤيتهم في المنـام وتحـدثهم معهم، مثل الفضل بن الحـارث، الـذي يعـده الطوسي والكشي "من أصحاب العسكري" والذي يقول: " كنت بسر من رأى وقت خروج سيدي أبي الحسن عليه السلام، فرأينا أبا محمد ماشـيا قد شق ثوبـه، فجعلت أتعجب من جلالته وما هو له أهل ومن شـدة اللون والأدمة وأشفق عليه من التعب، فلما كان الليل رأيته عليه السلام في منامي، فقال: اللون الذي تعجبت منه اختبـار من الله لخلقه يختبر به كيف يشـاء، إنها هي لعـبرة لأولي الأبصـار، لا يقع فيه على المختبر ذم، ولسـنا كالنـاس فنتعب كما يتعبـون، نسـأل الله الثبات والتفكر في خلق الله، فـإن فيه متبعا (متسـعا) واعلم أن كلامنا في النـوم مثل كلامنا في اليقظة".[1063] وهـذا ما كـان يفتح البـاب للفضل ولغـيره لتـأليف ما يشـاءون من الروايـات ونسبتها للأئمة من أهل البيت.

ومن ذلك ما رواه الكشي عن علي بن محمد بن قتيبـة: أن عبد الله بن حمدويه الـبيهقي كتب إلى أحد الأئمـة: " إن أهل نيسـابور قد اختلفـوا في دينهم وخـالف بعضـهم بعضـا، وبها قـوم يقولـون أن النـبي (ص) عـرف جميع لغـات أهل الأرض ولغـات

[1062] - وقال النوبختي:"قد شذت فرقة من القـائلين بإمامة علي بن محمد في حياته فقـالت بنبـوة رجل يقـال له "محمد بن نصـير النمـيري" وكـان يدعي أنه نبي بعثه أبو الحسن العسكري، وكـان يقـول بالتناسخ والغلو في أبي الحسن ويقـول فيه بالربوبيـة، ويقـول بالاباحة للمحـارم ويحلل نكـاح الرجال بعضهم لبعض". النوبختي، فرق الشيعة، ص 93

وكـان زميل للنصـيري هو الشـريعي قد ادعى البابية أيضا لابن الإمـام العسكري الغائب، والوكالة عنه، وكما يقول الشـيخ الطوسي في "الغيبـة" "فقد كـذب على الله وعلى حججه عليهم السـلام، ونسب إليهم مـالا يليق بهم وما هم منه براء، فلعنته الشيعة وتبرأت منه وخـرج توقيع الإمـام عليه السلام بلعنه والبراءة منه. ثم ظهر منه القول بالكفر والإلحاد ". الخـوئي، معجم رجال الحديث، رقم 3227 - الحسن الشريعي (السريعي)

[1063] - الخوئي، معجم رجال الحديث، رقم 9360 - الفضل بن الحارث

الطيور وجميع ما خلق الله، وكـذلك لابد أن يكـون في كل زمـان من يعرف ذلك، ويعلم ما يضمر الإنسان، ويعلم ما يعمل أهل كل بلاد في بلادهم ومنـــازلهم، وإذا لقى طفلين فيعلم أيهما مـــؤمن وأيهما يكون منافقا، وأنه يعرف أسماء جميع من يتولاه في الـدنيا وأسماء آبائهم، وإذا رأى أحدهم عرفه باسمه من قبل أن يكلمــه، ويزعمون - جعلت فداك - أن الـوحي لا ينقطـع، والنـبي (ص) لم يكن عنـده كمـال العلم، ولا كـان عند أحد من بعـده، وإذا حـدث الشيء في أي زمان كان ولم يكن علم ذلك عند صاحب الزمـان، أوحى الله إليه وإليهم" وقـــال: "كـــذبوا لعنهم الله وافـــتروا إثما عظيما. وبها شيخ يقـال له الفضل بن شـاذان يخـالفهم في هـذه الأشـياء وينكر عليهم أكثرهـا، وقوله شـهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وأن الله عز وجل في السـماء السـابعة فـوق العـــرش كما وصف نفسه عز وجـــل، وأنه ليس بجسم فوصـــفه بخلاف المخلـــــوقين في جميع المعـــــاني، ليس كمثله شئ وهو الســميع البصــير، وإن من قوله أن النــبي (ص) قد أتى بكمـــال الـدين، وقد بلغ عن الله عز وجل ما أمـره بـه، وجاهد في سـبيله وعبـده حـتى أتـاه اليقين، وأنه (ص) أقـام رجلا مقامه من بعـده، فعلمه من العلم الذي أوحى الله، يعرف ذلك الرجل الـذي عنـده من العلم الحلال والحرام وتأويل الكتاب وفصل الخطاب، وكذلك في كل زمان لابد من أن يكون واحد يعرف هذا، وهو مـيراث من رسـول الله (ص) يتوارثونـه، وليس يعلم أحد منهم شـيئا من أمر الدين إلا بالعلم الذي ورثوه عن النبي (ص) وهو ينكر الـوحي بعد رسول الله (ص)، فقال (الإمام):" قد صدق في بعض وكـذب في بعض". وفي آخر الورقـــة: قد فهمنا رحمك الله كل ما ذكـــرت، ويـــأبى الله (عز وجل) أن يرشد أحـــدكم وأن يرضى عنكم وأنتم مخالفون معطلون، الذين لا يعرفـون إماما ولا يتولـون وليـا، كلما تلاقـاكم الله (عز وجل) برحمته وأذن لنا في دعـائكم إلى الحـق، وكتبنا إليكم بذلك، وأرسلنا إليكم رسولا لم تصـدقوه، فـاتقوا الله عبـاد اللـه، ولا تلجـوا في الضـلالة من بعد المعرفـة، واعلمـوا أن الحجة قد لـزمت أعنـاقكم، فـاقبلوا نعمته عليكم تـدم لكم بـذلك السـعادة في الـدارين عن الله (عز وجل) إن شــاء اللــه. وهــذا الفضل بن شـــاذان مالنا ولـــه، يفسد علينا موالينـــا، ويـــزين لهم الأباطيل، وكلما كتب إليهم كتابا أعرض علينا في ذلك، وأنا أتقدم إليه أن يكف عنا، وإلا والله سألت الله أن يرميه بمرض لا ينـدمل جرحه منه في الـــدنيا ولا في الآخـــرة، أبلغ موالينا هـــداهم الله سلامي، واقرأهم بهذه الرقعة إن شاء الله". [1064]

[1064] - الكشي، ترجمة الفضل بن شاذان

ولكن هـذه الرسـالة مشـكوك بصـحتها للشك بوثاقة ابن قتيبة، وبالتالي فمن الصعب التأكد من خلالها من رأي الإمـام هل هو إلى جانب الغلاة؟ أم إلى جانب الفضل بن شاذان الـذي كـان يحاول مكافحة الغلاة؟ أم ضدهما معا؟ ولكن الرسالة تكشف عن حركة الوضع والتأليف التي كان يقوم بها الوضـاعون على لسـان "الأئمة" في تلك الأيام.[1065]

المبحث السادس: أزمة البداء .. مرة أخرى

إن نظرية الإمامة عند أهل البيت وعامة الشيعة العلوية كانت تختلف في مفهومها عند "الامامية" الذين كانوا فريقا صغيرا جـدا وسريا في صفوف الحركة الشـيعية في القـرن الثـالث الهجـري، فهي كـانت إمامة عادية سياسـية بشـرية عند أولئك "الشـيعة العلوية"، وإمامة ربانية عند هؤلاء "الإماميـة". ومن هنا كـان أئمة أهل البيت يشيرون إلى أحد أبنـائهم، أو يتوقعـون أن يخلفهم في مقامهم التوجيهي، ثم قد يموت في حيـاتهم، فيشـيرون إلى رجل آخر، ولا يجدون في ذلك أي حرج أو تناقض، ولكن وفاة أحد أبناء الأئمة المرشـحين للخلافة كـان يسـبب أزمة كـبرى في صـفوف "الامامية" الذين كانوا يعتقـدون أن نصب الإمـام من الله تعـالى، ولذلك فقد كانوا يستغربون أن يموت الإمـام المقـترح و"المعين" في نظـرهم في حيـاة أبيـه، ويعتـبرون ذلك تغـيراً في الإرادة الإلهيـة، وهو ما كـانوا يعـبرون عنه بـ"البـداء". مع أن الاعـتراف بالبداء وتغيير الله لإرادته في هكذا موضوع كالإمامـة، كـان صـعبا عليهم أيضا، وذلك لما يسببه التغيير من حرج وتشكيك للناس في صـدقية "الأئمـة" والـتراجع عن اعتبـار النص على الأئمة من الله تعالى.

1065 - ويذكر الكشي رواية أخرى عن أحمد بن محمد بن يعقوب أبو علي البيهقي، تكشف خلفية لعن الإمام للفضل بن شـاذان، وأنه لم يكن بسـبب قوله بالجسم، وإنما بسبب بعض الوشايات الكاذبة، والخلافـات المالية بين الفضل وبين الـوكلاء الـذين أنفذهم الإمـام إلى نيسـابور لقبض حقوقه، وخصوصا الوكيل أيوب بن الناب، الذي نزل بنيسابور عند قوم من الشـيعة ممن يـذهب مـذهب الارتفـاع والغلو والتفـويض، فكتب هـذا الوكيل يشـكو الفضل بن شاذان بأنه يزعم أني لست من الأصل، ويمنع الناس من إخراج حقوقـه، وكتب هـؤلاء النفر أيضا إلى الأصل الشـكاية للفضـل، ولم يكن ذكـروا الجسم ولا غـيره، وذلك التوقيع خـرج من يد المعـروف بالـدهقان ببغداد في كتاب عبد الله بن حمدويه البيهقي.

وكما رأينا سابقا فقد سببت وفاة إسـماعيل بن جعفر الصـادق هـزة في الفكر الإمـامي أدت إلى تراجع الكثـير من الامامية عن الاعتقـاد بـأن الإمامة تعـيين من اللـه، وحـاول بعض "الاماميـة" تفسير وفاة إسماعيل بالبداء ، ورفض بعضهم قصة الترشـيح من أساسها، بينما أنكر بعض آخر الوفاة وأصر على اختفاء إسـماعيل عن الأنظـار. وقد حـدثت نفس القصة مـرة أخـرى بعد مائة عـام تقريبـا، حيث أعلن الإمـام علي الهـادي عن ترشـيح ابنه السـيد محمد (المـدفون في مدينة بلد قـرب سـامراء) كخلف لـه، ولكنه توفي في حياته، فأوصى إلى أخيه الحسن العسكري وقال لــه:" يا بني أحدث لله شكرا فقد أحدث فيك أمرا".[1066]

وقد روى مشـايخ الطائفة الإمامية الاثـني عشـرية (الكليـني والمفيد والطوسي) عن أبي هاشم داود بن القاسم الجعفـــري قال : كنت عند أبي الحسن العسكري وقت وفاة ابنه أبي جعفـر، وقد كان أشار إليه ودلَّ عليه، وإني لأفكر في نفسي وأقول هـذه قصة أبي ابـراهيم وقصة إسـماعيل، فأقبل إليَّ أبو الحسن وقـال :" نعم يا أبا هاشم بـدا لله في أبي جعفر وصـير مكانه أبا محمد كما بدا له في إسـماعيل بعـدما دل عليه أبو عبدالله ونصـبه، وهو كما حدثتك نفسك وأنكره المبطلون .. أبو محمد ابني الخلف من بعدي عنده ما تحتاجون إليه، ومعه آلة الإمامة والحمد لله".[1067]

وقال شاهويه بن عبد الله الجلاب إن الهادي كتب إليه: " أردتَ أن تسـأل عن الخلف بعد أبي جعفر وقلقت لـذلك فلا تغتم فـإن الله عز وجل " لا يضل قوما بعد إذ هـداهم حـتى يـبين لهم ما يتقون " وصاحبك بعدي أبو محمد ابني وعنـده ما تحتـاجون إليـه، يقدم ما يشاء الله ويؤخر ما يشاء الله "ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها " قد كتبت بما فيه بيـان وقنـاع لـذي عقل يقظان".[1068]

ومثلما حدث مع الإسماعيلية الذين أنكروا وفاة إسماعيل، فقد رفض قسم من شيعة الإمام الهادي الاعتراف بوفـاة ابنه محمـد،

[1066] - الكليني، الكافي، ج 1 ص 326- 327 والصفار ، بصائر الدرجات، ص 473 والمفيد، الإرشاد ص 337 والطوسي، الغيبة، ص 122

[1067] - الكليني،الكافي، كتاب الحجة، باب الإشارة والنص على أبي محمد، ح رقم 8 و 9 و10 ص 328 والطوسي، الغيبة، ص 55 والمفيد، الإرشـاد، ص 317

[1068] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الإشارة والنص على أبي محمد، ح رقم 12

وأصروا على القول باستمرار حياته وغيبته، وفسروا إعلان الهادي لوفاة ابنه بأنه نوع من التقية والتغطية على الحقيقة. وقال هؤلاء "بإمامة محمد بعد أبيه، واعتلوا في ذلك : بأن أباه أشار إليه بالإمامة وأعلمهم أنه الخليفة من بعده، والإمام لا يجوز عليه الكذب، ولا يجوز البداء فيه، فهو وإن كانت ظهرت وفاته ..لم يمت في الحقيقة، ولكن أباه خاف عليه فغيبه وهو القائم المهدي، وقالوا فيه بمثل مقالة أصحاب إسماعيل بن جعفر".[1069]

وتقول بعض الروايات إن الهادي رفض إعلان اسم خليفته بوضوح، تماما كما فعل الصادق بعد وفاة ابنه إسماعيل، وقال لعلي بن مهزيار: "عهدي إلى الأكبر من ولدي".[1070] وإنه نهى عن تخصيص أحد ولده وقال لعلي بن عمرو العطار:" لا تخصوا أحدا حتى يخرج إليكم أمري". فكتب إليه بعد: فيمن يكون هذا الأمر؟ قال: فأجابه:"في الكبير من ولدي".[1071] وقال لعبد الله بن محمد الأصفهاني: "صاحبكم بعدي الذي يصلي عليَّ".[1072]

وبعد وفاة الإمام الهادي حدث صراع وتنافس بين جعفر بن علي وأخيه الحسن، مما أثر كثيرا على موقف الشيعة من العسكري، حتى قال:" ما مُني أحد من آبائي بمثل ما منيت به من شك هذه العصابة فيَّ".[1073]

وهنا قام أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري (وهو من أبرز مؤيدي العسكري من الإماميين) بتحوير أسطورة "أم أسلم" أو"حبابة الوالبية" السابقة، إلى حصاة "أم غانم" وإضافة فصل جديد إليها، ليثبت إمامة العسكري عن طريق "الإعجاز"، فقال:" كنت عند أبي محمد (العسكري) فاستؤذن لرجل من أهل اليمن عليه، فدخل رجل عبل طويل جسيم، فسلم عليه بالولاية فرد عليه بالقبول وأمره بالجلوس، فجلس ملاصقا لي، فقلت في نفسي: ليت شعري من هذا؟ فقال أبو محمد: هذا من ولد الأعرابية صاحبة الحصاة التي طبع آبائي فيها بخواتيمهم

1069 - النوبختي، فرق الشيعة، ص 94

1070 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الإشارة والنص على أبي محمد، ح رقم 6

1071 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الإشارة والنص على أبي محمد، ح رقم 7

1072 - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الإشارة والنص على أبي محمد، ح رقم 3

1073 - الصدوق ،إكمال الدين، ص 222

فـانطبعت، وقد جـاء بها معه يريد أن أطبع فيهـا، ثم قـال: هاتهـا، فأخرج حصاة وفي جـانب منها موضع أملس، فأخـذها أبو محمـد، ثم أخـــرج خاتمه فطبع فيها فـــانطبع فكـــأني أرى نقش خاتمه الساعة "الحسن بن علي". فقلت لليمـاني: رأيته قبل هـذا قـط؟ قال: لا والله وإني لمنذ دهر حريص على رؤيته حتى كأن السـاعة أتاني شـاب لست أراه فقـال لي: قم فادخـل، فـدخلت. ثم نهض اليمــاني وهو يقــول: رحمة الله وبركاته عليكم أهل الــبيت، ذرية بعضها من بعض أشـهد بالله أن حقك لـواجب كوجـوب حق أمـير المؤمــنين والأئمة من بعــده (صــلوات الله عليهم أجمعين). ثم مضى فلم أره بعد ذلـك. قـال أبو هاشم الجعفـري: وسـألته عن اسـمه فقـال: اسـمي مهجع بن الصـلت بن عقبة بن سـمعان بن غـانم بن أم غـانم وهي الأعرابية اليمانيـة، صـاحبة الحصـاة الـتي طبع فيها أمير المؤمنين والسبط إلى وقت أبي الحسن.[1074]

وأدرك أبو هاشم الجعفري (الراوي للقصـة) العنصر الخيـالي فيها، فسارع إلى إخفـاء أي أثر لليمـني (ابن أم غـانم) وادعى أنه مضى ولم يره بعد ذلك، خوفا من أن يسأله أحد عن حقيقة هــذه الأســطورة، أو يبــادر فيلحق بــاليمني ليتأكد من صــحة القصــة، والملفت أن أبا هاشم لم يتحدث عن مجيء "أم غانم" التي يبــدو أنها مــاتت منذ خمسة أجيــال وجــاء حفيد حفيــدها ليقــوم بمهمة التأكد من إمامة العسكري، وذلك بطبع الحصاة بخاتمه .

وقد لعب أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري دورا كبيرا في تثبيت إمامة العسكري، فنقل عن الامام الهادي أنه كان قد أشــار في البداية إلى ابنه الســيد محمد ودل عليه، وعنــدما مــات في حياته قال: "بدا لله في أبي جعفر وصـير مكانه أبا محمد كما بـدا لله في إسماعيل بعد ما دل عليه أبو عبد الله ونصبه". [1075]

ورغم أن هذه الرواية تؤكد عدم معرفة الهادي بالإمام بعـده، ولا بمصــير ابنه محمد ولا وفاته في حياتــه، فقد روى أبو هاشم الجعفــري أيضا عن أبي جعفر الثــاني (محمد الجــواد) رواية عن الامــام الحسن المجتــبى يــذكر فيها أســماء الأئمة الى الحسن العسكري، من دون أن يشير الى مسألة البداء والتعيين المسـبق للسيد محمد ثم تنصيب الامام العسكري مكانه. [1076]

[1074] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، بـاب ما يضل به بين دعـوى المحق والمبطل في أمر الإمامة، ح رقم 4

[1075] - الطوسي، الغيبة ، ص 55 و120 .

[1076] - المصدر، ص 99

وبما أن النص على الحسن العسكري كان غامضا ومحل شبهة ونزاع بين الشيعة الامامية وبين أولاد الامـام الهـادي، فقد لجأ أبو هاشم الجعفـري الى اختلاق مجموعة من الروايـات الأسـطورية القائمة على دعوى علم الامـام العسـكري بـالغيب، والـتي يرويها الجعفــري بنفسه ويقــول انها حصــلت له ، ولا يمكن التأكد منها بصورة مستقلة ومحايدة، غير دعواه بعلم الامام للغيب.

يقول الجعفري انه سمع الامـام أبا محمد (العسـكري) يقـول ذات مرة: إن "من الذنوب الـتي لا تغتفر قـول الرجل ليتـني لا أو اخذ الا بهذا" فقلت في نفسي: إن هـذا لهو الـدقيق ينبغي للرجل ان يتفقد من أمره ومن نفسه كل شيء ، فأقبل أبو محمد فقال: يا أبا هاشم صدقت فالزم ما حدثت به نفسك، فان الإشــراك في الناس أخفى من دبيب الذر على الصفا.[1077]

ويروي أبو هاشم الجعفري رواية أخرى مشابهة تقـوم على أسـاس علم الأئمة بـالغيب، يقـول: "كنت محبوسا مع أبي محمد في حبس المهتــدي بن الواثق فقــال لي : يا أبا هاشم ان هــذا الطـاغي أراد ان يعبث بالله في هـذه الليلة ، وقد بـتر الله تعـالى عمره وقد جعله للقائم من بعده ... قال أبو هاشم : فلما أصـبحنا شغب الأتراك على المهتدي فقتلوه وولي المعتمد مكانه وسلمنا" [1078].

وهنا يتحدث عن علم الامـام العسـكري بمقتل المهتـدي قبل حدوث الشغب عليه. وهـذا من علم الغيب الـذي لا يعلمه الا الله تعالى.

ويقدم أبو هاشم الجعفـري مجموعة حكايـات شخصـية بسـيطة يضـفي عليها طــابع علم الغيب وينســبها الى الإمــام العســكري كدليل على إمامته، فيقـول انه كـان يحتـاج الى المـال ولم يطلبه من العســكري اسـتحياء فأرسل اليه الامــام مـالا دون ان يطلب منــه، وانه رأى الامــام العســكري يحك الأرض ويخــرج الــدنانير الذهبية منها ويعطيها له ومعرفة الامام بحاجته الى المال بصـورة غيبيـة.[1079] ويقـول إن الامـام علم بنية أبي هاشم في طلب فص

[1077] - الطوسي، الغيبة ، ص 123)

[1078] - الطوسي، الغيبة ، ص 123 و134 راجع أيضا بحار الأنوار ج 50 ص 250 و276 و258 عن مختار الخرايج ص 239 ومناقب آل ابي طالب ج4 ص 436 و432 و كشف الغمة ج3 ص 279 و299 وأعلام الورى ص 354 و355

[1079] - الكليـني،الكـافي ج1 ص 507 والبحـار ج 50 ص 259 والإرشـاد للمفيد ص 322

فأعطـاه خاتمـا.[1080] وإن الامـام العسـكري أخـبره عن مشـادة حصلت له في الطريق.[1081]

ويتحدث عن علم الامام العسـكري بـأدق التفاصـيل السـرية لحياته كمعرفته بإفطـار أبي هاشم ونـوع الخـبز الـذي أكلـه، كما يتحــــدث عن معرفة الامــــام بحقيقة رجل كـــان يتجسس عليه وكشــفه هويته لأبي هاشــم.[1082] وعن علمه غيبيا بحقيقة ســائل غني كان يتظاهر بالفقر، وعلمه بمـوت فـرس بعد أيـام وإشـارته على صاحبها ببيعها سـريعا قبل أن تمـوت ، واكتشـاف نوايا بعض الخـدم وعـزمهم على شـرب الخمر واللــواط، ومعرفته بعطش انسان وطلب الماء له دون ان يطلبه هو.[1083]

ولم يكتفِ أبو هاشم الجعفري بتلك القصص بل ادعى انه شاهد يوما الامـام العسـكري وهو يكتب كتابا ، ثم تـرك القلم وقام الى الصلاة ، فاذا بقلم الامام ينهض بنفسه ليكمل الكتـاب أثنـاء قيـام الامام للصلاة.!![1084]

وقدم الجعفـري هـذه الروايـات في سـياق الحـديث عن علم العسكري بالغيب كدليل على امامته في غياب النص عليه.

ومن الواضح أن اللجوء إلى هـذه القصص الأسـطورية لإثبـات الإمامــة، لم يكن أسـلوبا علميا شـرعيا أو عقليا أو طبيعيــا، وإنما كان "الإماميون" الغلاة يتشبثون به كما يتشبث الغريق بكل قشة من أجل إضفاء طابع "ديني" على الإمامة السياسية.

المبحث السابع: نهاية "التشيع الديني"

ولم يكد الحسن العسـكري يسـتلم زعامة الشـيعة (أو فريق منهم)، حــتى تـوفي وهو شــاب وقبل أن يخلف أو يوصي إلى أي أحد بالإمامــــة، تماما كما تــــوفي عبدالله الأفطح دون عقب، مما أوقع "الإمامية" في أزمة مشابهة لما حـدث لهم قبل مائة عـام،

[1080] - الكليني،الكافي للكليني جذ ص 507 و بحار الأنوار للمجلسي ج 50 ص 267 ومنـاقب آل أبي طـالب لابن شهرآشـوب ج4 ص 432 ومختـار الخرايج ص 214

[1081] - المجلسي: بحار الأنوار ج50 ص 283 عن مناقب آل أبي طالب ج4 ص 427 و428

[1082] - مناقب آل بي طالب ج4 ص 437 ومختار الخرايج ص 239 وأعلام الورى ص 354 و355

[1083] - الكليني،الكافي ج1 ص 507

[1084] - المجلسي: البحار ج 50 ص 304 عن عيون المعجزات

بل أوقعهم في أزمة كبرى أطلقـوا عليها اسم "الحـيرة العظمى" وقد أدت إلى تفـــرق ما تبقى منهم إلى أربع عشرة فرقـــة، كل يقول بـرأي مختلـف، فـذهب بعضـهم للقـول بإمامة أخيه جعفـر، وذهب بعضهم للالتحاق بالمحمدية الذين قـالوا باختفـاء محمد بن علي وأنكروا وفاته، وقال بعضهم بانقطاع الإمامة، وأنكر بعضـهم وفاة الحسن، وقال بعضهم بعودته إلى الحياة مـرة أخـرى، وقـال بعض آخر بوجود ولد له في السر، ولد في حياته أو بعد وفاته. هو "الإمام الثاني عشر محمد المهدي".[1085] ثم قـالوا بغيبته منذ ذلك الحين الى اليـــوم، وإلى أن يظهر في المســتقبل ليؤسس دولته المنشودة.[1086]

وبغض النظر عن المناقشة في حقيقة ولادة ووجـــود ذلك "الإمام الغائب" فـإن نظرية "الإمامة الإلهيـة" وصـلت بـذلك إلى طريق مسدود، وانتهت عمليا بعدم وجود إمـام ظـاهر من سـلالة الحسين منذ ذلك التاريخ.

الفصل الثاني عاشر:

صعود التشيع السياسي، خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين

[1085] - وقد بحثت في الجــزء الثــاني من كتــابي "تطــور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه – الإمــام المهــدي محمد بن الحسن العسكري.. حقيقة تاريخية؟ أم فرضية فلسفية؟" حقيقة دعـوى وجـود ولد مســتور للإمــام العســكري، وأثبت كونها فرضــية فلســفية وهمية مخالفة للشرع الإسلامي.

[1086] - وقد عرفت هذه الفرقة التي قـالت بـولادة "الإمـام الثـاني عشـر" واستمرار حياته إلى اليوم، بـ "الفرقة الاثني عشرية". وسوف نتحدث عنها في فصل قادم بإذن الله تعالى.

في الـوقت الـذي كـان فيه التشـيع "الـديني" يواجه التحـديات والعقبات ويذوي وينحسر ثم يصل إلى طريق مسدود في أواسط القرن الثالث الهجري، كان التشيع السياسي يواصل صـعوده في القـرنين الثـاني والثـالث الهجـريين، ويحقق مزيـدا من التقـدم والانتصارات. ويمكننا القول أن التشيع "الـديني" لم يكن يشـكل التيـار الرئيسي في الحركة الشـيعية العريضة في تلك الفـترة، حيث كان "الإمامية" يعيشون على هامش الحركة الشـيعية الـتي كـان يغلب عليها التشـيع السياسي العلـوي المعـروف بالتشـيع "الزيـدي"، ولم يكن "الإماميـة" يشـكلون سـوى فئة صـغيرة من تيـار واسع وعـريض. ونسـتطيع أن نسـتقريء حجم "الإماميـة" بالنسبة للجماهير الشـيعية سياسـيا، من خلال النشـاطات الثورية الشـيعية الـتي كـانت تحـدث هنا وهنـاك، والـتي لم يكن للإمامية فيها دور كبير يذكر.

وإذا وضـعنا جانبا محاولة "الإماميـة" المتـأخرين أو "الاثـني عشرية" الذين نظموا قائمة بأسـماء الأئمة الاثـني عشـر. ونظرنا الى سائر الأئمة الـذين حـذفوهم من التـاريخ الشـيعي لوجـدنا أن هـؤلاء المحـذوفين، الـذين كـانوا يشـكلون امتـدادا لخط التشـيع السياسي (العلـوي الحسـيني)، لعبـوا أدوارا تاريخية كـبرى في التاريخ الشيعي خلال القرنين الثاني والثالث بما لا يقارن مع أئمة القائمة "الإمامية" الذين لم تثبت نسـبتهم إليهم أيضـا، ولاتضـحت لنا طبيعة الحركات الشـيعية الفكرية والسياسـية وحجم التيـارات الرئيسية فيها ونسبة "الإمامية" إليها.

ورغم أنا - خلال البحث السابق - لم نتأكد من تبني الإمـامين الباقر والصادق للفكر الإمامي، وبالتالي لم نتأكد من وجود علاقة سـلبية بين هـاذين الإمـامين والإمـام زيد بن علي، إلا أن نجـاح الأخـير في اسـتقطاب حـوالي خمسة عشر ألف شـيعي وتفجـير ثـورة مسـلحة ضد الأمـويين في الكوفة سـنة 122 يحمل دلالة على مدى شعبيته الفائقة أكثر من شعبية الباقر والصادق. وكذلك قيام ابنه يحيى بتفجير ثورة أخـرى في خراسـان سـنة 125 يـدل على تمتعه بشعبية لا بأس بها تؤهله للقيـام بـالثورة، رغم فشـلها في ذلك الحين.

ولم تمض بضع سنوات على ذلك التاريخ حتى خرج عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيـار في اصـفهان سـنة 129

واستقطب حوله جماهير الشيعة والعلويين من كل مكان، قبل أن يقتله أبو مسلم الخراساني، ويمهد الأرض للعباسيين. ورغم التفاف بعض الغلاة حوله ومحاولتهم تشويه حركته إلا أن قدرته على تفجير ثورة ضد الأمويين وجمع الشيعة حوله يدلان على تمتعه بشعبية واسعة، بعيدا عن نظرية "الإمامة الإلهية".

ونستطيع أن نرى أيضا بوضوح مؤشر الشعبية الواسعة في التفاف النخب والجماهير الشيعية حول الإمام محمد بن عبد الله بن الحسن (ذي النفس الزكية) الذي اجمع العلويون والهاشميون والمعتزلة على إمامته سنة 126 وبايعوه في "الأبواء" على الخروج ضد الأمويين، حتى أنهم دعوا الإمام الصادق إلى الالتحاق بحركته ومبايعته، مما يدل على مدى شعبيته الأوسع في صفوف الشيعة في النصف الأول من القرن الثاني الهجري. ومن المعلوم أن "النفس الزكية" قام بتفجير ثورة ضد المنصور العباسي سنة 145 وسيطر على الحجاز وأرجاء واسعة من جنوب العراق، بالتعاون مع أخيه إبراهيم بن عبد الله بن الحسن، الذي خرج في البصرة وظهر بها، فأجابه أهل فارس والأهواز وغيرهما من الأمصار.

وانصرف عامة الشيعة في أيام موسى الكاظم إلى الإمام عيسى بن زيد بن علي وبايعوه سراً بالإمامة في عام 156هـ وهو متوارٍ في العراق، وجاءته بيعة الأهواز وواسط ومكة والمدينة وتهامة، واثبت دعاته فبلغوا مصر والشام. واتفق مع أصحابه على الخروج بعد وفاة المنصور، فمات مسموما بسواد الكوفة سنة 166هـ في أيام الخليفة العباسي المهدي بن المنصور (158- 169هـ). فحمل الراية بعده الإمام الحسين بن علي بن الحسن (المثلث) "صاحب فخ" الذي قام بثورة في المدينة سنة 169 هـ في أيام الخليفة العباسي موسى الهادي (169- 170هـ) فاستولى على المدينة، وطلب من الكاظم المبايعة فاعتذر منه. فقال له الحسين: إنّما عرضت عليك أمراً فان أردته دخلت فيه. وإن كرهته لم أحملك عليه والله المستعان، ثم ودّعه.[1087]

وبعد أن قُتل الحسين "صاحب فخ" قرب مكة، حمل الإمام يحيى بن عبدالله ابن الحسن، راية الثورة على الخليفة العباسي هارون الرشيد، في بلاد الديلم، وكتب إلى موسى بن جعفر

1087 - الكليني، الكافي، الأصول، ج 1، ص 366

يدعوه إلى نصرته.[1088] بينما ذهب أخــوه إدريس بن عبد الله إلى بلاد الـبربر في المغـرب، وأعلن نفسه أمـيراً للمؤمـنين، وأسس لقيـام دولة الأدارسة الـتي دامت حـوالي قـرنين من الـزمن من 172 إلى 375 هـ

وبالرغم من اعتقال الإمام الكاظم من قبل الخليفة العباسي هــارون الرشــيد، خوفا من قيامه بثــورة، مما يــدل على تمتعه بشعبية كبيرة، إلا أنه لم يثبت أيضا تبنيه للفكر الإمامي أو الدعوة لــه، إضــافة إلى تبــني معظم أبنائه للفكر الشــيعي السياسي (الزيــدي) الــذي لا يحصر الإمامة في بيت معين أو أشــخاص معيـنين، وقد نجح أحـدهم (إبـراهيم بن موسـى) بإقامة دولة في اليمن، حتى اضطر الخليفة المأمون إلى الاعتراف به.

وفي الوقت الذي كان شيعة الكاظم وأبنـاؤه يشـككون بإمامة الرضا ويقفون عنده، قام محمد الـديباج بن جعفر الصـادق بثـورة في مكة وسـيطر على الحجــاز سـنة 199 وأعلن نفسه أمــيراً للمؤمنين. وخرج معه من فضلاء أهل الـبيت أخـوه علي بن جعفر الصادق، والحسـين بن الحسن الأفطس، ومحمد بن سـليمان بن داود بن الحسن بن الحسن الســـبط، ومحمد بن الحســـين المعروف بالسـياق، وعلي بن الحسـين بن عيسى بن الإمـام زيد بن علي.

ورغم إخفاقه أمــام جيــوش العباســيين، إلا أن مجــرد قيامه والتفـاف الشـيعة حوله يـدل على تبنيه لفكر التشـيع السياسي ، وعدم معرفة الجماهير الشـيعية بـالفكر الإمـامي "الـديني" الـذي يحصر الإمامة في أشخاص معينين ويمنعهم من اتباع غيرهم.

ومما يؤيد كون عامة الشيعة في أواخر القرن الثاني الهجري، لا يعرفــون نظرية "الإمامة الإلهيــة" الـتي كـان يتبناها الغلاة سـراً وفي إطار محـدود، هو تأييـدهم لأي زعيم يخـرج من أبنـاء علي، والالتفاف حوله بغض النظر عن وجود النص عليه أو عدم وجوده، ولذلك بـرز في تلك الفـترة عـدد من الزعمـاء العلـويين الآخـرين كقادة للحركة الشيعية المعارضــة، كعلي بن عبيد الله بن الحسن بن علي بن الحســـين بن علي بن أبي طــــالب، و عبدالله بن موسى، ومحمد بن ابراهيم ابن طباطبا بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طــالب، وابن طباطبــا، وأبي الســرايا، اللــذين أعلنا

[1088] - الكليني، الكافي، كتـاب الحجـة، بـاب من ادعى الإمامة وليس لها بأهل .. ح رقم 19

الثورة في الكوفة سنة 199 وامتدت دولتهم إلى الأهواز والحجاز واليمن.

ولم يكن عامة الشيعة في الكوفة "إمامية" يحملون صورة خاصة عن رجل معين من أهل البيت، ولم يظهر عليهم أي ميل خاص لإمامة علي بن موسى الرضا الذي كانوا يكنون له الاحترام كواحد من زعماء البيت العلوي. ومن هنا فقد أغلقوا أبواب الكوفة أمام والي المأمون العباسَ بن موسى الكاظم، ورفضوا دعوته لمبايعة الخليفة العباسي المأمون وولي عهده الرضا ؛ وقالوا له :" إن كنت تدعو للمأمون ثم من بعده لأخيك ، فلا حاجة لنا في دعوتك ، وإن كنت تدعو إلى أخيك أو بعض أهل بيتك أو إلى نفسك أجبناك".[1089] وهو ما يدل على عدم إيمان الشيعة في ذلك الوقت بنظرية الإمامة الإلهية، وعدم تفريقهم بين الإمام الرضا وأخيه العباس أو أخيه إبراهيم، أو عمه محمد الديباج، أو أي أحد من أهل البيت لقيادتهم وإمامتهم. وهذا ما يعني تمسكهم بفكر التشيع السياسي لا "الديني".

وحتى الإمام الرضا الذي يعتبره "الإمامية" ثامن الأئمة المنصوص عليهم من الله، لم يثبت تبنيه للفكر الإمامي، فقد بايع الخليفة المأمون وقبل أن يكون ولي عهده، خلافا للروايات السرية التي كان يتداولها أنصار التشيع "الديني"، والتي كانت تحصر الحق في الإمامة في سلسلة معينة من أبناء علي والحسين.

وقد فرض منطق التشيع السياسي نفسه حتى على بعض أنصار التشيع "الديني" وذلك عندما توفي علي بن موسى الرضا سنة 203 وورثه ابنه الصغير الجواد الذي كان يبلغ من العمر سبع سنين، ولم يكن قادرا على مواصلة الخط "الديني" على فرض الإيمان به، مما اضطر بعض "الإمامية" إلى الالتفاف حول أحمد بن موسى، الذي كان يرى رأي الزيدية وخرج مع أبي السرايا في الكوفة، والذي كان على درجة من العلم والتقوى والورع كما يصفه الشيخ المفيد في "الإرشاد". ونحى هؤلاء منحى "الفطحية" الذين قالوا بإمامة موسى الكاظم بعد وفاة عبدالله الأفطح دون أن يعقب، ولم يلتزموا بدقة بقانون الوراثة العمودية، واعتبروا الجواد الذي كان طفلا صغيرا كأنه لم يكن.

[1089] - الطبري، ج 7 ص 144

وحقق التشيع السياسي انتشارا واسعا في مطلع القرن الثالث الهجـري، ولا سـيما في إيـام المعتصم العباسـي، حين اسـتطاع الإمـام محمد بن القاسم بن عمر الأشـرف بن علي بن الحسـين بن علي بن أبي طـالب (الـذي كـان معروفا بالعبـادة والزهد والـورع والعلم والفقـه) تحشـيد أربعين ألف مقاتل في خراسـان والطالقـان ، وتفجـير ثـورة ضد الخليفة العباسي المعتصم سـنة 218 هجريـة، خـاض خلالها معـارك عنيفة مع الجيش العباسي طوال تسع سنين، إلى أن هزم سنة 227 هـ، والقي القبض عليه وأرسل إلى سجن المعتصم، ولكنه تمكن من الفرار من السـجن سـنة 229 هـ وظل متواريا إلى أن تـوفي بعد عـدة سـنوات. واعتقد فيه البعض من أنصـاره آنـذاك أنه حي يـرزق، وأنه لم يمت، وأنه المهـدي المنتظر الـذي سـوف يخـرج فيملؤها قسـطا وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.[1090]

ثم حمل الراية من بعده الإمام يحيى بن عمر العلوي الحسيني، الـذي خـرج على المتوكل العباسي في خراسـان، ولكن الجيش العباسي اسـتطاع إخمـاد ثورته بسـرعة، واعتقاله وإرسـاله إلى بغـداد، ومع ذلك قـام بثـورة أخـرى في الكوفة في أيـام الخليفة المسـتعين سـنة 248 هـ واسـتولى على الكوفة، ثم قتل حـوالي سنة 250 للهجرة.

الإمام القاسم الرسي

وفي هـذا الـوقت كـان إمـام آخر من أئمة التشـيع السياسي "الزيدية" ينجح في استقطاب الجماهير الشيعية بصـورة كبـيرة، ويأخذ منها البيعة على الخـروج، وهو الإمـام القاسم بن إبـراهيم طباطبا الرسي، الذي حمل راية الثورة بعد وفـاة أخيه محمد بن إبراهيم سـنة 199هـ في الكوفة ، وكـان يومها في مصر فقـام بإرسـال دعاته إلى مختلف البلاد، وجاءته البيعة من أهل مكة والمدينة والكوفة، والـري، وقـزوين وطبرسـتان، والـديلم، وكاتبه أهل العدل (المعتزلة) من البصرة والأهواز، وحثـوه على الظهـور فـأمر جماعة من دعاته وبـني عمه وغـيرهم بالـذهاب إلى بلخ، والطالقـان والجوزجـان، فبايعه كثـير من فضـلاء أهلها وكـادوا يظهرون الدعوة، لـولا أن المـأمون وجه بطلبه ومطاردته فألجـأه ذلك إلى الهجرة مستتراً في البلدان، فرحل إلى اليمن، وإلى بلاد

1090 - النوبختـي، فـرق الشـيعة، ص 88 والأشـعري القمي، المقـالات والفـرق، ص 97 والمفيـد، الفصـول ، ص 256 والأصـفهاني، مقاتل الطالبيين، ص 579 والطبري، ج 7 ص 223

السودان، ومصـر، ثم الحجـاز، حـتى دعـاه المـأمون إلى الهدنـة، فرفضها وقال:" والله لو كلفني المأمون ببناء مسجد لله على أن أعد آجره ما فعلت". وبعد وفـــاة المـــأمون اشـــتد المعتصم في طلبه وملاحقته، طوال فـترة حكمه، ولكنه نجح في الاختبـاء، إلى أن توفي في جبل الرس بالقرب من المدينة، سنة 246 هــ في أيام المتوكل العباسي.

وفي هذه الأثناء ظهر السادة العلويون بنو الأخيضر في اليمامة (نجد) وأقاموا لهم دولة استمرت حوالي مائة عام من 250 حـتى 350 هـ ، وظهر الحسن بن زيد بن محمّد العلوي في طبرسـتان، واستولى على الدَّيلم والريّ سنة 250 هـ

كما شهد عام 251 سـيطرة إسـماعيل بن يوسف بن إبـراهيم الطالبي على الحجاز (مكة والمدينة وجدة).

وفي عام 280 هـ قام الإمـام يحـيى بن الحسـين بن القاسم الرسّي وأسس دولة شيعية في صـعدة في شـمال اليمن، وتلقّب بالهادي إلى الحـقّ. واستولى أحفاده على صـنعاء فحكموها حـتى عام 426 ه ثم عادوا ليسيطروا عليها مرة أخرى ويستمروا في الحكم الى سنة 685 هـ

ولم تكن إحدى تلك الثورات تفشل حتى كانت تقوم في إثرها ثورات أخرى، ومنها ثورة الإمـام الـداعي إلى الله الحسن بن زيد بن محمد بن إسـماعيل بن زيد بن الحسـن، الـذي بـدأ دعوته في أيام المتوكل في طبرستان حـتى تمكن من السـيطرة عليها أيـام المستعين عام (250هـ) وأسس الدولة العلوية بطبرســتان ، وقد امتـدت خلافته عشـرين عامـاً، حـتى تـوفي سـنة 270هــ فخلفه أخوه الإمام محمد بن زيـد، واسـتمر في الحكم سـبعة عشر عاما إلى أن استشـهد سـنة 287 هــ في معركة مع الأمـير إسـماعيل الساماني، الذي سيطر على طبرستان من عام 287هـ إلى عام 301هـــ وبعـــدها تمكن الإمـــام الحسن بن علي الملقب بالناصر الأطروش من إعادة السيطرة على الجبل، والديلم، وطبرســتان، واســتمرت دولته ومن تعــاقب من بعــده من أهل بيته إلى عــام 315 هـ

واسـتمر التيـار الشـيعي السياسي (العلـوي الزيـدي) يفجر الثورات هنا وهناك إلى أن استطاع في القـرن الرابع الهجـري أن

يهيمن على الدولة العباسية وعاصمتها بغداد، بواسطة البويهـيين. وذلك في سنة 334 هـ .[1091]

الفصل الثـالث عشر : التشـيع "الاثنا عشـري".. يولد ميتاً

بعد مائة عام من التحديات والعقبـات، وصـلت نظرية "الإمامة الإلهية" إلى طريق مسدود مع وفاة الإمام الحسن العسكري في سنة 260 للهجرة دون أن يخلف ولدا تسـتمر الإمامة فيـه، ودون أن يشير أو يوصي إلى أحد من بعده. في أكـبر دلالة على انتمـاء

[1091] - حكم آل بويه فارس والعراق، وأقاموا دولة عرفت بالدولة "البويهية" استمرت حوالي قرن ونصف قـرن، ابتـداء من عـام 321 في فـارس ، ثم من عام 334 في العراق، وانتهى حكمهم بسـيطرة السـلاجقة على بغـداد سنة 447 هـ

ورغم قيام دول عديـدة باسم الشـيعة "الإمامية الجعفرية الاثـني عشـرية" عـبر التـاريخ، كالدولة السـربدارية (خراسـان من 738هـ إلى 782هـ) والمشعشـعية (الأهـواز وخوزسـتان من 783هـ إلى 1117هـ)، والدولة الصـفوية (إيـران 907هـ - 1148هـ / 1500م – 1735م)، والقاجارية (إيـران من 1193هـ إلى 1327هـ / 1779م – 1909م) والجمهورية الإسـلامية الإيرانية المعاصـرة (1979-)، إلا أن كل تلك التجـارب كـانت بعيـدة عن الفكر السياسي "الإمـامي" وذلك لأنها لم تكن تقـوم على حكم الإمـام المعصـوم المعين من قبل الله من السـلالة العلوية الحسـينية، كما تقول النظرية الإمامية، ولكنها قامت على أساس حكم أشخاص (ملـوك أو علماء) غـير معصـومين ولا معيـنين من قبل السـماء، ومن خـارج السـلالة العلوية الحسـينية، وقـامت أحيانا على أسـاس الشـورى والانتخـاب من الناس، أو الفكر الديموقراطي، كما هو الحال في العراق اليوم، وهـذا في حقيقته أقرب إلى الفكر الزيدي المنفتح (أو التشيع العلوي) منه إلى الفكر "الإمامي الإثني عشري".

ولـدت الدولة "السـربدارية" بقيـادة الشـيخ حسن الجـوري، في منطقة خراسان بعد تفكك دولة بني هولاكو ، وموت أبى سعيد ، واستمرت حوالي خمسـين عاما من سـنة 738 هـ الى سـنة 782 هـ وكـان آخر ملوكها : السلطان علي بن المؤيد ، الذي تولى الحكم سـنة 766 هـ ، وقضى عليها تيمورلنك .

قـامت الدولة المشعشـعية في الأهـواز وخوزسـتان، بعد سـقوط الدولة السربدارية بسنة واحدة أي في سنة 783هـ ، وذلك بقيادة محمد بن فلاح الحويزي الملقب بـ :" المهـدي المشعشـعي" واسـتمرت دولته في أعقابه حتى تاريخ 1117 هـ

العسكري للتشيع السياسي وعدم إيمانه بالتشيع "الديني". وهو ما أقنع كثيرا من الشيعة الملتفين حوله بالتخلي عن نظرية "الإمامة الإلهية" القائمة على أسس وهمية وأحاديث سرية كاذبة. ولكن فريقا من شيعته ممن يميلون الى الغلو رفضوا الاعتراف بحقيقة عدم وجود خلف له، وأصروا على افتراض وجود ولد مكتوم له. وأنه "الإمام" من بعده " لأن الأرض لا يمكن أن تخلو من حجة".[1092] وقالوا بأن الإمامة ستستمر في ذرية ذلك الولد المخفي إلى يوم القيامة.

وقد كان القول بوجود ولد للحسن العسكري، قولاً سرياً باطنياً، قال به ذلك الفريق الذي كان يشكل واحدا من أربعة عشر فريقا من أصحاب العسكري، انقسموا بعد وفاته. ولم يكن الأمر واضحاً وبديهيا، أو مجمَعاً عليه بين الشيعة في ذلك الوقت، ولا بين شيعة العسكري الذين كانوا يشكلون أقلية صغيرة على هامش الحركة الشيعية السياسية. حيث كان جوٌ من الحيرة والغموض يلف مسألة الخلف للعسكري، ويعصف بالشيعة بشدة.[1093]

[1092] - الطوسي : الغيبة، ص 132 ـ والصدوق: إكمال الدين ج1ص44 . والمفيد: الإرشاد ، ص 341 و النجاشي: الرجال . ترجمة احمد بن عامر بن سليمان أبى الجعد . والطبري:دلائل الإمامة ، ص 224 ، والصدر: الغيبة الصغرى، ص 315 ، والصدوق : إكمال الدين، ص 44

[1093] - وقد كتب عدد من العلماء المعاصرين لتلك الفترة كتباً تناقش موضوع الحيرة وتبين سبل الخروج منها، كالشيخ علي بن بابويه الصدوق (- 329هـ) الذي ألّف كتاباً أسماه: (الإمامة والتبصرة من الحيرة). وابنه الشيخ محمد بن علي الصدوق (-381 هـ)، الذي أشار في مقدمة كتابه: (إكمال الدين وإتمام النعمة) الى حالة الحيرة تلك، فقال:" وجدت أكثر المختلفين إليّ من الشيعة قد حيّرتهم الغيبة، ودخلت عليهم في أمر القائم الشبهة... وقد كلمني رجل بمدينة السلام (بغداد) فقال لي: إن الغيبة قد طالت، والحيرة قد اشتدت، وقد رجع كثير عن القول بالإمامة لطول الأمد".(الصدوق:إكمال الدين، ص 2 و 16) ووصف محمد بن إبراهيم أبي زينب النعماني (- 340 هـ)، حالة الحيرة التي عمّت الشيعة في ذلك الوقت في كتابه "الغيبة" فقال: "إن الجمهور منهم يقول في الخلف: أين هو؟ وأنى يكون هذا؟ والى متى يغيب؟وكم يعيش هذا، وله الآن نيّف وثمانون سنة؟.. فمنهم من يذهب الى أنه ميت، ومنهم من ينكر ولادته ويجحد وجوده بواحدة، ويستهزئ بالمصدق به، ومنهم من يستبعد المدة ويستطيل الأمد". وقال:" أي حيرة أعظم من هذه التي أخرجت من هذا الأمر الخلق العظيم والجمّ الغفير؟ ولم يبق ممن كان فيه إلا النزر اليسير، وذلك لشك الناس".(النعماني، الغيبة، ص 113، و 186)ـ ونقل الكليني والنعماني والصدوق مجموعة كبيرة من الروايات التي تعبر عن مصير الشيعة "الإمامية" وتؤكد وقوع الحيرة بعد "غيبة صاحب الأمر" واختلاف

وقد بنت الفرقة "الإثناعشرية" عقيدتها بوجود ولد مستور للإمام العسكري ، واستمرار حياته إلى اليوم والى إن يظهر في المستقبل .. على فرضية فلسفية كلامية تتألف من عدة مقدمات، هي:

أولاً : ضرورة وجود الإمام (أي الرئيس) في الأرض، وعدم جواز بقاء البلاد فوضى بلا حكومة.

ثانياً: ضرورة عصمة الإمام وتعيينه من قبل الله، وعدم جواز حكومة الفقهاء العدول، أو الحكام العاديين .

ثالثاً: وجوب حصر الإمامة في أهل البيت وفي أبناء علي والحسين إلى يوم القيامة .

رابعاً : الإيمان بوفاة الإمام الحسن العسكري، وعدم القول بغيبته و مهدويته.

خامساً: الالتزام بقانون الوراثة العمودية، وعدم جواز انتقال الإمامة إلى أخوين بعد الحسن والحسين.

وسمى المتكلمون الذين نظّروا لوجود "الإمام محمد بن الحسن العسكري" استدلالهم هذا بالدليل العقلي، وقدموه كأهم الأدلة على وجوده.[1094]

واعتبر الشيخ المفيد (338هـ - 413 هـ) :" الدليل العقلي الذي يقتضي وجود الإمام المعصوم في كل زمان ... دليلاً كافياً على وجود ابن الحسن وحصر الإمامة فيه" وقال:" إن هذا أصل

الشيعة، وتشتتهم في ذلك العصر، واتهام بعضهم بعضا بالكذب والكفر، والتفل في وجوههم، ولعنهم، وانكفاء الشيعة كما تُكفأ السفينة في أمواج البحر، وتكسرهم كتكسر الزجاج أو الفخار. الكليني، الكافي، ج1 ص 366، 338، 340، والنعماني، الغيبة، ص 89، 206، 208، والصدوق، عيون أخبار الرضا، ص 168 ، وإكمال الدين، ص 408

1094 - وقد نقل الشيخ الصدوق قول المتكلم الشيعي المعاصر لتلك الفترة: (أبى سهل إسماعيل بن علي النوبختي) الذي استدل على "وجود" ابن الحسن ، بالعقل ، وذكر في كتابه (التنبيه) ، الذي ألفه بعد ثلاثين عاما من (الغيبة) :" إن الشيعة قد علموا بوجود ابن الحسن بالاستدلال ، كما عرفوا الله والنبي وأمور الدين كلها بالاستدلال" . الصدوق، إكمال الدين، ص 92

لن يحتـــاج معه إلى رواية النصـــوص لقيامه بنفسه في قضـــية العقول، وصحته بثابت الاستدلال" .[1095]

وقال السيد المرتضى علم الهدى (355 هـ - 436 هـ):" إن العقل يقتضي بوجـوب الرياسة في كل زمـان، وإن الـرئيس لا بد من كونه معصوما.. وإذا ثبت هذان الأصلان فلا بد من القول : إنه (صـاحب الزمـان) بعينـه، لأن الصـفة الـتي اقتضـاها ودلّ على وجوبها لا توجد إلا فيه، وتساق الغيبة بهذا سوقا ضروريا لا يقـرب منه شـبهة.. ولأنه إذا بطلت إمامة من أثبتت له الإمامة بالاختيـار، لفقد الصـفة الـتي دلّ العقل عليهـا، وبطل قـول من خـالف من شذاذ الشيعة، فلا مندوحة عن مذهبنا، فلا بد من صحته، وإلا خرج الحق عن الأمة" .[1096]

ويمكن تلخيص "الــدليل العقلي" في كلمة واحــدة هي: " نظرية الإمامة الإلهية لأهل الــبيت القائمة على العصــمة و النص والوراثة العمودية".

وبعد أن افترض "الإماميون الإثنا عشريون" وجود ولد للإمام الحسن العسكري، قاموا بتأويل عدد من الآيــات القرآنية واختلاق عدد من الروايات عن النـبي الأكـرم والأئمة السـابقين تتنبأ بمولد "الإمام الثاني عشر". واستعانوا بتراث الفـرق الشـيعية السـابقة كالكيسانية والواقفية التي كانت تتحدث عن "المهدي" و "القائم" و"الغيبــة" ليســتدلوا بها على وجــود الولد للعســكري ويثبتــوا ولادته.[1097]

ثم جاءوا بمجموعة من القصص السرية على ولادة "الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري" ومشـاهدته سـراً في مختلف مراحل حياته أيــام أبيه وبعد وفاته، وقــالوا بغيبته وأنه "الإمــام المهدي المنتظر".[1098]

المبحث الأول: حصر الإمامة في "اثني عشر"

[1095] - المفيد، الإرشاد، ص 347

[1096] - المرتضى، رسالة في الغيبة، ص 2 - 3

[1097] - الصدوق، إكمال الدين، ص 378 ، و الخزاز ، كفاية الأثر، ص 277

[1098] - لمزيد من التفصــيل، يــرجى مراجعة كتابنا حــول الموضــوع تحت عنوان:"الإمـام المهـدي محمد بن الحسن العسـكري.. حقيقة تاريخيـة؟ أم فرضية فلسفية؟"

وبغض النظر عما إذا كان ذلك الولد حقيقة تاريخية أم فرضـية فلسفية، فإن الشيعة "الإمامية" الذين قالوا بوجـوده؛ لم يعتقـدوا في البداية أنه الإمـــام الأخـــير، وأن الأئمة اثنا عشر فقط. حيث كـانوا ينتظـرون خروجه بعد أشـهر أو بضع سـنوات، ولكنهم وبعد عقود من الزمن بدءوا يؤمنـون تـدريجيا بحصر الإمامة في "اثـني عشر" فولدت الفرقة "الاثنا عشرية" في القـرن الرابع الهجـري. وكان ذلك تطورا جديـدا في النظرية "الامامية" حـدث خاصة في صفوف الشيعة الموسوية من أتبـاع "التشـيع الـديني"، ولا سـيما الجناح المتشدد الذي كـان يـؤمن بقـانون الوراثة العمودية بشـدة ولا يقبل أي تســامح فيهــا، وقد ادعى ذلك الجنــاح وجــود قائمة مسبقة بأسماء الأئمة الاثني عشـر، وتحديـدهم من قبل الرسـول الأعظم (ص) بـــاثني عشر إماما هم : (علي والحسن والحســين وعلي بن الحســين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي وآخــرهم الإمــام الغــائب محمد بن الحسن العســكري) وكـان يسـتهدف من وراء ذلك إثبـات وجـود الإمـام الثـاني عشر "محمد بن الحسن العســكري" الــذي كــان وجــوده محل شك ونقاش في صفوف الشيعة الامامية.

ولكي ينسـجم عـدد الأئمة السـابقين مع هـذه القائمـة، لجأ "الاثنا عشــريون" إلى حــذف اسم الإمــام زيد والإمــام عبدالله الأفطح والإمـام أحمد بن موسى الـذين قـال بإمـامتهم كثـير من الشـيعة الامامية الفطحية في السابق، كما رفضوا الاعتراف بإمامة جعفر بن علي الهـادي، الــذي ذهب إليه بعض الإمامية أيضــا، وأضــافوا اسم "الإمام محمد بن الحسن العسكري" ونظمـوا قائمة جديـدة بأسـماء تسـعة من أولاد الحسـين واحـدا بعد واحـد، وقـالوا بـأن هـؤلاء الأئمة قد نص عليهم الرسـول وأعلن أسـماءهم من قبـل، وجاءوا على ذلك بعشرات الأحاديث التي نسبوها إلى رسول الله (ص) والأئمة السابقين. وألغوا بذلك الطابع السياسي للتشيع في الوقت الذي كرسـوا فيه الطـابع "الـديني" لـه، كما ألغـوا التـاريخ الشيعي الممتد على ثلاثة قـرون، وأغمضـوا أعينهم عن كثـير من الأحــداث والوقــائع والأحــاديث الــتي تتنــاقض مع حكاية "القائمة الاثني عشرية".

أحاديث "الإثني عشرية"

وقد أورد الكليني ، في كتابه "الكافي" في مطلع القرن الرابع الهجري، سبع عشرة رواية تتحدث عن "الاثني عشرية" ليأتي بعد

ذلك بنصف قرن، الشيخ محمد بن علي الصدوق ويـذكر في كتابه "إكمـــال الـــدين وإتمـــام النعمة" خمساً وثلاثين رواية حـــول الموضـــوع. ثم يـــأتي محمد بن علي الخـــزاز، في أواخر القـــرن الرابع، ليوصلها في كتابه "كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر" إلى حـــوالي مائة رواية. بينما قـــال مـــؤرخ شـــيعي هو المسعودي في "التنبيه والإشراف": إن أصل "الاثني عشرية" هو كتـاب سـليم بن قيس الهلالي.[1099] وهـذا كتـاب ظهر في القـرن الرابع الهجري لمؤلف مجهول، قيل إنه من أصـحاب الإمـام أمـير المؤمـنين علي بن أبي طـالب، وفيه أحـاديث تنسب إلى رسـول الله (ص) والأئمة من أهل الـبيت تشـير إلى تحديد أسـماء الأئمة الاثني عشر بالتفصيل.

أ - الأحاديث السنية حول "الإثني عشرية"

واسـتعان أقطـاب "الاثني عشـرية" بأحـاديث "سـنية" ذكرها البخاري ومسلم حول حدوث الهرج والمرج بعد الخليفة أو الأمـير الثـاني عشر، فاعتبروها دليلا على صـحة نظـريتهم الـتي لم يكن يعرفها أئمة أهل البيت ولا الشيعة ولا حتى "الإمامية" من قبل.

فقد روى محمد بن علي الصـدوق في: "إكمـال الـدين": عن احمد بن الحسن القطـــان المعـــروف بـــأبي علي بن عبد ربـــه الـــرازي قـــال حـــدثنا أبو يزيد محمد بن يحـــيى بن خلف بن يزيد المروزي ، بالري في شهر ربيع الأول سنة 302 عن إسحاق بن ابراهيم الحنظلي في سـنة 238 ، المعـروف بـابن إسـحاق بن راهويه، عن يحيى بن يحيى، عن هشـام، عن مجالد (أو خالد، خ ل) عن الشـــعبي عن مســـروق قـــال : بينا نحن عند عبدالله بن مسعود نعرض مصـاحفنا عليه إذ قـال له فـتى شـاب (وفي رواية أخـرى أعـرابي) : هل عهد إليكم نـبيكم كم يكـون من بعـده من خليفة؟..قـال : إنك لحـدث السن وإن هـذا شـيء ما سـألني عنه أحد من قبلك ، نعم عهد الينا نبينا انه يكـــون من بعـــده اثنا عشر خليفة بعدد نقباء بني إسرائيل .[1100]

وقـال الصـدوق : نقل مخالفونا من أصـحاب الحـديث نقلا ظاهرا مستفيضا من حـديث جـابر بن سـمرة، ما حـدثنا به احمد بن محمد بن إسحاق الدينوري، قـال حـدثني أبو بكر بن أبي داود عن إسـحاق بن ابـراهيم عن ابن سـيرين عن جـابر بن سـمرة

[1099] - المسعودي، الإشراف والتنبيه، ص 198

[1100] - الصدوق، إكمال الدين، ص 272

السوائي قال: كنا عند النبي فقـال :" يلي هـذه الأمة اثنا عشر" قال فصرخ الناس فلم أسمع ما قـال، فقلت لأبي - وكـان أقـرب إلى رسـول الله مـني - ما قال رسـول اللـه؟.. فقـال : قـال :" كلهم من قـــريش وكلهم لا يـــرى مثله" . وفي رواية أخـــرى :" يكـون بعـدي اثنا عشر أمـيرا " ثم أخفى صـوته، فقلت لأبي: ما الذي أخفى رسول الله؟ قال قال:"كلهم من قريش".[1101]

وأضاف الصدوق معقبا على ذلك بقوله: وقد أخرجتُ طرق هـذا الحـديث أيضا وبعضـهم روى " اثنا عشر أمـيرا " وبعضـهم روى:" اثنا عشر خليفة " فـدل على أن الأخبـار الـتي في أيـدي الإمامية عن النـــبي والأئمة بـــذكر الأئمة الاثـــني عشر أخبـــار صحيحة.[1102]

[1101] - المصدر 272

[1102] - الصدوق: إكمال الدين 67 ـ 68 في الجزء الرابع من صحيح البخاري، في كتاب الأحكام في باب جعله قبل باب إخـراج الخصـوم، وأهل الريب من البيوت بعد المعرفة: حدَّثني محمد بن المثنى حدثنا غنـدر حـدثنا شعبة عن عبد الملك سمعت جابر بن سـمرة قـال: سـمعت النـبي (صـلى الله عليه وآله) يقول: " يكون اثنا عشر أميراً فقال كلمة لم أسمعها فقـال أبى: انه يقول:" كلهم من قريش ".
وفي صحيح مسلم : في كتاب الإمارة في باب الناس تبع لقريش والخلافة في قـريش : حـدثنا قتيبة بن سـعيد حـدثنا جرير عن حسـين عن جـابر بن سـمرة قـال: سـمعت النـبي يقـول:- ح وحـدثنا رفاعة بن الهيثم الواسطي، واللفظ له حـدثنا خالد يعـني ابن عبد الله الطحـان عن حصـين عن جابر بن سمرة قال: دخلت مع النبي فسمعته يقول: " ان هـذا الأمر لا ينقضي حتى يمضى فيهم اثنا عشر خليفة، ثم تكلم بكلام خفي عليَّ فقلت لأبي: ما قال ؟ قال: كلهم من قريش .
وأيضا في (كتـاب الإمـارة في البـاب المـذكور) ابن أبى عمر حـدثنا عن سفيان بن عبد الملك بن عمـير عن جـابر بن سـمرة قـال: سـمعت النـبي (صلى الله عليه وآله) يقول: " لا يزال أمر الناس ماضيا ما وليهم اثنا عشر رجلا " ثم تكلم النبي (صلى الله عليه وآله) بكلمة خفيت علي فسئلت أبى مـاذا قـال رسـول الله (صـلى الله عليه وآلـه) ؟ فقـال: كلهم من قـريش ورواه أيضا عن قتيبة بن ســعيد عن أبي عوانه عن ســماك عن جــابر بن سـمرة عن النـبي (صـلى الله عليه وآلـه) ولم يـذكر(لا يـزال أمر النـاس ماضيا) . وحدثنا هداب بن خالد الأزدي حدثنا حماد بن مسـلمة عن سـماك بن حرب قال: سمعت جابر بن سمرة يقـول: سـمعت رسـول الله (صـلى الله عليه وآله) يقول: " لا يزال الإسلام عزيـزاً إلى اثـني عشر خليفة " ثم قـال كلمة لم افهمها فقلت لأبي ما قـال (مـاذا قـال، نخ) فقـال: كلهم من قريش.

وأورد الشيخ الطوسي، في القرن الخامس الهجري، في كتابه "الغيبة" رواية ابن مسعود الآنفة، ولكن مع إضافة: قال الله عز وجل "وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا".[1103] ونقل رواية جابر بن سمرة بعدة أشكال فقال مرة:" يكون بعدي اثنا عشر خليفة كلهم من قريش" قال فلما رجع إلى منزله أتته قريش فقالوا : ثم يكون ماذا؟..فقال :" ثم يكون الهرج".[1104] وفي رواية أخرى يقول جابر: إنه لم يفهم ماذا قال النبي بعد كلمة خليفة، ويقول: فقال بعضهم: سألت القوم فقالوا:"كلهم من قريش" ولا يذكر:"ثم يكون الهرج".[1105]

وفي رواية ثالثة مختلفة يقول جابر: إن النبي (ص) قال:"لا يزال أهل هذا الدين يُنصرون على من ناوأهم إلى اثني عشر خليفة" فجعل الناس يقومون ويقعدون، وتكلم بكلمة لم أفهمها، فقلت لأبي أو لأخي : أي شيء قال؟..فقال:"كلهم من قريش".[1106]

ويروي الطوسي رواية أخرى مشابهة لهذه مع حذف كلمة (أهل) حيث يقول:" لا يزال هذا الدين ظاهرا لا يضره من ناوأه حتى يقوم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش".[1107] وذلك من دون أن يذكر أي غموض أو كلمة لم يفهمها. ويروي بعد ذلك روايتين عن عبدالله بن عمر يقول في الأولى: سمعت رسول الله يقول:" يكون خلفي اثنا عشر خليفة". ويقول في الثانية مخاطبا أبا الطفيل :" يا أبا الطفيل عدّ اثني عشر من بني كعب بن لوي ..ثم يكون النقف والنفاق".[1108] والنقف هو: كسر الهامة عند الدماغ، أو ضربها أشد الضرب برمح أو عصا، وهذه الرواية تشبه بعض الروايات السابقة عن جابر التي تتحدث عن الهرج بعد

1103 - الطوسي: الغيبة 90

1104 - المصدر، ص 88

1105 - المصدر

1106 - المصدر

1107 - المصدر 89

1108 - المصدر ، ورد الحديث في مسند احمد: (جزء 1 صفحة 398) حدثنا عبد الله حدثني أبى ثنا حسن بن موسى ثنا حماد بن زيد عن المجالد عن الشعبي عن مسروق قال كنا جلوساً عند عبد الله بن مسعود وهو يقرئنا القرآن فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن هل سألتم رسول الله (صلى الله عليه وآله) كم يملك هذه الأمة من خليفة ؟ فقال عبد الله بن مسعود: ما سألني عنها أحد منذ قدمت من العراق قبلك ثم قال: نعم، و لقد سألنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: "اثني عشر كعدة نقباء بني إسرائيل".

الاثني عشر خليفة، ولكن عبدالله بن عمر لم يصــرح بروايتها عن الرســـول الأكـــرم ، وفي روايته الأولى لم يـــذكر كلمة : " من قريش" .

ب - الأحاديث الشيعية حول "الاثني عشرية"

وأما الأحـاديث الشـيعية الـتي سـاقها "الإثنا عشـريون" على نظريتهم الجديدة، فهي كما يلي:

1 - عن أبي عبد اللـــه، قـــال: قـــال أبي لجـــابر بن عبد الله الأنصــــاري: إن لي إليك حاجة فمــــتى يخف عليك أن أخلو بك فأسـألك عنهـا؟ فقـال له جـابر: أي الأوقـات أحببتـه، فخلا به في بعض الأيام فقال له: يا جابر أخبرني عن اللوح الـذي رأيته في يد أمي فاطمة بنت رســـول الله (ص) وما أخبرتك به أمي أنه في ذلك اللوح مكتوب؟ فقال جـابر: أشـهد بالله أني دخلت على أمك فاطمة في حياة رسول الله (ص) فهنيتها بـولادة الحسـين ورأيت في يديها لوحا أخضر، ظننت أنه من زمرد ورأيت فيه كتابا أبيض، شـبه لـون الشـمس، فقلت لهـا: بـأبي وأمي يا بنت رسـول الله (ص) ما هذا اللوح؟ فقالت: هذا لـوح أهـداه الله إليَّ رسـول الله (ص) فيه اسم أبي واسم بعلي واسم ابـــني واسم الأوصــياء من ولـدي وأعطانيه أبي ليبشـرني بـذلك، قـال جـابر فأعطتنيه أمك فاطمة ، فقرأته واستنسخته، فقـال له أبي: فهل لك يا جـابر: أن تعرضه عليَّ قال: نعم، فمشى معه أبي إلى مـنزل جـابر فـأخرج صحيفة من رق، فقـال: يا جـابر انظر في كتابك لأقـرأ أنا عليـك، فنظر جابر في نسخته فقرأه أبي فما خالف حـرف حرفـا، فقـال جابر: فأشهد بالله أني هكذا رأيته في اللوح مكتوبا:

"بسم الله الرحمن الـرحيم هـذا كتـاب من الله العزيز الحكيم لمحمد نبيه ونـوره وسـفيره وحجابه ودليله نـزل به الـروح الأمين من عند رب العالمين، عظم يا محمد أسمائي واشكر نعمـائي ولا تجحد آلائي، إني أنا الله إله إلا أنا قاصم الجبـــــارين ومــــــديل المظلومين وديان الـدين، إني أنا الله لا إله إلا أنـا، فمن رجا غـير فضــلي أو خــاف غــير عــدلي، عذبته عــذابا لا أعذبه أحــدا من العـالمين فإيـاي فاعبد وعلي فتوكـل، إني لم أبعث نبيا فـأكملت أيامه وانقضت مدته إلا جعلت له وصيا، وإني فضلتك على الأنبياء وفضلت وصيك على الأوصياء وأكرمتك بشـبليك وسـبطيك حسن وحســين، فجعلت حســنا معــدن علمي، بعد انقضــاء مــدة أبيه وجعلت حســينا خــازن وحـــيي وأكرمته بالشـــهادة وختمت له

بالسعادة، فهو أفضل من استشهد وأرفع الشـهداء درجـة، جعلت كلمـتي التامة معه وحجـتي البالغة عنـده، بعترته أثيب وأعـاقب، أولهم علي سيد العابدين وزين أوليائي الماضـين وابنه شـبه جـده المحمود محمد الباقر علمي والمعدن لحكمتي سيهلك المرتـابون في جعفر، الراد عليه كالراد علي، حق القول مني لأكرمن مثـوى جعفر ولأسرنَّه في أشياعه وأنصاره وأوليائه، أتيحت بعـده موسى فتنة عميـاء حنـدس لأن خيط فرضي لا ينقطع وحجـتي لا تخفى وأن أوليـائي يسـقون بالكـأس الأوفى، من جحد واحـدا منهم فقد جحد نعمـتي ومن غـير آية من كتـابي فقد افـترى علي، ويل للمفـترين الجاحـدين عند انقضـاء مـدة موسى عبـدي وحبيـبي وخـيرتي في علي ولـيي وناصـري ومن أضع عليه أعبـاء النبـوة وأمتحنه بالاضطلاع بها يقتله عفـريت مسـتكبر يـدفن في المدينة الـتي بناها العبد الصـالح إلى جنب شر خلقي حق القـول مـني لأسـرنه بمحمد ابنه وخليفته من بعـده ووارث علمـه، فهو معـدن علمي وموضع سـري وحجـتي على خلقي لا يـؤمن عبد به إلا جعلت الجنة مثـواه وشـفعته في سـبعين من أهل بيته كلهم قد استوجبوا النار وأختم بالسعادة لابنه علي وليي وناصري والشاهد في خلقي وأميـني علي وحـيي، أخـرج منه الـداعي إلى سـبيلي والخـــازن لعلمي الحسن واكمل ذلك بابنه " م ح م د " رحمة للعـالمين، عليه كمـال موسى وبهـاء عيسى وصـبر أيـوب فيـذل أوليـائي في زمانه وتتهـادى رؤوسـهم كما تتهـادى رؤوس الـترك والديلم فيقتلون ويحرقـون ويكونـون خـائفين، مرعـوبين، وجلين، تصـبغ الأرض بـدمائهم ويفشو الويل والرنا في نسـائهم أولئك أوليـائي حقـا، بهم أدفع كل فتنة عميـاء حنـدس وبهم أكشف الـزلازل وأدفع الآصـار والأغلال أولئك عليهم صـلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون".[1109]

2- وينقل الكليني رواية عن لقاء الخضر بالإمام أمير المؤمنين وسؤاله مسألة ثم إخباره بأسماء الأئمة الاثني عشر. فـيروي عن أبي هاشم داود بن القاسم الجعفـري، عن أبي جعفر الثـاني (الجـواد) قـال أقبل أمـير المؤمـنين ومعه الحسن بن علي، وهو متكئ على يد سـليمان فـدخل المسـجد الحـرام فجلس إذ أقبل رجل حسن الهيئة واللباس فسلم على أمير المؤمـنين، فـرد عليه السـلام فجلس، ثم قـال: يا أمـير المؤمـنين أسـألك عن ثلاث مسـائل إن أخبرتـني بهن علمت أن القـوم ركبـوا من أمـرك ما قضى عليهم وأن ليسوا بمأمونين في دنيـاهم وآخـرتهم، وإن تكن

1109 - الكافي، كتاب الحجة، باب في الاثني عشر والنص عليهم، ح رقم 3

الأخرى علمت أنك وهم شرع سواء. فقال له أمير المؤمنين : سلني عما بدا لك، قال: أخبرني عن الرجل إذا نام أين تذهب روحه وعن الرجل كيف يذكر وينسى؟ وعن الرجل كيف يشبه ولده الأعمام والأخوال؟ فالتفت أمير المؤمنين إلى الحسن فقال: يا أبا محمد أجبه، قال: فأجابه الحسن ، فقال الرجل أشهد أن لا إله إلا الله ولم أزل أشهد بها وأشهد أن محمدا رسول الله ولم أزل أشهد بذلك وأشهد أنك وصي رسول الله (ص) والقائم بحجته - وأشار إلى أمير المؤمنين - ولم أزل أشهد بها وأشهد أنك وصيه والقائم بحجته - وأشار إلى الحسن- وأشهد أن الحسين بن علي وصي أخيه والقائم بحجته بعده وأشهد على علي بن الحسين أنه القائم بأمر الحسين بعده وأشهد على محمد بن علي أنه القائم بأمر علي بن الحسين وأشهد على جعفر بن محمد بأنه القائم بأمر محمد وأشهد على موسى أنه القائم بأمر جعفر بن محمد وأشهد على علي بن موسى أنه القائم بأمر موسى بن جعفر وأشهد على محمد بن علي أنه القائم بأمر علي ابن موسى وأشهد على علي بن محمد بأنه القائم بأمر محمد بن علي وأشهد على الحسن بن علي بأنه القائم بأمر علي بن محمد وأشهد على رجل من ولد الحسن لا يكنى ولا يسمى حتى يظهر أمره فيملاها عدلا كما ملئت جورا والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، ثم قام فمضى، فقال أمير المؤمنين: يا أبا محمد اتبعه فانظر أين يقصد فخرج الحسن بن علي، فقال: ما كان إلا أن وضع رجله خارجا من المسجد فما دريت أين أخذ من أرض الله، فرجعت إلى أمير المؤمنين فأعلمته، فقال: يا أبا محمد أتعرفه؟ قلت: الله ورسوله وأمير المؤمنين أعلم، قال: هو الخضر عليه السلام".[1110]

3- وروى الكليني رواية جابر بطريق آخر، مع إضافة ".. فعددت اثني عشر آخرهم القائم، ثلاثة منهم محمد وثلاثة منهم علي". [1111]

4- وروى حديثا آخر، عن سليم بن قيس قال: سمعت عبد الله بن جعفر الطيار يقول: كنا عند معاوية، أنا والحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعمر بن أم سلمة وأسامة بن زيد، فجرى بيني وبين معاوية كلام فقلت لمعاوية: سمعت رسول الله (ص) يقول: أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثم أخي علي بن أبي

1110 - الكافي، كتاب الحجة، باب في الاثني عشر والنص عليهم، ح رقم 1
1111 - الكافي، كتاب الحجة، باب في الاثني عشر والنص عليهم، ح رقم 9

طالب أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا استشهد علي فالحسن بن علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ثم ابني الحسين من بعده أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا استشهد فابنه علي بن الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم وستدركه يا علي، ثم ابنه محمد بن علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وستدركه يا حسين، ثم تكملة اثني عشر إماما تسعة من ولد الحسين، قال عبد الله بن جعفر: واستشهدت الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعمر بن أم سلمة وأسامة بن زيد، فشهدوا لي عند معاوية، قال سليم: وقد سمعت ذلك من سلمان وأبي ذر والمقداد وذكروا أنهم سمعوا ذلك من رسول الله (ص).[1112]

5 - وروى الكليني معنعنا إلى أبي الطفيل أنه شهد الإمام علي يقول ليهودي:" يا هاروني إن لمحمد اثني عشر إمام عدل... ومسكن محمد في جنته معه أولئك الاثني عشر الإمام العدل" فقال اليهودي: صدقت والله الذي لا إله إلا هو إني لأجدها في كتب أبي هارون، كتبه بيده وإملاء موسى عمي، قال: فأخبرني.. عن وصي محمد كم يعيش من بعده؟ وهل يموت أو يقتل؟ قال: يا هاروني يعيش بعده ثلاثين سنة، لا يزيد يوما ولا ينقص يوما، ثم يضرب ضربة ههنا - يعني على قرنه - فتخضب هذه من هذا قال: فصاح الهاروني وقطع كستيجه وهو يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وأنك وصيه، ينبغي أن تفوق ولا تفاق وأن تعظم ولا تستضعف.[1113]

6 - كما روى عن علي بن الحسين أنه قال: إن الله خلق محمدا وعليا وأحد عشر من ولده من نور عظمته، فأقامهم أشباحا في ضياء نوره يعبدونه قبل خلق الخلق، يسبحون الله ويقدسونه وهم الأئمة من ولد رسول الله (ص).[1114]

7 - وروى عن زرارة قال: سمعت أبا جعفر يقول: الاثنا عشر الإمام من آل محمد كلهم محدث من رسول الله (ص) ومن ولد علي، فقال علي بن راشد، وكان أخا علي بن الحسين لأمه وأنكر ذلك فصرر أبو جعفر وقال: أما إن ابن أمك كان أحدهم.[1115]

1112 - الكافي، كتاب الحجة، باب في الاثني عشر والنص عليهم، ح رقم 4

1113 - الكافي، كتاب الحجة، باب في الاثني عشر والنص عليهم، ح رقم 5 و ح رقم 8

1114 - الكافي، كتاب الحجة، باب في الاثني عشر والنص عليهم، ح رقم 6

1115 - الكافي، كتاب الحجة، باب في الاثني عشر والنص عليهم، ح رقم 7

8 - وروى عن أبي جعفر أنه قال: إن الله أرسل محمدا (ص) إلى الجن والإنس وجعل من بعــده اثــني عشر وصــيا، منهم من سبق ومنهم من بقي وكل وصي جرت به سـنة والأوصـياء الـذين من بعد محمد (ص) على سنة أوصياء عيسى وكانوا اثـني عشـر.[1116]

9 - وروى عن أبي جعفر الثاني (الجواد) أن أمير المؤمنين قال لابن عباس: إن ليلة القدر في كل سنة، وإنه يـنزل في تلك الليلة أمر السـنة، ولـذلك الأمر ولاة بعد رسـول الله (ص)، فقـال ابن عبـاس: من هم؟ قـال: أنا وأحد عشر من صـلبي أئمة محـدثون.[1117]

10 - وروى عن رسول الله (ص) لأصحابه: آمنوا بليلة القدر إنها تكون لعلي بن أبي طالب ولولده الأحد عشر من بعدي.[1118]

11 - وأن أمير المؤمنين قـال لأبي بكر يومـا: " لا تحسـبن الذين قتلـوا في سـبيل الله أمواتا بل أحيـاء عند ربهم يرزقـون " وأشهد أن محمـدا (ص) رسـول الله مـات شـهيدا، والله ليأتينـك، فأيقن إذا جاءك فان الشيطان غير متخيل بــه، فأخذ علي بيد أبي بكر فأراه النـبي (ص) فقـال لـه: يا أبا بكر آمن بعلي وبأحد عشر من ولده، إنهم مثلي إلا النبوة وتب إلى الله مما في يدك، فإنه لا حق لك فيه، قال ثم ذهب فلم يُرَ.[1119]

12 - وعن زرارة قـال: سـمعت أبا جعفر يقـول: الاثنا عشر الإمام من آل محمد كلهم محدَّث من ولد رسول الله (ص).[1120]

13 - وعنه أيضا قال: يكون تسعة أئمة بعد الحسين بن علي، تاسعهم قائمهم.[1121] وفي عبارة أخرى: نحن اثنا عشر إماما منهم حسن وحسين ثم الأئمة من ولد الحسين.[1122]

14 - وفي رواية أخرى عن أبي عبد الله قال: لما قتل الحسين عجت السـماوات والأرض ومن عليهما والملائكـة، فقـالوا: يا ربنا

[1116] - الكافي، كتاب الحجة، باب في الاثني عشر والنص عليهم، ح رقم 10
[1117] - الكافي، كتاب الحجة، باب في الاثني عشر والنص عليهم، ح رقم 11
[1118] - الكافي، كتاب الحجة، باب في الاثني عشر والنص عليهم، ح رقم 12
[1119] - الكافي، كتاب الحجة، باب في الاثني عشر والنص عليهم، ح رقم 13
[1120] - الكافي، كتاب الحجة، باب في الاثني عشر والنص عليهم، ح رقم 14
[1121] - الكافي، كتاب الحجة، باب في الاثني عشر والنص عليهم، ح رقم 15
[1122] - الكافي، كتاب الحجة، باب في الاثني عشر والنص عليهم، ح رقم 16

إئـــذن لنا في هلاك الخلق حـــتى نجـــدهم عن جديد الأرض بما استحلوا حرمتك، وقتلوا صفوتك، فأوحى الله إليهم يا ملائكتي ويا ســماواتي ويا أرضي اســكنوا، ثم كشف حجابا من الحجب فــإذا خلفه محمد (ص) واثنا عشر وصـيا لـه، وأخذ بيد فلان القـائم من بينهم، فقال: يا ملائكتي ويا سماواتي ويا أرضي بهذا أنتصر لهذا - قالها ثلاث مرات.[1123] _

15 - وعن سماعة بن مهران قال: كنت أنا وأبو بصير ومحمد بن عمــران مــولى أبي جعفر في منزله بمكة فقــال: محمد بن عمران: سـمعت أبا عبد الله يقـول: نحن اثنا عشر محـدَّثا فقـال له: أبو بصير سمعتَ من أبي عبد الله؟ فحلفه مرة أو مــرتين أنه سمعه؟ فقال أبو بصير: لكني سمعته من أبي جعفر.[1124]

المبحث الثـــاني : الـــولادة الميتـــة.. نظرية التقية والانتظار

وبغض النظر عن صــحة تلك الأحــاديث أو ضــعفها، فقد اختلفت النظرية "الاثنا عشرية" عن "الامامية" اختلافا مهما، في أن هــذه الأخـيرة كـانت تـدور حـول أئمة من أهل الـبيت، موجـودين في الحيــاة بشــكل ظــاهر، وتعتقد أنهم أولى بــالحكم والخلافة من الحكام الأمويين أو العباسيين، وتقول إن أولئك الأئمة معينون من قبل الله، وأنهم مصدر ديني للفقه والتفسير، بينما أخذت النظرية "الاثنا عشـرية" تـدور حـول إمـام غـائب لا أثر له في الحيـاة، هو "الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري" الذي تدعي أنه ولد في ظــروف ســرية واختفى وســوف يظهر في المســتقبل. وتسبب ذلك القـول بانقطـاع "الاثـني عشـرية" عن مصـدر العلم الإلهي المستمر، بحيث لم تعد تملك من تراث أهل الـبيت ســوى أخبـار آحـاد ضـعيفة أضـعف من روايـات السـنة عن النـبي محمد (ص).[1125] ولم تستطع مواكبة الحوادث الواقعة اعتمــادا على تلك الأحــاديث القاصــرة، وكل ذلك أدى إلى فقــدان النظرية "الاثــني عشــرية" للمعــنى السياسي والحيــوي، أي انها ولــدت ميتة ولم تستطع الاستمرار في الحياة.

[1123] - الكافي، كتاب الحجة، باب في الاثني عشر والنص عليهم، ح رقم 19

[1124] - الكافي، كتاب الحجة، باب في الاثني عشر والنص عليهم، ح رقم 20

[1125] - قــام علمــاء الرجــال والحــديث الشــيعة بتضــعيف معظم روايــات "الكافي" أي حوالي 9500 رواية من 16000 روايـة، ولم يصـححوا سـوى ألفين منها، ولا يزال بعضهم يضـعف المزيد منهـا، علما بـأن الكـافي يعتـبر من أصح كتب الحديث لدى الاثني عشرية.

فقد دخل الشيعة "الاثنا عشرية" ، بعد قولهم بوجود الإمام الثاني عشر "محمد بن الحسن العسكري" وغيبته، في مرحلة أسموها "الانتظار" أي انتظار الإمام الغائب (الثاني عشر). واتسموا في تلك المرحلة بالسلبية السياسية المطلقة، حيث حرموا الثورة على الظالمين وإقامة الدولة إلا بعد ظهور "الإمام المعصوم المنصوص عليه من الله". وعطلوا كل ما يتعلق بالدولة من أمور، كجباية الخمس والزكاة وإقامة الحدود، وصلاة الجمعة والجهاد.[1126]

فقد قال الشيخ محمد بن أبى زينب النعماني (توفي سنة 340هـ) :" إن أمر الوصية والإمامة بعهد من الله تعالى وباختياره، لا من خلقه ولا باختيارهم، فمن اختار غير مختار الله وخالف أمر الله سبحانه، وَرَدَ مورد الظالمين والمنافقين الحالّين في ناره" . وأورد سبع عشرة رواية حول وجوب التقية والانتظار وتحريم الخروج في "عصر الغيبة ".[1127]

وقال الشيخ الصدوق (توفي سنة 381 هـ) :" التقية فريضة واجبة علينا في دولة الظالمين، فمن تركها فقد خالف دين الامامية وفارقه .. والتقية واجبة لا يجوز تركها إلى أن يخرج القائم، فمن تركها فقد دخل في نهي الله عز وجل ونهي رسوله والأئمة (ع). ويجب الاعتقاد أن حجة الله في أرضه وخليفته على عباده في زماننا هذا هو القائم المنتظر ابن الحسن.. ويجب أن يعتقد أنه لا يجوز أن يكون القائم غيره بقي في غيبته ما بقي، ولو بقي عمر الدنيا لم يكن القائم غيره ".[1128]

1126 - لمزيد من التفصيل راجع: الفصل الأول من الجزء الثالث من كتابنا تطور الفكر السياسي الشيعي.

1127 - النعماني، الغيبة، ص 57 و 201 وكان من تلك الروايات التي اعتمد عليها النعماني في تنظيره لفكرة الانتظار ، هي ما رواه عن أبى جعفر الباقر (ع) انه قال:" الزم الأرض ، لا تحركن يدك ولا رجلك أبدا حتى ترى علامات اذكرها لك.. وإياك وشذاذ آل محمد ، فان لآل محمد وعلي راية ولغيرهم رايات ، فالزم الأرض ولا تتبع منهم رجلا أبدا حتى ترى رجلا من ولد الحسين معه عهد النبي ورايته وسلاحه.. فالزم هؤلاء أبدا وإياك ومن ذكرت لك" . و"كل راية ترفع قبل راية المهدي فصاحبها طاغوت يعبد من دون الله" . و " كل بيعة قبل ظهور القائم فانها بيعة كفر ونفاق وخديعة". و" والله لا يخرج أحد منا قبل خروج القائم إلا كان مثله كمثل فرخ طار من وكره قبل ان يستوي جناحاه فأخذه الصبيان فعبثوا به".

1128 - الصدوق، الهداية، ص 47

ومن هنا فقد رفض المتكلمون "الاثنا عشريون" الأوائل دعوة المعتزلة والشيعة الزيدية، إلى تبني نظرية "ولاية الفقيه" في ظل "الغيبة الكبرى" بحجة فقدان الفقيه للعصمة والتعيين من الله، وتعارض نظرية "ولاية الفقيه" مع نظرية "الإمامة الإلهية".

وعلى رغم أن الشيعة "الاثني عشرية" كانوا يعيشون في القرنين الرابع والخامس، في ظل الدولة البويهية الشيعية (الزيدية)، إلا أنهم لم يستطيعوا إنتاج نظرية عصرية سياسية تلبي متطلبات الحياة، وأصروا على تكريس نظرية "الانتظار" السلبية وترديدها في مختلف كتبهم الفكرية والفقهية. وحتى عندما قامت الدولة الصفوية في القرن العاشر الهجري، فإن قسما من الشيعة ظل يتمسك بموقف الانتظار السلبي للإمام الغائب المنتظر، كلازمة من لوازم نظرية "الإمامة الإلهية" ويرفض الانخراط في الدولة الصفوية، بالرغم من تأييد الشيخ علي عبد العالي الكركي لها، بناء على نظرية "نيابة الفقهاء العامة عن الإمام الغائب" والتي أجاز لنفسه على ضوئها إضفاء نوع من الشرعية على الدولة الصفوية. حيث كان ذلك القسم من العلماء يرى في المحاولة الصفوية - الكركية انقلابا على أهم أسس النظرية الامامية، من حيث اشتراط العصمة والنص في الإمام، واستلابا واغتصابا لدور "الإمام المعصوم" (المهدي المنتظر الغائب).[1129]

وتجلى ذلك الموقف السلبي من إقامة الدولة في "عصر الغيبة"، في القرن الثالث عشر الهجري أيضا، في موقف الشيخ محمد حسن النجفي صاحب "جواهر الكلام" الذي عاصر الأيام الأخيرة للدولة العثمانية، ولكنه لم يفكر في الثورة عليها وإقامة دولة شيعية خاصة في العراق، نظراً لأنه كان يؤمن بعدم إمكانية إقامة الدولة في "عصر الغيبة" وإلا لظهرت دولة الحق وخرج الإمام المهدي "الذي لم يختفِ إلا بسبب الخوف على نفسه" كما يقول. ولذلك توصل النجفي إلى ضرورة الانتظار، والاستمرار فيه حتى ظهور المهدي، وعدم جواز إقامة الدولة الإسلامية في عصر "الغيبة"، بل عدم إمكانيتها.[1130]

[1129] - وكان يقود ذلك التيار الشيخ إبراهيم القطيفي ، الذي أفتي بحرمة صلاة الجمعة خلافا للشيخ الكركي الذي أفتى بإباحتها. و ألف رسالة خاصة في حرمة الخراج في الرد على الشيخ الكركي ، اسماها :(السراج الوهاج لدفع عجاج قاطعة اللجاج) وأيده في ذلك المقدس الاردبيلي الذي كتب (تعليقات على خراجية المحقق الثاني) .

وانعكس الموقف السلبي أيضا وأخيرا، في رفض "المرجعية الدينية" الشيعية في الستينات من القرن العشرين (أيام المرجع السيد محسن الحكيم) لتأسيس "حزب الدعوة الإسلامية" الذي أعلن عنه مجموعة من الشباب من أجل إقامة حكومة إسلامية، وذلك بسبب إيمان الحكيم وغيره من المراجع بنظرية الانتظار وتحريم العمل السياسي، والاقتصار على الشؤون الدينية. [1131]

[1130] - حيث قال في كتاب القضاء من (جواهر الكلام):" لم يأذنوا (الأئمة) لهم (للفقهاء) في زمن الغيبة ببعض الأمور التي يعلمون عدم حاجتهم إليها كجهاد الدعوة المحتاج إلى سلطان وجيوش وأمراء ونحو ذلك مما يعلمون قصور اليد فيها عن ذلك ونحوه ، وإلا ظهرت دولة الحق".

[1131]- وكان مؤسس حزب الدعوة السيد محمد باقر الصدر قد كتب رسالة حول أطروحة الحزب وقيامه على أساس الشورى، وقام بعرضها على أساتذة الحوزة كالشيخ حسين الحلي والسيد محسن الحكيم، والسيد أبو القاسم الخوئي، والشيخ مرتضى آل ياسين ، الذين رفضوا بقوة فكرة إقامة الدولة في عصر الغيبة ، مما أدى إلى حدوث أزمة فكرية لدى الصدر واستقالته من الحزب. وقد تحدث الصدر عن تلك الأزمة في رسالة له إلى السيد محمد باقر الحكيم في تموز 1960 ، وقال :"إنها حدثت له أثناء مراجعته لأسس الأحكام الشرعية وآية (وأمرهم شورى بينهم) التي هي أهم تلك الأسس ، وبدونها لا يمكن العمل في سبيل تلك الأسس مطلقا ، وإذا تم الإشكال فان الموقف الشرعي لنا سوف يتغير بصورة أساسية ، وإن لحظات تمر علي في هذه الأثناء وأنا اشعر بمدى ضرورة ظهور الفرج وقيام المهدي المنتظر (صلوات الله عليه) ولا زلت أتوسل إلى الله تعالى أن يعرفني على حقيقة الموضوع ويوفقني إلى حل الإشكال ... وعلى كل حال فان حالتي النفسية لأجل هذا مضطربة وقلقة غاية القلق".

وقد ذكر السيد محمد باقر الحكيم في مقال نشرته مجلة (قضايا إسلامية): إن الشك في دلالة آية الشورى انتهى بالشهيد الصدر إلى الشك في صحة العمل الحزبي الذي لا معنى له في نظره آنذاك، إلا إذا كان يتضمن الدعوة إلى قيام الحكم الإسلامي، فإذا لم تكن النظرية حول قيام الحكم الإسلامي واضحة فكيف يمكن إيجاد تنظيم يسعى إلى هذا الهدف دون أن يكون نفس الهدف واضح المعالم؟.إن خروج السيد الشهيد الصدر من حزب الدعوة الإسلامية كان لشبهة شرعية ... إن السيد الصدر لم يعد يؤمن بضرورة الدولة الإسلامية لذلك لم يجد ضرورة لعمل حزب الدعوة الإسلامية الذي أسس لغرض إقامة الحكومة الإسلامية.

الصادق الوعد، صفحات من حياة الداعية المؤسس الحاج محمد صالح الأديب، ص 68 منشورات حزب الدعوة، ومذكرات السيد مهدي الحكيم، والنعماني ، محمد رضا : الشهيد الصدر سنوات المحنة وأيام الحصار ص 146 ، الطبعة الأولى قم ، و الخرسان ، صلاح : حزب الدعوة ص 114

وقد انعكست نظرية الانتظار السلبي للإمام الغائب (الثاني عشر) على موقف الشيعة "الاثني عشرية" من: (قانون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) مما أدى إلى نشوء ظاهرة الانسحاب السياسي عند قطاع واسع من الشيعة الاثني عشرية، وضعف المشاركة الشعبية في التغيير الاجتماعي. وقد تمثل ذلك بصورة جلية في إحجام عدد من الفقهاء الذين تسلموا زمام "المرجعية الشيعية العامة" عن خوض العمل السياسي أو التصدي للظلمة والطواغيت .

كما انعكست نظرية "الانتظار" التي التزم بها أولئك العلماء ، أيضا، على مسألة إقامة الحدود في "عصر الغيبة"، حيث اشترطوا إقامتها بظهور الإمام المهدي الغائب، وقد قال الشيخ الطوسي:" أما إقامة الحدود .. فليس يجوز لأحد إقامتها إلا لسلطان الزمان المنصوب من قبل الله تعالى أو من نصبه الإمام لإقامتها، ولا يجوز لأحد سواهما إقامتها على حال" .[1132]

وكاد إجماع الشيعة "الاثني عشرية" ينعقد عبر التاريخ على حرمة الجهاد الابتدائي في "عصر الغيبة". فقد اشترط الشيخ الطوسي في: "المبسوط" في وجوب الجهاد : ظهور الإمام العادل الذي لا يجوز لهم القتال إلا بأمره ، ولا يسوغ لهم الجهاد دونه ، أو حضور من نصبه الإمام للقيام بأمر المسلمين ، وقال بعدم جواز مجاهدة العدو متى لم يكن الإمام ظاهرا ولا من نصبه الإمام حاضرا ، وقال: "إن الجهاد مع أئمة الجور أو من غير إمام خطأ يستحق فاعله به الإثم، وإن أصاب لم يؤجر وإن أصيب كان مأثوما". واستثنى من ذلك حالة الدفاع عن النفس وعن حوزة الإسلام وجميع المؤمنين إذا دهم المسلمين عدو يخاف منه على بيضة الإسلام.[1133]

وإضافة إلى تلك الجوانب السياسية التي علقها الاثنا عشرية في "عصر الغيبة والانتظار" فقد علقوا أيضا الجوانب الاقتصادية التي ترتبط بالدولة، كالزكاة والخمس والأنفال والخراج وما شابه.. وبالخصوص بعض موارد صرفها، وهي الموارد التي تتعلق بشؤون الدولة و "الإمام" فقد أجازوا لمن وجبت عليه الزكاة أن يتولى إخراجها من ماله وتوزيعها بنفسه، وذلك عند فقد الإمام

1132 - الطوسي، النهاية ص 284

1133 - الطوسي، المبسوط، ص 281

والنائبين عنه، وتعذر إيصالها إليه. وأسقطوا سهم المؤلفة قلوبهم وسهم (سبيل الله) والعاملين عليها من مصارف الزكاة .

ومع سقوط نظرية الدولة في الفكر السياسي الشيعي الاثني عشــري، وتحــريم إقامتها في "عصر الغيبة" تعامل الفقهــاء مع موضــوع الزكــاة من ثلاثة جــوانب، فــأوجبوا الزكــاة من ناحيــة، وأمروا المكلفين بإخراجها وتوزيعها بأنفسهم لعــدم وجــود الإمــام الشــرعي، من ناحية ثانيــة، وأســقطوا حصص العــاملين عليها والمؤلفة قلوبهم والجهاد، من ناحية أخرى .

هكذا أفتى ابن حمـزة في "الوسـيلة إلى نيل الفضـيلة" وابن إدريس في "الســـرائر" والمحقق الحلي نجم الـــدين جعفر بن الحسن في "شرائع الإسـلام" و "المختصر النـافع" والمقـداد بن عبد الله السيوري الحلي في "كنز العرفان في فقه القرآن".

أما في موضوع الأنفال التي ينص القرآن الكريم على أنها لله وللرسـول، فكـان الشـيعة الامامية يعتقـدون أنها للإمـام القـائم مقامه من بعده، خالصة له كما كـانت خالصة للرسـول (ص) في حياتــه، ولا يحق لأحد أن يعمل في شــيء من الأنفــال إلا بــإذن الإمام العادل، فمن عمل فيها بإذنه فله أربعة أخمـاس المسـتفاد منها وللإمـام الخمس. ولما كـان "الإمـام العـادل" في المصـطلح الإمـامي يعـني : "الإمـام المعصـوم المعين من قبل الله تعـالى" وأنه منذ وفاة الإمام الحسن العسكري سنة 260 هــ هو "الإمـام الثاني عشر المهدي محمد بن الحسن العسكري" الذي ولد سـنة 255 هـ وغاب بعد ذلك إلى اليـوم، فانه يصـبح : المالك الحقيقي للأنفال، وكذلك المالك الحقيقي للخمس، وهو قـانون خـاص غـير الزكاة يفرضه الشيعة على المغـانم والأربـاح أيضا، ويعتقـدون أن عليهم تقديمه لله وللرسول وللإمام ولليتـامى والمسـاكين وأبنـاء السـبيل من بـني هاشـم، وأن سـهم الله والرسـول وذي القـربى يجب تقديمه للإمـام (الـذي يمثل ذوي القـربى) والـذي هو اليوم (الإمــام المهــدي المنتظر) كما يجب إعطــاؤه الأســهم الثلاثة الأخرى: أسـهم اليتـامى والمسـاكين وأبنـاء السـبيل، لكي يوزعها على الأصناف الثلاثة من بني هاشم.[1134]

وقد أدى الالتزام بنظرية "الانتظار" إلى الوقوع في أزمة حادة في موضـوع الخمس والأنفـال في "عصر الغيبة"، فمن جهة : إن الإمـام المهـدي هو الشـخص الوحيد صـاحب الخمس والأنفـال،

[1134] - راجع: الطوسي، النهاية ، ص 265

والذي يحق له استلامها وتوزيعها، ومن جهة أخرى : لا سـبيل إلى الوصول إليه لأداء حقوقه، كما لا توجد أية نصوص منه في مسالة توزيعها والتصـــرف فيها في ظل الغيبـــة. ومن هنا فقد احتـــار الفقهــاء في حكم الخمس والأنفــال، وقــال الشــيخ المفيد في : (المقنعــة):" قد اختلف قــوم من أصــحابنا في ذلك عند الغيبــة، وذهب كل فريق منهم إلى مقـــال: فمنهم من يســـقط فـــرض إخراجـه، لغيبة الإمـام، وما تقـدم من الـرخص فيه من الأخبـار. و بعضهم يوجب كنزه، ويتـأول خـبراً ورد: " أن الأرض تظهر كنوزها عند ظهور الإمام، وأنه (ع) إذا قام دلّه الله على الكنـوز فيأخـذها من كل مكان". وبعضهم يـرى صـلة الذرية وفقـراء الشـيعة على طريق الاستصـحاب. وبعضـهم يـرى عزله لصـاحب الأمـر، فـان خشي إدراك المـوت قبل ظهـوره وصّـى به إلى من يثق به في عقله وديانته حـتى يسـلم إلى الإمــام ، ثم إن أدرك قيامه .. وإلا وصّـى به إلى من يقـوم مقامه في الثقة والديانــة، ثم على هــذا الشرط إلى أن يظهر إمام الزمان. وهذا القـول عنـدي أوضح من جميع ما تقــدم، لأن الخمس حق لغـائب لم يرسم فيه قبل غيبته رسـما يجب الانتهـاء إليه فـوجب حفظه إلى وقت إيابه، والتمكن من إيصــاله إليه أو وجــود من انتقل بــالحق إليه ، ويجــري ذلك مجرى الزكاة التي يعـدم عند حلولها مسـتحقها فلا يجب عند ذلك ســـقوطها، ولا يحل التصـــرف فيها على حسب التصـــرف في الأملاك، ويجب حفظها بالنفس أو الوصية إلى من يقـوم بإيصـالها إلى مســتحقها من أهل الزكـــاة من الأصـــناف". وأضـــاف:"إنما اختلف أصــحابنا في هــذا البـــاب لعـــدم ما يلجأ إليه من صــريح الألفاظ ".[1135]

وقد أدت هـذه الحـيرة والغمـوض في موضـوع الخمس في "عصر الغيبة" إلى ظهور عدد من الأقـوال الغريبة المنافية للعقل والقــرآن من قبيل إســقاط الخمس أو دفنه في الأرض أو إلقائه في البحر أو عزله والوصية به إلى يوم ظهور المهدي، وهو الرأي الذي اختاره المفيد وفقهاء آخرون عبر التاريخ، بينما ذهب فقهــاء آخرون إلى تحليل الخمس وإباحته للشيعة في "زمان الغيبة".[1136]

[1135] - المفيد، المقنعة، ص 46

[1136]- جواهر الكلام للشيخ محمد حسن النجفي، كتـاب الخمس، ص 156 و 164 وللمزيد من التفصـــيل راجع المبحث الســـابع من الفصل الأول من الجزء الثالث من كتاب "تطور الفكر السياسي الشـيعي من الشـورى إلى ولاية الفقيه، للمؤلف،

وتـأثرت صـلاة الجمعة بنظرية "الانتظـار" بسـبب اشـتراطهم حضـور"الإمـام المعصـوم" وإجازته لإقامة الصـلاة. ولمـّا كـانوا يقولـون : إن الإمـام المعصـوم غـائب في هـذا العصـر، وإن من شـروط إقامة صـلاة الجمعة حضـور الإمـام أو إذنه، فقد قـالوا بافتقـاد أحد شـروط صـلاة الجمعـة، وهو إذن الإمـام المعصـوم المهدي المنتظر. ونتيجة لذلك قالوا بحرمة أو بعدم وجوب صـلاة الجمعة في "عصر الغيبة". [1137]

وقد انتهوا إلى تعطيل صلاة الجمعة في عصر الغيبة، انسجاما مع نظرية "الانتظـار" الـتي تحـرم إقامة الدولة الإسـلامية لغـير الأئمة المعصومين المعينين من قبل الله تعالى.

إذن فقد أدت نظرية "الانتظار للإمام المهدي الغائب" إلى غيبة الشـيعة الامامية أنفسـهم عن مسـرح الحيـاة السياسـية، وذلك بتحـريم العمل السياسي وإقامة الدولة في (عصر الغيبـة)، وقد كانت هذه نتيجة منطقية لنظرية ولدت ميتة.

الفصل الرابع عشر:

التشيع المعاصر.. ثورة على التشيع "الديني"

بـالرغم من أن الفكر "الاثـني عشـري" الميت لم يكن قـادرا على قيـادة الأحيـاء، و لا حل مشـاكل الحيـاة، إلا أنه ربط أيـدي الشيعة ومنعهم من التحـرك بـدعوى وجـود الإمـام الغـائب الـذي ينتظر أول فرصة سانحة للظهور. ولكن تلك الفرصة لم تـأت منذ أواسط القرن الثالث الهجري إلى اليـوم، مما تـرك فراغـاً كبـيرا في الحيـاة السياسـية والعلمية الشـيعية، اسـتفاد منه الخلفـاء العباسـيون في توطيد عروشـهم والقضـاء على أي أمل بـالثورة عليهم من الشـيعة الاثـني عشـرية، كما اسـتغل أكـثر من أربع وعشرين شخصا (على رأسهم "النواب الأربعة": عثمان بن سعيد العمـــري، وابنه محمـــد، وخليفته النوبخـــتي وعلي بن محمد

[1137] - لمزيد من التفصيل راجع المبحث الثامن من الفصل الأول من الجزء الثالث من الكتاب المذكور.

الصيمري) حكاية وجود الولد (الإمام الغـائب) ، ليـدَّعوا لأنفسـهم "النيابة الخاصة" عنه، ويجبوا المـال من الشـيعة بـدعوى إيصـالها الى "الإمام الغائب" (المهدي المنتظـر). وعـرفت تلك الفـترة بــ "الغيبة الصـغرى" الـتي امتـدت من سـنة 260 هــ (تـاريخ غيبة الإمام) إلى سنة 329 هـ.[1138] (تاريخ وفـاة النـائب الرابع والأخـير الصـيمري). لتبـدأ بعد ذلك الفـترة الـتي عـرفت لاحقا بــ "الغيبة الكبرى" أي الفـترة الـتي لا وجـود فيها لإمكانية اللقـاء الشخصي بالإمام (الغائب) قبل ظهوره الذي لا يعلمه إلا الله تعالى.[1139]

1 - إنهاء "النيابة الخاصة"

وكان موقف "النائب الخاص الرابع" علي بن محمد الصيمري، بإنهاء قصة "النيابة الخاصـة" وعـدم الوصـية إلى رجل من بعـده، والدعوة إلى تكذيب كل من يدعي اللقاء بـ"الإمام الغــائب" بداية

[1138] - كالحسن الشريعي ومحمد بن نصـير النمـيري وأبي هاشم داود بن القاسم الجعفـــري واحمد بن هلال العبرتــــائي ومحمد بن علي بن بلال وإسـحاق الأحمر وحـاجز بن يزيد ومحمد بن صـالح الهمـداني ومحمد بن جعفر بن عون الأسدي الرازي ومحمد بن ابراهيم بن مهزيار والحسـين بن منصـور الحلاج وجعفر بن سـهيل الصـيقل ومحمد بن غـالب الأصـفهاني ، واحمد بن إسحاق الاشعري القمي والقاسم بن محمد بن علي بن ابـراهيم الهمداني ومحمد بن صـالح القمي والقاسم بن العلاء وابنه الحسن ومحمد بن علي الشلمغاني ابن أبى العزاقر ، وأبو دلف الكاتب.

[1139] - ولكن هذا لم يمنع عددا من العلماء والسياسيين في المسـتقبل من ادعاء اللقاء بالإمـام (المهـدي الغـائب) وإقامة علاقة خاصة بـه، كما يـروى عن الشـــيخ محمد بن محمد بن النعمـــان المفيد (- 413 هـــ) أنه تلقى رســـائل خاصة عديـــدة من الإمـــام المهـــدي. كما ذكر الطبرسي في "الاحتجاج" وابن شهر آشـوب في "المنـاقب" أن المفيد أخـرج نسـخا من رسـائل، قـال إن الإمـام المهـدي قد بعثها إلي بواسـطة رجل اعـرابي ، يخاطب فيها المفيد بالأخ السديد والمولى الرشيد والمخلص الناصر وملهم الحق والعبد الصالح الناصر للحق والـداعي إلي بكلمة الصـدق ، وقد رفض المفيد ان يعـرض الرسـائل ، الـتي أوصـلها الأعـرابي إلي ، على أحد من أصحابه، وقال ان ذلك بأمر المهدي ، ولم يـبرز إلى النـاس سـوى رسـائل بخط يـده . (راجـع: النـوري الطبرسـي، خاتمة المسـتدرك، ج 3 ص 518، والجزائري، الأنوار النعمانية ج 2 ص 21، وابن بطريق الحلي، رسـالة نهج العلوم، وقصص العلماء للتنكابني، ص 399) وكـان أبـرز من ادعى اللقـاء بالإمام "المهدي" في القرن العاشر الهجري هو الشاه إسـماعيل الصـفوي (مؤسس الدولة الصـفوية) الـذي ادعى أنه التقى الإمـام في كهف وأمـره بالقيام والخـروج وتأسـيس الدولة الصـفوية في إيـران، مما أكسـبه صـفة شرعية دينية في ذلك الزمان، وحلَّ عقدة "الانتظار" التي تحرم القيام بأية ثورة أو تشكيل أية دولة.

مسيرة الإصلاح الشيعي، بالرغم من أن الصيمري لم يعلن كفـره الصـريح بوجـود ذلك "الإمـام" الـذي كـان محل شك وخلاف بين الشيعة أنفسهم.[1140]

2 - فتح باب الاجتهاد

ثم حدث تطور هام آخر على طريق الإصـلاح عند الشـيعة الاثني عشرية، هو فتح باب الاجتهاد، الذي كان مغلقا ومحرما في الفكر الإمامي الذي كان يحصر العمليات التشريعية في المسائل الحادثة في "الأئمة المعصومين" فقط، منذ عهد البـاقر والصـادق اللـذين شـنا حملة شـعواء على أهل الـرأي والقيـاس والاجتهـاد. ونشأت الحاجة إلى الاجتهاد عند "الاثني عشرية" بعد مـرور مـدة طويلة على انقطـــاع اتصـــالهم بــــ :"مصـــدر العلم الإلهي" أي "الأئمــة" وحــدوث مســائل جديــدة تســتوجب الإجابة عليها، مما اضطر الشيعة لفتح باب الاجتهـاد والقـول بجـواز القيـاس. وكـان أول من قـــال بـــذلك هو الحسن بن عقيل العمـــاني، المعاصر للكليـــني.[1141] ومحمد بن أحمد بن الجنيد الإســكافي في أواسط القــرن الرابع الهجــري.[1142] ثم جــاء الشــيخ المفيد مع تلميذيه الشـريف المرتضى والشـيخ الطوسي في بداية القـرن الخـامس الهجري ليمارسـوا (الاجتهـاد) عمليـاً ويؤسسـوا بـذلك "المدرسة الأصولية" التي شقت طريقها في الحياة منذ ذلك الحين.[1143]

[1140] - ومن الجدير بالذكر أن الإسماعيليين قالوا بالنيابة الخاصة أيضا، بعد سـقوط الدولة الفاطمية في أواسط القـرن السـادس الهجـري، عنـدما تصـــدى بعض مشـــايخهم إلى ادعـــاء الوكالة والنيابة الخاصة عن الإمـــام الإسماعيلي المختفي، ولا يزالون ينقلون الوكالة من واحد إلى آخــر، باسم الأئمة الفاطميين الذين يعيشون في الستر.

[1141] - الذي يصفه الشيخ عباس القمي في :(الكنى والألقاب) بأنه :" أول من هذب الفقه ، واسـتعمل النظر وفتق البحث عن الأصـول والفـروع في ابتداء الغيبة الكبرى" و "كان يرى القول بالقيـاس ويقـول باجتهـاد الـرأي" كما يقول النجاشي في رجاله ، و "أول من أبدع أساس الاجتهاد في أحكام الشريعة" كما يقول الخونساري في: (روضات الجنات) .

[1142] - الذي يصفه الخونساري في :(روضات الجنات) بأنه "قد عمل صريحا بالقياســات الحنفية واعتمد على الاســتنتاجات الظنية" . وهو من مشــايخ المفيد.

[1143] - وكـان الشـيخ المفيد محمد بن النعمـان (تـوفي سـنة 413 هــ) قد رفض في البداية الاجتهـاد ، وردّ على أسـتاذه ابن الجنيد في رسـالة له ، وأنكر في (المســائل الصــاغانية) على العمــاني وابن جنيد اشــتغالهم عن حمل الآثار بالرأي والاستحسان ، وهجرانهم مَن أمَر الله تعالى بصلته وأخذ معـالم الـدين عنه وعن عـترة نبيه ، فـان المفيد قد مـارس الاجتهـاد في

ولم يحدث الأمر بسهولة وسلام حيث لقي "المجتهدون" معارضة واسـعة من "الأخبـاريين" الـذين أصـروا على الاكتفـاء بأحـاديث "الأئمـــة" ورفض "الاجتهـــاد" الـــذي اعتـــبروه تمـــردا على منهج الإمامية وأهل البيت.[1144]

3 - رفض تحريف القرآن

وكــانت أولى ثمــرة لفتح بــاب الاجتهــاد هي مراجعة الأحــاديث الواردة في التراث "الإمامي" الـتي تتحـدث عن تحريف القـرآن، والـتي تـتركز بصـورة رئيسـية حـول موضـوع "الإمامة الإلهيـة" وتدعي حذف أسماء "الأئمـة" من القـرآن وكـذلك حـذف أسـماء أعـــدائهم، وهي أحـــاديث ذكرها محمد بن يعقـــوب الكليـــني في "الكـــافي" ومحمد بن مســـعود العياشي في تفســـيره وعلي بن إبـــراهيم القمي في تفســـيره، ومحمد بن الحسن الصـــفار في "بصائر الدرجات". وسعد بن عبد الله الأشعري القمي في كتــاب "ناسخ القـــرآن ومنســـوخه" وفـــرات بن إبـــراهيم الكـــوفي في تفسيره ، وآخرون .

وكانت روايات التحريف قد انتشرت في القرن الثاني الهجري لدى "الإمامية" الذين نسبوها الى الإمامين البـاقر والصـادق، في محاولة منهم لإثبـات نظرية "الإمامة الإلهيـة" بآيـات صـريحة من القـــرآن، بعد أن رفعـــوا من أمر النظرية إلى مســـتوى العقيـــدة الدينية واعتبروها ركنا مهما من أركـــــان الإســـــلام. ومع أنهم قد

عملياته الفقهية ، مما دفع "الأخبـــــاريين" إلى اعتبـــــاره من رواد مدرسة الاجتهاد . ثم جاء تلميذه السيد المرتضى علم الهدى (توفي سنة 440 هـ) ليفتتح القول بجواز الاجتهاد رسـميا ، ثم جـاء زميله وتلميـذه الشـيخ محمد بن الحسن الطوسي (توفي سـنة 460 هــ) فمـارس الاجتهـاد على أوسع أبوابه وكتب (المبسـوط في فقه الامامية) ، ثم تلتهما المدرسة الأصـولية الحلية ومدرسة جبل عامل وكربلاء والنجف وقم الأصولية المستمرة حـتى اليوم .

1144 - وقد نشـطت المدرسة الإخبارية مجـددا في القـرن الحـادي عشر الهجري في إيران والعراق بقيادة الميرزا محمد أمين الاسترابادي (تـوفي سنة 1036) الـذي شـنّ هجوما عنيفا على المدرسة الاجتهادية (الأصـولية) في كتابه :(الفوائد المدنيـــة) . واتهم المدرسة الأصـــولية بالتـــأثر بـــالفكر الســـني والانحـــراف عن خط أهل الـــبيت والتقليد لهم . ولكن الوحيد البهبهاني زعيم الحوزة العلمية في كـربلاء في نهاية القـرن الثـاني عشر ، تصدى للحركة الأخبارية بقوة ، مما ساعد على تراجعها وانزوائها في بعض الـدوائر العلمية الضـيقة ، ولا تـزال موجـودة إلى اليـوم في صـورة الخط الأخباري الذي يرفض عمليات الاجتهاد والمجتهدين خارج إطار النصوص .

اســتخدموا عمليــات التأويل لكثــير من الآيــات القرآنية لإثبــات مطلبهم، إلا أنهم شعروا بـالعجز عن تحقيق غرضـهم فلجـأوا الى استحداث آيات جديـدة أو التلاعب بآيـات أخـرى وإضـافة كلمـات مثل "علي" أو "آل محمـــــد" إليها من أجل الاســـتدلال بها على نظريتهم. ولما لم يكن المسلمون ولا الشيعة يعرفون تلك الآيات بتلك الصورة، كان الإمـاميون يـدعون على لسـان الأئمة من أهل الـبيت (البـاقر والصـادق) بأنها "والله نـزلت هكـذا".[1145] وكـان الإمامية (أو الغلاة منهم) يدعون أيضا بان القرآن الكامل الصحيح السليم من التحريف موجود عند الأئمة من أهل البيت، وذلك في

[1145] - يروي الكليني عن جابر عن أبي جعفر قـال : قلت له : لم سـمي علي بن أبي طالب أمير المؤمـنين ؟ قـال : الله سـماه ، وهكـذا أنـزل في كتابه " وإذ أخذ ربك من بـــني آدم من ظهـــورهم ذريتهم وأشـــهدهم على أنفسهم ألست بـربكم (وأن محمـدا رسـولي وأن عليا أمـير المؤمـنين) . الكافي، الأصول ، كتاب الحجة : جـ 1 ص 479 .

وروى أيضا عن جابر قال : نـزل جبرئيل عليه السـلام بهـذه الآية على محمد هكـــذا " وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبـــدنا (في علي) فـــأتوا بســـورة من مثله. المصـــدر ، بـــاب فيه نكت ونتف من التنزيل ، ج 1 ص 484

وروى عن أبي بصـير عن أبي عبد الله في قوله تعـالى " سـأل سـائل بعذاب واقع للكافرين (بولاية علي) ليس له دافع ، ثم قـال : هكـذا والله نزل بها جبرئيل عليه السلام على محمد (ص). المصدر، ج 1 ص 490

وروى عن أبي حمزة عن أبي جعفر قـال : نـزل جبرئيل عليه السـلام بهذه الآية هكذا " فأبى أكـثر النـاس (بولاية علي) إلا كفـورا ، قـال : ونـزل جبرئيل عليه الســـلام بهـــذه الآية هكـــذا " وقل الحق من ربكم (في ولاية علي) فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا اعتدنا للظـالمين (آل محمـد) نارا. المصدر ،ج 1 ص 493

وعن جابر عن أبي جعفر قال هكذا نزلت هذه الآية "ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به (في علي) لكان خيرا لهم. المصدر ،ج 1 ص 492

وعن منخل عن أبي عبد الله قـال : نـزل جبرئيل عليه السـلام على محمد (ص) بهذه الآية هكذا : يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا (في علي) نورا مبينا. المصدر ،ج 1 ص 485

وعن جابر عن أبي جعفر قـال : نـزل جبرئيل عليه السـلام بهـذه الآية على محمد (ص) هكذا "بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنـزل الله (في علي) بغيا. المصدر ، ج 1 ص 484

محاولة لجعل "الإمـــام" مهيمنا على القـــرآن ومالكا لتفســـيره وتأويله، أو محتكرا له.

وقد ورث "الاثنا عشرية" تراث "الغلاة من الإمامية" فصدقوا به في القرن الرابع الهجري، ولكن بعضهم استعظم القــول بتحريف القــرآن، فحــاول أن يفسر ذلك بالتأويــل، وأنكر بعضــهم القــول بــالتحريف جملة وتفصــيلا. ووجد بعضـــهم تلازما قويا بين نظرية الإمامة والقــول بــالتحريف، بحيث خشي من التشــكيك بروايــات التحريف لأنه كـــان يقـــوده الى التشـــكيك بنظرية الإمامـــة.[1146] ولكنهم تمسكوا ببعض روايات أئمة أهل البيت التي تدعو الشـيعة الى عــرض الأحــاديث على القــرآن، وضــرب ما يعارضه بعــرض الجدار.

وكان أول من تحرر من روايات التحريف الشيخ محمد بن علي بن بابويه الصدوق (-381 هـ)، الذي عدَّ القول بعدم التحريف من معتقــدات الاماميــة. وقــال في رســالته الاعتقاديــة:"اعتقادنا في القرآن: أن القرآن الـذي أنـزل الله على نبيه هو ما بين الـدفتين، وهو ما في أيدي النـاس، ليس بـأكثر من ذلـك، ومبلغ سـوره عند الناس مائة وأربع عشرة سورة، وعندنا(الضـحى) و(ألم نشـرح) سورة واحدة، و(لإيلاف) و(ألم تر كيف) سورة واحدة، ومن نسب إلينا أنا نقول: إنه أكثر من ذلك فهو كاذب".

ثم جاء بعده الشريف المرتضى علم الهدى (355هـ - 436هـ) فقال:"إن العلم بصحَّة القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار، والوقـائع العظـام المشـهورة، وأشـعار العـرب المسـطورة، فـإن العناية اشتدَّت، والدواعي توفَّرت على نقلـه، وبلغت حـدًّا لم تبلغ إليه فيما ذكرنـــاه؛ لأن القـــرآن معجـــزة النبـــوة، ومأخذ العلـــوم الشرعية والأحكام الدينية، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وعنايته الغاية، حـتى عرفـوا كـلَّ شـيء فيـه، من إعرابه وقراءته

[1146] - قال المجلسي:"كثير من الأخبار الصحيحة صريحة في نقص القــرآن وتغييره، وعندي أن الأخبار في هذا الباب متـواترة معـنى ، وطـرح جميعها يوجب رفع الاعتماد عن الأخبار رأسا ، بل ظني أن الأخبار في هــذا البــاب لايقصر عن أخبار الامامة فكيف يثبتونها بالخبر ؟" مرآة العقول في شــرح أخبــار آل الرســول، الجــزء الثــاني عشر، ص 525 وقــال المحــدث يوسف البحـــراني : " لايخفى ما في هـــذه الأخبـــار من الدلاله الصـــريحه والمقالة الفصـيحة على ما أخترنـاه ووضـوح ما قلنـاه ولو تطـرق الطعن إلى هـذه الأخبــار على كثرتها وانتشــارها لأمكن الطعن إلى أخبــار الشــريعه كلها كما لايخفى إذ الأصول واحدة وكذا الطرق والرواة والمشـايخ والنقلـه". الـدرر النجفيه ، مؤسسة آل البيت لاحياء التراث ص 298

وحروفه وآياته، فكيف يجوز أن يكون مغيَّرًا أو منقوصا مع العناية الصادقة والضبط الشديد؟".

ثم جاء تلميذه وزميله الشيخ الطوسي (385 هـ - 408 هـ) فقال في كتاب (التبيان في تفسير القرآن):" وأمّا الكلام في زيادته ونقصانه ، فممّا لا يليق به أيضاً ، لأنّ الزيادة فيه مجمع على بطلانها ، والنقصان منه ، فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه ، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا".

وجاء من بعدهم أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (460 هـ - 548 هـ) صاحب "مجمع البيان" الذي نفى الزيادة والنقصان في القرآن، وقال:" ذكر السيد الأجل المرتضى، علم الهدى ذو المجد، أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي: أن القرآن كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مجموعا مؤلَّفا على ما هو الآن، واستدلَّ على ذلك بأن القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان حتى إن جماعة من الصحابة، كعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم عدة ختمات، وكلُّ ذلك بأدنى تأمُّل يدلُّ على أنه كان مجموعا مرتَّبا غير منشور ولا مبثوث، وذكر أن مَن خالف من الإمامية والحشوية لا يعتدُّ بخلافهم، فإن الخلاف مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث نقلوا أخبارا ضعيفة ظنُّوا صحَّتها، لا يُرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحَّته . وأما الكلام في زيادته ونقصانه فمما لا يليق به لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانه وأما النقصان منه فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا كما نصره المرتضى وهو الظاهر من الروايات ، غير أنه رويت روايات كثيرة من جهة العامة والخاصة بنقصان آي القرآن ، ونقل شيء منه من موضع إلى موضع ، لكن طريقها الآحاد التي لا توجب علماً فالأولى الإعراض عنها وترك التشاغل بها لأنه يمكن تأويلها، ولو صحت لما كان ذلك طعناً على ما هو موجود بين الدفتين فإن ذلك معلوم صحته لا يعترضه أحد من الأمة ورواياتنا متناصرة بالحث على قراءته والتمسك بما فيه ورد ما يرد من اختلاف الأخبار في الفروع إليه وعرضها عليه فما وافقه عمل عليه وما يخالفه يجتنب ولا يلتفت إليه".

وقال العلامة ابن المطهر الحلي في كتابه:"مبادئ الوصول إلى علم الأصول" :" قال الله تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ. وقال في "تفسير الصراط المستقيم": "أي: إنا لحافظون له من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان".

وقال القاضي نـور الله الشوسـتري في كتابه المسـمَّى بمصـائب النواصب :" ما نُسب إليه الشـــيعة الإمامية بوقـــوع التغـــير في القـرآن ليس مما قـال به جمهـور الإماميـة، إنما قـال به شـرذمة قليلة منهم لا اعتداد بهم فيما بينهم".

واعتبر الشيخ جعفر كاشف الغطاء القول بعدم التحريف مجمعا عليه بين الشيعة الاثني عشرية.[1147] ونسب الشهشهاني في كتابه "العـــروة الـــوثقى" القـــول بعـــدم التحريف الى جمهـــور المجتهـدين.[1148] وحسـبما يقـول السـيد أبو القاسم الخـوئي:"فإن المشهور بين علماء الشـيعة ومحققيهم، بل المتسـالم عليه بينهم هو القول بعدم التحريف".[1149]

ورغم أن الخوئي يؤكد وجـود مصـحف خـاص لأمـير المؤمـنين يغاير القرآن الموجود في ترتيب السـور، واشـتماله على زيـادات ليست في القرآن الموجود، إلا أنه يقــول:"لا دلالة في ذلك على أن هذه الزيادات كانت من القرآن ، وقد أسقطت منه بالتحريف، بل الصحيح أن تلك الزيادات كـانت تفسـيرا بعنـوان التأويـل، وما يــؤول إليه الكلام، أو بعنــوان التنزيل من الله شــرحا للمــراد". ويضـــيف: "لا دلالة في شئ من هـــذه الروايـــات على أن تلك الزيـــادات هي من القـــرآن . وعلى ذلك يحمل ما ورد من ذكر أسماء المنافقين في مصحف أمير المؤمنين - عليه السلام - فإن ذكر أسمائهم لا بد وأن يكون بعنوان التفسير. ويـدل على ذلك ما تقــدم من الأدلة القاطعة على عــدم ســقوط شئ من القــرآن" ويقول أخيراً : "إن وجود الزيادات في مصحف علي عليه السلام وإن كان صـحيحا، إلا أن هـذه الزيـادات ليست من القـرآن، ومما أمر رسول الله (صـلى الله عليه واله وسـلم) بتبليغه إلى الأمة ، فإن الالتزام بزيادة مصحفه بهذا النوع من الزيادة قـول بلا دليـل، مضافا إلى أنه باطل قطعا . ويدل على بطلانه جميع ما تقدم من الأدلة القاطعة على عدم التحريف في القرآن".

ثم يناقش الخوئي الشبهات الـتي يتشـبث بها بعض الأخبـاريين كقـولهم:" إن الروايـات المتـواترة عن أهل الـبيت - ع - قد دلت على تحريف القرآن فلا بد من القـول به". ويجيبهم بــ:" أن هـذه الروايـات لا دلالة فيها على وقـوع التحريف في القـرآن بـالمعنى المتنازع فيـه. وتوضـيح ذلك : أن كثـيرا من الروايـات، وإن كـانت

[1147] - وذلك في بحث القرآن من كتابه "كشف الغطاء".
[1148] - كما يقول السيد الخوئي في "البيان" ص 200
[1149] - الخوئي، البيان، ص 201

ضعيفة السند ، فإن جملة منها نقلت من كتاب أحمد بن محمد السياري، الذي اتفق علماء الرجال على فساد مذهبه، وأنه يقول بالتناسخ، ومن علي بن أحمد الكوفي الذي ذكر علماء الرجال أنه كذاب، وأنه فاسد المذهب إلا أن كثرة الروايات تورث القطع بصدور بعضها عن المعصومين عليهم السلام ولا أقل من الاطمئنان بذلك ، وفيها ما روي بطريق معتبر فلا حاجة بنا إلى التكلم في سند كل رواية بخصوصها. علينا أن نبحث عن مداليل هذه الروايات، وإيضاح أنها ليست متحدة في المفاد، وأنها على طوائف ". ثم يستعرض الخوئي مختلف الروايات المدعية للتحريف، ويقول:" أنا قد أوضحنا فيما تقدم أن بعض التنزيل كان من قبيل التفسير للقرآن وليس من القرآن نفسه، فلا بد من حمل هذه الروايات على أن ذكر أسماء الأئمة - عليهم السلام - في التنزيل من هذا القبيل ، وإذا لم يتم هذا الحمل فلا بد من طرح هذه الروايات لمخالفتها للكتاب والسنة، والأدلة المتقدمة على نفي التحريف . وقد دلت الأخبار المتواترة على وجوب عرض الروايات على الكتاب والسنة وأن ما خالف الكتاب منها يجب طرحه ، وضربه على الجدار" . ويؤكد موقفه هذا مرة أخرى فيقول:"بعد الإغضاء عما في سندها من الضعف - أنها مخالفة للكتاب والسنة ولإجماع المسلمين على عدم الزيادة في القرآن ولا حرفا واحدا حتى من القائلين بالتحريف. وقد ادعى الإجماع جماعة كثيرون على عدم الزيادة في القرآن ، وأن مجموع ما بين الدفتين كله من القرآن . وممن ادعى الإجماع الشيخ المفيد، والشيخ الطوسي، والشيخ البهائي، وغيرهم من الأعاظم قدس الله أسرارهم ...وقد صرح جماعة من الأعلام بلزوم تأويل هذه الروايات أو لزوم طرحها . وممن صرح بذلك المحقق الكلباسي حيث قال على ما حكي عنه : " إن الروايات الدالة على التحريف مخالفة لإجماع الأمة إلا من لا اعتداد به . . . وقال : إن نقصان الكتاب مما لا أصل له وإلا لاشتهر وتواتر ، نظراً إلى العادة في الحوادث العظيمة . وهذا منها بل أعظمها " .

واستعان الخوئي بمجموعة من الروايات الواردة عن أهل البيت والتي تؤكد على ضرورة طرح أية رواية تخالف القرآن الكريم، وذكر من تلك الروايات : ما رواه الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بسنده الصحيح عن الصادق عليه السلام : " الوقوف عند الشبهه خير من الاقتحام في الهلكة، إن على كل حق حقيقة ، وعلى كل صواب نورا ، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف

كتاب الله فـدعوه . . . ". وما رواه الشـيخ الجليل سـعيد بن هبة الله " القطب الراونــدي " بســنده الصــحيح إلى الصــادق عليه السلام : "إذا ورد عليكم حديثان مختلفان فاعرضوهما على كتاب الله، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فـردوه . . . ".[1150]

إن العقبة الكـبرى الـتي حـالت دون رفض بعض الشـيعة لأحاديث التحريف، هي ورودها حسب زعمهم بطرق "معتـبرة" أو "متــواترة" أو مستفيضــة" [1151] وهو ما ســمح لبعض الحشــويين والأخبـــاريين والمحـــدثين كالطبرسي صـــاحب "الاحتجـــاج" والمجلســي، ونعمة الله الجزائـري، ويوسف البحـراني، والنـوري الطبرسـي، بمواصـلة ترديد مقولة تحريف القـرآن رغم الإجمـاع الشيعي الاثني عشري عبر التاريخ على سلامته من التحريف.

وفي الحقيقة لم يكن الشـيعة يسـتطيعون التخلص نهائيا من تلك التهمة الــتي ظلت تلاحقهم حــتى الآن، ولا يســتطيعون، إلا بمراجعة مبـاني الجـرح والتعـديل للـرواة الـذين ينقلـون أحـاديث التحريف كعلي بن إبــراهيم القمي وأبيــه، وأســتاذه الفضل بن شاذان، وغيرهم، أو رفض تلك الدعوى حتى لو صدرت فرضا عن الأئمة أنفسهم، فإن هذا هو منهج أهل البيت الـذي كـانوا يعلمونه لشـيعتهم ويطـالبونهم بعـدم التسـليم لهم أو قبـول كل ما ينسب اليهم، ورد ما يخـالف ضـروريات الـدين حـتى لو صـدر منهم.[1152] خصوصا بعد ثبوت كونهم مجرد رواة للحديث وليسوا مصــدرا من مصـادر الـوحي والتشـريع. وحاشا لأئمة أهل الـبيت أن يتفوهـوا بهكذا أقاويل.

ورغم محاولات التشكيك الـتي قـام بها الحشـوية من الشـيعة وخصومهم من السنة بالتشكيك بموقف العلماء الشيعة المؤكدين والملتزمين بسلامة القرآن، واتهامهم بالتقية ومداراة العامة، فان

[1150] - الخوئي، البيان، من ص 223 الى ص 235

[1151] - قال الشيخ المفيد **:** " إن الأخبار قد جـاءت **مستفيضة** عن أئمة الهـدى من آل محمد بـاختلاف القـرآن وما أحدثه بعض الظـالمين فيه من الحذف والنقصان ". أوائل المقالات، ص 91

[1152] - لقد قال الإمام الصادق تعقيبا على إحدى مقـولات الغلاة:" والله لو ابتلوا بنا وأمرناهم بـذلك لكـان الـواجب أن لا يقبلـوه ، فكيف وهم يـروني خائفا وجلا أسـتعدي الله عليهم وأتـبرأ إلى الله منهم أشـهدكم أني امـرؤ ولدني رسـول الله (ص) وما معي بـراءة من اللـه، إن أطعته رحمـني وإن عصيته عذبني عذابا شديدا أو أشد عذابه". الخوئي، معجم رجال الحديث ، ترجمة المغيرة بن سعيد، والكشي في رجاله.

الواقع يشــهد على رفض عامة الشــيعة - عــبر التــاريخ - لمقولة التحريف الـتي كـان يتبناها الغلاة في القــرون الأولى، والـتزامهم بالقول بسلامة القرآن من الزيادة والنقصان.

4 – جواز الثورة

وقد أدى فتح باب الاجتهاد بالشيعة إلى سلسـلة أخـرى من التطـــورات الإيجابية في مجــــال الفكر السياســــي. ومن تلك التطورات القول بجواز الثورة على الظـالمين في "عصر الغيبـة" خلافا لنظرية:"الانتظـار للإمـام المهـدي" الـتي كـان يتمسك بها "الاثنا عشريون" سابقا والـتي كـانت تحـرم الثـورة وإقامة الدولة في "عصر الغيبة" وترفض استخدام القوة المؤدية إلى الجــرح أو القتل في غيــاب دولة "الإمــام المهــدي" الشــرعية الوحيـــدة الممكنة. وهو ما سـمح للشـيعة عمليا ببنـاء دولهم المسـتقلة هنا وهنــاك. وربما كــان أول من حــاول الخــروج من كهف الغيبة هو الســيد المرتضى علم الهــدى الــذي قــال بجــواز ممارسة القتل والجرح في ســبيل الأمر بـالمعروف والنهي عن المنكر في عصر الغيبة بلا حاجة إلى اســتئذان الإمــام. كما نقل عنه الطوسي في كتابه:"الاقتصاد". وقد تبعه بعد ذلك حمزة بن عبد العزيز الديلمي (سلاّر) ومحمد بن إدريس ، والمحقق الحلي، والعلامة الحلي ، ويحــيى بن ســعيد ، والمقــدس الاردبيلي، والشــيخ محمد حسن الفيض الكاشاني، وآخرون.[1153]

5 – فرضية "النيابة العامة"

وقــام بعض الفقهــاء الشــيعة بــاختراع فرضــية "النيابة العامة للفقهاء عن الإمام المهـدي" ليعطـوا لأنفسـهم شـرعية دسـتورية تســمح لهم بممارسة بعض مهــام "الإمــام المهــدي" في فــترة "الغيبة الكبرى" ويؤسسـوا "المرجعية الدينيـة" كــنمط جديد من "الحكم الديني" بعيدا عن أئمة أهل البيت الذين لا وجــود لهم في الحياة الظاهرة. وهو ما سمح للفقهـاء أن يأخـذوا الأمـوال العامة (الخمس وغـيره) من النـاس باسم "الإمـام المهـدي" ويفرضـوا عليهم نوعا من السلطة السياسية والروحية.

1153 - سلار، المراسم ، ص 261 ابن إدريس، السرائر، ص 160 والمحقق الحلي في (المختصر النـــــــافع)، ص 115 والعلامة الحلي في (تحرير الأحكـام) ص 157 ويحـيى بن سـعيد في (الجـامع للشـرائع) ص 243 والمقدس الاردبيلي في (مجمع الفائـدة والبرهـان) ص 543 والسـبزواري في (كفاية الأحكام) ص 82 والكاشاني في (مفاتيح الشريعة) ج 2 ص 57

6 - ضرورة الدولة

ورغم أن التطور السياسي الشيعي لم يكن حثيثا عبر التاريخ، حيث كـانت كل خطـوة تسـتغرق قرنا أو قرونا من الـزمن حـتى تتبعها خطوة أخرى، إلا أن التطـور كـان يسـير في خط تصـاعدي نحو الأمام، وقد قام الفقهاء الشيعة بمحاولات جريئة للخروج من أزمة "الانتظار للإمام المهدي" التي وقع بها "الاثنا عشرية" نتيجة قـولهم باشـتراط العصـمة والنص في الإمـام، وافـتراض وجـود الإمـام المعصـوم الغـائب. ومن تلك المحـاولات مبـادرة السـيد محمد باقر السبزواري (1018هـ - 1090 هـ) إلى الـدعوة إلى تأسيس نظام سياسي مـدني معقـول، حيث قـال:"لا يخلو زمـان من حجـة، ولكن في بعض الأوقـات يغيب عن أبصـار النـاس لأسباب ومصالح، ولكن العـالم ليس بعيـدا عن ألطافه وبركاتـه... ونحن الآن في هذه الـدورة من الغيبة إذا لا يوجد سـلطان عـادل وقـوي يـدير العـالم ويحكمه ، فـان الأمـور تنتهي إلى الفوضى والهـرج والمـرج وتصـبح الحيـاة غـير قابلة للتحمل بالنسـبة لكل شخص ، لذلك لا بد للناس من الخضوع تحت سـيطرة ملك يحكم بالعدل ويتبع سيرة وسنة الإمام".[1154]

وكذلك مبادرة الشيخ احمد بن محمد مهدي الـنراقي (تـوفي سـنة 1245هـ) إلى بحث مشـكلة الإمامة والسـلطة والولاية العامة وضرورتها في "عصر الغيبة" وطرح نظرية "ولاية الفقيه".

وقد رفض النراقي نظرية "الانتظار" وحتَّم استمرار الإمامة في "عصر الغيبة" وأكد الحاجة الملحة لوجود الإمام الحجة العالم المعلم الهـادي والـداعي إلى سـبيل الله بصـورة ظـاهرةٍ حيويـةٍ متفاعلة مع الأمة.[1155] ولما كـان العثـور على "الإمـام المعصـوم المعين من قبل الله" مسـتحيلا، فقد تخلى الـنراقي عن اشـتراط العصـمة والنص والسـلالة العلوية في الإمـام، وهي أهم أركـان نظرية الإمامة الإلهية، واعتمد على كل أدلة ضرورة الإمامة الـتي كان يستخدمها المتكلمون الامـاميون الأوائل ومن ضـمنها حـديث الفضل بن شاذان عن الإمـام الرضـا، الـذي يتحـدث عن ضـرورة الإمامة والعصمة، فأخذ النراقي الشطر الأول من الحديث وألغى (العصمة) واكتفى بشرط الفقاهة والعدالة.

1154 - حميد عنايت، تفكير نوين سياسي إسلام، ص239

1155 - النراقي، عوائد الأيام، ج15 ، ص422 و425 و137

واعتمد الـنراقي كثـيرا على الأدلة العقلية والإطلالات العامة الـــتي تحتم إقامة الدولة بصـــورة مســـتقلة، وليس بالضـــرورة : بالنيابة العامة عن الإمـــام المهـــدي. كما افـــترض بعض فقهـــاء الشيعة.

ومن هنا يمكن اعتبـار نظرية الـنراقي حـول "ولاية الفقيه" تطورا جذريا في الفكر الشيعي السياسي نحو التحرر من التشيع "الـديني" أو نظرية "الإمامة الإلهية" أكـثر من التحـرر من موقف "الانتظـار".. ولئن كـانت نظريــة: "ولاية الفقيه" قد تعرضت منذ ذلك الحين إلى مناقشـــات حامية من قبل عـــدد من العلمـــاء والمحققين، فإنها نجحت في طرح موضوع "الإمامة" على بساط البحث، وجـاء العلمـاء من بعد ذلك ليبحثـوا المسـألة في ضـوء الحاجة الماسة والمســـتمرة إلى الإمامة والقيـــادة العامة في "عصر غيبة الإمام الذي لا يقوم بمهـام الإمامة". كما فعل الشـيخ رضا الهمداني (- 1310هـ) الذي أسـمى نظرية ولاية الفقيه بــ : "القائمقامية" وذهب إلى " ثبـــــوت منصب الرياسة والولاية للفقيـه، وكـون الفقيه في زمـان الغيبة بمنزلة الـولاة المنصـوبين من قبل السلاطين على رعاياهم في الرجوع إليــه، وإطاعته فيما شــأنه الرجــوع فيه إلى الــرئيس".[1156] وكما فعل الشــيخ محمد حســين النــائيني في نظريته في "المشـــروطية" على أســـاس استحالة التفاف الأمة حول الإمام المهدي المنتظر الغائب وعــدم وجــود الأئمة المعصــومين، وحاجة الأمة إلى قيــادة مشـــروطة بمجلس (برلمان) منتخب منها.

أما الإمام الخميني فقد مهد لنظرية: "ولاية الفقيه" بالحديث عن ضـرورة الإمامة في عصر الغيبـة، كما فعل الـنراقي، وقـال: "إن ما هو دليل الإمامة بعينه دليل على لـــزوم الحكومة بعد غيبة ولي الأمر (ع)". وأضـــــاف: "أما في زمـــــان الغيبة فالولاية والحكومة، وان لم تجعل لشخص خاص، لكن يجب بحسب العقل والنقل أن تبقيا بنحوٍ آخر، لما تقدم من عدم إمكان إهمـال ذلك ، لأنها مما يحتاج إليه المجتمع الإسلامي... والعلة متحققة في زمن الغيبــة، ومطلوبية النظـام وحفظ الإســلام معلومة لا ينبغي لــذي مسكة (عقل) إنكارها".[1157]

وبالرغم من الملاحظات الكثيرة والمهمة على نظرية "ولاية الفقيــه" فإنها تشــكل ثــورة جذرية على نظرية الإمامة الإلهيــة،

[1156] - الهمداني، مصباح الفقيه، ص 161
[1157]- الخميني، كتاب البيع، ص 461 و 462 و466

وذلك لأنها لا تشـــترط العصـــمة ولا النص ولا الســـلالة العلوية الحسينية في الإمام، وتكتفي بالفقه والعدالة، وكذلك تشكل ثورة على نظرية "الانتظار للإمام المهدي" وان كـانت تتمسك بـدعوى النيابة العامة عنه (كما في الفقـــــرة الخامسة من الدســـــتور الإيـراني)، وإن تلك الثـورة هي الـتي أدت إلى نهضة الشـيعة في العصر الحـديث ، وقيـامهم بتأسـيس (الجمهورية الإسـلامية) في إيران .

7 - الديموقراطية الإسلامية

وبينما كان الفقهاء الشيعة المتأخرون، يعززون مبدأ ضرورة إقامة الدولة في "عصر الغيبـة" وجـدوا أنفسـهم في صـراع مع الملوك المسـتبدين الـذين يمتلكـون صـلاحيات مطلقة بلا حـدود، فانتقلوا إلى محطة جديدة في تطورهم الفكـري، وبـدءوا يـدعون إلى "الديموقراطية الإسلامية" وانخـرط بعض العلمـاء في إيـران والعراق (كالشـيخ الآخوند كـاظم الخراسـاني) في القـرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، في حركة متواصلة من أجل تطوير النظـــام السياسي الإيـــراني والعثمـــاني وإصـــلاحهما، وتحديد صلاحيات الملـوك المطلقة بمجلس شـورى منتخب من الشـعب، وطـالبوا أن يحكم الملك حكما دسـتوريا (مشـروطا) بالبرلمـان، ونجحوا في إقامة أول مجلس برلماني دسـتوري في إيـران سـنة 1906م .

وذهب بعض العلماء كالسيد جمال الدين الأصفهاني ، إلى الدعوة لاستبدال النظام الملكي بالنظـام الجمهـوري، حيث أعلن خلال الثورة ضد الملك مظفر الدين القاجـاري سـنة 1905م: إن نظام الحكم الأقرب للإسلام هو النظام الجمهوري.[1158]

وقام أحد أولئك الفقهاء وهو الشيخ محمد حسـين النـائيني (1276 هــ - 1355 هــ) بتطوير نظرية الســلطة والدولة في الفقه الشيعي، ليُشـرك العلمـاء ونـواب الشـعب في إدارة البلاد. فــألف كتــاب " تنبيه الأمة وتنزيه الملة" الــذي أكد فيه على أن أصل الحكومة الإسلامية يقوم على الشـورى، وأن السـلطة حق من حقــوق عامة النــاس . وأشــار إلى ضــرورة تبــني النظــام الـديموقراطي بسـبب عـدم وجـود الأئمة المعصـومين، وصـعوبة التفاف الأمة حول الإمام المهدي المنتظر الغائب .

[1158] - طلال مجذوب: إيران من الثورة الدستورية إلى الثورة الإسلامية ص 80

وانطلق النـائيني من مبـدأ التوحيد والعـدل ليصل إلى ضـرورة العدالة في الحكم، فقـــال:" إن المالكية والقاهرية والفاعلية لما يشاء، والسؤال وعدم المسئولية، من صفات الله تعـالى، فلمـاذا يسـتولي عليها السـلاطين ويتصـفوا بهـا؟" وانتهى إلى القـول:" لمـاذا لا نحـدد السـلطان والسـلطة بالضـرورة القصـوى لخدمة المجتمع وتنفيذ الشريعة؟ لماذا يكون الحاكم حاكما مطلقا ومالكا لرقـاب النـاس وظالما وقهـارا وآسـرا (يفعل ما يشـاء، لا يُسـأل عما يفعل وهم يُســألون)؟.. ولمـــاذا لا نقيد ســـلطة الحـــاكم ونشرطها بحدود؟" . ثم قدم النائيني مفهومين متباينين للسـلطة يقـــوم الأول منهما بجميع درجاته على القـــوة والتعسف والقهر والتسخير والملك للأموال والنـاس وعـدم المسـئولية والاسـتعباد والألوهية. ويقوم الثـاني على الولاية من أجل الخدمـة، وكالةً عن الناس وباسمهم، ويتسم بالأمانة والعدل والمسئولية، ويقوم على الحق والحرية والقانون وحاكمية الله سبحانه وتعالى .

وقال في الفصل الأول من كتابه :" إن مفهـــوم الســـلطة في الإسـلام وسـائر الشـرائع والأديـان وعند العقلاء والحكمـاء على الوجه الثـاني، وإن تحوله إلى الوجه الأول (التعسـفي) من بـدع الظالمين والطغاة". ونظر النائيني إلى الواقع فقال:" إن الحـاكم العادل المثالي لا يوجد وهو كالعنقاء وأعـزّ من الكـبريت الأحمـر، وكـذلك الأئمة المعصـومين غـير موجـودين.. فالحكـام البشر العاديون لا بد من تحديدهم ، وإذا كانت العصمة أو التقـوى تحـدد الحـاكم وتمنعه من الطغيـان والتجـاوز والاعتـداء فإننا يمكن ان نصل إلى هذه النتيجة بالقوانين المسددة الـتي تحـدد الصـلاحيات للحاكم ، وذلك عن طريق:

1 - الدســتور ، الـــذي يحـــدد الحقـــوق والواجبـــات للحـــاكم والمحكومين، وهو بمنزلة (الرسالة العملية) للدولة والمجتمع.

2 - ترسـيخ مبـدأ المراقبة والمحاسـبة والمسـئولية عـبر مجلس شورى من العقلاء والخبراء والقانونيين والسياسـيين ، وهو الـذي يمنع الولاية من التحول إلى الملك والمالكية ، وهو مسـئول امـام الشعب.

وإن حفظ شـرف واسـتقلال أي مجتمع يعتمد على ممارسة الأمة لحاكميتها في حفظ النظـام الـداخلي والتربية العامة وإيصـال كل حق إلى صـــاحبه ورعاية المصـــالح العامة والـــدفاع ضد تـــدخل الأجانب". وقال:" حيث نعجز عن الالتفاف حول الإمام المعصوم

(المهـدي المنتظر الغـائب) وحيث افتقد (نـواب الإمـام العـامون) مقامهم ، ولا نقـدر من إعادته إليهم ، فيجب علينا أن نعيد صـورة الحكم من (المطلقـــــة) الـــــتي هي غصب في غصـــــب، إلى (المشروطة) حيث يتحدد الظلم بالقدر الممكن ".

وتطور الفكر السياسي الشيعي في منتصف القرن العشرين إلى مرحلة جديـدة بـدأ يـؤمن فيها بعض فقهـاء الشـيعة بضـرورة تأسـيس الدولة الإسـلامية، وعــدم الاكتفــاء بمحاســبة ومراقبة الحكـــام والحد من صـــلاحياتهم من خلال الدســـتور، وتمثل ذلك التطور في فكر السيد محمد باقر الصدر، مؤسس حزب الـدعوة الإسلامية، والسيد محمد مهدي الشيرازي مؤسس منظمة العمل الإسـلامي، وبعض الفقهـاء الآخـرين الـذين بـدءوا يـدعون إلى تأسيس الدولة الإسلامية.

ثم جاء الإمام الخميني في نهاية عقد الستينات ليدعو بصراحة إلى الثورة على فكر "الانتظار للإمام المهدي" الـذي كـان يهيمن على الفكر السياسي الشـيعي حـتى وقت قـريب، وقـال في محاضـراته الـتي ألقاها في النجف سـنة 1969 تحت عنـوان "الحكومة الإسلامية" :"بديهي .. إن ضرورة تنفيذ الأحكام لم تكن خاصة بعصر النـبي (ص) بل الضـرورة مسـتمرة.. واعتقـاد: ان الإسلام قد جاء لفترة محدودة أو لمكان محدود يخالف ضروريات العقائد الإسلامية ، وبما ان تنفيذ الأحكام بعد الرسول (ص) والى الأبد من ضـروريات الحيـاة ، لـذا كـان وجـود حكومة فيها مزايا السـلطة المنفـذة المـدبرة ضـروريا ، إذ لـولا ذلك لسـاد الهـرج والمرج... فقد ثبت بضرورة الشرع والعقـل: ان ما كـان ضـروريا أيام الرسول (ص)، وفي عهد الإمام أمير المؤمنين (ع) من وجـود الحكومة لا يـزال ضـروريا إلى يومنا هـذا. ولتوضـيح ذلك أتوجه إليكم بالسؤال التالي: قد مر على الغيبة الكـبرى لإمامنا المهـدي اكثر من ألف عام ، وقد تمر عليه ألـوف السـنين قبل ان تقتضي المصلحة قدوم الإمام المنتظر، وفي طـول هـذه المـدة المديـدة هل تبقى أحكـــام الإســـلام معطلة يعمل النـــاس خلالها ما يشاءون؟.. ألا يلزم من ذلك الهرج والمـرج؟ وهل حـدد الله عمر الشـريعة بمـائتي عـام ؟ هل ينبغي ان يخسر الإسـلام من بعد الغيبة الصغرى كل شيء ؟". وأضاف:"ان الذهاب إلى هذا الـرأي أسوء في نظري من الاعتقاد بـان الإسـلام منسـوخ، فلا يسـتطيع أحد يـؤمن بالله واليـوم الآخر ان يقـول: انه لا يجب الـدفاع عن ثغـور الإسـلام والـوطن ، أو انه يجـوز الامتنـاع عن دفع الزكـاة

والخمس وغيرهما ، أو يقـــول بتعطيل القـــانون الجـــزائي في الإســـلام وتجميد الأخذ بالقصـــاص والـــديات، إذن فـــان كل من يتظاهر بالرأي القائل بعـدم ضـرورة تشـكيل الحكومة الإسـلامية فهو ينكر ضـــرورة تنفيذ الإســـلام ، ويـــدعو إلى تعطيل أحكامه وتجميـدها ، وهو بالتـالي ينكر شـمول وخلـود الـدين الإسـلامي الحنيف". وخاطب الإمام الخميـني الملـتزمين بنظرية "الانتظـار" قـائلا :" لا تقولـوا نـدع إقامة الحـدود والـدفاع عن الثغـور وجمع حقوق الفقـراء حـتى ظهـور الحجة (الإمـام المهـدي) فهلا تـركتم الصلاة بانتظار الحجة؟!". واسقط بالأدلة العقلية الأحـاديث الـتي كانت تحـرم العمل السياسي في ظل "الغيبة" ، ولم يعبأ بها ، ثم استدل على ضـرورة الإمامة في عصر الغيبة، **و**قـال :" ان ما هو دليل الإمامة بعينه دليل على لـــــــــزوم الحكومة بعد غيبة ولي الأمر(ع) ".[1159]

وبعد إثبات الإمام الخميني للحاجة المستمرة إلى الإمامة في " عصر الغيبة" وعدم جواز تجميـدها انتظـارا للإمـام المهـدي، عقلا ونقلا، توصل إلى ضـــرورة إقامة الدولة بقيـــادة من تتـــوفر فيه خصائص الإمامة من العلم بالقانون والعدالة.

وقام الفكر السياسي الشيعي المعاصر على أساس الشورى، وتقبل النظام الديموقراطي الحديث. وهو ما شكل تحـولا جـذريا، وتخلياً عملياً عن نظرية "الإمامة الإلهية" التي كانت تشكل عقدة في علاقته مع بقية الشيعة والمسلمين.

إذن فقد ولد "تشيع جديد" على أنقاض التشيع "الديني" القديم العقيم والميت، وخاصة التشـيع "الاثـني عشـري". وهـذا التشـيع الجديد يقوم على أساس الاجتهاد والثـورة والعـدل والشـورى، أو الديموقراطية، والوحدة الإسـلامية، والعقل والعلم والقـرآن، وهو في هـــذا يلتقي مع الفكر السياسي الإســـلامي العـــام والفكر الإنساني النبيل. ويتطابق تماما مع "التشـيع السياسـي" أو الفكر الشـيعي الأقـدم المعتـدل المتمثل في فكر الحركة الشـيعية في أيـام الإمـام علي بن أبي طـالب والحسن والحسـين، وفي الفكر الزيدي في القرون التالية، سواء في النظرة إلى الإمامـة، أو إلى العلم الشرعي. ويتجلى التطابق بين الفكـرين الشـيعيين القـديم والجديد في اعتبار الإمامة حقا من حقوق الأمة الـتي لها أن تعين من تشاء، وأن العلم الـديني مفتـوح لجميع العلمـاء والمجتهـدين،

[1159] - الخميني، الحكومة الإسلامية، ص 25 -26

وليس علما غيبيا خاصا في ســـلالة معينة أو أشـــخاص معيـــنين "محدَّثين". وعدم النظر إلى أئمة أهل البيت نظرة قدسـية خاصة باعتبارهم جزءا من الدين والعقيدة الإسلامية، وإنما كـأطر مؤقتة في زمانها لقيادة الحركة الشـيعية السياسـية في سـبيل أهـدافها المقدسة.[1160]

الفصل الخامس عشر :

خطوات ضرورية للتحرر من بقايا التشيع "الديني"

بـالرغم من كل التطـورات الجذرية الـتي حصـلت في الفكر السياسي الشيعي المعاصـر، وتخلي الشـيعة عن نظرية "الإمامة الإلهيـة" عمليـا، وعـدم بقـاء أي شـيء منها سـوى الاسم وبعض الـذكريات وشـيء من الـتراث الفقهي وبعض الطقـوس، إلا أن النظرية لا تزال تؤثر في حياة الشـيعة نوعـاً ما وتصـوغ هـويتهم، بعد أن تحولت لديهم إلى "عقيدة دينيـة" خالـدة بسـبب الإيمـان بوجـــود "الإمـــام الثـــاني عشر محمد بن الحسن العســـكري" واستمرار حياته إلى اليوم، مدعما بمجموعة من الأحاديث السنية والشيعية حول "الاثني عشر إماما" الذين يقول الإمامية إن النبي الأكـــرم قد نصَّ عليهم وعينهم أئمة من بعـــده. ومن هنا لا يمكن إنجاز الإصلاح الكامل الشـامل في صـفوف الشـيعة والتحـرر من نظرية "الإمامة الإلهيـة" إلا عـبر مراجعة فرضـية "وجـود الإمـام الثـاني عشر وولادتـه" والقيـام بنقد أحـاديث "الاثـني عشـرية" وتقييمها بصورة موضوعية.

1 - التحرر من أسطورة "المهدي المنتظر"

1160 - كما يقول الإمام علي بن أبي طالب في خطاب له في الكوفة يدعو فيه شيعته إلى نقده ومحاسبته وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، ويقـول فيه:" إني في نفسي لست بفـوق أن أخطيء فلا تكفـوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل".

لقد كان مقدرا لنظرية "الإمامة الإلهية" أن تنتهي تماما في أواسط القرن الثالث الهجري عند وفاة الإمام الحسن العسكري سنة 260 للهجرة، وعدم إشارته إلى وجود ولد له، وعدم وصيته لأحد من بعده بالإمامة، وإدراك كثير من الشيعة الذين كانوا يعتقدون بالإمامة؛ أنهم على خطأ ويعيشون على أوهام.[1161] ولكن قول فريق من الشيعة بوجود ولد مخفي للعسكري وأنه الإمام بعده، ثم تأليف روايات حول "الاثني عشري" أنقد نظرية "الإمامة الإلهية" من الانهيار التام على الصعيد النظري، بالرغم من انهيارها عمليا وفي الواقع منذ ذلك الحين.

ولذلك فمن المهم جدا بحث موضوع ولادة ووجود "الإمام الثاني عشر" والنظرية "الاثني عشرية". وقد بحثت في كتابي السابق "تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه" ذلك بالتفصيل ، وأثبت عدم وجود أدلة شرعية تاريخية على ولادة ذلك "الإمام" الذي يطلق عليه الشيعة عادة اسم "الإمام المهدي" وقلت انه لم يكن سوى فرضية فلسفية. وأرى من المناسب هنا تقديم ملخص عن كيفية نشوء تلك الفرضية و"أدلتها" ثم مناقشتها باختصار.

تقول الرواية التاريخية، التي يعترف بها وينقلها المؤرخون والمتكلمون الشيعة "الاثنا عشريون" كالنوبختي والاشعري القمي والنعماني والصدوق والمفيد: إن الإمام العسكري توفي دون أن يخلف ولدا ظاهرا، وإنه لذلك أوصى بأمواله إلى أمه.[1162] ولكن فريقا من وكلاء العسكري الماليين (وعلى رأسهم الوكيل عثمان بن سعيد العمري) ادعى وجود ولد مخفي للإمام العسكري، وأنه الإمام من بعد أبيه، وأنه المهدي المنتظر. وفسر عدم إشارة أبيه إليه في حياته وعدم وصيته إليه، وعدم ظهوره من بعده، وغيبته، بالتقية والخوف من الأعداء . ونقل الوكلاء قصصا عن ولادة "الإمام" واللقاء به في حياة أبيه وبعد وفاته.

وجاء المتكلمون الإماميون فنظَّروا لذلك الادعاء، واحتجوا بضرورة استمرار الإمامة الإلهية بصورة عمودية وعدم جواز انتقالها إلى أخوين بعد الحسن والحسين. وجعلوا من هذا الكلام حجر الزاوية في عملية الاستدلال على وجود "ولد" للإمام

[1161] - كما يقول النوبختي في كتاب"فرق الشيعة" وسعد بن عبد الله الأشعري القمي في "المقالات والفرق".

[1162] - النوبختي، فرق الشيعة، ص 98 ، والأشعري القمي، المقالات والفرق، ص 110، والمفيد، الفصول المختارة، ص 259

الحسن العسـكري. وقد نسـجوا منـه، ومن بقية القضـايا الكلامية التي توجب العصمة في الإمـام، أو تـوجب النص في أهل الـبيت، دليلاً أسموه بـ : "الدليل العقلي" .[1163]

ثم جاء المحدثون الشيعة في القرن الرابع الهجري، فرووا (أو اختلقوا) مجموعة من الأحاديث على لسان النـبي الأكـرم والأئمة السابقين حول "الإمام الثاني عشر" واسمه وغيبته وما إلى ذلك.

وإذا أردنا أن نناقش أدلة "الاثني عشرية" التي يقـدمونها على ولادة ووجــود "الإمــام الثــاني عشــر" فيكفي أن نـنــاقش الأدلة التاريخيــــة، لأنها الوحيــــدة الــــتي يمكن أن تثبت أو تنفي حكاية الــولادة الســرية. وأما الأدلة العقلية أو النقلية (الروائيــة) فهي مجرد أدلة فرضية غير علمية لا تصمد أمام التحقيق والنقاش، ولا يعقل اســتخدامها لأجل إثبــات حقيقة خارجية كــولادة طفل مثلا، وهي تكشف عن أزمة نظرية مـــــرّ بها ذلك الفريق من الإمامية ممن يشترط توارث الإمامة بصورة عمودية، وعدم جــواز انتقالها إلى أخ أو ابن أخ، أو عمّ أو ابن عمّ، واضـطراره إما إلى التنـازل عن هذا الشرط، أو التسليم بانقطاع الإمامة بعد وفاة العســكري دون خلـف، كما هو الظـاهر من حياتـه، أو افـتراض وجـود ولد له في السر، بالرغم من عدم التصريح به، أو الإعلان عنـه، أو وجـود أي دليل عليه، وتفسير هـذا الغمـوض والكتمـان بالتقية والخـوف من السلطة، بالرغم من عدم وجود مؤشرات تستدعي ذلك .

وإن تسمية عملية الاستدلال النظري على وجود ولد للحسن العسكري، بالـدليل "العقلي"، هو في الحقيقة من بـاب التسـامح والاســتعارة، وإلا فانه أبعد ما يكــون عن الاســتدلال العقلي، إذ يعتمد على مجموعة مقولات نقلية، وبعضها أخبار آحاد بحاجة إلى إثبـات الدلالة والسـند، كمقولة "ضـرورة الوراثة العمودية وعـدم جــواز انتقــال الإمامة إلى أخــوين بعد الحسن والحســين". وأن المناقشة في أية مقدمة من مقدمات الدليل "العقلي" الطويلة ، كضــرورة العصــمة في الإمــام ، وضــرورة النص عليه من الله ، وثبوت الإمامة في أهل الـبيت، وانحصـارها في الـبيت الحسـيني، وكيفية انتقالها من إمــام إلى إمــام، ودعــاوى بقية الأئمة الــذين

1163 - وقد استعرضنا في الجزء الثاني من كتابنـا:"تطـور الفكر السياسي الشيعي" أي "الإمام المهـدي حقيقة تاريخية أم فرضـية فلسـفية؟" أقـوال المتكلمين والمؤرخين الذين استدلوا بالعقل على وجـود وولادة :(محمد بن الحسن العســـكري) وكــــان دليلهم يعتمد على نظرية العصـــــمة والنص والوراثة العمودية في الإمامة .

ادعـــوا الإمامة والمهدوية كمحمد بن الحنفية وابنه أبى هاشـــم، وزيد بن علي، ومحمد بن عبد الله ذي النفس الزكية، وإسـماعيل بن جعفر وأبنائه، وعبد الله الأفطح ومحمد بن علي الهادي .. وما إلى ذلك من التفاصـيل الجزئية في نظرية الإمامة الإلهيـة، من البداية إلى النهايـة، حـتى وفـاة الإمـام الحسن العسـكري .. إن المناقشة في أية مقدمة من تلك المقـــدمات تسد الطريق على الوصول إلى فرضـية: "وجـود ولد للحسن العسـكري". وتؤكد أنه ليس إلا افتراضاً وهمياً، وظناً بغير علم. وقد نهانا الله عـزّ وجـلّ عن اتباع الظن، وخاصة في الأمـور العقديـة، حيث قـال تعـالى:" ولا تقــفُ ما ليس لك به علم، إن الســمع والبصر والفــؤاد، كل أولئك كـان عنه مسـئولاً" (الإسـراء 36) وقـال منتقـداً أصـحاب الـديانات الأخــرى الــذين يبنــون عقائــدهم على الظن والتخمين والافـــتراض :" قل هل عنـــدكم من علم، فتخرجـــوه لنا ؟ .. إن تتبعون إلا الظن، وان أنتم إلا تخرصون!" (يونس 36) وقال:" إن هي إلا أســماء ســميتموها أنتم وآبــاؤكم، ما أنــزل الله بها من سلطان، إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهـــدى".(النجم 23) وقـــال:" وما لهم به من علم، إن يتبعـون إلا الظن، وإن الظن لا يغـني من الحق شـيئا ". (النجم 28)

إذن فلمعرفة حقيقة "الإمــام المهــدي محمد بن الحسن العسكري" لا بد من مراجعة القصص التاريخية الـتي تتحـدث عن ولادته واللقـاء بـه، ولا سـيما ادعـاء "النـواب الخاصـين الأربعـة" (عثمان بن سعيد العمري، وابنه محمد، والنوبخـتي، والصـيمري) والتأكد من رواياتهم.

وعند مراجعة تلك الروايات "التاريخية" حول الولادة المزعومة لابن العسكري، نجد أن المؤلفين الذين أوردوها، أراحـوا أنفسـهم من تهمة الاعتماد على هكذا روايات ضعيفة، وقالوا في البدايـة:" إننا نثبت وجـــود "الإمــام الثــاني عشــر" بــالطرق العقلية (أو الفلسفية أو الاعتبارية أو النظريـة) ، ولسـنا بحاجة الى الروايـات التاريخيـة، وإنما نـأتي بها من بـاب الإسـناد والتعضـيد والتأييـد". وألقـوا عن أنفسـهم عبأ المناقشة العلمية لتلك الروايـات والتأكد من سندها والنظر الى متنها.

وقد كانوا يوردونها من باب "الغريق يتشـبث بكل قشـة" وإلا فـانهم أعـرف النـاس بضـعفها وهزالهـا.. ولو كـانت فرقة أخـرى تستشهد بهكذا روايات على وجود أئمة لها، أو أشخاص من البشر

.. لسخروا منهـا، واسـتهزءوا بعقولهـا، واتهموها بمخالفة المنطق والعقل والظاهر..

إن روايات "الولادة" لم تكن معروفة في فترة ما يسـمى بـ :"الغيبة الصـغرى" حيث لم ينقلها المؤلفـون الـذين قـالوا بوجـود الإمـام الثـاني عشـر، وكتبـوا حـول ذلك في النصف الثـاني من القرن الثالث الهجري، كالنوبختي في "فـرق الشـيعة" وسـعد بن عبد الله الاشعري القمي في "المقالات والفرق" وعلي بن بابويه الصدوق في "الإمامة والتبصرة من الحيرة" ولا من جـاء بعـدهم كمحمد بن أبى زينب النعمـــاني في :"الغيبـــة" أو الكليـــني في "الكافي". وإنما سجلها بعد ذلك بعشرات السنين، كـلٌ من محمد بن علي الصدوق في:"إكمال الدين" (في القـرن الرابـع) والمفيد في :"الإرشـاد" و"الفصـول المختـارة" و الطوسي في "الغيبـة" (في القرن الخامس).

وهي تختلف فيما بينها اختلافا فاحشا وكبيرا بدءا من تحديد هوية أم "محمد بن الحسـن" المفترضـة، ومـروراً بتـاريخ ولادتـه، وانتهـــاء بـــأدق التفاصـــيل.. حيث اختلفت في اسم والدته بين الجارية نـرجس، أو سوسـن، أو صـقيل، أو خمـط، أو ريحانـة، أو مليكة، أو مريم بنت زيد العلوية، وأنها حـرة، أو جارية ولـدت في بيت بعض أخوات الإمام الهـادي .. أو اشـتريت من سـوق الرقيق في بغـداد.. واختلفت تلك الروايـات في تحديد تـاريخ الـولادة في اليوم والشهر والسنة.. واختلفت تبعا لـذلك في تحديد عمـره عند وفـاة أبيه بين سـنتين أو ثمـاني سـنوات. واختلفت في طريقة الحمل في الـرحم أم في الجنب، وفي الـولادة من الفـرج أم من الفخذ! واختلفت الروايات في تحديد لونه بين البياض أو السمرة. واختلفت في طريقة نمـــوه بين الطريقة العادية المتعارفـــة، والقـول بأنه كـان يبـدو عند وفـاة أبيه بهيئة صـبي، وبين الطريقة اللاطبيعية .. واختلفت في هـذه الطريقة بين النمو السـريع في اليوم مثل النمو خلال سنة اعتيادية، أو النمو في اليوم مثل النمو في أسـبوع .. والنمو في الأسـبوع مثل النمو خلال شـهر.. والنمو في شـهر مثل النمو خلال سـنة. وبنـاء على ذلك فانه كـان يبـدو قبل وفـاة أبيه بهيئة رجل كبـير قد يبلغ سـبعين عامـا.. بحيث لم تتعـرف عليه عمته حكيمة واسـتغربت من أمر الإمـام الحسن لها بالجلوس بين يديه.

وقد مضى حوالي اثني عشر قرنا على "غيبة" ذلك الإمام المفــترض "محمد بن الحسن العســكري" ولم يظهــر. رغم أن

غيبته المفترضة تناقض فلسفة وجوده التي يروج لها "الإماميــة"، وهي:" ضـرورة تعـيين الله لإمـام معصـوم من أهل الـبيت ليقيم الحكم الإسـلامي ويقــود المسـلمين ويعلمهم"، مما دعا ويـدعو لإعـادة النظر في وجـود وولادة ذلك "الإمـام". وفي الحقيقة إن كثيرا من الشـيعة الـذين صـدقوا بحكاية وجـود "الإمـام المهـدي" عادوا فتراجعوا عن الإيمان به بعد فترة من الزمن، حسبما يحدثنا النعماني ابن أبي زينب، والصدوق.

2 - نقد النظرية "الاثني عشرية"

ولكن ما دفع بعض الشيعة الآخرين للتصديق بوجـود "الإمـام الغـائب" واسـتمرار حياته لمئـات السـنين، هي الأحـاديث "الاثنا عشـرية" الـتي ظهـرت في القـرن الرابع الهجـري وتحـدثت عن تسمية النبي لقائمة من "الأئمة الاثني عشـر" بأسـمائهم وأسـماء آبائهم وأمهاتهم، وأن آخرهم المهــدي المنتظر "محمد بن الحسن العسـكري" الـذي سـيطول عمـره حـتى يظهر وإن بقي من عمر الدنيا يوم واحد، ليملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملأت ظلما وجورا. مما جعل الشــيعة يعتقــدون بــأن مســألة طــول عمر "الإمــام المهــدي" مســألة غيبية خارقة كطــول عمر النــبي نــوح (عليه السلام). وقد استعرضنا تلك الروايـات في فصل سـابق (التشـيع الاثنا عشـري) وهي جـزء مما تبقى من "التشـيع الـديني" الـذي يعطي "الشيعة الاثني عشرية" اسمهم وهويتهم.

ولكي نتأكد من حقيقة "الاثــني عشــرية" لا بد أن نعــود إلى القــرون الثلاثة الأولى لنكتشف أن الشــيعة لم يكونــوا يعرفــون فكـرة أو اسم "الاثـني عشـرية". ولـو القينا نظـرة على تـراث "الامامية" خلال القـرنين الثـاني والثـالث لوجـدنا نظرية "الإمامة الإلهية" لـديهم مفتوحة وممتـدة إلى يـوم القيامة باعتبارها نظاما سياسـيا دينيا موازيا لنظـام الشـورى المفتـوح إلى يـوم القيامـة، وأنها لم تكن محصورة، ولم تكن تقبل الحصر في عدد محـدد من الأئمة أو في فترة زمنية خاصة، ولذلك لم يشر اليها الشــيخ علي بن بابويه الصــدوق (تــوفي ســنة 329 هـــ) في كتابــه:"الإمامة والتبصرة من الحيرة" كما لم يشر اليها النوبختي في كتابه:"فرق الشـيعة" ولا سـعد بن عبد الله الاشـعري القمي في:"المقـالات والفــرق" وهما من مــؤرخي القــرن الثــالث الهجــري.[1164] وقد

[1164] - حيث يقـول النوبخـتي :" إن الإمامة ستسـتمر في أعقـاب الإمـام الثاني عشر الى يوم القيامة". فرق الشيعة، الفرقة التي قالت بوجود ولد للعسكري.

استعرضنا في فصل (التشيع الديني) بعض الأحـاديث الـتي كـانت تنص على استمرار الإمامة في الأعقاب وأعقـاب الأعقـاب هكـذا أبدا إلى يـوم القيامـة. وتوجد في الـتراث الشـيعي العشـرات بل المئـات من تلك الروايـات الـتي تؤكد على اسـتمرار الإمامة إلى يوم القيامـة، مما يؤكد عـدم تحديد الامامة في عـدد معين، خلال القرنين الثاني والثالث واختلاق نظرية "الاثني عشرية" فيما بعـد. إذ يلاحظ أن تلك الروايـات المتـواترة الـتي تتحـدث عن امتـداد الإمامة إلى يـــوم القيامـــة، عامة ومطلقة ومقصـــودة العمـــوم الإطلاق، أي أنها آبية عن التخصـيص والتقييـد. ونظـراً لأن نظرية "الإمامة الإلهية" كـانت في بـدو نشـوئها ممتـدة إلى يـوم القيامة ولم تكن محددة في عـدد معين من قبـل، فقد كـان من الصـعب حصر أســماء الأئمة في قائمة محــددة، ولــذلك كــانت النظرية تقول بأن النص قد حدث من رسـول الله (ص) على الإمـام علي فقـط، وأن النص على الأئمة الآخـرين يتم من قبل الأول للثـاني وهكـذا إلى يـوم القيامـة. ولم تكن النظرية تـدعي وجـود قائمة مسبقة بأسماء الأئمة "الإثني عشر". بل كانت تعترف أيضا بعـدم وجود النص الصـريح من بعض الأئمة على بعض، فكـانت تتشـبث بالوصـية العادية وتعتبرها دليلاً أو مؤشـراً على الإمامـة، ولما لم تكن توجد أية وصــية على بعض الأئمة من آبــائهم (كالإمــام زين العابــدين)، أو كــانت مشــتركة بين عــدد من اخــوتهم (كالإمــام الكـاظم والرضـا)، فقد كـانت النظرية تقـول أحيانـاً: بـأن دليل الإمامة هو علم الغيب والمعـاجز، أو الكـبر ، أو العلم ، أو حيـازة سيف رسـول الله وما إلى ذلـك.[1165] بل إن روايـات كثـيرة تشـير إلى عدم معرفة الأئمة أنفسهم بإمـامتهم أو إمامة الإمـام اللاحق من بعـدهم إلا قـرب وفـاتهم.[1166] أو تقـول إنهم كـانوا يسـمون شخصا فيمــوت في حيــاتهم ويحــدث "البــداء" (كما حصل مع إسـماعيل بن جعفر الصـادق، ومحمد بن علي الهـادي) فضلا عن عــدم معرفة الشــيعة الامامية الــذين كــانوا يقعــون في حــيرة

[1165] - وهناك أحاديث أخرى كثيرة ، يذكرها الكليني، تعالج مسألة التعرف على الإمــام الجديد من خلال مواصــفات عديــدة ككــبر السن أو طهــارة المولد أو حسن المنشأ أو عدم اللهو واللعب أو الوصية الظاهرة أو الفضل أو علم الغيب ، أو الهـداءة والإطـراق والسـكينة، وهو ما يـدل على امتـداد نظرية الإمامة إلى يوم القيامة ، في طورها الأول ، وعــدم اقتصــارها على عدد محدود.

[1166] - راجع: بصائر الـدرجات، لصـفار، والكـافي للكليـني، وقـرب الإسـناد للحمــيري ، وتفســير العياشــي، والإرشــاد للمفيــد، وإثبــات الهــداة للحر العاملي.

واختلاف بعد وفاة كل إمام، وكـانوا يتوسـلون بكل إمـام أن يعين اللاحق بعده ويسميه بوضوح لكي لا يموتوا وهم لا يعرفون الإمام الجديد (كما فعل زرارة بن أعين الذي مات دون أن يعرف الإمام بعد الصـادق) وإنهم كثـيرا ما كـانوا يقعـون في الحـيرة والجهل ويتبعون أئمة آخرين يتبين لهم فيما بعد أنهم ليسوا أئمة مثلا (كما حدث مع هشام بن سـالم الجـواليقي وأصـحابه الـذين ذهبـوا إلى القـــول بإمامة عبد الله الأفطح ثم غـــيروا رأيهم فقـــالوا بإمامة الكاظم).

ومع ذلك فان نظرية "الاثني عشرية" لم تسـتقر في العقل الإمـامي حـتى منتصف القـرن الرابع الهجـري .. حـتى أن الشـيخ محمد بن علي الصدوق أبدى شـكه بتحديد الأئمة في اثـني عشر إماما فقـط، وقـال:"لسـنا مسـتعبدين في ذلك إلا بـالإقرار بـاثني عشر إماما، واعتقاد كون ما يذكره الثاني عشر بعـده".[1167] وروى عدة روايات حول احتمال امتداد الإمامة بعد الثاني عشـر، وعـدم الاقتصـار عليـه، وكـان منها رواية عن الإمـام أمـير المؤمـنين (ع) حول غموض الأمر بعد القائم ، وان رسول الله (ص) قد عهد اليه :" أن لا يخـبر أحـدا بـذلك إلا الحسن والحسـين". وانه قـال:" لا تسألوني عما يكون بعد هـذا ، فقد عهد إليّ حبيـبي أن لا اخـبر به غير عترتي" . [1168]

ونقل الكفعمي في (المصباح) عن الإمام الرضا، الـدعاء التـالي حول (صـاحب الزمـان): "... اللهم صـلِّ على ولاة عهـده والأئمة من بعده".[1169]

وروى الطوسي : أن رسول الله (ص) قال لعلي:" يا علي إنه سيكون بعدي اثنا عشر إماما، ومن بعدهم اثنا عشر مهديا، فـأنت يا علي أول الاثـني عشر الإمـام ... ثم يكـون من بعـده اثنا عشر مهديا" . [1170]

وعندما نشأت فكرة تحديد عدد الأئمة، بعد القول بوجود وغيبة " محمد بن الحسن العسكري" كاد الشيعة الامامية يختلفون فيما بينهم حول تحديد عددهم باثني عشر أو ثلاثة عشر، إذ بـرزت في ذلك الوقت روايات تقول: بـأن عـدد الأئمة ثلاثة عشـر، وقد نقلها

1167 - الصدوق، إكمال الدين، ص 77
1168 - الصدوق، إكمال الدين، ص 78
1169 - القمي، مفاتيح الجنان، ص 542
1170 - الطوسي، الغيبة ، ص 97

الكليـني في "الكـافي".[1171] وَوُجـدت في الكتـاب الـذي ظهر في تلك الفــترة ونُسِــبَ الى "ســليم بن قيس الهلالي" حيث تقــول إحدى الروايات: ان النبي قال لأمير المؤمـنين : "أنت واثنا عشر من ولدك أئمة الحـق" . وهـذا ما دفع هبة الله بن أحمد بن محمد الكـاتب، حفيد أبي جعفر محمد بن عثمـان العمـري، (الـذي كـان يتعاطى الكلام) لأن يؤلف كتابا في الإمامة، يقـول فيه : إن الأئمة ثلاثة عشـــر. ويضـــيف الى القائمة المعروفة (زيد بن علي) كما يقول النجاشي في (رجاله) .

وقد ذكر المؤرخ الشيعي المسعودي (توفي سنة 345 هــ) في "التنبيه والاشراف":" أن أصل القول في حصر عـدد الأئمة بـاثني عشر ما ذكره سليم بن قيس الهلالي في كتابه" .[1172]

وكـان "كتـاب سـليم" هـذا، قد ظهر في بداية القـرن الرابع الهجري، وتضمن قائمة بأسـماء الأئمة الاثـني عشـر، الـتي يقـول عنها : إنها كانت معروفة منذ عهد رسـول اللـه، وانه هو الـذي قد أعلنها من قبل. وأدى ظهور هذا الكتاب الى تكوّن الفرقة "الاثني عشـرية" في القــرن الرابع الهجــري.. ثم بــدأ الــرواة يختلقــون الروايات شيئا.. فشيئا . وذكر الكليني في (الكافي) ســبع عشــرة رواية ، ثم جـاء الصـدوق بعـده بخمسـين عاما ليزيـدها الى بضع وثلاثين رواية.. ثم جاء تلميذه الخزاز ليجعلها مائة رواية!

وكان اعتماد الكليني والنعماني والصدوق في قولهم بالنظرية "الاثني عشرية" على كتاب سليم الذي وصفه النعماني:" بأنه من الأصــول الــتي يرجع اليها الشــيعة ويعولــون عليهــا". ولكن عامة الشـيعة في ذلك الزمـان كـانوا يشـكون في وضع واختلاق كتـاب سليم، وذلك لروايته عن طريق الكذاب المشهور (محمد بن علي الصــــيرفي أبو ســـمينة) والغـــالي الملعـــون (أحمد بن هلال العبرتائي). وقد قال ابن الغضائري :" كان أصـحابنا يقولـون : إن سليماً لا يُعرف ولا ذكر له... والكتاب موضوع لا مرية فيه، وعلى ذلك علامات تدل على ما ذكرنا ".[1173] وقد ضـعّف الشـيخ المفيد (كتـاب سـليم) وقـال:" إنه غـير موثـوق به ولا يجـوز العمل على أكثره، وقد حصل فيه تخليط وتدليس، فينبغي للمتـدين أن يتجنب العمل بكل ما فيه، ولا يعوّل على جملته والتقليد لروايته، وليفـزع

[1171] - الكليني، الكافي، ج 1 ، ص 534

[1172] - المسعودي، التنبيه والاشراف، ص 198

[1173] - الحلي، الخلاصة، ص 83

الى العلماء فيما تضمنه من الأحاديث ليوقفوه على الصحيح منها والفاسد".[1174] وانتقد الشيخ المفيدُ الصدوقَ، على نقله الكتاب واعتماده عليه، وعزى ذلك الى منهج الصدوق الأخباري، وقال عنه:" إنه على مذهب أصحاب الحديث، في العمل على ظواهر الألفاظ والعدول عن طرق الاعتبار، وهذا رأي يضرّ صاحبه في دينه، ويمنعه المقام عليه عن الاستبصار".[1175]

ومن هنا فقد اعترض الزيدية على الامامية وقالوا:" إن الرواية التي دلّت على أن الأئمة إثنا عشر، قولٌ أحدثه الامامية قريباً، وولّدوا فيه أحاديث كاذبة" . واستشهدوا على ذلك بتفرق الشيعة بعد وفاة كل إمام الى عدة فرق وعدم معرفتهم للإمام بعد الإمام، وحدوث البداء في إسماعيل ومحمد بن علي، وجلوس عبد الله الأفطح للإمامة، وإقبال الشيعة اليه، وحيرتهم بعد امتحانه، وعدم معرفتهم الكاظم حتى دعاهم الى نفسه، وموت الفقيه زرارة بن أعين دون معرفته بالإمام . [1176]

وقد نقل الصدوق اتهاماتهم للامامية بإحداث النظرية "الاثني عشرية" في وقت متأخر، ولم ينفِ التهمة ولم يردّ عليها، وإنما برر ذلك بالقول: " إن الامامية لم يقولوا : إن جميع الشيعة بما فيهم زرارة كانوا يعرفون الأئمة الاثني عشر". ثم انتبه الصدوق الى منزلة زرارة وعدم إمكانية جهله بأي حديث من هذا القبيل، وهو أعظم تلامذة الإمامين الباقر والصادق، فتراجع عن كلامه وقال باحتمال علم زرارة بالحديث وإخفاءه للتقية، ثم عاد فتراجع عن هذا الاحتمال وقال:" إن الكاظم قد استوهبه من ربه لجهله بالإمام، لأن الشاك فيه على غير دين الله ". [1177]

أ - مناقشة الأحاديث السنية

وإضافة الى ذلك فان الأحاديث التي استعان بها أنصار "الاثني عشرية" كانت ضعيفة جدا من حيث المتن والسند، حيث يلاحظ:

1174 - المفيد، أوائل المقالات وشرح اعتقادات الصدوق، ص 247

1175 - المصدر نفسه، ص 242

1176 - الصدوق، إكمال الدين، ص 75 – 76

1177 - المصدر نفسه، ص 76

أولا: أن الروايات السنية تتحدث عن أثـني عشر "خليفـة" أو "أمــيرا" يملك المســلمين، أي بمعــنى: الحــاكم المعــروف، أو: الرئيس، وليس الخليفة بالمفهوم الإمامي بمعنى وصي الرسول ، وهو الذي قصده السائل والمجيب، وبالتالي فإن تلك الأحــاديث لا تنطبق على أئمة الشيعة الذين لم يحكم منهم سـوى الإمـام علي وابنه الحسن.

ثانيا: أن تلك الروايات لا تحدد عدد الخلفاء بعد النـبي، وليست بصدد تبيان هذا الموضوع، وإنما هي تتحــدث عن النصر للأمة إلى فـترة انتهـاء اثـني عشر خليفــة. أو وقــوع بعض الأمــور كـالهرج والمرج، والنقف والنفاق، بعد الاثني عشر.

ثالثــا: أن تلك الأخبــار لا تعــدد الأئمة أو الخلفــاء بالتسلسل العمــودي إبنــاً فإبنــاً كما هو في نظرية (الإمامة الاثـني عشـرية) وبالتالي فقد تنطبق على عدد من الخلفاء القرشــيين من مختلف البيوت ، وبأي شكل جاؤا.

رابعـا: أن تلك الأخبـار المروية عند السـنة لا يلـتزم أحد منهم بمضــمونها، وإن حسَّــنها بعضــهم ســندا فهي ضــعيفة متنــا، ولا مصـداق خـارجي لها .. ويحتمل أن يكـون الأمويـون قد اختلقوها لمكافحة الحركـــات الثورية الشــيعية في بداية القـــرن الثـــاني الهجــري، واتهامها بــالهرج. أو يكــون البعض قد اختلقها لتصــوير انهيـار الدولة الأموية مع انحطـاط الخليفة الثـاني عشـر: الأمـوي وليد بن يزيد بن عبد الملــك، الــذي كــان يشــرب الخمر فمقته الناس لشربه الخمر وخرجوا عليه وقتلوه

خامسا: أن الروايات السنية، ومن بعـدها الشـيعية، لا تنطبق على الأئمة "الاثني عشر" أبدا، لأنهم ببساطة ليسوا "اثني عشر" وإنما "أحد عشــر" حيث لم يثبت شــرعا ولا تاريخيا ولادة ووجــود ابن للإمام الحسن العسكري.

سادسا: أن الشيعة الإمامية لم يعترفوا بصـحة تلك الروايـات طوال القرنين الثاني والثالث، ولم يذكروها في كتبهم.

ب - مناقشة الروايات الشيعية

وأما الأحاديث الشيعية حول "الاثني عشرية" فإنها أيضا ضعيفة من حيث المتن والســند، ولا تشــكل أية حجـــة، لأنها واردة عن طريق الفرقة "الإثـني عشـرية" وهم متهمـون بوضـعها واختلاقها لدعم مـذهبهم الجديـد، في القـرن الرابع الهجـري.[1178] ولـذلك لا

1178 - وكانت الفرقُ الشيعية الأخرى كالإسماعيلية والواقفية والفطحية، قد اتهمت "الاثــني عشــرية" بوضع واختلاق تلك الأحــاديث في زمن متــأخر .

حجية فيها ولا تشـــكل دليلا شـــرعيا على حصر الأئمة في عـــدد معين، فضلا عن ضـعف نظرية "الإمامة الإلهية لأهل الـبيت" من أساسـها، وعـدم ثبـوت تبـني "الأئمـة" أنفسـهم لهـا، كما بينا في الفصول الماضية.

إن الشك بأحاديث الفرق، المؤيدة لنفسـها، كـان شـكا منهجيا معقـولا اتبعه حـتى الاثـني عشـرية أنفسـهم في نقـدهم للفـرق الأخرى. فقد رفض الشيخ الطوسي في "الغيبة" أحاديث صحيحة يرويها ثقاة "الواقفية" الذين لا يشك بصدقهم، لأنهم متهمون بجر النـار إلى قرصـهم ومحاولة تأييد مـذهبهم ، فقـال:" أما ما ترويه الواقفة فكلها أخبار آحاد لا يعضـدها حجة ، ولا يمكن ادعـاء العلم بصـحتها ، ومع هــذا فــالرواة مطعــون عليهم ، لا يوثق بقــولهم وروايـاتهم ، وبعد هـذا كله فهي متأوّلـة".[1179] وقـال في رد خـبر أورده علي ابن أبي حمـزة : "هـذا خـبر رواه ابن أبي حمـزة وهو مطعــون عليه وهو واقفي".[1180] وأضــاف:" إذا كــان أصل هــذا المـذهب (الوقـف) أمثـال هـؤلاء كيف يوثق بروايـاتهم أو يعـوّل عليهـا؟..واما ما روي من الطعن على رواة الواقفة فـأكثر من ان يحصى وهو موجود في كتب أصحابنا".[1181] وقال أيضا:"والطعــون على هــذه الطائفة اكــثر من أن تحصى ...فكيف يوثق بروايــات هؤلاء القوم؟..وهذه أحوالهم وأقوال السلف فيهم ، ولولا معانـدة من تعلق بهذه الأخبار التي ذكروها لما كـان ينبغي أن يصـغى إلى من يذكرها".[1182]

وإذا أردنا استخدام منطق الطوسي نفسه فانه يمكن القـول إن الروايات التي يوردها أصـحاب النظرية "الاثـني عشـرية" كلها أخبار آحاد لا يعضدها حجة ولا يمكن الادعاء بالعلم بصـحتها ، ومع هـذا فـالرواة مطعـون عليهم، لا يوثق بقـولهم وروايـاتهم ، لأنهم يجرون النار إلى قرصهم ، ثم إن رواياتهم أخبار متأولة.

ومع ذلك فان تلك الأحـاديث ضـعيفة بمقـاييس علم الدراية والرجال عند "الاثني عشرية" أنفسـهم، فهي متناقضة أو مرسـلة أو مروية عن ضعاف أو كذابين أو غلاة أو مهملين أو مجهـولين أو مختلقين، أو تحتـوي على أسـاطير صـارخة أو تخـالف الحقـائق

راجع : الصدوق: إكمال الدين ص 67

1179 - الطوسي:الغيبة 29

1180 - المصدر 37

1181 - المصدر 44

1182 - المصدر 46

التاريخية الثابتـة. وخصوصـا: انها مروية في فـترة الحـيرة الـتي أعقبت وفاة الإمام الحسن العسكري سنة 260 ، وينهونها عادة إلى رجال من الفـرق الشـيعة الأخـرى كالكيسـانية أو الواقفية أو الزيدية أو الفطحية أو غـيرهم ممن لا يـؤمن بالإمامة أصـلا، فضلا عن "الاثني عشرية". وذلك من اجل الإيحاء بصدورها وتأييدها من قبل الخصوم.[1183]

وإذا نظرنا في الروايـتين الأولـيين (رواية جـابر والخضـر)[1184] فسوف نجد أنهما لا تحددان الأئمة في إثني عشـر، وإنما تـذكران أسماء إثني عشر منهم فقط، ولا تذكران ماذا سـوف يحـدث بعد الثاني عشر، هل تنتهي الدنيا؟ أم تسـتمر الإمامة في عقبـه؟ كما كـان يقـول بعض الشـيعة الإمامية حـتى أواسط القـرن الرابع الهجري (كالشيخ محمد بن علي الصـدوق في "إكمـال الـدين") . وأن (رواية جابر) متناقضة في كثير من النقاط مع رواية الصدوق لهـا، مما ينـبئ بوضـعها واختلاقها والتلاعب بها من قبل الـرواة. حيث يقول محمد بن علي الصـدوق:" لما احتضر أبو جعفر محمد بن علي الباقر (ع) عند الوفـاة دعا بابنه الصـادق فعهد إليه عهـدا فقال له أخوه زيد بن علي بن الحسين :

ـ لو امتثلت فيّ تمثال الحسن والحسين لرجوت أن لا تكون أتيتَ منكرا ، فقال :

ـ يا أبا الحسن إن الأمانـات ليست بالتمثـال ، ولا العهـود بالرسوم وإنما هي أمـور سـابقة عن حجج الله تبـارك وتعـالى ، ثم دعا بجابر بن عبد الله فقال له : يا جابر حـدثنا بما عـاينت في الصحيفة ؟ فقال له جابر:

ـ نعم يا أبا جعفر دخلت على مولاتي فاطمة لأهنئها بمولـود الحسن فإذا هي صـحيفة بيـدها من درة بيضـاء ، فقلت: يا سـيدة النسوان ما هذه الصحيفة الـتي أراها معك ؟ قـالت فيها أسـماء الأئمة من ولدي، فقلت لها : ناوليني لأنظر فيها، قـالت : يا جـابر لولا النهي لكنت افعل لكنه نهي أن يمسـها إلا نـبي أو وصي نـبي أو أهل بيت نــبي ، ولكنه مــأذون لك ان تنظر إلى باطنها من ظاهرها .. قال جابر : فقرأت فإذا فيها:

أبو القاسم محمد بن عبد الله المصطفى أمه آمنة بنت وهب .

[1183] - راجع الملحق المتعلق بنقد وتقـييم رواة أحـاديث "الاثـني عشـرية" وخصوصا كتاب "كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثـني عشـر" للخـزاز ، الذي يعتبر أول كتاب حول الموضوع يصدر في أواخر القرن الرابع الهجري

[1184] - راجع فصل "التشيع الاثنا عشري".

أبو الحسن علي بن أبي طالب المرتضى أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف .

أبو محمد الحسن بن علي البر .

أبو عبد الله الحسين بن علي التقي أمهما فاطمة بنت محمد .

أبو محمد علي بن الحسين العدل أمه شهربانويه بنت يزدجرد ابن شاهنشاه .

أبو جعفر محمد بن علي الباقر ، أمه فاطمة بنت الحسن بن علي.

أبو عبد الله جعفر بن محمد، أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر.

أبو ابراهيم موسى بن جعفر الثقة أمه جارية اسمها حميدة .

أبو الحسن علي بن موسى الرضا أمه جارية اسمها نجمة .

أبو جعفر محمد بن علي الزكي أمه جارية اسمها خيزران .

أبو الحسن علي بن محمد الأمين أمه جارية اسمها سوسن .

أبو محمد الحسن بن علي الرفيق أمه جارية اسمها سمانة وتكنى بأم الحسن .

أبو القاسم محمد بن الحسن هو حجة الله على خلقه القائم أمه جارية اسمها نرجس صلوات الله عليهم أجمعين" .[1185]

وكما يلاحظ فإن رواية الكليني تقول: إن نزول اللوح حدث في ميلاد الحسين بينما تقول رواية الصدوق : إنه نزل في ميلاد الحسن.

وتقول رواية الكليني : إن الصحيفة كانت خضراء كأنها زمرد، بينما تقول رواية الصدوق : إنها درة بيضاء .

وتقول رواية الكليني : إن الزهراء قد أعطت جابر الصحيفة فقرأها واستنسخها ، بينما تقول رواية الصدوق: إنها رفضت أن يمسها، وسمحت له أن ينظر إلى باطنها من ظاهرها.

ويختلف نص رواية الكليني تماما وبشكل جوهري عن نص رواية الصدوق .

وتذكر رواية الكليني أسماء الأئمة الاثني عشر من دون ذكر أسماء أمهاتهم ، بينما تذكر رواية الصدوق أسماء الأمهات وأسماء آباء أمهات خمس أو ست أئمة فقط ولا تذكر أسماء آباء

1185 - الصدوق:إكمال الدين وإتمام النعمة باب 27 ص 305

أمهات بقية الأئمة الآخرين الذين كانت أمهاتهم جواري. وفي هـذا أيضا ما يــدل على الوضــع، فلو كــانت الصــحيفة من الله لــذكر أسماء أمهاتهم وآبائهم.

وتقـول رواية الكليـني: إن البـاقر طلب من جـابر أن يحدثه بقصة اللــوح، في أحد أيــام حياته العاديــة، وانه مشى إلى بيت جــابر، بينما تقــول رواية الصــدوق: إن البــاقر دعا جــابر لرواية القصة على مسامع زيد الذي اعترض على وصية الباقر للصــادق، عند احتضاره سنة 114 أو 116 هـ. علماً بأن الإمـام الصـادق لم يدرك جابر بن عبدالله الـذي تـوفي سـنة 73 أو 78 ، حيث ولد بعده بسنوات (في سنة 83).

وإضافة إلى ذلك تقول رواية الكليني: "إن الله قد وضع أعباء النبوة على علي الرضا". وهذه فكرة من أفكار الغلاة .

وهناك عدة أسئلة مثيرة أخـرى على الرواية بصـورة عامـة.. منها: أن الله تعالى لم ينزل القـرآن الكـريم مكتوبا في صـحيفة، فكيف أنـزل هـذا اللـوح بهـذه الصـورة؟ ..ولمـاذا لم يحتفظ أهل البيت بهذه "الزمردة السـماوية" ويعرضـوها أمـام النـاس لتكـون أكبر دليل على إمـامتهم؟ وهل كـان أمر اللـوح سـريا؟ أم علنيـا؟ فإذا كان سريا، فكيف علمه جابر؟ ولماذا أخبرته فاطمة الزهــراء بـه؟ وإذا كـان علنيـا، فلمـاذا لم يعـرف بقية المسـلمين بـالخبر؟ خاصة وأنه كــان في الســنة الرابعة للهجــرة، ولمــاذا لا توجد أية إشــارة إلى أن الأئمة قد تحــدثوا عن هــذا اللــوح الســماوي أو استشهدوا به في يوم من الأيام ؟

وهذا ما يثبت اختلاق هذه القصة في عصر "الحيرة" بعد تكّون النظرية "الاثني عشرية" في القرن الرابع الهجري.

ومما يؤكد اختلاق قصة اللوح والقائمة المسبقة ، الحديث الذي يرويه الكليــني عن الإمــام البــاقر حــول وصــية الســيدة فاطمة الزهراء والتي جاء فيها :"بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصت به فاطمة بنت محمد رسول الله (ص) أوصت بحوائطها الســبعة: العواف، والـدلال، والبرقـة، والميثب، و الحسـنى، والصـافية، وما لأم إبــراهيم إلى على بن أبى طــالب ، فــان مضى علي فــإلى الحسن فـان مضى الحسن فـإلى الحسـين فـان مضى الحسـين فإلى الأكـبر من ولدي. شـهد الله علي ذلك والمقـداد بن الأسـود والزبــير بن العــوام وكتب على بن أبى طــالب".[1186] ولم تسم

[1186] - الكليني، الكافي، كتـاب الروضـة، ح رقم 300، 13 – 5 و ح رقم 301، 13 - 6

الزهراء في هذه الوصية أسماء الأئمة القادمين، أو الإثـني عشـر، وإنما تركت الوصية مفتوحة في الأكبر من ولدها.

وأما (رواية الخضر) فهي أيضا عجيبة غريبة، وتدعي إختبار الخضر للإمام علي وعدم معرفته مسبقا أنه إمام، وسؤاله أسئلة لا علاقة لها بالإمامة. إضـافة إلى أن الرواية لم تثبت نسـبتها إلى أبي هاشم الجعفري، حيث يحتمل أن تكـون من أنـاس متـأخرين، وحتى إذا ثبتت فهي ضـعيفة وتحتمل الاختلاق منـه، لعـدم معرفة الأئمة السـابقين وعامة الشـيعة بها خلال القـرون الثلاثة الأولى الماضية، واختلافهم عقب كل إمام للجهل بخليفته، وسـؤالهم كل مرة من كل إمام مَن خليفته بعده؟

ونظراً لوجود الشك المعقول والمعتـبر بهـذه الروايـة، فقد حاول راويها (محمد بن يحيى) أن يرقعها فقال إنه عبر عن شـكه للراوي الثاني: (محمد بن الحسن الصفار) بالراوي الثـالث (أحمد بن أبي عبد الله) ، وسـأله: يا أبا جعفر وددت أن هـذا الخـبر جـاء من غير جهة (أحمد بن أبي عبد الله) قال: فقال: لقد حدثني قبل الحيرة بعشر سنين.[1187]

وأما رواية سـليم بن قيس عن عبد الله بن جعفر الطيـار فهي تنضح بالأساطير من كل جانب، إذ أن شخصـية سـليم نفسـها في محل شك، ويحتمل أن يكـــون مختلقا وشخصـــية أســـطورية، ورواياته ضعيفة عند الشيعة أنفسـهم، وهو ينقلها عن عبد الله بن جعفر الــذي كــان صـغيرا في زمــان رسـول اللــه، هو والحسن والحسين فكيف يشـهدهم؟ ثم إن الرواية تقحم اسم معاوية وأن عبد الله بن جعفر قال له الحـديث، في محاولة لإعطـاء الحـديث مصداقية أكبر، ويعود سليم ليقول إنه سمع ذلك من سلمان وأبي ذر والمقداد وذكروا أنهم سمعوا ذلك من رسول الله (ص).[1188]

وأما حـديث أبي الطفيل الـذي يقـول أنه شـهد الإمـام علي يقول ليهودي:" يا هاروني إن لمحمد اثني عشر إمـام عـدل" فهو بالإضافة إلى ضعف السند، يعـاني من ضـعف المتن، حيث يقـول إن الإمام علي كان يتحدث مع يهـودي حـول الأئمة الإثـني عشـر، في حين كان ينبغي عليه أن يتحدث معه حول الإسلام، ثم يضيف بـــأن اليهـــودي قد صـــدقه وذكر أنه وجد أســـماءهم في كتب

[1187] - الكافي، كتاب الحجة، باب في الاثني عشر والنص عليهم، ح رقم 2
[1188] - الكافي، كتاب الحجة، باب في الاثني عشر والنص عليهم، ح رقم 4

هــارون.[1189] وهــذا من الخيــال الــذي لا يوجد في أي نســخة من التوراة، وإذا كان ذلك صحيحا فلماذا لم يسلم اليهودي من قبــل؟ علما بأن أبا الطفيل كــان كيســانيا، قبل تبلــور نظرية الإمامة في ذرية فاطمة.

وكذلك رواية الأشباح الأســطورية، الموضــوعة من قبل الغلاة، والتي لا يوجد عليها أي شاهد من القرآن الكريم أو الســنة النبوية أو أحاديث أهل البيت الصحيحة.

وأما رواية الأوصياء الإثني عشر للنبي محمد (ص)، فهي تحاول استخدام القيــاس الباطل على ما تدعيه من وجــود أوصــياء إثــني عشر للنــبي عيسى (عليه الســلام) .[1190] وهــذا غــير ثــابت وغــير صــحيح، حيث لم يكن له اثنا عشر وصــيا وإنما كــان له اثنا عشر صحابيا، والفرق بينهما كبير، ومن ثم لا يصح القياس.

وأما رواية الملائكة الذين استأذنوا ربهم بإهلاك الخلق عند قتل الحسين، فهي رواية عن الله تعالى دون سند من نبي أو رســول، ويكفيها بذلك كذبا واختلاقا.

وأما رواية ابن عبــاس عن "الأئمة المحدَّثين"، فهي مرفوضة لأنها تتحــدث عن نــزول الملائكة على الأئمة بعد النــبي. وقد بينا ضعف هذه الروايات وتناقضها مع القــرآن الكــريم وخاتمية النــبي محمد (ص) في فصول سابقة.

وربما كــانت رواية عــودة النــبي للحيــاة وتحدثه مع أبي بكر ومطالبته بإعادة الخلافة للإمام علي، من أبرز الأمثلة على الوضع والاختلاق، وكأن النبي لم يكتف بإبلاغ الناس في حياته حــتى جــاء يوعظ أبا بكر بعد وفاته. ومع ذلك فإنها لم تكتف بقول النبي له:" يا أبا بكر آمن بعلي" وإنما أضافت "وبأحد عشر من ولده".[1191]

وأما روايات زرارة فيكفي للكشف عن كذبها واختلاقها، مــوت زرارة حائرا دون أن يعرف الإمام بعد الصادق، بــاعتراف الإمامية ومشايخ الإثني عشرية، وقد ذكرناه من قبل.

[1189] - الكافي، كتاب الحجة، باب في الاثني عشر والنص عليهم، ح رقم 5 و ح رقم 8

[1190] - الكافي، كتاب الحجة، باب في الاثني عشر والنص عليهم، ح رقم 10

[1191] - الكافي، كتاب الحجة، باب في الاثني عشر والنص عليهم، ح رقم 13

وإضافة إلى ذلك فإن الكليني نفسه، ينقل في "الكافي" عن سليم بن قيس الهلالي أحاديث تذكر أن عدد الأئمة ثلاث عشر. وأن رسول الله (ص) قال:" إني واثني عشر من ولدي وأنت يا علي زر الأرض يعني أوتادها وجبالها، بنا أوتد الله الأرض أن تسيخ بأهلها، فإذا ذهب الاثنا عشر من ولدي ساخت الأرض بأهلها ولم يُنظروا".[1192] وأنه قال: " من ولدي اثنا عشر نقيبا، نجباء، محدثون، مفهمون، آخرهم القائم بالحق يملاها عدلا كما ملئت جورا".[1193] وهذا ما يضعف حديث "الإثني عشرية".

تقييم سند روايات "الإثني عشرية" الشيعية

هذا ويلاحظ أن في روايات الكليني (- 329) مجموعة من الكذابين والغلاة والمجاهيل ، وعلى رأسهم :

1 ـ محمد بن الحسين بن سعيد الصائغ ، الضعيف الغالي.
2 ـ سهل بن زياد ، الكذاب الشهير.
3 ـ الحسن بن العباس بن الحريش ، الكذاب الغالي الكبير.
4 ـ أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري ، الغالي الضعيف.
5 ـ علي بن ابراهيم ، الغالي الضعيف.
6 ـ احمد بن محمد بن خالد ، الضعيف .
7 ـ معلى بن محمد ، المضطرب الضعيف.
8 ـ أبو علي الاشعري ، المجهول.
9 ـ الحسن بن عبيد الله ، المجهول.
10 ـ عبدالله بن محمد الخشاب ، المجهول.

بينما يوجد في روايات الصدوق (ــ 381) حوالي عشرين مصدرا رئيسيا من الرواة الغلاة والضعاف والكذابين ، من أمثال:

1 ـ سهل بن زياد.
2 ـ الحسن بن العباس بن الحريش.
3 ـ جعفر بن محمد بن مالك الفزاري.
4 ـ احمد بن محمد بن خالد
5 ـ علي بن احمد الكوفي ، المخمس الغالي
6 ـ محمد بن الحسن الصفار
7 ـ يعقوب بن يزيد
8 ـ علي بن عاصم
9 ـ حمزة بن محمد القزويني

1192 - الكافي، كتاب الحجة، باب في الاثني عشر والنص عليهم، ح رقم 17
1193 - الكافي، كتاب الحجة، باب في الاثني عشر والنص عليهم، ح رقم 18

10 ـ سعد بن عبدالله
11 ـ محمد بن همام
13 ـ محمد بن الحسين بن أبي الخطاب
14 ـ جعفر بن محمد بن مسرور
15 ـ احمد بن الحسن القطان
16 ـ أبو زيد محمد بن يحيى بن خلف
17 ـ الحسن بن موسى الخشاب
18 ـ عبدالله بن مسلم الدمشقي ، مدعي الوكالة عن المهدي
19 ـ احمد بن محمد بن أبي عمير
20 ـ عبدالله بن جعفر الحميري

وإذا نظرنا إلى رواة أحـاديث "الإثـني عشـرية من خلال كتب الرجال الشيعية الإثني عشرية، فسوف نجد ما يلي:

1- **محمد بن احمد بن يحيى بن عمران بن عبدالله بن سعد بن مالك الاشعري القمي أبو جعفر.**

الطوسي في الفهرست: اخبرنا بجميع كتبه وروراياته عدة من أصحابنا ...إلا ما كان فيه من تخليط ...

و النجاشي: ان أصحابنا قالوا : كان يروي عن الضـعفاء ويعتمد المراسـيل ولا يبـالي عمن اخذ ... وكـان محمد بن الحسن بن الوليد يسـتثني من روايته ما رواه عن : محمد بن موسى الهمـداني، أو عن رجـل، أو يقـول : بعض أصـحابنا ، أو عن محمد بن يحـيى المعـاذي، أو عن أبي عبد الله الـرازي الجـاموراني، أو عن أبي عبد الله السـياري ، أو يوسف بن السـخت ، أو وهب بن منبه ، أو أبي علي النيشابوري ، أو محمد بن علي أبو سمينة ، أو يقـول : في حـديث أو في كتـاب ولم اروه ، أو سـهل بن زيـاد الآدمي ، أو محمد بن عيسى بن عبيد بإسـناد منقطع ، أو أبو يحيى الواسطي ، أو احمد بن هلال، أو محمد بن علي الهمـذاني، أو عبد الله بن محمد الشـامي، أو عبد الله بن احمد الـرازي، أو احمد بن الحسين بن سعيد ، أو احمد بن بشير الـرقي ، أو محمد بن هـارون ، أو ممويه بن معـروف ، أو محمد بن عبد الله بن مهـران ، أو الحسن بن الحسـين اللؤلـؤي ، أو جعفر بن محمد مالك ، أو يوسف بن الحـارث ، أو عبد الله بن محمد الدمشـقي ..

وهو يـروي عن: محمد ابن الحسـين بن سـعيد الصـائغ (- 269) الضـعيف الغـالي، الـذي يقـول عنه ابن الغضـائري: كـوفي غـال ضعيف لا يتلفت إليه. ويقول النجاشي: ضعيف جدا، قيل انه غـال .

2- **سهل بن زياد أبو سعيد الآدمي الرازي**
يقول عنه النجاشي: كان ضعيفا في الحديث غير معتمد فيه ، وكان احمد بن محمد بن عيسى يشهد عليه بالغلو والكذب ، وأخرجه من قم إلى الري وكان يسكنها.كما ضعفه الطوسي في الفهرست وقال: ضعيف . وقال ابن الغضائري: كان ضعيفا جدا فاسد الرواية والمذهب ، وكان احمد بن محمد بن عيسى الاشعري أخرجه من قم وأظهر البراءة منه ونهى الناس عن السماع منه والرواية ، ويروي المراسيل ويعتمد المجاهيل. وضعّفه العلامة الحلي في الخلاصة وجملة من كتبه الفقهية كـ (المنتهى) و (المختلف) وغيرهما. وضعّفه ابن داود في (رجاله) . وقال المامقاني: (التضعيف) هو المشهور بين الفقهاء وأصحاب الحديث وعلماء الرجال .

3 - **عبد الله بن عبد الرحمن الأصم المسمعي**
النجاشي: بصري ضعيف غال ليس بشيء ، له كتاب المزار ، سمعت ممن رآه فقال لي: وهو تخليط .
ابن الغضائري: ضعيف مرتفع القول ، وله كتاب في الزيارات ما يدل على خبث عظيم ومذهب متهافت وكان من كذاّبة أهل البصرة.

4- **الحسن بن العباس بن الحريش الرازي ..**
النجاشي: ضعيف جدا ، له كتاب :(إنا أنزلناه في ليلة القدر) وهو كتاب رديء مضطرب الألفاظ .
ابن الغضائري: ضعيف روى عن أبي جعفر الثاني فضل (إنا أنزلناه في ليلة القدر) كتابا مصنفا فاسد الألفاظ تشهد مخايله على انه موضوع ، وهذا الرجل لا يلتفت إليه ولا يكتب حديثه.

5- **معلى بن محمد البصري :**
النجاشي : مضطرب الحديث والمذهب
ابن الغضائري : ان حديثه يعرف وينكر ويروي عن الضعفاء .

6- **محمد بن عيسى بن عبيد بن يقطين بن موسى (ـــ 280) :**
النجاشي: ذكر أبو جعفر بن بابويه عن ابن الوليد انه قال ما تفرد به محمد بن عيسى من كتب يونس وحديثه لا يعتمد عليه .
وقال الكشي مشككا فيه : انه اصغر من ان يروي عن ابن محبوب (-224) وقال : يونسي ضعيف.

وقال الطوسي في الفهرس : ضعيف استثناه أبو جعفر ابن بابويه من رجال نوادر الحكمة وقـال : لا اروي ما يختص بروايتـه، وقيل انه كان يذهب مذهب الغلاة .

وهو يروي عن الأصم المسمعي الضعيف الغالي .

7- **محمد بن الفضيل .**

الكشي: ضعيف يرمى بالغلو .

8- **علي بن ابراهيم وأبوه** .. يونسيان غاليان ضعيفان يقولان بتحريف القرآن (كما في تفسير القمي) المنسوب إليه .[1194]

[1194] - وهـذه نمـاذج من كتابه (تفسـير القمي) المليء بـالغلو والقـول بتحريف القـرآن والمعتمد على التـأويلات التعسـفية، والأحـاديث الضـعيفة والمختلقة ، مما يجعلنا نعيد النظر في تقـييم هـذا الرجل الغـالي ونشـكك في توثيق النجاشي له ، ونتوقف في قبـول رواياته عن (الاثـني عشـرية) الــتي يرويها عن المجاهيل والمهملين . وقد بنينا رأينا فيهما على ما يرويه علي عن أبيه في كتابه المعروف بـ: (تفسير القمي) حيث روى فيه :

ـ قرأ أبو عبدالله :(هذه جهنم التي كنتما بها تكذبان تصليانها ولا تموتان فيها ولا تحييان) يعني (زريقا وبحتر) في إشارة منه إلى الشيخين . القمي علي بن ابراهيم : التفسير ج2 ص 345

وقال:(نزلت هاتان الآيتان هكذا :قول الله (حتى إذا جاءنا ـ يعني فلانا وفلانا ــ يقــول أحــدهما لصــاحبه حين يــراه : يا ليت بيــني وبينك بعد المشرقين فبئس القـرين) فقـال الله لنبيه :قل : لفلان وفلان واتباعهما : (لن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم آل محمد حقهم أنكم في العـذاب مشـتركون) ثم قـال لنبيـه:(أفـأنت تسـمع الصم أو تهـدي العمي ومن كـان في ضـلال مــبين؟ فإما نــذهبن بك فانا منهم منتقمــون) يعــني من فلان وفلان ، ثم أوحى الله إلى نبيه :(فاستمسك بالـــــــذي أوحي إليك في علي انك على صراط مستقيم) يعني انك على ولاية علي وعلي هو الصراط المسـتقيم . المصدر ج2 ص286

ويقول :حدثني أبي عن وكيع عن الأعمش عن سلمة بن كهيل عن أبي صادق عن أبي الأعز عن سلمان الفارسي: قال : بينما رسول الله جــالس في أصحابه إذ قال انه يدخل عليكم الساعة شبيه عيسى بن مريم ، فخرج بعض من كـان جالسا مع رسـول الله ليكـون هو الـداخل ، فـدخل علي بن أبي طالب ، فقال الرجل لبعض أصـحابه: أما يرضى محمد ان فضّـل علينا عليا حــتى يشــبهه بعيسى بن مــريم ، والله لآلهتنا الــتي كنا نعبــدها في الجاهلية افضل منه فــأنزل الله في ذلك المجلس:(ولما ضــرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يضجون) فحرفوها (يصدون) (وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصـمون ، ان علي إلا عبد أنعمنا عليه وجعلنــاه مثلا لبــني إســرائيل) فمحي اســمه عن هــذا الموضع) . المصدر ج2 ص 286

ويقول في تفسير:(وأيدهم بروح منه) الروح : ملك اعظم من جبرئيل وميكائيل وكان مع رسول الله وهو مع الأئمة. المصدر ج2 ص358

وقد أهمل علماء الرجال هـاذين الـرجلين ، إلا ان النجاشي يوثق علي بن ابـــراهيم ، ومع ذلك فانه يقـــول عنـــه: ان له كتابا يعرف بـ:(المشنّد) والله اعلم أنه مضاف إليه .

9- **سليم بن قيس الهلالي ..**

ابن الغضائري : ينسب إليه الكتاب المشهور باسمه، وكان أصـحابنا يقولـون: ان سـليما لا يعـرف، ولا ذكر في خـبر ، وقد وجدت ذكره في مواضع من غير جهة كتابه ولا رواية أبان بن أبي عياش ..والكتاب موضـوع لا مرية فيه ، وعلى ذلك علامـات تـدل على ما ذكرنا منها ما ذكر أن محمد بن أبي بكر وعظ أبـــــاه عند الموت ، ومنها أن الأئمة ثلاث عشر ، وغير ذلك .

وأسانيد هذا الكتاب تختلف تـارة برواية عمر بن أذينة عن ابـراهيم بن عمر الصـنعاني عن أبـان بن أبي عيـاش عن سـليم ، وتارة عن عمر عن أبان بلا واسطة .

ويقول الشيخ المفيد: " ان هذا الكتاب غير موثوق به ولا يجوز العمل على أكثره وقد حصل فيه تخليط وتدليس فينبغي للمتـدين ان يجتنب العمل بكل ما فيه ولا يعـــــــــول على جملته والتقليد لروايته، وليفزع إلى العلمـاء فيما تضـمنه من الأحـاديث ليوقفـوه على الصحيح منها والفاسد والله الموفق للصواب" .[1195]

10- **احمد بن محمد بن خالد البرقي (ـ 280) :**

النجاشي: روى عن الضعفاء واعتمد المراسيل.

ابن الغضائري: طعن القميون عليه وليس الطعن فيه ، إنما الطعن فيمن يروي عنه فانه كـان لا يبـالي عمن أخذ على طريقة أهل الأخبـار ، وكـان احمد بن محمد بن عيسي أبعـده عن قم ثم أعاده إليها واعتذر إليه.

ويقـول في تأويل هـذه الآيـة: (يـوم يكشف عن سـاق ويـدعون إلى السجود) :يوم يكشف عن الأمور التي خفيت ، وما غصـبوا آل محمد حقهم ويدعون إلى السـجود: قـال يكشف لأمـير المؤمـنين فتصـير أعنـاقهم مثل صياصي البقر . المصدر ج2 ص 383

ويقول في تأويل هذه الآيات: (خلق الإنسان) ذلك أمير المؤمنين (علمه البيـــان): علمه تبيـــان كل شـــيء يحتـــاج إليه النـــاس ، (الشـــمس والقمر بحســبان) قــال هما يعــذبان ..إنما عناهما لعنهما الله (يعــني الشــيخين) . المصدر ج2 ص343

1195 - المفيد : أوائل المقالات وشرح اعتقادات الصدوق 247.

الطوسي في الفهرس: كان ثقة في نفسه غير انه أكثر الرواية عن الضعفاء واعتمد المراسيل ، وصنّف كتبا كثيرة منها (المحاسن) وغيرها ، وقد زيد في (المحاسن) ونقص ...

11- **عبدالله بن القاسم ..البطل الحارثي الحضرمي :**
الكشي والنجاشي والطوسي وابن الغضائري : كذاب غال ضعيف واقفي متهافت ! متروك الحديث معدول عن ذكره.

12- **أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري..**
وهو ضعيف وله أحاديث شاذة كثيرة وغلو وأساطير.
ويقول عنه الكشي: يقال فيه ارتفاع ، ورواياته تدل على ذلك ، وكان مقدما عند السلطان (!) وكان يدعي انه سفير صاحب الزمان .

وأما روايات الصدوق ففيها من الرواة الغلاة والضعفاء ما يلي:
13- **المفضل بن عمر** .. الغالي المفوض الملعون على لسان الصادق، الضعيف .
الكشي: ذكرت الطيارة الغالية في بعض كتبها عن المفضل انه قال: لقد قتل مع أبي إسماعيل (يعني أبا الخطاب) سبعون نبيا ...
ابن الغضائري: ضعيف متهافت مرتفع القول خطابي ، وقد زيد عليه شيء كثير وحمل الغلاة في حديثه حملا عظيما ، ولا يجوز ان يكتب حديثه .
النجاشي: فاسد المذهب ، مضطرب الرواية لا يعبأ به وقيل انه كان خطابيا ، وقد ذكرت له مصنفات لا يعول عليها..والرواة له مضطربو الرواية.
14- **محمد بن الحسن الصفار** .. وهو غال ضعيف
15- **محمد بن علي الصيرفي ، ويكنى أبا سمينة** :
وقد قال الكشي عنه: قال حمدويه عن بعض مشيخته انه رمي بالغلو ، ونقل عن الفضل بن شاذان قوله: كدت أقنت على أبي سمينة محمد بن علي الصيرفي ، وذكر الفضل بن شاذان في بعض كتبه الكذابين المشهورين وقال: وأبو سمينة أشهرهم .
وقال ابن الغضائري عنه: انه كذاب غال دخل قم واشتهر أمره بها ونفاه احمد بن محمد بن عيسى الاشعري ، وكان شهيرا بالارتفاع لا يلتفت إليه ولا يكتب حديثه .
وقال الطوسي في الفهرست: له كتب ...اخبرنا بذلك جماعة عن ...محمد بن أبي القاسم عن محمد بن علي الصيرفي إلا ما

كان فيها من تخليط أو غلو أو تدليس أو ينفـرد به ولا يعـرف من غير طريقه .

وقال النجاشي: انه ضعيف جدا فاسد الاعتقـاد لا يعتمد في شـيء ، وكـان ورد قم واشـتهر بـالغلو فجفي ، وأخرجه احمد بن محمد بن عيسى عن قم وله قصة ...

16- **محمد بن خالد البرقي** :

الذي قال عنه النجاشي: انه كان ضعيفا في الحديث .

وقال عنه ابن الغضائري: ان حديثه يعرف وينكر ويروي عن الضعفاء كثيرا ويعتمد المراسيل.

17- احمد بن هلال الكرخي العبرتائي (ـ 267)

الذي كان من أركان النظرية (المهدوية الاثني عشرية) وأيّد وكالة العمـــري ، ولكنه رفض الاعـــتراف بوكالة ابنه محمد بن عثمان العمري وخرج فيه (توقيـع) بـاللعن وكـان غاليا ومتهما في دينه، كما يقول الكشي والطوسي والنجاشي .

18- **جعفر بن محمد مالك الفزاري ..**

الذي يقول عنه ابن الغضائري : انه كذاب متروك الحديث جملة ، مرتفع ، يـــروي عن الضـــعفاء والمجاهيل وكل عيـــوب الضعفاء مجتمعة فيه ، روى أعاجيب في ولادة المهدي .

ويقول عنه النجاشي: انه كان يضع الحديث وضعا ويروي عن المجاهيل وكان فاسد المذهب والرواية.

19- **محمد بن سنان**

الذي يروي عنه الصيرفي . وهو لا يقل عنه غلوا وكذبا وتدليسا .

وقد قال عنه الكشي: قال حمدويه: كتبت أحـاديث محمد بن سنان عن أيوب بن نوح ولا اسـتحل ان أروي أحـاديث ابن سـنان ..فانه قـال قبل موته :كل ما حـدثتكم به لم يكن لي سـماع ولا رواية ، إنما وجدته ، وقال الفضل بن شاذان : لا استحل ان اروي أحاديث محمد بن سنان ، وذكر في بعض كتبه : ان من الكـذابين المشهورين ابن سنان .

وقال ابن الغضائري: ضعيف غال لا يلتفت إليه .

وقال الطوسي في الفهرست: له كتب وقد طعن عليه وضعّف ...وجميع ما رواه إلا ما كـــان فيه تخليط وغلو اخبرنا بها جماعة ...

وقال النجاشي: هو رجل ضعيف جدا لا يعـوّل عليه ولا يلتفت إلى ما تفرد به ...

20- داود بن كثير الرقي :

ابن الغضائري: فاسد المذهب ضعيف الرواية لا يلتفت إليه .

النجاشي: ضعيف جدا والغلاة تروي عنه ، قال احمد بن عبد الواحد: قلّ ما رأيت له حديثا سديدا.

21- يونس بن ضبيان :

الكشي: متهم غال ، وقد لعنه أبو الحسن الرضا ألف لعنة تتبعها ألف لعنة كل لعنة منها تبلغه قعر جهنم.[1196]

ابن الغضائري : غال وضاع للحديث لا يلتفت إلى حديثه .

النجاشي : ضعيف جدا لا يلتفت إلى ما رواه ، كل كتبه تخليط .

22- **بكر بن صالح الرازي**

الذي يقول عنه ابن الغضائري: انه ضعيف جدا كثير التفرد بـالغرايب روى عنه ابـراهيم بن هاشـم. ويقـول عنه النجاشـي: ضعيف ، له كتاب يرويه عدة من أصحابنا يختلف باختلاف الـرواة. وإن أمره كان ملبسا يعرف وينكر.

23- **أمية بن علي القيسي**

الذي يقول عنه ابن الغضائري: ضعيف الرواية ، في مذهبه ارتفاع . ويقول عنه النجاشي: ضعّفه أصحابنا .

24- **عبدالله بن الحكم الأرمني ،**

الذي يقـول عنه النجاشـي: انه ضـعيف ، ويقـول عنه ابن الغضـائري:ضـعيف مرتفع القـول ، وأهمله الطوسي ولم يـذكره الكشي .

25- **أبي علي احمد بن علي الرازي الأيادي**

الذي يقول عنه ابن الغضائري: انه كان ضـعيفا وكـان في مذهبه ارتفاع ، وحديثه يعرف تارة وينكر أخرى وهو متهم بالغلو .

ويقول عنه الطوسي في الفهرست: لم يكن بذلك الثقة في الحديث ، ويتهم بالغلو وله كتاب:(الشفاء والجلاء في الغيبة) .

ويقول عنه النجاشي: قال أصحابنا لم يكن بذاك وقيل فيه غلو وترفع.

26- أبي الخير صالح بن أبي حماد الرازي ،

الذي يقول عنه ابن الغضائري : انه ضعيف .

ويقول النجاشي: كان أمره ملبسا يعرف وينكر .

1196 - وجاء عنه انه قال: كنت في بعض الليالي في الطواف فـإذا بنـداء من فـوق رأسي أني أمة الله لا اله إلا أمته فاعبـدني وأقم الصـلاة لـذكري فـرفعت رأسي فـإذا أبو الحسن الرضا (ع) ولما بلغ حديثه هـذا أبا الحسن الرضا (ع) غضب غضباً لم يملك معه نفسه ثم قال للرجل لعنك الله ولعن من حدثك. ولعن يونس بن ظبيان الف لعنة يتبعها الف لعنة. أما ان يـونس مع أبي الخطاب في اشد العذاب. وجاء عنه ان بنتـاً لأبي الخطـاب مـاتت. فوقف يونس على قبرها وقال: السلام عليك يا بنت رسول الله.

27- **الحسين بن القاسم بن محمد بن أيوب بن شمون أبو عبد الله الكاتب ،** الذي يضعفه علماء الرجال ماعدا ابن الغضائري الذي يوثقه ولكنه يبحث فيمن يروي عنه ،

28- **أبو عبد الله العاصمي** ، الذي كان من أقطاب النظرية (الاثني عشرية) في عهد الحيرة.

29- **سعد بن عبد الله الاشعري القمي**

وهو من أركان النظرية (الاثنى عشرية) ومؤسسيها، وأحد الذين يتهمون بوضع الروايات المؤيدة لذلك ، خاصة وانه يرسل إلى : احمد بن محمد **،** الذي يرسل بدوره إلى: عمر بن أذينة **.**

نقد وتقييم كتاب : (كفاية الأثر في النصوص على الأئمة الاثني عشر)

ويروي أبو القاسم علي بن محمد بن علي الخزاز القمي الرازي ـ وهو من علماء القرن الرابع ومن تلامذة الصدوق ــ في كتابه:"كفاية الأثر في النصوص على الأئمة الاثني عشر" حوالي مائة رواية عن الرسول الأعظم محمد (ص) والأئمة الأحد عشر حول موضوع : "الاثني عشرية" و "المهدي المنتظر الإمام الثاني عشر الحجة بن الحسن العسكري" .

ويظهر من الروايات التي يوردها الخزاز انه كان يميل إلى الفرقة التي تحرم ذكر اسم المهدي ، وتكتفي بالإشارة إليه بـ :" الحجة بن الحسن" حيث لم يرد في جميع الروايات التي ذكرها اسم المهدي (محمد) صريحا سوى بضع مرات. وذلك خلافا لشيخه الصدوق، ووفاقا لجيل النواب الأربعة الذين كانوا يحرمون التصريح باسم المهدي .

ومع أن الخزاز كان متأخرا عن الصدوق والكليني والنعماني فانه قد نقل في كتابه: "كفاية الأثر" من الروايات حول (المهدي الثاني عشر) اكثر ممن سبقه ، وهذا أمر يدعو للشك والريبة والتساؤل عن مدى صحة تلك الروايات ..

وقد كان أول من انتبه إلى هذا الأمر الخزاز نفسه، حيث حاول أن ينفي الشك بها بادعاء التواتر أولاً، وعدم إمكانية اتفاق صحابة رسول الله الذين ينقل عنهم شطرا من الروايات على الكذب. بالرغم من أن الشك وأصابع الاتهام ليست موجهة إلى الصحابة وإنما إلى الجيل المتأخر من أصحاب نظرية "الإمامة الاثني عشرية" ولكنه حاول أن يحرف الاتهام فقال:" تأملوا رحمكم الله ان هؤلاء الرواة من أجلاء أصحاب النبي (ص) وخيار العترة والتابعين الذين نقلوا عنهم هذه الأخبار في النصوص على

الأئمة الاثني عشر صلوات الله عليهم ، عن النبي (ص) هل يجـوز على أمثــالهم افتعــال الكــذب وهم متباعــدو الهمم والأوطــان مختلفو الآراء والـــديانات، مع اتفاقـــات المعـــاني والعبـــارات المختلفــات ، وهم عــدد كثــير وجمّ غفــير ، وقد اســتوفوا جميع شرائط التواتر (...) ثم رأيناهم مجتمعين على تلقي الأخبـار الـتي وردت بالنص على ان الإمام فلان ثم فلان بـالقبول..كلا ولا يجـوز على أمثالهم افتعال الكذب" .[1197]

ويقول:" ولو جاز على أمثالهم افتعال الكذب لجاز لقائل من البراهمة ان يقول: إذا كانت الامامية ـ وحـالهم في دهرنا الحـال الـتي نعـرف ــ وقد اسـتوفوا جميع شـرائط التـواتر، ثم كـانت أخبـــارهم الـــتي رووها عنـــدكم لم تكن لها اصل ، وإنما افتعلوها محبة لأئمتهم ، فلم أنكـــــــــرتم قولنا وتعجبتم منا لما زعمنا ان المسلمين يحيلون فيما يحكون من براهين نـبيهم على السـراب ويريــدون ان يطمــوا (يطمســوا) نــور الشــمس ، وهــذه أخبــار افتعلوها لنـبيهم ؟ فلا بد في هـذا من أحد أمــرين: أما الاعـتراف بصحة أخبار الامامية في النصوص على الأئمة الاثـني عشر فيصح بصـحتها مـذهبهم ، أو الانقيـاد للبراهمة ، ليس بين الحق والباطل واسطة يمكن التعلق بها ، واثبات الإمامة أحسن من نفي النبوة ، والحمد لله".[1198]

وهكذا يخـيِّرنا الخزاز بين قبول روايات "الاثني عشرية" دون أن يســمح لنا بمناقشــتها أو القــول إنها كـانت مختلقة من الجيل السابق، أو القبول بقول البراهمة في نفي صـحة الروايـات الـتي تتحدث عن رسول الله ، والتي يجمع عليها المسلمون ، كأنه يريد أن يقول : إن مستوى التواتر في الموضـوعين واحد فـإذا شـككنا في روايات الاثني عشرية فلابد أن نشكك في روايات الرســول ، وذلك بالرغم من وجود فارق كبير بين الموضـوعين ، وقد سـمعنا أقــوال العلمــاء الســابقين كالصــدوق وغــيره في وصف روايــات الاثني عشرية بالآحاد. ومع ذلك فإن الخــزاز يعـود فيقـول:" فـان قــال قائــل: فلمَ لم ينقل هــذه الأخبــار أســلافنا ولم يثبتوها في كتبهم؟ ولم ينشــروها في الآفــاق حــتى ســمعناها كما ســمعتم فرويناها كما رويتم؟.. أوَ يجوز على العدد الكثير وعلى من يتـواتر به الخبر أن يكتموا خـبرا يحتـاج إليه الأمة أشـدّ حاجـة؟..وهو في الأمر العظيم الخطير الشريف ، وقد توعدوا على كتمانه ووعــدوا

1197 - الخزاز:كفاية الأثر 201 ?

1198 - المصدر 202

على إذاعته ، للأسباب الـتي ذكـرتم؟ فـان قلتم: نعم ، قلنـا: وإذا جاز عليهم الكتمان لخبرٍ هذا سبيله ، لتلك الأسباب ، فلم لا يجوز عليهم تعمد الكـــذب فيما أحســـوا وعـــاينوا ؟..وما الفـــرق بين الكتمان والكذب؟"..وفي الجواب على ذلك يقــول بعد أن يقسم الكتمـان إلى عـدة أنـواع:" صح بما وصـفناه أن الكتمـان يجـوز وقوعه على وجه لا يجوز وقوع الكذب عليه".[1199]

ويعود الخزاز مـرة أخـرى في كتابه لمناقشة الشـكوك الـتي تعـتري رواياته فيهـرب أيضا من مناقشة احتمـال الوضع من قبل المتأخرين لكي ينفي الوضع من قبل "الأئمة" ، مع أن التهمة في الحقيقة هي ليست موجهة إلى الأئمة وإنما إلى جماعة من المتأخرين ، فيقول: "هذه أسعدك الله أحـاديث الـرواة ننقلها عن الأئمة المعصومين (صلوات الله عليهم) ونص بعضــهم على بعض ، على موافقة أحـــاديث الصـــحابة في النصـــوص على الأئمة ...فكيف يجـــــوز ويصح في العقل بتواطؤ جماعة مختلفي الآراء والهمم متباعــدي الــديار والأوطــان، وفيهم جماعة من أهل بيت الرســـول ، وهم عند جميع الأمة بـــررة أتقيـــاء ، وعند بعضـــها معصـومون من الخطايا والزلل على وضع أحـاديث افتعلوها لكي يغالطوا الناس ويشككوهم في أمر هؤلاء؟..هـذا مما لا يجـوز في العقل ولا يصح في التقدير ، لأن الله تعالى لا يمـدح المـذمومين وقد مدحهم في مواضع كثيرة باتفاق الأمة.

فتأملوا الأخبار الصادقة تعرفوا بها فضل ما بين خبر الصدق والكـذب إذ كـان مثل هـذا الحـديث لا يجـوز ان يكـون موضـوعا مفتعلا كما قدمنا ذكره".[1200]

وعلى أي حال، وبالإضافة إلى كل تلك الشكوك التي كانت تحيط بكتـاب (كفاية الأثــر) منذ يــوم صــدوره، وبالإضــافة إلى اعتمـاده على مجموعة من الـرواة الكـذابين والغلاة والمجهـولين والمهملين والمتهمين بالوضع والمختلفة أسماؤهم حسب اختلاف النســخ، فـان الكتـاب لم يصـلنا مرويا ومسـندا، ولا توجد منه إلا نسـخة قديمة مخطوطة بقلم مـؤمن بن عبد الجـواد الكـاظمي، ومؤرخة بيوم الاثـنين غـرة شـهر شـعبان سـنة ست وثمـانين بعد الألف، وهي موجودة في مكتبة السـيد المرعشي النجفي في قم في إيران، ونسـخة أخـرى مخطوطة بقلم تـاج الـدين بن عبدالله بن سليمان الفقيه ومؤرخـة: عصر يـوم الأربعـاء عاشر ذي قعـدة الحرام لسنة إحـدى وثلاثين وتسـعمائة، منقولة عن نسـخة اقـدم

[1199] - المصدر205

[1200] - المصدر 293 ـ 294

نسخت في سنة أربعة وأربعمائة. وهي موجودة في مكتبة السـيد جلال الدين المحدث الأرموي في طهران .

وذلك حسـبما يقـول محقق الكتـاب السـيد عبد اللطيف الحسيني الكوه كمري الخوئي في مقدمته للكتاب. دون أن يثبت صحة التواقيع والخطوط والتواريخ الموجودة على هذه النسخ.

وهذا ما يفقد الكتاب أية قيمة روائية، ويفتح المجال أمـام التشـكيك بكل رواياتـه، ولـذلك أعرضـنا عن مناقشـتها ومناقشة سـندها لعـدم الحاجة الماسة إلى ذلـك، وعـدم تشـكيلها أية حجة يمكن الاعتماد عليها.

وهكـذا الحـال مع روايـات الصـدوق في: "إكمـال الـدين" والطوسي في: "الغيبة" حيث انها بحاجة إلى إثبـات صـدورها عن راوييها الصـــدوق والطوســـي، فـــإن كتابيهما "إكمـــال الـــدين" و"الغيبة" ليسا من الثقة بمكـان قـوي كـالكتب الأربعة (الكـافي ، ومن لا يحضره الفقيه، والتهذيب والاستبصـار) الـتي رويت شـيخا عن آخر، حيث لا توجد لهما سلسـلة رواية تامة ومتواصـلة، وهـذا ما يفتح بـاب الاحتمـال بـالتلاعب في رواياتهما وأسـانيدهما، ومن هنا فان أحاديثهما لا تصبح حجة على أحد.

وإذا وضعنا هذه النتائج الحديثية إلى جانب الروايات والحقـائق التاريخية السـابقة عن إيمـان الإمامية بامتـداد الإمامة إلى يـوم القيامـة، حسـبما ظهـرت وتبلـورت في القـرنين الثـاني والثـالث الهجـريين، فسـوف نحصل على نتيجة واضـحة بـاختلاق نظرية "الإثـني عشـرية" في القـرن الرابع الهجـري، بعد وصـول نظرية الإمامة الإلهية إلى طريق مســدود، في أعقـــاب وفـــاة الإمـــام الحسن العسـكري، دون أن يشـير إلى وجـود ولد له يحمل راية الإمامة، ودون أن يتحدث حول مصير الإمامة من بعده.

3 – نقد فلسفة العصمة

يعتقد الشيعة "الإمامية" بأن الأئمة يجب أن يكونوا معصـومين من قبل الله تعـالى عن اقـتراف الـذنوب أو الأمر بالمعصـية، كمقدمة للقول بأنهم معينون من قبل الله تعالى. وذلك بنـاء على مبـدأ الإطلاق في الطاعة لـولي الأمـر، وعـدم جـواز أو إمكانية النسـبية فيهـا، كتحديد الطاعة في الطاعـات فقط والـرد على الإمام ورفض إطاعته في المعاصي والمنكرات لو أمر بها، والأخذ على يـده عند ظهـور فسـقه وانحرافـه. وهو المبـدأ الـذي كـان

الحكـــام الأمويـــون المنحرفـــون يـــدأبون على ترويجه ومطالبة المسلمين بطاعتهم على أساسه طاعة مطلقة في الخير والشر، وهو ما أوقع متكلمي "الامامية" في شـبهة التنـاقض بين ضـرورة طاعة الله الذي يأمر بطاعة أولى الأمر في الآية الكريمة:"يا أيهـا الـذين آمنـوا أطيعـوا الله وأطيعـوا الرسـول وأولي الأمر منكم". النسـاء 59 ، وضـرورة طاعة الحكـام بصـورة مطلقة حـتى في المعاصي والمحرمات.[1201]

ولكن مبـدأ اشـتراط "العصـمة" في الإمـام، كـان مبـدأ حادثـاً، مرفوضا من قبل أهل الـبيت وعمـوم الشـيعة ، وهو لم يثبت من إطلاق الآية الشـريفة، الـتي قد تفهم أيضا على أسـاس النسـبية، بل إن هذا ما يوحي به العرف والعقل والآيات الأخرى في القرآن الكـريم، الـتي تؤكد على مبـدأ :" لا طاعة لمخلـوق في معصـية الخالق ". ومع إن آية (أولي الأمر) كـانت تنطبق على أولي الأمر والولاة والقادة الذين كان يعينهم الرسول الأكرم في حياته، فـإن المسـلمين الأوائل لم يكونـوا يفهمـون منها : معـنى الإطلاق ، والطاعة لأولي الأمر حتى في المعاصي والمنكـرات، وقد رفضت جماعة من المسلمين كان الرسول الأكرم قد أرسـلها في سـرية وأمّر عليها رجلا، طاعة ذلك الرجل عندما أمر الجماعة في وسط الطريق بدخول نار أشعلها، وطالبهم بالامتثال لأوامره، وقالوا له: لقد فررنا من النار فكيف نـدخل فيها. وفهمـوا الطاعة في حـدود العـرف والعقل والشـرع، وليس خـارج ذلـك، وعـادوا فـأخبروا الرســول بما فعل القائـــد، فـــأقرّهم على مـــوقفهم العقلاني، وحذرهم قائلا: لو دخلتم فيها للبثتم فيها.

وهذا ما يؤيد إمكانية الفهم النسبي لآيات القرآن الكـريم في حدود العقل والعرف والسيرة والشـرع، وعـدم جـواز فهمها فهما مطلقا دائما حتى في حالات التعارض مع أحكـام أخـرى عقلية أو شرعية .

وإذا انتفى الإطلاق وثبتت النسبية في الطاعة لأولي الأمر؛ لا تبقى حاجة الى اشتراط العصـمة في الإمـام، ويمكن للمسـلمين انتخاب قائد لهم على أساس العدالة الظاهرية والتقوى والكفاءة،

[1201] - الكراجكي، كنز العرفان، ص 449، والطوسي، تلخيص الشافي، ج 1 ، ص 192، والحلي، منهـاج الكرامة في إثبـات الإمامـة، ص 51 ونهج الحق، ص 164

ليطبق لهم الـدين ويـأمرهم بـالمعروف وينهـاهم عن المنكر. وإذا انحرف هـذا القائد (الإمـام) فـان لهم الحق في عصـيانه ومخالفة أوامــره وإسـقاطه عن منصب الإمامة، ولا طاعة له من الله في أعنـاقهم. ولكن المتكلمين الامامية رفضـوا النسـبية رفضا مطلقا وأصــروا على مفهــوم الإطلاق من الآية، وبنـــوا نظـــريتهم في "العصـمة" على هـذا الأسـاس، ثم أقـاموا سـائر المقـولات على قاعدة العصمة.[1202]

وكانت المشكلة الكبرى التي واجهت "الامامية" في عملية بناء نظرية "الإمامة الإلهية" وتركيبها على أئمة أهل الـبيت، تكمن في موقف أهل الــبيت أنفســهم من "العصــمة ". حيث كــانوا يرفضـونها أشد الـرفض، ويصـرحون أمـام النـاس بـأنهم أنـاس عـاديون قد يخطئون وقد يصـيبون وأنهم ليسـوا معصـومين من الـذنوب، ويطـالبون النـاس بنقـدهم وإرشـادهم واتخـاذ موقف المعارضة منهم لو صـدر منهم أي خطأ أو أمـروا بمنكر لا سـمح الله. وهذا هو الإمام أمير المؤمنين علي بن أبى طـالب يقف في مسـجد الكوفة ويخـاطب الجمـوع قـائلا: "إن من حق من عظُم جلال الله في نفسه وجلَّ موضــعه من قلبه أن يصــغر عنــده ، لعظم ذلك، كلُ ما سواه ، وإن أحق من كـان كـذلك لمن عظمت نعمة الله عليه ولطف إحسانه اليه، فانه لم تعظم نعمة الله على أحد إلا زاد حق الله عليه عظمـا. وإن من أسـخف حـالات الـولاة عند صــالح النــاس أن يظن بهم حب الفخر ويوضع أمــرهم على الكـبر، وقد كـرهت أن يكـون جـال في ظنكم أنى أحب الإطـراء واستماع الثناء، ولست بحمد الله كـذلك. ولو كنت أحب أن يقـال ذلك لتركته انحطاطا لله ســبحانه عن تنـــاول ما هو أحق به من العظمة والكبرياء. وربما استحلى الناس الثناء بعد البلاء فلا تثنــوا علي بجميل ثناء، لإخــراجي نفسي إلى الله واليكم من البقية في حقوق لم افرغ من أدائها وفرائض لا بد من إمضائها. فلا تكلموني بما تكلم به الجبــابرة ولا تتحفظــوا مــني بما يتحفظ به عند أهل البادرة ولا تخـالطوني بالمصـانعة ولا تظنـوا بي اسـتثقالا في حق قيل لي ولا التمــاس إعظــام لنفسي لما لا يصــلح لي، فانه من اسـتثقل الحق أن يقـال له أو العـدل أن يعـرض عليه كـان العمل بهما اثقل عليه .. فلا تكفــوا عن مقالة بحق أو مشــورة بعــدل، فإني لست في نفسي بفـوق أن أخطيء ولا آمن ذلك من فعلي،

[1202] - الصـدوق، إكمـال الـدين، ص 362 – 368 والمفيـد، شـرح عقائد الصدوق، ص 106 ، والنكت الاعتقادية، ص 48 – 49 ، والحلي، كشف المراد، ص 365 ، والمجلسي، بحار الأنوار، ج 11، ص 291

إلا أن يكفي الله من نفسي ما هــو املك به مــني. فإنما أنا وانتم عبيد مملوكون لرب لا رب غيره يملك منا ما لا نملك من أنفسنا، وأخرجنا مما كنا فيه الى ما صــلحنا عليــه، فأبــدلنا بعد الضــلالة بالهدى وأعطانا البصيرة بعد العمى".[1203]

وفي خطبة أخـرى يتحـدث فيها الإمـام أمـير المؤمـنين عن الخـارجي (الخـريت ابن ناجية) ومحاولاته السـابقة لـدفع الإمـام لقتل واعتقال عدد من زعماء المعارضة، وقول الإمام له ولعموم الناس: إن من واجبهم الوقوف أمامه، ومنعه إذا أراد هو أن يفعل ذلك ، والقول له : "اتق الله!".

ولم يكن الإمام علي ليقول لهم ذلك، لو كان هناك أي حديث عن العصمة في أوساط الأئمة والشـيعة والمسـلمين ، وذلك لأن هالة العصــمة تحتم أن يضع الإمــام نفسه فــوق النقد وأن يحرِّم المعارضة أو التجــرؤ بتوجيه النصح والمشــورة إليه، وهــذا ما لم يكن يفعله الإمــام علي الــذي ضــرب أروع الأمثلة في التواضع والمساواة .. ومطالبة أصحابه بأداء دورهم السياسي والديني في مراقبة الإمام وتقويمه.

ويقول في دعاء لـه: " اللهم اغفر لي ما أنت اعلم به مـني ، فــإن عــدت فعد عليّ بــالمغفرة. اللهم اغفر لي ما وأيت من نفسي، ولم تجد له وفاء عندي. اللهم اغفر لي ما تقربت به إليك بلســاني، ثم خالفه قلــبي. اللهم اغفر لي رمــزات الالحــاظ وسقطات الألفاظ وشهوات الجنان وهفوات اللسان".[1204]

ويستعرض الإمام أمير المؤمنين في مكان آخر صفات الحاكم وشــروطه، فلا يــذكر من بينها العصــمة، حيث يقــول:" ...إنه لا ينبغي أن يكـون الـوالي على الفـروج والـدماء والمغـانم وإمامة المسـلمين : البخيـل، فتكـون في أمـوالهم نهمتـه، ولا الجاهـل، فيضلهم بجهله، ولا الجافي، فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للـدول، فيتخذ قوما دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيـذهب بـالحقوق ويقف بها دون المقـاطع ، ولا المعطل للسـنة، فيهلك الأمـة".[1205]

[1203] - انظر الخطبة كاملة في: روضة الكافي للكليني، ص 292 – 293 ، وبحار الأنوار للمجلسي، ج 74 ، ص 309

[1204] - الإمام علي ، نهج البلاغة، ص 104

[1205] - المصدر نفسه، ص 189 ، الخطبة رقم 131

ويقول في خطبة أخرى:" أيها النـاس: إن أحق النـاس بهـذا الأمر أقواهم عليه وأعلمهم بأمر الله فيه".[1206]

وينقل الصدوق قصة عن السيدة فاطمة الزهراء تنافي نظرية العصمة التي كان يقول بها المتكلمـون ، حيث يـروي : أن الإمـام علي بن أبى طالب انفق ذات مـرة أمـوال مزرعة باعها حـتى لم يبق لديه درهم واحـــد، فـــاحتجت فاطمة الزهـــراء على ذلك و أمسكت بثوبـه، فـنزل جبرائيـل واخـبر النـبي فـذهب إليها وقـال: ليس لك أن تمســكي بثيابه ولا تضــربي على يديه فقــالت: إني اسـتغفر الله ولا أعـود أبـدا.[1207] كما يـذكر الشـريف الرضي في :"خصــائص الأئمــة": أن الحسن اسـتعار قطيفة من بيت المــال فغضب عليه الإمام أمير المؤمنين وقال له: "يا أبا محمد النار.. يا أبا محمد النار" حتى خرج بها.[1208]

وكذلك لم يشر الإمام الحسين الى موضوع "العصمة" في رسالته التي أرسلها الى أهل الكوفة مع سفيره مسلم بن عقيل، وإنما طـرح ضـرورة اتصـاف الحـاكم بشـروط التقـوى والالـتزام بالعمل بالكتاب والدين، فقـال:" فلعمـري .. ما الإمـام إلا العامل بالكتـاب الحـابس نفسه على الله القـائم بالقسط والـدائن بـدين الله ".[1209]

ونقل الإمام الباقر حديثا عن رسول الله (ص)، حـول شـروط الحــاكم، فلم يـذكر منها العصــمة، حيث قــال: قــال رســول الله (ص):" لا تصلح أمتي إلا لرجل فيه ثلاث خصال: ورع يحجــزه عن معاصي الله ، وحلم يملك به غضــبه، وحسن الولاية على من يلي ، حتى يكون لهم كالوالد الرحيم". وفي رواية أخرى:" حتى يكون للرعية كــالأب الــرحيم".[1210] مما يشــير الى أن الإمامة تصــلح لعامة الناس بهذه الشروط.

وقد قـال الإمـام الصـادق: " والله ما نحن إلا عبيد ... ما نقـدر على ضرّ ولا نفـع، إن رحمنا فبرحمتـه، وان عـذبنا فبـذنوبنا، والله

[1206] - المصدر نفسه، ص 247 ، الخطبة رقم 173
[1207] - الصدوق، الأمالي، ص 470

[1208] - الشريف الرضي، خصائص الأئمة، ص 28

[1209] - المفيد، الإرشاد، ص 204

[1210] - الكليني، الكافي، ج 1 ، ص 407

مالنا على الله من حجة ولا معنا من الله بـــراءة، وانا لميتـــون ومقبـورون ومنشـورون ومبعوثـون ومسـئولون .. أشـهدكم أنى امـرئ ولـدني رسـول الله وما معي بـراءة من الله ، إن أطعت رحمني وان عصيته عذبني عذابا شديدا".[1211]

وهناك روايتـان يـذكرهما الصـدوق عن الإمـام الرضا حـول عصمة الأنبياء ، يقـول إن الإمـام تحـدث بهما عند المـأمون ، ولم يشر في هـذه المناسـبة الى عصـمة الأئمـة.[1212] مما يكشف عن عدم تبني أهل البيت لنظرية العصمة وعدم ظهور أحـاديث كهـذه في تلك الأيـــام إلا عند الامامية والغلاة من الشـــيعة وبصـــورة سـرية.. ولو كـان لحـديث العصـمة أية أرضـية عند أهل الـبيت لتحدث الإمام الرضا عنها، وهو كما يقال كان يتحـدث عن الإمامة بصراحة وجرأة ولم يكن يخشى الخليفة العباسي المـأمون الـذي اصبح وليا لعهده .. فلماذا تحـدث الإمـام الرضا فقط عن عصـمة الأنبياء ولم يتحدث عن عصمة الأئمة ؟

وبالرغم من وضـوح موقف أهل الـبيت من دعـوى العصـمة، وتأكيدهم على الطبيعة البشـرية العاديـة، واسـتغفارهم لله، فـان المتكلمين الإمامية حـــاولوا الالتفـــاف على ذلك وقـــاموا بتأويل الروايـات الثابتة والنافية للعصـمة، بأنهـا: صـادرة عن الأئمة في مقام التعليم لعامة الناس، أو أنها صادرة تقية، وقاموا الى جـانب ذلك برواية مجموعة من الروايات الـتي تـدعي العصـمة بصـراحة وتشـــترطها في الإمـــام أو الأئمة من أهل الـــبيت، وهي روايـــات ضعيفة وغامضة وغير ذات دلالة .

هناك حديث مرسل عن الإمام زين العابـدين، يقـول فيه:" لا يكون الإمام منا إلا معصوما، وليست العصمة ظاهرة من ظــواهر الخلقة لتعـرف بين عامة النـاس، وإنما هي الاعتصـام بحبل اللـه، وحبل الله هو القــرآن، والقــرآن يهـدي الى الإمـام ".[1213] وبغض النظر عن مناقشة هــذا الحــديث غــير المســند، المنســوب الى الإمام زين العابدين، فإنه يفسر العصمة بالاعتصام بحبل الله وهو القرآن، ولا يتحدث عن طوق مفروض من الله حول الإمام يمنعه من ارتكاب المعصية كما يقول المتكلمون.

1211 - الكليني، الكافي، ، الروضة، ص 312 ، والحر العاملي، إثبات الهداة، ص 770

1212 - الصدوق ، عيون أخبار الرضا، ج 1 ، ص 153 - 155

1213 - الحسني، هاشم معروف، بين التصوف والتشيع، ص 116

وهناك حديث آخر عن الإمام الصادق يفسر "المعصوم" بأنه: الممتنع بالله من جميع محارم الله. وقد قال الله تبارك وتعـالى : (ومن يعتصم بالله فقد هـدي الى صـراط مسـتقيم) آل عمـران 101 ،[1214] وهو ما يفيد أيضا نفس معنى الرواية الآنفة عن الإمام زين العابدين.

هذا وقد روى الصدوق في "إكمال الدين" عن سـليم بن قيس الهلالي عن أمـير المؤمـنين أنه قـال:" إن الله طهرنا وعصـمنا وجعلنا شـهداء على خلقه وحجته في أرضه وجعلنا مع القـرآن ، وجعل القـــــرآن معنا لا نفارقه ولا يفارقنا". وروى أيضا في : "عيـون أخبـار الرضا" عن عبد الله بن عبـاس ، قـال: سـمعت رسول الله يقول:" أنا وعلي والحسن والحسـين وتسـعة من ولد الحسـين مطهـرون معصـومون". ونقل المجلسي في "بحـار الأنـوار" عـدة أحـاديث قـال : إنها تنسب الى سـليم بن قيس الهلالي ولا توجد في كتابه، وذكر منها حديثا يقـول: " إنما الطاعة لله عز وجل ولرسـوله ولـولاة الأمر، وإنما أمر بطاعة أولي الأمر لأنهم معصومون مطهرون لا يأمرون بمعصية". وهذه الأحاديث لا قيمة علمية لها لأنها غـير مسـندة ولا ثابتـة. وهنـاك رواية مطولة ينفرد بذكرها الصدوق عن الإمام الرضا يتحدث فيها بصراحة عن عصمة أهل البيت، وأفضليتهم وخصائصهم.[1215] ولكن تلك الرواية ضعيفة السند، واحتمـال وضـعها كبـير، وذلك لأن الصـدوق يرويها عن علي بن الحسـين بن شـاذويه المـؤدب (المهمل) و جعفر بن محمد بن مسرور (المهمل كذلك) و الريان بن الصلت (الضعيف) الذي كـان من أعـوان الفضل بن سـهل، وعـدم إسـناد حديثه الى أحد ومن دون أن يـدعي الحضـور والسـماع، ولـذا لم ينقلها أحد قبل الصـدوق الـذي جـاء في منتصف القـرن الرابع الهجـري. وإضافة الى ذلك فهي تشتمل على القـول بتحريف القـرآن حيث تضيف الرواية: " ورهطك المخلصين" الى آية: " وانـذر عشـيرتك الأقربين" و تدعي أنها محذوفة من القـرآن الكـريم ، وهـذا قـول كـان يقـول به الغلاة وينسـبونه الى الأئمة، وكـان الأئمة دائما يتـبرءون منه ويرفضـونه. إن الرواية تعتمد على منهج التأويل والتأويل التعسـفي في بعض الأحيـان ، ومع أنها تحـاول أن تثبت العصمة والطهارة لأهل البيت وعدم الردة أو الرجوع الى الضلال أبـدا، فإنها لم تتوقف قليلا لكي تشـرح من هم أهل الـبيت؟..بعد حصرهم بأولاد النـبي والإمـام علي بن أبى طـالب، من دون دليل

[1214] - المجلسي، بحار الأنوار، ج 7 ، باب لزوم عصمة الإمام.
[1215] - الصدوق، عيون أخبار الرضا، ص 179 - 188

قوي وواضح، مع إن هـؤلاء كـانوا مختلفين فيما بينهم وكـان أولاد كل إمام يصطرعون فيما بينهم ويدعي كل واحد منهم أنه الإمــام والأحق بعد أبيه، ويتهم الآخــرين بالكــذب والنفــاق والانحــراف والضـلال. وتكشف الرواية الموضـوعة عن محـاولات "الإماميـة" لتأويل القـرآن بما يتلاءم مع نظـريتهم الجديـدة والغامضة حـول عصمة الأئمة.

4- حل عقدة "الولاية"

إن الكثـير من الشـيعة "الإماميـة" المعاصـرين يعتـبرون أن ما يمـيزهم عن غـيرهم هو "الـولاء لأهل الـبيت" أو "الأئمة الاثـني عشـر". وذلك بنـاء على الـتراث الإمـامي الـذي يصـور "الولايـة" كأصل من أصول الدين، وأهم ركن من أركانه بعد التوحيد والنبوة والمعاد. وبـالرغم من أن هـذا موضـوع نظـري تـاريخي ولا يتعلق بموقف سياسي من أئمة معاصــرين، إلا انه يشــكل آخر ما بقي من نقاط خلاف بين "الشيعة الإماميـة" وغـيرهم من المسـلمين. ولـــذلك يجـــدر بنا التوقف عند ذلك الـــتراث ونقد وتحليل تلك الروايات الواردة عن الباقر والصادق في موضوع الولايـة، والتأكد مما إذا كـانت حقا من أقوالهما أو من صــنع الغلاة الــذين كــانوا يدورون حولهما.

لقد ذكر "الإمامية" أحاديث كثيرة عن الباقر والصـادق حـول موضوع "الولاية" و"الإمامة الإلهيـة". ولكن يجب أن نطبق قواعد الشك المنهجي عليها جميعا، وذلك:

أولاً: لأن الطريق إليها ضعيف وهي أخبار آحاد. ولا يمكن أن نطلق عليها صفة "التواتر" لوجود الشك الكبير بصحتها.

ثانيـا: إن الكثـير من تلك الروايـات ينضح بـالقول بتحريف القـرآن، ويـدعي سـقوط كلمـات وجمل من بعض الآيـات، وهـذا يكفي دليلا على سقوط تلك الروايات.

ثالثـا: إن الكثـير من تلك الروايـات يعتمد التأويل التعسـفي للقرآن بلا دليل.

رابعـا: إن تلك الروايـات لا تشـكل أية حجـة، حـتى إن ثبت صدورها عن (الباقر والصادق) لحصول الـدور الباطـل، حيث أنها تحاول إثبـات مكانة خاصة للأئمـة، وتـوجب التسـليم بهم، قبل أن تتحقق تلك المكانة التي توجب القبول منهم.

خامسا: لوجـــود الشك بالأحـــاديث الـــواردة عن طـــريقهم والمنسوبة إلى النبي (ص)، سواء بالنسبة لسـند تلك الروايـات، وعـــدم ورودها عن النـــبي عن طريق مســتقل ثـــابت، وعـــدم الاعتراف بصحة وشرعية كل ما ينسب إلى النبي دون سـند، مما يــوجب التوقف فيها وعــدم قبولها منهم، ولاحتمــال اختلاقها من قبل الإمامية لتأكيد المـذهب ووجــود المصـلحة السياسـية فيهـا، وهذا أمر لا يتعلق بالباقر والصـادق، وإنما بكل رجل ينسب حـديثا مرسلا للنبي دون سند رغم وجود فاصـلة بعشـرات السـنين بينـه وبين النـــبي، فـــإذا جـــاء – مثلا - رجل حنفي وروى أحـــاديث عن رسول الله تمدح الإمام أبا حنيفـة، أو جـاء رجل مـالكي أو حنبلي أو شـافعي وروى كل واحد منهم ما يـدعم مذهبه ويمـدح إمامـه، فإننا نشك بحديثه ونتهمه بالوضع، خصوصا إذا كان يروي الحـديث عن إمام مذهبه الممدوح، وهكذا إذا جاء شــيعي وروى عن إمامه عن رسول الله بما يـدعم مذهبه ويمـدح إمامه فإننا نشك بحديثه ونرفضه. ولا نريد أن نتهم الإمام الباقر أو الصادق بالكذب والعياذ باللـــه، ولكننا نتهم الـــرواة عنهم في أجـــواء الصـــراع المـــذهبي ومحاولة كل فريق دعم إمامه ومذهبـــــه. ونقـــــول : إنه لا يمكن التصديق بالأحاديث التي تؤسس لنظرية "الولاية" لمجــرد ورودها عن الأئمـــة، بل لا بد من بنائها على أســـاس القـــرآن الكـــريم أو الأحاديث النبوية التي لا يشك بها أحد من المسلمين.

سادسا: إن الكثير من تلك الروايات يتعارض مع القرآن الكريم الذي لا يجعل الولاية لأهل البيت شرطا من شروط الإيمــان بالله تعالى. على العكس من الحديث المـروي عن البـاقر عن رسـول الله (ص) أنه قال: من أحب أن يحـيى حيـاة تشـبه حيـاة الأنبيـاء، ويموت ميتة تشـبه ميتة الشـهداء، ويسـكن الجنـان الـتي غرسـها الرحمن؛ فليتولَّ عليا وليوالِ وليّه وليقتد بالأئمة من بعـده، فـإنهم عترتي خلقوا من طينتي.. وويل للمخـالفين لهم من أمـتي، اللهم لا تنلهم شفاعتي".[1216] والأحاديث المشابهة له.[1217] وكحديث أبي حمزة الثمالي عن الباقر الذي يتحدث عن رسـول الله (ص): عن الله تبارك وتعالى: أنه يقرن طاعة النبي بطاعة الأئمة، ومعصـيته بمعصيتهم، ولو صح هذا الحديث لأنـزل الله فيه قرآنـا، وهو ما لم يحصل.

[1216] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما فرض الله ورسوله من الكون مع الأئمة، ح رقم 3

[1217] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما فرض الله ورسوله من الكون مع الأئمة، ح رقم 6

سابعا: إن الكثير من تلك الروايات يتناقض مع التاريخ الإسلامي والشيعي، كالحديث الذي يقول بأن جبرئيل قد نزل على الرسول بأسماء الأئمة وأسماء آبائهم وأحبائهم والمسلِّمين لفضلهم.[1218] وهذا ما ليس له أثر في كل تاريخ أهل البيت الذين لم يكونوا يعرفون الأئمة منهم بوضوح ، فضلا عن معرفة أسماء أحبائهم والمسلِّمين لفضلهم.

ثامنا: وصول نظرية الإمامة إلى طريق مسدود، واصطدامها بالواقع، وانهيارها وانقراضها.

لقد كانت نظرية "الإمامة الدينية العلمية والسياسية لأهل البيت" نظرية حادثة في القرن الثاني الهجري، وقد صعب على الشيعة قبل غيرهم هضمها وقبولها، كما تعترف الروايات التي تتحدث عن "صعوبة حديث آل محمد" واشمئزاز الشيعة منه.[1219]

ونحن نميل إلى اختلاق بعض أصحاب الأئمة لنظرية "الإمامة" ومحاولة تمريرها باسمهم، ثم تأليف أحاديث على لسان الباقر والصادق، على لسان رسول الله (ص)، بصعوبة حديث آل محمد، وإجبار الشيعة على التسليم لتلك النظرية وقبولها. ونبني شكنا بتلك الأحاديث على عدة أمور، منها: أنها مرسلة من قبل الباقر والصادق إلى رسول الله بدون سند، ولأنها شاذة وتخالف روح القرآن والإسلام، فما هو حديث آل محمد المفترض؟ ولماذا هو صعب مستصعب لا يؤمن به إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان؟ مع إن الإسلام ميسَّر واضح لا أسرار فيه، وهل يعقل أن يكون حديث آل محمد مرفوضا من الملائكة غير المقربين أو الأنبياء غير المرسلين أو عباد الله العاديين؟ ومتى كان رسول الله يتحدث بحديث تشمئز منه القلوب وتنكره العقول؟ ولماذا يعتبر رد الأحاديث الضعيفة غير المعقولة والصعبة والشاذة كفراً ؟

وتعبر الأحاديث التالية القائمة على تأويل القرآن بصورة تعسفية عن محاولة يائسة لتطويع الشيعة ودفعهم للتسليم والتصديق والطاعة، كتأويل قوله تعالى " ومن يقترف حسنة نزد

[1218] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما فرض الله ورسوله من الكون مع الأئمة، ح رقم 4

[1219] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب فيما جاء أن حديثهم صعب مستصعب، ح رقم 1 و 3

له فيها حسنا" بالتسليم .[1220] أو تأويل "المؤمنون" بأنهم المسلِّمون.[1221] أو تأويل "الطريقة" بولاية علي بن أبي طالب والأوصياء من ولده، و"الاستقامة" بالطاعة.[1222] وكذلك الادعاء باختلاف إيمان أبي ذر عن إيمان سلمان، إلى درجة استعداد أبي ذر لقتل سلمان " لو علم ما في قلبه" لتبرير صعوبة حديث آل محمد.

وإذا جئنا إلى رسالة الإمام الصادق المزعومة للشيعة فسنجد فيها اعتبار "ولاية الأئمة شرطا من شروط الإيمان الذي لا يتم إيمان عبد إلا به". وهو ما يتناقض مع القرآن الذي لا يشترط سوى الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر للفوز في الآخرة، وإذا كان القرآن يأمر بطاعة الله وطاعة الرسول وأولي الأمر، كما في قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا". النساء، 59 فإن القرآن لم يحدد من هم أولي الأمر؟ ولذلك فقد تنطبق الآية على عمال النبي في حياته، كما قد تنطبق على الأئمة الذين تنتخبهم الأمة، أو على العلماء بصورة عامة، ولا دليل على تخصيص الآية بآل محمد، وبالبيت العلوي ثم البيت الحسيني، ثم الباقري ثم الجعفري ثم الموسوي، وهكذا في الأعقاب وأعقاب الأعقاب، وإنما هو ادعاء وتأويل دون دليل واضح أو متين، وجاءت الرسالة لتعتبر طاعة الأئمة (من آل محمد) من طاعة الله، ومعصيتهم من معصية الله، وذلك اعتمادا على تأويل قوله تعالى: " وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا" بالأئمة من أهل البيت.[1223] وتمضي الرسالة في تأويل القرآن بصورة تعسفية فتقول:"من سرَّه أن يعلم أن الله يحبه فليعمل بطاعة الله وليتبعنا، ألم يسمع قول الله عز وجل لنبيه (ص) قل: "إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم"؟ والله لا يطيع اللهَ عبدٌ أبداً إلا أدخل الله عليه في طاعته اتباعنا، ولا

[1220] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب التسليم وفضل المسلمين، ح رقم 4

[1221] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب التسليم وفضل المسلمين، ح رقم 5

[1222] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الطريقة التي حث على الاستقامة عليها ولاية علي، ح رقم 1 و 2

[1223] - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، رسالة الإمام الصادق، حديث رقم1

والله لا يتبعنا عبد أبــدا إلا أحبه اللــه، ولا والله لا يــدع أحد اتباعنا أبدا إلا أبغضـنا ، ولا والله لا يبغضـنا أحد أبـدا إلا عصى اللـه، ومن مات عاصيا لله أخزاه الله وأكبه على وجهه في النــار والحمد لله رب العالمين". [1224]

وبالرغم من حدة الرسالة وشدتها في تأسـيس الـولاء لأهل الــبيت، فإنها لا تقــدم دليلا ســوى القسم المكــرر باللـــه. ومن البديهي أن القسم لا ينفع في تأسيس عقيدة ولا إقناع محاور.

وتلجأ الرسالة المنسوبة للإمام الصادق، إلى استخدام آية " فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكمـوك فيما شـجر بينهم ثم لا يجـدوا في أنفسـهم حرجا مما قضـيت ويسـلموا تسـليما" لتطـالب الشـيعة بالتســـليم للأئمة، و تهـــدد من يعـــترض على الله والرســـول، بالشرك.[1225] ثم تربط بين التسليم لله والرسول والتسليم للأئمة من آل محمد في جميع الأقــوال " فيما أســروا وما أعلنــوا وفيما بلغني عنهم وفيما لم يبلغني".[1226]

ونربأ بالإمام الصادق أن يستخدم هذا المنطق في فرض الولاء والطاعة والتســـليم لـــه، إذ لا يمكن أن يقنع عامة المســـلمين بالاستســلام له دون دليل وبنــاء على مجــرد الــدعوى والتأويل التعسفي للقرآن، وذلك لأن النبي محمد (ص) لم يدعُ المسـلمين إلى طاعته إلا بعد أن قدم لهم معجزته الخالـدة القـرآن الكـريم، فكيف يمكن أن يــأتي أي أحد ليحشر نفسه بين الله والنــبي دون دليل قاطع وواضح وأكيد؟

وهذا ما يـدفعنا إلى الشك بتلك الرسـالة المزعومة المنسـوبة إلى الإمام الصادق، ورفضها بقوة.

وإذا انتقلنا إلى الحــديث الــذي ينقله الكليــني عن البــاقر عن رســول الله (ص) والــذي يقــول فيــه:"إن الــروح والراحة والفلج والعــون والنجــاح والبركة والكرامة والمغفــرة والمعافــاة واليسر والبشــرى والرضــوان والقــرب والنصر والتمكن والرجــاء والمحبة من الله عز وجل لمن تــولى عليا وائتم بـــه، وبـــريء من عـــدوه، وســـلم لفضـــله وللأوصـــياء من بعـــده، حقا علي أن أدخلهم في شــفاعتي، وحق على ربي تبــارك وتعــالى أن يســتجيب لي فيهم،

[1224] - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، رسالة الإمام الصادق، حديث رقم1

[1225] - الكليني، الكافي، كتـاب الحجـة، بـاب التسـليم وفضل المسـلمين، ح رقم 2

[1226] - الكليني، الكافي، كتـاب الحجـة، بـاب التسـليم وفضل المسـلمين، ح رقم 6

فـإنهم أتبـاعي ومن تبعـني فإنه مـني".[1227] فانا نلاحظ أيضا أنه مرسل من البـاقر إلى الرسـول ، وهـو ما يـدفعنا كـذلك للتوقف والتساؤل عن مدى حجية أحـاديث الأئمة المرسـلة الـتي تؤسس لنظرية "الإمامة الإلهيـــة". والمفـــروض أننا لم نتوصل بعـــدُ إلى إثبات مكانتهم الخاصة التي تفرض علينا التسليم لأقوالهم .

ومن الملاحظ أن بعض الأحاديث المنسوبة للإمام محمد الباقر، مروية عن أبي خالد الكابلي، الذي كـان عضـوا بـارزا في الحركة الكيسـانية المغاليـة، ثم انتقل إلى صـفوف حـزب الإمـام البـاقر، وأخذ ينسج الروايـــات الخيالية الأســـطورية عن الأئمة وعلمهم بالغيب، وتحـدثهم عن الله تعـالى، مثل هـذا الحـديث الـذي يرويه عن البـاقر عن الله بلا واسـطة:" والله لا يحبنا عبد ويتولانا حـتى يطهر الله قلبه ولا يطهر الله قلب عبد حــتى يســلم لنا ويكــون سلما لنا فإذا كان سلما لنا سلمه الله من شـديد الحسـاب وآمنه من فزع يوم القيامة الأكبر". [1228]

ويقول حديث آخر منسوب إلى الباقر: بـأن الحجـاج أُمـروا أن يطوفـــوا بالكعبة، ثم ينفـــروا إلينا فيُعلِمونا ولايتهم ومـــودتهم ويعرضوا علينا نصرتهم. ويستشهد بآية: "واجعل أفئدة من الناس تهـوي إليهم" ليقـول أنها تعـني حب الأئمة والاهتـداء إليهم؟.[1229] ولكن الآية غير صريحة بل بعيدة عن الـدعوة لتقـديم الولاية لأهل الـبيت، إلا بتأويل متعســف، وحاشا أئمة أهل الــبيت أن يتلاعبــوا بالقرآن بهذه الطريقة لإقناع الناس بتقديم الولاء لهم.

وهكذا هو الحديث عن آية "قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نـذير لكم بين يـدي عـذاب شـديد". (السـبأ، 46)ـ الـتي يقـوم حـديث منســوب إلى البــاقر بتأويلها بالولايــة:" إنما أعظكم بولاية علي، هي الواحـــدة الـــتي قـــال الله تبـــارك وتعـــالى " إنما أعظكم بواحــدة".[1230] كما يئــول آية " نــزل به الــروح الأمين على قلبك

[1227] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب ما فرض الله ورسوله من الكون مع الأئمة، ح رقم 7

[1228] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة نور الله، ح رقم 1

[1229] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الواجب على النـاس بعد ما يقضون مناسكهم أن يأتوا الإمام، ح رقم 1 و 2

[1230] - الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح رقم 41

لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين". [1231] وآية " ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما انزل إليهم من ربهم" بالولاية.[1232] وهذا منتهى التعسف في التأويل، ونربأ بالإمام الباقر أن يكون قد قال ذلك، بل نحتمل قويا أن تكون الرواية موضوعة على لسانه. وإذا قبلنا منطق التأويل بهذه الصورة فلا يمكن أن نحد عملية التأويل بأية حدود، وسوف نسمح لكل من يريد التلاعب بالقرآن أن يفعل ما يشاء.

بيد أن عملية التأويل التعسفي تستمر – مع الأسف - هكذا بلا حدود، وينقل الرواة عن أبي جعفر الباقر أنه أوَّل أيضا "الصراط المستقيم" بالولاية.[1233] وأنه كان يقول بتحريف القرآن ، وأنه أضاف كلمة (في علي) أو (بموالاة علي) أو (آل محمد) وأقحمها في عدد من آيات القرآن الكريم، وقال:" هكذا نزل بها جبرئيل عليه السلام على محمد (ص)". [1234] وهذه دعوى لا تستحق النقاش لأنها تتعارض بصراحة مع القرآن الكريم ، وقد أمر أئمة أهل البيت بضرب أية رواية تتعارض مع القرآن عرض الجدار.

وبعد تهافت عمليات التأويل ودعاوى التحريف في القرآن، نصل إلى نص منسوب إلى الإمام الباقر حول ولاية الإمام علي وأن "من عرفه كان مؤمنا، ومن أنكره كان كافرا، ومن جهله كان ضالا، ومن نصب معه شيئا كان مشركا، ومن جاء بولايته دخل الجنة". [1235] وهو نص ينسجم مع نصوص أخرى مشابهة مروية عن الباقر حول مسألة الولاية وأنها ركن من أركان الإسلام.[1236] ونحن لا نستطيع أن نقبل بهذه الروايات، مهما اعتبر البعض

[1231] - الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح رقم 1

[1232] - الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح رقم 6

[1233] - الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح رقم 24

[1234] - الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح رقم 25 و 31 و 58 و 59 و 65

[1235] - الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نتف وجوامع من الرواية في الولاية، ح رقم 7 و 8

[1236] - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب دعائم الإسلام، ح رقم 1 و3 و4 وأنه قال: "بني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ولم ينادَ بشيء كما نودي بالولاية". وفي رواية أخرى:" فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه يعني الولاية". و"إن أثافي الإسلام ثلاثة: الصلاة والزكاة والولاية، لا تصح واحدة منهن إلا بصاحبتيها".

رجالها ثقاة، وذلك لأنها تتناقض مع روح القرآن الـذي يـدور حـول الإيمــان بالله والرســول، ولا يضــيف إليهما أشخاصا آخــرين من الصحابة، ولا يربط الإيمان والكفر والضلال والشرك بولاية الإمام علي، ونحسب هــذا الحــديث من صــنع الغلاة المتطــرفين من الإمامية.

وما يؤكد شكنا بنسبة كل هذه الأحاديث إلى أئمة أهل البيت، هو وجود الأحزاب الشيعية المتعـددة والمتنافسة في زمن البـاقر والصادق، والـتي كـان يمكن أن تطبق هـذا المنطق على نفسـها، وتدعي أن الولاء لها ركن من أركان الإسلام، فكيف يمكن أن يرد عليها أنصـار البـاقر والصـادق؟ وكيف يحاجونهـا؟ وهل يطالبونها بالــدليل؟ أم لا؟ وإذا كــانوا يفعلــون ذلك فكيف يمكن أن يتجــرأ الإمام الباقر أو الصادق بادعاء أمر لا يملك عليه الدليل؟

وإن مما يهون الخطب في حل لغز هذه الروايـات، هي معرفة الحركات المغالية التي كانت تنتشر في تلك الأيـام، والـتي كـانت تلخص الدين وتعلق النجـاة في الآخـرة على معرفة رجـال وبغض رجال، وتهون الأعمال الصالحة والعبادات الـتي جـاء بها الإسـلام، وتنسب مقولاتها إلى الأئمة من أهل الــبيت، حيث نجد بصـــماتها واضـحة على أحـاديث من هـذا القبيل :" أما لو أن رجلا قـام ليله وصام نهاره وتصدق بجميع ماله وحج جميع دهره ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه ويكون جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له على الله عز وجل حق في ثوابه ولا كان من أهل الإيمان". [1237]

وفي الحقيقة لا نحتـاج إلى أئمة أهل الـبيت لكي ينفـوا هـذا الحديث، وإنما يكفي أن نعرضه على القرآن لنكتشف أنه يتناقض معه بشـــدة، فقد أعلن القـــرآن ختم النبـــوة بمحمد (ص) ولم يشترط لقبول الأعمال أن تكـون بدلالة أحد بعد النـبي. والـدعوى بلا دليل، ثم كيف يمكن أن نعرف ولي الله في كل زمان ومكان؟ وما هو الدليل على أن هذا الشخص مثلا هو الولي؟

وإن ما يـدعونا لـرفض مثل هـذه الأحـاديث هو ما تحتويه من أقوال شاذة تخرج عن إطار المنطق الإسلامي، مثل ما يروى عن البـاقر من ربط مسـألة الولاية والقبـول بها بعوامل جينية تعـود للطينة التي خلق منها الإنسان في "عالم الذر" وهو - كما يقال - عالم مثالي قبل عالم الأرض، أخذ الله فيه ميثاق الشـيعة بالولاية لأهل الـبيت وهم ذر، يـوم أخذ الميثـاق على الـذر، بـالإقرار له

[1237] - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب دعائم الإسلام، ح رقم 5

بالربوبية ولمحمد (ص) بــالنبوة.[1238] كما يقــول حــديث غــريب منسوب إلى الباقر مرسلا إلى الله تعالى دون سـند من قـرآن أو سنة نبوية، وينطوي على جبرية وتفاصيل أسطورية لا دليل عليها. مما يدفعنا للشك بصـحة الحـديث واتهـام الغلاة باختلاقه ونسـبته إلى الإمام الباقر.

وهكذا نشك ونتوقف ونرفض الأحاديث التي يرويها الإمامية عن الإمام جعفر الصادق في موضوع الـولاء لأهل الـبيت، فهي كـذلك تقوم على تأويل القرآن تأويلا تعسـفيا، بما يخـدم قضـية التحـزب والصراع السياسي وجمع الأعوان ومحاربة الخصوم.

وقد رأينا حديثا منسوبا إلى الصادق يـدعو الشـيعة إلى مـوالاة الأئمة اعتمــادا على تأويل كلمة الأئمة في آيــة: "وجعلنــاهم أئمة يهدون بأمرنا" (الأنبيـاء 73) بالأئمة من أهل الـبيت، رغم أن الآية تتحدث عن الأنبيـاء السـابقين إبـراهيم ولـوط وإسـحاق ويعقـوب (عليهم السـلام) حيث يقـول الله تعـالى:"قلنا يا نـار كـوني بـردا وســلاما على إبــراهيم. وأرادوا به كيــداً فجعلنــاهم الأخســرين. ونجينـاه ولوطـاً إلى الأرض الـتي باركنا فيها للعـالمين. ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين. وجعلناهم أئمة يهــدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخـيرات وإقـام الصـلاة وإيتـاء الزكـاة وكانوا لنا عابدين". الأنبياء 69 - 73

ونلاحظ منهج التأويل أيضا في رواية أخــرى ينقلها أبو الربيع الشامي عن الصادق أنه قال في آية "يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم" : نــزلت في ولاية علي (ع).[1239] دون تقديم أي دليل أو ذكر أي سند .

ونرى رواية أخـرى عن الإمـام يربط فيها بين طاعة الله واتبـاع الأئمــة، اعتمــادا على تأويل آيــة: "إن كنتم تحبــون الله فــاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنــوبكم" الـتي تتحـدث بلسـان الرسـول وتربط بين حب الله واتباع رسـوله الكـريم، فيحشر الإمـام نفسه مع الرســول ويطــالب الشــيعة بطاعته ويحــذر من معصــيته.[1240] وهذا بعيد جدا عن منطق الإمام الصادق.

[1238] - الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نتف وجوامع من الرواية في الولاية، ح رقم 9

[1239] - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم349

[1240] - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، رسالة الإمام الصادق، حديث رقم1

وهناك حديث يرويه الإمامية عن الصادق عن رسول الله (ص)، يدعو إلى طاعة أهل البيت و" إنهم لا يدخلونكم في بـاب ضـلال، ولا يخرجـونكم من بـاب هـدى، من والاهم واتبعهم وصـدقهم فهو مني ومعي وسيلقاني، ومن ظلمهم وكذبهم فليس مـني ولا معي وأنا منه برئ". [1241] ولكنه لا يصـمد أمـام التحقيـق، لأنه من غـير المعقول أبدا أن يأمر الله بطاعة قوم غير محددين فيهم الصـالح والطـالح، كأهل الـبيت الـذين كـانوا يضـمون بيوتـات وشخصـيات مختلفة ومتصـــارعة، ويتهم بعضـــهم البعض الآخر بـــالانحراف والضــلال، فكيف يقــول الرســول عنهم بصــورة عامة**:**" إنهم لا يدخلونكم في باب ضلال، ولا يخرجـونكم من بـاب هـدى"؟ وكيف يمكن التميـيز بينهم ومعرفة المحق من المبطـل؟ والصـادق من الكـــاذب؟ وقد عمي ذلك على أهل الــبيت أنفســـهم، فضلا عن الشيعة وعامة المسلمين؟!

ومع وجود الشك بالحـديث؛ لا ينفع اسـتخدام القَسـَم لإثبـات وجـوب حب أهل الـبيت ومـوالاتهم، وإنما لا بد من تقـديم الـدليل الشرعي المرتكز على القرآن الكريم والسنة النبوية الثابتة، وهذا ما عجز ذلك الحديث عن تقديمه.

ورغم أن المعروف عن الإمام الصادق رفضه لمنهج القياس، وقوله :"إن أول من قـــــاس إبليس" إلا أن بعض الأحـــــاديث المنســوبة إليه تتضــمن ممارسة القيـاس من أجل إثبـات نظرية الإمامة ووجـــوب الـــولاء للأئمـــة، مثل الحـــديث الـــذي يقيس "عصـيان" الأمة الإسـلامية للإمـام من أهل الـبيت، على معصـية إبليس لله في السـجود لآدم. [1242] رغم وجـود الفـارق الكبـير بين معصـية إبليس لأمر الله المباشـر، وعـدم معرفة الأمة بالأئمـة، لنقص الأدلة أو عدم وجودها أساسا.

ومن الجدير بالذكر أن هذا الحديث يشبه حديثا سابقا منسوبا للإمـام البـاقر، استعرضـناه قبل قليـل. وهو يعتمد على تضـخيم مسـألة الولاية أكـثر من سـائر أركـان الـدين كالصـلاة والزكـاة والصوم والحج، واعتبارها من أهم شروط الإيمان.

[1241] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أن الأئمة في كتاب الله إمامان، ح رقم 1

[1242] - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 399

ومن الواضح أن التصديق بهكذا أحاديث يؤدي إلى مساواة الكفر بالأئمة بالكفر بالله تعالى، واعتباره إلحادا يستحق العذاب الأليم.[1243] وهذا بعيد جدا عن روح القرآن الكريم.

ولكن ما يدعونا إلى رفضها هو اعتمادها فقط على التأويل المتعسف دون أي دليل. وعندما كانت عملية التأويل تواجه صعوبةً ما في إثبات المطلوب، فان الغلاة كانوا يلجؤون إلى القول بتحريف القرآن وإضافة ما يشاءون إليه باسم الأئمة ، كما رأينا في الروايات التي تضيف (الولاية) إلى عدد من الآيات وتصرح بأن القرآن نزل هكذا، وتقسم على ذلك.[1244]

ومما يؤكد وقوف الغلاة وراء اختلاق أحاديث "الولاية" ونسبتها كذبا وزورا إلى الإمام الصادق، هو ادعاؤهم: أخذ الله الولاية لأهل البيت من جميع الأنبياء السابقين، وحتى من الملائكة في السماوات، في محاولة منهم لإضفاء صفة البعد الديني الأزلي على موضوع الولاية وعدم الاقتصار على النظر إلى الأئمة كزعماء سياسيين ينافسون الحكام المغتصبين فقط. وهذا بعيد جدا عن منطق الصواب والحياد الذي لا ينبغي أن ينسب الى الإمام الصادق. ويكفي في الرد على تلك الروايات أنها تتحدث عن الغيب والتاريخ منذ بدء الخليقة، ولا تسند قولها إلى آية من القرآن الكريم، أو حديث ثابت عن النبي، وهذا منتهى الإسفاف في التقول على الله وأنبيائه العظام والأئمة الصالحين.

5 - إعادة تعريف مصطلح "الإيمان"

إن من المهم جداً إعادة تعريف مصطلح "الإيمان" الذي تعرض لتشويه كبير على يدي الغلاة الذين فرقوا بين الإسلام والإيمان، وعرَّفوه: بمعرفة "الإمامة" والإقرار بها "وإلا كان ضالا".[1245] ومن الضروري التشكيك بكل ما يروى عن "الإمامية" عن رسول الله (ص) من اعتبار حب أهل البيت أساس الإسلام.[1246] بحيث لو أن رجلا عبد الله عز وجل عمره أيام الدنيا ثم لقي

[1243] - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 533

[1244] - الكافي، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح رقم 8 و 45 و 47 و 91

[1245] - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر ، باب أن الإسلام يحقن به الدم، ح رقم 4 و كتاب الحجة، باب معرفة الإمام والرد إليه، ح رقم 6

[1246] - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر ، باب نسبة الإسلام، ح رقم 2

الله مبغضا لهم كـان منافقا.[1247] أو اعتبـار من يحب عليا ويعرفه ويطيعه مؤمنـا، ومن يرفضه أو يجهله أو يحاربه كـافرا.[1248] وذلك لمخالفة هـذه الأحـاديث للقـرآن الكـريم الـذي يوضح شـروط الإيمان والفلاح في أول سورة البقـرة ولا يشـير إلى الموقف من أهل الـبيت سـلبا أو إيجابـا. ومع اعترافنا بفضل الإمـام علي والصالحين من أهل الـبيت إلا أنه لا يوجد أسـاس قـرآني لاعتبـار الموقف منهم جزءا من شروط الإيمان.[1249]

فكيف يمكن أن نساوي بين إنكـار الله وإنكـار أحد الأئمة [1250]، مع أن الدليل عليهم أو على معظمهم كان منعدما أو غامضا حتى لأقرب المقربين منهم؟

ومن هنا لا يمكن اعتبار كل مَن ادعى الإمامة (من غير أهل البيت) كافرا.[1251] أو مَن أشـرك مع إمـام إمامته من عند الله من ليست إمامته من الله كـان مشـركا باللـه.[1252] أو مَن نصب شخصا دون أهل الـبيت فهو ممن يعبد الله على حـرف.[1253] وأن من لم يعرفهم ولم يرد إليهم ولم يسلِّم إليهم مشـركا حـتى وإن صام وصلى وشهد أن لا إله إلا الله.[1254]

وبعد التحـرر من المصـطلحات "الإماميـة" الخاصة والقديمـة، نستطيع تعديل موقفنا إيجابيا من الصحابة الـذين لم يتبعـوا عليا بعد وفـاة رسـول الله (ص) مباشـرة، ولا نعتـبرهم أهل ردة إلا

[1247] - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر ، باب نسبة الإسلام، ح رقم 3

[1248] - الكليـني، الكـافي، كتـاب الإيمـان والكفـر، بـاب المـؤمن وعلاماته وصفاته، ح رقم 27، و باب الكفر 16 و 17 و 18 و 20 و كتاب الروضـة، ح رقم 353

[1249] - وينطلق شـكنا بتلك الأحـاديث واتهـام الغلاة باختلاقهـا، من تضـمن الكثير منها دعـوى تحريف القـرآن بصـراحة، وإضـافة كلمـات خاصة حـول ولاية علي إلى بعض الآيات، لتفيد المطلوب. الكـافي، كتـاب الحجـة، بـاب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح رقم 45

[1250] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب معرفة الإمام والرد إليه، ح رقم 5

[1251] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أنه من ادعى الإمامة وليس لها بأهل، ح رقم 2

[1252] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب أنه من ادعى الإمامة وليس لها بأهل، ح رقم 6

[1253] - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب الشرك، ح رقم 4

[1254] - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب الشرك، ح رقم 5 و 6

ثلاثة (المقـــــداد بن الأســـــود وأبو ذر الغفـــــاري و ســـــلمان الفارسي).[1255]

وبالنسبة لعصور ما بعد الصحابة، لا بد من مراجعةِ حديثٍ لعب ويلعب دورا سلبيا كبيرا في إشاعة التطرف والتكفـير والتضـليل، وهو حديث عبد الله بن عمر الذي رواه للحجـاج عنـدما طلب منه أن يمد يده لبيعتـه، والـذي نسـبه إلى رسـول الله (ص) أنه قـال: "من مات وليس عليه إمام فميتته ميتة جاهلية". وبـالرغم من أن عبد الله لم يقل فيما إذا كان الإمام عادلا أو ظالما، أو منتخبا من الأمة أو معينا من قبل الله، فقد اسـتغله الإمامية لتكفـير من لم يؤمن بالأئمة من أهل البيت واعتبار ميتته ميتة جاهليـة، أو جاهلية كفر ونفاق وضلال.[1256] وما يدفعنا لرفض هذا الحديث والتشكيك بصحته، تعارضه مع القرآن الكريم الذي لا يشـير أبـدا إلى شـرط الإمامة في الإيمان.

6 - إعادة النظر في الموقف من الصحابة والشيخين

وإذا كان الشيعة اليوم قد تخلصوا اليـوم عمليا من نظرية "الإمامة الإلهية" ومن فرضية وجود الإمام الثاني عشر، بعد رحلة طويلة من الحيرة والعذاب والتمزق اسـتمرت ألف عـام، وعـادوا إلى فكر أهل البيت الأصيل:"الشورى" ، فلا بد أن يتخلصـوا نهائيا من كل مخلفـــــــات ورواسب تلك النظرية المتطرفة والمثالية والوهميـــــة. ومن أهم تلك الرواسب : الموقف الســــلبي من الصـحابة وخصوصا الشـيخين الجليلين الخليفـتين الراشـدين أبي بكر وعمر (رضي الله عنهمـــا). ذلك الموقف الـــذي يقـــوم على أساس الاعتقاد الخاطئ باغتصابهما للخلافة من الإمـام علي عليه السلام، حسب نظرية "النص الإلهي" وتعيين النـبي الأكـرم (ص) له كخليفة من بعـده. وما يسـببه هـذا الموقف من تـوتر وتشـنج وعداء بين الإمامية وعموم المسلمين.[1257]

[1255] - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 341 و ح رقم 356

[1256] - الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب من مات وليس له إمام من أئمة الهدى، ح رقم 1 و 2 و 3

[1257] - ليس كل الشيعة، قديما وحديثا، يؤمنون بنظرية الإمامة، ويلتزمون بكل حـذافيرها، وبالتـالي فـانهم لم يتخـذوا.. ولا يتخـذون موقفا سـلبيا من الصحابة والشيخين، بصورة حتميـة. ولـذا فـان نظر الآخـرين إليها يجب أن يكون واقعيا، ودقيقاً، ومميِّزاً بين فـرقهم المختلفة وتيـاراتهم العديـدة. ولا بد أن يلاحظ المسلمون التطـورات الجذرية الكبـيرة الـتي حـدثت وتحـدث

ولا بد من التخلي عن ثقافة التفسيق والتضليل والتكفير واللعن الــــتي انبثقت من رفع أمر "الإمامة" إلى مســـتوى العقيــــدة والعبادات الضرورية في الإسـلام، واعتبـار "الـولاء" لأهل الـبيت، شرطا للهدى والتقوى والإخلاص، والاكتفاء بدلا من ذلك بشــروط الإيمان التي يحددها القـرآن الكـريم بتوحيد الله والإيمـان بـالنبوة والمعاد، والالتزام بالعبادات واجتناب المحرمات. ولا بد من إعادة النظر بالأحاديث المنسوبة إلى أئمة أهل الـبيت الـتي تتنـاقض مع القرآن الكريم ومع أصـول العقيـدة الإسـلامية.[1258] فقد قـال الله تعـالى:"والسـابقون الأولـون من المهـاجرين والأنصـار والـذين اتبعـوهم بإحسـان رضى الله عنهم ورضـوا عنـه، وأعد له جنـات تجــري تحتها الأنهــار خالــدين فيها أبــدا ، ذلك الفــوز العظيم". وقال:" والذين آمنوا وهاجروا وجاهـدوا في سـبيل اللـه، والـذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا، لهم مغفرة ورزق كريم " . وقال :" لا يسـتوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتـل، أولئك أعظم درجة من الـــذين أنفقـــوا من بعد وقـــاتلوا، وكلا وعد الله الحسـنى ، والله بما تعملـون خبـير" . وقـال:" لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ، فعلم ما في قلـوبهم فـأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ". وقال : " محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعـاً سـجداً يبتغـون فضـلاً من الله ورضـوانا ، سـيماهم في وجـوههم من أثر السجود - إلى أن قال - وعد الله الذين آمنـوا وعملـوا الصـالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما".

7 - التحرر من القوقعة الطائفية التاريخية

بعد التحرر من نظرية "الإمامة الإلهية" ورواسـبها في مجـال التكفـــير والتفســـيق والتضـــليل، لا بد من التحـــرر من القوقعة الطائفية الـتي قـامت تلك النظرية بإدخـال الشـيعة فيهـا، وبنت حــــولهم جــــدرانا من القطيعة مع إخــــوانهم من بقية الطوائف الإسلامية، وحوَّلتهم من حزب طليعي يعمل من أجل الإصـلاح في الأمة الإسـلامية، ويناضل من أجل إحقـاق الحق وإشـاعة العـدل وممارسة الشورى، إلى طائفة منغلقة على نفسها ومنفصـلة عن بقية المسلمين وحتى عن بقية الفرق الشيعية الأخرى كالزيديـة.. تنظر إلى الآخــرين بريبة و شـــك، ويبادلها الآخــرون المشــاعر

في صفوف الشيعة بصورة عامة.

[1258] - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب أدنى ما يكون فيه العبد مؤمنا أو كافرا، ح رقم 1 و باب الكفر، ح رقم 15

السـلبية ذاتهـا. وتبـدأ عملية تحطيم الجـدران الطائفية بالانفتـاح السياسي على مختلف الـدول الإسـلامية بغض النظر عن هويتها الطائفية، التاريخية النظرية التي لا علاقة له بالحياة المعاصرة.

ولا بد هنا من التفريق بين الموقف من الطغـــاة والظالمين، وبين من يتخذ موقفا نظريا من بعض الحكـام والأئمة في التــاريخ، وإذا كــانت بعض أئمة أهل الــبيت دعــوا لمقاطعة الحكام الظـالمين في عصـرهم، أو عـدم الـدخول في وظـائفهم، فــانهم قد تجــاوزوا ذلك الموقف في وقت لاحــق، وتحــالفوا مع بعض الحكـام (كالمـأمون) واختلطـوا بهم، وبالتـالي فـان موقف القطيعة ليس مبدءا ثابتا مع كل الحكام من غير أهل البيت، فضلا عن أتباعهم والمحبين لهم.

وربما يُشــمُّ من بعض الأحــاديث الــواردة عن البــاقر والصادق هذا الاستثناء الذي عبروا عنه بـ "مراعـاة الإخـوان".[1259] وكان هذا بـالطبع في ظل تمـاهي الدولة بالشـخص الحـاكم، وأما اليوم حيث أصبحت الدولة كيانا مستقلا عن الحاكم، فإن الـدخول في وظائف الدولة لا يمكن أن يقوم على أسـاس جلب المصـلحة الحزبية أو الطائفية، وإنما خدمة الوطن والمواطنين بشكل عام.

وفي الواقـع.. لقد جـرب الشـيعة موقف المقاطعة السياسـية للدول والحكام قرونا من الزمن، ثم توصلوا إلى ضرورة التعايش وأخذ الحقوق والمشاركة السياسية في إدارة الدولة.

8 - فك المقاطعة الاجتماعية

1259 - الكليني، الكافي، ح رقم 8544 – 2 و ح رقم 8541 – 14 و ح رقم 8543 – 1 و ح رقم 8545 – 3 و ح رقم 8546 - 4

ولا بد من فك المقاطعة الاجتماعية، وعدم اعتبار كل من خالفنا الرأي صاحب بدعة، أو معصية تستوجب مقاطعته والبراءة منه أو سبه والقول فيه والوقيعة به، كما تقول بعض الأحاديث (الموضوعة) المنسوبة للباقر والصادق.[1260]

وفي هذا المجال لا بد من إعادة تعريف "الناصبي" هل هو من ينصب العداء للحق والعدل والشورى؟ أم من ينصب العداء – فرضا - لأئمة أهل البيت في التاريخ؟ أو لا يحبهم مثلا، أو لا يؤمن بهم كأئمة معينين من قبل الله؟ أو لا يؤمن بإمام محدد أنه من قائمة الأئمة في التاريخ؟ وذلك لوجود اختلاط كبير في هذه المفاهيم، وعدم قيامها على أساس من القرآن الكريم بل على أساس سياسي مؤقت وشخصي.[1261]

وبما أن المقاطعة الاجتماعية للمخالفين في المذهب قد شملت الصلاة خلفهم في الجمعة والجماعة، فلا بد أن يأخذ الانفتاح الاجتماعي خطوة في هذا المجال، وذلك بكسر التحريم المزيف، والصلاة خلف كل مسلم بغض النظر عن موقفه من نظرية "الإمامة" التاريخية.

وهنا لا بد أن نشكك في أساس المقاطعة العبادية أو ممارسة التقية عند الاضطرار للصلاة خلف المخالفين، بقراءة الحمد والسورة سرا، أو إعادة الصلاة بعد ذلك، كما تقول بعض الأحاديث المنسوبة للباقر والصادق.[1262] وذلك لعدم قيام هذا الرأي على دليل من القرآن أو السنة النبوية.

ولا بد من رفض كل الأحاديث التي تمزق الوحدة الإسلامية نفسيا واجتماعيا، والتي تأمر بمقاطعة المخالفين في الفكر السياسي (الذين لا يؤمنون بنظرية الإمامة) وتنهى عن مصافحتهم ونكاحهم.[1263] أو تحكم عليهم بالنجاسة البدنية.[1264] وكذلك لا بد من إعادة النظر في الأحاديث التي تدعو إلى مقاطعة المخالفين اقتصاديا، وعدم إعطاء الزكاة للفقراء من

[1260] - الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب مجالسة أهل المعاصي، ح رقم 2 و 3 و 4

[1261] - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 314

[1262] - الكليني، الكافي، ح رقم 5281 – 7 و ح رقم 5278 – 4 و ح رقم 5276 – 2

[1263] - الكليني، الكافي، ح رقم 9561 - 17

[1264] - الكليني، الكافي، ح رقم 3866 – 6 و ح رقم 3881 – 1 و ح رقم 9556 – 12 و كتاب الإيمان والكفر، باب الضلال، ح رقم 2 و ح رقم 9546 – 2 و ح رقم 9557 - 13

عامة المسلمين.[1265] وذلك لتناقضـها مع القـرآن الكـريم الـذي لا يحــــدد الهوية الدينية للفقـــــراء والمســــاكين فضلا عن الهوية الطائفيــة، حيث يقــول الله عز وجــل: " إنما الصــدقات للفقــراء والمســـاكين والعـــاملين عليها والمؤلفة قلـــوبهم وفي الرقـــاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله". إضـافة إلى تناقضـها مع بعض الأحـاديث الـواردة عن أهل الـبيت والـتي تجيز التصدق على اليهـود والنصـارى والمجـوس.[1266] فهل يكـون المسلم المخالف أسوء من هؤلاء؟

9 - الموقف الإيجابي من المذاهب الفقهية الأخرى

ولا بد أيضا من تجــاوز مخلفــات الفكر الشــيعي "الــديني" القديم، كالشعور بالتعـالي المـذهبي الفقهي، والاعتقـاد بـامتلاك الحقيقة الدينيـــــة، والحكم على المــــذاهب الفقهية الأخــــرى بالبطلان، ذلك الشعور القائم على:

1- اعتبـــار الإمـــام الصـــادق، وبقية الأئمة ، مصـــدرا ذاتيا للتشريع الديني إلى جانب القـرآن والسـنة، باعتبـارهم "معصـومين ومعيـنين من قبل الله ولـديهم علم خـاص من الله" وبالتالي فانهم فوق النقد والنقــاش، وكلامهم حجة غير قابلة للرد.
2- الموقف السلبي من الحديث والـرأي خـارج إطـار أهل البيت، واعتبار المذاهب الأخرى باطلة وغير شرعية.

علماّ بأن هاتين النقطتين محل نقاش، لوجود الشك في معظم الروايـات الـتي ينقلها "الإماميـة" عن الصـادق والأئمة الآخـرين، خاصة إذا رفضـــنا نظرية "الإمامة الإلهيـــة" ونظرنا إلى الإمـــام الصادق وبقية الأئمة كرواة ومحدثين ومجتهـدين، وهـذا ما يـدفعنا إلى التســاؤل عن ســند كثــير من الروايـات الـتي ينسـبونها إلى رســـول الله (ص) أو ينقلونها عن "كتـــاب علي" أو "مصـــحف فاطمة".

وأما الموقف الإمامي السلبي من الرأي والقياس والاجتهاد فقد كان يقوم على أساس وجود النصـوص الشـرعية في كل شـيء، وتبيان الكتاب والسنة لكل شيء، وعدم وجود منطقة فراغ تحتاج

[1265] - الكليني، الكافي، ح رقم 5928 – 6 و، ح رقم 5744 – 1 و ح رقم 5950 – 4 و ح رقم 5970 - 11

[1266] - الكليني، الكافي، ح رقم 6080 - 3

إلى الــرأي والاجتهــاد.[1267] وأن الأئمة يعلمــون جميع الأحكــام ويبينونها للنـاس. وقد ثبت بطلان هـذا الـرأي الـذي يلغي أي دور للعـرف والعقل في تشـريع بعض الأحكـام المدنيـة، خـارج إطـار الشريعة المحددة في أمور معينة، كالمجال الدسـتوري السياسي الــذي لم ينص القــرآن ولا الســنة فيه على حكم معين، وتُــرك للعقل الإنساني لكي يبدع ويجتهد فيه.

ويبدو من بعض الروايات أن موقف الإمامية السلبي من أبي حنيفة لم يكن يقـوم على ممارسة الأخـير للـرأي، بقـدر ما كـان يمثل رفضــاً منه للاعــتراف بــامتلاك الصــادق لعلم خــاص في الـدين.[1268] وأن الاجتهـاد كـان مرفوضا منهم ليس بسـبب عـدم شرعيته ذاتا، وإنما لما كان يمثله من استغناء عن الأئمة، حسـبما يقول حديث منسوب إلى الصـادق:"إن الله فـرض طاعة الأئمـة، الذين أنزل الله كتابه عليهم، على عباده، وأمر الأمة برد ما اشتبه عليهم من الأحكـام إليهم ... وإن الله لم يكلف النـاس اجتهـادا ، لأنه قد نصب لهم أدلـة، وأقـام لهم أعلاما ، وأثبت عليهم الحجـة، فمحال أن يضطرهم إلى ما لا يطيقون بعد إرسـاله إليهم الرسل بتفصيل الحلال والحـرام ، ولم يـتركهم سـدى ، مهما عجـزوا عنه ردوه إلى الرسول والأئمة صلوات الله عليهم".[1269]

ولكن إذا لم يثبت فرض طاعة الأئمة، ولا وجوب العودة والرد إليهم، أو لم تكن ثمة إمكانية للتواصل معهم، فان الاجتهاد يصـبح ضـرورة لا بد منهـا. ولا سـيما في ظل تعـدد الفتـاوى والأحـاديث المتناقضة الواردة عن الأئمة، للتقية أو لأي سبب آخـر، بالإضـافة إلى اضـطراب النقل عنهم بسـبب ضـعف بعض الـرواة النـاقلين عنهم.[1270]

[1267] - كما روي عن الإمام الصادق:" إن الله تبارك وتعالى أنزل في القرآن تبيـان كل شئ حـتى والله ما تـرك الله شـيئا يحتـاج إليه العبـاد، حـتى لا يستطيع عبد يقول: لو كان هذا انزل في القـرآن؟ إلا وقد أنزله الله فيـه". و" ما من شئ إلا وفيه كتـاب أو سـنة". الكليـني، الكـافي، كتـاب العقـل، كتاب فضل العلم، باب الرد إلى الكتاب والسنة، ح رقم 1 و 4 و 6

[1268] - كما ينقلون عن الصادق أنه قال له:" لقد ادعيت علماً، ويلك ما جعل الله ذلك إلا عند أهل الكتـــاب الـــذين أنـــزل عليهم، ويلك ولا هو إلا عند الخاص من ذرية نبينا محمد (ص) وما ورثك الله من كتابه حرفا". الـوافي ، ح رقم [33177] 27

[1269] - الوافي، ح رقم [33188] 38 ــ علي بن الحسـين المرتضى في رسالة (المحكم والمتشابه) نقلا من (تفسير) النعماني،

ولــذلك لا بد من إعــادة النظر في موقف الشـيعة من الفقه "الجعفـــري" والتعامل معه باعتـــدال كما يتعـــاملون مع ســـائر المـذاهب الإسـلامية، أي عـدم الاعتقـاد بأنه يمثل الحق المطلق وإنما هو اجتهاد ظني إلى جانب اجتهادات الآخرين، وإعـادة النظر في موقفهم السلبي من المذاهب الإسـلامية المختلفـة، والتعامل معها بإيجابية واحترام، وخاصة مدرسة الرأي الـتي كـانت تشـكك بكثـــير من روايـــات أهل الحـــديث وروايـــات الإمامية في نفس الوقت.

وهناك خطوة ضرورية جدا على طريق الاعتدال في النظر إلى الـذات والآخــرين، تتمثل في رفض "منهج مخالفة العامة" الـذي ترك أثرا سلبيا كبيرا في الفقه الإمامي.[1271] ولا نقول هنا ان على الشيعة أن يأخـذوا بكل ما ورد في الفقه السـني، أو يصـدقوا كل الروايـــات الـــواردة عنهم، وإنما عليهم الاجتهـــاد فيها ودراســـتها بصـورة محايـدة وموضـوعية فـإن كـانت صـحيحة يؤخذ بها ، وإن كانت مشـبوهة أو تحتمل الكـذب أو تحتـوي أمـرا مخالفا للشـرع والعقل تهمل بـدون تعصب، ولكن من دون اتخـاذ موقف مسـبق برفضها كلها، أو مخالفتها من أجل المخالفة.

10 - طي صفحة "المرجعية الدينية"

ولا بد من طي صفحة "المرجعية الدينية" التي تعتبر من مخلفات الفكر الشيعي القـديم "الاثـني عشـري". وهي مرجعية تطـورت عـبر ألف عـام، ونشـأت في ظـروف اسـتثنائية في ظل تحـريم الفقهـــــــــاء الإمامية للعمل السياسي وإقامة الدولة في "عصر الغيبة" لقـرون طويلة من الـزمن، حسب نظرية الانتظـار للإمـام الغـائب، وادعت أنها تشـكل امتـدادا لنظرية الإمامة الدينية لأهل البيت، وبالرغم من أن "المرجعية الدينيـة" لم تـدَّعِ "العصـمة" أو "النيابة الخاصة عن الإمـــام المهـــدي" إلا أنها قـــامت وتقـــوم

1270 - كما قال أبو بصير للصادق: ترد علينا أشياء ليس نعرفها في كتـاب الله ولا سـنة فننظر فيهـا؟ فقـال:" لا، أما إنك إن أصـبت لم تـؤجر، وإن أخطأت كذبت على الله عز وجل". الكليني، الكـافي، كتـاب العقـل، كتـاب فضل العلم، باب البدع والرأي والمقائيس، ح رقم 11

1271 - ورغم وجود بعض الأحاديث المشهورة حـول الموضـوع. فاننا نشك بنسبة هذا المنهج إلى الإمام الصـادق. ونعتقد أن يـدا خبيثة متطرفة كـانت تقف وراء هـــذه الأحـــاديث للتفريق بين المســـلمين، وتنسب ما تريد إلى الإمام الصادق، مثل هذا الحديث:" ما أنتم ـ والله ـ على شيء مما هم فيه ، ولا هم على شـــيء مما أنتم فيه ، فخـــالفوهم فما هم من الحنيفية على شيء". الوافي، [33362] 29 و 30 و ، [33365] 32 و 33

بوظيفـتين همـا: الإفتـاء والزعامة الدينية السياسـية. وبعد تطـور الفكر السياسي الشـيعي إلى مسـتوى الدولة لم يعد أي معـنى لاسـتمرار تمتع المرجعية بالصـفة الدينية السياسـية، حيث ينبغي أن ينحصر دور المرجعية على تقـديم الاستشـارات الفقهية القانونية فقط، ولا تتدخل في الحياة السياسية. وتكف عن تقـديم نفسها وصية على الشيعة في العـالم وقائـدة لهم في كل مكـان. ولا بد أن تتغـير صـيغة "التقليـد" المتبعة منذ قـرون لتنفتح أمـام سـائر العلمـاء المختصـين في كل مسـألة، ويتحـرر النـاس في استفتاء أي عالم أو سؤال أي خبير من دون تقيد سرمدي بمرجع واحد مـدى الحيـاة. وذلك لأن مبـنى "التقليـد" هو حكم العقل بضرورة رجوع الجاهل للعالم، وهذا يتحقق في أشكال مختلفة لا تقتصر على الصـيغة التقليدية المتعارفة بين الشـيعة اليـوم. إذ يمكن تحقيق الهدف من خلال انتخاب مجلس تشريعي (برلمـان) يدعم بأهل الخبرة والاختصاص في كل مجال من مجالات الحياة، ويقوم هذا المجلس بسن القوانين الجديـدة الـتي تحتاجها الحيـاة على ضـوء القـرآن الكـريم والسـنة والنبوية الكريمة والعقل والعلم.

11 - التحرر من نظرية "

ولاية الفقيه"

ولا بد من التحـرر من نظرية "ولاية الفقيـه" الوليـدة الحديثة للمرجعية الدينية. وفي الواقع لا توجد مشكلة كبيرة بمبـدأ "ولاية الفقيه" من حيث أفضلية الفقيه على الجاهـل، أو العـادل المتقي على الفاسق الظـالم، ولكن المشـكلة تـبرز في معـنى "الفقيـه" هل هو الفقيه بالأحكام الشـرعية من الصـلاة والصـوم والحج وما شـابه؟ أم هو المتخصص في كل مجـال، والخبـير في الإدارة والسياسة والاقتصـاد مما تحتاجه إدارة الدولة الحديثـة؟ و تكمن المشكلة كذلك في مصدر الشرعية الدستورية. حيث يتبـنى بعض القـائلين بولاية الفقيه نظرية "النيابة العامة للفقهـاء عن الإمـام المهدي الغائب" كقاعدة دستورية لشرعية الحاكم، وهو ما يعطيه سلطات دستورية مطلقة تحوله إلى ديكتاتور مطلق يتعـالى على الانتخابـات وصـناديق الاقـتراع، ويـرفض أية حـدود يرسـمها له الشعب. كما حدث في إيران في ظل حكم "ولاية الفقيه" عنـدما اسـتيقظ الإمـام الخميـني يوما من عـام 1988 ليعلن "الولاية المطلقة" ويتحدث عن التشابه بين الفقيه والإمـام المعصـوم في الصـلاحيات الواسـعة، فيقـول:" للفقيه العـادل جميع ما للرسـول

والأئمة (ع)، مما يرجع إلى الحكومة والسياسة ، ولا يعقل الفـرق، لأن الوالي - أي شخص كان - هو مجري أحكام الشريعة والمقيم للحدود الإلهية والآخذ للخراج وسائر الماليـات والتصـرف فيها بما هو صـلاح المسـلمين... ومع اقتضـاء المصـالح يـأمرون النـاس بالأوامر التي للوالي ويجب إطاعتهم".[1272] ويعتبر الفقهاء أوصـياء للرسول (ص) من بعد الأئمة وفي حال غيابهم، وقد كلفـوا بجميع ما كلف الأئمة (ع) بالقيام بـه.[1273] وأن "ولاية الفقيه" ولاية دينية إلهية، فيقول:" ان الله جعل الرسول (ص)، وليا للمؤمنين جميعا ، ومن بعده كان الإمام وليا، ونفس هذه الولاية والحاكمية موجـودة لدى الفقيه".[1274] ويقـول :" إذا نهض بـأمر تشـكيل الحكومة فقيه عـالم عـادل فانه يلي من أمر المجتمع ما كـان يليه النـبي (ص)، منهم، ووجب على النـاس أن يسـمعوا له ويطيعـوا، ويملك هـذا الحاكم من أمر الإدارة والرعاية والسياسة للنـاس ما كـان يملكه الرسـول (ص) وأمـير المؤمـنين (ع)، على ما يمتـاز به الرسـول والإمـام من فضـائل ومنـاقب خاصـة... وقد فـوض الله الحكومة الإسـلامية الفعلية المفـروض تشـكيلها في زمن الغيبة نفس ما فوضه إلى النـــبي (ص) واميرالمؤمــــنين (ع) من أمر الحكم والقضاء والفصل في المنازعـات وتعـيين الـولاة والعمـال وجباية الخـراج وتعمـير البلاد، غاية الأمر ان تعـيين شـخص الحـاكم الآن مرهون بمن جمع في نفسه العلم والعدل".[1275] "وقد فوض إليهم الأنبياء جميع ما فوض إليهم ائتمنوهم على ما أؤتمنوا عليه".[1276]

وكتب الخميـني إلى رئيس الجمهورية الإيرانية:" إن الحكومة شعبة من ولاية رسول الله (ص)، المطلقة ، وواحـدة من الأحكـام الأولية للإسلام، ومقدمة على جميع الأحكام الفرعية حتى الصـلاة والصوم والحج... إن باسـتطاعة الحـاكم ان يعطل المسـاجد عند الضـرورة، وان يخـرب المسـجد الـذي يصـبح كمسـجد ضـرار ولا يستطيع ان يعالجه بـدون التخـريب. وتسـتطيع الحكومة أن تلغي من طرف واحد الاتفاقيات الشرعية التي تعقدها مع الشـعب، إذا رأتها مخالفة لمصالح البلد والإسلام. وتسـتطيع أن تقف أمـام أي أمر عبادي أو غير عبادي إذا كان مضـرا بمصـالح الإسـلام، مـادام

[1272] - الخميني، كتاب البيع، ص 467

[1273] - الخميني، الحكومة الإسلامية، ص 75

[1274] - الخميني، الحكومة الإسلامية، ص 51 - 52

[1275] - الخميني، كتاب البيع، ص 49

[1276] - الخميني، الحكومة الإسلامية، ص 70 و 76

كذلك. ان الحكومة تستطيع أن تمنع مؤقتا وفي ظروف التناقض مع مصالح البلد الإسلامي - إذا رأت ذلك- أن تمنع من الحج الذي يعتبر من الفرائض المهمة الإلهية".[1277]

واعتبر الخميني ولاية الفقهاء على الناس مجعولة من قبل الله كولاية الرسول والأئمة من أهل البيت، وأنها ولاية دينية إلهية.[1278]

ورغم تضمن الدستور الإيراني للانتخابات الرئاسية والبرلمانية، إلا أن سلطة "الولي الفقيه" أصبحت أعلى وأوسع من سلطات المؤسسات الديموقراطية، وفوق النقد والمحاسبة، نظراً لتمتع الفقيه بهالة دينية مقدسة تحول دون معاملته من قبل الشعب كمعاملة الرؤساء والنواب، وهو ما شكل ضربة للتجربة الديموقراطية الحديثة في إيران.

وقد كان لتطور نظرية "ولاية الفقيه" على قاعدة نظرية "النيابة العامة عن الإمام المهدي" المرتكزة على نظرية "الإمامة الإلهية" أثر كبير في طبيعة النظرية ونموها في جانب واحد هو جانب السلطة، دون جانب الأمة، حيث أصبح للفقيه من الصلاحيات ما للإمام "المعصوم" وما للنبي الأعظم (ص) واصبح الفقيه "منصوبا" و "مجعولا" و "معينا" من قبل "الإمام المهدي" و "نائبا عاما" عنه، كما كان "الإمام المعصوم" منصوبا ومجعولا من قبل الله تعالى، وبالتالي فانه قد اصبح في وضع "مقدس" لا يحق للامة ان تعارضه أو تنتقده أو تعصي أوامره أو تخلع طاعته ، أو تنقض حكمه.

ومن هنا فقد اتخذت فتاوى "العلماء" وآراؤهم الاجتهادية الظنية صبغة دينية مقدسة، ووجب على عامة الناس غير المجتهدين " تقليد" الفقهاء والطاعة لهم سواء في التشريع أو التنفيذ أو القضاء ، وحرمت عليهم مخالفتهم .

وبما ان "الأئمة المعصومين" - حسب نظرية الإمامة الإلهية - معينون من قبل الله تعالى، وأن لا دور للامة في اختيارهم عبر الشورى، ولا حق لها في مناقشة قراراتهم أو معارضتها، وأن الدور الوحيد المتصور للامة هو الطاعة والتسليم فقط، فقد ذهب

1277 - صحيفة كيهان، العدد رقم 13223 المؤرخ 16 جمادى الأولى 1408هـ

1278 - الخميني، الحكومة الإسلامية، ص 51 - 52

أنصـار مدرسة ولاية الفقيه المنصـوب والمجعـول والنـائب عن "الإمام المهدي" إلى ضرورة طاعة الأمة وتسليمها للفقيـه، ولم يجـدوا بعد ذلك أي حق للامة في ممارسة الشـورى أو النقد أو المعارضة أو القدرة على خلع الفقيه، أو تحديد صلاحياته أو مـدة رئاسته.

وفي الحقيقة إن الحديث عن "النيابة العامة للفقهاء عن الإمام المهـدي" في "الغيبة الكـبرى" هو فـرع لثبـوت "النيابة الخاصة" الـتي ادعاها "الـوكلاء الأربعـة" في فـترة "الغيبة الصـغرى". وان القول بذلك يبتنى على القول بوجود وولادة "الإمـام الثـاني عشر محمد بن الحسن العسكري" ووجود غيبـتين لـه، وإذا لم نسـتطع التأكد من وجـود هـذا "الإمـام" - وهو أمر مسـتحيل - فـان تلك النظرية تتلاشى بالطبع من باب الأولى.

إضـافة إلى أن نظرية "النيابة العامـة" لم تكن معروفة لـدى الشيعة الامامية في بداية "الغيبة الكبرى" التي يقـال أنها ابتـدأت بعد وفـاة "النـائب الرابع : علي بن محمد الصـيمري". بل ان الشيعة الأوائل (في القرن الرابع الهجـري) اعتـبروا النيابة العامة الـتي تـوازي الإمامة أو ولاية الفقيه متناقضة تماما مع نظرية الإمامة، لأنها تُسـقط شـَرْطي العصـمة والنص في الإمـام، وإنما هي نظرية ظنية استنبطها بعض العلماء في وقت لاحق وطوروها عـبر التـاريخ، ولم يكن لها وجـود من قبل. وقد تـوفي الصـيمري سنة 329هـ ولم يتحدث عن "النيابة العامة" ببنت شفة، ولو كـان لها أي رصـيد من الواقع لتحـدث عنها "الإمـام المهـدي" - على فرض وجوده - بدلا من أن يترك الشـيعة يتخبطـون قرونا طويلة في ظلمات الحيرة.

ومن هنا فلم يعرف الشيخ الصدوق نظرية "النيابة العامة" ولم يشر إليها أبدا بـالرغم من روايته لـ: "توقيع" إسـحاق بن يعقـوب عن العمري عن المهـدي :" وأما الحـوادث الواقعة فـارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا فانهم حجتي عليكم وأنا حجة الله". وذلك لعدم دلالته على "النيابة العامة"، إذ أنه يتحدث عن الرجوع إلى الـرواة في ظل "النيابة الخاصة" وفي أيام "السـفير الثـاني : العمـري". وإذا كـانت النيابة الخاصة المتصـلة - حسب الفـرض - بالإمـام المهـدي محـدودة وغـير سياسـية، فكيف يمكن ان يفهم من "التوقيع" معنى اكبر وأوسع منها؟.

لقد كان أول من تحدث عن تفويض الأئمة للفقهاء في مجال إقامة الحــدود فقط هو الشــيخ المفيد الــذي جــاء بعد "الغيبــة" بحوالي مائة وخمسين عاما، وكان ذلك منه افتراضا أكثر منه قولا بيقين أو اعتمـــادا على دليل، وقد انطلق في محاولته اســـتنباط نظرية "النيابة العامة" من بعض الأحـــــــاديث (كمقبولة عمر بن حنظلة ومشــهورة أبى خديجة وتوقيع إســحاق بن يعقــوب) الــتي تعطي الإذن لرواة أحاديث أهل الــبيت بممارسة القضـاء من دون الحاجة إلى إذن خاص من الأئمة.

وقد أثار التطور السياسي الكبير الذي حدث في تاريخ الشيعة في العهد الصفوي في القرن العاشر الهجــري، والــذي نقلهم من مرحلة "التقية والانتظـــــار" إلى مرحلة إقامة الدولة في "عصر الغيبة" بعــدما ادعى (الشــاه إســماعيل الصــفوي) النيابة الخاصة عن الإمام المهدي .. أثـار ذلك التطــور جـدلا واسـعا في صـفوف الفقهـاء وفتح البـاب واسـعا أمـام القــول بنظرية "النيابة العامة" وتعزيزها بقــوة، ثم تطويرها بعد ذلك نحو حكم الفقهــاء بصــورة مباشرة على يدي الشيخ أحمد النراقي في منتصف القرن الثالث عشر الهجري.

وقد كــانت نظرية "ولاية الفقيه" الــتي تحصر الحق في ممارسة الســلطة في "الفقهـاء" محل نقـاش كبـير بين العلمـاء الشيعة. حيث رفضها بعض المحققين كالشــيخ مرتضى الأنصـاري (1216 هـ - 1281هـ) الذي ناقش في "المكاسب" أدلة القائلين بالولاية العامــة، وأنكر دلالة الروايــات العامة الــتي يتشــبثون بها على الموضوع، وحــدد دلالتها في موضــوع الفتيا والقضـاء فقـط، وشــكك في صـحتها ودلالتها وقــال:" لكن الإنصــاف بعد ملاحظة ســياقها (الروايــات) أو صــدرها أو ذيلها يقتضي الجــزم بأنها في مقام بيان وظيفتهم من حيث الأحكام الشرعية لا كونهم كالأنبيـاء أو الأئمة (ص) في كــونهم أولى بــالمؤمنين من أنفســهم ... وان إقامة الــدليل على وجــوب إطاعة الفقيه كالإمــام - إلا ما خــرج بالدليل - دونه خرط القتاد" .[1279]

كما رفض الســيد أبو القاسم الخــوئي نظرية "ولاية الفقيه" المبتنية على نظرية "النيابة العامة" وقال: "ان ما استدل به على الولاية المطلقة في "عصر الغيبة" غير قابل للاعتمـاد عليـه، ومن هنا قلنا بعـــدم ثبـــوت الولاية له إلا في مـــوردين هما الفتـــوى

[1279] - الأنصاري، المكاسب، ص 173

والقضاء... ان الأخبار المستدل بها على الولاية المطلقة قاصرة السند والدلالة".[1280]

إن إعطاء الفقيه العادل، وهو بشر غير معصوم ومعرض للخطأ والانحراف ، صلاحيات الرسول الأعظم (ص) المطلقة وولايته العامة على النفوس والأموال، والتطرف في ذلك إلى حد السماح للفقيه بتجميد القوانين الإسلامية الجزئية (الشريعة) - كما يقول الإمام الخميني وبعض أنصار ولاية الفقيه في إيران – يلغي الفوارق الضرورية بين النبي المعصوم المرتبط بالسماء وبين الفقيه الإنسان العادي المعرض للجهل والهوى والانحراف، وهذا ما يتناقض تماما مع الفكر الإمامي القديم الذي رفض مساواة أولي الأمر (الحكام العاديين) في وجوب الطاعة لهم كوجوب الطاعة لله والرسول، وذلك خوفا من أمرهم بمعصية والوقوع في التناقض بين طاعتهم وطاعة الله.. واشترط لذلك: العصمة في "الإمام" - مطلق الإمام - ثم قال بوجوب النص، وانحصار النص في أهل البيت وفي سلالة علي والحسين إلى يوم القيامة. فإذا أعطينا الفقيه الصلاحيات المطلقة والواسعة التي كانت لرسول الله (ص) وأوجبنا على الناس طاعته، وهو غير معصوم، فماذا يبقى من الفرق بينه وبين الرسول؟

ومادام الفقيه إنسانا غير معصوم ومعرضاً كغيره للهوى وحب الرئاسة والحسد والتجاوز والطغيان، فإنه معرض أكثر من غيره للتحول إلى اخطر دكتاتور يجمع بيديه القوة والمال والدين، وهو ما يدعونا إلى تحديد وتفكيك وتوزيع صلاحياته اكثر من غيره، لا أن نجعله كالرسول أو "الأئمة المعصومين". إذ أنه سيتحول عندئذ إلى ظل الله في الأرض ، ويمارس هيمنة مطلقة على الأمة كما كان يفعل البابوات في القرون الوسطى.

إن أساس المشكلة في نظرية "ولاية الفقيه" يعود إلى الدمج بين نظرية "النيابة العامة" المستنبطة من بعض الأدلة الروائية الضعيفة وبين نظرية "ولاية الفقيه" المعتمدة على العقل وعلى ضرورة تشكيل الحكومة في "عصر الغيبة" بعيدا عن شروط العصمة والنص الإلهي والسلالة العلوية الحسينية، وان الخلط بين هاتين النظريتين، أو تطوير نظرية "النيابة العامة" إلى مستوى إقامة الدولة، أدى إلى إضفاء الصبغة الدينية على السياسة، وجعل الفقيه بمثابة "الإمام المعصوم" أو النبي

[1280] - الخوئي، التنقيح في شرح العروة الوثقى / كتاب الاجتهاد والتقليد

الأعظم وإعطائه كامل الصلاحيات المطلقة، وإلغـاء الفـوارق بين المعصوم وغير المعصوم، بالرغم من قابلية الأخير للجهل والخطأ والانحراف، وهو ما يتناقض مع أسـاس الفلسـفة الامامية القديمة حول اشتراط العصمة في الإمام .

وإذا ثبت ضعف نظرية "النيابة العامة" وعدم صحتها، لعدم وجود "المـُناب عنه: الإمام المهدي محمد بن الحسن العسـكري" وعدم ثبوت ولادته، فإننا يمكن أن نقيم أساس الدولة على قاعدة "الشـورى" وولاية الأمة على نفسـها، بمعـنى أن يكـون الإمـام منتخباً من الأمة، ونابعاً من إرادتها، ونائباً عنها، ومقيـداً بالحـدود التي ترسمها له، وملتزماً بالصلاحيات الـتي تعطيها لـه. وذلك لأن الأدلة العقلية تعطي للأمة حق اختيار الحاكم ليحكم بالنيابة عنهـا، كما تعطيها الحق في أن تهيمن على الإمام وتشرف عليه وتراقبه وتحاسـبه، وأن تعطيه من الصـلاحيات بقـدر ما تشـاء وحسـبما تشاء، وذلك لأن منبع السـلطة في غيـاب النص الشـرعي وعـدم وجود الإمام المعين من قبل الله تعالى هي الأمة الإسلامية. حيث لا تعطي الأدلة العقلية الحـاكم العـادي (غـير المعصـوم) القابل للخطأ والصـواب والانحـراف والهـدى، من الصـلاحيات المطلقة، مثلما تعطي للرسول المرتبط بالله عبر الوحي، ولا تسـاويه أبـدا مع "الإمام المعصوم".

12 - إعادة النظر في حكم "الخمس"

وفي غضون إعـادة النظر في دور "المرجعية الدينيـة" لا بد من مراجعة حكم "الخمس" الـذي اعتـاد "مراجع الـدين" جبايته من الشـيعة منذ قـرون، لافتقـاده للأسـاس الشـرعي الإسـلامي والشـيعي، فهو لم يـذكر في القـرآن الكـريم إلا في حالة الغنـائم الحربية في هـذه الآيـة: "واعلمـوا أنما غنمتم من شـيء فـأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يـوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير" الأنفال 41، ولم يكن النـبي الأكـرم (ص) ولا الإمـام علي ولا الحسن ولا الحسـين يأخـذون الخمس من أموال الشيعة، وإنما بدأ بالمطالبة به الإمامان الباقر والصادق مع نشوء نظرية "الإمامة الإلهية" ثم صـدرت من الأئمة أنفسـهم فتـاوى بتحليله للشـيعة.[1281] ولـذلك لم يكن الشـيعة

[1281] - وهذه بعض الروايات التي يذكرها الكليني والطوسي والعاملي:
1- في رسـالة الإمـام المهـدي إلى محمد ابن عثمـان العمـري : أما الخمس فقد أبيح لشيعتنا وجعلـوا منه في حل إلى وقت ظهـور أمرنـا.

يدفعونه في القـرون الأولى وخاصة في "عصر الغيبـة". ولم يكن حـتى فقهـاء الشـيعة "الاثـني عشـرية" يعرفـون حكمه بوضـوح، واحتاروا فيـه.[1282] لعـدم وجـود نص واضح وصـريح لـدى الشـيعة. حـــتى ذهب الشـــيخ الطوسي في:"النهاية" إلى تحليل الخمس للشيعة في حال الغيبة في الأمور التي لا بد لهم منها من المناكح والمتاجر والمساكن.[1283] والـتزم سلاّر في "المراسم" في كتـاب الخمس بالتحليل والإباحة وقال:"إن الأئمة (ع) قد أحلـوا الخمس

غيبة الطوسي ص:198
2- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَحَدِهِمَا ع قَالَ إِنَّ أَشَدَّ مَا فِيـهِ النَّاسُ يَـوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَقُومَ صَاحِبُ الْخُمُسِ فَيَقُولَ يَا رَبِّ خُمُسِي وَ قَدْ طَيَّبْنَا ذَلِـكَ لِشِـيعَتِنَا لِتَطِيبَ وِلَادَتُهُمْ وَ لِيَزْكُـوَ أَوْلَادُهُمْ . الاستبصـار ج : 2 ص : 57 وسائل الشيعة ج : 9 ص :545
3- وَبِإِسْنَادِهِ عَنْ حُكَيْمٍ مُؤَذِّنِ بَنِي عِيسٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ قُلْتُ لَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُـولِ قَـالَ هِيَ وَ اللَّهِ الْإِفَادَةُ يَوْماً بِيَوْمٍ إِلَّا أَنَّ أَبِي جَعَلَ شِيعَتَنَا مِنْ ذَلِكَ فِي حِـلٍّ لِيَزْكُـوا. وسائل الشيعة ج : 9 ص : 546
4- عَنْ زُرَارَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ع أَنَّهُ قَالَ إِنَّ أَمِـيرَ الْمُـؤْمِنِينَ ع حَلَّلَهُمْ مِنَ الْخُمُسِ يَعْنِي الشِّـيعَةَ لِيَطِيبَ مَوْلِـدُهُمْ . وسـائل الشـيعة ج : 9 ص : 550

[1282] - قال الشيخ المفيد في:"المقنعة":" قد اختلف قـوم من أصـحابنا في ذلك عند الغيبة ، وذهب كل فريق منهم إلى مقـــال: فمنهم من يســـقط فــرض إخراجه ، لغيبة الإمــام ، وما تقــدم من الــرخص فيه من الأخبــار. وبعضـهم يـوجب كـنزه ، ويتـأول خـبرا ورد :" ان الأرض تظهر كنوزها عند ظهــور الإمــام ، وانه (ع) إذا قــام دلّه الله على الكنــوز فيأخــذها من كل مكان". وبعضهم يرى صلة الذرية وفقراء الشيعة على طريق الاستصحاب. وبعضهم يرى عزله لصاحب الأمر ، فـإن خشي إدراك المـوت قبل ظهـوره وصّى به إلى من يثق به في عقله وديانته حـتى يسـلم إلى الإمـام ، ثم ان أدرك قيامه .. وإلا وصّــى به إلى من يقــوم مقامه في الثقة والديانــة، ثم على هذا الشرط إلى ان يظهر إمام الزمان . وهذا القول عندي أوضح من جميع ما تقــدم ، لأن الخمس حق لغــائب لم يرسم فيه قبل غيبته رســما يجب الانتهـاء إلي فـوجب حفظه إلى وقت إيابه ، والتمكن من إيصـاله إلي أو وجود من انتقل بالحق إلي ، ويجري ذلك مجرى الزكاة الـتي يعـدم عند حلولها مستحقها فلا يجب عند ذلك سقوطها ، ولا يحل التصــرف فيها على حسب التصــرف في الأملاك ، ويجب حفظها بــالنفس أو الوصــية إلى من يقوم بإيصالها إلى مستحقها من أهل الزكـاة من الأصـناف ... وإنما اختلف أصحابنا في هذا البـاب لعـدم ما يلجأ إلي من صـريح الألفـاظ ، وإنما عـدم ذلك لموضع تغليظ المحنة مع إقامة الـــدليل بمقتضى العقل في الأمر من لزوم الأصول في حظر التصرف في غير المملـوك إلا بـأذن المالك وحفظ الودائع لأهلها ورد الحقوق". المفيد، المقنعة، ص 46

في زمـان الغيبة كرما وفضلا للشـيعة خاصة".[1284] وقـال الشـيخ محمد ابن إدريس الحلي (543 ـ 598) في "السرائر" بإباحة الخمس في المساكن والمتاجر والمناكح للشيعة في عصر الغيبة ، وذكر اختلاف أقـوال الشـيعة لعـدم وجـود النص .[1285] وأكد المحقق الحلي نجم الدين جعفر بن الحسن (602 ـ 676) في :" شـرائع الإسـلام - كتـاب الخمس": ثبـوت إباحة المنـاكح والمسـاكن والمتـاجر حـال الغيبة ، وقـال:" لا يجب إخـراج حصة الموجودين من أرباب الخمس منه" .[1286] ومـال الشـيخ يحـيى بن سـعيد الحلي (601 ـ 690) في :"الجـامع للشـرائع" إلى إباحة الخمس وغـيره للشـيعة حـال الغيبة كرما من الأئمة وفضلا.[1287]

أما العلامة الحسن بن المطهر الحلي فقد أكد في :"تحرير الأحكـام" إباحة الأئمة لشـيعتهم المنـاكح في حـال ظهـور الإمـام وغيبته، وقال: إن الشـيخ الطوسي قد ألحق المسـاكن والمتـاجر. وأفتى بصراحة:" بعدم وجوب إخراج حصة الموجودين من أربـاب الخمس منه".[1288] وكـذلك فعل الشـهيد الأول (-786) في : "الـدروس الشـرعية" و "البيـان": حيث أكد إباحة المنـاكح والمساكن والمتاجر وعموم الأنفـال حـال الغيبـة.[1289] واسـتظهر المقـدس الاردبيلي (- 993) في :" مجمع الفائـدة والبرهـان" : إباحة مطلق التصرف في أموال الإمام الغائب للشـيعة ، خصوصا مع الاحتياج، وقال:" اعلم ان عموم الأخبار ... يدل على السقوط بالكلية في زمان الغيبة والحضور ، بمعنى عـدم الوجـوب الحتمي فكأنهم (عليهم السلام) اخبروا بذلك فعلم عدم الوجوب الحتمي" وأضـاف:" فلا يـرد انه لا يجـوز الإباحة لما بعد مـوتهم (عليهم السلام) فانه مـال الغـير، مع التصـريح في البعض بالسـقوط إلى القائم ويـوم القيامـة. بل ظاهرها : سـقوط الخمس بالكلية حـتى حصة الفقراء أيضـا، وإباحة أكله مطلقـا، سـواء أكل من في ماله ذلك أو غـيره. وهـذه الأخبـار هي الـتي دلت على السـقوط حـال الغيبة وكون الإيصال مستحبا، كما هو مـذهب البعض ، مع ما مـرّ

1283 - الطوسي، النهاية، ص 265
1284 - سلار، المراسم، ص 633

1285 - المصدر ، ص 116
1286 - المصدر، ج 1 ص 182- 183
1287 - المصدر، ص 151
1288 - المصدر، ص 75
1289 - المصدر، ص 69 – 70 والبيان، ص 221 من الطبعة الحجرية

من عــدم تحقق محل الوجــوب إلا قليلا ، لعــدم دليل قــوي على الأرباح والمكاسب وعدم الغنيمة".[1290]

ورجح السيد محمد باقر السبزواري (1018هـ - 1090هـ) في :"كفاية الأحكـام" و"ذخـيرة المعـاد" سـقوط خمس الأربـاح في زمـان الغيبة ، وقـال:" المسـتفاد من الأخبـار الكثـيرة في بحث الأرباح كصحيحة الحرث بن المغـيرة النضـري وصـحيحة الفضـلاء وصــحيحة زرارة وصــحيحة علي بن مهزيــار وصــحيحة ضــريس وحســنة الفضــيل ورواية محمد بن مســلم ورواية داود بن كثــير ورواية الحرث بن المغيرة ورواية معـاد بن كثـير ، ورواية اسـحق بن يعقــوب ورواية عبد الله بن ســنان ورواية حكم مــؤذن بــني عبس : إباحة الخمس للشـــــيعة. وتصـــــدى للـــــرد على بعض الإشكالات الواردة على هذا الرأي وقـال:" ان أخبـار الإباحة أصح وأصرح فلا يسوغ العدول عنها بالأخبار المــذكورة ، وبالجملة : ان القـول بإباحة الخمس مطلقا في زمـان الغيبة لا يخلو عن قـوة".[1291] وهكـــذا فعل محمد حسن الفيض الكاشــاني في :"مفــاتيح الشـريعة" حيث اختـار نظرية سـقوط ما يختص بالإمـام المهـدي الغائب، لتحليل الأئمة ذلك للشيعة.[1292]

وقد أباح السيد علي الطباطبائي في :"رياض المسائل" كتاب الخمس : المناكح من الخمس للشيعة ، على الأشهر ، وقــال: ان الشيخ ألحق بها المتاجر والمساكن.[1293]

وقال السـيد محمد علي الطباطبـائي (- 1009)ـ في "مـدارك الأحكام":" الأصح إباحة الجميع ، كما نص عليه الشهيدان وجماعة ، للأخبـار الكثـيرة المتضـمنة لإباحة حقـوقهم في حـال الغيبـة.. وكيف كان فان المستفاد من الأخبار المتقدمة إباحة حقوقهم (ع) من جميع ذلك" .[1294]

وعنــدما قــال بعض الفقهــاء في وقت متــأخر بوجــوب إخــراج الخمس لم يــدروا ما يصــنعون بــه، فــاقترحوا دفنه أو الإيصــاء به

[1290] - المصدر، ج 4 ص 355 - 358
[1291] - المصدر، ص 229
[1292] - المصدر، ص 229 مفتاح رقم 260

[1293] - المصدر، ص 299
[1294] - المصدر، ص 344

وحفظه إلى وقت خـروج "الإمـام المهـدي".[1295] وقـال القاضي "ابن بـراج" بإيـداع سـهم الإمـام عند من يوثق بدينه وأمانته من فقهـاء المـذهب، وايصـائه بـدفع ذلك إلى الإمـام (ع) ان أدرك ظهوره ، وان لم يـدرك ظهـوره وصى إلى غـيره بـذلك.[1296] وقد جاء العلامة الحلي بعد ذلك فقـال في :"تحرير الأحكـام" بوجـوب الخمس ووجوب صرفه في الأصناف في عصر الغيبـة.[1297] ولكن هذا القول لم يرسخ بقوة في أوساط فقهاء الشـيعة ، حيث تـردد فيه الشهيد الأول ، الذي جاء بعده بحوالي قـرن ، فقـال بـالتخيير بين القـولين، القـديم: الـدفن والايصـاء، والجديـد: الصـرف ، واسـتقرب في :"الـدروس الشـرعية" صـرف نصـيبي الأصـناف عليهم ، والتخيـير في نصـيب الإمـام بين الـدفن والايصـاء، وصـلة الأصناف مع الأعوام بإذن نائب الغيبة ، وهو الفقيه العدل الإمامي الجـامع لصـفات الفتـوى .[1298] ولم يحكم بـالوجوب، بل حكم بـالتخيير، مع تقـديم حكم الـدفن والايصـاء . وبـالرغم من قيـام الدولة "الجلائرية" الشـيعية في خراسـان في القـرن الثـامن الهجـري، في أيـام الشـهيد الأول، واسـتعانتها به وطلبها منه المجيء إليها لتولي الجوانب الشرعية والتشريعية، فانه لم يطور هـذه المسـألة بما يخـدم إدارة الدولة الشـيعية الـتي تحتـاج إلى المال لصرفه على المحتاجين والفقراء.

وكذلك فعل المحقق الكركي الذي اسـتقدمته الدولة الصـفوية من لبنـان في القـرن العاشر الهجـري، وظل على الـرأي القـديم

1295 - أفتى الشيخ أبو الصلاح الحلبي في (الكافي في الفقه) بلزوم إخراج الخمس ، ولكنه قال بعزل شطره لولي الأمر (المهـدي المنتظـر) انتظـارا للتوصل إليه ، فـان اسـتمر التعـذر أوصى حين الوفـاة إلى من يثق بدينه وبصيرته ليقوم بأداء الواجب مقامه ، واخـراج الشـطر الآخر إلى مسـاكين آل علي وجعفر وعقيل والعباس وايتـامهم وأبنـاء سـبيلهم . (المصـدر، ص 194)ـ وفصّـل القاضي ابن بـراج في (المهـذب) في تحليل الخمس بين المساكن والمناكح والمتاجر ، فأجـاز التصـرف فيها زمـان غيبة الإمـام (ع) للشيعة فقط دون غيرهم ، وبين غـير ذلك مما يختص به الإمـام ، فلم يجز التصرف في شيء منه ، ورجّح نظرية الاحتفاظ بسهم الإمـام أيـام الحيـاة إلى حين إدراك الإمـام المهـدي ، ووجـوب دفعه إلي بعد الوفـاة، والإيصـاء بالمال إلي . وقال:" انها أحوط وأقـوى في بـراءة الذمة" . المصـدر، ج 1 ص 180 - 181

1296 - المهذب، ج 1 ص 180

1297 - المصدر،، ص 75

1298 - المصدر، ص 69

الذي يقول بالتخيير بين صرف سهم الإمام المهدي أو حفظه إلى حين ظهوره .

وبحث الشيخ محمد حسن النجفي (- 1266) في :" جـواهر الكلام" حكم أموال الإمام (ع) في زمان الغيبة ، بشـكل مفصل ، وقـال بعد ان اسـتعرض الأخبـار الـتي تحلل الخمس للشـيعة:" وكيف كان فسبر هذه الأخبار المعتبرة الكثيرة التي كـادت تكـون متواترة، المشتملة على التعليل العجيب والسر الغريب ، يشـرف الفقيه على القطع بإبـــاحتهم (ع) شـــيعتهم زمن الغيبة ، بل والحضور الذي هو كالغيبة في قصـور اليد وعـدم بسـطها : سـائر حقوقهم (ع) في الأنفال ، بل وغيرها مما كان في أيديهم ، وأمره راجع إليهم مما هو مشـترك بين المسـلمين ثم صـار في أيـدي أعدائهم". [1299] وقال في المسألة الثالثة من كتاب الخمس من :" صـرح جماعة بأنه ثبت شـرعا إبـاحتهم (ع) المنـاكح والمسـاكن والمتـاجر في حـال الغيبة ، وان كـان ذلك بأجمعه للإمـام (ع) أو بعضه فانه مبـاح ولا يجب إخـراج حصة الموجـودين من أربـاب الخمس منه ... وان كان في عباراتهم نوع اختلاف بالنسبة للمباح هو الأنفال أو الخمس أو الأعم". [1300] ومع ذلك فقد أوجب صـرف حصة الإمـام (ع) من الخمس في زمـان الغيبة ، في الأصـناف الموجودين. [1301]

وربما كان النجفي "صاحب الجواهر" هو أول من أوجب إعطاء الخمس للمجتهـد، حيث أفـتى بقـوة: بوجـوب تـولي الحـاكم (أي الفقيه العادل) صرف سهم الإمام. ثم تبعه السيد كـاظم الـيزدي، في بداية القــرن العشــرين، حيث أرجع أمر النصف من الخمس الـذي للإمـام، في زمـان الغيبة إلى نائبـه، وهو المجتهد الجـامع للشـــرائط، وأوجب الإيصـــال إليه أو الـــدفع إلى المســـتحقين بإذنـه. [1302] وذلك بـالرغم من عـدم إيمـان الـيزدي بنظرية "ولاية الفقيه" في سائر أبواب الفقه.

ولكن السـيد محسن الحكيم تراجع في :"مستمسك العـروة الــوثقى" عن ذلك الحكم، ولم يـــرَ حاجة إلى مراجعة "الحـــاكم

1299 - المصدر، ج 16 ص 141

1300 - المصدر، ص 145

1301 - المصدر، الخمس، ص 173

1302 - اليزدي، العروة الوثقى، ج 2 ص 403 - 405

الشرعي" في صرف المالك حصة الإمام في جهة معينة إذا أحرز رضا الإمام (ع)، إلا برأي ضعيف .

وقــام الشــيخ حسن الفريد بســلب حق الخمس من "الإمــام المهدي" لغيبته وعدم قيامه بمهام الإمامـة، وقـال بضـرورة قيـام واحد من الناس باسـتلام الخمس وتوزيعه من بـاب الحسـبة، لأنه من الأمـور الحسـبية الـتي لا محيص عن وقوعه في الخـارج ولم يعين للقيـام به في غيبة الإمـام شـخص أو صـنف خـاص ، وقـال أيضــا: إن للفقيه الولاية على صــرف الخمس على أهلــه، ولكن ولايته على ذلك لم تســتفد من الكتــاب والســنة، بل من دليل الحسبة والضرورة.[1303]

ومن الواضح أن كل تلك الأقــوال تطــورت مع تطــور حكم الخمس نفسه من الإباحة إلى الوجوب، ونشوء نظرية "المرجعية الدينية" على أسـاس "النيابة العامة" أو "ولاية الفقيه". ولكن بعد تطــور الفكر السياسي الشـيعي الحـديث إلى مسـتوى الدولـة، والنظام الديموقراطي، لم تعد هناك حاجة لقيـام "مراجع الـدين" أو الفقهاء للإشـراف على جباية الخمس وتوزيعه بين النـاس، ولا يوجد أساس شرعي إسلامي أو شيعي لذلك القول الذي برز في القرون الأخيرة عند الشيعة، فضلا عن عدم ثبوت الحكم بوجــوب الخمس في الأموال العامة (سوى غنائم الحرب) من الأساس.

13 - إعادة النظر في الطقوس الشيعية

تشـكل الطقـوس الشـيعية (البكـاء على الحسـين واللطم والتطبير بالسـيوف، وزيـارة قبـور الأئمـة، وطلب الشـفاعة منهم في الآخرة ودعـاؤهم لحل المشـاكل، والاسـتغاثة بهم في الـدنيا، وما الى ذلـك) أهم المظـاهر المتبقية من التشـيع "الـديني" بعد انقراض نظرية "الإمامة الإلهيـة" وانتهـاء عصر الأئمة منذ حـوالي ألف ومائتي عام، وذلك بسـبب تحـول الأئمة أنفسـهم الى قضـية أساسية مركزية في العقيدة الشيعية، وسعي الشيعة المعاصرين لإحيــاء ذكريـات الأئمة والتفاعل مع أحــزانهم وأفــراحهم وتعظيم قبورهم أملا بالحصول على "الثواب" من الله والشفاعة من أئمة أهل البيت يوم القيامة.

[1303] - الفريد، رسالة في الخمس، ص 86 - 83

ويعتبر هذا الموقف "الولائي" الشيعي استجابة حية لمقولات الإعلام الإمامي الذي لعب دورا كبيرا وناجحا في شد الشيعة الى الأئمة أحياء وأمواتا.

ولا يمكن التحرر من ضغط الطقوس الشيعية إلا بإعادة النظر في عقيدة "الإمامة الإلهية" وكون الأئمة مصدرا من مصادر التشريع، وذلك لأن الشيعة يقومون بتلك الطقوس (الدعاء والزيارة واللطم والبكاء) بهدف تحصيل الأجر العظيم في الآخرة حسبما تقول الروايات الواردة عن الباقر والصادق، والتي تعِد – مثلا - من يقرأ الدعاء الفلاني بمئات الألوف من الحسنات.[1304] وتقدر أجر زيارة الحسين في كربلاء بأجر عشرين حجة وعشرين عمرة أو أكثر.[1305] وأجر من أعتق ألف نسمة وحمل على ألف فرس مسرجة ملجمة في سبيل الله.[1306] وهي تلقى قبول عامة الشيعة لأنها مروية عن "الأئمة" الذين يعتبرون – حسب نظرية الإمامة الإلهية - مصدرا من مصادر الوحي والتشريع، وإلا فمن أين يعرف الإمام الصادق أفضلية زيارة الحسين على الحج والعمرة والعتق والجهاد؟ وعلى أي أساس يقول ذلك؟ ومن أين يعرف الإمام "أن الله قد وكل بقبر الحسين أربعة آلاف ملك شعث غير يبكونه إلى يوم القيامة، وأنهم يشيعون من يزوره عارفا بحقه حتى يبلغوه مأمنه، ويعودوه إن مرض غدوة وعشية، ويشهدوا جنازته ويستغفروا له إلى يوم القيامة"؟.[1307]

وإذا ألقينا بنظرة على تلك الأحاديث التي تؤسس للطقوس الشيعية فسوف نرى أنها تعِد مثلا زائر قبر الحسين بغفران الذنوب ما تقدم منها وما تأخر.[1308] وتحدث عن السماء: "إذا كان النصف من شعبان نادى منادٍ من الأفق الأعلى: ألا زائري قبر الحسين ارجعوا مغفورا لكم وثوابكم على ربكم

1304 - كهذا النص الذي يروى عن الإمام الباقر أنه قال:"ما من عبد يقول حين يمسي ويصبح: " رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد (ص) نبيا وبالقرآن بلاغا وبعلي إماما " ثلاثا، إلا كان حقا على الله العزيز الجبار أن يرضيه يوم القيامة. الكليني، الكافي، كتاب الدعاء، باب القول عند الإصباح والإمساء، حديث رقم 12

1305 - الكليني، الكافي، ح رقم 8187- 2 وفي رواية أخرى خمس وعشرين حجة . المصدر ، ح رقم8189- 4

1306 - الكليني، الكافي، ح رقم 8190- 5

1307 - الكافي، الكليني، ح رقم 8191- 6 و الكافي، الكليني، ح رقم 8192 -7

1308 - الكافي، الكليني، ح رقم 8195 - 10

ومحمد نبيكم".[1309] و"إن من يدعو لزواره في السماء أكثر ممن يـــدعو لهم في الأرض".[1310] وهـــذا ما لا يعرفه إلا اللـــه، وهو لم يحـدثنا عنه في القـرآن الكـريم كما لم يحـدثنا الرسـول، فكيف عرف الإمام الصادق بذلك؟ ومن أين جاء به؟

من البديهي أن المسلم العادي لا يتقبل تلك الأحاديث ويطالب بدليل من القرآن أو السـنة النبويـة، ولا يسـتطيع تصـديق أي أحد آخر يتحدث عن السماء، ولكن من يـؤمن بنظرية الإمامة الإلهيـة، ووجود علاقة خاصة للأئمة بالسماء فانه يسـارع الى تصـديق تلك الأحـاديث، وربما يبحث في سـندها ولكنه يستسـلم أمامها عنـدما يتأكد من صحة صـدورها عن الإمـام. وبـالرغم من وجـود شـكوك قوية في عدد من الرواة (الغلاة) الذين نقلـوا عن الأئمة مثل تلك الأحـاديث، واحتمـال اختلاقهم لهـا، إلا أن انتشـارها كـان بسـبب شيوع نظرية الإمامة الإلهية بين الشيعة .

وتلافيا لهـذه المشـكلة يحـاول بعض الأحـاديث المنسـوبة للإمام الصادق أن ينسب الفضل بزيارة الأئمة للنـبي (ص) فينقل عنه قوله :" يا علي من زارني في حيـاتي أو بعد مـوتي أو زارك في حياتك أو بعد موتك أو زار ابنيك في حياتهما أو بعد موتهما ضـمنت له يـوم القيامة أن أخلصه من أهوالها وشـدائدها حـتى أصيره معي في درجتي".[1311] ولو كان هذا الحديث مثلا واردا عن غير طريق الأئمة لكان يسـتوجب السـؤال عن السـند ويسـتدعي البحث في المتن، ولكن بما أنه وارد عن الإمام "المعصـوم" فانه يتعـالى على النقد والمناقشة والسـؤال. ولا يخطر ببـال الشـيعي المؤمن بنظرية الإمامة الإلهية أن يشكك بصحة الحديث.

[1309] - الكليني، الكافي، ح رقم 8219- 9 و ح رقم 8194 - 9

[1310] - الكافي، الكليني، ح رقم 8196 - 11

[1311] - الكليني، الكافي، ح رقم 8184- 2

ولو أردنا أن نتوقف عند بعض الأحاديث التي تحض على زيارة قبـور الأئمة بعيـدا عن الهالة القدسـية المفروضة على "الأئمـة" لملئنا عجبا ورفضناها بقوة، فهناك حديث يـزعم أن الله والملائكة والأنبيـاء والمؤمنـون يـزورون الإمـام.[1312] وأن من زار أحد الأئمة كمن زار الله عز وجل فوق عرشه.[1313] وهناك أحـاديث (زيـارات للأئمـة) مشـحونة بـالغلو والكفر ونظريـات "المفوضـة" كزيـارة الجامعة التي تخاطب "الأئمة" وكأنهم مفتاح الكـون، وأداة الخلق وواسـطة المطـر، حيث تقـول:" بكم فتح الله وبكم يختم، وبكم يمحو ما يشـــاء وبكم يثبت.. وبكم تنبت الأرض أشـــجارها، وبكم تخرج الأشجار أثمارها، وبكم تنزل السماء قطرها ورزقها... إرادة الرب في مقادير أموره تهبط إليكم وتصدر من بيوتك".[1314]

ولا بد أن نحمد الله على أن العلمـــاء المحققين من الشـــيعة قد ردوا هذه الأحاديث وضعفوا معظم روايات "الكافي"، وأكدوا على ضعف رواتها، ولكن بعض الأخباريين قد يهتمون بالسؤال عن أدلة ضعف تلك الروايات ومعرفة الرجال الضعاف وسـبب تضعيفهم، وهذا ما يؤكد تركيزهم على دراسة السند فقط والتسليم بروايات الأئمة حتى إذا كـانت غـير قابلة للتصـديق والقبـول وتشـمئز منها النفوس، وذلك بسبب إيمـانهم بعصـمة "الأئمـة" وكـونهم مصـدرا من مصادر العلم والتشريع.

وبعد الاعتقاد بصحة كل ما يأتي عن طريق "الأئمة" فان الإيمان بمكانتهم الخاصة عند الله يدفع الى العمل بأحـاديثهم أملا بالحصول على شـفاعتهم يـوم القيامـة، كما يـوحي هـذا الحـديث الـوارد عن الإمـام الرضا :" إن لكل إمـام عهـدا في عنق أوليائه وشيعته وإن من تمام الوفـاء بالعهد وحسن الأداء زيـارة قبـورهم فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقا بما رغبوا فيه كـان أئمتهم شفعاء هم يوم القيامة".[1315] وكما تقوم هذه "الزيارة" التي تحث على الاعـــتراف بالـــذنوب في حضـــرة الحســـين تمهيـــدا لطلب الشــفاعة عند الله وتضــعه واســطة بين الإنســان وبين الله.[1316] "فالأئمة أحيـاء عند ربهم يرزقـون وهم يسـمعون الكلام ويـردون السـلام ولـديهم مكانة دينية خاصة وعالية عند اللـه، تشـبه مكانة

[1312] - الكليني، الكافي، ح رقم 8185- 3
[1313] - الكليني، الكافي، ح رقم 8204- 5 و ح رقم 8203- 4
[1314] - الكليني، الكافي، ح رقم 8178 2
[1315] - الكليني، الكافي، ح رقم 8171- 2
[1316] - الكليني، الكافي، ح رقم 8179- 3

الأنبيـاء والملائكـة، بحيث يمتلكـون القـدرة على الشـفاعة يـوم القيامة، وإنقاذ العاصين من النار".[1317]

ولا ننسى الأحاديث الأخرى التي تتحدث عن حضور الأئمة عند وفاة
الإنسان الشيعي، وإسعافه في أول محطة من محطات الآخرة .[1318] وإنقـاذه من ضـغطة القـبر وعذابـه، ومسـاعدته في الإجابة على أسئلة منكر ونكير.[1319] وتعريفه بمكانه في الجنــة.[1320] وكل هذه روايات ما أنـزل الله بها من سـلطان ولم تـرد عن الرسـول الأعظم (ص) ولكن الإمامية يروونها عن "الأئمــــة" باعتبــــارهم عالمين بالغيب وعلى علاقة بالسماء. وهذا ما لا دليل عليه.

وهناك أمر أخير في حقل الطقوس الشيعية، وهو تعظيم قبور الأئمة من أهل البيت، والبنـاء عليهـا، وزخرفتها بالـذهب والفضـة، وهو أمر حــدث عند الشــيعة في عصــور متــأخرة، ولكنه لم يقم على أساس ديـني أو حـديث من أهل الـبيت أنفسـهم، وإنما على العكس جاء بالضد من إرادتهم، حيث يروي الكليني في "الكافي" عن عــدة من أصــحابنا، عن ســهل بن زيــاد، عن الحسن بن محبـوب، عن علي بن رئـاب، عن الحلـبي قـال: قـال أبوعبدالله (عليه السلام):" إن أبي كتب في وصيته أن أكفنه في ثلاثة أثواب ... وأمرني أن أرفع القـبر من الأرض أربع أصـابع مفرجـات".[1321] وهو ما يتفق مع الســنة ويخــالف البدعة الــتي حــدثت في وقت متـأخر، وأدت إلى تعظيم قبـور الأئمة بشـكل يـؤثر على نفسـية الإنسان العادي البسيط.

14 - التخلي عن العناوين الطائفية

وإذا تخلينا عن "الصــبغة الدينيــة" للتشــيع، لا يبقى منه إلا "الجـوهر" أي الحق والعـدل والشـورى، وهي مبـاديء إسـلامية عامة. وفي هذه الحالة تنتفي ضـرورة التمسك بـالأطر والأسـماء والعنـاوين التاريخية الـتي كـانت بنْت ظروفها الزمانية والمكانيـة؛

[1317] - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، ح رقم 35
[1318] - الكليني، الكافي، ح رقم 4323 – 2 و ح رقم 4324 - 1
[1319] - الكليني، الكافي، ح رقم 4594 – 11 و ح رقم 4720 - 8
[1320] - الكليني، الكافي، ح رقم 4325 – 2 و ح رقم 4327 – 4 و ح رقم 4336 - 13
[1321] - الكليني، الكافي، ح رقم 4350 - 3

فلا معـنى للإصـرار على الاحتفـاظ بالعنـاوين الطائفية أو الحزبية القديمـــة، إذ يمكن الـــذوبان في أية حركة ترفع شـــعار العـــدل والشـــورى، في حين أن التمسك بالاسم المــوروث مع الالــتزام بموقف سياسي بعيد عن جـوهر التشـيع، ومنـاقض لسياسة أهل البيت، يعني الوقوف في خانة أعدائهم ومناوئيهم.

إن المسألة لم تعد اليوم: أن أكون شيعيا؟ أم لا؟ بقدر ما أكون باحثا عن الحق والعدل وملتزما بالشورى و الديموقراطية، أم لا؟

وبما أن العنــاوين الطائفية "الشـيعية والسـنية" هي عنـاوين سياســية طارئــة؛ فلا بد للمســلم أن يحتفظ فقط بالاسم الــذي أطلقه عليه الإسلام، أي اسم "المسلم". فقد قال الله تعالى في كتابه المجيــد:" وما جعل عليكم في الــدين من حــرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم **المسلمين** من قبل". الحج 78 وقال: "ومن أحسن قــولاً ممن دعا إلى الله وعمل صــالحا وقــال إنــني من **المسلمين**". فصلت 33

مصادر كتاب
التشيع السياسي والتشيع "الديني"

المصادر

القرآن الكريم
الإمام علي، نهج البلاغة
الكليني محمد بن يعقوب، الكافي
الصفار محمد بن الحسن بن فروخ ، بصائر الدرجات
حسن بن سليمان ، مختصر بصائر الدرجات
الصدوق، علي بن بابويه، الإمامة والتبصرة من الحيرة
الصدوق محمد بن علي، إكمال الدين
الصدوق، عيون أخبار الرضا
الصدوق ، الأمالي
الصدوق، علل الشرائع

الصدوق، من لا يحضره الفقيه
كتاب سليم بن قيس الهلالي
المجلسي: بحار الأنوار
الطبرسي، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار
الخزاز، كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر
الحر العاملي، وسائل الشيعة
الفيض الكاشاني، الوافي
ابن شعبة الحراني، تحف العقول
الأميني، الغدير
القمي، مفاتيح الجنان

البغدادي، عبد القاهر بن طاهر، الفرق بين الفرق
ابو الحسن الأشعري ، مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين
الأشعري القمي، سعد بن عبد الله، المقالات والفرق
النوبختي، الحسن بن موسى، فرق الشيعة
الشهرستاني ، الملل والنحل

الطوسي أبو جعفر، اختيار معرفة الرجال (المعروف برجال الكشي)

الطوسي، الفهرست
الخوئي أبو القاسم، معجم الرجال

الحلي الحسن بن المطهر، خلاصة الأقوال في معرفة أحوال الرجال

الحافظ الذهبي شمس الدين، سير أعلام النبلاء

القاضي الهمداني، عبد الجبار، المغني في التوحيد والإمامة،
القاضي الهمداني، تثبيت دلائل النبوة
الشريف الرضي، خصائص الأئمة
المرتضى علم الهدى، الشافي
الطوسي، تلخيص الشافي
المفيد، الأمالي
المفيد، الإرشاد

المفيد، الاختصاص
المفيد، النكت الاعتقادية
المفيد، عيون المعجزات
المفيد، الثقلان الكتاب والعترة / عدة رسائل
المفيد، الفصول المختارة
المفيد : أوائل المقالات وشرح اعتقادات الصدوق
الطوسي، الغيبة
النعماني، الغيبة
المرتضى، رسالة في الغيبة
الحلي، نهج الحق وكشف الصدق
الحلي، منهاج الكرامة في إثبات الإمامة
محمد صادق الصدر، الشيعة الإمامية
أسد حيدر، الإمام الصادق والمذاهب الأربعة
الحسني، هاشم معروف، بين التصوف والتشيع
الطبري، تاريخ الرسل والملوك
سيرة ابن هشام
تاريخ ابن خلدون
المسعودي، مروج الذهب
ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة
مكاتيب الرسول
الثقفي، كتاب الغارات
ابن كثير، البداية والنهاية
الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب (مقتل الإمام أمير المؤمنين)
الدينوري، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة
المسعودي، التنبيه والاشراف
محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى
السيوطي ، جلال الدين ، تاريخ الخلفاء
العسكري، مرتضى ، عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى
فياض، عبد الله، تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة
الخونساري، روضات الجنات

تفسير علي بن إبراهيم القمي
العياشي، التفسير
الطباطبائي محمد حسين، تفسير الميزان
الخوئي ، البيان
الصدوق، الهداية

الطوسي، النهاية
المفيد، المقنعة
الكراجكي، كنز العرفان
سلار، المراسم
ابن إدريس، السرائر
المحقق الحلي ، المختصر النافع
العلامة الحلي ، تحرير الأحكام
يحيى بن سعيد ، الجامع للشرائع
المقدس الاردبيلي ، مجمع الفائدة والبرهان
السبزواري ، كفاية الأحكام
الكاشاني، مفاتيح الشريعة
النراقي ، عوائد الأيام
الهمداني، مصباح الفقيه
الأنصاري، مرتضى، المكاسب
الشيخ محمد حسن النجفي، جواهر الكلام
الخوئي أبو القاسم، التنقيح في شرح العروة الوثقى / كتاب الاجتهاد والتقليد
الخميني، كتاب البيع،
الخميني، الحكومة الإسلامية
الصادق الوعد، صفحات من حياة الداعية المؤسس الحاج محمد صالح الأديب
مذكرات السيد مهدي الحكيم
النعماني ، محمد رضا : الشهيد الصدر سنوات المحنة وأيام الحصار
الخرسان ، صلاح : حزب الدعوة
حميد عنايت، تفكير نوين سياسي إسلام
طلال مجذوب: إيران من الثورة الدستورية إلى الثورة الإسلامية

الفكر الشيعي المبكر ، تعاليم الإمام محمد الباقر، لالرزينة لالاني)

صحيفة كيهان، العدد رقم 13223 المؤرخ 16 جمادى الأولى 1408هـ

http://www.alseraj.net/a-k/hadith/kafi/kafi.htm

http://www.aqaed.com/shialib/books/all/2ghdir02/2ghdir02-01.html#2gdr02
http://www.wadod.net/open.php?cat=14&book=892
http://www.yasoob.com/books/htm1/m013/11/no1119.html

ملحق رقم 1

البيان الشيعي الجديد

بقلم أحمد الكاتب

بسم الله الرحمن الرحيم

" إِنْ أُرِيدُ إِلّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ". هود 88

صدق الله العلي العظيم

مقدمة

لقد آن للمسلمين أن يتحدوا ويتحرروا من خلافات الماضي، وأن ينهضوا جميعا لبناء حاضرهم ومستقبلهم على أسس جديدة من العدل والشورى والعلم والإيمان. فإن الصراعات التاريخية المشحونة بالظلم والاستبداد والجهل، قد مزقت المسلمين الى طوائف متناحرة وولدت نظريات ما أنزل الله بها من سلطان. ورغم أن المسلمين قد تجاوزوا كثيرا من صراعات الماضي إلا أنهم – مع الأسف الشديد – لا يزالون يعيشون بعض آثارها السلبية الى اليوم. وهذا ما دفع مجموعة من الشباب المؤمن الى إعادة النظر في التراث الطائفي، وقراءة مذهب أهل البيت قراءة جديدة بعيدة عن النظريات الدخيلة المغالية والمتطرفة، أملا ببدء عهد جديد من الأخوة والوحدة الاسلامية القائمة على التمسك بالقرآن الكريم الذي يقول:"واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا". آل عمران 103 ويقول: "وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون". الأنبياء 92

إن الخلاف الطائفي (الشيعي السني) خلاف سياسي تاريخي كان يدور حول شكل النظام الدستوري للمسلمين، وفيما إذا كان شوريا؟ أم ملكيا وراثيا؟ أم عسكريا؟ ودينيا؟ أم مدنيا؟، وفي هذه العائلة أو تلك؟ وقد تطور ذلك الخلاف في العصور الوسطى وفي ظل الأنظمة الديكتاتورية المستبدة إلى خلاف فقهي ديني وعاطفي. وقد تجاوزه الزمن، وفَقَدَ مبرر وجوده اليوم بعد حدوث تطورات هائلة في حياة المسلمين. ولم يبق منه سوى

بعض الرواسب والمخلفات البسيطة التي لا تشكل مادة جدية للخلاف فضلا عن التناحر بين المسلمين. وهو على أية حال ليس خلافا عقديا جذريا ولا خالدا إلى يوم القيامة. بل آن له ان يدفن في مقابر التاريخ.

إن الخلافات الطائفية لا تتعلق بمبادئ الدين الثابتة، أو ضروريات الإسلام، وذلك لأن الإنسان المسلم ملزم بالعقيدة الإسلامية الواردة في القرآن الكريم، وفيما عدا ذلك فان كل شيء ظني واجتهادي ومختلف فيه. وفي الوقت الذي توجد في الدين قواعد لا يجوز أن يختلف عليها إثنان؛ توجد اجتهادات ظنية لا يجوز أن تكون سببا للاختلاف بين أثنين، وإنما هي مدعاة للحوار والنقاش. ومن تلك الأمور الخلاف بين الشيعة والسنة الذي لا يدور حول القواعد الثابتة، وإنما يتعلق بالقضايا الاجتهادية القائمة على أساس التأويلات والروايات الظنية.

ومن هنا لا نعتقد بوجود ثوابت أو ضرورات في المذاهب. إذ لا توجد نسخة واحدة رسمية متكاملة لكل مذهب. وقد كانت بعض المذاهب عرضة للزيادة والنقصان والآراء الفردية والاجتهادات الظنية وتسرب الخرافات والأساطير، ولا يوجد أحد ملزم بتبني جميع الآراء التي كتبها الرجال السابقون بالجملة في مختلف الأبواب العقدية والفقهية والتاريخية، وإنما هو حر بانتقاء ما يريد. وتؤكد ذلك مسيرة النقد والإصلاح المتواصلة منذ القرون الأولى، ووجود تيارات عديدة للتشيع والتسنن تتراوح بين الاعتدال والتطرف والغلو، وادعاء كل تيار أنه يمثل التشيع أو مذهب أهل البيت أو السنة الصحيحة. ومن هنا كان أئمة أهل البيت يدعون إلى عدم قبول كل ما يروى عنهم أو ينسب إليهم، وعرضه على كتاب الله والنظر فيه، ورفضه إذا كان مخالفا للكتاب. وبناء على ذلك نعتقد أن مذهب أهل البيت لم يكن يختلف عن الإسلام في شيء، وأن الاختلاف طارىء وحادث بسبب الغلاة الذين أدخلوا كثيرا من أفكارهم في تراث أهل البيت، حتى خُيِّل لبعض الناس أن ما أدخلوه من نظريات باطلة هي من صلب مذهب أهل البيت، وأنها أصبحت من الثوابت والضرورات والمسلمات، وهي ليست كذلك.

وقد انعكست تلك النظريات المغالية الباطلة على علاقة الشيعة الداخلية والخارجية، فأدت الى نشوء الاستبداد الداخلي باسم الدين، والى حدوث التوتر والصراع مع أهل السنة، كما انعكست بعض النظريات السياسية السنية (الاستبدادية) سلبا على علاقتهم ببقية المسلمين. وهذا ما دفعنا الى مراجعة تراث

أهل البيت والتحقيق فيه، فوجدناه فكرا إسلاميا حرا صافيا وحدويا معقولا، ووجدنا إلى جانبه أو تحت طياته فكرا أسطوريا مشوبا سلبيا، منسوبا لهم بصورة تعسفية تحت دعوى "التقية" رغم تناقضه مع أقوال الأئمة وسيرتهم.

ولدى دراستنا لتطور الفكر السياسي الشيعي عبر التاريخ، وجدنا أنه تخلص من الكثير من الأفكار الدخيلة المغالية، وتحرر منها حتى كاد يسبق بعض "أهل السنة" في ممارسة الاجتهاد واستعمال العقل، والالتزام بالحرية والشورى. بحيث لم يبق من الخلافات التاريخية إلا اسمها وبعض الرواسب البسيطة من الأفكار الدخيلة.

وفي الوقت الذي نهيب فيه بجميع المسلمين من كل المذاهب بمراجعة تراثهم والقيام بنقده وتهذيبه وتشذيبه، والعودة للقرآن الكريم والسنة النبوية والعقل السليم، فانه يسرنا التعبير عن خلاصة أفكارنا المبنية على قراءتنا المعمقة لتراث أهل البيت بعيدا عن نظريات الغلاة والمتطرفين، والتي ربما تشكل ملامح جيل جديد من المسلمين الذين خرجوا من قوقعة الطائفية الى رحاب الإسلام الواسعة، واكتفوا باسم "المسلمين" الذي سماهم به أبونا إبراهيم (عليه السلام) (كما في آية 78 من سورة الحج) وتخلوا عن الهويات الطائفية "السنية" و "الشيعية".

ونوجز عقيدتنا بما يلي:

1- نشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.
2- نؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين جميعا.
3- نلتزم بالإسلام عقيدة ومنهاجا وقيما وعبادات وأحكاما وأخلاقا.
4- نؤمن بخاتمية نبوة النبي محمد (ص)، كما جاء في القرآن الكريم:" مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا" الأحزاب 30 وأن الرسالة الإسلامية قد ختمت بمحمد (ص)، كما أن الوحي قد انقطع من بعده، وأن الناس مكلفون باتباع القرآن والسنة الصحيحة والعقل السليم.
5- نؤكد على سلامة القرآن الكريم من التحريف والتلاعب والزيادة والنقصان. وأن الله تعالى قد تكفل بحفظه حيث قال:" إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ " الحجر 9. وأن كل ما قيل أو ورد في الكتب الغابرة هي

أحاديث ضعيفة وضعها الغلاة في تـراث أهل الـبيت. وقد قام علماء الشيعة عبر التاريخ بنقد تلك الأحاديث والتـبرؤ منهـا. ونأسف لاسـتمرار بعض خصـوم الشـيعة بترديد أسـطورة تحريف القـرآن، واتهـامهم بها عـبر التـاريخ، واسـتعمالها أداة لضـربهم واتهـامهم بـالكفر وانحـراف العقيدة.

6- نجل صـحابة رسـول الله الطيـبين من المهـاجرين والأنصـار، وأهل الـبيت، ونترضى على الصـالحين منهم، ولكن لا نعتقد بعصمتهم. ونحرم الإساءة إليهم أو سـبهم، وخصوصا الإسـاءة إلى السـيدة عائشة أم المؤمـنين، ونؤمن ببراءتها من قضية الإفك لأن الله برأها في ذلك.

7- نعتقد أن الإسلام دين يوجه الحياة السياسية والاقتصـادية والاجتماعيـة، على أسس أخلاقية سـليمة، ولكنه لا ينص على نظـام سياسي معين، فقد أوصى بمبـدأ الشـورى، وترك للمسـلمين حرية اختيـار نظـامهم السياسي حسب الظـروف الزمانية والمكانيـة. ولـذلك لم ينص الرسـول الأعظم (ص) على خليفة من بعـده. فاجتهد الصـحابة الكـرام واختـاروا الخلفـاء الراشـدين الخمسة (أبا بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن) رضي الله عنهم.

8- لا نعتقد بـأن الإمامة جـزء ملحق بـالنبوة أو أنها تشـكل امتـدادا لهـا. ولا نعتبرها أصلا من أصـول الـدين، ولا ركنا من أركانـه، لأن القـرآن الكـريم لم يتحـدث عنهـا، ولكنها مسألة فرعية قد تدخل في باب الفقه السياسـي. إذ أنها تقـوم على أسـاس بعض الروايـات القابلة للنقـاش، والتأويلات الظنية البعيدة للقرآن الكريم.

9- كما لا نعتقد بضـرورة وجـوب كـون الإمـام (أي رئيس الدولـة) معصـوما كالأنبيـاء، أو أنه يتلقى الـوحي من الله مثلهم، أو أن له الحق بالتصرف في الناس. أو أن أوامره كأوامر الرسـول ونواهيـه. ولا نعتقد بـأن الأمة الإسـلامية بحاجة دائمة إلى رئيس معين من الله تعـالى، أو أن الأرض لا يمكن أن تخلو من حجة، وإلا لساخت.

10- نعتقد أن أهل البيت كانوا يؤمنـون بنظـام الشـورى، ولم يعرفـوا نظرية "الإمامة الإلهيـة" القائمة على الوراثة العمودية في سلالة معينة، ولم يدعوا العصمة لأنفسـهم، ولا العلم بـالغيب. وأنهم كـانوا علمـاء ورواة للحـديث النبوي، وليسوا معيـنين ولا منصـوبين من الله تعـالى، ولا

يعلمـــــون الغيب، وليست لهم أية ولاية تشـــــريعية أو تكوينية، كما يدعي الغلاة.

11- وأن القول بوجود النص الجلي على الإمام علي بالخلافة من رسول الله (ص) نشأ في القرن الثاني الهجري، ولم يكن له وجود سابقا، وأن الجـدل حوله عقيم لا يقـدم ولا يـؤخر، ولا يعيد عقـارب السـاعة إلى الـوراء. وأما فضل الإمـام علي فهو أمر لا ينكـر، ولا يكمن في النص عليـه، وإنما يتمثل في منهج الإمـــام وعمله وســـيرته وأخلاقه المتمثلة في الإيمـان بالله وبرسـوله والتضـحية من أجل الدين، والتزام الحق والعدل والمسـاواة بين المسـلمين، والزهد في الـــدنيا والتواضع والشـــورى واحـــترام إرادة الأمـة. وأنه أصـبح إماما وأمـيراً للمؤمـنين عنـدما بايعه المسلمون طواعية بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان.

12- وأن الإمــام علي تــرك الأمر شــورى بعــده، كما فعل رسول الله (ص)، ولم يعين ابنه الحسن وليا للعهد، وإنما اختـاره المسـلمون طواعية إمامـاً لهم. وهكـذا فعل أهل الكوفة مع الإمام الحسين، الذي لم يعين أحـدا من بعـده ولم يفرضه على الشـــيعة. وأن بقية الأئمة من أبنـــاء الحسين لم يوصوا ولم يعينوا أحدا من أبنائهم أو يفرضوه على المسلمين.

13- نـؤمن بـأن الإمـام الحسن العسـكري تـوفي سـنة 260 للهجـــرة دون ولـــد، ودون أن يوصي إلى أحد من بعـــده بالإمامــة، أو يشـير إلى وجــود ولد مخفي لديــه، كما هو الظاهر من حياته.

14- ومن هنا: لا نعتقد بوجود "إمام ثاني عشر" غـائب اسـمه (محمد بن الحسن العسـكري) وعمـره اليـوم أكـثر من ألف ومائة وخمسين عامـا، لأن هـذا قـول وهمي لم يقم عليه دليل شرعي أو تاريخي. وإنما هو أمر افترضه فريق من الإمـاميين الـذين وصـلوا إلى طريق مسـدود بوفـاة العسكري دون ولد.

15- ولا نؤمن بالحكومة العالمية للمؤمنين، فالدنيا دار عينها الله تعالى مستقرا ومتاعا للمؤمنين والكفار على سـواء، ولا دليلَ قطعياً على ظهور "إمام مهدي" في المستقبل.

16- وتبعا لذلك : لا نـؤمن بالنيابة الخاصة (للسـفراء الأربعـة) ولا النيابة العامة (للفقهاء) عن "الإمام المهـدي الغـائب" الذي لم يولد أبدا حتى يغيب. ونعتقد أنها فرضـيات ظنية ادعاها بعض النـــاس بلا دليل شـــرعي، وفي محاولة من

أجل حل بعض الإشكاليات التي كانوا يعيشونها نتيجة الفراغ القيادي، بسبب إيمانهم بوجود الإمام الثاني عشر وغيبته.

17- لا نؤمن أن في الإسلام مؤسسات دينية "مرجعية" تشبه الكنيسة، بل علماء يرجع إليهم عند الضرورة، ولذلك لا نؤمن بوجوب التقليد للفقهاء مدى الحياة، أو الاقتصار على فقيه واحد في كل شيء. بل نعتقد بحرمة التقليد ونعتقد بأنه بدعة ما أنزل الله بها من سلطان، وندعو جميع المكلفين القادرين، للاجتهاد والتفكير والنظر في الأصول والفروع، كما كان يقول بعض العلماء مثل الشيخ الطوسي الذي كان يحض على دراسة الآراء المختلفة واختيار الرأي الصائب من بينها.

18- كما ندعو "المجتهدين" الى عدم الاقتصار في دراساتهم على الفقه والأصول، بل دراسة العقيدة الإسلامية والتاريخ وخاصة نظرية "الإمامة الإلهية". وما تفرع منها من كفرضية وجود "الإمام الثاني عشر".

19- نعتقد بضرورة مراقبة "العلماء" ومحاسبتهم ونقدهم، فليس كل ما يفتون به صحيح ومطابق للشرع دائما. فكثيرا ما يقع "العلماء" في الشبهات والأهواء فيحلون ما حرم الله ويحرمون ما أحل (كقولهم بوجوب الخمس، وعدم وجوب صلاة الجمعة عينا).

20- ومن هنا نرى أن فتاوى "العلماء" غير ملزمة شرعا ولا قانونا، إلا إذا اتخذت صبغة دستورية مجمع عليها في مجالس الشورى المنتخبة من الأمة.

21- نقدر "المدرسة الأصولية" التي فتحت باب الاجتهاد، وأعادت إلى التشيع توازنه واعتداله، ورفضت الكثير من خرافات الأخباريين وأساطيرهم، ونطالب الفقهاء بممارسة مزيد من الاجتهاد في الأصول والفروع والرجال والحديث، ومكافحة الغلاة "المفوضة" الذين ينسبون إلى أئمة أهل البيت صفات الربوبية ويغالون فيهم ويدعون لهم مقامات عليا، وأدوارا فوق مستوى البشر، ومهمات من أعمال الله تعالى، كإدارة الكون أو الخلق والرزق وما إلى ذلك، تحت غطاء نظرية (الولاية التكوينية).

22- وفي الوقت الذي نحيي جهود علماء الشيعة، وخاصة الأصوليين، الذين قاموا بدراسة الحديث وعلم الرجال، وتضعيف أربعة أخماس "الكافي" ندعوهم الى مواصلة

البحث والتحقيق فيما تبقى منه من أحـــاديث، وإعـــادة النظر في كثـير ممن يـوثقهم السـابقون، فـإن مشـكلة الحديث عند الأخباريين تنبع من توثيق بعض الغلاة الـذين نجحــوا في دس أنفســهم في صــفوف الــرواة، وتقبل رواياتهم بالتصديق. وهذا ما يـدفعنا الى التشـكيك بصـحة تسعة وتسعين بالمائة من أحاديث الكليني في "الكافي". واعتبارها ســـببا من أســـباب اســـتمرار الخلاف بين المسلمين.

23- لا نؤمن بحكومة "رجال الدين" ولا بنظرية "ولاية الفقيه" القائمة على فرضـية "النيابة العامة عن الإمـام المهـدي الغـائب" والـتي تعطي الفقيه صـلاحيات مطلقة وتجعله فوق الأمة والقانون، وتسـمح له بتجـاوز الدسـتور وإلغـاء أية اتفاقية شرعية يعقـدها مع الأمـة. وفي الـوقت الـذي نعتبر نظرية "ولاية الفقيه" تطورا إيجابيا كبـيرا في الفكر السياسي الشيعي، بالنسبة لفكر الانتظار السلبي للإمـام الغائب، نحو التحـرر من نظرية "الإمامة الإلهيـة" القائمة على اشتراط العصمة والنص والسلالة العلوية الحسـينية في الإمام، والإيمان بشـرعية الشـورى والانتخـاب؛ نعتقد أن نظرية "ولاية الفقيـــه" نظرية حادثـــة، ولا دليل عليها من الشرع، ولم يؤمن بها محققو الفقهـاء، ولأنها تكـرس الصـــفة الدينية للحـــاكم (الفقيـــه)، وتضـــفي عليه هالة مقدسة تحـول دون محاسـبته ومراقبته ونقـده وتغيـيره، وتجعل منه ديكتاتورا مستبدا. ومن هنا نـدعو إلى تطـوير النظرية نحو الأفضل وقيامها على أســـاس الانتخــــاب والتقيد بحدود الصلاحيات التي يمنحها الشعب.

24- نؤمن بالانفتاح على المذاهب الإسلامية الأخرى، واحـترام اجتهاداتهـــا، ونـــدعو الى مزيد من عمليـــات الاجتهـــاد المشـتركة بين السـنة والشـيعة، والعـودة إلى القـرآن الكريم، واعتبـاره المصـدر التشـريعي الأول والأعلى من جميع المصادر التشريعية الأخرى.

25- نحـترم جميع المصـادر الحديثية للشـيعة والسـنة، ولكن نطالب بتنقية المصادر من الأحاديث الضـعيفة المنسـوبة للنبي الأكرم وخاصة المخالفة للقرآن والعقل والعلم.

26- ندعو إلى دمج المعاهد الدينية والحوزات العلمية السـنية والشيعية، من ناحية الـبرامج والطلاب والأسـاتذة، وخلق بيئة وحدوية للحوار والمقارنة والتفكير الحر.

27- كما ندعو إلى الانفتاح الثقافي على الآخر وتوفير الحرية الإعلامية للجميــع، وعــدم فــرض الرقابة على أي منتج ثقافي مخالف.

28- نؤمن بوحدة العالم الإسلامي، ونرفض التمييز الطــائفي، ونعمل من أجل تعزيز الوحـــدة الوطنية الداخلية في كل بلــد، والمشــاركة السياســية بين جميع الطوائــف، على أساس المواطنة والحرية والعدالة والمساواة.

29- نؤمن بأن حل المشــكلة الطائفية جـذريا يكمن في قيـام المؤسسات الدستورية والأنظمة الديموقراطية والتـداول الســلمي للســلطة، والـتي نعتقد أنها تحـول دون انفجـار الصــراع بشــكل عــنيف، ولا تســمح باســتيلاء العســكريين على السلطة بالقوة.

30- نــدعو إلى وقف الجــدل الطــائفي العقيم، والامتنــاع عن القيام باستفزاز الآخــرين من خلال التهجم على رمـوزهم ، وخاصة من الصحابة وأهل البيت، وأئمة المذاهب.

31- ونحــيي في هــذه المناســبة "مــؤتمر النجف الأشــرف" التاريخي الذي عقد في شوال من عام 1156هـ الموافق لكــانون الأول عــام 1743م، وضم مجموعة من كبــار العلمــاء الشــيعة والســنة من العــرب والفــرس والـترك والأفغان، وكان على رأسهم مفتي العراق السني الشـيخ عبد الله الســويدي، ومفــتي الأفغــان الملاّ حمــزة القلنجاني، ومفتي إيـران الملا باشي علي أكـبر والمرجع الكـربلائي السـيد نصر الله الحـائري، والـذي أصـدر بيانا موحــدا من علمــاء الســنة والشــيعة يــرفض فيه سب الصحابة. واعترف فيه علماء أهل السنة بالشـيعة، وعـبر فيه الجميع عن تسامحهم والـتزامهم بحرية الاختلاف في بعض الفروع، وتحريم دماء الفريقين المســلمين من أمة محمد.

32- نعتقد: أن النقد والسب واللعن والتكفير والاتهـام بـالردة والنفاق، كان - مع الأسف الشديد - إفـرازا من إفـرازات الفتنة الكبرى التي عصفت بالمســلمين. ولا بد من إغلاق ذلك الملــف، إذ لا يعقل أن يبقى ذلك التــاريخ الســيئ جرحا مفتوحا إلى يوم القيامة.

33- ولا بد من طي صفحة الماضي، وعدم الغـوص كثـيراً في أحداث التاريخ السحيق إلا من أجل أخذ العبرة فقط.

34- نعتقد أن التشيع يحمل مبادئ إيجابية كثيرة كمبدأ العدل، وروح الدفاع عن الإسلام والعمل في سبيل الله والثــورة

على الظـالمين، وهي أمـور يحتاجها المسـلمون اليـوم للنهـوض بأنفسـهم والتحـرر من الطغـاة والمحتلين الأجـانب، ولكنا نـرفض الجـدل حـول نظرية "الإمامة الإلهيـة" ودعـوى النص على الأئمة من اللـه، لأنه بحث عقيم وبلا فائدة عمليـة، ويضر أكـثر مما ينفـع، ويجر إلى ما لا تحمد عقبـاه، وقد يثـير مشـاعر الآخـرين ويـؤلب المسلمين بعضهم ضد بعض.

35- نعتقد بوجوب الزكاة، ونـدعو إلى العمل بهـا، وإلى عـدم التفريق بين السـني والشـيعي في دفع الزكـاة لأن الله تعالى لم يحـدد دفعها لأهل دين معين بل فرضـها لصـالح الفقراء من البشر.

36- ولا نعتقد بوجـوب الخمس الـذي لم يـرد إلا في غنـائم الحـرب، ولم يعمل به الإمـام علي بن أبي طـالب خلال حكمه. بل إن روايات الشيعة الصـحيحة وفتـاوى العلمـاء السـابقين تؤكد على إباحته في ما يسـمى بـ "عصر الغيبة". وبالطبع لا نؤمن بوجوب إعطاء الخمس للفقهـاء أو وكلائهم. فهـذا أيضا رأي جديد لم يكن يعرفه مشـايخ الشيعة السابقون كالمفيد والمرتضى والطوسـي، الـذين كـانوا يعـبرون عن حـيرتهم حوله أو يفتـون بدفنه في الأرض أو تخزينه إلى يـوم ظهـور المهـدي. ونـدعو "العلماء" إلى الاشتغال بطلب العلم والـدعوة والإرشـاد، بدل الانغماس بجمع الأموال وتعريض أنفسـهم للشـبهات والأقاويل.

37- نـدعو إلى تنظيم التبرعـات المالية في جمعيـات خيريـة، تغطي المشـاريع الاجتماعية والثقافية ومنها رعاية المسـاجد والمـدارس الدينية وعلمـاء الـدين، وتخضع للمحاسـبة والرقابة وتلـتزم بالشـفافية ونشر كشـوف تفصيلية بحساباتها وميزانياتها.

38- نؤمن بوجوب صلاة الجمعة عينا على كل قادر تتـوفر فيه الشـروط، ونقـدر قيـام الشـيعة بـأداء صـلاة الجمعة بعد انتصار الثورة الإسلامية، في إيران والعراق ولبنان وسائر المنـاطق، ونحث الجميع على أدائها بصـورة عامة والالتزام بها بدقة وانتظام. ونعتبر صلاة الجمعة مناسـبة عظيمة للحث على التقـوى ومعرفة الله تعـالى وليست مناسبة سياسية للدعاء للظالمين وتبرير أفعالهم.

39- نـرفض زيـادة ما يسـمى بالشـهادة الثالثة في الأذان، وهي: "أشهد أن عليا ولي الله". ونعتقد أن هـذه الزيـادة

من فعل الغلاة "المفوضة"، كما يقول الشيخ الصدوق في كتابه:"من لا يحضره الفقيه" وأنها بدعة وسبب للتفرقة بين المسلمين.

40- نرفض ممارسة التقية بتلك الصورة المشوهة، كما نرفض التصديق بما اشتهر عن الإمام الصادق من أن : "التقية ديني ودين آبائي، ولا دين لمن لا تقية له". حيث نعتقد أنه حديث مكذوب على الإمام، ولا مبرر عقلي أو تاريخي له، فكيف تصبح التقية جزءا من الدين؟ ومتى كان الأئمة يمارسون التقية؟ وممن كانوا يخافون؟ ومن هنا نحسب أن هذا الحديث موضوع من قبل الغلاة كغطاء لتمرير نظرياتهم المنحرفة باسم أهل البيت الذين كانوا يتبرءون منها علنا. وهذا ما يدعونا لقراءة فكر أهل البيت وتراثهم على أساس الظاهر من حياتهم، وعدم قبول أي تأويل باطني معاكس لأقوالهم وأفعالهم. وفي الوقت الذي نطالب بتوفير الحرية والأمن لكل إنسان للتعبير عن رأيه، نعتقد أن عهد التقية قد مضى وولى، وأنه لم يعد عند الشيعة ما يعيب لكي يخفوه أو يتقوا الآخرين منه، ولا يوجد ما يمنعهم من التعبير عن آرائهم. خصوصا بعد أن أصبح للشيعة حكومات قوية ويعيشون في بلاد ديموقراطية حرة كثيرة، ولذلك فإنهم يعبرون عن آرائهم بحرية وشجاعة وصدق. وليس كل من أنكر فكرة معينة يمارس التقية بالضرورة، فليس كل الشيعة يؤمنون بكل ما ورد في الكتب الغابرة. وهؤلاء هم "العلماء" يقومون بنقد الكثير الكثير مما جاء في كتب الأولين ويتبرءون منها.

41- لا نؤمن بكثير من الأدعية والزيارات الموضوعة من قبل الغلاة والمتطرفين، وندعو "العلماء" إلى تنقيحها وتهذيبها. ونرفض "الزيارات" المنسوبة لأئمة أهل البيت، مثل "الزيارة الجامعة" و"زيارة عاشوراء" و"حديث الكساء" وغيرها من الزيارات والأدعية التي تحتوي على مواقف سلبية من الصحابة، وأفكارا مغالية بعيدة عن روح الإسلام ومذهب أهل البيت، والتي اختلقها الغلاة كذبا ونسبوها للأئمة.

42- لا نؤمن بشفاعة الأئمة يوم القيامة، التي تقف وراء الكثير من الطقوس والعادات الدخيلة، كزيارة قبور الأئمة، والبكاء على الحسين والتطبير واللطم على

الصـدور، بل نعتقد بما كـان يقـول الإمـام جعفر الصـادق عن الأئمة:" أنهم موقوفون ومحاسبون ومسئولون".

43- نرفض الاستغاثة بالأئمة أو دعاءهم، أو النذر لهم، ونعتـبر ذلك نوعا من الشــرك بالله تعــالى. وهو على أي حــال عمل لا يقــوم به إلا الجهلة والبســطاء من النــاس، وأما عامة الشـــيعة فهم يــــزورون قبـــور الأئمة والأوليــــاء ليستغفروا الله لهم ويـترحموا عليهم أو يسـتلهموا العـبر من حياتهم وكفاحهم في سبيل الدعوة إلى الله.

44- نــدعو إخواننا إلى عــدم التطـرف في مراسم عاشـوراء وتجنب الطقوس المبتدعة التي تشوه صورة الشيعة في العالم والتي لم ينزل بها من الله سلطان.

45- ونرفض بشدة أقوال الغلاة الذين زعموا بـأن الله تعـالى خلق الكـون من أجل الخمسة "أصـحاب الكسـاء". وإنما خلق الخلق ليرحمهم ويبلوهم.

46- نــدعو الجميع إلى عــدم تضـخيم الخلافـات الجزئية الـتي حدثت في التاريخ بين الصحابة، مثل موضوع الخلاف بين السـيدة فاطمة الزهـراء والخليفة أبي بكر حـول "فـدك" التي استرجعها منها باعتبارها من الأموال العامة، وقـالت الزهــراء أن النــبي أعطاها لها منحـــة، فقد كـــان خلافا شخصــيا جزئيا محــدودا، ولا نســتطيع أن نفعل نحن إزاء ذلك شيئا.

47- كما نـدعو إخواننا إلى رفض أسـطورة الهجـوم على بيت السيدة فاطمة الزهراء، وما يقال عن "كبس بيت الإمـام علي من قبل عمر من أجل إجبــاره على بيعة أبي بكــر، وما رافق ذلك من تهديد بحـــــــرق بيت فاطمة على من فيه، أو قيامه بحرق باب البيت وضرب الزهراء وعصـرها وراء البــاب، وإســقاط جنينها (محســن) والتســبب في وفاتهـا" أو إثــارة تلك القصة كل عــام، وإقامة مجـالس العــزاء واللطم والبكـــاء، وما يرافقها من اللعن والسب والانفعالات العاطفية. إذ أنها قصة أسطورية لم تثبت في التــاريخ، ولا يعقل حــدوثها، وهي تســيء إلى شخصــية الإمـــــام علي قبل أن تســــــيء إلى الخليفة عمر بن الخطاب.

48- ونـــدعو إلى رفع الصـــبغة الطائفية عن مســاجد اللـــه، وجعلها مفتوحة لجميع المســلمين، وذلك بــأداء الصــلاة المشتركة وراء الأئمة من السـنة والشـيعة، والصـلاة في

جميع المساجد دون استثناء، ورفض الفتاوى الطائفية الضيقة التي تحرم الصلاة خلف المذاهب الأخرى.

49- ندعو إلى كسر الطائفية والتفرقة بين المسلمين بإشاعة الزواج المختلط بين الطوائف، وإلغاء الفتاوى غير الشرعية القاضية بتحريم الزواج المختلط بين المسلمين.

50- كما ندعو إخواننا من أهل السنة وسائر الطوائف الإسلامية إلى الانفتاح على إخوانهم الشيعة، والتعرف عليهم أكثر، والتمييز بين المعتدلين منهم (وهم عامة الشيعة) والغلاة والمتطرفين، وعدم الحكم عليهم بناء على أقوال الشواذ والسابقين، والنظر إلى واقعهم الجديد، وملاحظة التطورات الجذرية الفكرية والسياسية التي حصلت وتحصل في صفوفهم، وتأييد النشاطات الإيجابية والتضحيات الجسيمة التي قدموها ويقدمونها في سبيل تحرير بلدانهم من نير المستعمرين والمحتلين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، ونسأله أن يوفقنا لخدمة دينه، وأن يوحد المسلمين ويعزهم ويحررهم من الطغاة والمحتلين. إنه سميع مجيب.

أحمد الكاتب
1 محرم الحرام 1430 للهجرة
29/12/2008

صدر للمؤلف:

1- تطور الفكر السياسي الشيعي.. من الشورى إلى ولاية الفقيه
2- تطور الفكر السياسي السني.. نحو خلافة ديموقراطية
3- الفكر السياسي الوهابي.. قراءة تحليلية
4- السنة والشيعة.. وحدة الدين، خلاف السياسة والتاريخ
5- المرجعية الدينية الشيعية وآفاق التطور، الشيرازي نموذجا
6- حوارات أحمد الكاتب مع العلماء والمفكرين حول وجود الإمام الثاني عشر

7- هذا الكتاب: التشيع السياسي والتشيع "الديني"